شرح عقيدة أهل السنة الأخيار

بدراسة أحاديث المُخْتَارُ

مِنْ أَحَادِيْثِ سَيِّدِ الأَبْرَارِ

(في المعتقد الصحيح)

الجزء الأول

تأليف

أبي عبدالله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني





مُقدِّمةُ المُؤلِّفِ

الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَأَقَامَ حُجَّتَهُ عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْعَمَى، فَأَرْسَلَ رُسُلَهُ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالمِيْزَانِ، فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ فَإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكًا وَيُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُوْلِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ، بَعَثَهُ اللهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا، وَدَاعِيًا إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا، وَجَعَلَ اتِّبَاعَهُ، وَاتِّبَاعَ هَدْيِهِ عَلَامَةً لِمَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ جَعَلَ اللهُ الحَقَّ صِرَاطًا وَاحِدًا مُسْتَقِيمًا، وَمَا سِوَاهُ بَاطِلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فَلَا فَلَاحَ لِأَحَدٍ إِلَّا بِأَنْ يَلْتَزِمَ صِرَاطَ الله الْمُسْتَقِيْمِ، الَّذِي سَلَكَهُ رَسُولُهُ ﷺ وَالمُؤْمِنُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَعَلَيْهِ فَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَسْتَمْسِكَ بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَنْهَجِهِ وَعَقِيدَتِهِ، وَيَبْتَعِدَ وَيَحْذَرَ مِنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَنْهَجِهِ سَائِرِيْنَ، وَعَنِ الحَقِّ مُدَافِعِيْنَ، وَلِلْكُفَّارِ وَالمُنَافِقِيْنَ وَالمُبْتَدِعَةِ مُجَاهِدِيْنَ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه.

وَمَنْ خَالَفَ نَهْجَهُ نَهْجَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ؛ فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي فِرَقِ الضَّلَالِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه.

وَلِذَلِكَ اعْتَنَى العُلَمَاءُ بِبَيَانِ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ، وَمَا يُضَادُّهَا مِنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالْبِدَعِ فِي كُتُبٍ كَثِيْرَةٍ، سَوَاءٌ كَانَتْ مُنْفَرِدَةً فِي ذَلِكَ، أَوْ فِي ضِمْنِ غَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ الحَدِيْثِ.

وَقَدْ وَفَّقَنِي اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -وَلَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ- لِجَمْعِ جُمْلَةٍ مِنْ أَحَادِيْثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ المُتَعَلِّقَةِ بِالمُعْتَقَدِ الصَّحِيْحِ فِي كِتَابٍ؛ لِتَيْسِيْرِ حِفْظِهَا؛ وَلِيَكُونَ مَنْ حَفِظَ القُرْآنَ وَحَفِظَهَا؛ قَدْ جَمَعَ فِي صَدْرِهِ أَدِلَّةَ العَقِيْدَةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ أَسْمَيْتُ كِتَابِي هَذَا: "**المُخْتَارُ مِنْ أَحَادِيْثِ سَيِّدِ الأَبْرَارِ فِي المُعْتَقَدِ الصَّحِيْحِ**".

وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الكِتَابُ صَالِحًا لِلْحِفْظِ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الأَحَادِيْثِ المَذْكُورَةِ قَصِيْرَةٌ صَالِحَةٌ لِذَلِكَ، وَأَرْجُو أيضًا أَنْ يَكُونَ صَالِحًا لِلتَّدْرِيْسِ فِي بَابِ التَّوْحِيْدِ وَالْعَقِيْدَةِ؛ فَكَثِيْرًا مَّا يَسْتَشِيْرُنِي عَدَدٌ مِنَ الإِخْوَةِ الَّذِيْنِ يَخْرُجُونَ دَعْوَةً؛ لِتَعْلِيْمِ النَّاسِ فِي الكِتَابِ المُنَاسِبِ فِي التَّوْحِيْدِ وَالْعَقِيْدَةِ لِتَدْرِيْسِهِ؛ فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الكِتَابُ صَالِحًا لِذَلِكَ أَيْضًا؛ فَقَدْ ذَكَرْتُ فِيْهِ أَبْوَابَ العَقِيْدَةِ بَابًا بَابًا مَعَ ذِكْرِ الأَدِلَّةِ عَلَى ذَلِكَ؛ فَلِلَّهِ الحَمْدُ عَلَى مَا أَلْهَمَ وَعَلَّمَ.

وَقَدْ كَانَ ابْتِدَائِي بِجَمْعِ هَذَا الكِتَابِ فِي أَوَاخِرِ شَوَّال مِنْ عَامِ (١٤٣٠) مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ثُمَّ فَرَغْتُ مِنْهُ فِي شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى مِنْ عَامِ (١٤٣١) مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ فَأَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهَذَا الكِتَابِ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ، وَأَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الإِسْلَامَ وَالْـمُسْلِمِيْنَ.

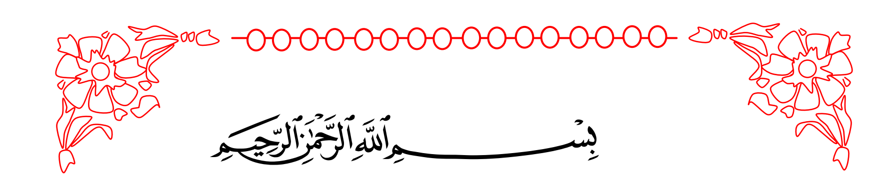
وَأَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَغْفِرَ لِي وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايِخِي، وَمَنْ أَعَانَنِي عَلَى طَلَبِ العِلْمِ، وَأَنْ يُكْرِمَنَا بِرِضْوَانِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكِ.

كَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيّ بن حِزَام الفَضْلِي البَعْدَانِي

فِي دَارِ الحَدِيْثِ بِدَمَّاج حَرَسَهَا اللهُ (٣/ ٦/ ١٤٣١هـ)



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أركان الإيمان والإسلام

١ عَنْ عَبْدِاللهِ بن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وحَجِّ البَيْتِ، وصَومِ رَمَضَانَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.[1]

٢ وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رسول الله ﷺ ذَاتَ يَومٍ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ولاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، ووضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ ويُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإيمان. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، ومَلاَئِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ «**مَا الـمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأَنْ تَرَى الـحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ**». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «**فإنه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦).

يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.(١)

﴿٣﴾ وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَومَ فَهَزَمْنَاهُمْ، ولَحِقْتُ أَنَا ورَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ؛ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ الأَنْصارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!**» قُلْتُ: كَانَ مُتَعوذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَومِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

﴿٤﴾ وفِي رُوايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: «**أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ!**». فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يومَئِذٍ. قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وأَنَا واللهِ لاَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ. يَعْنِي أُسَامَةَ. قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﴿ **وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ** ﴾ [الأنفال:٣٩] فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ، وأَنْتَ وأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ.

﴿٥﴾ وأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيَّ رضي الله عنه نحوه وفيه: قَالَ: «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذا جَاءَتْ يومَ القِيَامَةِ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: «**وكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذا جَاءَتْ يومَ القِيَامَةِ**». قَالَ: فَجَعَلَ لاَ يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «**كَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذا جَاءَتْ يومَ القِيَامَةِ**».

﴿٦﴾ وعَنْ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْودِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنْ الكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ثُمَّ لاَذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ. أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٢٦٩)، ومسلم برقم (٩٦).

ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ: ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَا تَقْتُلْهُ؛ فإن قَتَلْتَهُ فإنه بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ وإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

مسائل العقيدة المتعلقة بالأحاديث

١ تعريف الإيمان والإسلام.

سيأتي الكلام على حقيقة الإيمان إن شاء الله تعالى في باب الإيمان قول وعمل.

وقَالَ الإِمَامُ ابنُ رَجَبٍ رحمه الله في **"جَامِعِ العُلومِ والحِكَمِ"** في شَرْحِ حَدِيث (٢):

الإيمان: هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، **والإسلام**: هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له، وذلك يكون بالعمل، وهو الدين كما سمى الله في كتابه الإسلام دينًا، وفي حديث جبريل سمى النبي ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان دينًا.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي كِتَابِه **"بيان تلبيس الجهمية"** (٤/ ٢٢٣):

والإسلام: هو الاستسلام لله وحده، **وله ضدان**: الإشراك والاستكبار؛ فالمستكبر استكبر عن الإسلام له، والمشرك استسلم لغيره، وإن كان قد استسلم له.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي كِتَابِه **"الجَوابُ الصَّحيحُ لمَنْ بَدَّلَ دِينَ المَسِيحِ"** (٤/ ٢٢٣): **والإسلام هو أن يستسلم العبد لله وحده؛ فيعبده وحده بما أمره به؛ فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له بل** استكبر عن عبادته كان ممن قيل فيه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي كِتَابِه **"النُّبُوات"** (١/ ٤١٧):

والإسلام: هو أن يَستسلم لله، لا لغيره؛ فيعبد الله ولا يُشرك به شيئًا، ويتوكَّل

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠١٩)، ومسلم برقم (٩٥).

عليه وحده، ويرجوه، ويخافه وحده، ويُحبّ الله المحبّة التامّـة، لا يُحـبّ مخلوقًـا كحبّه لله، بـل يُحِـبّ لله، ويُـبغض لله، ويُـوالي لله، ويُعـادي لله، فمـن اسـتكبر عـن عبادة الله لم يكن مسلمًا، ومن عبد مع الله غيره لم يكن مسلمًا.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٧/ ٢٦٣):

ودِينُ الإِسْلامِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ وبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ هُـو الِاسْتِسْـلَامُ لِلَّـهِ وحْـدَهُ؛ فَأَصْلُهُ فِي الْقَلْبِ هُو الْخُضُوعُ لِلَّهِ وحْدَهُ بِعِبَادَتِهِ وحْدَهُ دُونَ مَـا سِـواهُ. فَمَـنْ عَبَـدَهُ وعَبَدَ مَعَهُ إلَهًا آخَرَ؛ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا، ومَنْ لَمْ يَعْبُدْهُ بَلْ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ؛ لَـمْ يَكُـنْ مُسْلِمًا والْإِسْلَامُ هُو الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ، وهُو الْخُضُوعُ لَهُ والْعُبُودِيَّةُ لَهُ. هَكَذَا قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: أَسْلَمَ الرَّجُلُ إذا اسْتَسْلَمَ؛ فَالْإِسْلَامُ فِي الْأَصْلِ مِنْ بَابِ الْعَمَلِ عَمَـلُ الْقَلْـبِ والْجَوارِحِ.

وأَمَّا الْإِيمان فَأَصْلُهُ تَصْدِيقٌ وإِقْرَارٌ ومَعْرِفَةٌ فَهُو مِنْ بَابِ قَولِ الْقَلْبِ الْمُتَضَمِّنِ عَمَلَ الْقَلْبِ؛ والْأَصْلُ فِيهِ التَّصْدِيقُ والْعَمَلُ تَابِعٌ لَه.اهـ

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله فِي "طَرِيقِ الهِجْرَتَينِ وبَابِ السَّعَادَتَينِ" (ص٤١١):

والإسلام: هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاءَ به، فما لم يأْت العبد بهذا فليس بمسلم.اهـ

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوهَّابِ رحمه الله فيْ "الأُصُولِ الثَّلاثَةِ" :

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.اهـ

٢ دين الإسلام هو دين الأنبياء أجمعين.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٢٧/ ١٤٩):

والإِسْلامُ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ أَولِهِمْ وآخِرِهِمْ وكُلُّهُمْ بُعِثُوا بِالْإِسْلَامِ.

كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)﴾ [يونس:٧١-٧٢]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠] ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١] ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)﴾ [البقرة:١٣٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١)﴾ [المائدة:١١١] .

وقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ**»[1] فَدِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ دِينٌ واحِدٌ، وهُو دِينُ الْإِسْلَامِ، وهُو عِبَادَةُ اللَّهِ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِمَا أَمَرَ بِهِ وشَرَعَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى:١٣]، وإِنَّمَا يَتَنَوعُ فِي هَذَا الدِّينِ الشِّرْعَةُ والْمِنْهَاجُ كَمَا قَالَ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، كَمَا تَتَنَوعُ شَرِيعَةُ الرَّسُولِ الْواحِدِ. فَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَمَرَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَولِ الْإِسْلَامِ أَنْ يُصَلِّيَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ أَمَرَهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ الْهِجْرَةِ أَنْ يُصَلِّيَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وهَذَا فِي وقْتِهِ كَانَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وكَذَلِكَ شَرِيعَةُ التَّوراةِ فِي

---

(١) ذكره رحمه الله بالمعنى، والذي في البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ بلفظ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وأُمَّهَاتُهُم شَتَّى، ودِينُهُمْ واحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ**» .

وقْتِهَا كَانَتْ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وشَرِيعَةُ الْإِنْجِيلِ فِي وقْتِهِ كَانَت مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، ومَنْ آمَنَ بِالتَّورَاةِ ثُمَّ كَذَّبَ بِالْإِنْجِيلِ خَرَجَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وكَانَ كَافِرًا.

وكَذَلِكَ مَنْ آمَنَ بِالْكِتَابَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ وكَذَّبَ بِالْقُرْآنِ كَانَ كَافِرًا خَارِجًا مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ فإن دِينَ الْإِسْلَامِ يَتَضَمَّنُ الْإيمان بِجَمِيعِ الْكُتُبِ وجَمِيعِ الرُّسُلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[البقرة:١٣٦-١٣٧] الْآيَةُ.اهـ

٣ دعوة النبي ﷺ وشريعته ناسخة لكل شريعة قبلها، ولا يقبل الله غيرها.

قال شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١١/ ٥٢٢):

واللَّهُ تَعَالَى بَعَثَ الرُّسُلَ وأَنْزَلَ الْكُتُبَ؛ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا واحِدٌ**»(١) فَالدِّينُ واحِدٌ وإِنْ تَفَرَّقَتْ الشِّرْعَةُ والمِنْهَاجُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف:٤٥]، وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل:٣٦]

ومِنْ حِينِ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ بَلَغَتْهُ الدَّعْوةُ إلَّا الدِّينَ الَّذِي بَعَثَهُ بِهِ؛ فإن دَعْوتَهُ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨] . وقَالَ ﷺ: «**لَا يَسْمَعُ بِي مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ولَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي إلَّا دَخَلَ النَّارَ**»(٢) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ

---

(١) ذكره رحمه الله بالمعنى، والذي في البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ بلفظ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، ودِينُهُمْ واحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ».

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧]. ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

فَعَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ اتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ، ويَعْبُدُونَهُ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا بِغَيْرِهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية:١٨]، ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية:١٩].

ويَجْتَمِعُونَ عَلَى ذَلِكَ، ولَا يَتَفَرَّقُونَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ ولَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولَا تَفَرَّقُوا وأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ ولَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ**»(١).

وعِبَادَةُ اللَّهِ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ مَحَبَّةِ اللَّهِ وكَمَالَ الذُّلِّ لِلَّهِ فَأَصْلُ الدِّينِ وقَاعِدَتُهُ يَتَضَمَّنُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ هُو الْمَعْبُودَ الَّذِي تُحِبُّهُ الْقُلُوبُ وتَخْشَاهُ، ولَا يَكُونُ لَهَا إِلَهٌ سِواهُ والْإِلَهُ مَا تَأْلَهُهُ الْقُلُوبُ بِالْمَحَبَّةِ والتَّعْظِيمِ والرَّجَاءِ والْخَوفِ والْإِجْلَالِ والْإِعْظَامِ ونَحو ذَلِكَ. واللَّهُ سُبْحَانَهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ بأنه لَا إِلَهَ إِلَّا هُو؛ فَتَخْلُو الْقُلُوبُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقوله: «**وأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ ولَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ**» لم تذكر في "صحيح مسلم"، وهي في "مسند أحمد" (٨٧٩٩)، وبها يتم العدد (ثلاثا).

عَنْ مَحَبَّةِ مَا سِواهُ بِمَحَبَّتِهِ، وعَنْ رَجَاءِ مَا سِواهُ بِرَجَائِهِ، وعَنْ سُؤَالِ مَا سِواهُ بِسُؤَالِهِ، وعَنْ الْعَمَلِ لِمَا سِواهُ بِالْعَمَلِ لَهُ، وعَنْ الِاسْتِعَانَةِ بِمَا سِواهُ بِالِاسْتِعَانَةِ بِهِ. انتهى.

٤ وسطية هذه الأمة في دينها على سائر الأمم.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي كِتَابِهِ "الجَوابُ الصَّحيحُ لمَنْ بَدَّلَ دِينَ المَسِيحِ" (٢/ ٢٦٠):

وأَمَّا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فإن اللَّهَ هَدَاهُمْ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْأُمَمُ قَبْلَهُمْ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وهَذَا بَيِّنٌ، فإنهم عَلَى الْحَقِّ والْعَدْلِ الْوَسَطِ بَيْنَ طَرَفَيِ الْبَاطِلِ، وهَذَا ظَاهِرٌ فِي اتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ الَّذِي اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْيَهُودُ والنَّصَارَى فِي التَّوحِيدِ والْأَنْبِيَاءِ والْأَخْبَارِ والتَّشْرِيعِ والنَّسْخِ والْحَلَالِ والْحَرَامِ والتَّصْدِيقِ والتَّكْذِيبِ، وغَيرِ ذَلِكَ.

أَمَّا التَّوحِيدُ فإن الْيَهُودَ شَبَّهُوا الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ فَوصَفُوا الرَّبَّ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِ النَّقْصِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهَا الْمَخْلُوقُ فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وبَخِيلٌ وأَنَّهُ يَتْعَبُ وغَيْرُ ذَلِكَ.

والنَّصَارَى وصَفُوا الْمَخْلُوقَ بِصِفَاتِ الْخَالِقِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهَا الْخَالِقُ فَقَالُوا: عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاواتِ والْأَرْضِ الْقَدِيمُ الْأَزَلِيُّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ و﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] الْآيَةَ.

والْمُسْلِمُونَ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ فَلَمْ يُشَبِّهُوا الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ ولَا الْمَخْلُوقَ بِالْخَالِقِ بَلْ أَثْبَتُوا لِلَّهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ ونَزَّهُوهُ عَنِ النَّقَائِصِ وأَقَرُّوا بأنه أَحَدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، ولَيْسَ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَنَزَّهُوهُ عَنِ النَّقَائِصِ خِلَافًا لِلْيَهُودِ وعَنْ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقِ لَهُ خِلَافًا لِلنَّصَارَى.

وأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فإن الْيَهُودَ قَتَلُوا بَعْضًا وكَذَّبُوا بَعْضًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧]. والنَّصَارَى أَشْرَكُوا بِهِمْ وبِمَنْ هُو دُونَهُمْ فَعَبَدُوا الْمَسِيحَ بَلِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ورُهْبانهم أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وجَعَلُوا الْحَوارِيِّينَ رُسُلًا لِلَّهِ وزَعَمُوا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَصِيرُ بِطَاعَتِهِ بِمَنْزِلَةِ الْأَنْبِيَاءِ وصَوِرُوا تَمَاثِيلَ الْأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ وصَارُوا يَدْعُونَهُمْ ويَسْتَشْفِعُونَ بِهِمْ بَعْدَ مَوتِهِمْ وإِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وصَورُوا فِيهِ تَمَاثِيلَهُمْ.

وفِي «**الصَّحِيحَيْنِ**» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذُكِرَ لَهُ كَنِيسَةٌ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وذُكِرَ مِنْ حُسْنِهَا وتَصَاوِيرَ فِيهَا فَقَالَ: «**أُولَئِكَ إذا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وصَورُوا فِيهِ تِلْكَ التَّصَاوِيرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يومَ الْقِيَامَةِ**»[1].

وأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَهَدَاهُمُ اللَّهُ لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ فَآمَنُوا بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ كُلِّهِمْ ولَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ولَمْ يَغْلُوا فِيهِمْ غُلُو النَّصَارَى ولَا قَصَّرُوا فِي حَقِّهِمْ تَقْصِيرَ الْيَهُودِ.

وكَذَلِكَ قَتَلَ الْيَهُودُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ والنَّصَارَى يُطِيعُونَ مَنْ يَأْمُرُ بِالشِّرْكِ وإِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ويُطِيعُونَ مَنْ يُحَرِّمُ الْحَلَالَ ويُحَلِّلُ الْحَرَامَ والْمُسْلِمُونَ يُطِيعُونَ مَنْ يَأْمُرُ بطَاعَةِ اللَّهِ ولَا يُطِيعُونَ مَنْ يَأْمُرُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ.

والنَّصَارَى فِيهِمُ الشِّرْكُ باللَّهِ والْيَهُودُ فِيهِمُ الِاسْتِكْبَارُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى - فِي النَّصَارَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

وقَالَ فِي الْيَهُودِ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والإِسْلامُ هُو أَنْ يَسْتَسْلِمَ الْعَبْدُ لِلَّهِ وحْدَهُ فَيَعْبُدُهُ وحْدَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ فَمَنِ اسْتَسْلَمَ لَهُ ولِغَيْرِهِ كَانَ مُشْرِكًا، واللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. ومَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لَهُ بَل اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ كَانَ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، فَلِهَذَا كَانَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وأُمَمِهِمْ مُسْلِمِينَ لِلَّهِ يَعْبُدُونَهُ وحْدَهُ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وإِنْ تَنَوعَتْ شَرَائِعُهُمْ فَالْمَسِيحُ لَمْ يَزَلْ مُسْلِمًا لَمَّا كَانَ مُتَّبِعًا لِشَرْعِ التَّوراةِ ولَمَّا نَسَخَ اللَّهُ لَهُ نُسْخَةً مِنْهَا.

ومُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ مُسْلِمًا لِمَا كَانَ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ لَمَّا صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ ولَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى الْخَلْقِ كَانُوا كُلُّهُمْ مَأْمُورِينَ بِطَاعَتِهِ وكَانَتْ عِبَادَةُ اللَّهِ طَاعَتَهُ، فَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا لِلَّهِ فَلَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا.

وأَمَّا التَّشْرِيعُ فإن الْيَهُودَ زَعَمُوا أَنَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ يَمْتَنِعُ مِنْهُ أَنْ يَنْسَخَهُ. والنَّصَارَى زَعَمُوا أَنَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ يَسُوغُ لِأَكَابِرِهِمْ أَنْ يَنْسَخُوهُ؛ فَهَدَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَهُ أَنْ يَنْسَخَ مَا شَرَعَهُ خِلَافًا لِلْيَهُودِ ولَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ أَنْ يُغَيِّرَ شَيْئًا مِنْ شَرْعِ الْخَالِقِ خِلَافًا لِلنَّصَارَى.

وأَمَّا الْحَلَالُ والْحَرَامُ والطَّهَارَةُ والنَّجَاسَةُ فإن الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الطَّيِّبَاتُ وشُدِّدَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ النَّجَاسَاتِ، حَتَّى مُنِعُوا مِنْ مُؤَاكَلَةِ الْحَائِضِ والْجُلُوسِ مَعَهَا فِي بَيْتٍ ومِنْ إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ، وحُرِّمَ عَلَيْهِمْ شَحْمُ الثَّرْبِ والْكُلْيَتَيْنِ وكُلُّ ذِي ظُفُرٍ وغَيْرُ ذَلِكَ.

والْمَسِيحُ عليه السلام أَحَلَّ لَهُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ فَقَابَلَهُمُ النَّصَارَى فَقَالُوا: لَيْسَ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ لَا الْخِنْزِيرُ ولَا غَيْرُهُ بَلْ ولَا شَيْءَ نَجِسٌ، لَا الْبَولُ ولَا غَيْرُهُ وزَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ أَكَابِرِهِمْ رَأَى مُلَاءَةً صُورَ لَهُ فِيهَا صُورُ الْحَيَوانِ وقِيلَ لَهُ كُلْ مَا طَابَتْ نَفْسُكَ ودَعْ مَا تَكْرَهُ وأَنَّهُ أُبِيحَ لَهُمْ جَمِيعُ الْحَيَوانِ ونَسَخُوا شَرْعَ التَّوراةِ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، فَالْحَلَالُ عِنْدَهُمْ مَا اشْتَهَتْهُ أَنْفُسُهُمْ والْحَرَامُ عِنْدَهُمْ مَا كَرِهَتْهُ أَنْفُسُهُمْ؛ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ فَأَحَلَّ لَهُمُ اللَّهُ الطَّيِّبَاتِ وحَرَّمَ

عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وأَزَالَ عَنْهُمُ الْآصَارَ والْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ خِلَافًا لِلْيَهُودِ وأَمَرَهُمْ بِالطَّهَارَةِ طَهَارَةِ الْحَدَثِ والْخَبَثِ خِلَافًا لِلنَّصَارَى.

والْمَسِيحُ عليه السلام جَعَلَتْهُ الْيَهُودُ ولَدَ زِنًا كَذَّابًا سَاحِرًا، وجَعَلَتْهُ النَّصَارَى هُو اللَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ؛ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ فَشَهِدُوا أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ خِلَافًا لِلنَّصَارَى وأَنَّهُ رَسُولٌ وجِيهٌ فِي الدُّنْيَا والآخرة ومِنَ الْمُقَرَّبِينَ خِلَافًا لِلْيَهُودِ.

وأَمَّا التَّصْدِيقُ والتَّكْذِيبُ، فإن الْيَهُودَ مِنْ شَأْنِهِمُ التَّكْذِيبُ بِالْحَقِّ والنَّصَارَى مِنْ شَأْنِهِمُ التَّصْدِيقُ بِالْبَاطِلِ، فإن الْيَهُودَ كَذَّبُوا مَنْ كَذَّبُوهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وقَدْ جَاءُوا بِالْحَقِّ، كَمَا قَالَ – تَعَالَى –: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧]، والنَّصَارَى يُصَدِّقُونَ بِمُحَالَاتِ الْعُقُولِ والشَّرَائِعِ، كَمَا صَدَّقُوا بِالتَّثْلِيثِ والِاتِّحَادِ ونَحْوِهِمَا مِنَ الْمُمْتَنِعَاتِ.اهـ

٥ لا يحكم بالإسلام لمن لم ينطق بالشهادتين، ومن كان ممن ينطقها وكفره بغيرها لم يحكم بإسلامه بجرد نطقها حتى يتبرأ من الكفر الموجود عنده .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٧/ ٦٠٩):

فَأَمَّا الشَّهَادَتَانِ إذا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِمَا مَعَ الْقُدْرَةِ فَهُو كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وهُو كَافِرٌ بَاطِنًا وظَاهِرًا عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وأَئِمَّتِهَا وجَمَاهِيرِ عُلَمَائِهَا.

وذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ الْمُرْجِئَةِ وهُمْ جهمية الْمُرْجِئَةِ: كَجَهْمٍ والصَّالِحِيِّ وأَتْبَاعِهِمَا إِلَى أَنَّهُ إذا كَانَ مُصَدِّقًا بِقَلْبِهِ كَانَ كَافِرًا فِي الظَّاهِرِ دُونَ البَاطِنِ، وقَدْ تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَى أَصْلِ هَذَا القَولِ، وهُو قَولٌ مُبْتَدَعٌ فِي الإِسْلَام لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ الأَئِمَّةِ، وقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الإيمان البَاطِنَ يَسْتَلْزِمُ الإِقْرَارَ الظَّاهِرَ؛ بَلْ وغَيْرَهُ وأَنَّ وجُودَ الإيمان البَاطِنِ تَصْدِيقًا وحُبًّا وانْقِيَادًا بِدُونِ الإِقْرَارِ الظَّاهِرِ مُمْتَنِعٌ.اهـ

قَالَ الإِمَامُ النَّوويُّ رحمه الله فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ" (٨):

اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ المُحَدِّثِينَ والْفُقَهَاءِ والمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَنَّ المُؤْمِنَ الَّذِي يُحْكَمُ بأنه مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ ولاَ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ لاَ يَكُونُ إِلاَّ مَنِ اعْتَقَدَ بِقَلْبِهِ دِينَ الإِسْلاَمِ اعْتِقَادًا جَازِمًا خَالِيًا مِنَ الشُّكُوكِ ونَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فإن اقْتَصَرَ عَلَى إِحْدَاهُمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ إِلاَّ إذا عَجَزَ عَنِ النُّطْقِ لِخَلَلٍ فِي لِسَانِهِ، أَو لِعَدَمِ التَّمَكُّنِ مِنْهُ لِمُعَاجَلَةِ المَنِيَّةِ لَهُ، أَو لِغَيْرِ ذَلِكَ فإنه يَكُونُ مُؤْمِنًا، أَمَّا إذا أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ فَلاَ يُشْتَرَطُ مَعَهُمَا أَنْ يَقُول: أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُل دِينٍ خَالَفَ الإِسْلاَمَ، إِلاَّ إذا كَانَ مِنَ الكُفَّارِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ اخْتِصَاصَ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لِلْعَرَبِ، فإنه لاَ يُحْكَمُ بِإِسْلاَمِهِ إِلاَّ بِأَنْ يُسْتَبْرَأَ.

أَمَّا إذا اقْتَصَرَ عَلَى قَولِهِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ولَمْ يَقُل: مُحَمَّدٌ رَسُول اللَّهِ، فَالْمَشْهُورُ مِنْ مذهبنا ومذاهب العلماء أنه لا يكون مسلما، ومن أصحابنا مَنْ قَال: يَكُونُ مُسْلِمًا، ويُطَالَبُ بِالشَّهَادَةِ الأُخْرَى، فإن أَبَى جُعِل مُرْتَدًّا، ويُحْتَجُّ لِهَذَا القَول بِقَولِهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ونَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**» وهَذَا مَحْمُولٌ عِنْدَ الجَمَاهِيرِ عَلَى قَول الشَّهَادَتَيْنِ، واسْتُغْنِيَ بِذِكْرِ إِحْدَاهُمَا عَنِ الأُخْرَى لاِرْتِبَاطِهِمَا وشُهْرَتِهِمَا، والله أعلم.اهـ

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٧/ ٣٦١):

وحُكْمُ الإِسْلَامِ فِي الظَّاهِرِ يَثْبُتُ بِالشَّهَادَتَيْنِ.اهـ

قَالَ الإِمَامُ ابنُ رَجَبٍ رحمه الله في "جَامِعِ العُلومِ والحِكَمِ" في شَرْحِ حَدِيث (٢):

وقَولُهُ فِي بَعْضِ الرِّوايَاتِ: فإذا فَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ كَمَّلَ الإِتْيَانَ بِمَبَانِي الإِسْلَامِ الْخَمْسِ صَارَ مُسْلِمًا حَقًّا، مَعَ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ صَارَ مُسْلِمًا حُكْمًا، فإذا دَخَلَ فِي الإِسْلَامِ بِذَلِكَ، أُلْزِمَ بِالْقِيَامِ بِبَقِيَّةِ خِصَالِ الإِسْلَامِ، ومَنْ تَرَكَ الشَّهَادَتَيْنِ خَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ، وفِي خُرُوجِهِ مِنَ الإِسْلَامِ

بِتَرْكِ الصَّلَاةِ خِلَافٌ مَشْهُورٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وكَذَلِكَ فِي تَرْكِهِ بَقِيَّةَ مَبَانِي الْإِسْلَامِ الْخَمْسِ.اهـ

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي "زَادِ المَعَادِ" (٣/ ٦٣٩):**

وقَدِ اخْتَلَفَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي الْكَافِرِ إذا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ولَمْ يَزِدْ، هَلْ يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ بِذَلِكَ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوالٍ، وهِيَ ثَلَاثُ رِوايَاتٍ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، **إحْدَاهَا:** يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ بِذَلِكَ. **والثَّانِيَةُ:** لَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ حَتَّى يَأْتِيَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. **والثَّالِثَةُ:** أَنَّهُ إذا كَانَ مُقِرًّا بِالتَّوحِيدِ حُكِمَ بِإِسْلَامِهِ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ مُقِرًّا لَمْ يُحْكَمْ بِإِسْلَامِهِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ.اهـ

قَالَ الإِمَامُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ **كما في "مَجْمُوعِ فتَاواه" (٥/ ٣٤٠):**

لا بد من النطق بالشهادتين، فلو أمكنه النطق ولكنه امتنع من النطق لم يدخل في الإسلام حتى ينطق بالشهادتين، وهذا محل إجماع من أهل العلم.اهـ

(٦) وجوب الكف عمن قال: لا إله إلا الله حتى ينظر في حاله، ومثل ذلك لو قال: أسلمت أو آمنت.

قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ **في "الفتْح" (٦٩٢٤):**

وفِيهِ -يعني: قوله ﷺ «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»- مَنْعُ قَتْلِ مَنْ قَالَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ولَو لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا، وهُو كَذَلِكَ، لَكِنْ هَلْ يَصِيرُ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ مُسْلِمًا؟ الرَّاجِحُ لَا بَلْ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْ قَتْلِهِ حَتَّى يُخْتَبَرَ، فإن شَهِدَ بِالرِّسَالَةِ، والْتَزَمَ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ؛ حُكِمَ بِإِسْلَامِهِ، وإِلَى ذَلِك الْإِشَارَة بِالِاسْتِثْنَاءِ بِقَولِهِ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ.اهـ



قَالَ الإِمَامُ البَغَوِيُّ رحمه الله في **"شَرحِ السنة"** (١٠/ ٢٤٢- ٢٤٣) **بعد أن ذكر حديث أسامة وجندب** رضي الله عنهما:

وفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ إذا تَكَلَّمَ بِالتَّوحِيدِ وجَبَ الْكَفُّ عَنْ قَتْلِهِ. وهَذَا فِي الثَّنَوِيِّ الَّذِي لَا يَعْتَقِدُ التَّوحِيدَ إذا أَتَى بِكَلَمَةِ التَّوحِيدِ يُحْكَمُ بِإِسْلامِهِ، ثُمَّ يُجْبَرُ عَلَى سَائِرِ شَرَائِطِ الإِسْلامِ، فَأَمَّا مَنْ يَعْتَقِدُ التَّوحِيدَ، لَكِنَّهُ يُنْكِرُ الرِّسَالَةَ، فَلا يُحْكَمُ بِإِسْلامِهِ بِمُجَرَّدِ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ حَتَّى يَقُولَ: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)**، فإذا قَالَهُ، كَانَ مُسْلِمًا إلا أَنْ يَكُونَ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ مَبْعُوثٌ إِلَى الْعَرَبِ خاصَّةً، فَحِينَئِذٍ لَا يُحْكَمُ بِإِسْلامِهِ بِمُجَرَّدِ الإِقْرَارِ بالرِّسَالَةِ حَتَّى يُقِرَّ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ، ثُمَّ يُسْتَحَبُّ أَنْ يُمْتَحَنَ بِالإِقْرَارِ بِالْبَعْثِ، والتَّبَرُّؤِ مِنْ كُلِّ دِينٍ خَالَفَ الإِسْلامَ. وكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُرْتَدِّ يَعُودُ إِلَى الإِسْلامِ عَنِ الدِّينِ الَّذِي انْتَقَلَ إِلَيْهِ.اهـ

٧ من لم يأت بالشهادتين بشروطهما لم تنفعه عند الله.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى"** (٧/ ٥٨٠):

فَإِنَّ مُجَرَّدَ التَّكَلُّمِ بِالشَّهَادَتَيْنِ لَيْسَ مُسْتَلْزِمًا لِلْإِيمان النَّافِعِ عِنْدَ اللَّهِ.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى"** (٧/ ٣٦٣):

وقَولُ الْقَائِلِ: **الطَّاعَاتُ ثَمَرَاتُ التَّصْدِيقِ الْبَاطِنِ يُرَادُ بِهِ شَيْئَانِ**: يُرَادُ بِهِ أَنَّهَا لَوازِمُ لَهُ فَمَتَى وجِدَ الْإيمان الْبَاطِنُ وجِدَتْ، وهَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِ وأَهْلِ السُّنَّةِ، ويُرَادُ بِهِ أَنَّ الْإيمان الْبَاطِنَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا، وقَدْ يَكُونُ الْإيمان الْبَاطِنُ تَامًّا كَامِلًا، وهِيَ لَمْ تُوجَدْ، وهَذَا قَولُ الْمُرْجِئَةِ مِنْ الْجَهْمِيَّةِ وغَيْرِهِمْ.اهـ

٨ لماذا لم يقتل النبي ﷺ أسامة بقتله الرجل الذي أسلم مع أنه أنكر عليه قتله؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي "جَامِعِ المَسَائِلِ لابنِ تَيمِيَّة"** (٦/ ٢٦٥):

وما حرَّمه الله تعالى من البغي والقتل وغير ذلك إذا فعلَه الرجلُ متأولًا مجتهدًا معتقدًا أنه ليس بحرامٍ لم يكن بذلك كافرًا ولا فاسقًا، بل ولا قودَ في ذلك ولا دية

ولا كفارة، كما قال الزهري: وقَعتِ الفتنةُ وأصحابُ رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا أن كلَّ دم أو مالٍ أو فرجٍ أصيبَ بتأويل القرآن فهو هدر[١].

وقد ثبتَ في الصحيح أن أسامةَ بن زيدٍ قَتَلَ رجلًا من الكفار بعد ما قال: لا إله إلاّ الله، فقال له النبي ﷺ: «**يا أسامةُ، أقتلتَه بعد ما قال لا إله إلاّ الله؟!**» قال: فقلتُ: يا رسول الله، إنما قالَها تَعوذًا، فقال: «**هلاَّ شَقَقْتَ عن قَلْبه**». وكرَّرَ عليه قوله: «**أقَتلتَه بعد ما قال لا إله إلاّ الله؟**».

ومع هذا فلمَ يحكم عليه بقَودٍ ولا دِيةٍ ولا كفارةٍ، لأنه كان متأولًا اعتقدَ جوازَ قتلِه بهذا. مع ما رُويَ عنه أنّ رجلًا قال له: أرأيتَ إن قَطعَ رجل من الكفَّار يدي ثمَّ أسلمَ، فلما أردتُ أن أقتلَه لاَذَ منّي بشجرةٍ، أأقتُلُه؟

فقال: «**إن قَتلتَه كنتَ بمنزلتِه قبلَ أن يقولَ ما قال، وكان بمنزلتك قبلَ أن تَقتلَه**». فبيَّن أنك تكونُ مُباحَ الدم كما كان مُباحَ الدم، ومع هذا فلما كان أسامةُ متأولًا لم يُبِحْ دمه.

وأيضًا فقد ثبتَ أنه أرسلَ خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمةَ، فلم يُحسِنُوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صَبَأْنا صَبَأْنا، فلم يجعل خالد ذلك إسلامًا، بل أمرَ بقَتْلِهم، فلما بلغَ النبيَّ ﷺ ذلك رَفعَ يديهِ إلى السماء، وقال: «**اللهم إني أبْرَأُ إليك مما فَعَلَ خالد**»[٢]، وأرسلَ عليًّا فودَاهُم بنصفِ دِيَاتِهم[٣]. ومع هذا فلم يُعاقِبْ خالدًا ولم يَعْزِلْه عن الإمارة، لأنه كان متأولًا. وكذلك فَعَلَ به أبو بكر لما قَتَلَ مالك بن نُويرةَ[٤]، كان متأولًا في قتلِه فلم يُعاقِبْه ولم يَعْزِلْه، لأنَّ خالدًا كان سيفًا قد سلَّه الله

---

(١) أخرجه أبو بكر الخلال في «السنة» (١٢٧) بإسناد صحيح بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٣٠) قال: حَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ.. فذكره مرسلًا، وفيه أنه وداهم دية كاملة.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٩/ ٤٦٢): فَصْلٌ فِي خَبَرِ مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ الْيَرْبُوعِيِّ التَّمِيمِيِّ. كَانَ قَدْ صَانَعَ سَجَاحِ حِينَ قَدِمَتْ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ، فَلَمَّا اتَّصَلَتْ بِمُسَيْلِمَةَ لَعَنَهُمَا اللَّهُ،=

تعالى على المشركين، فكان نفعه للإسلام عظيما، وإن كان قد يُخطىء أحيانًا، ومعلومٌ أن عليًّا وطلحة والزبير أفضلُ من خالدٍ وأسامةَ وغيرِهما.اهـ

= ثُمَّ تَرَحَّلَتْ إِلَى بِلَادِهَا، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ نَدِمَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَتَلَوَّمَ فِي شَأْنِهِ، وَهُوَ نَازِلٌ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الْبُطَاحُ. فَقَصَدَهَا خَالِدٌ بِجُنُودِهِ وَتَأَخَّرَتْ عَنْهُ الْأَنْصَارُ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ قَضَيْنَا مَا أَمَرَنَا بِهِ الصِّدِّيقُ. فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ: إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْ فِعْلِهِ، وَفُرْصَةٌ لَا بُدَّ مِنَ انْتِهَازِهَا وَإِنْ لَمْ يَأْتِنِي فِيهَا كِتَابٌ، وَأَنَا الْأَمِيرُ وَإِلَيَّ تَرِدُ الْأَخْبَارُ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أُجْبِرُكُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، وَأَنَا قَاصِدٌ الْبُطَاحَ. فَسَارَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ لَحِقَهُ رَسُولُ الْأَنْصَارِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الِانْتِظَارَ، فَلَحِقُوا بِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ الْبُطَاحَ وَعَلَيْهَا مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ، فَبَثَّ خَالِدٌ السَّرَايَا فِي الْبُطَاحِ يَدْعُونَ النَّاسَ، فَاسْتَقْبَلَهُ أُمَرَاءُ بَنِي تَمِيمٍ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَبَذَلُوا الزَّكْوَاتِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ، فَإِنَّهُ مُتَحَيِّرٌ فِي أَمْرِهِ، مُتَنَحٍّ عَنِ النَّاسِ، فَجَاءَتْهُ السَّرَايَا فَأَسَرُوهُ وَأَسَرُوا مَعَهُ أَصْحَابَهُ، وَاخْتَلَفَتِ السَّرِيَّةُ فِيهِمْ، فَشَهِدَ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّهُمْ أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُمْ لَمْ يُؤَذِّنُوا وَلَا صَلَّوْا. فَيُقَالُ: إِنَّ الْأُسَارَى بَاتُوا فِي كُبُولِهِمْ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَنَادَى مُنَادِي خَالِدٍ أَنْ دَافِئُوا أَسْرَاكُمْ. فَظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّهُ أَرَادَ الْقَتْلَ، فَقَتَلُوهُمْ، وَقَتَلَ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ، فَلَمَّا سَمِعَ خَالِدٌ الْوَاعِيَةَ خَرَجَ وَقَدْ فَرَغُوا مِنْهُمْ، فَقَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا أَصَابَهُ. وَاصْطَفَى خَالِدٌ امْرَأَةَ مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ، وَهِيَ أُمُّ تَمِيمٍ ابْنَةُ الْمِنْهَالِ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً، فَلَمَّا حَلَّتْ بَنَى بِهَا.

وَيُقَالُ: بَلِ اسْتَدْعَى خَالِدٌ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ فَأَنَّبَهُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ مِنْ مُتَابَعَةِ سَجَاحٍ، وَعَلَى مَنْعِهِ الزَّكَاةَ، وَقَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهَا قَرِينَةُ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ كَانَ يَزْعُمُ ذَلِكَ. فَقَالَ: أَهُوَ صَاحِبُنَا وَلَيْسَ بِصَاحِبِكَ؟ ! يَا ضِرَارُ، اضْرِبْ عُنُقَهُ. فَضَرَبَ عُنُقَهُ. وَقَدْ تَكَلَّمَ أَبُو قَتَادَةَ مَعَ خَالِدٍ فِيمَا صَنَعَ، وَتَقَاوَلَا فِي ذَلِكَ، حَتَّى ذَهَبَ أَبُو قَتَادَةَ فَشَكَاهُ إِلَى الصِّدِّيقِ، وَتَكَلَّمَ عُمَرُ مَعَ أَبِي قَتَادَةَ فِي خَالِدٍ، وَقَالَ لِلصِّدِيقِ: اعْزِلْهُ، فَإِنَّ فِي سَيْفِهِ رَهَقًا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا أَشِيمُ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ. وَجَاءَ مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ فَجَعَلَ يَشْكُو إِلَى الصِّدِّيقِ خَالِدًا، وَعُمَرُ يُسَاعِدُهُ وَيُنْشِدُ الصِّدِّيقَ مَا قَالَ فِي أَخِيهِ مِنَ الْمَرَاثِي، فَوَدَاهُ الصِّدِّيقُ مِنْ عِنْدِهِ. وَاسْتَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ بِخَالِدٍ عَلَى الْإِمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدِ اجْتَهَدَ فِي قَتْلِ مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ وَأَخْطَأَ فِي قَتْلِهِ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَقَتَلَ أُولَئِكَ الْأُسَارَى الَّذِينَ قَالُوا: صَبَأْنَا صَبَأْنَا. وَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا. فَوَدَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رَدَّ إِلَيْهِمْ مِيلَغَةَ الْكَلْبِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ» . وَمَعَ هَذَا لَمْ يَعْزِلْ خَالِدًا عَنِ الْإِمْرَةِ.اهـ باختصار.

٩ من أقر للنبي ﷺ بالنبوة أو الصدق ولم يتلفظ بالشهادتين فليس بمسلم.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "زاد المعاد" (٣/ ٦٣٨):

وفِيهَا- يَعْنِي قِصَّةَ وفْدِ نَجْرَان-: أَنَّ إِقْرَارَ الْكَاهِنِ الْكِتَابِيِّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بأنه نَبِيٌّ لَا يُدْخِلُهُ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَمْ يَلْتَزِمْ طَاعَتَهُ ومُتَابَعَتَهُ، فإذا تَمَسَّكَ بِدِينِهِ بَعْدَ هَذَا الْإِقْرَارِ لَا يَكُونُ رِدَّةً مِنْهُ، ونَظِيرُ هَذَا قَولُ الْحَبْرَيْنِ لَهُ، وقَدْ سَأَلَاهُ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلَ، فَلَمَّا أَجَابَهُمَا، قَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ قَالَ: «**فَمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ اتِّبَاعِي؟**»، قَالَا: نَخَافُ أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودُ[1]. ولَمْ يُلْزِمْهُمَا بِذَلِكَ الْإِسْلَامَ. ونَظِيرُ ذَلِكَ شَهَادَةُ عَمِّهِ أبي طالب لَهُ بأنه صَادِقٌ، وأَنَّ دِينَهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا، ولَمْ تُدْخِلْهُ هَذِهِ الشَّهَادَةُ فِي الْإِسْلَامِ.

ومَنْ تَأَمَّلَ مَا فِي السِّيَرِ والْأَخْبَارِ الثَّابِتَةِ مِنْ شَهَادَةِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ والْمُشْرِكِينَ لَهُ ﷺ بِالرِّسَالَةِ، وأَنَّهُ صَادِقٌ، فَلَمْ تُدْخِلْهُمْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ فِي الْإِسْلَامِ، عَلِمَ أَنَّ الْإِسْلَامَ أَمْرٌ ورَاءَ ذَلِكَ، وأَنَّهُ لَيْسَ هُو الْمَعْرِفَةَ فَقَطْ، ولَا الْمَعْرِفَةَ والْإِقْرَارَ فَقَطْ، بَلِ الْمَعْرِفَةُ والْإِقْرَارُ والِانْقِيَادُ والْتِزَامُ طَاعَتِهِ ودِينِهِ ظَاهِرًا وبَاطِنًا.اهـ

١٠ من أقر بشيء من أركان الإسلام مما ليس هو في دينه فهل يحكم بإسلامه؟

قَالَ الإِمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ" (٨):

أَمَّا إذا أَقَرَّ بوجُوبِ الصَّلَاةِ أَو الصَّومِ أَو غَيْرِهِمَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وهُو عَلَى خِلَافِ مِلَّتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا؛ فَهَلْ يُجْعَلُ بِذَلِكَ مُسْلِمًا؟ فِيهِ وجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا فَمَنْ جَعَلَهُ مُسْلِمًا قَالَ: كُلُّ مَا يَكْفُرُ الْمُسْلِمُ بِإِنْكَارِهِ يَصِيرُ الْكَافِرُ بِالْإِقْرَارِ بِهِ مُسْلِمًا.اهـ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١٨٠٩٢)، والترمذي (٣١٤٤) وغيرهما عن صفوان بن عسال رضي الله عنه، ووقع في الحديث: أنهم سألاه عن تسع آيات بينات... وفي إسناده عبد الله بن سلمة المرادي، وهو ضعيف الحفظ، وقد تفرد به، وأنكر عليه.

قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله **فِي «الفَتْحِ»** (٧٣٧١):

وفِيهِ- يَعْنِي حَدِيثَ مُعَاذٍ: أَتَدرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ- أَنَّ الْكَافِرَ إذا صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ كَالصَّلَاةِ مَثَلًا يَصِيرُ بِذَلِكَ مُسْلِمًا، وبَالَغَ مَنْ قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ يُكَفَّرُ بِهِ الْمُسْلِمُ إذا جَحَدَهُ يَصِيرُ الْكَافِرُ بِهِ مُسْلِمًا إذا اعْتَقَدَهُ والْأَولُ أَرْجَحُ كَمَا جَزَمَ بِهِ الْجُمْهُورُ، وهَذَا فِي الِاعْتِقَادِ أَمَّا الْفِعْل كَمَا لَو صَلَّى فَلَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ، وهُو أَولَى بِالْمَنْعِ لِأَنَّ الْفِعْلَ لَا عُمُومَ لَهُ؛ فَيَدْخُلُهُ احْتِمَالُ الْعَبَثِ والِاسْتِهْزَاءِ.اهـ

١١ الإتيان بالشهادتين بالعجمية

قَالَ الإِمَامُ النَّووِيُّ رحمه الله **فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ»** (٨):

أَمَّا إذا أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ بِالْعَجَمِيَّةِ وهُو يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ فَهَلْ يُجْعَلُ بِذَلِكَ مُسْلِمًا فِيهِ وجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا الصَّحِيحُ مِنْهُمَا أَنَّهُ يَصِيرُ مُسْلِمًا لِوجُودِ الْإِقْرَارِ وهَذَا الْوجْهُ هُو الْحَقُّ ولَا يَظْهَرُ لِلْآخَرِ وجْهٌ.اهـ

والقول بالصحة هو مذهب الحنفية، والحنابلة، وخالف المالكية؛ فلم يروا صحة ذلك، والأظهر هو الصحة، والله أعلم[١].

(١) انظر: «حاشية ابن عابدين» (١/ ٣٢٥) «المجموع» (٣/ ٣٠١) «جواهر الإكليل» (١/ ٢٢) ط/ دار المعرفة، «الموسوعة الكويتية» (١١/ ١٧٣).

١٢ هل يحكم للكافر الذي رؤي يصلي بالإسلام؟

قال ابن عابدين رحمه الله في "حاشيته": قوله (ويحكم بإسلام فاعلها... إلخ) يعني أن الكافر إذ صلى بجماعة يحكم بإسلامه عندنا خلافا للشافعي؛ لأنها مخصوصة بهذه الأمة بخلاف الصلاة منفردًا لوجودها في سائر الأمم. قال ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو منا» قالوا: المراد صلاتنا بالجماعة على الهيئة المخصوصة.اهـ

قَال ابْنُ نُجَيْم رحمه الله:

الأَصْل أَنَّ الكَافِرَ مَتَى فَعَل عِبَادَةً فإن كَانَتْ مَوجُودَةً فِي سَائِرِ الأَدْيَانِ لاَ يَكُونُ بِهَا مُسْلِمًا، كَالصَّلاَةِ مُنْفَرِدًا، والصَّوم، والْحَجِّ الَّذِي لَيْسَ بِكَامِلٍ، والصَّدَقَةِ، ومَتَى فَعَل مَا اخْتَصَّ بِشَرْعِنَا، ولَو مِنَ الوسَائِل كَالتَّيَمُّم. وكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنَ المَقَاصِدِ أَو مِنَ الشَّعَائِرِ، كَالصَّلاَةِ بِجَمَاعَةٍ والْحَجِّ الكَامِل والأَذَانِ فِي المَسْجِدِ وقِرَاءَةِ القُرْآنِ، يَكُونُ بِهِ مُسْلِمًا، وإِلَيْهِ أَشَارَ فِي المُحِيطِ وغَيْرِه. وقَدِ اعْتَبَرَ الفُقَهَاءُ جُمْلَةً مِنَ الأَفْعَال تَقُومُ دَلاَلَةً عَلَى كَونِ الشَّخْصِ مُسْلِمًا، ولَو لَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ.اهـ

ومذهب الحَنَفِيَّةُ والْحَنَابِلَةُ أَنَّهُ يُحكَمُ بِإِسْلاَمِ الكَافِرِ بِفِعْل الصَّلاَةِ. لَكِنْ قَال الحَنَابِلَةُ: يُحْكَمُ بِإِسْلاَمِهِ بالصَّلاَةِ سَواءٌ فِي دَارِ الحَرْبِ أَو دَارِ الإِسْلاَمِ، وسَواءٌ صَلَّى جَمَاعَةً أَو فَرْدًا، فإِن أَقَامَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الإِسْلاَمِ، وإلا فَهُو مُرْتَدٌّ تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ المُرْتَدِّينَ، وإِنْ مَاتَ قَبْل ظُهُورِ مَا يُنَافِي الإِسْلاَمَ فَهُو مُسْلِمٌ، يَرِثُهُ ورَثَتُهُ المُسْلِمُونَ دُونَ الكَافِرِينَ، واحْتَجُّوا بِقَول النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنِّي نُهِيتُ عَنْ قَتْل المُصَلِّينَ**» وقَولِهِ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ**»، وقَولُهُ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، واسْتَقْبَل قِبْلَتَنَا، وأَكَل ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تَخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ**». فَجَعَلَهَا حَدًّا بَيْنَ الإيمان والْكُفْرِ، فَمَنْ صَلَّى فَقَدْ دَخَل فِي حَدِّ الإِسْلاَمِ، ولأَنَّهَا عِبَادَةٌ تَخْتَصُّ بِالْمُسْلِمِينَ فَالإِتْيَانُ بِهَا إِسْلاَمٌ، كَالشَّهَادَتَيْنِ.

وقَال الحَنَفِيَّةُ: لاَ يُحكَمُ بِإِسْلاَمِهِ بِالصَّلاَةِ إِلاَّ إِنْ صَلاَّهَا كَامِلَةً فِي الوقْتِ مَأْمُومًا فِي جَمَاعَةٍ، إِلاَّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الحَسَنِ يَرَى أَنَّهُ حَتَّى لَو صَلَّى وحْدَهُ مُسْتَقْبِل القِبْلَةِ فإنه يُحكَمُ بِإِسْلاَمِهِ، وقَال المَالِكِيَّةُ وبَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ: لاَ يُحْكَمُ بِإِسْلاَمِ الكَافِرِ بِمُجَرَّدِ صَلاَتِهِ، لأَنَّ الصَّلاَةَ مِنْ فُرُوعِ الإِسْلاَمِ، فَلَمْ يَصِرْ مُسْلِمًا بِفِعْلِهَا، كَالْحَجِّ والصِّيَامِ، ولأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأَنِّي رَسُول اللَّهِ، فإذا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا**». وقَال بَعْضُهُمْ: إِنْ صَلَّى فِي دَارِ الإِسْلاَمِ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ، لأَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ الاِسْتِتَارَ بِالصَّلاَةِ وإِخْفَاءَ دِينِهِ، وإِنْ صَلَّى فِي دَارِ الحَرْبِ فَهُو مُسْلِمٌ، لأَنَّهُ لاَ تُهْمَةَ فِي حَقِّهِ.اهـ[1]

قَال ابْنُ قُدَامَةَ رحمه الله: مَنْ صَلَّى حَكَمْنَا بِإِسْلاَمِهِ ظَاهِرًا، أَمَّا إسلامه فِي نَفْسِهِ فَأَمْرٌ بَيْنَهُ وبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى[2].

قَال أبو عبد الله عافاه الله: ما قاله ابن قدامة رحمه الله هو الصحيح في المسألة، والله أعلم.

١٣ الأخرس يكفي في حقه الإشارة المفهمة

يَصِيرُ الكَافِرُ مُسْلِمًا بِالإِذْعَانِ بِالْقَلْبِ والنُّطقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ إِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى النُّطْقِ، فإن كَانَ عَاجِزًا عَنِ النُّطْقِ لِخَرَسٍ، فإنه يُكْتَفَى فِي إِسْلاَمِهِ بِالإِشَارَةِ مَعَ قِيَامِ القَرَائِنِ عَلَى أَنَّهُ أَذْعَنَ بِقَلْبِهِ. وهَذَا مَذْهَبُ المَالِكِيَّةِ والصَّحِيحُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ.

وهُو مَا اسْتَظْهَرَهُ ابْنُ نُجَيْمٍ مِنَ الحَنَفِيَّةِ، قَال: والظَّاهِرُ صِحَّةُ إِسْلاَمِ الأَخْرَسِ بِالإِشَارَةِ، ولَمْ أَرَ الآنَ فِيهَا نَقْلًا صَرِيحًا.

ومُقَابِل الصَّحِيحِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ اشْتِرَاطُ صَلاَةِ الأَخْرَسِ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ بِالإِشَارَةِ.

---

(١) انظر: "حاشية ابن عابدين" (١/ ٣٥٤)، "الموسوعة الكويتية" (٤/ ٢٧١).

(٢) انظر: "الموسوعة الكويتية" (٤/ ٢٧١).

جَاءَ فِي "**رَوضَةِ الطَّالِبِين**" : يَصِحُّ إِسْلاَمُ الأَخْرَسِ بِالإِشَارَةِ المُفْهِمَةِ، وقِيل: لاَ يُحْكَمُ بِإِسْلاَمِهِ إِلاَّ إذا صَلَّى بَعْدَ الإِشَارَةِ، وهُو ظَاهِرُ نَصِّهِ فِي الأُمِّ، والصَّحِيحُ المَعْرُوفُ الأَول، وحَمْل النَّصِّ عَلَى مَا إذا لَمْ تَكُنِ الإِشَارَةُ مُفْهِمَةً(١).

١٤ التفريق بين الإسلام والإيمان.

قَالَ الحَافِظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي "جَامِعِ العُلُومِ والحِكَمِ" فِي شَرحِ حِدِيثِ (٢):

وأَمَّا وجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ النُّصُوصِ –يعني النصوص الدالة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان– وبَيْنَ حَدِيثِ سُؤَالِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَنِ الْإِسْلاَمِ والْإِيمان، وتَفْرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَهُمَا، وإِدْخَالِهِ الْأَعْمَالَ فِي مُسَمَّى الْإِسْلاَمِ دُونَ الْإِيمان، فإنه يَتَّضِحُ بِتَقْرِيرِ أَصْلٍ، وهُو: **أَنَّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا يَكُونُ شَامِلًا لِمُسَمَّيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ عِنْدَ إِفْرَادِهِ وإِطْلَاقِهِ، فإذا قُرِنَ ذَلِكَ الِاسْمُ بِغَيْرِهِ، صَارَ دَالًّا عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الْمُسَمَّيَاتِ، والِاسْمُ الْمَقْرُونُ بِهِ دَالٌّ عَلَى بَاقِيهَا**، وهَذَا كَاسْمِ الْفَقِيرِ والْمِسْكِينِ، فإذا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا، دَخَلَ فِيهِ كُلُّ مَنْ هُو مُحْتَاجٌ، فإذا قُرِنَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، دَلَّ أَحَدُ الِاسْمَيْنِ عَلَى بَعْضِ أَنْواعِ ذَوِي الْحَاجَاتِ، والْآخَرُ عَلَى بَاقِيهَا، فَهَكَذَا اسْمُ الْإِسْلَامِ والْإِيمان: إذا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا، دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ ودَلَّ بِانْفِرَادِهِ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْآخَرُ بِانْفِرَادِهِ، فإذا قُرِنَ بَيْنَهُمَا، دَلَّ أَحَدُهُمَا عَلَى بَعْضِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بِانْفِرَادِهِ، ودَلَّ الْآخَرُ عَلَى الْبَاقِي. وقَدْ صَرَّحَ بِهَذَا الْمَعْنَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ الْجَبَلِ: قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ: إِنَّ الْإِيمان قَوْلٌ وعَمَلٌ، والْإِسْلَامُ فِعْلُ مَا فُرِضَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَهُ إذا ذُكِرَ كُلُّ اسْمٍ عَلَى حِدَتِهِ مَضْمُومًا إِلَى آخَرَ فَقِيلَ: الْمُؤْمِنُونَ والْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا

---

(١) انظر: "الأشباه لابن نجيم" (ص٣٤٣)، "شرح الدسوقي" (١/ ١٣١)، "الموسوعة الكويتية" (١٩/ ٩٢)، "روضة الطالبين" (٨/ ٢٨٢).

مُفْرَدَيْنِ، أُرِيدَ بِأَحَدِهِمَا مَعْنًى لَمْ يُرَدْ بِالْآخَرِ، وإِذَا ذُكِرَ أَحَدُ الِاسْمَيْنِ، شَمِلَ الْكُلَّ وعَمَّهُمْ.

وقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا الْخَطَّابِيُّ فِي كِتَابِهِ: "**مَعَالِمِ السُّنَنِ**"، وتَبِعَهُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ بَعْدِهِ.

ويَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَسَّرَ الْإِيمان عِنْدَ ذِكْرِهِ مُفْرَدًا فِي حَدِيثِ وفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِمَا فَسَّرَ بِهِ الْإِسْلَامَ الْمَقْرُونَ بِالْإِيمان فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ، وفَسَّرَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ الْإِسْلَامَ بِمَا فَسَّرَ بِهِ الْإِيمان، كَمَا فِي "**مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ**"، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُسْلِمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ، وأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ ويَدِكَ**»، قَالَ: فَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْإِيمان**» قَالَ: ومَا الْإِيمان؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوتِ**»، قَالَ: فَأَيُّ الْإِيمان أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْهِجْرَةُ**» قَالَ: فَمَا الْهِجْرَةُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَهْجُرَ السُّوءَ**» قَالَ: فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ**»[1]. فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمان أَفْضَلَ الْإِسْلَامِ، وأَدْخَلَ فِيهِ الْأَعْمَالَ.

وبِهَذَا التَّفْصِيلِ يَظْهَرُ تَحْقِيقُ الْقَولِ فِي مَسْأَلَةِ الْإِسْلَامِ والإيمان: هَلْ هُمَا واحِدٌ، أَو مُخْتَلِفَانِ؟

فإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ والْحَدِيثِ مُخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، وصَنَّفُوا فِي ذَلِكَ تَصَانِيفَ مُتَعَدِّدَةً، فَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّهُمَا شَيْءٌ واحِدٌ: مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوزِيُّ، وابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وقَدْ رُويَ هَذَا الْقَولُ عَنْ سُفْيَانَ الثَّورِيِّ مِنْ رِوايَةِ أَيُّوبَ بْنِ سُويْدٍ الرَّمْلِيِّ عَنْهُ، وأَيُّوبُ فِيهِ ضَعْفٌ.

ومِنْهُمْ مَنْ يَحْكِي عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّفْرِيقَ بَيْنَهُمَا، كَأَبِي بَكْرِ بْنِ السَّمْعَانِيِّ، وغَيْرِهِ، وقَدْ نُقِلَ هَذَا التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ، مِنْهُمْ قَتَادَةُ، وداودُ بْنُ أَبِي

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠١٠٧)، وأحمد (١٧٠٢٧)، وعبد بن حميد (٣٠١)، من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح بشواهده.

هِنْدٍ، وأَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ، والزُّهْرِيُّ، وحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وابْنُ مَهْدِيٍّ، وشَرِيكٌ، وابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، وأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وأَبُو خَيْثَمَةَ، ويَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وغَيْرُهُمْ، عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِي صِفَةِ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا. وكَانَ الْحَسَنُ وابْنُ سِيرِينَ يَقُولَانِ: «مُسْلِمٌ» ويَهَابَانِ «مُؤْمِنٌ».

وبِهَذَا التَّفْصِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يَزُولُ الِاخْتِلَافُ، فَيُقَالُ: إذا أُفْرِدَ كُلٌّ مِنَ الْإِسْلَامِ والْإيمان بِالذِّكْرِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا حِينَئِذٍ، وإِنْ قُرِنَ بَيْنَ الِاسْمَيْنِ كَانَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.

والتَّحْقِيقُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الإيمان هُو تَصْدِيقُ الْقَلْبِ، وإِقْرَارُهُ، ومَعْرِفَتُهُ، **والإِسْلَامُ:** هُو اسْتِسْلَامُ الْعَبْدِ لِلَّهِ، وخُضُوعُهُ، وانْقِيَادُهُ لَهُ، وذَلِكَ يَكُونُ بِالْعَمَلِ، وهُو الدِّينُ، كَمَا سَمَّى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْإِسْلَامَ دِينًا، وفِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ والْإيمان والْإِحْسَانَ دِينًا، وهَذَا أَيْضًا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَحَدَ الِاسْمَيْنِ إذا أُفْرِدَ دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ، وإِنَّمَا يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا حَيْثُ قُرِنَ أَحَدُ الِاسْمَيْنِ بِالْآخَرِ. فَيَكُونُ حِينَئِذٍ الْمُرَادُ بِالْإيمان: جِنْسَ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ، وبِالْإِسْلَامِ جِنْسَ الْعَمَلِ. وفِي "*مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ*" عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ، والْإيمان فِي الْقَلْبِ**»(١). وهَذَا لِأَنَّ الْأَعْمَالَ تَظْهَرُ عَلَانِيَةً، والتَّصْدِيقَ فِي الْقَلْبِ لَا يَظْهَرُ.

وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ إذا صَلَّى عَلَى الْمَيِّتِ: «**اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا، فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، ومَنْ توفَّيْتَهُ مِنَّا، فَتوفَّهُ عَلَى الْإيمان**»(٢)، لِأَنَّ الْعَمَلَ بِالْجَوارِحِ، إِنَّمَا يَتَمَكَّنُ مِنْهُ فِي الْحَيَاةِ، فَأَمَّا عِنْدَ الْمَوتِ، فَلَا يَبْقَى غَيْرُ التَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ.

---

(١) **ضعيف:** أخرجه أحمد (١٢٣٨١)، وابن أبي شيبة في "الإيمان" (٦) ، وأبو يعلى (٢٩٢٣) ، والبزار كما في "كشف الأستار" (٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده علي بن مسعدة، وهو ضعيف، وقد تفرد به.

(٢) **حسن بشواهد:** أخرجه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٨٠)، وأحمد (٢/ ٣٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث حسن بشواهده، وقد خرجته في "تخريجي لأحاديث بلوغ المرام" (٥٥١).

وَمِنْ هُنَا قَالَ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ: كُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ، فإن مَنْ حَقَّقَ الْإيمان، ورَسَخَ فِي قَلْبِهِ، قَامَ بِأَعْمَالِ الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «أَلَا وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلُحَتْ، صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهِيَ الْقَلْبُ»(١) فَلَا يَتَحَقَّقُ الْقَلْبُ بِالْإيمان إِلَّا وتَنْبَعِثُ الْجَوارِحُ فِي أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ، ولَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا، فإنه قَدْ يَكُونُ الْإيمان ضَعِيفًا، فَلَا يَتَحَقَّقُ الْقَلْبُ بِهِ تَحَقُّقًا تَامًّا مَعَ عَمَلِ جَوارِحِهِ بِأَعْمَالِ الْإِسْلَامِ، فَيَكُونُ مُسْلِمًا، ولَيْسَ بِمُؤْمِنِ الْإيمان التَّامَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات:١٤].

ولَمْ يَكُونُوا مُنَافِقِينَ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى أَصَحِّ التَّفْسِيرَيْنِ، وهُو قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ(٢) وغَيْرِهِ، بَلْ كَانَ إيمانهُمْ ضَعِيفًا ويَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ﴾ [الحجرات:١٤]، يَعْنِي لَا يَنْقُصُكُمْ مِنْ أُجُورِهَا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَعَهُمْ مِنَ الْإيمان مَا يَقْبَلُ بِهِ أَعْمَالَهُمْ. وكَذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وقَّاصٍ لَمَّا قَالَ لَهُ: لَمْ تُعْطِ فُلَانًا وهُو مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَو مُسْلِمٌ»(٣) يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يُحَقِّقْ مَقَامَ الْإيمان، وإِنَّمَا هُو فِي مَقَامِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرِ، ولَا رَيْبَ أَنَّهُ مَتَى ضَعُفَ الْإيمان الْبَاطِنُ، لَزِمَ مِنْهُ ضَعْفُ أَعْمَالِ الْجَوارِحِ الظَّاهِرَةِ أَيْضًا، لَكِنَّ اسْمَ الْإيمان يَنْفِى عَمَّنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ واجِبَاتِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهُو مُؤْمِنٌ»(٤)اهـ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" (سورة الحجرات، آية:١٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بمعناه. وهذا إسناد ضعيف؛ عطية العوفي، ضعيف، ومدلس، والإسناد من طريق سلسلة العوفيين المشهورة بالضعف.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٧)، ومسلم برقم (١٥٠) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥)، ومسلم برقم (٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ﵀ **كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى»** (٧/ ٣٦١):

إِذَا عُرِفَ أَنَّ أَصْلَ الإيمان فِي القَلْبِ فَاسْمُ الإيمان تَارَةً يُطْلَقُ عَلَى مَا فِي القَلْبِ مِنْ الأَقْوالِ القَلْبِيَّةِ والْأَعْمَالِ القَلْبِيَّةِ مِنْ التَّصْدِيقِ والْمَحَبَّةِ والتَّعْظِيمِ ونَحْو ذَلِكَ، وتَكُونُ الأَقْوالُ الظَّاهِرَةُ والْأَعْمَالُ لَوازِمُهُ ومُوجِبَاتُهُ ودَلَائِلُهُ.

وتَارَةً عَلَى مَا فِي القَلْبِ والْبَدَنِ جُعِلَا لِمُوجَبِ الإيمان ومُقْتَضَاهُ دَاخِلًا فِي مُسَمَّاهُ؛ **وبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ تُسَمَّى إِسْلَامًا وأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي مُسَمَّى الإيمان تَارَةً ولَا تَدْخُلُ فِيهِ تَارَةً.**

إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا وعُلِمَ أَنَّ الإيمان الَّذِي فِي القَلْبِ مِنْ التَّصْدِيقِ والْحُبِّ وغَيْرِ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الأُمُورَ الظَّاهِرَةَ مِنْ الأَقْوالِ الظَّاهِرَةِ والْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ؛ كَمَا أَنَّ القَصْدَ التَّامَّ مَعَ القُدْرَةِ يَسْتَلْزِمُ وجُودَ المُرَادِ، وأَنَّهُ يَمْتَنِعُ مَقَامَ الإيمان الواجِبِ فِي القَلْبِ مِنْ غَيْرِ ظُهُورِ مُوجِبِ ذَلِكَ ومُقْتَضَاهُ زَالَتْ (الشُّبَهُ العِلْمِيَّةُ) فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، ولَمْ يَبْقَ إِلَّا (نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ) فِي أَنَّ مُوجِبَ الإيمان البَاطِنِ هَلْ هُو جُزْءٌ مِنْهُ دَاخِلٌ فِي مُسَمَّاهُ فَيَكُونُ لَفْظُ الإيمان دَالًّا عَلَيْهِ بِالتَّضَمُّنِ والْعُمُومِ؟ أَو هُو لَازِمٌ لِلْإيمان ومَعْلُولٌ لَهُ وثَمَرَةٌ لَهُ فَتَكُونُ دَلَالَةُ الإيمان عَلَيْهِ بِطَرِيقِ اللُّزُومِ؟

وحَقِيقَةُ الأَمْرِ أَنَّ اسْمَ الإيمان يُسْتَعْمَلُ تَارَةً هَكَذَا وتَارَةً هَكَذَا كَمَا قَدْ تَقَدَّمَ؛ فإذا قُرِنَ اسْمُ الإيمان بِالْإِسْلَامِ أَو الْعَمَلِ كَانَ دَالًّا عَلَى البَاطِنِ فَقَطْ. وإِنْ أُفْرِدَ اسْمُ الإيمان فَقَدْ يَتَنَاولُ البَاطِنَ والظَّاهِرَ وبِهَذَا تَأْتَلِفُ النُّصُوصُ.

فَقَوْلُهُ ﷺ: «**الْإيمان بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً: أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ والْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإيمان**»[(١)]. أُفْرِدَ لَفْظُ الإيمان فَدَخَلَ فِيهِ البَاطِنُ والظَّاهِرُ وقَولُهُ ﷺ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ: «**الْإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ ومَلَائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والْيَومِ الآخِرِ**» ذَكَرَهُ مَعَ قَولِهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**

(١) أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥) عن أبي هريرة ﵁، واللفظ لمسلم، وعند البخاري بلفظ: بضع وستون.

وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وتُقِيمَ الصَّلَاةَ وتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ» فَلَمَّا أَفْرَدَهُ عَنْ اسْمِ الإِسْلَامِ ذَكَرَ مَا يَخُصُّهُ الِاسْمُ فِي ذَاكَ الحَدِيثِ مُجَرَّدًا عَنْ الِاقْتِرَانِ.

وفِي هَذَا الحَدِيثِ مَقْرُونٌ بِاسْمِ الإِسْلَامِ وقَوله تَعَالَى ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ [آل عمران:٨٥]، دَخَلَ فِيهِ البَاطِنُ فَلَو أَتَى بِالْعَمَلِ الظَّاهِرِ دُونَ البَاطِنِ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ أَتَى بِالدِّينِ الَّذِي هُو عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ، وأَمَّا إذا قُرِنَ الإِسْلَامُ بِالْإيمان كَمَا فِي قَوله تَعَالَى ﴿ **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا** ﴾ [الحجرات:١٤]، وقَولُهُ: ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾** ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]، وقَوله تَعَالَى ﴿ **إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ** ﴾ [الأحزاب:٣٥]، فَقَدْ يُرَادُ بِالْإِسْلَامِ الأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ الَّذِي فِي المُسْنَدِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ والْإيمان فِي القَلْبِ**»[1]. ومَنْ عَلِمَ أَنَّ دَلَالَةَ اللَّفْظِ تَخْتَلِفُ بِالْإِفْرَادِ والِاقْتِرَانِ كَمَا فِي اسْمِ الفَقِيرِ والْمِسْكِينِ والْمَعْرُوفِ والْمُنْكَرِ والْبَغْيِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الأَسْمَاءِ وكَمَا فِي لُغَاتِ سَائِرِ الأُمَمِ؟ عَرَبِهَا وعَجَمِهَا زَاحَتْ عَنْهُ الشُّبْهَةُ فِي هَذَا البَابِ واللهُ أَعْلَمُ.

وانظر "**مجموع الفتاوى**" (٧/ ٥٥١-٥٥٥).

١٥ حديث جبريل فيه مراتب الدين.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى"** (٧/ ٣٥١):

فَالْحَقُّ فِي ذَلِكَ مَا بَيَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ فَجَعَلَ الدِّينَ وأَهْلَهُ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ: **أَولُهَا**: الإِسْلَامُ **وأَوسطُهَا** الإيمان **وأَعْلَاهَا** الإِحْسَانُ، ومَنْ وصَلَ إلَى العُلْيَا فَقَدْ وصَلَ إلَى الَّتِي تَلِيهَا. فَالْمُحْسِنُ مُؤْمِنٌ والمُؤْمِنُ مُسْلِمٌ؛ وأَمَّا المُسْلِمُ فَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا. وهَكَذَا جَاءَ القُرْآنُ فَجَعَلَ الأُمَّةَ عَلَى هَذِهِ الأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ، قَالَ

---

(١) **ضعيف**: تقدم تخريجه قريبًا.

تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢]، فَالْمُسْلِمُ الَّذِي لَمْ يَقُمْ بِواجِبِ الإيمان هُو الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ والْمُقْتَصِدُ هُو الْمُؤْمِنُ الْمُطْلَقُ الَّذِي أَدَّى الواجِبَ وتَرَكَ الْمُحَرَّمَ؛ والسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ هُو الْمُحْسِنُ الَّذِي عَبَدَ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَراهُ.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٧/ ١٠):

فَعُلِمَ أَنَّ القَلْبَ إذا صَلَحَ بِالْإيمان؛ صَلَحَ الجَسَدُ بِالْإِسْلَامِ وهو من الإيمان؛ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِ جبرائيل: «**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**». فَجَعَلَ الدِّينَ هُو الْإِسْلَامُ والإيمان والْإِحْسَانُ. فتَبَيَّنَ أَنَّ دِينَنَا يَجْمَعُ الثَّلَاثَةَ لَكِنْ هُو دَرَجَاتٌ ثَلَاثٌ: **مُسْلِمٌ ثُمَّ مُؤْمِنٌ ثُمَّ مُحْسِنٌ**، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢].

والْمُقْتَصِدُ والسَّابِقُ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِلَا عُقُوبَةٍ بِخِلَافِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ.

وهَكَذَا مَنْ أَتَى بِالْإِسْلَامِ الظَّاهِرِ مَعَ تَصْدِيقِ القَلْبِ؛ لَكِنْ لَمْ يَقُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الإيمان البَاطِنِ؛ فإنه مُعَرَّضٌ لِلْوعِيدِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إنْ شَاءَ اللهُ.

وأَمَّا الإِحْسَانُ فَهُو أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ وأَخَصُّ مِنْ جِهَةِ أَصْحَابِهِ مِنْ الإيمان.

والْإيمان أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ وأَخَصُّ مِنْ جِهَةِ أَصْحَابِهِ مِنْ الإِسْلَامِ.

فَالْإِحْسَانُ يَدْخُلُ فِيهِ الإيمان، والْإيمان يَدْخُلُ فِيهِ الإِسْلَامُ، والْمُحْسِنُونَ أَخَصُّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، والْمُؤْمِنُونَ أَخَصُّ مِنْ الْمُسْلِمِينَ.اهـ

١٦ لماذا اقتصر في الحديث على خمسة واجبات مع أن في الإسلام واجبات أخرى؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٧/ ٣٦١):

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللهُ: وحُكْمُ الإِسْلَامِ فِي الظَّاهِرِ يَثْبُتُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وإِنَّمَا أَضَافَ إِلَيْهِمَا الأَرْبَعَ لِكَونِهَا أَظْهَرَ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ ومُعْظَمَهَا وبِقِيَامِهِ بِهَا يَتِمُّ اسْتِسْلَامُهُ وتَرْكُهُ لَهَا يُشْعِرُ بِحَلِّ قَيْدِ انْقِيَادِهِ أَو انْحِلَالِهِ.اهـ

١٧ هل يطلق على المنافقين مسلمين؟

يطلق عليهم في الظاهر؛ مالم يظهر من أحدهم كفره.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٧/ ٣٥١):

وقَدْ اتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ اسْمَ المُسْلِمِينَ فِي الظَّاهِرِ يَجْرِي عَلَى المُنَافِقِينَ لِأَنَّهُمْ اسْتَسْلَمُوا ظَاهِرًا؛ وأَتْو بِمَا أَتَوا بِهِ مِنْ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ بِالصَّلَاةِ الظَّاهِرَةِ والزَّكَاةِ الظَّاهِرَةِ والْحَجِّ الظَّاهِرِ والْجِهَادِ الظَّاهِرِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ يُجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامَ الإِسْلَامِ الظَّاهِرِ، واتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ الإيمان فَهُو كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].اهـ

١٨ من كان فيه نفاق عملي، هل يطلق عليه اسم الإسلام؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٧/ ٣٥١):

فَمَنْ كَانَ فِيهِ إيمان ونِفَاقٌ يُسَمَّى مُسْلِمًا إِذْ لَيْسَ هُو دُونَ المُنَافِقِ المَحْضِ وإِذَا كَانَ نِفَاقُهُ أَغْلَبَ لَمْ يَسْتَحِقَّ اسْمَ الإيمان بَلْ اسْمُ المُنَافِقِ أَحَقُّ بِهِ، فإن مَا فِيهِ بَيَاضٌ وسَوادٌ وسَوادُهُ أَكْثَرُ مِنْ بَيَاضِهِ هُو بِاسْمِ الأَسْودِ أَحَقُّ مِنْهُ بِاسْمِ الأَبْيَضِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران:١٦٧]، وأَمَّا إذا كَانَ إيمانهُ أَغْلَبَ ومَعَهُ نِفَاقٌ يَسْتَحِقُّ بِهِ الوعِيدَ لَمْ يَكُنْ أَيْضًا مِنْ المُؤْمِنِينَ المَوعُودِينَ بِالْجَنَّةِ.اهـ

قَالَ الحَافِظُ ابنُ رَجَبٍ رحمه الله **في «جَامِعِ العُلُومِ والحِكَمِ» فِي شَرحِ حِدِيثِ (٢):**

وأَمَّا اسْمُ الْإِسْلَامِ، فَلَا يَنْتَفِي بِانْتِفَاءِ بَعْضِ واجِبَاتِهِ، أَو انْتِهَاكِ بَعْضِ مُحَرَّمَاتِهِ، وإِنَّمَا يُنْفَى بِالْإِتْيَانِ بِمَا يُنَافِيهِ بِالْكُلِّيَّةِ، ولَا يُعْرَفُ فِي شَيْءٍ مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ نَفْيُ الْإِسْلَامِ عَمَّنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ واجِبَاتِهِ، كَمَا يُنْفَى الْإِيمان عَمَّنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ واجِبَاتِهِ، وإِنْ كَانَ قَدْ ورَدَ إِطْلَاقُ الْكُفْرِ عَلَى فِعْلِ بَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ، وإِطْلَاقُ النِّفَاقِ أَيْضًا.اهـ

١٩ هل يدخل المنافق وصاحب الكبيرة في خطاب الشرع: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى»** (٧/ ٣٥١):

فَإِنَّ الخِطَابَ بِـ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ **أولا:** يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ أَظْهَرَ الإيمان وإِنْ كَانَ مُنَافِقًا فِي البَاطِنِ، يَدْخُلُ فِيهِ فِي الظَّاهِرِ؛ فَكَيْفَ لَا يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُنَافِقًا، وإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ المُؤْمِنِينَ حَقًّا. وحَقِيقَتُهُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ المُؤْمِنِينَ حَقًّا يُقَالُ فِيهِ: إِنَّهُ مُسْلِمٌ ومَعَهُ إيمان يَمْنَعُهُ الخُلُودَ فِي النَّارِ وهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنْ هَلْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الإيمان؟

هَذَا هُو الَّذِي تَنَازَعُوا فِيهِ فَقِيلَ: يُقَالُ مُسْلِمٌ ولَا يُقَالُ: مُؤْمِنٌ. وقِيلَ: بَلْ يُقَالُ: مُؤْمِنٌ.

والتَّحْقِيقُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإيمان، مُؤْمِنٌ بِإيمانهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، ولَا يُعْطَى اسْمَ الإيمان المُطْلَقِ؛ فإن الكِتَابَ والسُّنَّةَ نَفَيَا عَنْهُ الِاسْمَ المُطْلَقَ.

واسْمُ الإيمان يَتَنَاولُهُ فِيمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ ورَسُولُهُ لِأَنَّ ذَلِكَ إيجَابٌ عَلَيْهِ وتَحْرِيمٌ عَلَيْهِ وهو لَازِمٌ لَهُ كَمَا يَلْزَمُهُ غَيْرُهُ وإِنَّمَا الكَلَامُ فِي اسْمِ المَدْحِ المُطْلَقِ؛ وعَلَى هَذَا فَالْخِطَابُ بِالْإيمان يَدْخُلُ فِيهِ ثَلَاثُ طَوائِفَ:

* يَدْخُلُ فِيهِ المُؤْمِنُ حَقًّا.

* ويَدْخُلُ فِيهِ المُنَافِقُ فِي أَحْكَامِهِ الظَّاهِرَةِ وإِنْ كَانُوا فِي الآخرة فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ؛ وهُو فِي البَاطِنِ يُنْفَى عَنْهُ الإِسْلَامُ والْإِيمان وفِي الظَّاهِرِ يُثْبَتُ لَهُ الإِسْلَامُ والْإِيمان الظَّاهِرُ.

* ويَدْخُلُ فِيهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وإِنْ لَمْ تَدْخُلْ حَقِيقَةُ الإيمان فِي قُلُوبِهِمْ؛ لَكِنْ مَعَهُمْ جُزْءٌ مِنْ الإيمان والْإِسْلَامِ يُثَابُونَ عَلَيْهِ.اهـ

(٢٠) بيان قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٧/ ٢٣٨):**

وقَدْ أَثْبَتَ اللهُ فِي القُرْآنِ إِسْلَامًا بِلَا إيمان فِي قَوله تَعالَى ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الحجرات:١٤]. وقَدْ ثَبَتَ فِي **"الصَّحِيحَيْنِ"** عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقَّاصٍ قَالَ: أَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ رَهْطًا- وفِي رِوايَةٍ قَسَمَ قَسْمًا -وتَرَكَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يُعْطَهُ وهُو أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ ما لَك عَنْ فُلَانٍ؟ فواَللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أو مُسْلِمًا**». أَقُولُهَا ثَلَاثًا ويُرَدِّدُهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ عَلَى وجْهِهِ فِي النَّارِ**»[١] وفِي رِوايَةٍ: «**فَضَرَبَ بَيْنَ عُنُقِي وكَتِفِي وقَالَ: أَقِتَالًا أَيْ سَعْدُ**»[٢].

فَهَذَا الإِسْلَامُ الَّذِي نَفَى اللهُ عَنْ أَهْلِهِ دُخُولَ الإيمان فِي قُلُوبِهِمْ هَلْ هُو إِسْلَامٌ يُثَابُونَ عَلَيْهِ؟ أَمْ هُو مِنْ جِنْسِ إِسْلَامِ المُنَافِقِينَ؟

فِيهِ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ لِلسَّلَفِ والْخَلَفِ:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧)، ومسلم برقم (١٥٠) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) أخرج هذه الرواية مسلم في أحد طرق الحديث السابق.

أَحدُهُما: أَنَّهُ إسْلَامٌ يُثَابُونَ عَلَيْهِ ويُخرِجُهُمْ مِنْ الكُفْرِ والنِّفَاقِ، وهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ الحَسَنِ وابْنِ سِيرِين وإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِي، وأَبِي جَعْفَرٍ البَاقِرِ؛ وهُو قَول حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التستري وأَبِي طَالِبِ المَكِّيِّ وكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ والسُّنَّةِ والْحَقَائِقِ.

قَالَ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ إسماعيل عَنْ عَمَّارِ بْنِ زَاذان قَالَ: سَمِعْت هِشَامًا يَقُولُ: كَانَ الحَسَنُ ومُحَمَّدٌ يَقُولَانِ: مُسْلِمٌ ويَهَابَانِ: مُؤْمِنٌ.

وقَالَ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الخزاعي قَالَ: قَالَ مَالِكٌ وشَرِيكٌ وأَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ وعَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ وحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ وحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: الإيمان المَعْرِفَةُ والْإِقْرَارُ والْعَمَلُ إلَّا أَنَّ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ يُفَرِّقُ بَيْنَ الإِسْلَامِ والْإيمان يَجْعَلُ الإيمان خَاصًّا والْإِسْلَامَ عَامًّا.

والقَولُ الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الإِسْلَامَ: هُو الِاسْتِسْلَامُ خَوفَ السَّبْيِ والْقَتْلِ مِثْلَ إسْلَامِ المُنَافِقِينَ. قَالُوا: وهَؤُلَاءِ كُفَّارٌ فإن الإيمان لَمْ يَدْخُلْ فِي قُلُوبِهِمْ ومَنْ لَمْ يَدْخُلْ الإيمان فِي قَلْبِهِ فَهُو كَافِرٌ. وهَذَا اخْتِيَارُ البُخَارِيِّ ومُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ المَرْوزِي.

قال: والَّذِينَ قَالُوا: إنَّ هَذَا الإِسْلَامَ هُو كَإِسْلَامِ المُنَافِقِينَ لَا يُثَابُونَ عَلَيْهِ قَالُوا: لِأَنَّ اللَّهَ نَفَى عَنْهُمْ الإيمان، ومَنْ نُفِيَ عَنْهُ الإيمان فَهُو كَافِرٌ. وقَالَ هَؤُلَاءِ: الإِسْلَامُ هُو الْإيمان وكُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنٌ. وكُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ ومَنْ جَعَلَ الفُسَّاقَ مُسْلِمِينَ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ لَزِمَهُ أَنْ لَا يَجْعَلَهُمْ دَاخِلِينَ فِي قَوله تَعَالَى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:٦]، وفِي قَوله تَعَالَى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩]، وأَمْثَالِ ذَلِكَ فإنهمْ إنَّمَا دُعُوا بِاسْمِ الإيمان لَا بِاسْمِ الإِسْلَامِ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا لَمْ يَدْخُلْ فِي ذَلِك.

وجَوابُ هَذَا أَنْ يُقَالَ: الَّذِينَ قَالُوا مِنْ السَّلَفِ: إنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ الإيمان إلَى الإِسْلَامِ لَمْ يَقُولُوا: إنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ مِنْ الإيمان شَيْءٌ بَلْ هَذَا قَولُ الخَوارِجِ والْمُعْتَزِلَةِ. وأَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا يَقُولُونَ: الفُسَّاقُ يَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ

بِالشَّفَاعَةِ. وإِنَّ مَعَهُمْ إيمانا يَخْرُجُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ. لَكِنْ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ اسْمُ الإيمان؛ لِأَنَّ الإيمان المُطْلَقَ هُو الَّذِي يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الثَّوابَ ودُخُولَ الجَنَّةِ، وهَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهِ وهُمْ يَدْخُلُونَ فِي الخِطَابِ بِالْإيمان؛ لِأَنَّ الخِطَابَ بِذَلِكَ هُو لِمَنْ دَخَلَ فِي الإيمان وإِنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهُ؛ فإنه إِنَّمَا خُوطِبَ لِيَفْعَلَ تَمَامَ الإيمان فَكَيْفَ يَكُونُ قَدْ أَتَمَّهُ قَبْلَ الخِطَابِ، وإلا كُنَّا قَدْ تَبَيَّنَّا أَنَّ هَذَا المَأْمُورَ مِنْ الإيمان قَبْلَ الخِطَابِ؛ وإِنَّمَا صَارَ مِنْ الإيمان بَعْدَ أَنْ أُمِرُوا بِهِ فَالْخِطَابُ بِـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ غَيْرُ قَولِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الحجرات:١٥]، ونَظَائِرِهَا...

والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الإِسْلَامَ المَذْكُورَ فِي الآيةِ هُو إِسْلَامٌ يُثَابُونَ عَلَيْهِ، وأَنَّهُمْ لَيْسُوا مُنَافِقِينَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ﴾ [الحجرات:١٤]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ إذا أَطَاعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ مَعَ هَذَا الإِسْلَامِ؛ آجَرَهُمْ اللهُ عَلَى الطَّاعَةِ. والْمُنَافِقُ عَمَلُهُ حَابِطٌ فِي الآخرة.

وأَيْضًا فإنه وصَفَهُمْ بِخِلَافِ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ؛ فإن المُنَافِقِينَ وصَفَهُمْ بِكُفْرٍ فِي قُلُوبِهِمْ وأَنَّهُمْ يُبْطِنُونَ خِلَافَ مَا يُظْهِرُونَ؛ كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة:٩]، ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾ [البقرة:١٠] الآياتِ. وقَالَ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]، فَالْمُنَافِقُونَ يَصِفُهُمْ فِي القُرْآنِ بِالْكَذِبِ؛ وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وبِأَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الكُفْرِ مَا يُعَاقَبُونَ عَلَيْهِ؛ وهَؤُلَاءِ لَمْ يَصِفْهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَكِنْ لَمَّا ادَّعَوا الإيمان قَالَ لِلرَّسُولِ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ

شَيْئًا﴾ [الحجرات:١٤]. ونَفْيُ الإيمان المُطْلَقِ لَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونُوا مُنَافِقِينَ كَمَا فِي قَولِهِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١]، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ومَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيسَ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ يَكُونُ مُنَافِقًا مِنْ أَهْلِ الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ بَلْ لَا يَكُونُ قَدْ أَتَى بِالْإيمان الواجِبِ فَنُفِيَ عَنْهُ كَمَا يُنْفَى سَائِرُ الأَسْمَاءِ عَمَّنْ تَرَكَ بَعْضَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فَكَذَلِكَ الأَعْرَابُ لَمْ يَأْتُوا بِالْإيمان الواجِبِ؛ فَنُفِيَ عَنْهُمْ لِذَلِكَ وإِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ مَعَهُمْ مِنْ الإيمان مَا يُثَابُونَ عَلَيْهِ.

وهَذَا حَالُ أَكْثَرِ الدَّاخِلِينَ فِي الإِسْلَامِ ابْتِدَاءً؛ بَلْ حَالُ أَكْثَرِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَائِقَ الإيمان؛ فإن الرَّجُلَ إذا قُوتِلَ حَتَّى أَسْلَمَ كَمَا كَانَ الكُفَّارُ يُقَاتَلُونَ حَتَّى يُسْلِمُوا أَو أَسْلَمَ بَعْدَ الأَسْرِ أَو سَمِعَ بِالْإِسْلَامِ فَجاءَ فَأَسْلَمَ؛ فإنه مُسْلِمٌ مُلْتَزِمٌ طَاعَةَ الرَّسُولِ ولَمْ تَدْخُلْ إِلَى قَلْبِهِ المَعْرِفَةُ بِحَقَائِقِ الإيمان فإن هَذَا إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ تَيَسَّرَتْ لَهُ أَسْبَابُ ذَلِكَ؛ إِمَّا بِفَهْمِ القُرْآنِ وإِمَّا بِمُبَاشَرَةِ أَهْلِ الإيمان والِاقْتِدَاءِ بِمَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ الأَقْوالِ والْأَعْمَالِ، وإِمَّا بِهِدَايَةِ خَاصَّةٍ مِنْ اللَّهِ يَهْدِيهِ بِهَا.

والْإِنْسَانُ قَدْ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ مَحَاسِنِ الإِسْلَامِ مَا يَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ فِيهِ وإِنْ كَانَ قَدْ ولِدَ عَلَيْهِ وتَرَبَّى بَيْنَ أَهْلِهِ فإنه يُحِبُّهُ فَقَدْ ظَهَرَ لَهُ بَعْضُ مَحَاسِنِهِ وبَعْضُ مَسَاوِئِ الكُفَّارِ. وكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ يَرْتَابُ إذا سَمِعَ الشُّبَهَ القَادِحَةَ فِيهِ ولَا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَلَيْسَ هُو دَاخِلًا فِي قَولِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:١٥]، ولَيْسَ هُو مُنَافِقًا فِي البَاطِنِ مُضْمِرًا لِلْكُفْرِ فَلَا هُو مِنْ المُؤْمِنِينَ حَقًّا ولَا هُو مِنْ المُنَافِقِينَ ولَا هُو أَيْضًا مِنْ أَصْحَابِ الكَبَائِرِ بَلْ يَأْتِي بِالطَّاعَاتِ الظَّاهِرَةِ ولَا يَأْتِي بِحَقَائِقِ الإيمان الَّتِي

يَكُونُ بِهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا؛ فَهَذَا مَعَهُ إيمان ولَيْسَ هُو مِنْ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا ويُثَابُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ الطَّاعَاتِ، ولِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات:١٤]، ولِهَذَا قَالَ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]، يَعْنِي فِي قَولِكُمْ: ﴿ءَامَنَّاۖ﴾ [الحجرات:١٤].اهـ

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّم رحمه الله فِي "بَدَائِعِ الفَوائِدِ" (٤/ ١٧):

فلهذا كان قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات:١٤]، نَفْيًا للإيمان المطلق، لا لمطلق الإيمان لوجوه:

منها: أنه أمرهم أو أذن لهم أن يقولوا: أسلمنا، والمنافق لا يقال له ذلك.

ومنها: أنه قال: قالت الأعراب. ولم يقل: قال المنافقون.

ومنها: أن هؤلاء الجفاة الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، ورفعوا أصواتهم فوق صوته غلظة منهم وجفاء، لا نفاقا وكفرا.

ومنها: أنه قال: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات:١٤]، ولم ينف دخول الإسلام في قلوبهم ولو كانوا منافقين؛ لنفى عنهم الإسلام كما نفى الإيمان.

ومنها: أن الله تعالى قال: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ﴾ [الحجرات:١٤]، أي لا ينقصكم والمنافق لا طاعة له.

ومنها: أنه قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ﴾ فأثبت لهم إسلامهم ونهاهم أن يمنوا على رسول الله، ولو لم يكن إسلاما صحيحا؛ لقال لم تسلموا بل أنتم كاذبون كما كذبهم في قولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:١]، لما لم تطابق شهادتهم اعتقادهم

ومنها: أنه قال ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات:١٧]، ولو كانوا منافقين لما من عليهم.

ومنها: أنه قال ﴿أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١٧]، ولا ينافي هذا قوله ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات:١٤]، فإنه نفى الإيمان المطلق، ومنَّ عليهم بهدايتهم إلى الإسلام الذي هو متضمن لمطلق الإيمان.

ومنها: أن النبي ﷺ لما قسم القسم قال له سعد أعطيت فلانا وتركت فلانا وهو مؤمن فقال: «**أو مسلم**» ثلاث مرات. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي[1]. وأثبت له الإسلام دون الإيمان، وفي الآية أسرار بديعة ليس هذا موضعها، والمقصود الفرق بين الإيمان المطلق، ومطلق الإيمان؛ فالإيمان المطلق يمنع دخول النار، ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها.

٢١ تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٧/ ٤٧٣):

وقَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ قَوم لُوطٍ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات:٣٥]، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات:٣٦]، وقَدْ ظَنَّ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ هَذِهِ الآية تَقْتَضِي أَنَّ مُسَمَّى الإيمان والإِسْلَام واحِدٌ وعَارَضُوا بَيْنَ الآيَتَيْنِ ولَيْسَ كَذَلِكَ؛ بَلْ هَذِهِ الآية تُوافِقُ الآية الأُولَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَخْرَجَ مَنْ كَانَ فِيهَا مُؤْمِنًا، وأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إلَّا أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ المُسْلِمِينَ.

وذَلِكَ **لِأَنَّ امْرَأَةَ لُوطٍ كانت فِي أَهْلِ البَيْتِ المَوجُودِينَ ولَمْ تَكُنْ مِنَ المُخْرَجِينَ الَّذِينَ نَجوا**؛ بَلْ كَانَتْ مِنْ الغَابِرِينَ البَاقِينَ فِي العَذَابِ، وكَانَتْ فِي الظَّاهِرِ مَعَ زَوجِهَا عَلَى دِينِهِ، وفِي البَاطِنِ مَعَ قَومِهَا عَلَى دِينِهِمْ خَائِنَةً لِزَوجِهَا تَدُلُّ قَومَهَا عَلَى أَضْيَافِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧)، ومسلم برقم (١٥٠) وأبو داود (٤٦٨٣)، والنسائي (٤٩٩٢)، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم:١٠]، وكَانَتْ خِيَانَتُهُمَا لَهُمَا فِي الدِّينِ لَا فِي الفِرَاشِ، فإنه مَا بَغَتْ امْرَأَةُ نَبِيٍّ قَطُّ؛ إذْ نِكَاحُ الكَافِرَةِ قَدْ يَجُوزُ فِي بَعْضِ الشَّرَائِعِ ويَجُوزُ فِي شَرِيعَتِنَا نِكَاحُ بَعْضِ الأَنْواعِ وهُنَّ الكِتَابِيَّاتُ وأَمَّا نِكَاحُ البَغِيِّ فَهُو: دِيَاثَةٌ. وقَدْ صَانَ اللهُ النَّبِيَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ دَيُّوثًا. ولِهَذَا كَانَ الصَّوابُ قَولَ مَنْ قَالَ مِنْ الفُقَهَاءِ: بِتَحْرِيمِ نِكَاحِ البَغِيِّ حَتَّى تَتُوبَ.اهـ

٢٢ مسألة: حكم تارك الصلاة تكاسلا.

أما إنْ تركها جُحودًا؛ فقد أجمع العلماء على أنه كافرٌ، وخارجٌ من الملة.

واختلف أهل العلم فيما إذا تركها تكاسلًا، وتهاونًا على قولين، وهي من أعظم المسائل التي اختلف فيها السلف، وينبني على الخلاف مسائل كثيرة معروفة عند أهل العلم، وقد ذكرت المسألة بشيء من الطول في كتابي "**فتح العلام بدراسة أحاديث بلوغ المرام**" (١/ ٤١٨) ونذكر ههنا أهم ما ذكره أصحاب القولين:

القول الأول: أنَّ تركَ الصلاة تكاسلًا كفرٌ أكبر مخرجٌ من الملة.

وهو قول ابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، وحكى إسحاق عليه إجماع أهل العلم، وقال محمد بن نصر المروزي: هو قول جمهور أهل الحديث.

واستدل هؤلاء بما يلي:

❊ قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة:١١].

❊ وقوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ [مريم:٥٩-٦٠].

* قوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**»، أخرجه مسلم (٨٢) عن جابر رضي الله عنه.

* قوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها؛ فقد كفر»، رواه الترمذي (٢٦٢١) عن بريدة رضي الله عنه، وإسناده صحيح، وهو في الصحيح المسند (١٧١).

* قوله ﷺ: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»، رواه البخاري (٥٥٣) عن بريدة رضي الله عنه.

* قوله ﷺ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وبُرْهَانًا، ونَجَاةً يومَ القِيَامَةِ، ومَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، ولَا بُرْهَانٌ، ولَا نَجَاةٌ، وكَانَ يومَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وفِرْعَونَ، وهَامَانَ، وأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**». أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩) والدارمي (٢٧٢١)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

* قوله ﷺ: «**ولا تنازعوا الأمر أهله؛ إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله تعالى فيه برهان**»، متفق عليه[١] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وفي حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، في صحيح مسلم (١٨٥٥): قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»، فهذا يدل على أن ترك الصلاة كفرٌ بواحٌ.

* **قول عبد الله بن شقيق**: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئًا تركه كفر غير الصلاة.

* قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

* **وقول ابن مسعود** رضي الله عنه: من لم يُصَلِّ؛ فلا دين له. وقول علي: من تركها؛ فهو كافر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٠٠)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

القول الثاني: أنَّ ترك الصلاة تكاسلًا كفرٌ أصغر ليس مُخرجًا من الملة، بل يكون فاسقًا، مرتكبًا لكبيرة من كبائر الذنوب.

وهو قول المالكية، والشافعية، والحنفية، وأحمد في رواية اختارها بعض أصحابه كابن بطة، وابن قدامة، وهو قول الثوري، والمزني، وعزاه بعضهم إلى الأكثرين، كالنووي، والحافظ ابن حجر، والشوكاني.

واستدل هؤلاء بما يلي:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨/ ١١٦].

* قوله ﷺ «**ما من عبد يشهد أنَّ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه؛ إلا حرمه الله على النار**»، متفق عليه[١] عن أنس رضي الله عنه.

* قوله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «**من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه؛ فبشره بالجنة**» رواه مسلم (٣١).

* قوله: «**أسعد الناس بشفاعتي، من قال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه**»، رواه البخاري (٩٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

حديث البطاقة، وفيه: أنَّ رجلًا دخل الجنة وليس معه إلا بطاقة لا إله إلا الله. رواه الترمذي (٢٦٣٩)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الشفاعة، وهو في الصحيحين[٢]، وفيه: «**حَتَّى إذا خَلَصَ الـمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ، فَو الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لله فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنْ الـمُؤْمِنِينَ لله يَومَ القِيَامَةِ لِإِخْوانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، ويُصَلُّونَ، ويَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ؛ فَتُحَرَّمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢)، وليس عند مسلم قوله: «صدقًا».

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣).

نِصْفِ سَاقَيْهِ، وإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ؛ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا؛ فَمَنْ وجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ؛ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا؛ فَمَنْ وجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ؛ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا. -وكَانَ أَبُوسَعِيدٍ الخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحَدِيثِ؛ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:٤٠] - فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: شَفَعَتْ المَلَائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وشَفَعَ الـمُؤْمِنُونَ، ولَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَومًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الـجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ...، فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الـجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ اللهُ الـجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، ولَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ...» الحديث.

* حديث عبادة بن الصامت، أنَّ النبي ﷺ قال: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وضُوءَهُنَّ، وصَلاَّهُنَّ لِوقْتِهِنَّ، وأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، ومَنْ لَمْ يَفْعَلْ؛ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ» أخرجه أبو داود (٤٢٥) بإسناد صحيح.

قال أبوعبد الله غفر الله له: الأدلة قوية من الجانبين، ولكن بالنظر فيها نلاحظ أنَّ أدلة القول الثاني أقوى، وتأويلها أعسر؛ فالرَّاجح هو القول الثاني.

وأما أدلة أصحاب القول الأول؛ فالجواب عنها كما يلي:

* قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١]، أي: إنَّ الأُخُوة في الدين تحصل بالإيمان كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، والإيمان يحصل بالشهادتين؛ لحديث معاذ بن جبل عند أن بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، فيكون ذكر الصلاة والزكاة من كمال الأُخُوة، ويدل على ذلك أنَّ الزكاة مذكورة مع الصلاة في نفس الآية، وهم لا يقولون: إذا لم يُزَكِ ليس بأخ لنا في الدين، بل يقولون: أُخُوتُه ناقصة؛ لوجود الدليل على أنَّ تارك الزكاة لا يكفر، وكذلك يقال لهم: ومن ترك الصلاة تكاسلًا فأُخُوتُه ناقصة؛ لوجود الأدلة على أنَّ تاركها تكاسلًا ليس بكافر، والله أعلم.

* قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم:٥٩-٦٠]، هذا وعيد لهم بالنار، ولا يلزم وقوعه، بل هم تحت المشيئة كما دلَّ على ذلك حديث عبادة، وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [مريم:٦٠]، فَذِكْرُ قَولِهِ: ﴿وَءَامَنَ﴾ لا يدل على أنهم كفار، بل يحتمل أنه أراد كمال الإيمان، أو تاب مع بقاء الإيمان، وحَمَلَنَا على هذا التأويل الجمع بين الأدلة، والله أعلم.

* حديث جابر رضي الله عنه: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**» المقصود به كفر أصغر، كما قيل ذلك في قوله ﷺ: «**وقتاله كفر**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(٢)].

ومن قال بأن الكفر إذا عُرِّفَ أُرِيدَ به الكفر الأكبر؛ فقوله ليس بصحيح، فقد وجد التعريف والمراد به الكفر الأصغر، كما جاء في حديث امرأة ثابت بن قيس عند أن قالت للنبي ﷺ: «**أكره الكفر في الإسلام**» أخرجه البخاري برقم (٥٢٧٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٢١، و١٧٤١، و٤٤٠٣)، ومسلم برقم (٦٥، و٦٦، و١٦٩٧) من حديث جرير بن عبد الله وابن عمر وأبي بكرة، وأخرجه البخاري (١٧٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهم.

* حديث بريدة رضي الله عنه: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر**»، المراد به أيضًا كفر دون كفر، أي: الكفر الأصغر، جمعًا بين الأدلة، وأما قوله: «**العهد الذي بيننا وبينهم**»؛ فالمراد به المنافقون، كما قال ذلك الطِّيبي، والمناوي، والمباركفوري، والمعنى: أنَّ العهد الذي بيننا وبين المنافقين هي الصلاة، بمعنى أنها الموجبة لحقن دمائهم كالعهد في حق المعاهدين، فكما أنَّ أهل الذمة تُحقَنُ دماؤهم بالعهد، فكذلك المنافقون تُحقن دماؤهم بالصلاة[(١)].

* حديث بريدة رضي الله عنه: «**من ترك صلاة العصر؛ فقد حبط عمله**»، لم يأخذ بظاهره المكَفِّرُون تاركَ الصلاة أيضًا؛ فإن عندهم من ترك فرضًا واحدًا، أو فرضين لا يكفر، هكذا قال كثير منهم، وأَولُوا الحديث على أنَّ المقصود بـ:«**حبط عمله**»، أي: حبط عمل يومه، **وقيل**: المراد بالحبط نقصان العمل في ذلك الوقت الذي ترفع فيه الأعمال، وكأنَّ المراد بالعمل الصلاة خاصَّة، أي: لا يحصل على أجر من صلَّى العصر، وهناك أقوال أخرى ذكرها الحافظ في شرح الحديث (٥٥٣)، ثم قال: وأقرب هذه التأويلات قول من قال: إنَّ ذلك خرج مخرج الزجر الشديد، وظاهره غير مرادٍ، والله أعلم.

قلت: وتقييده بالعصر يدل على ذلك، والله أعلم.

* وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ ففي إسناده عيسى بن هلال الصدفي، وهو مجهول الحال.

* وقوله صلى الله عليه وسلم «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة**»، قال الطِّيبي في "**شرح المشكاة**" (٨/ ٢٥٦٢): قوله: «**ما أقاموا فيكم الصلاة**» فيه إشعارٌ بتعظيم أمر الصلاة، وأنَّ تركها موجبٌ لنزع اليد من الطاعة، كالكفر على ما سبق في حديث عبادة بن الصامت في قوله: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا**».اهـ

---

(١) انظر: "تحفة الأحوذي" (٧/ ٣٦٩)، "فيض القدير" (٤/ ٣٩٥)، "شرح المشكاة" (٣/ ٨٧١).

ومعنى كلام الطِّيبي رحمه الله: أنَّ ترك الصلاة يُسَوغ الخروج على الإمام كما يسوغه الكفر، ويكون حديث عبادة رضي الله عنه مفهومه: أنَّ كل ما سوى الكفر لا يسوغ الخروج على الإمام، وهذا العموم المفهوم من حديث عبادة مقيد بمنطوق حديث عوف بن مالك، فيكون المسوغ للخروج هو الكفر البواح، وكذلك ترك الصلاة، والله أعلم.

* قول عبد الله بن شقيق أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٩)، وغيرهما، واللفظ للترمذي، وهو صحيح، ولكن معناه: لا يرون شيئًا تركه كفر؛ فيحتمل على أنَّ المراد كفر أصغر، وتنصيصه على الصلاة يدل على عظمها، وعلى أنَّ تركها أعظم من ترك غيرها، والله أعلم.

وعلى التسليم بأنه أراد الكفر الأكبر؛ فلا يكون قول جميع الصحابة، بل قول بعضهم، فعبد الله بن شقيق لم يُدرك جميع الصحابة.

أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثابتٌ عنه، أخرجه مالك (١/ ٣٩-٤٠)، وابن أبي شيبة (١١/ ٢٥) بإسناد صحيح، وكذلك أثر ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه المروزي في "**تعظيم قدر الصلاة**" (٩٣٦) (٩٣٧) بإسناد حسن.

وأما أثر علي رضي الله عنه فأخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٧)، وفي إسناده: معقل الخثعمي، وهو مجهول، ومن صحَّ عنه يحتمل أنه أراد نفي كمال الإسلام، والإيمان، ولو سُلِّمَ أنه أراد نفي الإسلام وتكفيره كفرًا أكبر؛ فيكون قولًا لبعض الصحابة، والحجة بالإجماع، والله أعلم.

وقد تحمل الآثار الواردة عن الصحابة على أنهم قصدوا من كان مصرًا على تركها حتى يقتل؛ كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام رحمه الله كما سيأتي نقل كلامه[1].

---

(١) وانظر: "كتاب الصلاة" لابن القيم، "تعظيم قدر الصلاة" للمروزي، "حكم تارك الصلاة"، للألباني، "المجموع" (٣/ ١٦)، "المغني" (٣/ ٣٥١).

٢٣ من ترك الصلاة وأبى أن يصلي حتى عرض على السيف وقتل:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٢٢/ ٤٧):

وأَمَّا مَنْ اعْتَقَدَ وجُوبَهَا مَعَ إِصْرَارِهِ عَلَى تَرْكِها: فَقَدْ ذَكَرَ عَلَيْهِ المُفَرِّعُونَ مِنْ الفُقَهَاءِ فُرُوعًا: أَحَدُهَا هَذَا -أي قتله بعد الاستتابة-، فَقِيلَ عِنْدَ جُمْهُورِهِمْ: مَالِكٍ والشَّافِعِيِّ وأَحْمَد. وإِذَا صَبَرَ حَتَّى يُقْتَلَ فَهَلْ يُقْتَلُ كَافِرًا مُرْتَدًّا، أَو فَاسِقًا كَفُسَّاقِ المُسْلِمِينَ؟ عَلَى قَولَيْنِ مَشْهُورِينَ. حُكِيَا رِوايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَد، **وهَذِهِ الفُرُوعُ لَمْ تُنْقَلْ عَنْ الصَّحَابَةِ، وهِيَ فُرُوعٌ فَاسِدَةٌ**، فإِن كَانَ مُقِرًّا بِالصَّلَاةِ فِي البَاطِنِ، مُعْتَقِدًا لِوجُوبِهَا، يَمْتَنِعُ أَنْ يُصِرَّ عَلَى تَرْكِهَا حَتَّى يُقْتَلَ، وهُو لَا يُصَلِّي هَذَا لَا يُعْرَفُ مِنْ بَنِي آدَمَ وعَادَتِهِمْ؛ ولِهَذَا لَمْ يَقَعْ هَذَا قَطُّ فِي الإِسْلَامِ، ولَا يُعْرَفُ أَنَّ أَحَدًا يَعْتَقِدُ وجُوبَهَا، ويُقَالُ لَه: إِنْ لَمْ تُصَلِّ وإِلا قَتَلْنَاك، وهُو يُصِرُّ عَلَى تَرْكِهَا، مَعَ إِقْرَارِهِ بِالْوجُوبِ، فَهَذَا لَمْ يَقَعْ قَطُّ فِي الإِسْلَامِ.

ومَتَى امْتَنَعَ الرَّجُلُ مِنْ الصَّلَاةِ حَتَّى يُقْتَلَ لَمْ يَكُنْ فِي البَاطِنِ مُقِرًّا بِوجُوبِهَا، ولَا مُلْتَزِمًا بِفِعْلِهَا، وهَذَا كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ، **كَمَا اسْتَفَاضَتْ الآثَارُ عَنْ الصَّحَابَةِ بِكُفْرِ هَذَا**، ودَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ. كَقَوْلِهِ ﷺ: «**لَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الكُفْرِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ**» رَواهُ مُسْلِمٌ[١]. وقَولِهِ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[٢]. وقَولِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ لَا يَرَونَ شَيْئًا مِنْ الأَعْمَالِ فِي تَرْكِهِ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاةَ[٣].

فَمَنْ كَانَ مُصِرًّا عَلَى تَرْكِهَا حَتَّى يَمُوتَ لَا يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً قَطُّ، فَهَذَا لَا يَكُونُ قَطُّ مُسْلِمًا مُقِرًّا بِوجُوبِهَا، فإِنَّ اعْتِقَادَ الوجُوبِ، واعْتِقَادَ أَنَّ تَارِكَهَا يَسْتَحِقُّ القَتْلَ هَذَا دَاعٍ تَامٌّ إِلَى فِعْلِهَا، والدَّاعِي مَعَ القُدْرَةِ يُوجِبُ وجُودَ المَقْدُورِ، فإذا كَانَ قَادِرًا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه بنحوه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وغيره، عن بريدة رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٩)، وغيرهما، واللفظ للترمذي، وهو صحيح.

ولَمْ يَفْعَلْ قَطُّ عُلِمَ أَنَّ الدَّاعِيَ فِي حَقِّهِ لَمْ يُوجَدْ. **والِاعْتِقَادُ التَّامُّ لِعِقَابِ التَّارِكِ بَاعِثٌ عَلَى الفِعْلِ، لَكِنَّ هَذَا قَدْ يُعَارِضُهُ أَحْيَانًا أُمُورٌ تُوجِبُ تَأْخِيرَهَا وتَرْكَ بَعْضِ واجِبَاتِهَا، وتَفْوِيتِهَا أَحْيَانًا.** فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُصِرًّا عَلَى تَرْكِهَا لَا يُصَلِّي قَطُّ، ويَمُوتُ عَلَى هَذَا الإِصْرَارِ والتَّرْكِ فَهَذَا لَا يَكُونُ مُسْلِمًا؛ **لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يُصَلُّونَ تَارَةً، ويَتْرُكُونَهَا تَارَةً، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا، وهَؤُلَاءِ تَحْتَ الوعِيدِ،** وهُمْ الَّذِينَ جَاءَ فِيهِمْ الحَدِيثُ الَّذِي فِي السُّنَنِ حَدِيثُ عبادة عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى العِبَادِ فِي اليَوم واللَّيْلَةِ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كَانَ لَهُ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، ومَنْ لَمْ يُحَافَظْ عَلَيْهِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ**»[1] فَالْمُحَافِظُ عَلَيْهَا الَّذِي يُصَلِّيهَا فِي مَوَاقِيتِهَا، كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى، والَّذِي يُؤَخِّرُهَا أَحْيَانًا عَنْ وقْتِهَا، أَو يَتْرُكُ واجِبَاتِهَا، فَهَذَا تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعالَى، وقَدْ يَكُونُ لِهَذَا نَوافِلُ يُكَمِّلُ بِهَا فَرَائِضَهُ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ.اهـ

وقال رحمه الله **في** (٧/ ٦١٥): ولَا يُتَصَورُ فِي العَادَةِ أَنَّ رَجُلًا يَكُونُ مُؤْمِنًا بِقَلْبِهِ مُقِرًّا بِأَنَّ اللَّهَ أَوجَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ مُلْتَزِمًا لِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ومَا جَاءَ بِهِ يَأْمُرُهُ ولِيُّ الأَمْرِ بِالصَّلَاةِ فَيَمْتَنِعُ حَتَّى يُقْتَلَ، ويَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مُؤْمِنًا فِي البَاطِنِ قَطُّ لَا يَكُونُ إِلَّا كَافِرًا، ولَو قَالَ: أَنَا مُقِرٌّ بِوجُوبِهَا غَيْرَ أَنِّي لَا أَفْعَلُهَا. كَانَ هَذَا القَولُ مَعَ هَذِهِ الحَالِ كَذِبًا مِنْهُ كَمَا لَو أَخَذَ يُلْقِي المُصْحَفَ فِي الحَشِّ، ويَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّ مَا فِيهِ كَلَامَ اللَّهِ أَو جَعَلَ يَقْتُلُ نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ ويَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ونَحو ذَلِكَ مِنْ الأَفْعَالِ الَّتِي تُنَافِي إيمان القَلْبِ، فإذا قَالَ أَنَا مُؤْمِنٌ بِقَلْبِي مَعَ هَذِهِ الحَالِ كَانَ كَاذِبًا فِيمَا أَظْهَرَهُ مِنْ القَولِ. فَهَذَا المَوضِعُ يَنْبَغِي تَدَبُّرُهُ فَمَنْ عَرَفَ ارْتِبَاطَ الظَّاهِرِ بِالْبَاطِنِ زَالَتْ عَنْهُ الشُّبْهَةُ فِي هَذَا البَابِ وعَلِمَ أَنَّ **مَنْ قَالَ مِنْ الفُقَهَاءِ أَنَّهُ إذا أَقَرَّ بِالْوجُوبِ وامْتَنَعَ عَنْ الفِعْلِ لَا يُقْتَلُ أَو يُقْتَلُ مَعَ إِسْلَامِهِ؛ فإنه دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى المُرْجِئَةِ والْجَهْمِيَّةِ** والَّتِي دَخَلَتْ عَلَى مَنْ جَعَلَ الإِرَادَةَ الجَازِمَةَ مَعَ القُدْرَةِ

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٢٥) بإسناد صحيح.

التَّامَّةِ لَا يَكُونُ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الفِعْلِ **وَلِهَذَا كَانَ الْمُمْتَنِعُونَ مِنْ قَتْلِ هَذَا مِنَ الْفُقَهَاءِ بَنَوْهُ عَلَى قَوْلِهِمْ فِي مَسْأَلَةِ الإيمان، وأَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنَ الإيمان** وقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ جِنْسَ الْأَعْمَالِ مِنْ لَوازِمِ إيمان القَلْبِ، وأَنَّ إيمان القَلْبِ التَّامِّ بِدُونِ شَيْءٍ مِنَ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ مُمْتَنِعٌ، سَواءٌ جَعَلَ الظَّاهِرَ مِنْ لَوازِمِ الإيمان أَو جُزْءًا مِنَ الإيمان كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، وحِينَئِذٍ فإذا كَانَ العَبْدُ يَفْعَلُ بَعْضَ المَأْمُورَاتِ ويَتْرُكُ بَعْضَهَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الإيمان بِحَسَبِ مَا فَعَلَهُ.اهـ

(٢٤) هل يُقتل تارك الصلاة تكاسلا؟

ذهب جمهور العلماء إلى أنه يُقتل؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥]، وقوله ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم، وأموالهم؛ إلا بحقها، وحسابهم على الله**»[(١)]، وبحديث: ألا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»[(٢)]، وحديث الخوارج: فقال خالد: ألا أقتله؟ قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**»[(٣)]، وبحديث بريدة: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة**»، وقد تقدم بيان معناه.

وذهب الحنفية، والمزني، وهو قول الزهري، وسعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز إلى أنه لا يُقتل، بل يُحبس، ويُعزَّر، حتى يُصلي، واستدلوا بحديث: «**أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها؛ عصموا مني**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥١)، ومسلم برقم (١٠٦٤) (١٤٤).

دماءهم، وأموالهم؛ **إلا بحقها، وحسابهم على الله**»[(١)]، واستدلوا بقوله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم؛ إلا بإحدى ثلاث...**»[(٢)]... فذكرها.

والصواب قول الجمهور، وأما حديثهم الأول؛ فهو مختصرٌ، وقد تقدم بتمامه، وأما حديثهم الثاني؛ فمفهومه عامٌّ، وهو مخصوص بأدلة أخرى تبيح قتل المسلم بغير الثلاث المذكورة، وأدلتنا التي ذكرناها من ذلك، والله أعلم[(٣)].

٢٥ مسألة: مانع الزكاة بخلا.

ذهب جمهور العلماء إلى أنه يُعَدُّ فاسقًا، مُرتكِبًا لكبيرة من الكبائر، واستدلوا بقوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في صحيح مسلم (٩٨٧): «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ ولَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إذا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوى بِهَا جَنْبُهُ، وجَبِينُهُ، وظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوم كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ الفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الجنَّةِ، وإِمَّا إِلَى النَّارِ**».

وذهب بعض أهل العلم إلى تكفيره، نقله ابن رجب كما في "**جامع العلوم والحكم**" (ص١٤٧)، عن سعيد بن جبير، ونافع، والحكم، قال: وهي رواية عن أحمد اختارها بعض أصحابه، وهو قول ابن حبيب من المالكية. وفي مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ١١٤) بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مَا مَانِعُ الزَّكَاةِ بِمُسْلِمٍ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥، و١٣٩٩)، ومسلم برقم (٢٠، و٢١، و٢٢) عن ابن عمر، وأبي هريرة رضي الله عنهما، وجاء بنحوه عن صحابة آخرين.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٨٧٨)، ومسلم برقم (١٦٧٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) وانظر "كتاب الصلاة" لابن القيم، "المجموع" (٣/ ١٦)، "المغني" (٣/ ٣٥١).

وقد استُدِلَّ لهذا القول بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التوبة:٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة:١١].

وأجاب الجمهور: أنَّ حديث أبي هريرة رضي الله عنه دلَّ على أنَّ مانع الزكاة تحت المشيئة، قالوا: فَتُحْمَل الآية على أنَّ المقصود به تمام الأُخُوة، وكمالها بإيتاء الزكاة، وأثر ابن مسعود محمول على نفي كمال الإسلام، لا أصله، والله أعلم. وقول الجمهور هو الصواب(١).

٢٦ مسألة: ماذا يصنع الإمام بمن منعها بُخلا؟

ذكر أهل العلم أنَّ الإمام يأخذها منه قهرًا، وقال الجمهور: يُعَزِّره على منعها. وقال إسحاق، وأبو بكر بن عبد العزيز: يأخذها وشطر ماله. وقد استُدِلَّ لهذا القول بحديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جَدِّه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من أعطاها مؤتجرًا بها؛ فله أجره، ومن منعها؛ فإنَّا آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات رَبِّنَا، لا يحل لآل محمد منها شيء**» أخرجه أبوداود والنسائي وغيرهما(٢).

وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأجوبة، منها – وهو جواب بعضهم -:

أنَّ الحديث لا يثبت، فقد قال ابن حِبَّان مُنكِرًا لهذا الحديث -قال في بهز-: ولولا حديثُه: «**فإنَّا آخذوها وشطر مالها**»؛ لأدخلته في الثقات. وأشار الشافعي إلى عدم ثبوته.

وأجاب جمعٌ من العلماء على الحديث بأنه منسوخ، ويؤيد ذلك عدم عمل الصحابة به؛ فقد منع طائفةٌ الزكاةَ في عهد أبي بكر رضي الله عنه ولم يَرِدْ أنَّ الصحابة أخذوا منهم نصف أموالهم.

---

(١) وانظر "المجموع" (٥/ ٣٣٤)، "المغني" (٤/ ٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٧٥)، والنسائي (٥/ ١٥-١٧) بإسناد حسن.

وقول الجمهور هو الصواب - والله أعلم- وهو أنَّ الإمام يُعَزِّره، ويُعَاقِبه، ولا يأخذ نصف ماله، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم.

وأما إن كان الذي منعها طائفةً لهم شوكة، ومَنَعَة؛ فيقاتلهم الإمام حتى يُؤدُّوها كما فعل أبوبكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، والصحابة مع الذين منعوا الزكاة، وهذا عليه إجماع الصحابة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**أُمِرتُ أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى**»[1] وانظر: "**المغني**" (٤/ ٧)، "**المجموع**"(٥/ ٣٣٤).

٢٧ الحكم في من جحد شيئا من أركان الإسلام أو ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٧/ ٦١٠):

وأَمَّا الفَرَائِضُ الأَرْبَعُ فإذا جَحَدَ وجُوبَ شَيْءٍ مِنْهَا بَعْدَ بُلُوغِ الحُجَّةِ فَهُو كَافِرٌ وكَذَلِكَ مَنْ جَحَدَ تَحْرِيمَ شَيْءٍ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَواتِرُ تَحْرِيمُهَا كَالْفَواحِشِ والظُّلْمِ والْكَذِبِ والْخَمْرِ ونَحْو ذَلِكَ، وأَمَّا مَنْ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الحُجَّةُ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَام أَو نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ لَمْ تَبْلُغْهُ فِيهَا شَرَائِعُ الإِسْلَامِ ونَحْو ذَلِكَ أَو غَلِطَ فظَنَّ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يُسْتَثْنَونَ مِنْ تَحْرِيم الخَمْرِ كَمَا غَلِطَ فِي ذَلِكَ الَّذِينَ اسْتَتَابَهُمْ عُمَرُ[2]. وأَمْثَالُ ذَلِكَ فإنهمْ يُسْتَتَابُونَ وتُقَامُ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ فإن أَصَرُّوا كَفَرُوا حِينَئِذٍ ولَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ؛ كَمَا لَمْ يَحْكُمْ الصَّحَابَةُ بِكُفْرِ قدامة بْنِ مَظْعُونٍ وأَصْحَابِهِ لَمَّا غَلِطُوا فِيمَا غَلِطُوا فِيهِ مِنْ التَّأْوِيلِ.اهـ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: أخرجه عبد الرزاق (٩/ ٢٤٠)، وعمر بن شبة (٣/ ٨٤٢)، والنسائي في "الكبرى" (٥٢٧٠)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (١١/ ٢٧٤)، والبيهقي (٨/ ٥٤٧) بأسانيد صحيحة.

٢٨ الحكم فيمن ترك شيئا من أركان الإسلام بدون جحود.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٧/ ٦١١):

وأَمَّا مَعَ الإِقْرَارِ بِالْوجُوبِ إذا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأَرْكَانِ الأَرْبَعَةِ فَفِي التَّكْفِيرِ أَقْوالٌ لِلْعُلَمَاءِ هِيَ رِواياتٌ عَنْ أَحْمَدَ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَكْفُرُ بِتَرْكِ واحِدٍ مِنْ الأَرْبَعَةِ حَتَّى الحَجِّ وإنْ كَانَ فِي جَوازِ تَأْخِيرِهِ نِزَاعٌ بَيْنَ العُلَمَاءِ فَمَتَى عَزَمَ عَلَى تَرْكِهِ بِالْكُلِّيَّةِ كَفَرَ وهَذَا قولُ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ وهِيَ إحْدَى الرِّواياتِ عَنْ أَحْمَدَ اخْتَارَهَا أَبُوبَكْرٍ.

والثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَعَ الإِقْرَارِ بِالْوجُوبِ وهَذَا هُو الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ الفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ ومَالِكٍ والشَّافِعِيِّ وهُو إحْدَى الرِّواياتِ عَنْ أَحْمَدَ اخْتَارَهَا ابْنُ بَطَّةَ وغَيْرُهُ.

والثَّالِثُ: لَا يَكْفُرُ إلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وهِيَ الرِّوايَةُ الثَّالِثَةُ عَنْ أَحْمَدَ وقَولُ كَثِيرٍ مِنْ السَّلَفِ وطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ والشَّافِعِيِّ وطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ.

والرَّابِعُ: يَكْفُرُ بِتَرْكِهَا وتَرْكِ الزَّكَاةِ فَقَطْ.

والْخَامِسُ: بِتَرْكِهَا وتَرْكِ الزَّكَاةِ إذا قَاتَلَ الإِمَامَ عَلَيْهَا دُونَ تَرْكِ الصِّيامِ والْحَجِّ.

وهَذِهِ المَسْأَلَةُ لَهَا طَرَفَانِ:

أَحَدُهُمَا: فِي إثْبَاتِ الكُفْرِ الظَّاهِرِ. **والثَّانِي:** فِي إثْبَاتِ الكُفْرِ البَاطِنِ.

فَأَمَّا الطَّرَفُ الثَّانِي فَهُو مَبْنِيٌّ عَلَى مَسْأَلَةِ كَونِ الإيمان قَولًا وعَمَلًا كَمَا تَقَدَّمَ، ومِنْ المُمْتَنِعِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا إيمانا ثَابِتًا فِي قَلْبِهِ بِأَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ والزَّكَاةَ والصِّيَامَ والْحَجَّ، ويَعِيشُ دَهْرَهُ لَا يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً ولَا يَصُومُ مِنْ رَمَضَانَ، ولَا يُؤَدِّي لِلَّهِ زَكَاةً، ولَا يَحُجُّ إلَى بَيْتِهِ؛ فَهَذَا مُمْتَنِعٌ ولَا يَصْدُرُ هَذَا إلَّا مَعَ نِفَاقٍ فِي القَلْبِ وزَنْدَقَةٍ، لَا مَعَ إيمان صَحِيحٍ؛ ولِهَذَا إنَّمَا يَصِفُ سُبْحَانَهُ بِالِامْتِنَاعِ مِنَ السُّجُودِ الكُفَّارَ كَقَولِهِ: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝ يوم

يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢] ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم:٤٣].

وقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وغَيْرِهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وأَبِي سَعِيدٍ وغَيْرِهِمَا فِي الحَدِيثِ الطَّويل حَدِيثِ التَّجَلِّي «**أَنَّهُ إذا تَجَلَّى تَعَالَى لِعِبَادِهِ يَومَ القِيامَةِ سَجَدَ لَهُ المُؤْمِنُونَ وبَقِيَ ظَهْرُ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وسُمْعَةً مِثْلَ الطَّبَقِ لَا يَسْتَطِيعُ السُّجُودَ**»[1] فإذا كَانَ هَذَا حَالُ مَنْ سَجَدَ رِيَاءً فَكَيْفَ حَالُ مَنْ لَمْ يَسْجُدْ قَطُّ.

وثَبَتَ أَيْضًا فِي الصَّحِيح «**أَنَّ النَّارَ تَأْكُلُ مِنْ ابْنِ آدَمَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا مَوضِعَ السُّجُودِ فإن اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَهُ**»[2] فَعُلِمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَسْجُدُ لِلَّهِ تَأْكُلُهُ النَّارُ كُلَّهُ، وكَذَلِكَ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَعْرِفُ أُمَّتَهُ يَومَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوضُوءِ[3]؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ غُرًّا مُحَجَّلًا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يَكُونُ مِنْ أُمَّتِهِ.اهـ

(٢٩) مسألة: وهل يقتل تارك صوم رمضان والحج؟

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله **في "كتاب الصلاة"(ص٤٠):**

وهل يلحق تارك الصوم والحج والزكاة بتارك الصلاة في وجوب قتله؟

فيه: ثلاث روايات عن الإمام أحمد:

إحداها: يقتل بترك ذلك كله كما يقتل بترك الصلاة.

وحجة هذه الرواية: أن الزكاة والصيام والحج من مباني الاسلام؛ فيقتل بتركها جميعا كالصلاة، ولهذا قاتل الصدِّيق مانعي الزكاة، وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة إنها لقرينتها في كتاب الله[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٣، و٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٢، و١٨٣).

(٢) مذكور ضمن الحديث المتقدم.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

وأيضا فإن هذه المباني من حقوق الاسلام والنبي ﷺ لم يأمر برفع القتال إلا عمن التزم كلمة الشهادة وحقها، وأخبر أن عصمة الدم لا تثبت إلا بحق الإسلام، فهذا قتال للفئة الممتنعة، والقتل للواحد المقدور عليه إنما هو لتركه حقوق الكلمة وشرائع الإسلام، وهذا أصح الأقوال.

الرواية الثانية: لا يقتل بترك غير الصلاة؛ لأن الصلاة عبادة بدنية لا تدخلها النيابة، ولقول عبد الله بن شقيق كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة[(١)].

ولأن الصلاة قد اختصت من سائر الأعمال بخصائص ليست لغيرها.

فهي أول ما فرض الله من الإسلام، ولهذا أمر النبي ﷺ نوابه ورسله أن يبدؤوا بالدعوة إليها بعد الشهادتين فقال لمعاذ: «**ستأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وأن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**»[(٢)].

ولأنها أول ما يحاسب عليها العبد من عمله، ولأن الله فرضها في السماء ليلة المعراج، ولأنها أكثر الفروض ذكرًا في القرآن، ولأن أهل النار لما يسألون ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر:٤٢]، لم يبدؤوا بشيء غير ترك الصلاة.

ولأن فرضها لا يسقط عن العبد بحال دون حال ما دام عقله معه بخلاف سائر الفروض؛ فإنها تجب في حال دون حال، ولأنها عمود فسطاط الإسلام، وإذا سقط الفسطاط وقع الفسطاط، ولأنها آخر ما يفقد من الدين، ولأنها فرض على الحر والعبد والذكر والأنثى والحاضر والمسافر والصحيح والمريض والغني والفقير.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٩)، وغيرهما، واللفظ للترمذي، وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ولم يكن رسول الله يقبل من أجابه إلى الإسلام؛ إلا بالتزام الصلاة كما قال قتادة عن أنس: **لم يكن رسول الله يقبل من أجابه إلى الإسلام إلا بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة**(١).

ولأن قبول سائر الأعمال موقوف على فعلها فلا يقبل الله من تاركها صومًا ولا حجًا ولا صدقة ولا جهادًا ولا شيئًا من الأعمال، كما قال عون بن عبدالله: إن العبد إذا دخل قبره سئل عن صلاته أول شيء يسأل عنه؛ فإن جازت له نظر فيما سوى ذلك من عمله، وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد.

ويدل على هذا الحديث الذي في المسند، والسنن من رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد من عمله يحاسب بصلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر**»(٢). ولو قبل منه شيء من أعمال البر لم يكن من الخائبين الخاسرين.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه المروزي في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" (١٢) حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الرَّازِيُّ، ثنا أَيُّوبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الرَّقِّيُّ ثنا عُرْوَةُ بْنُ مَرْوَانَ الْخَزَّازُ الْعِرْقِيُّ ثنا عُمَيْرُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِي الْعَوَّامِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ مَنْ أَجَابَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَكَانَتَا فَرِيضَتَيْنِ عَلَى مَنْ أَقَرَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المجادلة: ١٣].

وهذا إسناد ضعيف، وقد حصل فيه تصحيفٌ في موضعين: فقوله (الخزاز) صوابه (الجرار)، وقوله: (عمير بن المغيرة)، صوابه (عمر بن المغيرة). وعروة بن مروان الجرار العرقي، قال فيه الدراقطني: ليس بالقوي. وعمر بن المغيرة، هو أبو حفص البصري. قال فيه البخاري: منكر الحديث، مجهول. وقال ابن المديني: لا أعرفه. وقال أبو حاتم: شيخ. وأبو العوام، هو عمران بن داود، وفيه ضعف.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٧٩٠٢)، وابن ماجه (١٤٢٥)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

الرواية الثالثة: يقتل بترك الزكاة والصيام، ولا يقتل بترك الحج لأنه مختلف فيه هل هو على الفور أو على التراخي؛ فمن قال هو على التراخي. قال: كيف يقتل بأمر موسع له في تأخيره. وهذا المأخذ ضعيفٌ جدًا؛ لأن من يقتله بتركه لا يقتله بمجرد التأخير، **وإنما صورة المسألة**: أن يعزم على ترك الحج، ويقول: هو واجب علي ولا أحج أبدًا؛ فهذا موضوع النزاع، والصواب القول بقتله؛ لأن الحج من حقوق الإسلام، والعصمة تثبت لمن تكلم بالإسلام إلا بحقه والحج أعظم حقوقه.اهـ

٣٠ الحكم في الطائفة الممتنعة عن بعض شعائر الإسلام الظاهرة أو الباطنة المعلومة.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٢٢/ ٥١):

وكَذَلِكَ كُلُّ طَائِفَةٍ مُمْتَنِعَةٍ عَنْ شَرِيعَةٍ واحِدَةٍ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ، أَو الْبَاطِنَةِ المَعْلُومَةِ، فإنه يَجِبُ قِتَالُهَا، فَلَو قَالُوا: نَشْهَدُ ولَا نُصَلِّي قُوتِلُوا حَتَّى يُصَلُّوا، ولَو قَالُوا: نُصَلِّي ولَا نُزَكِّي قُوتِلُوا حَتَّى يُزَكُّوا، ولَو قَالُوا: نُزَكِّي ولَا نَصُومُ ولَا نَحُجُّ، قُوتِلُوا حَتَّى يَصُومُوا رَمَضَانَ. ويَحُجُّوا البَيْتَ.

ولَو قَالُوا: نَفْعَلُ هَذَا لَكِنْ لَا نَدَعُ الرِّبَا، ولَا شُرْبَ الخَمْرِ، ولَا الفَوَاحِشَ، ولَا نُجَاهَدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ولَا نَضْرِبُ الجِزْيَةَ عَلَى اليَهُودِ والنَّصَارَى، ونَحْو ذَلِكَ. قُوتِلُوا حَتَّى يَفْعَلُوا ذَلِكَ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]. وقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة:٢٧٨]، ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٩]. والرِّبَا آخِرُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وكَانَ أَهْلُ الطَّائِفِ قَدْ أَسْلَمُوا وصَلَّوا وجَاهَدُوا، فَبَيَّنَ اللهُ أَنَّهُمْ إذا لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الرِّبَا،

كَانُوا مِمَّنْ حَارَبَ اللَّهَ ورَسُولَهُ. وفِي الصَّحِيحَيْنِ[١] أَنَّهُ لَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ. فإذا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوالَهُمْ إلَّا بِحَقِّهَا**» فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَلَمْ يَقُلْ: إلَّا بِحَقِّهَا؟. واَللَّهِ لَو مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتهمْ عَلَيْهِ.

قَالَ عُمَرُ: فَوَاَللَّهِ مَا هُو إلَّا أَنْ رَأَيْت اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَلِمْت أَنَّهُ الحَقُّ».

وفِي "**الصَّحِيحِ**" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ الخَوارِجَ فَقَالَ: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فإن فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يومَ القِيَامَةِ**»[٢]. فإذا كَانَ الَّذِينَ يَقُومُونَ اللَّيْلَ، ويَصُومُونَ النَّهَارَ، ويَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ فَارَقُوا السُّنَّةَ والْجَمَاعَةَ، فَكَيْفَ بِالطَّوائِفِ الَّذِينَ لَا يَلْتَزِمُونَ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ، وإِنَّمَا يَعْمَلُونَ بياسق مُلُوكِهِمْ، وأَمْثَالِ ذَلِكَ، واللهُ أَعْلَمُ.اهـ

٣١ بيان معنى الإحسان المذكور في حديث جبريل.

بيَّن النبي ﷺ في الحديث معنى الإحسان بأحسن بيان مع قلة العبارة، وهذا من جوامع كَلِمِه ﷺ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى"** (٧/ ٦٢٢):

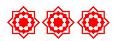
وأَمَّا الإِحْسَانُ، فَقَولُهُ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ؛ فإن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاك**». قَدْ قِيلَ: إنَّ الإِحْسَانَ هُو الإِخْلَاصُ، **والتَّحْقِيقُ**: أَنَّ الإِحْسَانَ يَتَنَاولُ الإِخْلَاصَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٨، و٦٩٠٣)، ومسلم (١٠٦٤، و١٠٦٦) عن أبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وغَيْرَهُ، والْإِحْسَانُ يَجْمَعُ كَمَالَ الإِخْلَاصِ لِلَّهِ ويَجْمَعُ الإِتْيَانَ بِالْفِعْلِ الحَسَنِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة:١١٢]، وقَالَ تعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥]، فَذَكَرَ إحْسَانَ الدِّينِ أَولًا، ثُمَّ ذَكَرَ الإِحْسَانَ ثَانِيًا، فَإِحْسَانُ الدِّينِ هُو- واللهُ أَعْلَمُ - الإِحْسَانُ المَسْئُولُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ.اهـ



تَوحِيْدُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ

٣٢ تَوحِيْدُ الأُلُوهِيَّة:

تعريف التوحيد: التوحيد في اللغة: مصدر وحّد يوحِّدُ توحيدًا.

وفي الشرع: إفراد الله عز وجل بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته.

فتوحيد الألوهية: إفراد الله تعالى بالعبادة. **وتوحيد الربوبية:** إفراد الله تعالى بأفعاله. **وتوحيد الأسماء والصفات:** إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو نبيه ﷺ في سنته، ونفي ما نفاه عنه من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٤/ ١٢-١٣):

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ فِي أَولِ السُّورَةِ -يعني: الفاتحة-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] فَبَدَأَ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ: اللَّهِ والرَّبِّ.

و(**اللَّه**) هُو الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ؛ فَهَذَا الِاسْمُ أَحَقُّ بِالْعِبَادَةِ؛ ولِهَذَا يُقَالُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ.

و(**الرَّبُّ**)، هُو الْمُرَبِّي الْخَالِقُ الرَّازِقُ النَّاصِرُ الْهَادِي، وهَذَا الِاسْمُ أَحَقُّ بِاسْمِ الِاسْتِعَانَةِ والْمَسْأَلَةِ. ولِهَذَا يُقَالُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨]، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف:٢٣]. ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص:١٦]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران:١٤٧]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

فَعَامَّةُ الْمَسْأَلَةِ والِاسْتِعَانَةُ الْمَشْرُوعَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ.

فَالِاسْمُ الْأَولُ يَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْعَبْدِ ومَصِيرَهُ ومُنْتَهَاهُ، ومَا خُلِقَ لَهُ ومَا فِيهِ صَلَاحُهُ وكَمَالُهُ، وهُو عِبَادَةُ اللَّهِ، **والِاسْمُ الثَّانِي يَتَضَمَّنُ** خَلْقَ الْعَبْدِ ومُبْتَدَاهُ، وهُو أَنَّهُ يُرَبِّهِ ويَتَولَّاهُ، مَعَ أَنَّ الثَّانِيَ يَدْخُلُ فِي الْأَولِ دُخُولَ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْإِلَهِيَّةِ، والرُّبُوبِيَّةُ تَسْتَلْزِمُ الْأُلُوهِيَّةَ أَيْضًا.

والاسْمُ (الرَّحْمَن) يَتَضَمَّنُ كَمَالَ التَّعْلِيقَيْنِ وبِوصْفِ الْحَالَيْنِ فِيهِ تَتِمُّ سَعَادَتُهُ فِي دُنْيَاهُ وأُخْرَاهُ. ولِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

فَذَكَرَ هُنَا الْأَسْمَاءَ الثَّلَاثَةَ: (الرَّحْمَنَ) و(رَبِّي) و(الْإِلَهَ) وقَالَ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد:٣٠]، كَمَا ذَكَرَ الْأَسْمَاءَ الثَّلَاثَةَ فِي أُمِّ الْقُرْآنِ؛ لَكِنْ بَدَأَ هُنَاكَ بِاسْمِ اللَّهِ؛ ولِهَذَا بَدَأَ فِي السُّورَةِ بـ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فَقَدَّمَ الِاسْمَ ومَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ الْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّ تِلْكَ السُّورَةَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وأُمُّ الْقُرْآنِ فَقَدَّمَ فِيهَا الْمَقْصُودَ الَّذِي هُو الْعِلَّةُ الغائية- فإنها عِلَّةٌ فَاعِلِيَّةٌ لِلْعِلَّةِ الغائية. انتهى.

(٣٣) فائدة: أول من قسم التوحيد إلى هذه الثلاثة الأقسام.

تقسيمه إلى ثلاثة أقسام هو باستقراء أدلة الكتاب والسنة، ولم يوجد عند المتقدمين من عصر الصحابة ومن بعدهم هذا التقسيم الثلاثي صريحًا، لكن جاء متأخرًا عن القرون المفضلة، من باب تقريب فهم الآيات؛ فهو ليس تقسيمًا مبتدعًا غيرَ شرعي، وإنما هو بيان لأدلة الكتاب والسنة، ومن أشهر من ذكر هذه الأقسام شيخ الإسلام، وابن القيم رحمهما الله.

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله **كما في كتاب "التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير"** (ص٣٠):

هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وقرره الزبيدي في "**تاج العروس**"، وشيخنا الشنقيطي في "**أضواء البيان**" في آخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم، وفعل، وحرف، والعرب لم تَفُه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا غيره من أنواع الاستقراء.اهـ

قلت: وأشار إلى ذلك أيضًا الطحاوي في أول "**عقيدته**" حيث قال: نَقُولُ فِي تَوحِيدِ اللَّهِ -مُعْتَقِدِينَ بِتَوفِيقِ اللَّهِ- إِنَّ اللَّهَ واحِدٌ لَا شَرِيكَ لَه ُولَا شَيْءَ مِثْلُهُ، ولَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، ولَا إِلَهَ غَيْرُهُ، قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ، لَا يَفْنَى ولَا يَبِيدُ، ولَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ، لَا تَبْلُغُهُ الأَوهَامُ، ولَا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ ولَا يُشْبِهُ الأَنَامَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ.اهـ

وأشار إلى ذلك أيضًا ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ **في مقدمة كتابه "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء"، حيث قال: الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المان عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير؛ فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته.اهـ**

بل صرَّح بالتقسيم إلى الثلاثة الأنواع ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في "**الإبانة**" (ص٦٩٣-٦٩٤) من المخطوط، حيث قال: **وذلك أنَّ أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:**

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته؛ ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

إذ قد علمنا أنَّ كثيرًا ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحًا في توحيده.

ولأنَّا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها.اهـ

ومـمن صرَّح بالتقسيم الثلاثي الشيخ الزاهد المُرْتَعِشُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيّ كما في "**حلية الأولياء**" (١٠/ ٣٥٦) حيث قال:

أصول التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة.اهـ

وهو من أول من وقفنا عليه ممن صرَّح بالتقسيم الثلاثي[1].

٣٤ فائدة: توحيد المتابعة.

إذا قيل: أقسام توحيد الله؛ فإنه لا يذكر فيها توحيد المتابعة؛ فإن توحيد المتابعة ليس من توحيد الله، وإنما يلزم من توحيد الألوهية أن يتبع النبي ﷺ؛ لأنه لا يعبد الله إلا بما شرعه. لكن إذا قسم التوحيد من أصله؛ فهو قسمان: توحيد الله. وتوحيد الرسول. فتوحيد الله توحيده في الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات. وتوحيد النبي ﷺ بالاتِّباع. وقد قسَّم ابن القيم رحمه الله في "**مدارج السالكين**" (٢/ ٣٨٧) التوحيد إلى قسمين: توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول، وتبعه على ذلك ابن أبي العز رحمه الله في "**شرح الطحاوية**" (ص٢٠٠) تحقيق الألباني رحمه الله.

٣٥ توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية، وتوحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية.

قال شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٠/ ٢٨٤):

ويُحَقِّقُ قَوْلَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]. تَوحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ وتَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وإِنْ كَانَتْ الْإِلَهِيَّةُ تَتَضَمَّنُ الرُّبُوبِيَّةَ؛ والرُّبُوبِيَّةُ تَسْتَلْزِمُ الْإِلَهِيَّةَ؛ فإن

---

(١) وانظر: "القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد" وانظر "مجموعة التوحيد" لشيخ الإسلام (ص٧، ٨)، "مدارج السالكين" (١/ ٢٤ ٢٥).

أَحَدَهُمَا إذا تَضَمَّنَ الْآخَرَ عِنْدَ الِانْفِرَادِ لَمْ يَمْنَعْ أَنْ يَخْتَصَّ بِمَعْنَاهُ عِنْدَ الِاقْتِرَانِ كَمَا فِي قَولِهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٢]، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٣]، وفِي قَولِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، فَجَمَعَ بَيْنَ الِاسْمَيْنِ: اسْمِ الْإِلَهِ واسْمِ الرَّبِّ. فإن «الْإِلَهَ» هُو الْمَعْبُودُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ. و «الرَّبُّ» هُو الَّذِي يُرَبِّي عَبْدَهُ فَيُدَبِّرُهُ. ولِهَذَا كَانَتْ الْعِبَادَةُ مُتَعَلِّقَةً بِاسْمِهِ اللَّهِ والسُّؤَالُ مُتَعَلِّقًا بِاسْمِهِ الرَّبِّ؛ فإن الْعِبَادَةَ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي لَهَا خُلِقَ الْخَلْقُ. والْإِلَهِيَّةُ هِيَ الْغَايَةُ؛ والرُّبُوبِيَّةُ تَتَضَمَّنُ خَلْقَ الْخَلْقِ وإِنْشَاءَهُمْ فَهُو مُتَضَمِّنٌ ابْتِدَاءَ حَالِهِمْ؛ والْمُصَلِّي إذا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، فَبَدَأَ بِالْمَقْصُودِ الَّذِي هُو الْغَايَةُ عَلَى الْوسِيلَةِ الَّتِي هِيَ الْبِدَايَةُ؛ فَالْعِبَادَةُ غَايَةٌ مَقْصُودَةٌ؛ والِاسْتِعَانَةُ وسِيلَةٌ إِلَيْهَا. انتهى.



﴿٧﴾ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رسول الله ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ، ومَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟**». قَالَ: قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ ولاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

﴿٨﴾ وعَنْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﵄، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الـجَنَّةَ، ومَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارِ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.(٢)

مسائل العقيدة المتعلقة بالحديثين

﴿١﴾ خلق الله الخلق من أجل عبادته.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام ؒ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٠/ ١٩):

والْعِبَادَةُ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ لَهَا الْعِبَادَ مِنْ جِهَةِ أَمْرِ اللَّهِ ومَحَبَّتِهِ ورِضَاهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، وبِهَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ، وأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وهِيَ اسْمٌ يَجْمَعُ كَمَالَ الْحُبِّ لِلَّهِ ونِهَايَتَهُ وكَمَالَ الذُّلِّ لِلَّهِ ونِهَايَتَهُ **فَالْحُبُّ الْخَلِيُّ عَنْ ذُلٍّ والذُّلُّ الْخَلِيُّ عَنْ حُبٍّ لَا يَكُونُ عِبَادَةً**، وإِنَّمَا الْعِبَادَةُ مَا يَجْمَعُ كَمَالَ الْأَمْرَيْنِ ولِهَذَا كَانَتْ الْعِبَادَةُ لَا تَصْلُحُ إلَّا لِلَّهِ وهِيَ وإِنْ كَانَتْ مَنْفَعَتُهَا لِلْعَبْدِ واَللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ فَهِيَ لَهُ مِنْ جِهَةِ مَحَبَّتِهِ لَهَا ورِضَاهُ بِهَا. انتهى.

وقَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ ؒ فِي "مدارج السالكين" (١/ ١١٨-١١٩):

فَمَنْ أَنْكَرَ حَقِيقَةَ الْإِلَهِيَّةِ ولَمْ يَعْرِفْهَا كَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ مَعْرِفَةُ حِكْمَةِ الْعِبَادَاتِ وغَايَاتِهَا ومَقَاصِدِهَا ومَا شُرِعَتْ لِأَجْلِهِ؟ كَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ الْعِلْمُ بأنها هِيَ الْغَايَةُ الْمَقْصُودَةُ بِالْخَلْقِ، والَّتِي لَهَا خُلِقُوا، ولَهَا أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٣).

ولِأَجْلِهَا خُلِقَتِ الْجَنَّةُ والنَّارُ؟

وأَنَّ فَرْضَ تَعْطِيلِ الْخَلِيقَةِ عَنْهَا نِسْبَةٌ لِلَّهِ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، ويَتَعَالَى عَنْهُ مَنْ خَلَقَ السَّمَاواتِ والْأَرْضَ بِالْحَقِّ، ولَمْ يَخْلُقْهُمَا بَاطِلًا، ولَمْ يَخْلُقِ الْإِنْسَانَ عَبَثًا ولَمْ يَتْرُكْهُ سُدًى مُهْمَلًا، قَالَ تَعَالَى ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون:١١٥]، أَيْ لِغَيْرِ شَيْءٍ ولَا حِكْمَةٍ، ولَا لِعِبَادَتِي ومُجَازَاتِي لَكُمْ، وقَدْ صَرَّحَ تَعَالَى بِهَذَا فِي قَوْلِهِ ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

فَالْعِبَادَةُ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خَلَقَ لَهَا الْجِنَّ والْإِنْسَ والْخَلَائِقَ كُلَّهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة:٣٦]، أَيْ مُهْمَلًا، قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يُؤْمَرُ ولَا يُنْهَى، وقَالَ غَيْرُهُ: لَا يُثَابُ ولَا يُعَاقَبُ، والصَّحِيحُ الْأَمْرَانِ، فإن الثَّوابَ والْعِقَابَ مُتَرَتِّبَانِ عَلَى الْأَمْرِ والنَّهْيِ، والْأَمْرُ والنَّهْيُ طَلَبُ الْعِبَادَةِ وإِرَادَتُهَا، وحَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ امْتِثَالُهُمَا، وقَالَ تَعَالَى ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:١٩١]، وقَالَ ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ [الحجر:٨٥]، وقَالَ ﴿**وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾ [الجاثية:٢٢].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاواتِ والْأَرْضَ بِالْحَقِّ الْمُتَضَمِّنِ أَمْرَهُ ونَهْيَهُ، وثَوابَهُ وعِقَابَهُ.

فإذا كَانَتِ السَّمَاواتُ والْأَرْضُ ومَا بَيْنَهُمَا خُلِقَتْ لِهَذَا، وهُو غَايَةُ الْخَلْقِ، فَكَيْفَ يُقَالُ إِنَّهُ لَا عِلَّةَ لَهُ، ولَا حِكْمَةَ مَقْصُودَةٌ هِيَ غَايَتُهُ؟ أَو إِنَّ ذَلِكَ لِمُجَرَّدِ اسْتِئْجَارِ الْعِبَادِ حَتَّى لَا يُنَكَّدَ عَلَيْهِمُ الثَّوابُ بِالْمِنَّةِ، أَو لِمُجَرَّدِ اسْتِعْدَادِ النُّفُوسِ لِلْمَعَارِفِ الْعَقْلِيَّةِ، وارْتِيَاضِهَا بِمُخَالَفَةِ الْعَوائِدِ؟.

فَلْيَتَأَمَّلِ اللَّبِيبُ الْفُرْقَانَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوالِ، وبَيْنَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ صَرِيحُ الْوحْيِ يَجِدْ أَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْوالِ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، ولَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ.

فَاللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، الْجَامِعَةِ لِكَمَالِ مَحَبَّتِهِ، مَعَ الْخُضُوعِ لَهُ والِانْقِيَادِ لِأَمْرِهِ.اهـ

٢ تعريف العبادة وبيان حقيقتها.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٠/ ١٤٩):

الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ويَرْضَاهُ مِنْ الْأَقْوالِ، والْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ والظَّاهِرَةِ.اهـ

وقَالَ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٥/ ١٦٢):

والْعِبَادَةُ: اسْمٌ يَجْمَعُ غَايَةَ الْحُبِّ لَهُ وغَايَةَ الذُّلِّ لَهُ فَمَنْ ذَلَّ لِغَيْرِهِ مَعَ بُغْضِهِ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا ومَنْ أَحَبَّهُ مِنْ غَيْرِ ذُلٍّ لَهُ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا، واَللَّهُ سُبْحَانَهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُحَبَّ غَايَةَ الْمَحَبَّةِ؛ بَلْ يَكُونُ **هُو الْمَحْبُوبَ الْمُطْلَقَ الَّذِي لَا يُحَبُّ شَيْءٌ إلَّا لَهُ** وأَنْ يُعَظَّمَ ويُذَلَّ لَهُ غَايَةَ الذُّلِّ؛ بَلْ لَا يُذَلُّ لِشَيْءِ إلَّا مِنْ أَجْلِهِ ومَنْ أَشْرَكَ غَيْرَهُ فِي هَذَا وهَذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ حَقِيقَةُ الْحُبِّ والتَّعْظِيمِ فإن **الشِّرْكَ يُوجِبُ نَقْصَ الْمَحَبَّةِ**. قَالَ تَعالَى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة:١٦٥]، أَيْ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ مِنْ هَؤُلَاءِ لِأَنْدَادِهِمْ وقَالَ تَعالَى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ﴾ [الزمر:٢٩]، وكَذَلِكَ **الِاسْتِكْبَارُ يَمْنَعُ حَقِيقَةَ الذُّلِّ لِلَّهِ؛ بَلْ يَمْنَعُ حَقِيقَةَ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ** فإن الْحُبَّ التَّامَّ يُوجِبُ الذُّلَّ والطَّاعَةَ فإن الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ.اهـ

وقَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله فِي "مدارج السالكين" (١/ ٩٥-٩٦):

والْعِبَادَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: غَايَةَ الْحُبِّ بِغَايَةِ الذُّلِّ والْخُضُوعِ، والْعَرَبُ تَقُولُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ أَيْ مُذَلَّلٌ، والتَّعَبُّدُ: التَّذَلُّلُ والْخُضُوعُ، فَمَنْ أَحْبَبْتَهُ ولَمْ تَكُنْ خَاضِعًا لَهُ، لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ، ومَنْ خَضَعْتَ لَهُ بِلَا مَحَبَّةٍ لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ حَتَّى تَكُونَ مُحِبًّا خَاضِعًا، ومِنْ هَاهُنَا كَانَ **الْمُنْكِرُونَ مَحَبَّةَ الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ مُنْكِرِينَ حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ،**

والْمُنْكِرُونَ لِكَونِهِ مَحْبُوبًا لَهُمْ، بَلْ هُو غَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ، ووجْهُهُ الْأَعْلَى نِهَايَةُ بُغْيَتِهِمْ مُنْكِرِينَ لِكَونِهِ إِلَهًا، وإِنْ أَقَرُّوا بِكَونِهِ رَبًّا لِلْعَالَمِينَ وخَالِقًا لَهُمْ، فَهَذَا غَايَةُ تَوحِيدِهِمْ، وهُو تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ، ولَمْ يَخْرُجُوا بِهِ عَنِ الشِّرْكِ.اهـ

وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ في "الكافية الشافية" رَحِمَهُ اللهُ:

وعبـادة الـرحمن غايـة حبـه	مـع ذل عابـده همـا قطبـان
وعليهمـا فلـك العبـادة دائـر	ما دار حتى قامت القطبـان
ومـداره بـالأمر أمـر رسـوله	لا بالهوى والنفس والشـيطان

٣ فلاح العبد وإرضاؤه لربه بتحقيقه العبادة لله، والتوكل عليه.

وقَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في "مدارج السالكين" (١/ ١٢٠-١٢١):

وبَنَى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] عَلَى أَرْبَعِ قَواعِدَ: التَّحَقُّقُ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسُولُهُ ويَرْضَاهُ، مِنْ قَولِ اللِّسَانِ والْقَلْبِ، وعَمَلِ الْقَلْبِ والْجَوارِحِ.

فَالعُبُودِيَّةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ، فَأَصْحَابُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حَقًّا هُمْ أَصْحَابُهَا.

فَقَولُ الْقَلْبِ: هُو اعْتِقَادُ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وعَنْ أَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ وأَفْعَالِهِ ومَلَائِكَتِهِ ولِقَائِهِ عَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ.

وقَولُ اللِّسَانِ: الْإِخْبَارُ عَنْهُ بِذَلِكَ، والدَّعْوةُ إِلَيْهِ، والذَّبُّ عَنْهُ، وتَبْيِينُ بُطْلَانِ الْبِدَعِ الْمُخَالِفَةِ لَهُ، والْقِيَامُ بِذِكْرِهِ، وتَبْلِيغُ أَوامِرِهِ.

وعَمَلُ الْقَلْبِ: كَالْمَحَبَّةِ لَهُ، والتَّوكُّلِ عَلَيْهِ، والْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، والْخَوفِ مِنْهُ والرَّجَاءِ لَهُ، وإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، والصَّبْرِ عَلَى أَوامِرِهِ، وعَنْ نَواهِيهِ، وعَلَى أَقْدَارِهِ، والرِّضَى بِهِ وعَنْهُ، والْمُوالَاةِ فِيهِ، والْمُعَادَاةِ فِيهِ، والذُّلِّ لَهُ والْخُضُوعِ، والْإِخْبَاتِ إِلَيْهِ، والطُّمَأْنِينَةِ

بِهِ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الَّتِي فَرْضُهَا أَفْرَضُ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوارِحِ، ومُسْتَحِبُّهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُسْتَحِبِّهَا، وعَمَلُ الْجَوارِحِ بِدُونِهَا إِمَّا عَدِيمُ الْمَنْفَعَةِ أَو قَلِيلُ الْمَنْفَعَةِ.

وأَعْمَالُ الْجَوارِحِ: كَالْصَّلَاةِ والْجِهَادِ، ونَقْلِ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمْعَةِ والْجَمَاعَاتِ، ومُسَاعَدَةِ الْعَاجِزِ، والْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ ونَحْوِ ذَلِكَ.

فَـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الْتِزَامٌ لِأَحْكَامِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، وإِقْرَارٌ بِهَا، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ طَلَبٌ لِلْإِعَانَةِ عَلَيْهَا والتَّوفِيقِ لَهَا، و﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ مُتَضَمِّنٌ لِلتَّعْرِيفِ بِالْأَمْرَيْنِ عَلَى التَّفْصِيلِ، وإِلْهَامِ الْقِيَامِ بِهِمَا، وسُلُوكِ طَرِيقِ السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ بِهَا.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٠/ ١٨):

فَإِنَّ الْمُتَوكِّلَ يَتَوكَّلُ عَلَى اللَّهِ فِي صَلَاحِ قَلْبِهِ ودِينِهِ، وحِفْظِ لِسَانِهِ وإِرَادَتِهِ، وهَذَا أَهَمُّ الْأُمُورِ إِلَيْهِ، ولِهَذَا يُنَاجِي رَبَّهُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ بِقَولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، كَمَا فِي قَوله تَعَالَى ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]، وقَولُهُ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، وقَولُهُ: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

فَهُو قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْعِبَادَةِ والتَّوكُّلِ فِي عِدَّةِ مَواضِعَ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ يَجْمَعَانِ الدِّينَ كُلَّهُ؛ ولِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ: إِنَّ اللَّهَ جَمَعَ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ فِي الْقُرْآنِ، وجَمَعَ عِلْمَ الْقُرْآنِ فِي الْمُفَصَّلِ، وجَمَعَ عِلْمَ الْمُفَصَّلِ، فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وجَمَعَ عِلْمَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي قَولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

وهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ هُمَا الْجَامِعَتَانِ اللَّتَانِ لِلرَّبِّ والْعَبْدِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «**يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ: نِصْفُهَا لِي ونِصْفُهَا لِعَبْدِي ولِعَبْدِي مَا سَأَلَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ اللَّهُ حَمِدَنِي عَبْدِي يَقُولُ الْعَبْدُ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ يَقُولُ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِكِ يَوم الدِّينِ يَقُولُ اللَّهُ مَجَّدَنِي عَبْدِي يَقُولُ الْعَبْدُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يَقُولُ اللَّهُ فَهَذِهِ**

الْآيَةُ بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ولِعَبْدِي مَا سَأَلَ يَقُولُ الْعَبْدُ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْت عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضَّالِّينَ يَقُولُ اللَّهُ فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي ولِعَبْدِي مَا سَأَلَ»(١) فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ لَهُ نِصْفُ الثَّنَاءِ والْخَيْرِ، والْعَبْدُ لَهُ نِصْفُ الدُّعَاءِ والطَّلَبِ وهَاتَانِ جَامِعَتَانِ مَا لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ ومَا لِلْعَبْدِ فَإِيَّاكَ نَعْبُدُ لِلرَّبِّ، وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لِلْعَبْدِ.

وفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْت رَدِيفًا لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ: **«يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»** قُلْت: اللَّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: **«حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» قُلْت اللَّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «حَقُّهُمْ عَلَيْهِ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ»**(٢).

والْعِبَادَةُ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ لَهَا الْعِبَادَ مِنْ جِهَةِ أَمْرِ اللَّهِ ومَحَبَّتِهِ ورِضَاهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وبِهَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ وأَنْزَلَ الْكُتُبَ وهِيَ اسْمٌ يَجْمَعُ كَمَالَ الْحُبِّ لِلَّهِ ونِهَايَتَهُ وكَمَالَ الذُّلِّ لِلَّهِ ونِهَايَتَهُ فَالْحُبُّ الْخَلِيُّ عَنْ ذُلٍّ، والذُّلُّ الْخَلِيُّ عَنْ حُبٍّ لَا يَكُونُ عِبَادَةً، وإِنَّمَا الْعِبَادَةُ مَا يَجْمَعَ كَمَالَ الْأَمْرَيْنِ، ولِهَذَا كَانَتْ الْعِبَادَةُ لَا تَصْلُحُ إلَّا لِلَّهِ، وهِيَ وإِنْ كَانَتْ مَنْفَعَتُهَا لِلْعَبْدِ، واَللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ فَهِيَ لَهُ مِنْ جِهَةِ مَحَبَّتِهِ لَهَا ورِضَاهُ بِهَا، ولِهَذَا كَانَ اللَّهُ أَشَدَّ فَرَحًا بِتوبَةِ الْعَبْدِ مِنْ الْفَاقِدِ لِرَاحِلَتِهِ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ إذَا نَامَ آيِسًا مِنْهَا ثُمَّ اسْتَيْقَظَ فَوجَدَهَا فَاَللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ.اهـ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٩٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠).

٤ لا تقبل العبادة لله عز وجل إلا بشرطين.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في «**مدارج السالكين**» (١/ ١٠٤):

إِذَا عُرِفَ هَذَا فَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُتَحَقِّقًا بِـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إِلَّا بِأَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ:

أَحدُهُمَا: مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ. **والثَّانِي**: الْإِخْلَاصُ لِلْمَعْبُودِ، فَهَذَا تَحْقِيقُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾». اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «**مَجْمُوعِ الفَتَاوى**» (١٠/ ٢٣٥):

وجِمَاعُ الدِّينِ أَصْلانِ؛ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ولَا نَعْبُدَهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ لَا نَعْبُدُهُ بِالْبِدَعِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف:١١٠]. وذَلِكَ تَحْقِيقُ الشَّهَادَتَيْنِ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَفِي **الْأُولَى**: أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ، **وفِي الثَّانِيَةِ**: أَنَّ مُحَمَّدًا هُو رَسُولُهُ الْمُبَلِّغُ عَنْهُ. فَعَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَ خَبَرَهُ ونُطِيعَ أَمْرَهُ وقَدْ بَيَّنَ لَنَا مَا نَعْبُدُ اللَّهَ بِهِ ونَهَانَا عَنْ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ وأَخْبَرَ أَنَّهَا ضَلَالَةٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١٢﴾ [البقرة:١١٢].

كَمَا أَنَّا مَأْمُورُونَ أَلَّا نَخَافَ إِلَّا اللَّهَ ولَا نَتوكَّلَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، ولَا نَرْغَبَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ولَا نَسْتَعِينَ إِلَّا بِاَللَّهِ وأَلَّا تَكُونَ عِبَادَتُنَا إِلَّا لِلَّهِ فَكَذَلِكَ نَحْنُ مَأْمُورُونَ أَنْ نَتَّبِعَ الرَّسُولَ ونُطِيعَهُ ونَتَأَسَّى بِهِ؛ فَالْحَلَالُ مَا حَلَّلَهُ والْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ والدِّينُ مَا شَرَعَهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ [التوبة:٥٩]، فَجَعَلَ الْإِيتَاءَ لِلَّهِ والرَّسُولِ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وجَعَلَ التَّوكُّلَ عَلَى اللَّهِ وحْدَهُ بِقَولِهِ: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٥٩]، ولَمْ يَقُلْ ورَسُولُهُ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ

ﭐلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٣]، ومِثْلُهُ قَولُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال:٦٤]، أَيْ حَسْبُكَ وحَسْبُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾ [الزمر:٣٦]. ثُمَّ قَالَ: ﴿سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ [التوبة:٥٩]، فَجَعَلَ الْإِيتَاءَ لِلَّهِ والرَّسُولِ وقَدَّمَ ذِكْرَ الْفَضْلِ؛ لِأَنَّ الْفَضلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واَللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمُ، ولَهُ الْفَضْلُ عَلَى رَسُولِهِ، وعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وقَالَ: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:٥٩]، فَجَعَلَ الرَّغْبَةَ إِلَى اللَّهِ وحْدَهُ كَمَا فِي قَولِهِ: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ ﴾ [الشرح:٧]، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح:٨].

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ**»[1]. والْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي غَيْرِ مَوضِعٍ. فَجَعَلَ الْعِبَادَةَ والْخَشْيَةَ والتَّقْوى لِلَّهِ وجَعَلَ الطَّاعَةَ والْمَحَبَّةَ لِلَّهِ ورَسُولِهِ كَمَا فِي قَولِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾ [نوح:٣]، وقَولِهِ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور:٥٢]، وأَمْثَالِ ذَلِكَ.

فَالرُّسُلُ أُمِرُوا بِعِبَادَتِهِ وحْدَهُ والرَّغْبَةِ إِلَيْهِ والتَّوكُّلِ عَلَيْهِ والطَّاعَةِ لَهُمْ. فَأَضَلَّ الشَّيْطَانُ النَّصَارَى وأَشْبَاهَهُمْ فَأَشْرَكُوا بِاَللَّهِ وعَصَوا الرَّسُولَ فـ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة:٣١]، فَجَعَلُوا يَرْغَبُونَ إِلَيْهِمْ ويَتَوكَّلُونَ عَلَيْهِمْ ويَسْأَلُونَهُمْ مَعَ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَمْرِهِمْ ومُخَالَفَاتِهِمْ لِسُنَّتِهِمْ وهَدَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ أَهْلَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ واتَّبَعُوهُ فَلَمْ يَكُونُوا مِنْ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضَّالِّينَ فَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ، وأَسْلَمُوا وجُوهَهُمْ لِلَّهِ، وأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ وأَحَبُّوهُ، ورَجَوهُ وخَافُوهُ وسَأَلُوهُ، ورَغِبُوا إِلَيْهِ، وفَوضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، وتَوكَّلُوا عَلَيْهِ وأَطَاعُوا رُسُلَهُ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)، وغيرهما، وهو حديث حسن.

وعَزَّرُوهُمْ ووقَّرُوهُمْ وأَحَبُّوهُمْ ووالَوهُمْ واتَّبَعُوهُمْ واقْتَفَوا آثَارَهُمْ واهْتَدَوا بِمَنَارِهِمْ.

وذَلِكَ هُو دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الْأَولِينَ والآخرين مِنْ الرُّسُلِ، وهُو الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا إِلَّا إِيَّاهُ، وهُو حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَيْهِ ويُكْمِلَهُ لَنَا ويُمِيتَنَا عَلَيْهِ وسَائِرَ إِخْوانِنَا الْمُسْلِمِينَ، والْحَمْدُ لِلَّهِ وحْدَهُ، وصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.اهـ

٥ أقسام الناس من حيث الإخلاص والمتابعة:

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّمِ رحمه الله **في «مدارج السالكين» (١/ ١٠٤):**

والنَّاسُ مُنْقَسِمُونَ بِحَسَبِ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ أَيْضًا إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: أَهْلُ الْإِخْلَاصِ لِلْمَعْبُودِ والْمُتَابَعَةِ، وهُمْ أَهْلُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، حَقِيقَةً، فَأَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا لِلَّهِ، وأَقْوالُهُمْ لِلَّهِ، وعَطَاؤُهُمْ لِلَّهِ، ومَنْعُهُمْ لِلَّهِ، وحُبُّهُمْ لِلَّهِ، وبُغْضُهُمْ لِلَّهِ، فَمُعَامَلَتُهُمْ ظَاهِرًا وبَاطِنًا لِوجْهِ اللَّهِ وحْدَهُ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ مِنَ النَّاسِ جَزَاءً ولَا شُكُورًا، ولَا ابْتِغَاءَ الْجَاهِ عِنْدَهُمْ، ولَا طَلَبَ الْمُحَمَّدَةِ، والْمُنْزِلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، ولَا هَرَبًا مِنْ ذَمِّهِمْ، بَلْ قَدْ عَدُّوا النَّاسَ بِمَنْزِلَةِ أَصْحَابِ الْقُبُورِ، لَا يَمْلِكُونَ لَهُمْ ضُرًّا ولَا نَفْعًا، ولَا مَوتًا ولَا حَيَاةً ولَا نُشُورًا، فَالْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ، وابْتِغَاءُ الْجَاهِ والْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُمْ، ورَجَاؤُهُمْ لِلضُّرِّ والنَّفْعِ مِنْهُمْ لَا يَكُونُ مِنْ عَارِفٍ بِهِمُ الْبَتَّةَ، بَلْ مِنْ جَاهِلٍ بِشَأْنِهِمْ، وجَاهِلٍ بِرَبِّهِ، فَمَنْ عَرَفَ النَّاسَ أَنْزَلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ، ومَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَخْلَصَ لَهُ أَعْمَالَهُ وأَقْوالَهُ، وعَطَاءَهُ ومَنْعَهُ وحُبَّهُ وبُغْضَهُ، ولَا يُعَامِلُ أَحَدَ الْخَلْقِ دُونَ اللَّهِ إِلَّا لِجَهْلِهِ بِاللَّهِ وجَهْلِهِ بِالْخَلْقِ، وإِلَّا فَإِذَا عَرَفَ اللَّهَ وعَرَفَ النَّاسَ آثَرَ مُعَامَلَةَ اللَّهِ عَلَى مُعَامَلَتِهِمْ.

وكَذَلِكَ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا وعِبادَتُهمْ مُوافَقَةٌ لِأَمْرِ اللَّهِ، ولِمَا يُحِبُّهُ ويَرْضَاه، وهَذَا هُو الْعَمَلُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ عَامِلٍ سِواهُ، وهُو الَّذِي بَلَا عِبادَهُ بِالْمَوتِ والْحَيَاةِ لِأَجْلِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعالَى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، وجَعَلَ مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَخْتَبِرَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ: **الْعَمَلُ الْحَسَنُ هُو أَخْلَصُهُ وأَصْوبُهُ**، قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا أَخْلَصُهُ وأَصْوبُهُ؟

قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا ولَمْ يَكُنْ صَوابًا لَمْ يُقْبَلْ، وإِذَا كَانَ صَوابًا، ولَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوابًا، **والْخَالِصُ:** مَا كَانَ لِلَّهِ، **والصَّوابُ:** مَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ، وهَذَا هُو الْمَذْكُورُ فِي قَولِهِ تَعَالَى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠]، وفِي قَولِهِ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥]، فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لِوجْهِهِ، عَلَى مُتَابَعَةِ أَمْرِهِ، ومَا عَدَا ذَلِكَ فَهُو مَرْدُودٌ عَلَى عَامِلِهِ، يُرَدُّ عَلَيْهِ أَحْوجَ مَا هُو إِلَيْهِ هَبَاءً مَنْثُورًا.

وفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهو رَدٌّ**»(١) وكُلُّ عَمَلٍ بِلَا اقْتِدَاءٍ فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ عَامِلَهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعالَى إِنَّمَا يُعْبَدُ بِأَمْرِهِ، لَا بِالْآرَاءِ والْأَهْواءِ.

الضَّرْبُ الثَّانِي: مَنْ لَا إِخْلَاصَ لَهُ ولَا مُتَابَعَةَ، فَلَيْسَ عَمَلُهُ مُوافِقًا لِشَرْعٍ، ولَيْسَ هُو خَالِصًا لِلْمَعْبُودِ، كَأَعْمَالِ الْمُتَزَيِّنِينَ لِلنَّاسِ، الْمُرَائِينَ لَهُمْ بِمَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللَّهُ ورَسُولُهُ، وهَؤُلَاءِ شِرَارُ الْخَلْقِ، وأَمْقَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، ولَهُمْ أَوفَرُ نَصِيبٍ مِنْ قَولِهِ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨]، يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا مِنَ الْبِدْعَةِ والضَّلَالَةِ والشِّرْكِ، ويُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ والْإِخْلَاصِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وهَذَا الضَّرْبُ يَكْثُرُ فِيمَنِ انْحَرَفَ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْعِلْمِ والْفَقْرِ والْعِبَادَةِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَإِنَّهُمْ يَرْتَكِبُونَ الْبِدَعَ والضَّلَالَاتِ، والرِّيَاءَ والسُّمْعَةَ ويُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوهُ مِنَ الِاتِّبَاعِ والْإِخْلَاصِ والْعِلْمِ، فَهُمْ أَهْلُ الْغَضَبِ والضَّلَالِ.

الضَّرْبُ الثَّالِثُ: مَنْ هُو مُخْلِصٌ فِي أَعْمَالِهِ، لَكِنَّهَا عَلَى غَيْرِ مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ، كَجُهَّالِ الْعُبَّادِ، والْمُنْتَسِبِينَ إِلَى طَرِيقِ الزُّهْدِ والْفَقْرِ، وكُلِّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِغَيْرِ أَمْرِهِ، واعْتَقَدَ عِبَادَتَهُ هَذِهِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ فَهَذَا حَالُهُ، كَمَنْ يَظُنُّ أَنَّ سَمَاعَ الْمُكَاءِ والتَّصْدِيَةِ قُرْبَةٌ، وأَنَّ الْخَلْوَةَ الَّتِي يَتْرُكُ فِيهَا الْجُمْعَةَ والْجَمَاعَةَ قُرْبَةٌ، وأَنَّ مُواصَلَةَ صَومِ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ قُرْبَةٌ، وأَنَّ صِيَامَ يَومِ فِطْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ قُرْبَةٌ، وأَمْثَالِ ذَلِكَ.

الضَّرْبُ الرَّابِعُ: مَنْ أَعْمَالُهُ عَلَى مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ، لَكِنَّهَا لِغَيْرِ اللَّهِ، كَطَاعَةِ الْمُرَائِينَ، وكَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ رِيَاءً وحَمِيَّةً وشَجَاعَةً، ويَحُجُّ لِيُقَالَ، ويَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ، فَهَؤُلَاءِ أَعْمَالُهُمْ ظَاهِرُهَا أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ مَأْمُورٌ بِهَا، لَكِنَّهَا غَيْرُ صَالِحَةٍ، فَلَا تُقْبَلُ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، فَكُلُّ أَحَدٍ لَمْ يُؤْمَرْ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ بِمَا أَمَرَ، والْإِخْلَاصِ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وهُمْ أَهْلُ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ .اهـ

٦ بيان طريقة أهل السنة والجماعة في المقصود من العبادة وحكمتها ومنفعتها.

وقَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّم رحمه الله في **«مدارج السالكين»** (١/ ١١١):

ثُمَّ لِلنَّاسِ فِي مَنْفَعَةِ الْعِبَادَةِ وحِكْمَتِهَا ومَقْصُودِهَا طُرُقٌ أَرْبَعَةٌ، وهُمْ فِي ذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ:

الصِّنْفُ الأَولُ: نُفَاةُ الْحِكْمِ والتَّعْلِيلِ، الَّذِينَ يَرُدُّونَ الْأَمْرَ إِلَى مَحْضِ الْمَشِيئَةِ، وصِرْفِ الْإِرَادَةِ، فَهَؤُلَاءِ عِنْدَهُمُ الْقِيَامُ بِهَا لَيْسَ إِلَّا لِمُجَرَّدِ الْأَمْرِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ سَبَبًا لِسَعَادَةٍ فِي مَعَاشٍ ولَا مَعَادٍ، ولَا سَبَبًا لِنَجَاةٍ، وإِنَّمَا الْقِيَامُ بِهَا لِمُجَرَّدِ الْأَمْرِ ومَحْضِ الْمَشِيئَةِ.

كَمَا **قَالُوا فِي الْخَلْقِ**: إِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ مَا خلقَهُ لِعِلَّةٍ، ولَا لِغَايَةٍ هِيَ الْمَقْصُودَةُ بِهِ، ولَا لِحِكْمَةٍ تَعُودُ إِلَيْهِ مِنْهُ، ولَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ أَسْبَابٌ مُقْتَضِيَاتٌ لِمُسَبَّبَاتِهَا، ولَا فِيهَا قُوى ولَا طَبَائِعُ، فَلَيْسَتِ النَّارُ سَبَبًا لِلْإِحْرَاقِ، ولَا الْمَاءُ سَبَبًا لِلْإِرْواءِ والَبْرِيدِ وإِخْرَاجِ النَّبَاتِ، ولَا فِيهِ قُوةٌ ولَا طَبِيعَةٌ تَقْتَضِي ذَلِكَ، وحُصُولُ الْإِحْرَاقِ والرِّيِّ لَيْسَ بِهِمَا، لَكِنْ بِإِجْرَاءِ الْعَادَةِ الْاقْتِرَانِيَّةِ عَلَى حُصُولِ هَذَا عِنْدَ هَذَا لَا بِسَبَبٍ ولَا بِقُوةٍ قَامَتْ بِهِ، وهَكَذَا الْأَمْرُ عِنْدَهُمْ فِي أَمْرِهِ الشَّرْعِيِّ سَواءٌ، لَا فَرْقَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَيْنَ الْمَأْمُورِ والْمَحْظُورِ، ولَكِنَّ الْمَشِيئَةَ اقْتَضَتْ أَمْرَهُ بِهَذَا ونَهْيَهُ عَنْ هَذَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقُومَ بِالْمَأْمُورِ بِهِ صِفَةٌ اقْتَضَتْ حُسْنَهُ، ولَا الْمَنْهِيِّ عَنْهُ صِفَةٌ اقْتَضَتْ قُبْحَهُ.

ولِهَذَا الْأَصْلِ لَوازِمُ وفُرُوعٌ كَثِيرَةٌ فَاسِدَةٌ، وقَدْ ذَكَرْنَاهَا فِي كِتَابِنَا الْكَبِيرِ الْمُسَمَّى "**مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ ومَطْلَبُ أَهْلِ الْعِلْمِ والإِرَادَةِ**" وبَيَّنَّا فَسَادَ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ نَحْو سِتِّينَ وجْهًا، وهُو كِتَابٌ بَدِيعٌ فِي مَعْنَاهُ، وذَكَرْنَاهُ أَيْضًا فِي كِتَابِنَا الْمُسَمَّى "**سَفَرُ الْهِجْرَتَيْنِ وطَرِيقُ السَّعَادَتَيْنِ**".

الصِّنْفُ الثَّانِي: الْقَدَرِيَّةُ النُّفَاةُ، الَّذِينَ يُثْبِتُونَ نَوعًا مِنَ الْحِكْمَةِ والتَّعْلِيلِ ولَكِنْ لَا يَقُومُ بِالرَّبِّ، ولَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ، بَلْ يَرْجِعُ إِلَى مُجَرَّدِ مَصْلَحَةِ الْمَخْلُوقِ ومَنْفَعَتِهِ.

فَعِنْدَهُمْ: أَنَّ الْعِبَادَاتِ شُرِعَتْ أَثْمَانًا لِمَا يَنَالُهُ الْعِبادُ مِنَ الثَّوابِ والنَّعِيمِ، وأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ اسْتِيفَاءِ أُجْرَةِ الْأَجِيرِ.

قَالُوا: ولِهَذَا يَجْعَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى عِوضًا كَقَولِهِ ﴿**وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ٤٣﴾ [الأعراف:٤٣]، وقَولِهِ ﴿**ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ٣٢﴾ [النحل:٣٢]، وقَولِهِ ﴿**هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ٩٠﴾ [النمل:٩٠]، وقَولِهِ ﷺ فِيمَا يَحكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ: «**يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوفِّيكُمْ إِيَّاهَا**»[1] وقَولِهِ تَعَالَى ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ** ١٠﴾ [الزمر:١٠].

---

(١)أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

قَالُوا: وقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَزَاءً وأَجْرًا وثَوابًا، لِأَنَّهُ يَثُوبُ إِلَى الْعَامِلِ مِنْ عَمَلِهِ، أَيْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْهُ.

قَالُوا: ولَولَا ارْتِبَاطُهُ بِالْعَمَلِ لَمْ يَكُنْ لِتَسْمِيَتِهِ جَزَاءً ولَا أَجْرًا ولَا ثَوابًا مَعْنًى.

قَالُوا: ويَدُلُّ عَلَيْهِ الْوزْنُ، فَلَولَا تَعَلُّقُ الثَّوابِ والْعِقَابِ بِالْأَعْمَالِ واقْتِضَاؤُهَا لَهَا، وكَونُهَا كَالْأَثْمَانِ لَهَا لَمْ يَكُنْ لِلْوزْنِ مَعْنًى، وقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[الأعراف: ٨ – ٩] .

وهَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ أَشَدَّ التَّقَابُلِ، وبَيْنَهُمَا أَعْظَمُ التَّبَايُنِ.

فَالْجَبْرِيَّةُ لَمْ تَجْعَلْ لِلْأَعْمَالِ اِرْتِبَاطًا بِالْجَزَاءِ الْبَتَّةَ، وجَوزَتْ أَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ مَنْ أَفْنَى عُمْرَهُ فِي طَاعَتِهِ، ويُنَعِّمَ مَنْ أَفْنَى عُمْرَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ، وكِلَاهُمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَواءٌ، وجَوزَتْ أَنْ يَرْفَعَ صَاحِبَ الْعَمَلِ الْقَلِيلِ عَلَى مَنْ هُو أَعْظَمُ مِنْهُ عَمَلًا، وأَكْثَرُ وأَفْضَلُ دَرَجَاتٍ، والْكُلُّ عِنْدَهُمْ رَاجِعٌ إِلَى مَحْضِ الْمَشِيئَةِ، مِنْ غَيْرِ تَعْلِيلٍ ولَا سَبَبٍ، ولَا حِكْمَةٍ تَقْتَضِي تَخْصِيصَ هَذَا بِالْثَوابِ، وهَذَا بِالْعِقَابِ.

والْقَدَرِيَّةُ أَوجَبَتْ عَلَى اللَّهِ رِعَايَةَ الْأَصْلَحِ، وجَعَلَتْ ذَلِكَ كُلَّهُ بِمَحْضِ الْأَعْمَالِ وثَمَنًا لَهَا، وأَنَّ وصُولَ الثَّوابِ إِلَى الْعَبْدِ بِدُونِ عَمَلِهِ فِيهِ تَنْغِيصٌ بِاحْتِمَالِ مِنَّةِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِ بِلَا ثَمَنٍ.

فَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ، مَا أَجْهَلَهُمْ بِاللَّهِ وأَغَرَّهُمْ بِهِ! جَعَلُوا تَفَضُّلَهُ وإِحْسَانَهُ إِلَى عَبْدِهِ بِمَنْزِلَةِ صَدَقَةِ الْعَبْدِ عَلَى الْعَبْدِ، حَتَّى قَالُوا: إِنَّ إِعْطَاءَهُ مَا يُعْطِيهِ أُجْرَةً عَلَى عَمَلِهِ أَحَبُّ إِلَى الْعَبْدِ وأَطْيَبُ لَهُ مِنْ أَنْ يُعْطِيَهُ فَضْلًا مِنْهُ بِلَا عَمَلٍ.

فَقَابَلَتْهُمُ الْجَبْرِيَّةُ أَشَدَّ الْمُقَابَلَةِ، ولَمْ يَجْعَلُوا لِلْأَعْمَالِ تَأْثِيرًا فِي الْجَزَاءِ الْبَتَّةَ.

والطَّائِفَتَانِ جَائِرَتَانِ، مُنْحَرِفَتَانِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ، وجَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، ونَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، وهُو أَنَّ الْأَعْمَالَ أَسْبَابٌ مُوصِّلَةٌ إِلَى الثَّوابِ والْعِقَابِ، مُقْتَضِيَةٌ لَهُمَا كَاقْتِضَاءِ سَائِرِ الْأَسْبَابِ لِمُسَبَّبَاتِهَا، وأَنَّ الْأَعْمَالَ

الصَّالِحَةَ مِنْ تَوفِيقِ اللَّهِ وفَضْلِهِ ومَنِّهِ، وصَدَقَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ، إِنْ أَعَانَهُ عَلَيْهَا ووفَّقَهُ لَهَا، وخَلَقَ فِيهِ إِرَادَتَهَا والْقُدْرَةَ عَلَيْهَا، وحَبَّبَهَا إِلَيْهِ، وزَيَّنَهَا فِي قَلْبِهِ وكَرَّهَ إِلَيْهِ أَضْدَادُهَا، ومَعَ هَذَا فَلَيْسَتْ ثَمَنًا لِجَزَائِهِ وثَوابِهِ، ولَا هِيَ عَلَى قَدْرِهِ، بَلْ غَايَتُهَا إِذَا بَذَلَ الْعَبْدُ فِيهَا نُصْحَهُ وجُهْدَهُ، وأَوقَعَهَا عَلَى أَكْمَلِ الْوجُوهِ أَنْ تَقَعَ شُكْرًا لَهُ عَلَى بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَيْهِ، فَلَو طَالَبَهُ بِحَقِّهِ لَبَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ بَقِيَّةٌ لَمْ يَقُمْ بِشُكْرِهَا، فَلِذَلِكَ «**لَو عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاواتِهِ وأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وهُو غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، ولَو رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ**» كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[(١)]، **ولِهَذَا نَفَى النَّبِيُّ ﷺ دُخُولَ الْجَنَّةِ بِالْعَمَلِ**، كَمَا قَالَ «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمُ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ**» **وفِي لَفْظٍ**: «**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**» وفِي لَفْظٍ: «**لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا: ولَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ولَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وفَضْلٍ**»[(٢)].

وأَثْبَتَ سُبْحَانَهُ دُخُولَ الْجَنَّةِ بِالْعَمَلِ، كَمَا فِي قَولِهِ ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل:٣٢]، ولَا تَنَافِي بَيْنَهُمَا، **إِذْ تَوارُدُ النَّفْيِ والْإِثْبَاتِ لَيْسَ عَلَى مَعْنًى واحِدٍ**، فَالْمَنْفِيُّ اسْتِحْقَاقُهَا بِمُجَرَّدِ الْأَعْمَالِ، وكَونِ الْأَعْمَالِ ثَمَنًا وعِوضًا لَهَا، رَدًّا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ الْمَجُوسِيَّةِ، الَّتِي زَعَمَتْ أَنَّ التَفَضُّلَ بِالثَّوابِ ابْتِدَاءً مُتَضَمِّنٌ لِتَكْرِيرِ الْمِنَّةِ.

وهَذِهِ الطَّائِفَةُ مِنْ أَجْهَلِ الْخَلْقِ بِاللَّهِ، وأَغْلَظِهِمْ عَنْهُ حِجَابًا، وحُقَّ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ويَكْفِي فِي جَهْلِهِمْ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ أَهْلَ سَمَاواتِهِ وأَرْضِهِ فِي مِنَّتِهِ، وأَنَّ مِنْ تَمَامِ الْفَرَحِ والسُّرُورِ، والْغِبْطَةِ واللَّذَّةِ اغْتِبَاطُهُمْ بِمِنَّةِ سَيِّدِهِمْ ومَولَاهُمُ الْحَقِّ، وأَنَّهُمْ إِنَّمَا طَابَ لَهُمْ عَيْشُهُمْ بِهَذِهِ الْمِنَّةِ، وأَعْظَمُهُمْ مِنْهُ

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مَنْزِلَةً، وأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ أَعْرَفُهُمْ بِهَذِهِ الْمِنَّةِ، وأَعْظَمُهُمْ إِقْرَارًا بِهَا، وذِكْرًا لَهَا، وشُكْرًا عَلَيْهَا، ومَحَبَّةً لَهُ لِأَجْلِهَا، فَهَلْ يَتَقَلَّبُ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا فِي مِنَّتِهِ؟ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

واحْتِمَالُ مِنَّةِ الْمَخْلُوقِ إِنَّمَا كَانَتْ نَقْصًا لِأَنَّهُ نَظِيرُهُ، فَإِذَا مَنَّ عَلَيْهِ اسْتَعْلَى عَلَيْهِ، ورَأَى الْمَمْنُونُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ دُونَهُ، هَذَا مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي كُلِّ مَخْلُوقٍ، فَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمِنَّةُ عَلَى أُمَّتِهِ، وكَانَ أَصْحَابُهُ يَقُولُونَ: «اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمَنُّ» ولَا نَقْصَ فِي مِنَّةِ الْوالِدِ عَلَى ولَدِهِ، ولَا عَارَ عَلَيْهِ فِي احْتِمَالِهَا، وكَذَلِكَ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ، فَكَيْفَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ الْخَلَائِقُ فِي بَحْرِ مِنَّتِهِ عَلَيْهِمْ، ومَحْضِ صَدَقَتِهِ عَلَيْهِمْ، بِلَا عِوضٍ مِنْهُمُ الْبَتَّةَ؟ وإِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ أَسْبَابًا لِمَا يَنَالُونَهُ مِنْ كَرَمِهِ وجُودِهِ، فَهُو الْمَنَّانُ عَلَيْهِمْ، بِأَنْ وفَّقَهُمْ لِتِلْكَ الْأَسْبَابِ وهَدَاهُمْ لَهَا، وأَعَانَهُمْ عَلَيْهَا، وكَمَّلَهَا لَهُمْ، وقَبِلَهَا مِنْهُمْ عَلَى مَا فِيهَا؟ وهَذَا هُو الْمَعْنَى الَّذِي أَثْبَتَ بِهِ دُخُولَ الْجَنَّةِ فِي قَولِهِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف:٤٣].

فَهَذِهِ بَاءُ السَّبَبِيَّةِ، رَدًّا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ والْجَبْرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا ارْتِبَاطَ بَيْنَ الْأَعْمَالِ والْجَزَاءِ، ولَا هِيَ أَسْبَابٌ لَهُ، وإِنَّمَا غَايَتُهَا أَنْ تَكُونَ أَمَارَاتٍ.

قَالُوا: ولَيْسَتْ أَيْضًا مُطَّرِدَةً، لِتَخَلُّفِ الْجَزَاءِ عَنْهَا فِي الْخَيْرِ والشَّرِّ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَحْضُ الْأَمْرِ الْكَونِيِّ والْمَشِيئَةِ.

فَالنُّصُوصُ مُبْطِلَةٌ لِقَولِ هَؤُلَاءِ، كَمَا هِيَ مُبْطِلَةٌ لِقَولِ أُولَئِكَ، وأَدِلَّةُ الْمَعْقُولِ والْفِطْرَةِ أَيْضًا تُبْطِلُ قَولَ الْفَرِيقَيْنِ، وتُبَيِّنُ لِمَنْ لَهُ قَلْبٌ ولُبٌّ مِقْدَارَ قَولِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وهُمُ الْفِرْقَةُ الْوسَطُ، الْمُثْبِتُونَ لِعُمُومِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وقُدْرَتِهِ، وخَلْقِهِ الْعِبَادَ وأَعْمَالَهُمْ، ولِحِكْمَتِهِ التَّامَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ رَبْطَ الْأَسْبَابِ بِمُسَبَّبَاتِهَا، وانْعِقَادَهَا بِهَا شَرْعًا وقَدَرًا، وتَرْتِيبِهَا عَلَيْهَا عَاجِلًا وآجِلًا.

وكُلُّ واحِدَةٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ الْمُنْحرِفتَيْنِ تَرَكَتْ نوعًا مِنَ الْحَقِّ، وارْتَكَبَتْ لِأَجْلِهِ نَوعًا مِنَ الْبَاطِلِ، بَلْ أَنْواعًا، وهَدَى اللَّهُ أَهْلَ السُّنَّةِ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة:٢١٣]، و ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

الصِّنْفُ الثَّالِثُ: الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ فَائِدَةَ الْعِبَادَةِ رِيَاضَةُ النُّفُوسِ، واسْتِعْدَادُهَا لِفَيْضِ الْعُلُومِ عَلَيْهَا، وخُرُوجِ قُواهَا عَنْ قُوى النُّفُوسِ السَّبُعِيَّةِ والْبَهِيمِيَّةِ، فَلَو عُطِّلَتْ عَنِ الْعِبَادَاتِ لَكَانَتْ مِنْ جِنْسِ نُفُوسِ السِّبَاعِ والْبَهَائِمِ، والْعِبَادَاتُ تُخْرِجُهَا عَنْ مَأْلُوفَاتِهَا وعَوائِدِهَا، وتَنْقِلُهَا إِلَى مُشَابَهَةِ الْعُقُولِ الْمُجَرَّدَةِ، فَتَصِيرُ عَالِمَةً قَابِلَةً لِانْتِقَاشِ صُورِ الْعُلُومِ والْمَعَارِفِ فِيهَا.

وهَذَا يَقُولُهُ طَائِفَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: مَنْ يَقْرُبُ إِلَى النُّبُواتِ والشَّرَائِعِ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ، وعَدَمِ انْشِقَاقِ الْأَفْلَاكِ، وعَدَمِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ.

الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ: مَنْ تَفَلْسَفَتْ مِنْ صُوفِيَّةِ الْإِسْلَامِ، وتَقَرَّبَ إِلَى الْفَلَاسِفَةِ، فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعِبَادَاتِ رِيَاضَاتٌ لِاسْتِعْدَادِ النُّفُوسِ وتَجَرُّدِهَا، ومُفَارَقَتِهَا الْعَالَمَ الْحِسِّيَّ، ونُزُولِ الْوارِدَاتِ والْمَعَارِفِ عَلَيْهَا.

ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ لَا يُوجِبُ الْعِبَادَاتِ إِلَّا لِهَذَا الْمَعْنَى، فَإِذَا حَصَلَ لَهَا بَقِيَ مُخَيَّرًا فِي حِفْظِهِ أَو رَدِّهِ، أَو الِاشْتِغَالِ بِالْوارِدِ عَنْهَا، ومِنْهُمْ مَنْ يُوجِبُ الْقِيَامَ بِالْأَورَادِ والْوظَائِفِ، وعَدَمِ الْإِخْلَالِ بِهَا، **وهُمْ صِنْفَانِ أَيْضًا:**

أَحَدُهُمَا: مَنْ يُوجِبُونَهُ حِفْظًا لِلْقَانُونِ، وضَبْطًا لِلنُّفُوسِ.

والْآخَرُونَ: الَّذِينَ يُوجِبُونَهُ حِفْظًا لِلْوارِدِ، وخَوفًا مَنْ تَدْرُجِ النَّفْسِ بِمُفَارَقَتِهَا لَهُ إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى مِنَ الْبَهِيمِيَّةِ.

فَهَذِهِ نِهَايَةُ أَقْدَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى طَرِيقِ السُّلُوكِ، وغَايَةُ مَعْرِفَتِهِمْ بِحُكْمِ الْعِبَادَةِ ومَا شُرِعَتْ لِأَجْلِهِ، ولَا تَكَادُ تَجِدُ فِي كُتُبِ الْقَومِ غَيْر هَذِهِ الطُّرُقِ الثَّلَاثَةِ، عَلَى سَبِيلِ الْجَمْعِ، أَو عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ.

وأَمَّا الصِّنْفُ الرَّابِعُ: فَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ، أَتْبَاعُ الْخَلِيلَيْنِ، الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ وحِكْمَتِهِ فِي أَمْرِهِ وشَرْعِهِ وخَلْقِهِ، وأَهْلُ الْبَصَائِرِ فِي عِبَادَتِهِ، ومُرَادِهِ بِهَا.

فَالطَّوائِفُ الثَّلَاثُ مَحْجُوبُونَ عَنْهُمْ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الشُّبَهِ الْبَاطِلَةِ، والْقَواعِدِ الْفَاسِدَةِ، مَا عِنْدَهُمْ ورَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ، قَدْ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُحَالِ، وقَنَعُوا بِمَا أَلِفُوهُ

مِنَ الْخَيَالِ، ولَو عَلِمُوا أَنَّ ورَاءَهُ مَا هُو أَجَلُّ مِنْهُ وأَعْظَمُ لَمَا ارْتَضَوا بِدُونِهِ، ولَكِنَّ عُقُولَهُمْ قَصُرَتْ عَنْهُ، ولَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ بِنُورِ النُّبُوةِ، ولَمْ يَشْعُرُوا بِهِ، لِيَجْتَهِدُوا فِي طَلَبِهِ، ورَأَوا أَنَّ مَا مَعَهُمْ خَيرٌ مِنَ الْجَهْلِ، ورَأَوا تَنَاقُضَ مَا مَعَ غَيْرِهِمْ وفَسَادَهُ.

فَتَرَكَّبَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ إِيثَارُ مَا عِنْدَهُمْ عَلَى مَا سِواهُ، وهَذِهِ بَلِيَّةُ الطَّوائِفِ، والْمُعَافَى مَنْ عَافَاهُ اللَّهُ.

فَاعْلَمْ أَنَّ سِرَّ الْعُبُودِيَّةِ، وغَايَتَهَا وحِكْمَتَهَا إِنَّمَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا مَنْ عَرَفَ صِفَاتِ الرَّبِّ عَزَّ وجَلَّ، ولَمْ يُعَطِّلْهَا، وعَرَفَ مَعْنَى الْإِلَهِيَّةِ وحَقِيقَتَهَا، ومَعْنَى كَونِهِ إِلَهًا، بَلْ هُو الْإِلَهُ الْحَقُّ، وكُلُّ إِلَهٍ سِواهُ فَبَاطِلٌ، بَلْ أَبْطَلُ الْبَاطِلِ، وأَنَّ حَقِيقَةَ الْإِلَهِيَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، وأَنَّ الْعِبَادَةَ مُوجَبُ إِلَهِيَّتِهِ وأَثَرُهَا ومُقْتَضَاهَا، وارْتِبَاطُهَا بِهَا كَارْتِبَاطِ مُتَعَلِّقِ الصِّفَاتِ بِالصِّفَاتِ، وكَارْتِبَاطِ الْمَعْلُوم بِالْعِلْمِ، والْمَقْدُورِ بِالْقُدْرَةِ، والْأَصْواتِ بِالسَّمْعِ، والْإِحْسَانِ بِالرَّحْمَةِ، والْعَطَاءِ بِالْجُودِ.

فَمَنْ أَنْكَرَ حَقِيقَةَ الْإِلَهِيَّةِ ولَمْ يَعْرِفْهَا كَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ مَعْرِفَةُ حِكْمَةِ الْعِبَادَاتِ وغَايَاتِهَا ومَقَاصِدِهَا ومَا شُرِعَتْ لِأَجْلِهِ؟

كَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ الْعِلْمُ بِأَنَّهَا هِيَ الْغَايَةُ الْمَقْصُودَةُ بِالْخَلْقِ، والَّتِي لَهَا خُلِقُوا، ولَهَا أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، ولِأَجْلِهَا خُلِقَتِ الْجَنَّةُ والنَّارُ؟

وأَنَّ فَرْضَ تَعْطِيلِ الْخَلِيقَةِ عَنْهَا نِسْبَةٌ لِلَّهِ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، ويَتَعَالَى عَنْهُ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ بِالْحَقِّ، ولَمْ يَخْلُقْهُمَا بَاطِلًا، ولَمْ يَخْلُقِ الْإِنْسَانَ عَبَثًا ولَمْ يَتْرُكْهُ سُدًى مُهْمَلًا، قَالَ تَعَالَى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، أَيْ لِغَيْرِ شَيْءٍ ولَا حِكْمَةٍ، ولَا لِعِبَادَتِي ومُجَازَاتِي لَكُمْ، وقَدْ صَرَّحَ تَعَالَى بِهَذَا فِي قَوْلِهِ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

فَالْعِبَادَةُ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خَلَقَ لَهَا الْجِنَّ والإِنْسَ والْخَلَائِقَ كُلَّهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة:٣٦]، أَيْ مُهْمَلًا، قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يُؤْمَرُ ولَا يُنْهَى، وقَالَ غَيْرُهُ: لَا يُثَابُ ولَا يُعَاقَبُ، والصَّحِيحُ الْأَمْرَانِ، فَإِنَّ الثَّوابَ والْعِقَابَ مُتَرَتِّبَانِ عَلَى الْأَمْرِ والنَّهْيِ، والْأَمْرُ والنَّهْيُ طَلَبُ الْعِبَادَةِ وإِرَادَتُهَا، وحَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ امْتِثَالُهُمَا، وقَالَ تَعَالَى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:١٩١].

وقَالَ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥]، وقَالَ ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية:٢٢].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ بِالْحَقِّ الْمُتَضَمِّنِ أَمْرَهُ ونَهْيَهُ، وثَوابَهُ وعِقَابَهُ.

فَإِذَا كَانَتِ السَّمَاوَاتُ والْأَرْضُ ومَا بَيْنَهُمَا خُلِقَتْ لِهَذَا، وهُو غَايَةُ الْخَلْقِ، فَكَيْفَ يُقَالُ إِنَّهُ لَا عِلَّةَ لَهُ، ولَا حِكْمَةَ مَقْصُودَةٌ هِيَ غَايَتُهُ؟ أَو إِنَّ ذَلِكَ لِمُجَرَّدِ اسْتِئْجَارِ الْعِبَادِ حَتَّى لَا يُنَكَّدَ عَلَيْهِمُ الثَّوابُ بِالْمِنَّةِ، أَو لِمُجَرَّدِ اسْتِعْدَادِ النُّفُوسِ لِلْمَعَارِفِ الْعَقْلِيَّةِ، وارْتِيَاضِهَا بِمُخَالَفَةِ الْعَوائِدِ؟ .

فَلْيَتَأَمَّلِ اللَّبِيبُ الْفُرْقَانَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوالِ، وبَيْنَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ صَرِيحُ الْوحْيِ يَجِدْ أَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْوالِ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، ولَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ.

فَاللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، الْجَامِعَةِ لِكَمَالِ مَحَبَّتِهِ، مَعَ الْخُضُوعِ لَهُ والِانْقِيَادِ لِأَمْرِهِ.

فَأَصْلُ الْعِبَادَةِ: مَحَبَّةُ اللَّهِ، بَلْ إِفْرَادُهُ بِالْمَحَبَّةِ، وأَنْ يَكُونَ الْحُبُّ كُلُّهُ لِلَّهِ، فَلَا يُحِبُّ مَعَهُ سِواهُ، وإِنَّمَا يُحِبُّ لِأَجْلِهِ وفِيهِ، كَمَا يُحِبُّ أَنْبِيَاءَهُ ورُسُلَهُ ومَلَائِكَتَهُ وأَولِيَاءَهُ، فَمَحَبَّتُنَا لَهُمْ مِنْ تَمَامِ مَحَبَّتِهِ، ولَيْسَتْ مَحَبَّةً مَعَهُ، كَمَحَبَّةِ مَنْ يَتَّخِذُ مَنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ.

وإِذَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ لَهُ هِيَ حَقِيقَةَ عُبُودِيَّتِهِ وسِرَّهَا، فَهِيَ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، واجْتِنَابِ نَهْيِهِ، فَعِنْدَ اتِّبَاعِ الْأَمْرِ واجْتِنَابِ النَّهْيِ تَتَبَيَّنُ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ والْمَحَبَّةِ، ولِهَذَا جَعَلَ تَعَالَى اتِّبَاعَ رَسُولِهِ عَلَمًا عَلَيْهَا، وشَاهِدًا لِمَنِ ادَّعَاهَا، فَقَالَ تَعَالَى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران:٣١]، فَجَعَلَ اتِّبَاعَ رَسُولِهِ مَشْرُوطًا بِمَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ، وشَرْطًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُمْ، ووجُودُ الْمَشْرُوطِ مُمْتَنِعٌ بِدُونِ وجُودِ شَرْطِهِ وتَحَقُّقُهُ بِتَحَقُّقِهِ فَعُلِمَ انْتِفَاءُ الْمَحَبَّةِ عِنْدَ انْتِفَاءِ الْمُتَابَعَةِ، فَانْتِفَاءُ مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ لَازِمٌ لِانْتِفَاءِ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ، وانْتِفَاءُ الْمُتَابَعَةِ مَلْزُومٌ لِانْتِفَاءِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُمْ، فَيَسْتَحِيلُ إِذًا ثُبُوتُ مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ، وثُبُوتُ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُمْ بِدُونِ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ.

ودَلَّ عَلَى أَنَّ مُتَابَعَةَ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ حُبُّ اللَّهِ ورَسُولِهِ، وطَاعَةُ أَمْرِهِ، ولَا يَكْفِي ذَلِكَ فِي الْعُبُودِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَى الْعَبْدِ مِمَّا سِواهُمَا، فَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ، ومَتَى كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُمَا فَهَذَا هُو الشِّرْكُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْبَتَّةَ، ولَا يَهْدِيهِ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تعالَى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ

ﭐللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة:٢٤] .

فَكُلُّ مَنْ قَدَّمَ طَاعَةَ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ورَسُولِهِ، أَو قَولَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَولِ اللَّهِ ورَسُولِهِ، أَو مَرْضَاةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ ورَسُولِهِ، أَو خَوفَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ورَجَاءَهُ والْتوكُّلَ عَلَيْهِ عَلَى خَوفِ اللَّهِ ورَجَائِهِ والْتوكُّلِ عَلَيْهِ، أَو مُعَامَلَةَ أَحَدِهِمْ عَلَى مُعَامَلَةِ اللَّهِ فَهُو مِمَّنْ لَيْسَ اللَّهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُمَا، وإِنْ قَالَهُ بِلِسَانِهِ فَهُو كَذِبٌ مِنْهُ، وإِخْبَارٌ بِخِلَافِ مَا هُو عَلَيْهِ.

وكَذَلِكَ **مَنَّ قَدَّمَ حُكْمَ أَحَدٍ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ورَسُولِهِ، فَذَلِكَ الْمُقَدَّمُ عِنْدَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ**، لَكِنْ قَدْ يَشْتَبِهُ الْأَمْرُ عَلَى مَنْ يُقَدِّمُ قَولَ أَحَدٍ أَو حُكْمَهُ، أَو طَاعَتَهُ أَو مَرْضَاتَهُ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ ولَا يَحْكُمُ ولَا يَقُولُ إِلَّا مَا قَالَهُ الرَّسُولُ، فَيُطِيعُهُ، ويُحَاكِمُ إِلَيْهِ، ويَتَلَقَّى أَقْوالَهُ كَذَلِكَ، فَهَذَا مَعْذُورٌ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وأَمَّا إِذَا قَدَرَ عَلَى الْوصُولِ إِلَى الرَّسُولِ، وعَرَفَ أَنَّ غَيْرَ مَنِ اتَّبَعَهُ هُو أَولَى بِهِ مُطْلَقًا، أَو فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، ولَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الرَّسُولِ ولَا إِلَى مَنْ هُو أَولَى بِهِ، فَهَذَا الَّذِي يُخَافُ عَلَيْهِ، وهُو دَاخِلٌ تَحْتَ الْوعِيدِ، فَإِنِ اسْتَحَلَّ عُقُوبَةَ مَنْ خَالَفَهُ وأَذَلَّهُ، ولَمْ يُوافِقْهُ عَلَى اتِّبَاعِ شَيْخِهِ، فَهُو مِنَ الظَّلَمَةِ الْمُعْتَدِينَ، وقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.اهـ

٧ ما هو الجمع بين حديث معاذ الذي في الباب وبين ما تواتر من النصوص من دخول بعض عصاة الموحدين النار ثم خروجهم منها؟

قلت: ومثل حديث معاذ ﵁ ما سيأتي من الأحاديث من أن من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة.

قال الحافظ ابن حجر ﵀ في **"الفتح"** (٦٥٠٠): وقَالَ اِبْن رَجَب فِي شَرْحِهِ لِأَوائِل الْبُخَارِيِّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ يُؤْخَذ مِنْ مَنْع مُعَاذ مِنْ تَبْشِيرِ النَّاسِ لِئَلَّا يَتَّكِلُوا أَنَّ

أَحَادِيث الرُّخصِ لَا تُشَاعُ فِي عُمُومِ النَّاسِ لِئَلَّا يَقْصُر فَهْمُهُمْ عَنْ المُرَادِ بِهَا، وقَدْ سَمِعَهَا مُعَاذ فَلَمْ يَزْدَدْ إِلَّا اِجْتِهَادًا فِي العَمَلِ وخَشْيَةً لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَبْلُغْ مَنْزِلَتَهُ فَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يُقَصِّر اِتِّكَالًا عَلَى ظَاهِرِ هَذَا الخَبَرِ، وقَدْ عَارَضَهُ مَا تَواتَرَ مِنْ نُصُوص الكِتَاب والسُّنَّة أَنَّ بَعْضَ عُصَاةِ المُوحِّدِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَعلَى هَذَا فَيَجِب الجَمْع بَيْن الأَمْرَيْنِ، **وقَدْ سَلَكُوا فِي ذَلِكَ مَسَالِك:**

أَحدهَا: قَول الزُّهْرِيِّ إِنَّ هَذِهِ الرُّخْصَة كَانَتْ قَبْل نُزُول الفَرَائِض والْحُدُود، وسَيَأْتِي ذَلِكَ عَنْهُ فِي حَدِيث عُثْمَان فِي الوضُوء، واسْتَبْعَدَهُ غَيْره مِنْ أَنَّ النَّسْخَ لَا يَدْخُل الخَبَر، وبِأَنَّ سَمَاع مُعَاذ لِهَذِهِ كَانَ مُتَأَخِّرًا عَنْ أَكْثَرِ نُزُولِ الفَرَائِضِ.

وقِيلَ: لَا نَسْخَ بَلْ هُو عَلَى عُمُومِهِ، ولَكِنَّهُ مُقَيَّدٌ بِشَرَائِطَ كَمَا تُرَتَّبُ الأَحْكَامُ عَلَى أَسْبَابِهَا المُقْتَضِيَةِ المُتَوقِّفَةِ عَلَى اِنْتِفَاءِ المَوانِعِ، فإذا تَكَامَلَ ذَلِكَ عَمِلَ المُقْتَضِي عَمَلَهُ، وإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ وهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ بِقَولِهِ المُتَقَدِّم فِي كِتَاب الجَنَائِز فِي شَرْحِ «**أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ**»: لَيْسَ مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا ولَهُ أَسْنَانٌ(١).

وقِيلَ: المُرَاد تَرْك دُخُول نَار الشِّرْك.

وقِيلَ: تَرْكُ تَعْذِيبِ جَمِيع بَدَنِ المُوحِّدِينَ لِأَنَّ النَّار لَا تَحْرِق مَواضِع السُّجُود.

وقِيلَ: لَيْسَ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ وحَّدَ وعَبَدَ بَلْ يَخْتَصُّ بِمَنْ أَخْلَصَ، والْإِخْلَاصُ يَقْتَضِي تَحْقِيقَ القَلْبِ بِمَعْنَاهَا، ولَا يُتَصَور حُصُولُ التَّحْقِيقِ مَعَ الإِصْرَارِ عَلَى المَعْصِيَةِ لِامْتِلَاءِ القَلْبِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وخَشْيَتِهِ فَتَنْبَعِث الجَوارِح إِلَى الطَّاعَة وتَنْكَفُّ عَنْ المَعْصِيَةِ. اِنْتَهَى مُلَخَّصًا.

---

(١) علقه البخاري في «صحيحه» في أول [كتاب الجنائز]، ووصله في «التاريخ» (١/ ٩٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٦)، وفي إسناده: محمد بن سعيد بن رمانه، يرويه عن أبيه، عن وهب، وهو وأبوه مجهولان.

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ رحمه الله **فِيْ «تَيسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ»**(ص٦٣):

وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها، ومات عليها كما جاءت مقيدة، وقالها خالصًا من قلبه مستيقنًا بها قلبه، غير شاك فيها بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك؛ فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول: لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا أو عادة، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: «**سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»(١).

وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف:٢٣]، وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام، لم يكن في هذه الحال مصرًا على ذنب أصلًا، فإنه كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم من النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٦)، ومسلم برقم (٩٠٥) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

الإيمان، وهذه التوبة، وهذا الإخلاص، وهذه المحبة وهذا اليقين، لا يتركون له ذنبًا إلا يُمحى كما يُمحى الليل بالنهار، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غير مصر على ذنب أصلًا، فيغفر له ويحرم على النار.

وإن قالها على وجه خلص به على الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة، فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته على حسناته ومات مصرًا على ذلك، فإنه يستوجب النار.

وإن قال: لا إله إلا الله، وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصًا، لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك.

بخلاف المخلص المستيقن، فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته، ولا يكون مصرًا على سيئة، فإن مات على ذلك دخل الجنة، وإنما يخاف على المخلص أن يأتي بسيئات راجحة يضعف إيمانه، فلا يقولها بإخلاص ويقين مانع من جميع السيئات، ويخشى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإن سلم من الأكبر بقي معه من الأصغر، فيضيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك، فيرجح جانب السيئات، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف بذلك قول: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم، أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة، فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقص ذلك الصدق واليقين، بل يقولونها من غير يقين وصدق، ويموتون على ذلك ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة، وإذا كثرت الذنوب ثقل على اللسان قولها، وقسا القلب عن قولها، وكره

العمل الصالح، وثقل عليه سماع القرآن، واستبشر بذكر غيره، واطمأن إلى الباطل واستحلى الرفث ومخالطة أهل الغفلة، وكره مخالطة أهل الحق، فمثل هذا إذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدق عمله، كما قال الحسن: **ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال**، فمن قال خيرا وعمل خيرًا قبل منه، ومن قال شرًا وعمل شرًا لم يقبل منه[(١)].

وقال بكر بن عبد الله المزني: **ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه**[(٢)]. فمن قال: لا إله إلا الله ولم يقم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوبًا وسيئات، وكان صادقًا في قولها موقنًا بها، لكن ذنوبه أضعاف أضعاف صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي، رجحت هذه الأشياء على هذه الحسنة، ومات مصرًا على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق تام، فإنه لا يموت مصرًا على الذنوب، إما أن لا يكون مصرًا على سيئة أصلًا أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها قد فاتهم أحد هذين الشرطين: إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيئات، أو لرجحان السيئات، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام، لأن الذنوب قد أضعفت ذلك

---

(١) **أثر الحسن: صحيح**، فإلى قوله: (وصدقته الأعمال) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٠٤) بإسناد حسن، وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (١٥٦٥)، وفي سنده رجلٌ مبهم. وأما بقية الأثر فهو بمعنى ما ذكره الشارح، وليس بالنص، أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (١٠٩٣)، وفي سنده ضعفٌ، وأخرجه ابن المبارك (٩١) بمعناه بسند صحيح.

(٢) **صحيح**. أخرجه الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" رقم (١١٨)، وابن بطة في "الإبانة" رقم (٢٤٥)، ولفظه: (ما فضلهم) بدلًا من (ما سبقهم)، من طريق: إسماعيل بن عُلَيَّة، عن غالب القطان، عن بكر به، وهذا إسناد صحيح، رجاله رجال الشيخين.

الصدق واليقين من قلوبهم، فَقَولُها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات بل ترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصًا.

وقد ذكر معناه غيره كابن القيم، وابن رجب، والمنذري، والقاضي عياض، وغيرهم.اهـ

وقال الحافظ الحكمي رحمه الله **في "معارج القبول"**(٢/ ٤٢٧):

وكَذَلِكَ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا تَحْرِيمُ أَهْلِ هَاتَيْنِ الشَّهَادَتَيْنِ عَلَى النَّارِ، وبَيْنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا إِخْرَاجُهُمْ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ صَارُوا حُمَمًا؛ لِإِمْكَانِ الجَمْعِ بِأَنَّ **تحريم من يدخلها بِذَنْبِهِ مِنْ أَهْلِ التَّوحِيدِ بِأَنَّ تَحْرِيمَهُ عَلَيْهَا يَكُونُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ ثُمَّ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ**، ثُمَّ يَغْتَسِلُونَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ ويَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَحِينَئِذٍ قَدْ حُرِّمُوا عَلَيْهَا فَلَا تَمَسُّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ. أَو يَكُونُ المُرَادُ أَنَّهُمْ يُحَرَّمُونَ مُطْلَقًا عَلَى النَّارِ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ الَّتِي لَا يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ دَخَلَهَا، وهِيَ مَا عَدَا الطَّبَقَةَ العُلْيَا مِنَ النَّارِ الَّتِي يَدْخُلُهَا بَعْضُ عُصَاةِ أَهْلِ التَّوحِيدِ مِمَّنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى عِقَابَهُ وتَطْهِيرَهُ بِهَا عَلَى قَدْرِ ذَنْبِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ فَلَا يَبْقَى فِيهَا أَحَدٌ.

قال: وقَدْ ذَكَرَ الحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رحمه الله تَعالَى فِي هَذَا البَابِ كَلَامًا حَسَنًا بَعْدَ سِيَاقِهِ حَدِيثَ معاذ وحديث عتبان وحَدِيثَ أَبِي ذَرٍّ وحَدِيثَ عُبَادَةَ وقَدْ تَقَدَّمَتْ مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ.

قَالَ: **وأَحَادِيثُ هَذَا البَابِ نَوعَانِ: أَحَدُهُمَا:** مَا فِيهِ أَنَّ مَنْ أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ ولَمْ يُحْجَبْ عَنْهَا، وهَذَا ظَاهِرٌ فإن النَّارَ لَا يُخَلَّدُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّوحِيدِ الخَالِصِ بَلْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، ولَا يُحجَبُ عَنْهَا إذا طُهِّرَ مِنْ ذُنُوبِهِ بِالنَّارِ، وقَدْ يَعْفُو اللهُ عَنْهُ فَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ بِلَا عِقَابٍ قَبْلُ. وحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ معناه: أن الزنى والسَّرِقَةَ لَا يَمْنَعَانِ دُخُولَ الجَنَّةِ مَعَ التَّوحِيدِ وهَذَا حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، ولَيْسَ فِيهِ أَنْ لا يعذب

عليهما مَعَ التَّوحِيدِ، وفِي مُسْنَدِ البَزَّارِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ نَفَعَتْهُ يومًا مِنَ الدَّهرِ يُصِيبُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ**»(١).

الثَّانِي: فِيهِ أَنَّه يُحَرَّمَ عَلَى النَّارِ، وقَدْ حَمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى الخُلُودِ فِيهَا أَو عَلَى مَا يُخَلَّدُ فِيهَا أَهْلُهَا، وهِيَ مَا عَدَا الدَّرْكَ الأَعْلَى مِنَ النَّارِ، فإن الدَّرْكَ الأَعْلَى يَدْخُلُهُ كَثِيرٌ مِنْ عُصَاةِ المُوحِّدِينَ بِذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يَخْرُجُونَ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ وبِرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ. وفِي "**الصَّحِيحَيْنِ**" : «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: وعِزَّتِي وجَلَالِي لَأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(٢).

وقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ: المُرَادُ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ والنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ مقتضٍ لِذَلِكَ، ولَكِنَّ المقتضى عمله لَا يَعْمَلُ عَمَلَهُ إِلَّا بِاسْتِجْمَاعِ شُرُوطِهِ وانْتِفَاءِ مَوانِعِهِ فَقَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ مُقْتَضَاهُ لِفَواتِ شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِهِ أَو لِوجُودِ مَانِعٍ، وهَذَا قَولُ الحَسَنِ ووهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ وهُو أَظْهَرُ. وقَالَ الحَسَنُ لِلْفَرَزْدَقِ وهُو يَدْفِنُ امْرَأَتَهُ: مَا أَعْدَدْتَ لِهَذَا اليَومِ؟ قَالَ: شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً قَالَ الحَسَنُ: نِعْمَ العدة، لكن لشهادة أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ شُرُوطًا فَإِيَّاكَ وقَذْفَ المُحْصَنَاتِ.

وقِيلَ لِلْحَسَنِ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ فَقَالَ: **مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَأَدَّى حَقَّهَا وفَرْضَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**(٣).

---

(١) أخرجه البزار (٨٢٩٢)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٥١٠)، ومسلم برقم (١٩٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أثر الحسن الأول أخرجه ابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" (١٠٣)، وابن سعد (٧/ ١٤٠)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٦٦) دون قوله: (إن لـ لا إله إلا الله شروطًا...)، وهو حسن بمجموع طرقه.

وأما الأثر الثاني للحسن، فأخرجه الأصبهاني في "الحجة (٢/ ١٥٢)، وفي إسناده: الحسن بن عميرة، وهو مجهول.

وقَالَ وهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ لِمَنْ سَأَلَهُ: أَلَيْس مِفْتَاحُ الجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: **بَلَى، ولَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فإِن أَتَيْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ وإلا لَمْ يُفْتَحُ لَكَ**[1].اهـ

وقَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ **في "مدارج السالكين" (١/ ٣٢٨):**

اعْلَمْ أَنَّ أَشِعَّةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُبَدِّدُ مِنْ ضَبَابِ الذُّنُوبِ وغُيُومِهَا بِقَدْرِ قُوةِ ذَلِكَ الشُّعَاعِ وضَعْفِهِ، فَلَهَا نُورٌ، وتَفَاوتُ أَهْلِهَا فِي ذَلِكَ النُّورِ - قُوةً، وضَعْفًا - لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ نُورُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي قَلْبِهِ كَالشَّمْسِ. ومِنْهُمْ مَنْ نُورُهَا فِي قَلْبِهِ كَالْكوكَبِ الدُّرِّيِّ. ومِنْهُمْ مَنْ نُورُهَا فِي قَلْبِهِ كَالْمَشْعَلِ الْعَظِيمِ. وآخَرُ كَالسِّرَاجِ الْمُضِيءِ، وآخَرُ كَالسِّرَاجِ الضَّعِيفِ.

ولِهَذَا تَظْهَرُ الْأَنْوارُ يَومَ الْقِيَامَةِ بِإِيمانهِمْ، وبَيْنَ أَيْدِيهِمْ، عَلَى هَذَا الْمِقْدَارِ، بِحَسَبِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، عِلْمًا وعَمَلًا، ومَعْرِفَةً وحَالًا.

وكُلَّمَا عَظُمَ نُورُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ واشْتَدَّ أَحْرَقَ مِنَ الشُّبُهَاتِ والشَّهَواتِ بِحَسَبِ قُوتِهِ وشِدَّتِهِ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا وصَلَ إِلَى حَالٍ لَا يُصَادِفُ مَعَهَا شُبْهَةً ولَا شَهْوةً، ولَا ذَنْبًا، إِلَّا أَحْرَقَهُ، وهَذَا حَالُ الصَّادِقِ فِي تَوحِيدِهِ، الَّذِي لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، فَأَيُّ ذَنْبٍ أَو شَهْوةٍ أَو شُبْهَةٍ دَنَتْ مِنْ هَذَا النُّورِ أَحْرَقَهَا، فَسَمَاءُ إيمانهِ قَدْ حُرِسَتْ بِالنُّجُومِ مِنْ كُلِّ سَارِقٍ لِحَسَنَاتِهِ، فَلَا يَنَالُ مِنْهَا السَّارِقُ إِلَّا عَلَى غِرَّةٍ وغَفْلَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا لِلْبَشَرِ، فإذا اسْتَيْقَظَ وعَلِمَ مَا سُرِقَ مِنْهُ اسْتَنْقَذَهُ مِنْ سَارِقِهِ، أَو حَصَّلَ أَضْعَافَهُ بِكَسْبِهِ، فَهُو هَكَذَا أَبَدًا مَعَ لُصُوصِ الْجِنِّ والْإِنْسِ، لَيْس كَمَنْ فَتَحَ لَهُمْ خِزَانَتَهُ، وولَّى الْبَابَ ظَهْرَهُ.

---

(١) علقه البخاري في "صحيحه" في أول [كتاب الجنائز]، ووصله في "التاريخ" (١/ ٩٥)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢٠٨)، وأبو نعيم في "الحلية" (٤/ ٦٦)، وفي إسناده: محمد بن سعيد بن رمانه، يرويه عن أبيه، عن وهب، وهو وأبوه مجهولان.

ولَيْسَ التَّوحِيدُ مُجَرَّدَ إِقْرَارِ الْعَبْدِ بأنه لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وأَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ومَلِيكُهُ، كَمَا كَانَ عُبَّادُ الْأَصْنَامِ مُقِرِّينَ بِذَلِكَ وهُمْ مُشْرِكُونَ، بَلِ التَّوحِيدُ يَتَضَمَّنُ - مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، والْخُضُوعِ لَهُ، والذُّلِّ لَهُ، وكَمَالِ الِانْقِيَادِ لِطَاعَتِهِ، وإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وإِرَادَةِ وجْهِهِ الْأَعْلَى بِجَمِيعِ الْأَقْوالِ والْأَعْمَالِ، والْمَنْعِ، والْعَطَاءِ، والْحُبِّ، والْبُغْضِ - مَا يَحُولُ بَيْنَ صَاحِبِهِ وبَيْنَ الْأَسْبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْمَعَاصِي، والْإِصْرَارِ عَلَيْهَا، ومَنْ عَرَفَ هَذَا عَرَفَ قَولَ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وجْهَ اللَّهِ**»[١] وقَولَهُ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[٢] ومَا جَاءَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَشْكَلَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى ظَنَّهَا بَعْضُهُمْ مَنْسُوخَةً، وظَنَّهَا بَعْضُهُمْ قِيلَتْ قَبْلَ ورُودِ الْأَوامِرِ والنَّواهِي واسْتِقْرَارِ الشَّرْعِ، وحَمَلَهَا بَعْضُهُمْ عَلَى نَارِ الْمُشْرِكِينَ والْكُفَّارِ، وأَولَ بَعْضُهُمُ الدُّخُولَ بِالْخُلُودِ، وقَالَ: الْمَعْنَى لَا يَدْخُلُهَا خَالِدًا، ونَحْو ذَلِكَ مِنَ التَّأْويلَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ.

والشَّارِعُ - صَلَواتُ اللَّهِ وسَلَامُهُ عَلَيْهِ - لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ حَاصِلًا بِمُجَرَّدِ قَولِ اللِّسَانِ فَقَطْ، فإن هَذَا خِلَافُ الْمَعْلُومِ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، فإن الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وهُمْ تَحْتَ الْجَاحِدِينَ لَهَا فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، فَلَا بُدَّ مِنْ قَولِ الْقَلْبِ، وقَولِ اللِّسَانِ، وقَولُ الْقَلْبِ يَتَضَمَّنُ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، والتَّصْدِيقِ بِهَا، ومَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ مَا تَضَمَّنَتْهُ - مِنَ النَّفْيِ والْإِثْبَاتِ، ومَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَنْفِيَّةِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ، الْمُخْتَصَّةِ بِهِ، الَّتِي يَسْتَحِيلُ ثُبُوتُهَا لِغَيْرِهِ، وقِيَامُ هَذَا الْمَعْنَى بِالْقَلْبِ عِلْمًا ومَعْرِفَةً ويَقِينًا، وحَالًا - مَا يُوجِبُ تَحْرِيمَ قَائِلِهَا عَلَى النَّارِ، وكُلُّ قَولٍ رَتَّبَ الشَّارِعُ مَا رَتَّبَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوابِ، فَإِنَّمَا هُو الْقَولُ التَّامُّ، كَقَولِهِ ﷺ : «**مَنْ قَالَ فِي يَومٍ:**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٥)، ومسلم برقم (٢٦٣) من [كتاب المساجد] عن عتبان بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن القيم رحمه الله بالمعني.

سُبْحَانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ - أَو غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ - ولَو كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(١) ولَيْسَ هَذَا مُرَتَّبًا عَلَى مُجَرَّدِ قَولِ اللِّسَانِ.

نَعَمْ مَنْ قَالَهَا بِلِسَانِهِ، غَافِلًا عَنْ مَعْنَاهَا، مُعْرِضًا عَنْ تَدَبُّرِهَا، ولَمْ يُواطِئْ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، ولَا عَرَفَ قَدْرَهَا وحَقِيقَتَهَا، رَاجِيًا مَعَ ذَلِكَ ثَوابَهَا، حَطَّتْ مِنْ خَطَايَاهُ بِحَسَبِ مَا فِي قَلْبِهِ، فإن الْأَعْمَالَ لَا تَتَفَاضَلُ بِصُورِهَا وعَدَدِهَا، وإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ، فَتَكُونُ صُورَةُ الْعَمَلَيْنِ واحِدَةً، وبَيْنَهُمَا فِي التَّفَاضُلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والْأَرْضِ، والرَّجُلَانِ يَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ واحِدًا، وبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والْأَرْضِ.

وتَأَمَّلْ حَدِيثَ الْبِطَاقَةِ(٢) الَّتِي تُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، ويُقَابِلُهَا تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ، فَتَثْقُلُ الْبِطَاقَةُ وتَطِيشُ السِّجِلَّاتُ، فَلَا يُعَذَّبُ.

ومَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مُوحِّدٍ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الْبِطَاقَةِ، وكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَدْخُلُ النَّارَ بِذُنُوبِهِ، ولَكِنَّ السِّرَّ الَّذِي ثَقَّلَ بِطَاقَةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وطَاشَتْ لِأَجْلِهِ السِّجِلَّاتُ لَمَّا لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ مِنْ أَرْبَابِ الْبِطَاقَاتِ، انْفَرَدَتْ بِطَاقَتُهُ بِالثِّقَلِ والرَّزَانَةِ.اهـ

(٨) مسألة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، المراد بها فيمن لم يتب.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٤/ ٥٢٨):

الَّذِي عَلَيْهِ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾** [الزمر:٥٣]، فَقَدْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَنَّهُ يَغْفِرُ لِلتَّائِبِ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ ولِهَذَا أَطْلَقَ وعَمَّمَ، وقَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سيأتي ذكره وتخريجه في المختار برقم (٢٠٧).

يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:١١٦]، فَهَذَا فِي غَيْرِ التَّائِبِ ولِهَذَا قَيَّدَ وخَصَّصَ.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (١/ ٣٢٦):

كُلَّ واحِدَةٍ مِنَ الْآيَتَيْنِ لِطَائِفَةٍ، فَآيَةُ النِّسَاءِ ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النساء:٤٨]، هِيَ لِغَيْرِ التَّائِبِينَ فِي الْقِسْمَيْنِ.

والدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ الشِّرْكِ وغَيْرِهِ فِي الْمَغْفِرَةِ، ومِنَ الْمَعْلُومِ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الشِّرْكَ يُغْفَرُ بِالتَّوْبَةِ، وإلا لَمْ يَصِحَّ إِسْلَامُ كَافِرٍ أَبَدًا.

وأَيْضًا فإنه خَصَّصَ مَغْفِرَةَ مَا دُونَ الشِّرْكِ بِمَنْ يَشَاءُ، ومَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ لِلتَّائِبِينَ عَامَّةٌ لَا تَخْصِيصَ فِيهَا، فَخَصَّصَ وقَيَّدَ، وهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حُكْمُ غَيْرِ التَّائِبِ.

وأَمَّا آيَةُ الزُّمَرِ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [الزمر:٥٣]، فَهِيَ فِي حَقِّ التَّائِبِ، لِأَنَّهُ أَطْلَقَ وعَمَّمَ، فَلَمْ يَخُصَّهَا بِأَحَدٍ، ولَمْ يُقَيِّدْهَا بِذَنْبٍ، ومِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْكُفْرَ لَا يَغْفِرُهُ، وكَثِيرٌ مِنَ الذُّنُوبِ لَا يَغْفِرُهَا، فَعُلِمَ أَنَّ هَذَا الْإِطْلَاقَ والتَّعْمِيمَ فِي حَقِّ التَّائِبِ، فَكُلُّ مَنْ تَابَ مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ غُفِرَ لَهُ.

وأَمَّا الْحَدِيثُ الْآخَرُ «**لَو لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، أَتَيْتُك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[1] فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا عَدَا الشِّرْكَ كُلَّهُ صَغَائِرُ، بَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا فَذُنُوبُهُ مَغْفُورَةٌ كَائِنَةً مَا كَانَتْ، ولَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ ارْتِبَاطُ إيمان الْقُلُوبِ بِأَعْمَالِ الْجَوارِحِ، وتَعَلُّقُهَا بِهَا، وإلا لَمْ يُفْهَمْ مُرَادُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، ويَقَعُ الْخَلْطُ والتَّخْبِيطُ.

فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا النَّفْيَ الْعَامَّ لِلشِّرْكِ - أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا الْبَتَّةَ - لَا يَصْدُرُ مِنْ مُصِرٍّ عَلَى مَعْصِيَةٍ أَبَدًا، ولَا يُمْكِنُ مُدْمِنُ الْكَبِيرَةِ والْمُصِرُّ عَلَى الصَّغِيرَةِ أَنْ يَصْفُو لَهُ التَّوحِيدُ، حَتَّى لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ، ولَا يُلْتَفَتُ إِلَى جَدَلِيٍّ لَا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه مسلم برقم (٢٦٨٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

حَظَّ لَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، بَلْ قَلْبُهُ كَالْحَجَرِ أَو أَقْسَى، يَقُولُ: ومَا الْمَانِعُ؟ ومَا وجْهُ الْإِحَالَةِ؟ ولَو فُرِضَ ذَلِكَ واقِعًا لَمْ يَلْزَمْ مِنْهُ مُحَالٌ لِذَاتِهِ! .

فَدَعْ هَذَا الْقَلْبَ الْمَفْتُونَ بِجَدَلِهِ وجَهْلِهِ، **واعْلَمْ أَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يُوجِبُ مِنْ خَوفِ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، ورَجَائِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وحُبِّهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وذُلِّهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وتَوكُّلِهِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ بِهِ مُنْغَمِسًا فِي بِحَارِ الشِّرْكِ**، والْحَاكِمُ فِي هَذَا مَا يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ، إِنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ، فإن ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِالْقَلْبِ فَيُورِثَهُ خَوفًا مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وذَلِكَ شِرْكٌ، ويُورِثُهُ مَحَبَّةً لِغَيْرِ اللَّهِ، واسْتِعَانَةً بِغَيْرِهِ فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوصِلُهُ إِلَى غَرَضِهِ، فَيَكُونُ عَمَلُهُ لَا بِاللَّهِ ولَا لِلَّهِ، وهَذَا حَقِيقَةُ الشِّرْكِ.

نَعَمْ قَدْ يَكُونُ مَعَهُ تَوحِيدُ أَبِي جَهْلٍ، وعُبَّادُ الْأَصْنَامِ، وهُو تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وهُو الِاعْتِرَافُ بأنه لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، ولَو أَنْجَى هَذَا التَّوحِيدُ وحْدَهُ، لِأَنْجَى عُبَّادَ الْأَصْنَامِ، **والشَّأْنُ فِي تَوحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي هُو الْفَارِقُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ والْمُوحِّدِينَ**.

والْمَقْصُودُ أَنَّ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، مُصِرًّا عَلَيْهَا، غَيْرَ تَائِبٍ مِنْهَا، مَعَ كَمَالِ تَوحِيدِهِ الَّذِي هُو غَايَةُ الْحُبِّ والْخُضُوعِ، والذُّلِّ والْخَوفِ والرَّجَاءِ لِلرَّبِّ تَعَالَى.اهـ

﴿٩﴾ مسألة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، هل يدخل في هذه الآية الشرك الأصغر؟

وجد بعض العلماء يقول: إنَّ الآية عامة تشمل الشرك بنوعيه: الأكبر، والأصغر. قالوا: لأنَّ قوله: ﴿أَن يُشۡرَكَ﴾ [النساء:٤٨]، في تأويل مصدر، أي: لا يغفر الإشراك به؛ فهذا يعم، ويشمل الشرك الأكبر، والأصغر. وشيخ الإسلام رحمه الله له كلام يشير إلى هذا، **قال** رحمه الله **كما في كتابه "الاستغاثة"** (١/ ٣٠١):

وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شيء؛ لا أكبر، ولا أصغر، على مقتضى عموم القرآن، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلمًا، لكن شركه لا يغفر له، بل يعاقب عليه، وإن دخل بعد ذلك الجنة.اهـ

وقال رحمه الله **كما في «جامع الرسائل»** (٢/ ٢٥٤): وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك منه جليل ودقيق، وخفي وجلي.اهـ

ثم وجدت لشيخ الإسلام رحمه الله كلامًا ظاهره أنه يرى أن الذي لا يغفر هو الأكبر، **قال** رحمه الله كما في **«مجموع الفتاوى»** (١/ ٩١):

فَالشِّرْكُ إنْ كَانَ شِرْكًا يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُهُ، وهُو نَوعَانِ: شِرْكٌ فِي الإِلَهِيَّةِ، وشِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

فَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الإِلَهِيَّةِ فَهُو: أَنْ يَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، أَيْ: مِثْلًا فِي عِبَادَتِهِ أَو مَحَبَّتِهِ أوخَوفِهِ أَو رَجَائِهِ أَو إنَابَتِهِ فَهَذَا هُو الشِّرْكُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ إلَّا بِالتَّوبَةِ مِنْهُ...إلخ.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي «تَيسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ»** (ص٧٣):

الشرك نوعان: أكبر وأصغر؛ فمن خلص منهما؛ وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر؛ وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه؛ دخل الجنة؛ فإن تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر، ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته؛ دخل النار؛ **فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيرًا أصغر، والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به**.اهـ

وأما ابن القيم رحمه الله فقد جزم في **«نونيته»** بأن الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر؛ فقال:

والشِّرْكَ فَاحْـذَرْهُ فَـشِرْكٌ ظَـاهِرٌ ... ذَا القِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الغُفْرَانِ

وهُـو اتِّخَـاذُ النِّـدِّ لِلـرَّحْمَنِ أَيْــ ... ـيًا كَانَ مِنْ حَجَرٍ ومِـنْ إِنْسَـانِ

يَـدْعُوهُ أَو يَرْجُـوهُ ثُـمّ يَخَافُـهُ ... ويُحِبُّـهُ كَمَحَبَّـةِ الدَّيّـانِ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في "إغاثة اللهفان" (١/ ٥٩) ت/ الفقي:

فأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة، ونجاسة مخففة.

فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عز وجل؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

والمخففة: الشرك الأصغر كيسير الرياء والتصنع للمخلوق، والحلف به وخوفه ورجائه.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في "مدارج السالكين" (١/ ٣٣٩، ٣٤٤):

وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو: أن يتخذ من دون الله نِدًّا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين؛ ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة، والتعظيم، والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم، ويعظمونها، ويوالونها من دون الله، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: وأما الشرك الأصغر، فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[(١)].

وقول الرجل للرجل: (ما شاء الله وشئت)، و(هذا من الله ومنك) و(أنا بالله وبك) و(مالي إلا الله وأنت) و(أنا متوكل على الله وعليك) و(لولا أنت لم يكن كذا وكذا)، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب قائله ومقصده، وصح عن النبي ﷺ أنه

---

(١) أخرجه أحمد (٤٩٠٤)، وأبو داود برقم (٣٢٥١)، وهو حديث صحيح بشواهده.

قال لرجل قال له: ما شاء الله وشئت. «**أجعلتني لله ندًّا؟ قل: ما شاء الله وحده**»[1]، وهذا اللفظ أخف من غيره من الألفاظ.اهـ وانظر: "**الداء والدواء**" (ص٢٠١).

قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله معَلِّقًا على قول ابن القيم رحمه الله (كيسير الرياء):

هذا يدل على أنَّ كثيره ليس من الأصغر، لكن إن أراد بالكمية فنعم؛ لأنه لو كان يرائي في كل عمل؛ لكان مشركًا شركًا أكبر؛ لعدم وجود الإخلاص في عمل يعمله، أما إذا أراد الكيفية فظاهر الحديث أنه أصغر مطلقًا.انتهى من "**القول المفيد**" (١/ ١٥٦).

ولم أجد من العلماء المتقدمين من نصَّ على هذه المسألة، وإنما الذي يظهر من كلامهم عند شرح الأحاديث، وتفسير الآيات أنهم يرون أنه يدخل تحت الغفران؛ لأنهم يصرحون بأن الشرك لا يُغفر، وبأنه يوجب الخلود في النار، ومعلوم أنه لا يوجب الخلود في النار إلا الشرك الأكبر.

فالذي يظهر -والله أعلم- أنَّ أكثرهم على أنه داخلٌ تحت المشيئة، ويؤيد ذلك أن شيخ الإسلام والحافظ ابن رجب ذكرا أنَّ جماعةً من السلف أطلقوا على بعض كبائر الذنوب شركًا؛ لأن الإنسان يتبع فيها هواه؛ فعلى هذا يكون الشرك الأصغر داخلًا تحت المشيئة، وتحت الغفران؛ لأنَّ الكبائر داخلة تحت المشيئة والغفران؛ لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم عند أن بايعهم على التوحيد، وترك السرقة، والزنى، قال: «**من أصاب من ذلك شيئًا فعوقِب به في الدنيا؛ كان كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فلم يُعاقب به في الدنيا؛ فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**» متفق عليه[2].

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٩)، وابن ماجه (٢١١٧)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٩٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: «**عِدْلًا**» بدل: «**ندًّا**»، وهو حديث صحيح بشواهده.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨)، ومسلم برقم (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

ونستنبط من كلام ابن رجب، وشيخ الإسلام في نقلهم المشار إليه مع إقراره أنهما يريان أن الشرك الأصغر مما يغفره الله، والله أعلم، والذي يظهر لي –والله أعلم– أنه يدخل تحت المشيئة، وتحت الغفران.

والشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ تردد في موضع، وفي موضع آخر جزم بأنه لا يغفره الله، والشيخ الفوزان جعله، مما لا يُغفر كالشرك الأكبر؛ لعموم الآية.

١٠ مسألة: هل يطلق على الذنوب شركًا؟

قال الإمام محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب "**تعظيم قدر الصلاة**" (٩٤٧): حدثنا يحيى بن يحيى، قال أخبرنا أبو خيثمة، عن أبي الزبير، قال: سمعت جابرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وسأله رجل: أكنتم تعدون الذنب فيكم شركًا؟ قال: لا.

إسناده صحيح، رجاله ثقات، وأبو خيثمة هو زهير بن معاوية.

وأخرجه أحمد (٣/ ٣٨٩) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، عن جابر به، وفيه: قال: معاذ الله.

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد الرحمن بن أبي الزناد، ولكن الأثر صحيح بالطريق الأولى.

١١ مسألة: تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر.

تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر من عقيدة أهل السنة والجماعة، يجب الإيمان به، ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع كالمعتزلة والخوارج.

فالشرك الأكبر: هو الذي لا يغفره الله عز وجل، وهو الذي يَجعل فيه لله ندًّا كما في الحديث: «**أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»[١]، سواء كان هذا النِّد في الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٧)، ومسلم برقم (٨٦) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

﴿لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨] وأما الشرك الأصغر ففي "**فتاوى اللجنة الدائمة**" (١/ ٧٤٩): كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا.اهـ، وبنحوه قال العثيمين رحمه الله كما في "**مجموع فتاواه**" (٢/ ٢٠٣).

وقال الإمام السعدي رحمه الله كما في "**القول السديد**" (ص٣٢): هو جميع الأقوال، والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله، ويسير الرياء، ونحو ذلك.اهـ

قَال أبوعبد الله وفقه الله: لم أجد من ضبطه من علمائنا المتقدمين، وما ذكره هؤلاء الأئمة هو المعتمد في ضبطه، ومن تدبر الأحاديث الواردة فيه وجدها لا تخرج عن الضابط المذكور.

فقولهم: (ما شاء الله وشئت) كانت ألفاظًا تُقال، ولم يكونوا يعتقدون أن مشيئة النبي صلى الله عليه وسلم نافذة كمشيئة الله تعالى، فهذا الاعتقاد لم يكن موجودًا، وهو التمثيل والمساواة. كذلك الحلف «**من حلف بغير الله؛ فقد أشرك**»[(١)]، فهو يحلف بغير الله، ومع ذلك لا يعتقد، ولا يعظم المحلوف به كتعظيم الله، ويعتقد ذلك؛ فهو شرك أصغر، وعلى هذا فقس.

فائدة: **تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر يتناول أقسام التوحيد الثلاثة**؛ فالربوبية فيها شرك أصغر وأكبر، وكذلك الألوهية، وكذلك الأسماء والصفات، وقد جزم بوقوعة في الربوبية كما يقع في الألوهية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "**مجموع الفتاوى**"(٢٢/ ٣٨٧) حيث قال: وَمَنْ تَرَكَ بَعْضَ مَا أُمِرَ بِهِ بَعْدَ قَضَاءِ حَاجَتِهِ؛ فَهُو مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ، وقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ الَّذِي يُبْتَلَى بِهِ غَالِبُ الخَلْقِ: إمَّا شِرْكًا فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وإِمَّا شِرْكًا فِي الأُلُوهِيَّةِ كَمَا هُو مَبْسُوطٌ فِي مَوضِعِهِ.اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (٤٩٠٤)، وأبو داود برقم (٣٢٥١)، وهو حديث صحيح بشواهده.

وقال الشيخ سليمان رحمه الله في "تيسير العزيز الحميد" (١/ ٢٧):

إذا تبين هذا؛ فاعلم أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة الى أنواع التوحيد، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقا، وقد يكون أكبر بالنسبة الى ما هو أصغر منه، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه.اهـ

١٢ ما هو الجمع بين الأحاديث التي فيها أنه لا يدخل الجنة من ارتكب بعض الكبائر، مع ما هو معلوم من أن جميع المؤمنين يدخلون الجنة؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي "المُسْتَدْرَكِ عَلَى مَجْمُوعِ الفَتَاوى"** (١/ ١٣٠): فقوله: «**لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[١] نفى به الدخول المطلق الذي توعد به في القرآن توعدًا مطلقا، وهو دخول الخلود فيها؛ وأنه لا يخرج منها بشفاعة ولا غيرها، مثل قوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥﴾ [الليل:١٥]، وقوله: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر:٦٠].

فيقال: إن من في قلبه مثقال ذرة من إيمان يمنع من هذا الدخول المعروف، لا أنه لا يصيبه شيء من عذاب النار؛ لأنه ﷺ قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم؛ فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا حمما أذن في الشفاعة؛ فخرجوا ضبائر ضبائر؛ فينبتون على نهر الجنة**»[٢].

وكذلك قوله: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[٣] نفى الدخول المطلق المعروف وهو دخول المؤمنين الذين أعدت لهم الجنة كقوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣]

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ».

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الآية. وقوله: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس:٢٦-٢٧]، وأمثال ذلك مما يطلق فيه الدخول والمراد الدخول ابتداء من غير سبق عذاب في النار بحيث لا يفهم من ذلك أنهم يعذبون فهذا الدخول لا يناله من في قلبه مثقال ذرة من كبر.

وأيضا فهذه الأحاديث مبين فيها سبب دخول الجنة من العمل الصالح، وسبب دخول النار كالكبر.

فإن وجد في العبد أحد السببين فقط فهو من أهله، وإن وجدا فيه معا استحق الجنة والنار، فالذي معه كبر وإيمان يستحق النار فيعذب فيها حتى يزول الكبر من قلبه وحينئذ يدخل الجنة، ولم يبق في قلبه كبر، ولا مثقال ذرة منه، كما أنه إذا تاب منه لم يكن من أهله وكذا إذا عذب في الدنيا أو في الآخرة لم يكن حينئذ من أهله؛ فقوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة**»(١) حق إذا أريد به الدخول المطلق الكامل أريد بـ(المؤمن) الكامل المطلق وإذا أريد بالدخول مطلق الدخول؛ فقد يتناول الدخول بعد العذاب، فإنه يراد به مطلق المؤمن، حتى يتناول الفاسق الذي في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ فإن هذا يدخل في مطلق المؤمن كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]، ولا يدخل في المؤمن المطلق كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال:٢] الآية، ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة ينتفي الاسم عن المسمى تارة لنفي حقيقته وكماله، ويثبت له تارة لوجود أصله وبعضه؛ حتى يقال للعالم القاصر، والصانع القاصر: هذا عالم وهذا صانع بالنسبة إلى من لا يعلم وإلى من لا يصنع. ويقال: هذا ليس بعالم ولا صانع لوجود نقصه وتقصيره. ويقال للكامل: هو العالم والصانع، وهذا هو الشجاع، وأمثاله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم برقم (١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «**نفس مسلمة**».

كثيرة من الأسماء والصفات: كالمؤمن، والكافر، والفاسق، والمنافق، والله أعلم.

وقال الحافظ الحكمي رحمه الله في «معارج القبول» (٢/ ٤٢٧):

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الأَحَادِيثَ الدَّالَّةَ عَلَى أَنَّ الشَّهَادَتَيْنِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ والنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ لَا تَناقُضَ بَيْنَهَا وبَيْنَ أَحَادِيثِ الوعِيدِ الَّتِي فِيهَا: مَنْ فَعَلَ ذَنْبَ كَذَا فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ، أَولَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ فَعَلَ كَذَا؛ لِإِمْكَانِ الجمْعِ بَيْنَ النُّصُوصِ بأنها جِنَانٌ كَثِيرَةٌ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ وبِأَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ أَيْضًا مُتَفَاوتُونَ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ فِي السَّبْقِ وارْتِفَاعِ المَنَازِلِ، فَيَكُونُ فَاعِلُ هَذَا الذَّنْبِ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ الَّتِي أعدت لمن لم يرتكبه، أولا يدخلها في الوقت الذي يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبُ ذَلِكَ الذَّنْبَ، وهَذَا واضِحٌ مَفْهُومٌ لِلْعَارِفِ بِلُغَةِ العَرَبِ.اهـ

١٣ هل للعباد على الله حق واجب كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِيْ «جَامِعِ المَسَائِلِ» (١/ ١٥١):

هذه المسألة ونحوها للناس فيها ثلاثة أقوال، طَرَفانِ ووسَط:

طائفة تقول: إنّ الله يجب عليه أشياء، ويَحْرُمُ عليه أشياء، بالقياس على المخلوقين، وإنّ العباد بقياسِ عقولهم يُوجِبون عليه ويُحرِّمون عليه، كما يَجِبُ على العبادِ ويَحْرُمُ عليهم، فيقولون: يجب عليه أن يَفعَلَ في حقِّ كلِّ عبدٍ ما هو الأصلح له في دينه، ولهم في الصلاح الدنيوي نزاع. ويقولون: إنه لا يَقدِر على أن يفعلَ غيرَ ما فَعَلَ، وإن العبادَ يَقدِرون على مالا يَقدِرُ عليه اللهُ، وإنَّه لا يَقدِرُ أن يَهدِيَ ضالًا، ولا يُضِلّ مُهتديًا. وهذا قول القدرية من المعتزلة والشيعة وغيرِهم.

والقول الثاني: قول من يقول: إنّ الله سبحانَه وتعالَى لا يُوجِبُ هو على نفسِه شيئًا، ولا يُحَرِّمُ على نفسِه شيئًا، ولا يُنَزَّه عن فعلٍ من الأفعال، ويجوز أن يقع منه كل ما هو مقدور، فلا يَقدِرُ أن يَظلِمَ أحدًا، بل الظلمُ ممتنع لذاته، وإنّه ليس في أسمائه الحسنى وصفاتِه العُلاَ ما يَدُلُّ على تنزُّهِه عن أفعالٍ مذمومة، ولا عن اتخاذِه

ولدًا، ولا عن أمرِه بأن يُشْرَكَ به. وخالفوا قولَه: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾، وقالوا: إنه يجوز أن يأمر بالفحشاء والمنكر، وقالوا: لا يُنَزَّهُ قَطُّ عن فعل من الأفعال، ولا أمر من الأمور، وإنْ كان أمرًا بالشركِ والكذِب والظلم، وإن كان نهيًا عن الصدق والعدل والتوحيد،... ويقولون: إنه يَخلُق ما يَخلُق لا لسببٍ ولا لحكمةٍ. وهذا قول الجهمية الجبرية ومَن اتبعهم من المتأخرين.

والقول الثالث: ما دلَّ عليه الكتابُ والسنَّة، وكان عليه سلفُ الأمّة وأئمَّتُها، كالأئمة الأربعة وغيرهم: أنه سبحانَه عليم حكيم رحيم، وأنّه كتبَ على نفسِه الرحمةَ كما أخبرَ في كتابه، وحَرَّم على نفسه الظلم، كما ثبتَ في الحديث الصحيح الإلهي عن أبي ذرّ الغِفَاري عن النبي ﷺ فيما يُخبِر به عن ربه عزَّ وجلَّ أنه قال: «**يا عبادي، إني حَرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا**»(١). وإنّه أوجبَ على نفسه نَصْرَ المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم:٤٧]، فليس للمخلوق بنفسه على اللهِ حقٌّ، ولا يُقاسُ الخالقُ بالمخلوق فيما يفعلُه، كما لا يقاسُ بالمخلوقِ في صفاتِه وذاتِه، بل ليس كمثلِه شيء، لا في ذاتِه ولا في صفاتِه ولا في أفعالِه، ولكن هو كتبَ على نفسِه الرحمةَ، وحرَّم على نفسه الظلمَ كما تقدَّم. وقد اتفق المسلمون على أنه أخبرَ بما أخبَر به من ثواب المؤمنين وعقوبة الكافرين، وأنه صادقٌ لا يُخلِفُ الميعاد، فاتفقوا على ثبوتِ الخبر، وإنما النزاعُ في كتابتِه على نفسِه وتحريمِه على نفسه، لكن النصوصَ دَلَّتْ على ذلك.

وكذلك حَلفُه «لَيفعلَنَّ» كقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾[ص:٨٥]. وقوله: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ [السجدة:١٣]. ومثلُ هذا القسم ليسَ خبرًا محضًا، بل فيه معنى الإرادة والعهد، كما في الوعد.

وهذه المسألة فرعٌ على هذا الأصل، والكلامُ على هذا مبسوط في مواضعَ غيرِ هذا، وهذا مقدارُ ما احتملتْهُ الورقةُ من الجواب.

فعلى هذا فقوله: «**أتَدريْ ما حقُ اللهِ على عبادِه؟**» قال: اللهُ ورسوله أعلم. قال: «**حقُّه عليهم أن يَعبُدوه، لا يُشرِكوا به شيئًا**»، هو حق استحقهُ بنفسِه على عبادِه. وقوله: «**أتدري ما حق العبادِ على اللهِ إذا فعلوا ذلك؟ أَنْ لا يُعذبَهم**»، هو حق أَحَقه على نفسِه لعبادِه، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:٤٧]، فهو أَحَقَّه بنفسِه على نفسِه، لا لأنَ العبادَ بأنفسِهم يستحقون عليه شيئًا، ولا يُقاس على خَلقِه فيما يستحقُّه المخلوقُ على المخلوق، فإنه خلقَ عبادَه، ولم يكونوا قبلَ وجودِهم شيئًا، بل عدمًا محضًا لا يستحقون شيئًا، ثمَّ لما خلقَهم؛ فكل ما فيهم من الأمور الوجودية هي مخلوقة له، فيمتنع أن يكون مُوجَبًا على الربِّ عزَ وجل محرمًا عليه، والله أعلم.اهـ

١٤ مسألة: سؤال الرب عز وجل بالحق الذي أوجبه على نفسه.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١/ ٢٢٠):

إنْ كَانَ الحَقُّ الَّذِي سَأَلَ بِهِ سَبَبًا لِإِجَابَةِ السُّؤَالِ حَسُنَ السُّؤَالُ بِهِ كَالْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ لِعَابِدِيهِ وسَائِلِيه. وأَمَّا إذا قَالَ السَّائِلُ: بِحَقِّ فُلَانٍ وفُلَانٍ فَأُولَئِكَ إذا كَانَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ حَقٌّ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ، وأَنْ يُكْرِمَهُمْ بِثَوابِهِ، ويَرْفَعَ دَرَجَاتِهِمْ - كَمَا وعَدَهُمْ بِذَلِكَ وأَوجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ - فَلَيْسَ فِي اسْتِحْقَاقِ أُولَئِكَ مَا اسْتَحَقُّوهُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِمَطْلُوبِ هَذَا السَّائِلِ؛ فإن ذَلِكَ اسْتَحَقَّ مَا اسْتَحَقَّهُ بِمَا يَسَّرَهُ اللهُ لَهُ مِنْ الإيمان والطَّاعَةِ. وهَذَا لَا يَسْتَحِقُّ مَا اسْتَحَقَّهُ ذَلِكَ.

فَلَيْسَ فِي إكْرَامِ اللهِ لِذَلِكَ سَبَبٌ يَقْتَضِي إجَابَةَ هَذَا. وإِنْ قَالَ: السَّبَبُ هُو شَفَاعَتُهُ ودُعَاؤُهُ، فَهَذَا حَقٌّ إذا كَانَ قَدْ شَفَعَ لَهُ ودَعَا لَهُ، وإِنْ لَمْ يَشْفَعْ لَهُ ولَمْ يَدْعُ لَهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَبَبٌ.

وإِنْ قَالَ: السَّبَبُ هُو مَحَبَّتِي لَهُ وإيماني بِهِ ومُوالاتِي لَهُ؛ فَهَذَا سَبَبٌ شَرْعِيٌّ؛ وهُو سُؤَالُ اللَّهِ وتَوسُّلٌ إِلَيْهِ بِإيمان هَذَا السَّائِلِ ومَحَبَّتِهِ لِلَّهِ ورَسُولِهِ؛ وطَاعَتِهِ لِلَّهِ ورَسُولِهِ؛ لَكِنْ يَجِبُ الفَرْقُ بَيْنَ المَحَبَّةِ لِلَّهِ والْمَحَبَّةِ مَعَ اللَّهِ: فَمَنْ أَحَبَّ مَخْلُوقًا كَمَا يُحِبُّ الخَالِقَ فَقَدْ جَعَلَهُ نِدًّا لِلَّهِ، وهَذِهِ المَحَبَّةُ تَضُرُّهُ ولَا تَنْفَعُهُ، وأَمَّا مَنْ كَانَ اللهُ تَعَالَى أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُ وأَحَبَّ أَنْبِيَاءَهُ وعِبَادَهُ الصَّالِحِينَ لَهُ فَحُبُّهُ لِلَّهِ تَعَالَى هُو أَنْفع الأَشْيَاءِ والْفَرْقُ بَيْنَ هَذَيْنِ مِنْ أَعْظَمِ الأُمُورِ.

والَّذِي قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ وأَصْحَابُهُ وغَيْرُهُمْ مِنْ العُلَمَاءِ - مِنْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْأَلَ اللهُ تَعَالَى بِمَخْلُوقٍ: لَا بِحَقِّ الأَنْبِيَاءِ ولَا غَيْرِ ذَلِكَ - يَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ.

(**أَحدُهُمَا**) الإِقْسَامُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى بِهِ، وهَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ عِنْدَ جَمَاهِيرِ العُلَمَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ كَمَا يُنْهَى أَنْ يُقْسَمَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَعْبَةِ والْمَشَاعِرِ بِاتِّفَاقِ العُلَمَاءِ.

و(**الثَّانِي**) السُّؤَالُ بِهِ فَهَذَا يُجَوزُهُ طَائِفَةٌ مِنْ النَّاسِ، ونُقِلَ فِي ذَلِكَ آثَارٌ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ وهُو مَوجُودٌ فِي دُعَاءِ كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ لَكِنْ مَا رُويَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ كُلُّهُ ضَعِيفٌ بَلْ مَوضُوعٌ. ولَيْسَ عَنْهُ حَدِيثٌ ثَابِتٌ قَدْ يُظَنُّ أَنَّ لَهُمْ فِيهِ حُجَّةً إلَّا حَدِيثَ الأَعْمَى الَّذِي عَلَّمَهُ أَنْ يَقُولَ: «**أَسْأَلُك وأَتوجَّهُ إِلَيْك بِنَبِيِّك مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ**»(١) وحَدِيثُ الأَعْمَى لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ فإنه صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ إِنَّمَا تَوسَّلَ بِدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وشَفَاعَتِهِ وهُو طَلَبٌ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ الدُّعَاءَ، وقَدْ أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٧٢٤٠)، والترمذي (٣٥٧٨)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٤٩٥)، وهو في "عمل اليوم والليلة" (٦٥٩)، وابن ماجه (١٣٨٥)، من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه، بإسناد صحيح.

«**اللهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ**»، ولِهَذَا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ لَمَّا دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ وكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يُعَدُّ مِنْ آيَاتِ النَّبِيِّ ﷺ.

ولَو تَوسَّلَ غَيْرُهُ مِنَ العُمْيَانِ الَّذِينَ لَمْ يَدْعُ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ بِالسُّؤَالِ بِهِ لَمْ تَكُنْ حَالُهُمْ كَحَالِهِ. ودُعَاءُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ المَشْهُورِ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ والْأَنْصَارِ وقَولُهُ: «**اللهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذا أَجْدَبْنَا نَتَوسَّلُ إِلَيْك بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وإِنَّا نَتَوسَّلُ إِلَيْك بِعَمِّ نَبِيِّنَا**»[1]: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ **التَّوسُّلَ المَشْرُوعَ عِنْدَهُمْ هُو التَّوسُّلُ بِدُعَائِهِ وشَفَاعَتِهِ لَا السُّؤَالُ بِذَاتِهِ**؛ إِذْ لَوكَانَ هَذَا مَشْرُوعًا لَمْ يَعْدِلْ عُمَرُ والْمُهَاجِرُونَ والْأَنْصَارُ عَنْ السُّؤَالِ بِالرَّسُولِ إِلَى السُّؤَالِ بِالْعَبَّاسِ.

وشَاعَ النِّزَاعُ فِي السُّؤَالِ بِالْأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ؛ دُونَ الإِقْسَامِ بِهِمْ؛ لِأَنَّ بَيْنَ السُّؤَالِ والْإِقْسَامِ فَرْقًا: فإن السَّائِلَ مُتَضَرِّعٌ ذَلِيلٌ يَسْأَلُ بِسَبَبٍ يُنَاسِبُ الإِجَابَةَ والمُقْسِمُ أَعْلَى مِنْ هَذَا فإنه طَالِبٌ مُؤَكِّدٌ طَلَبَهُ بِالْقَسَمِ والْمُقْسِمُ لَا يُقْسِمُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَرَى أَنَّهُ يبرُّ قَسَمَهُ فَإِبْرَارُ القَسَم خَاصٌّ بِبَعْضِ العِبَادِ.

وأَمَّا إِجَابَةُ السَّائِلِينَ فَعَامٌّ؛ فإن اللَّهَ يُجِيبُ دَعْوةَ المُضْطَرِّ ودَعْوةَ المَظْلُومِ وإِنْ كَانَ كَافِرًا وفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ولَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى خِصَالٍ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوتَهُ وإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الخَيْرِ مِثْلَهَا وإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذا نُكْثِرُ. قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»[2].

وهَذَا التَّوسُّلُ بِالْأَنْبِيَاءِ بِمَعْنَى السُّؤَالِ بِهِمْ -وهُو الَّذِي قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وأَصْحَابُهُ وغَيْرُهُمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ- لَيْسَ فِي المَعْرُوفِ مِنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ فَضْلًا أَنْ يُجْعَلَ هَذَا مِنْ مَسَائِلِ السَّبِّ؛ فَمَنْ نَقَلَ عَنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ أَنَّهُ جوزَ التَّوسُّلَ بِهِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١١١٣٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، والترمذي (٣٥٧٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

بِمَعْنَى الإِقْسَامِ بِهِ أَو السُّؤَالِ بِهِ: فَلَيْسَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ نَقْلٌ عَنْ مَالِكٍ وأَصْحَابِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَقُولَ مَالِكٌ: إِنَّ هَذَا سَبٌّ لِلرَّسُولِ أَو تَنَقُّصٌ لَهُ.اهـ

قال ابن أبي العز رحمه الله في "شرح الطحاوية" (١/ ٢٩٤):

وأَمَّا الِاسْتِشْفَاعُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وغَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّعَاءِ، فَفِيهِ تَفْصِيلٌ: فإِن الدَّاعِيَ تَارَةً يَقُولُ: بِحَقِّ نَبِيِّكَ أَو بِحَقِّ فُلَانٍ، يُقْسِمُ عَلَى اللَّهِ بِأَحَدٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، **فَهَذَا مَحْذُورٌ مِنْ وجْهَيْنِ:**

أَحدُهُمَا: أَنَّهُ أَقْسَمَ بِغَيْرِ اللَّهِ. **والثَّانِي:** اعْتِقَادُهُ أَنَّ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ حَقًّا. ولَا يَجُوزُ الحَلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، ولَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ حَقٌّ إِلَّا مَا أَحَقَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:٤٧]، وكَذَلِكَ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ لِمُعَاذٍ رضي الله عنه، وهُو رَدِيفُهُ: يَا مُعَاذُ، «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟**

قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذا فَعَلُوا ذَلِكَ؟**» قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّهُمْ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**». فَهَذَا حَقٌّ وجَبَ بِكَلِمَاتِهِ التَّامَّةِ ووعْدِهِ الصَّادِقِ، لَا أَنَّ العَبْدَ نَفْسَهُ مُسْتَحِقٌّ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا كَمَا يَكُونُ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى المَخْلُوقِ، فإِن اللَّهَ هُو الْمُنْعِمُ عَلَى العِبَادِ بِكُلِّ خَيْرٍ، وحَقُّهُمُ الواجِبُ بِوعْدِهِ هُو أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ، وتَرْكُ تَعْذِيبِهِمْ مَعْنًى لَا يَصْلُحُ أَنْ يُقْسَمَ بِهِ، ولَا أَنْ يُسْأَلَ بِسَبَبِهِ ويُتَوسَّلَ بِهِ، لِأَنَّ السَّبَبَ هُو مَا نَصَبَهُ اللهُ سَبَبًا. وكَذَلِكَ الحَدِيثُ الَّذِي فِي المُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي قَولِ المَاشِي إِلَى الصَّلَاةِ: «**أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا، وبِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ**»[1]، فَهَذَا حَقُّ السَّائِلِينَ، هُو أَوجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُو الَّذِي أَحَقَّ لِلسَّائِلِينَ أَنْ يُجِيبَهُمْ، ولِلْعَابِدِينَ أَنْ يُثِيبَهُمْ، ولَقَدْ أَحْسَنَ القَائِلُ:

---

(١) **ضعيف:** أخرجه أحمد (١١١٥٦)، وابن ماجه (٧٧٨) من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ لضعف عطية العوفي.

مَـا لِلْعِبَـادِ عَلَيْـهِ حَـقٌّ واجِـبٌ ... كَلَّا ولَا سَـعْيٌ لَدَيْـهِ ضَـائِعُ
إِنْ عُـذِّبُوا فَبِعَـدْلِهِ، أَو نُعِّمُـوا ... فَبِفَضْلِهِ وهُو الْكَـرِيمُ الواسِـعُ

فَإِنْ قِيلَ: فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ قَولِ الدَّاعِي: (بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ) وبَيْنَ قَولِهِ: (بِحَقِّ نَبِيِّكَ) أَونَحْو ذَلِكَ؟

فَالْجَوابُ: أَنَّ مَعْنَى قَولِهِ: بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ أَنَّكَ وعَدْتَ السَّائِلِينَ بالْإِجَابَةِ، وأَنَا مِنْ جُمْلَةِ السَّائِلِينَ، فَأَجِبْ دُعَائِي، بِخِلَافِ قَولِهِ: بِحَقِّ فُلَانٍ - فإن فُلَانًا وإِنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ بِوعْدِهِ الصَّادِقِ - فَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ ذَلِكَ وبَيْنَ إِجَابَةِ دُعَاءِ هَذَا السَّائِلِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: لِكَونِ فُلَانٍ مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ أَجِبْ دُعَائِي!

وأَيُّ مُنَاسَبَةٍ فِي هَذَا وأَيُّ مُلَازَمَةٍ؟ وإِنَّمَا هَذَا مِنَ الِاعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ! وقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]. وهَذَا ونَحْوهُ مِنَ الأَدْعِيَةِ المُبْتَدَعَةِ، ولَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ولَا عَنِ الصَّحَابَةِ، ولَا عَنِ التَّابِعِينَ، ولَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ، وإِنَّمَا يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا فِي الحُرُوزِ والْهَيَاكِلِ الَّتِي يَكْتُبُ بِهَا الجُهَّالُ والطُّرُقِيَّةُ. والدُّعَاءُ مِنْ أَفْضَلِ العِبَادَاتِ، والْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَى السُّنَّةِ والِاتِّبَاعِ، لَا عَلَى الهَوى والِابْتِدَاعِ.

وإِنْ كَانَ مُرَادُهُ الإِقْسَامَ عَلَى اللَّهِ بِحَقِّ فُلَانٍ، فَذَلِكَ مَحْذُورٌ أَيْضًا، لِأَنَّ الإِقْسَامَ بِالْمَخْلُوقِ عَلَى المَخْلُوقِ لَا يَجُوزُ، فَكَيْفَ عَلَى الخَالِقِ؟! وقَدْ قَالَ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[1]، ولِهَذَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وصَاحِبَاهُ: يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الدَّاعِي: أَسْأَلُكَ بِحَقِّ فُلَانٍ، أَو بِحَقِّ أَنْبِيَائِكَ ورُسُلِكَ، وبِحَقِّ البَيْتِ الحَرَامِ، والْمَشْعَرِ الحَرَامِ، ونَحْو ذَلِكَ حَتَّى كَرِهَ أَبُو حَنِيفَةَ ومُحَمَّدٌ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعْقِدِ العِزِّ مِنْ عَرْشِكَ، ولَمْ يَكْرَهْهُ أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا بَلَغَهُ الأَثَرُ فِيهِ.

(١) أخرجه أحمد (٤٩٠٤)، وأبو داود برقم (٣٢٥١)، وهو حديث صحيح بشواهده .

وتَارَةً يَقُولُ: بِجَاهِ فُلَانٍ عِنْدَكَ، يَقُولُ: نَتَوسَّلُ إِلَيْكَ بِأَنْبِيَائِكَ ورُسُلِكَ وأَولِيَائِكَ. ومُرَادُهُ أَنَّ فُلَانًا عِنْدَكَ ذُو وجَاهَةٍ وشَرَفٍ ومَنْزِلَةٍ فَأَجِبْ دُعَاءَنَا. وهَذَا أَيْضًا مَحْذُورٌ، فإنه لَوكَانَ هَذَا هُو التَّوسُّلُ الَّذِي كَانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ لَفَعَلُوهُ بَعْدَ مَوتِهِ، وإِنَّمَا كَانُوا يَتَوسَّلُونَ فِي حَيَاتِهِ بِدُعَائِهِ، يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُو لَهُمْ، وهُمْ يُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِ، كَمَا فِي الِاسْتِسْقَاءِ وغَيْرِهِ. فَلَمَّا مَاتَ ﷺ قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه -لَمَّا خَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ-: «**اللهُمَّ إِنَّا كُنَّا إذا أَجْدَبْنَا نَتوسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وإِنَّا نَتَوسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا**»[١]. مَعْنَاهُ بِدُعَائِهِ هُو رَبَّهُ وشَفَاعَتِهِ وسُؤَالِهِ، لَيْسَ المُرَادُ أَنَّا نُقْسِمُ عَلَيْكَ بِهِ، أَو نَسْأَلُكَ بِجَاهِهِ عِنْدَكَ، إِذْ لَوكَانَ ذَلِكَ مُرَادًا لَكَانَ جَاهُ النَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمَ وأَعْظَمَ مِنْ جَاهِ العَبَّاسِ.

وتَارَةً يَقُولُ: بِاتِّبَاعِي لِرَسُولِكَ ومَحَبَّتِي لَهُ وإِيماني بِهِ وسَائِرِ أَنْبِيَائِكَ ورُسُلِكَ وتَصْدِيقِي لَهُمْ، ونَحْو ذَلِكَ. فَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ فِي الدُّعَاءِ والتَّوسُّلِ والِاسْتِشْفَاعِ، فَلَفْظُ التَّوسُّلِ بِالشَّخْصِ والتَّوجُّهِ بِهِ فِيهِ إِجْمَالٌ، غَلِطَ بِسَبَبِهِ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ: فإِن أُرِيدَ بِهِ التَّسَبُّبُ بِهِ لِكَونِهِ دَاعِيًا وشَافِعًا، وهَذَا فِي حَيَاتِهِ يَكُونُ، أَو لِكَونِ الدَّاعِي مُحِبًّا لَهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِهِ، مُقْتَدِيًا بِهِ، وذَلِكَ أَهْلٌ لِلْمَحَبَّةِ والطَّاعَةِ والِاقْتِدَاءِ، فَيَكُونُ التَّوسُّلُ إِمَّا بِدُعَاءِ الوسِيلَةِ وشَفَاعَتِهِ، وإِمَّا بِمَحَبَّةِ السَّائِلِ واتِّبَاعِهِ، أَو يُرَادُ بِهِ الإِقْسَامُ بِهِ والتَّوسُّلُ بِذَاتِهِ، فَهَذَا الثَّانِي هُو الَّذِي كَرِهُوهُ ونَهَوا عَنْهُ.

وكَذَلِكَ السُّؤَالُ بِالشَّيْءِ، قَدْ يُرَادُ بِهِ التَّسَبُّبُ بِهِ، لِكَونِهِ سَبَبًا فِي حُصُولِ المَطْلُوبِ، وقَدْ يُرَادُ بِهِ الإِقْسَامُ بِهِ.

ومِنَ الأَولِ: حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ أَووا إِلَى الغَارِ، وهُو حَدِيثٌ مَشْهُورٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ وغَيْرِهِمَا، فإِن الصَّخْرَةَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَتَوسَّلُوا إِلَى اللَّهِ بِذِكْرِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الخَالِصَةِ، وكُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: فإِن كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ؛ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ[٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢١٥)، ومسلم برقم (٢٧٤٣)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فَهَؤُلَاءِ: دَعَوا اللَّهَ بِصَالِحِ الأَعْمَالِ، لِأَنَّ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ هِيَ أَعْظَمُ مَا يَتَوسَّلُ بِهِ العَبْدُ إِلَى اللَّهِ، ويَتَوجَّهُ بِهِ إِلَيْهِ، ويَسْأَلُهُ بِهِ، لِأَنَّهُ وعَدَ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ويَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.اهـ

١٥ هل يصح لمن سئل عن شيء أن يقول: الله ورسوله أعلم؟

جاء عن بعض العلماء أنهم يقولون: إن كانت المسألة شرعية؛ فيجوز قوله: (الله ورسوله أعلم)، وإن كانت في أمور غيبية فلا يجوز. وهذا اختيار الإمام العثيمين رحمه الله.

والناظر في كلام الصحابة يجد أنهم لم يكونوا يقولونها بعد موته ﷺ، لا في مسألة فقهية، ولا في مسألة غيبية، **فالذي يظهر أنها لا تُقال بعد موته ﷺ، وإنما يُقال: (الله أعلم)**، وهذا رجَّحه الإمام ابن باز، والإمام الألباني، والإمام الفوزان، والإمام العباد، والشيخ بكر أبوزيد رحمهم الله. **ومع ذلك لو قالها في مسألة شرعية لا يقال: إنه ارتكب محرمًا.**

وقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه سأل الصحابة يومًا: ماذا تقولون في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ ﴾ [البقرة:٢٦٦] الآية؟ فقالوا: الله أعلم. ولم يزيدوا (ورسوله). وهو في "**صحيح البخاري**" (٤٥٣٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما[١].



(١) انظر: "التوسل أنواعه وأحكامه" للإمام الألباني، "شرح كتاب التوحيد للباز والعثيمين"، "معجم المناهي اللفظية" لبكر أبو زيد، "فتاوى اللجنة" (٢/ ١٦٣) (٢٤/ ١٥٦)، "شرح سنن أبي داود" للعباد.

[٨] وعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وهُو يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الـجَنَّةَ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.(١)

[٩] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لاَ يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الـجَنَّةِ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.(٢)

[١٠] وعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وجْهَ اللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٣)

[١١] وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**». أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ، وهُو عِنْدَ مُسْلِمٍ دُونَ قَولِهِ: «صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ».(٤)

[١٢] وعَنْ طَارِقِ بنِ أَشْيَم رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ ودَمُهُ، وحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.(٥)

[١٣] وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاَةَ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فإذا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوالَـهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٦)

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٢٥)، ومسلم برقم (٢٦٣) من [كتاب المساجد].

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٣).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

مسائل العقيدة المتعلقة بالأحاديث

١ شروط كلمة التوحيد والإخلاص: لا إله إلا الله.

قال ابن رجب رحمه الله في "**كتاب التوحيد**" (ص٣٩) بعد أن ذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل كلمة التوحيد، قال: وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أنَّ (لا إله إلا الله) سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه، وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه؛ لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن، ووهب بن منبه، وهو الأظهر، قال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نِعْمَ العِدَّة، إنَّ لـ(لا إله إلا الله) شروطًا، فإياك وقذف المحصنة. وقيل للحسن: إنَّ ناسًا يقولون: من قال: (لا إله إلا الله) دخل الجنة. فقال: من قال: (لا إله إلا الله)، فأدَّى حقها، وفرضها؛ دخل الجنة. وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس (لا إله إلا الله) مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان؛ فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك. انتهى

قال أبوعبدالله: **أثر الحسن الأول** أخرجه ابن أبي الدنيا في "**حسن الظن بالله**" (١٠٣)، وابن سعد (٧/ ١٤٠)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٦٦) دون قوله: (إن لـ لا إله إلا الله شروطًا...)، وهو حسن بمجموع طرقه. **وأما الأثر الثاني للحسن**، فأخرجه الأصبهاني في "**الحجة**" (٢/ ١٥٢)، وفي إسناده: الحسن بن عميرة، وهو مجهول.

وأما أثر وهب، فعلقه البخاري في "**صحيحه**" في أول [كتاب الجنائز]، ووصله في "**التاريخ**" (١/ ٩٥)، والبيهقي في "**الأسماء والصفات**" (٢٠٨)، وأبو نعيم في "**الحلية**" (٤/ ٦٦)، وفي إسناده: محمد بن سعيد بن رمانه، يرويه

عن أبيه، عن وهب، وهو وأبوه مجهولان.

قلت: ولكن يمكن أن يستأنس بهذه الآثار على المعنى المذكور، والله أعلم.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّمِ رحمه الله:

هذا وفتح الباب ليس بممكن … إلا بمفتاح على أسنان

مفتاحه بشهادة الإخلاص والتـ … ـوحيد تلك شهادة الإيمان

أسنانه الأعمال وهي شرائع ال … إسلام والمفتاح بالأسنان

لا تلغين هذا المثال فكم به … من حل إشكال لذي العرفان

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَنٍ رحمه الله في "**فَتْحِ المَجِيْدِ**" (ص١٤٨): لابد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

أحدها: العلم المنافي للجهل. **الثاني:** اليقين المنافي للشك. **الثالث:** القبول المنافي للرد. **الرابع:** الانقياد المنافي للترك. **الخامس:** الإخلاص المنافي للشرك. **السادس:** الصدق المنافي للكذب. **السابع:** المحبة المنافية لعدمها.

وزاد رحمه الله **شرطًا ثامنًا** في كتابه "**قرة عيون الموحدين**" (ص٥٠)، وهو: الكفر بما يعبد من دون الله. وله كلام يذكر فيه الأدلة على الشروط المذكورة ضمن "**الدرر السنية**" (٢/ ٢٤٣-٢٥٦) وهذا الإمام هو أول من وقفنا عليه ممن جمع هذه الشروط السبعة أو الثمانية استقراء من أدلة الكتاب والسنة فعليه رحمة الله، وقد نظمها بعضهم في بيتين؛ فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك … محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما … سوى الإله من الأوثان قد أُلِّهَا

وقال الحافظ الحكمي رحمه الله في "**سلم الوصول**":

لابد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

وبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ	وفِي نُصُوصِ الوحْيِ حَقًّا ورَدَتْ
فإنه لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا	بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
الْعِلْمُ والْيَقِينُ والْقَبُولُ	والِانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ
والصِّدْقُ والْإِخْلَاصُ والْمَحَبَّهْ	وفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّهْ

وهاك أدلة هذه الشروط مع بيان ما يحتاج إلى بيان:

الأول: الْعِلْمُ بِمَعْنَاهَا الْمُنَافِي لِلْجَهْلِ بِذَلِكَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، وقَالَ تَعالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الزخرف:٨٦]، أَيْ: بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الزخرف:٨٦]، بِقُلُوبِهِمْ مَعْنَى مَا نَطَقُوا بِهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ. ويدل على ذلك أيضًا حديث عثمان رضي الله عنه الذي في الباب.

والثَّاني: الْيَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ بِأَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا مُسْتَيْقِنًا بِمَدْلُولِ هَذِهِ الكَلِمَةِ يَقِينًا جَازِمًا، لا شك فيه، قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الحجرات:١٥]، إِلَى قَوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥]، فَاشْتَرَطَ فِي صِدْقِ إيمانهِمْ بِاللَّهِ ورَسُولِهِ كَونَهُمْ لَمْ يَرْتَابُوا أَيْ: لَمْ يَشُكُّوا، فَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَهو من الْمُنَافِقِينَ، والْعِيَاذُ بِاللهِ، الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٥]، ويدل على ذلك أيضًا حديث أبي هريرة الذي في الباب.

وفِي "**صحيح مسلم**" (٣١) عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَهُ بِنَعْلَيْهِ فَقَالَ: «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وراءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**».

والثَّالِثُ: الْإِخْلَاصُ وهُو تَصْفِيَةُ العَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ شَوائِبِ الشِّرْكِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر:٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ

مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الزمر:٢]، وقَالَ تعالَى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزمر:١١]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾ [الزمر:١٤]، وقَالَ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦] . ويدل على ذلك أيضًا حديث أبي هريرة، وعتبان بن مالك رضي الله عنهما اللذين في الباب.

والرَّابِعُ: الصِّدْقُ فِيهَا المُنَافِي لِلْكَذِبِ، وهُو أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا من قلبه يواطئ قَلْبُه لِسَانَهُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت:١-٣] إلى آخر الآيات. وقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوهَا كَذِبًا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ٨-١١].

ويدل على ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي في الباب في قوله: «**صدقا من قلبه**».

والخَامِسُ: الْمَحَبَّة لِهَذِهِ الكَلِمَةِ ولِمَا اقْتَضَتْهُ ودَلَّتْ عَلَيْهِ ولِأَهْلِهَا العَامِلِينَ بِهَا المُلْتَزِمِينَ لِشُرُوطِهَا، وبُغْضٍ مَا نَاقَضَ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وقَالَ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة:٥٤]، وقَالَ تعَالَى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] الآيات، وقَالَ تعَالَى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة:٢٢]، وقَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١] الآياتِ.

وقَالَ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣] الآيَتَيْنِ. وقَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه[1].

والسَّادِسُ: الِانْقِيَادُ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ المُنَافِي لِتَرْكِ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤]، وقَالَ تَعالَى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾ [لقمان:٢٢]، وقَالَ تعالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

والسَّابِعُ: الْقَبُولُ لِمَا اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الكَلِمَةُ بِقَلْبِهِ ولِسَانِهِ، وقَدْ قَصَّ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْنَا مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ مِنْ إِنْجاءِ مَنْ قَبِلَهَا وانْتِقَامِهِ مِمَّنْ رَدَّهَا وأَبَاهَا كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢) عن أنس رضي الله عنه.

ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[الزخرف: ٢٣-٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]، فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى عِلَّةَ تَعْذِيبِهِمْ وسَبَبَهُ هُو اسْتِكْبَارَهُمْ عَنْ قَولِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وتَكْذِيبَهُمْ مَنْ جَاءَ بِهَا، فَلَمْ يَنْفُوا مَا نَفَتْهُ ولَمْ يُثْبِتُوا مَا أَثْبَتَتْهُ بَلْ قَالُوا إِنْكَارًا واسْتِكْبَارًا ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾[ص:٥-٧]،

والثامن: الكفر والبراءة مما يعبد من دون الله، ودليله قوله تعالى ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾[الممتحنة:٤].

ويدل على ذلك أيضًا حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه الذي في الباب.

تنبيه: الشروط المذكورة بين بعضها والبعض تلازم، فتأمل ذلك، وقد قال المؤلف في كتابه "**قرة عيون الموحدين**" (ص٢٩): والصدق، والإخلاص متلازمان، لا يوجد أحدهما بدون الآخر؛ فإن من لم يكن مخلصًا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقًا فهو منافق.



ذِكْرُ بَعْضِ الأُمُورِ المُنَافِيَةِ لِلتَّوحِيْدِ

﴿١٤﴾ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وأَمْسَكَ عَنْ واحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً وتَرَكْتَ هَذَا! قَالَ: «**إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً**»، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وقَالَ: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ[١].

﴿١٥﴾ وعَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ؛ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَسُولًا: «**أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.[٢]

﴿١٦﴾ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَى، والتَّمَائِمَ، والتِّوَلَةَ شِرْكٌ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وأَبُو دَاودَ، وهُو حَدِيْثٌ حَسَنٌ[٣].

﴿١٧﴾ وعَنْ عَوفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[٤].

مسائل العقيدة المستفادة من الأحاديث

﴿١﴾ مسألة: تعريف الرقى والتمائم والتولة.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه "**التوحيد**":

التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين؛ لكن إذا كان المعلَّق من القرآن؛

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وكذلك ابن ماجه (٣٥٣٠)، والحاكم (٤/ ٢١٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٠).

فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

والرقى: هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك؛ فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وقال ابن عبد البر رحمه الله في **"التمهيد"** (١٧/ ١٦٢): **التميمة** في كلام العرب القلادة، هذا أصلها في اللغة. **ومعناها عند أهل العلم:** ما علق في الأعناق من القلائد؛ خشية العين أو غيرها من أنواع البلاء.

وقال البيهقي رحمه الله في **"الكبرى"** (٩/ ٣٥٠): قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: **أَمَّا التِّوَلَةُ** فَهِيَ بِكَسْرِ التَّاءِ، وهُو الَّذِي يُحَبِّبُ المَرْأَةَ إِلَى زَوجِهَا، وهو من السَّحْرِ وذَلِكَ لاَ يَجُوزُ وأَمَّا الرُّقَى والتَّمَائِمُ فَإِنَّمَا أَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ مَا كَانَ بِغَيْرِ لِسَانِ العَرَبِيَّةِ مِمَّا لاَ يُدْرَى مَا هُو.

قَالَ البيهقي رحمه الله: **والتَّمِيمَةُ** يُقَالُ إِنَّهَا خَرَزَةٌ كَانُوا يَتَعَلَّقُونَهَا يُرَونَ أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْهُمُ الآفَاتِ، ويُقَالُ قِلاَدَةٌ تُعَلَّقُ فِيهَا العُوذُ.اهـ

٢ مسألة: سبب تسمية الرقى (عزيمة).

سميت (العزائم) من عزم يعزم عزيمة، وهو المفرد لـ(عزائم)، **قيل:** لأنه يعزم بها على الجن عدم أذيتهم. **وقيل:** لأنهم اعتقدوها سببًا عظيمًا جدًّا لرفع المرض؛ فسميت عزيمة لذلك. **والرقية:** بمعنى العُوذه، والتعويذ **"معجم المصطلحات والألفاظ"** (٢/ ١٧٢).

قال ابن منظور في "لسان العرب": والعزائِمُ الرُّقَى، وعَزَمَ الرَّاقي كأَنه أَقْسَمَ على الدَّاء.اهـ

وقال القرافي رحمه الله في **"الفروق"** (٤/ ٣١٠): **العزائم** حقيقتها كلمات وأسماء يزعم أهل هذا العلم أنها تعظمها الملائكة؛ فمتى أقسم عليها بها أطاعت وأجابت

وفعلت ما طلب منها؛ فالمعزم يقسم بتلك الأسماء على ذلك الملك فيحضر القبيل من الجان الذي طلبه أو الشخص منهم فيحكم فيه بما يريد.اهـ

٣ مسألة: لماذا سميت التميمة بهذا الاسم؟

سميت تميمة؛ لأنهم كانوا يعتقدون في الجاهلية أن فيها تمام الشفاء، وأنَّ من فعل ذلك فقد تم شفاؤه، وحصل على دوائه المطلوب. "**معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**" (١/ ٤٩١).

٤ مسألة: ضابط الرقية المشروعة وغير المشروعة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله **في "الفتح" (٥٧٣٥):**

وقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوازِ الرُّقَى عِنْدَ اجْتِمَاعِ ثَلَاثَةِ شُرُوطٍ:

أَنْ يَكُونَ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، أَو بِأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ وبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، أَو بِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ.

وأَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ الرُّقْيَةَ لَا تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا، بَلْ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، واخْتَلَفُوا فِي كَونِهَا شَرْطًا، والرَّاجِحُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ اعْتِبَارِ الشُّرُوطِ الْمَذْكُورَةِ فَفِي "**صَحِيحِ مُسْلِمٍ**" مِنْ حَدِيثِ عَوفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**»[1] ولَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الرُّقَى؛ فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ، نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ. قَالَ: فَعَرَضُوا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «**مَا أَرَى بَأْسًا، مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٩).

وقَدْ تَمَسَّكَ قَومٌ بِهَذَا الْعُمُومِ؛ فَأَجَازُوا كُلَّ رُقْيَةٍ جُرِّبَتْ مَنْفَعَتُهَا، ولَو لَمْ يُعْقَلْ مَعْنَاهَا، لَكِنْ دَلَّ حَدِيثُ عَوفٍ أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ الرُّقَى يُؤَدِّي إِلَى الشِّرْكِ يُمْنَعُ ومَا لَا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى الشِّرْكِ؛ فَيَمْتَنِعُ احْتِيَاطًا والشَّرْطُ الْآخِرُ لَا بُدَّ مِنْهُ.

وقَالَ قَومٌ: لَا تَجُوزُ الرُّقْيَةُ إِلَّا مِنَ الْعَيْنِ واللَّدْغَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي (بَابِ مَنِ اكْتَوى) مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَو حُمَةٍ**»(١).

وأُجِيبَ بِأَنَّ مَعْنَى الْحَصْرِ فِيهِ أَنَّهُمَا أصل كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الرُّقْيَةِ؛ فَيَلْتَحِقُ بِالْعَيْنِ جَوازُ رُقْيَةِ مَنْ بِهِ خَبَلٌ أَو مَسٌّ ونَحو ذَلِكَ لِاشْتِرَاكِهَا فِي كَونِهَا تَنْشَأُ عَنْ أَحْوالٍ شَيْطَانِيَّةٍ مِنْ إِنْسِيٍّ أَو جِنِّيٍّ ويَلْتَحِقُ بِالسُّمِّ كُلُّ مَا عَرَضَ لِلْبَدَنِ مِنْ قَرْحٍ ونَحْوِهِ مِنَ الْمَوادِّ السُّمِّيَّةِ وقَدْ وقَعَ عِنْدَ أَبِي دَاودَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ مِثْلُ حَدِيثِ عِمْرَانَ، وزَادَ: «**أَو دَمٍ**»(٢) وفِي "**مُسْلِمٍ**" مِنْ طَرِيقِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي «**الرُّقَى مِنَ الْعَيْنِ والحُمَةِ والنَّمْلَةِ**»(٣) وفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**والْأُذُنِ**»(٤)، ولِأَبِي دَاودَ مِنْ حَدِيثِ الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «**أَلَا تعَلِّمِينَ هَذِهِ- يَعْنِي حَفْصَةَ- رُقْيَةَ النَّمْلَةِ**»(٥) والنَّمْلَةُ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبِ وغَيْرِهِ مِنَ الْجَسَدِ. **وقِيلَ**: الْمُرَادُ بِالْحَصْرِ، مَعْنَى الْأَفْضَلِ، أَيْ: لَا رُقْيَةَ أَنْفَعُ. كَمَا قِيلَ: لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٩٠٨)، وأبو داود (٣٨٨٤)، والترمذي (٢٠٥٧)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٨٩) بإسناد ضعيف، فيه شريك القاضي، وهو سيئ الحفظ.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٧١٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٨٨٧)، وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة (٢٣٥٤٠)، وإسحاق (٢١٨٥)، وأحمد (٢٦٤٥٠، و٢٧٠٩٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣١٧٧)، والنسائي في الكبرى (٧٥٠٠)، والطحاوي في شرح المعاني (٧١٨٣، و٧١٨٤)، والطبراني (٢٣/ ٢١٧، و٢٤/ ٣١٣)، والحاكم (٦٨٨٨)، وفي بعض هذه المصادر، أن الحديث من مسند حفصة رضي الله عنها، وهو حديث صحيح بطرقه.

وقَالَ قَوْمٌ: الْمَنْهِيُّ عَنْهُ مِنَ الرُّقَى مَا يَكُونُ قَبْلَ وقُوعِ الْبَلَاءِ، والْمَأْذُونُ فِيهِ مَا كَانَ بَعْدَ وقُوعِهِ ذكره ابن عَبْدِ الْبَرِّ والْبَيْهَقِيُّ وغَيْرُهُمَا وفِيهِ نَظَرٌ وكَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْخَبَرِ الَّذِي قُرِنَتْ فِيهِ التَّمَائِمُ بالرقى فَأَخْرَج أَبُو دَاود وابن ماجه وصَححهُ الْحَاكِم من طَرِيق ابن أخي زَيْنَب امْرَأَة ابن مَسْعُود عَنْهَا، عَن ابن مَسْعُودٍ رَفَعَهُ: «**إِنَّ الرُّقَى والتَّمَائِمَ والتِّولَةَ شِرْكٌ**»(١). وفِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ.

قال: وقَدْ ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ قَبْلَ وقُوعِهِ كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا فِي (بَابِ الْمَرْأَةِ تَرْقِي الرَّجُلَ) مِنْ حَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أَنَّهُ** ﷺ **كَانَ إذا أَوى إِلَى فِرَاشِهِ يَنْفُثُ بِالْمُعَوذَاتِ ويَمْسَحُ بِهِمَا وجْهَهُ**.. الْحَدِيثَ(٢)، ومضى فِي (أَحَادِيث الْأَنْبِيَاء) حَدِيث ابن عَبَّاسٍ **أَنَّهُ** ﷺ **كَانَ يُعَوذُ الْحَسَنَ والْحُسَيْنَ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وهَامَّةٍ** الْحَدِيث(٣).

وصَحَّحَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ خَولَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ مَرْفُوعًا: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَتَحَولَ**»(٤) وعِنْدَ أَبِي دَاودَ والنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: لُدِغْتُ اللَّيْلَةَ فَلَمْ أَنَمْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَو قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّكَ**»(٥).

والْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَوجُودَةٌ لَكِنْ يَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الرُّقَى أَخَصُّ مِنَ التَّعَوذِ، وإِلا فَالْخِلَافُ فِي الرُّقَى مَشْهُورٌ، ولَا خِلَافَ فِي مَشْرُوعِيَّةِ الْفَزَعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى والِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَا وقع ومَا يتوقَّع.

---

(١) **حسن**: مخرج في أحاديث الباب.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٨).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٣٧١).
(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٧)، وهو كذلك في مسلم (٢٧٠٨).
(٥) **حسن**: مخرج في أحاديث الباب.

وقَالَ ابن التِّينِ: الرُّقَى بِالْمُعوذَاتِ وغَيْرِهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ هُو الطِّبُّ الرُّوحَانِيُّ إذا كَانَ عَلَى لِسَانِ الْأَبْرَارِ مِنَ الْخَلْقِ حَصَلَ الشِّفَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمَّا عَزَّ هَذَا النَّوعُ فَزِعَ النَّاسُ إِلَى الطِّبِّ الْجُسْمَانِيِّ، وتِلْكَ الرُّقَى الْمَنْهِيُّ عَنْهَا الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا الْمُعَزِّمُ وغَيْرُهُ مِمَّنْ يَدَّعِي تَسْخِيرَ الْجِنِّ لَهُ فَيَأْتِي بِأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ حَقٍّ وبَاطِلٍ يَجْمَعُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وأَسْمَائِهِ مَا يَشُوبُهُ مِنْ ذِكْرِ الشَّيَاطِينِ والِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ والتَّعوذُ بِمَرَدَتِهِمْ، ويُقَالُ: إِنَّ الْحَيَّةَ لِعَدَاوتِهَا لِلْإِنْسَانِ بِالطَّبْعِ تُصَادِقُ الشَّيَاطِينَ لِكَونِهِمْ أَعْدَاءَ بَنِي آدَمَ فإذا عَزَّمَ عَلَى الْحَيَّةِ بِأَسْمَاءِ الشَّيَاطِينِ أَجَابَتْ وخَرَجَتْ مِنْ مَكَانِهَا، وكَذَا اللَّدِيغُ إذا رُقِيَ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ سَالَتْ سَمُومُهَا مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ؛ فَلِذَلِكَ كُرِهَ مِنَ الرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ بِذِكْرِ اللَّهِ وأَسْمَائِهِ خَاصَّةً وبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي يُعْرَفُ مَعْنَاهُ لِيَكُونَ بَرِيئًا مِنَ الشِّرْكِ، وعَلَى كَرَاهَةِ الرُّقَى بِغَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ عُلَمَاءُ الْأُمَةِ.

وقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الرُّقَى ثَلاثَةُ أَقْسَامٍ:**

أَحدُهَا: مَا كَانَ يُرْقَى بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِمَّا لَا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ فَيَجِبُ اجْتِنَابُهُ لِئَلَّا يَكُونَ فِيهِ شِرْكٌ أَو يُؤَدِّي إِلَى الشِّرْكِ.

الثَّانِي: مَا كَانَ بِكَلَامِ اللَّهِ أَو بِأَسْمَائِهِ؛ فَيَجُوزُ فإِن كَانَ مَأْثُورًا فَيُسْتَحَبُّ.

الثَّالِثُ: مَا كَانَ بِأَسْمَاءِ غَيْرِ اللَّهِ مِنْ مَلَكٍ أَو صَالِحٍ أَو مُعظَّمٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْعَرْشِ.

قَالَ: فَهَذَا فَلَيْسَ مِنَ الْواجِبِ اجْتِنَابُهُ، ولَا مِنَ الْمَشْرُوعِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ الِالْتِجَاءَ إِلَى اللَّهِ، والتَّبَرُّكَ بِأَسْمَائِهِ؛ فَيَكُونُ تَرْكُهُ أَولَى(١) إِلَّا أَنْ يَتَضَمَّنَ تَعْظِيمَ الْمُرْقَى بِهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُجْتَنَبَ كَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

---

(١) بل الرقية بأسماء الملائكة، والأنبياء، والصالحين من الشرك بالله الذي يجب اجتنابه.

قال الحافظ: وقَالَ الربيع: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنِ الرُّقْيَةِ فَقَالَ لَا بَأْسَ أَنْ يُرْقَى بِكِتَابِ اللَّهِ ومَا يُعْرَفُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ قُلْتُ أَيَرْقِي أَهْلُ الْكِتَابِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ نَعَمْ إذا رَقَوا بِمَا يُعْرَفُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وبِذِكْرِ اللَّهِ.

وفِي «**المُوطَّأِ**» أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِلْيَهُودِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ ترقى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **ارقيها بِكِتَاب الله**[1]. **وروى ابن وهبٍ عَنْ مَالِكٍ كَرَاهَةَ الرُّقْيَةِ بِالْحَدِيدَةِ والْمِلْحِ وعَقْدِ الْخَيْطِ** والَّذِي يَكْتُبُ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ وقَالَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ الْقَدِيمَ.

وقَالَ الْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: اخْتُلِفَ فِي اسْتِرْقَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَأَجَازَهَا قَومٌ، وكَرِهَهَا مَالِكٌ لِئَلَّا يَكُونَ مِمَّا بَدَّلُوهُ، وأَجَابَ مَنْ أَجَازَ بِأَنَّ مِثْلَ هَذَا يَبْعُدُ أَنْ يَقُولُوهُ وهُو كَالطِّبِّ سَواءٌ كَانَ غَيْرُ الْحَاذِقِ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَقُولَ والْحَاذِقُ يَأْنَفُ أَنْ يُبَدِّلَ حِرْصًا عَلَى اسْتِمْرَارِ وصْفِهِ بِالْحِذْقِ لِتَرْوِيجِ صِنَاعَتِهِ. والْحَقُّ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاص والْأَحوال وسُئِلَ ابن عَبْدِ السَّلَامِ عَنِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فَمَنَعَ مِنْهَا مَا لَا يُعْرَفُ لِئَلَّا يَكُونَ فِيهَا كُفْرٌ، وسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى مَنْ مَنَعَ الرُّقَى أَصْلًا فِي بَابِ مَنْ لَمْ يَرْقِ بَعْدَ خَمْسَةِ أَبْوابٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٢٤/ ٢٨٣):

كُلُّ اسْمٍ مَجْهُولٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْقِيَ بِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَدْعُو بِهِ ولَو عَرَفَ مَعْنَاهَا وأَنَّهُ صَحِيحٌ لَكُرِهَ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ بِغَيْرِ الأَسْمَاءِ العَرَبِيَّةِ.اهـ

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة الفاتحة في كلامه على الجمع بين حديث الباب، وما ورد عن النبي ﷺ من الرقية، قال: فيه جوابان:

أحدُهما: نسخُه، وإنَّما كان ذلك في أول الأمر، لأنَّ الرُّقى مَظنَّة الشِّرك، فعُلِّق

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٤٣) عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمنِ؛ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وهِيَ تَشْتَكِي. ويَهُودِيَّةٌ تَرْقِيهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ارْقِيهَا بِكِتَابِ اللهِ.

والأثر ظاهره الإرسال؛ لأن عمرة تحكي القصة، وهي لم تدركها، ولكن لعلها أخذتها عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فقد كانت ملازمة لها، كثيرة الرواية عنها.

الحُكم بالمظنَّة، ثم عُلِّق بالحقيقة، لا سيَّما وكان في أولِ الأمر القصدُ حَسم مَادة الشِّرك بالكليَّة، كما نُهي عن الشُّربِ في الظُّروفِ لأنَّها مَظنَّةُ السُّكْرِ، ثم رُخِّص فيها.

والثاني: أن يُحْمَل ذلك على ما هو شِركٌ في نفسِه، وهو أظهر.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ **كَمَا فِي كِتَابِ "الاستغاثة"** (١/ ١١٨):

وفي "**الصحيح**" عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»، فنهى عن الرقى التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالجن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن:٦].

ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروع وغيره التي تتضمن الشرك، بل نهوا عن كل ما لا يعرف معناه من ذلك؛ خشية أن يكون فيه شرك بخلاف ما كان من الرقى.اهـ

٥ مسألة: حكم تعليق التميمة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ **في "التمهيد"** (١٧/ ١٦٣): وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون، من تعليق التمائم والقلائد، يظنون أنها تقيهم وتصرف البلاء عنهم، وذلك لا يصرفه إلا الله عز وجل وهو المعافي والمبتلي، لا شريك له؛ فنهاهم رسول الله ﷺ عما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليتهم.اهـ

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ **في "النهاية"**: **التمائم:** جمع تمِيمة، وهي خَرَزات كانت العرب تُعلّقها على أولادهم يَتَّقُون بها العين في زعْمهم؛ فأبْطلها الإسلام. قال: كأنهم كانوا يعتقدون أنها تمام الدَّواء والشفاء، وإنما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا بها دفْع المقادير المكتوبة عليهم؛ فطلبوا دفْع الأذَى من غير اللّه الذي هو دافِعه.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **في "الفتح"** (٥٧٣٥): والتَّمَائِمُ جَمْعُ تَمِيمَةٍ وهِيَ خَرَزٌ أَو قِلَادَةٌ تُعَلَّقُ فِي الرَّأْسِ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَدْفَعُ الْآفَاتِ والتِّوَلَةُ بِكَسْرِ الْمُثَنَّاةِ وفَتْحِ الْواو واللَّامِ مُخَفَّفًا شَيْءٌ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَجْلِبُ بِهِ

مَحَبَّةَ زَوجِهَا وهُو ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ وإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشِّرْكِ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا دَفْعَ الْمَضَارِّ وجَلْبَ الْمَنَافِعِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ.اهـ

وقال الإمام **محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ اللهُ في "**كتاب التوحيد**": مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ والخَيْطِ ونَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلاءِ أَو دَفْعِهِ وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨].

قال أبوعبد الله: وقد جاءت آثار عن الصحابة في الحكم على ذلك بأنه شرك:

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي "**المُصَنَّفِ**" (٧/ ٣٧٣):

حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، قَالَ: حدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: مَوضِعُ التَّمِيمَةِ مِنَ الإِنْسَانِ والطِّفْلِ شِرْكٌ.

إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ.

وقَالَ الإِمَامُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي "**المُصَنَّفِ**" (٧/ ٣٧٣):

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظِبْيَانَ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ، فَوجَدَ فِي عَضُدِهِ خَيطًا، قَالَ: فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: خَيطٌ رُقِيَ لِي فِيهِ، فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَو مِتَّ مَا صَلَّيْتُ عَلَيْكَ.

إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ.

وقال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره سورة يوسف آية (١٠٦): حدثنا محمد بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب، ثنا يونس بن محمد ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن عزرة قال: دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيرًا فقطعه أو انتزعه، ثم قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف:١٠٦].

رجال إسناده ثقات؛ إلا أن عزرة لم يسمع من حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولكن للأثر طريق أخرى يتقوى بها:

وقَالَ الإِمَامُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِيْ "**المُصَنَّفِ**" (٧/ ٣٧٣):

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ يَزِيدَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ وهْبٍ، قَالَ: انْطَلَقَ حُذَيْفَةُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ النَّخَعِ يَعُودُهُ، فَانْطَلَقَ وانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ودَخَلْتُ مَعَهُ، فَلَمَسَ عَضُدَهُ، فَرَأَى فِيهِ خَيْطًا، فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَومِتَّ وهَذَا فِي عَضُدِكَ مَا صَلَّيْتُ عَلَيْكَ.

إسناده ضعيف؛ يزيد بن أبي زياد ضعيف، والأثر حسن بالطريقين.

قال أبوعبد الله غفر الله له: التعليق للتمائم قد يكون شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر، وذلك باختلاف ما يكون في قلب صاحبه؛ فيكون شركًا أكبر إذا اعتقد أنها تدفع الضر، وتجلب النفع بنفسها؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٨] الآية، ويكون شركًا أصغر، إذا اعتقد أن الذي يدفع الضر، ويجلب النفع هو الله تعالى، ولكن جعل التعليقَ سببًا؛ فهذا شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس سببًا شرعيًّا، ولا قدريًّا سببًا؛ ولأنه ذريعة إلى الشرك الأكبر؛ فإن الإنسان إذا استمر عليه، وانتشر بين الناس يصل إلى أن يعتقد البعض أن النفع والضر منهما.

ويُحمل كلام علي وحذيفة رضي الله عنه ما على أنَّ الرجل علقه، وهو يعتقد فيه اعتقاد أهل الجاهلية، يعتقد أنَّ منه النفع والضر، وهذا شركٌ أكبر. أو يُحمل على أنهما أرادا الزجر عن هذا العمل، وإن لم يصل إلى حد الكفر، وهذا قد ورد عن جماعة من السلف، وهو أنهم يتركون الصلاة على مرتكبي بعض كبائر الذنوب كما ترك النبي ﷺ الصلاة على من قتل نفسه[1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٧٨) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

٦ الأسباب التي يجوز فعلها، ولا تنافي التوحيد:

الأسباب قسمان: أسباب عرفت بالشرع، وهي الشرعية. وأسباب عرفت بالتجربة، وهي القدرية، فالأسباب القدرية هي التي عرفت بالتجربة، وكان أثرها ظاهرًا، ومعنى (أثرها ظاهرًا): أن تكون هناك علاقة بين هذا، وهذا، فلو تتابع الناس على عمل شيء ليس له أثر ظاهر، وليس من الأسباب الشرعية فلا يعد بذلك سببًا قدريًّا، بل هو من تزيين الشيطان لهم، **لكن لو عُلم أن بعض الأمراض ينفع فيها ربط خيط في عرق مثلًا، مع وجود علاقة بينهما؛ فإنه ليس بمحرم**، لكن لو ربط من الحمى؛ فإنه ليس هناك أثر ظاهر بينهما؛ فلا يجوز حتى ولو شفي المريض؛ فإنه لا يعتمد على هذا؛ لأنه من تزيين الشيطان؛ فإنه قد يوجد ألم من الآلام بسبب أن الشيطان ينخس فيه، فلما يفعلون هذا الأمر المبتدع كالخيط يكف شره، فيظن الناس أن هذا بسبب تعليق الخيط مثلًا.

٧ وجوب العمل بالأسباب الشرعية التي أمر الله بها والتحذير من الاعتماد عليها:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى»** (٨/ ١٣٧):

قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ: تَكَلَّمَ قَومٌ مِنْ النَّاسِ فِي إبْطَالِ الْأَسْبَابِ والْقُوى والطَّبَائِعِ فَأَضْحَكُوا الْعُقَلَاءَ عَلَى عُقُولِهِمْ. ثُمَّ إنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ إنَّهُ شَبِعَ بِالْخُبْزِ ورُوِيَ بِالْمَاءِ بَلْ يَقُولُ شَبِعْت عِنْدَهُ ورُويت عِنْدَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ الشِّبَعَ والرِّيَّ ونَحو ذَلِكَ مِنْ الْحَوادِثِ عِنْدَ هَذِهِ الْمُقْتَرِنَاتِ بِهَا عَادَةً؛ لَا بِهَا، وهَذَا خِلَافُ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ

ﭐلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف:٥٧] الْآيَةَ، وقَالَ تَعالَى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة:١٦٤].

وقَالَ تَعَالَى ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة:١٤]، وقَالَ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة:٥٢].

وقَالَ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾ [ق:٩]، وقَالَ تَعَالَى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٩٩]، وقَالَ تَعَالَى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ﴾ [فاطر:٢٧]، وقَالَ تَعَالَى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل:١٠]، ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ﴾ [النحل:١١].

وقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦] - إِلَى قَولِهِ - ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ﴾ [البقرة:٢٦]، وقَالَ ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا﴾ [المائدة:١٥]، ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٦]، ومِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وكَذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ظُلْمَةً وإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ نُورًا**»(١) ومِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم (٩٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهذه اللفظة قد أعلت؛ فالحديث في الصحيحين وغيرهما بدون هذه الزيادة، وقد قال الحافظ في "الفتح" (١٣٣٧): هي زيادة مدرجة في هذا الإسناد من مراسيل ثابت. بين ذلك غير واحد من أصحاب حماد بن زيد، وقد أوضحت ذلك بدلائله في كتاب "بيان المدرج".

ونَظِيرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَبْطَلُوا الْأَسْبَابَ الْمُقَدَّرَةَ فِي خَلْقِ اللَّهِ مَنْ أَبْطَلَ الْأَسْبَابَ الْمَشْرُوعَةَ فِي أَمْرِ اللَّهِ؛ كَالَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ مَا يَحْصُلُ بِالدُّعَاءِ والْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْخَيْرَاتِ إنْ كَانَ مُقَدَّرًا حَصَلَ بِدُونِ ذَلِكَ.

وإِنْ لَمْ يَكُنْ مُقَدَّرًا لَمْ يَحْصُلْ بِذَلِكَ. وهَؤُلَاءِ كَالَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ «**أَفَلَا نَدَعُ الْعَمَلَ ونَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابِ؟ فَقَالَ لَا. اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(١). وفِي السُّنَنِ أَنَّهُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيت أَدْوِيَةً نَتَدَاوى بِهَا، ورُقًى نسترقي بِهَا؛ وتُقَاةً نَتَّقِيهَا؛ هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: «**هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ**»(٢).

ولِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ الْعُلَمَاءِ: الِالْتِفَاتُ إلَى الْأَسْبَابِ شِرْكٌ فِي التَّوحِيدِ ومَحْو الْأَسْبَابِ أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا تَغْيِيرٌ فِي وجْهِ الْعَقْلِ؛ والْإِعْرَاضُ عَنْ الْأَسْبَابِ بِالْكُلِّيَّةِ قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ.

واَللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْأَسْبَابَ والْمُسَبَّبَاتِ؛ وجَعَلَ هَذَا سَبَبًا لِهَذَا فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ إنْ كَانَ هَذَا مُقَدَّرًا حَصَلَ بِدُونِ السَّبَبِ وإِلَّا لَمْ يَحْصُلْ؛ جَوابُهُ أَنَّهُ مُقَدَّرٌ بِالسَّبَبِ ولَيْسَ مُقَدَّرًا بِدُونِ السَّبَبِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ؛ وخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ**»(٣) وقَالَ ﷺ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ. وأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوةِ**»(٤).

وفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وهُو الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «**إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَومًا نُطْفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ إلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١٥٤٧٤)، والترمذي (٢٠٦٥)، وابن ماجه (٣٤٣٧) من طريق أبي خزامة عن أبيه به، وهو حديث ضعيف في إسناده أبو خزامة، وهو مجهول.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كَلِمَاتٍ فَيُقَالُ اُكْتُبْ رِزْقَهُ وعَمَلَهُ وأَجَلَهُ وشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ. قَالَ فوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ؛ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ؛ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»(١).انتهى

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" (حديث/ ٤٩):

واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها ، وجرت سنته في خلقه بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل ، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء:٧١]، وقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾ [الأنفال:٦٠]، وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠] . وقال سهل التستري: من طعن في الحركة - يعني: في السعي والكسب - فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان ، فالتوكل حال النبي ﷺ ، والكسب سنته ، فمن عمل على حاله ، فلا يتركن سنته.اهـ

٨ مسألة الفرق بين التوكل على الله ، والعجز عن العمل:

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله في "كتابه الروح" (ص٢٥٤):

وَالْفرق بَين التَّوَكُّل وَالْعجز: أَن التَّوَكُّل عمل الْقلب وعبوديته؛ اعْتِمَادًا على الله وثقة بِهِ، والتجاء إِلَيْهِ، وتفويضا إِلَيْهِ، ورضا بِمَا يَقْضِيه لَهُ؛ لعلمه بكفايته سُبْحَانَهُ وَحسن اخْتِيَاره لعَبْدِهِ؛ إِذا فوض إِلَيْهِ مَعَ قِيَامه بالأسباب الْمَأْمُور بهَا، واجتهاده فِي تَحْصِيلهَا فقد كَانَ رَسُول الله ﷺ أعظم المتوكلين، وَكَانَ يلبس لامته

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وَدِرْعه، بل ظَاهر يَوْم أحد بَين درعين، واختفى فِي الْغَار ثَلَاثًا؛ فَكَانَ متوكلا فِي السَّبَب، لَا على السَّبَب

وَأما الْعَجز فَهُوَ تَعْطِيل الأمريْنِ، أَو أحدهمَا:

فإمَّا أَن يعطل السَّبَب؛ عَجزا مِنْهُ، وَيَزْعُم أَن ذَلِك توكل، ولعمر الله إِنَّه لعجز وتفريط.

وَإِمَّا أَن يقوم بِالسَّبَبِ؛ نَاظرا إِلَيْهِ، مُعْتَمدًا عَلَيْهِ، غافلا عَن الْمُسَبّب معرضًا عَنهُ، وَإِن خطر بِبَالِهِ؛ لم يثبت مَعَه ذَلِك الخاطر، وَلم يعلق قلبه بِهِ تعلقا تَاما بِحَيْثُ يكون قلبه مَعَ الله، وبدنه مَعَ السَّبَب، فَهَذَا توكله عجز، وعجزه توكل.

وَهَذَا موضِع انقسم فِيهِ النَّاس طرفين ووسطا:

فأحد الطَّرفَيْنِ عطل الْأَسْبَاب مُحَافظَة على التَّوَكُّل.

وَالثَّانِي: عطل التَّوَكُّل مُحَافظَة على السَّبَب.

وَالْوسط: علم أَن حَقِيقَة التَّوَكُّل، لَا يتم إِلَّا بِالْقيامِ بِالسَّبَبِ؛ فتوكل على الله فِي نفس السَّبَب، وَأما من عطل السَّبَب، وَزعم أَنه متوكل؛ فَهُوَ مغرور مخدوع متمن كمن عطل النِّكَاح والتسري، وتوكل فِي حُصُول الْوَلَد، وعطل الْحَرْث وَالْبذْر وتوكل فِي حُصُول الزَّرْع، وعطل الْأكل وَالشرب، وتوكل فِي حُصُول الشِّبَع والري. فالتوكل نَظِير الرَّجَاء، وَالْعجز نَظِير التَّمَنِّي.

فحقيقة التَّوَكُّل: أَن يتَّخذ العَبْد ربه وَكيلا لَهُ، قد فوض إِلَيْهِ كَمَا يُفَوض الْمُوكل إِلَى وَكيله، للْعَالم بكفايته، ونهضته ونصحه وأمانته وخبرته وَحسن اخْتِيَاره.

والرب سُبْحَانَهُ قد أَمر عَبده بالاحتيال، وتوكل لَهُ أَن يسْتَخْرج لَهُ من حيلته مَا يصلحه فَأمره أَن يحرث ويبذر، وَيسْعَى وَيطْلب رزقه فِي ضَمَان ذَلِك كَمَا قدره سُبْحَانَهُ وَدبره، واقتضته حكمته وَأمره أَن لَا يعلق قلبه بِغَيْرِهِ، بل يَجْعَل رَجَاءَهُ لَهُ وخوفه مِنْهُ وثقته بِهِ، وتوكله عَلَيْهِ، وأخبره أَنه سُبْحَانَهُ الملي بِالْوكَالَةِ، الوفي بِالْكَفَالَةِ فالعاجز من رمي هَذَا كُله وَرَاء ظَهره، وَقعد كسلان طَالبا للراحة مؤثرا للدعة،



يَقُول: الرزق يطْلب صَاحبه كَمَا يَطْلُبهُ أَجله، وسيأتيني مَا قدر لي على ضعْفي، وَلنْ أنال مَا لم يقدر لي مَعَ قوتي، وَلَو أَني هربت من رِزْقِي كَمَا أهرب من الْمَوْت للحقني.

فَيُقَال لَهُ: نعم هَذَا كُله حق، وَقد علمت أَن الرزق مُقَدّر فَمَا يدْريك كَيفَ قدر لَك بسعيك، أم بسعي غَيْرك، وَإِذا كَانَ بسعيك، فَبِأَي سَبَب، وَمن أَي وَجه، وَإِذا خَفِي عَلَيْك هَذَا كُله؛ فَمن أَيْن علمت أنه يقدر لَك إِتْيَانه عفوا بِلَا سعي، وَلَا كد، فكم من شَيْء سعيت فِيهِ؛ فَقدر لغيرك، وَكم من شَيْء سعى فِيهِ غَيْرك؛ فَقدر لَك رزقا؛ فَإِذا رَأَيْت هَذَا عيَانًا؛ فَكيف علمت أَن رزقك كُله بسعي غَيْرك.

وَأَيْضًا فَهَذَا الَّذِي أوردته عَلَيْك النَّفس يجب عَلَيْك طرده فِي جَمِيع الْأَسْبَاب مَعَ مسبباتها حَتَّى فِي أَسبَاب دُخُول الْجنَّة، والنجاة من النَّار؛ فَهَل تعطلها اعْتِمَادًا على التَّوَكُّل أم تقوم بهَا مَعَ التَّوَكُّل، بل لن تَخْلُو الأَرْض من متوكل صَبر نَفسه لله، وملأ قلبه من الثِّقَة بِهِ ورجائه، وَحسن الظَّن بِهِ فَضَاقَ قلبه مَعَ ذَلِك عَن مُبَاشرَة بعض الْأَسْبَاب؛ فسكن قلبه إِلَى الله، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ ووثق بِهِ، وَكَانَ هَذَا من أقوى أَسبَاب حُصُول رزقه فَلم يعطل السَّبَب، وَإِنَّمَا رغب عَن سَبَب إِلَى سَبَب أقوى مِنْهُ، فَكَانَ توكله أوثق الْأَسْبَاب عِنْده؛ فَكَانَ اشْتِغَال قلبه بِاللَّه وسكونه إِلَيْهِ وتضرعه إِلَيْهِ أحب إِلَيْهِ من اشْتِغَاله بِسَبَب يمنعهُ من ذَلِك أَو من كَمَاله؛ فَلم يَتَّسِع قلبه للأمرين، فَأَعْرض أَحدهمَا إِلَى الآخر وَلَا ريب أن هَذَا أكمل حَالا مِمَّن امْتَلَأَ قلبه بِالسَّبَبِ، واشتغل بِهِ عَن ربه.

وأكمل مِنْهُمَا من جمع الْأَمريْنِ، وَهِي حَال الرُّسُل وَالصَّحَابَة فقد كَانَ زَكَرِيَّا نجارا، وَقد أَمر الله نوحًا أَن يصنع السَّفِينَة، وَلم يكن فِي الصَّحَابَة من يعطل السَّبَب؛ اعْتِمَادًا على التَّوَكُّل، بل كَانُوا أقوم النَّاس بالأمرين، أَلا ترى أَنهم بذلوا جهدهمْ فِي محاربة أَعدَاء الدّين بِأَيْدِيهِم وألسنتهم، وَقَامُوا فِي ذَلِك بِحَقِيقَة التَّوَكُّل وعمروا أَمْوَالهم وأصلحوها، وَأَعدُّوا لأهليهم كفايتهم من الْقُوت اقتداءً بِسَيِّد المتوكلين صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِ وَآله.اهـ

٩ بعض الضوابط الشرعية عند العمل بالأسباب المأمور بها.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (١/ ١٣٧):

ومَعَ عِلْمِ الْمُؤْمِنِ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ومَلِيكُهُ فَإِنَّهُ لَا يُنْكِرُ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ الْأَسْبَابِ كَمَا جَعَلَ الْمَطَرَ سَبَبًا لِإِنْبَاتِ النَّبَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ**﴾ وكَمَا جَعَلَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ سَبَبًا لِمَا يَخْلُقُهُ بِهِمَا وكَمَا جَعَلَ الشَّفَاعَةَ والدُّعَاءَ سَبَبًا لِمَا يَقْضِيهِ بِذَلِكَ مِثْلُ صَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى جِنَازَةِ الْمَيِّتِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَرْحَمُهُ اللَّهُ بِهَا ويُثِيبُ عَلَيْهَا الْمُصَلِّينَ عَلَيْهِ؛ **لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ فِي الأَسْبَابِ ثَلاثَةُ أُمُورٍ:**

أَحَدُهَا: أَنَّ السَّبَبَ الْمُعَيَّنَ لَا يَسْتَقِلُّ بِالْمَطْلُوبِ بَلْ لَا بُدَّ مَعَهُ مِنْ أَسْبَابٍ أُخَرَ ومَعَ هَذَا فَلَهَا مَوانِعُ. فَإِنْ لَمْ يُكْمِلْ اللَّهُ الْأَسْبَابَ ويَدْفَعْ الْمَوانِعَ: لَمْ يَحْصُلْ الْمَقْصُودُ وهُو - سُبْحَانَهُ - مَا شَاءَ كَانَ - وإِنْ لَمْ يَشَأْ النَّاسُ - ومَا شَاءَ النَّاسُ لَا يَكُونُ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.

الثَّانِي: أَنْ لَا يَجُوزَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الشَّيْءَ سَبَبٌ إلَّا بِعِلْمٍ فَمَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا سَبَبًا بِلَا عِلْمٍ أَو يُخَالِفُ الشَّرْعَ: كَانَ مُبْطِلًا مِثْلَ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ النَّذْرَ سَبَبٌ فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ وحُصُولِ النَّعْمَاءِ. وقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْ النَّذْرِ وقَالَ: «**إنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرِ وإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ**»[(١)].

الثَّالِثُ: أَنَّ الْأَعْمَالَ الدِّينِيَّةَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُتَّخَذَ مِنْهَا شَيْءٌ سَبَبًا إلَّا أَنْ تَكُونَ مَشْرُوعَةً؛ فَإِنَّ الْعِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى التَّوقِيفِ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُشْرِكَ بِاَللَّهِ فَيَدْعُو غَيْرَهُ - وإِنْ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ فِي حُصُولِ بَعْضِ أَغْرَاضِهِ - وكَذَلِكَ لَا يَعْبُدُ اللَّهَ بِالْبِدَعِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرِيعَةِ - وإِنْ ظَنَّ ذَلِكَ - فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ تُعِينُ الْإِنْسَانَ عَلَى بَعْضِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

مَقَاصِدِهِ إِذَا أَشْرَكَ وقَدْ يَحْصُلُ بِالْكُفْرِ والْفُسُوقِ والْعِصْيَانِ بَعْضُ أَغْرَاضِ الْإِنْسَانِ فَلَا يَحِلُّ لَهُ ذَلِكَ إِذْ الْمَفْسَدَةُ الْحَاصِلَةُ بِذَلِكَ أَعْظَمُ مِنْ الْمَصْلَحَةِ الْحَاصِلَةِ بِهِ إِذْ الرَّسُولُ ﷺ بُعِثَ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وتَكْمِيلِهَا وتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وتَقْلِيلِهَا فَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: فَمَصْلَحَتُهُ رَاجِحَةٌ ومَا نَهَى عَنْهُ: فَمَفْسَدَتُهُ رَاجِحَةٌ. واَللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ

١٠ مسألة: بيان معنى تقليد الإبل وغيرها الأوتار وحكم ذلك.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّمِ رحمه الله في «**كتابة الفروسية**» (ص١٣٤): وفي هذا قولان:

أحدهما: أنه لا يركب عليها، ويقلدها في الأخذ بالأوتار الجاهلية، وهي الذحول والعداوات التي بين القبائل.

الثاني وهو الصحيح: أن لا يقلدها وترًا من أجل العين، كما كان أهل الجاهلية تفعله، وكذلك لا يعلق عليها خرزة ولا عظما ولا تميمة؛ فإن ذلك كله من عمل الجاهلية.اهـ

قال الإمام البغوي رحمه الله في «**شرح السنة**» (١١/ ٢٧):

تأول مالك بن أنس أمره ﷺ بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار والقلائد والتمائم، ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئا.اهـ

١١ مسألة: إذا كان المعلق من القرآن والأذكار الشرعية فهل يجوز ذلك؟

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في «**فتح المجيد**» باب رقم (٦):

اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن، وأسماء الله وصفاته:

فقالت طائفةٌ: يجوز ذلك. وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها[1]، وبه قال أبو جعفر الباقر، وأحمد في رواية، وحملوا

---

(١) أثر عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه أحمد (٢/ ١٨١)، وفيه عنعنة ابن إسحاق؛ فهو ضعيف. وأثر عائشة رضي الله عنها أخرجه الحاكم (٤/ ٢١٧) والبيهقي (٩/ ٣٥٠) بسند صحيح، أنها قالت: «التميمة ما علقت قبل البلاء لا بعده»، وقولها هذا ليس بصريح في جواز تعليق التمائم التي=

الحديث على التمائم التي فيها شرك.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك. وبه قال ابن مسعود، وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة بن عامر، وابن عكيم[(١)]، وبه قال جماعةٌ من التابعين، منهم أصحاب ابن مسعود، وأحمد في روايةٍ اختارها كثيرٌ من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث -يعني حديث ابن مسعود- وما في معناه.

قال: وهذا هو الصحيح؛ لوجوهٍ ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهي، ولا مُخَصِّصَ للعموم. **الثاني:** سدُّ الذريعة؛ فإنه يُفضي إلى تعليق ما ليس كذلك. **الثالث:** أنه إذا عُلِّق؛ فلابد أن يمتهنه الـمُعَلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.اهـ

= من القرآن، وإنما هي فسرت معنى التميمة التي جاءت في الأحاديث، ولا يُفهم منه جواز تعليقها بعد وقوع البلاء.

(١) قول ابن مسعود ﵁ أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧١) وابن بطة في "الإبانة" (١٤١٩، ١٤٢٦) والخلال في "السنة" (٨٩٢) وابن عبد البر في "التمهيد" (٥/ ٢٦٨) من طرق يصح بها، وأثر ابن عباس لم نجده مسندًا، أخرجه وكيع كما في "الآداب الشرعية" لابن مفلح (٣/ ٨١)، ولم يذكر إسناده.

وظاهر قول حذيفة استنبطوه من فعله عند أن قطع الخيط، وقال: لومتَّ وهو عليك ما صليت عليك. جاء في بعض الروايات أنه رُقِي له فيه. وقد تقدم الكلام على الأثر، وليس في الطريقين ذكر الرقية، وليس مقيدًا بأنها من القرآن، ولكن جاء التقييد بالقرآن عند وكيع كما في "الآداب الشرعية" لابن مفلح، ولم يذكر له سندًا. انظر: "المصنف" (٧/ ٣٧١،٣٧٣)، "الآداب الشرعية" (٣/ ٨١).

وأما أثر عقبة بن عامر؛ فأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٣) بإسناد صحيح.

وأما أثر ابن عُكيم فهو عند أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، من طريق: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يرويه عن أخيه عيسى بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عُكيم، عن النبي ﷺ، وعيسى لم يلق عبد الله بن عكيم كما قال ابن قانع عقب هذا الحديث من "معجم الصحابة" (٢/ ١١٧)، ومحمد بن عبد الرحمن ضعيف لسوء حفظه. وعلى هذا لم يوجد من الصحابة من صرَّح بالجواز، وأما أثر عائشة ﵂؛ فمحتمل، وأثر عبدالله بن عمرو بن العاص فيه عنعنة ابن إسحاق.

قَال أبو عبد الله غفر الله له: وقد قال **بالجواز** مالك وإسحاق وأحمد في رواية فيما إذا علق بعد نزول البلاء لا قبله، كما في "**التمهيد**" (١٧/ ١٦١، ١٦٥) و"**زاد المعاد**" (٤/ ٣٥٧)، واختاره ابن عبد البر والبيهقي (٩/ ٣٥٠).

وقال بالجواز أيضًا عطاء وسعيد بن المسيب كما في "**الكبرى**" للبيهقي (٩/ ٣٥١)، و"**شرح السنة**" للبغوي (١٢/ ١٥٨)، وبالغ ابن بطال في "**شرحه**" (٥/ ١٥٩)؛ فعزاه إلى جميع العلماء، والخلاف مشهور معروف، واختاره أيضًا ابن القيم في "**زاد المعاد**" (٤/ ٣٥٧) والحافظ ابن حجر رحمه الله في "**الفتح**" (٣٠٠٥).

وقال بالمنع الحسن والنخعي كما في "**مصنف ابن أبي شيبة**" (٧/ ٣٧٣).

والراجح عدم الجواز؛ لأنه من البدع والمحدثات.

ومن العلماء من يعتبره شركًا أصغر؛ لأنه يؤدي إلى الشرك الأكبر، والذي يظهر أنه من البدع، وعلى حسب عقيدة الشخص، فإذا صار في قلبه تعلقٌ بهذه التميمة لا بالقرآن، ولا بالأدعية التي فيه؛ فيكون فيه شيء من الشرك، وإذا بلغ به الحال أن يعتقد أنَّ التعليق بنفسه هو الذي ينفع ويضر، وصل إلى الشرك الأكبر.

وقد رجح المنع من ذلك الألباني وابن باز والعثيمين والوادعي والفوزان وغيرهم رحمة الله عليهم أجمعين.

١٢ مسألة: حكم كتابة الآيات في ورق ثم وضعه في الماء ثم شربه.

ذكر جماعة من أهل العلم أنه لا حرج في كتابة آيات من القرآن في صحن أو ورق بمادة طاهرة غير مضرة كالزعفران أو ماء الورد، ثم شرب هذا الماء أو وضعه على موضع الألم، لورود ذلك عن جماعة من السلف.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّمِ رحمه الله **في "زاد المعاد" (٤/ ١٧٠) عن الرقية من العَيْن:**

ورأى جماعة من السلف أن تكتب له الآيات من القرآن، ثم يشربها.

قال مجاهد: **لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض،** ومثله عن أبي قلابة، ويُذكر عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها ولادها أثرٌ

من القرآن، ثم يغسل وتسقى[1]. وقال أيوب: **رأيت أبا قلابة كتب كتابا من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلا كان به وجع**. انتهى.

وسئل الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ رحمه الله**: هل يجوز أن يكتب للمريض بعض آيات قرآنية في إناء يغسله ثم يشربه؟**

فأجاب: لا يظهر في جواز ذلك بأس، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن جماعة من السلف رأوا أن يكتب للمريض الآيات من القرآن ثم يشربها. انتهى من "**فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم**" (١/ ٩٤).

وجاء في "**فتاوى اللجنة الدائمة**" (١/ ٩٧): وقراءة القرآن أو السنة على المريض مباشرة بالنفث عليه ثابتة بالسنة المطهرة من رقية الرسول ﷺ لنفسه ولبعض أصحابه، أما كتابة الآيات بماء الورد والزعفران ونحو ذلك ثم غمرها في الماء وشربها، أو القراءة على العسل واللبن ونحوها ودهن الجسم بالمسك وماء الورد المقروء عليه آيات قرآنية- فلا بأس به، وعليه عمل السلف الصالح. انتهى.

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: أما كتابة الآيات والأدعية الشرعية بالزعفران في صحن نظيف أو أوراق نظيفة ثم يغسل فيشربه المريض فلا حرج في ذلك، وقد فعله كثير من سلف الأمة، كما أوضح ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله في "**زاد المعاد**" وغيره، إذا كان القائم بذلك من المعروفين بالخير والاستقامة .

وفي فتاوى "نور على الدرب" للإمام العثيمين رحمه الله **ما نصه:**

الكتابة بهذا الحبر أو بالأقلام الناشفة على ورقة، ثم توضع في إناء ويشربها المريض قد يكون في ذلك ضرر علي المريض؛ لأن تركيب هذا الحبر، وهذه المادة الناشفة، قد يكون فيه أشياء سامة، تضر البدن، لكن العلماء رحمهم الله قالوا: إنه يكتب بالزعفران، إما على ورقة، ثم تلقى في الماء؛ حتى يظهر أثر الزعفران علي الماء، وأما في إناء نظيف، يكتب فيه آيات من القران، ثم يصب فيه الماء، ويمزج ثم يشربه

---

(١) ذكره ابن القيم رحمه الله بصيغة التمريض؛ إشارة إلى تضعيفه.

المريض، **هذا الذي كان يفعله السلف الصالح، ولا بأس باستعماله، وقد جربه بعض الناس؛ فانتفعوا به**، وأما بالنسبة للحبر لا ينبغي أبدًا أن يستعملها الإنسان في هذه المسألة؛ لأننا لا ندري ما هي مركبات هذا الحبر سواء ناشفا أو سائلا.اهـ

﴿١٣﴾ مسألة: طلب الرقية الشرعية من أهل الصلاح، هل ينافي التوحيد؟

في "**الصحيحين**" عن حُصَيْنِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكوكَبَ(١) الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاَةٍ. ولَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيّ. قَالَ: ومَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ، أَنَّهُ قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إِلاّ مِنْ عَيْنٍ أَوحُمَةٍ. قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. ولَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبّاسٍ عَنِ النَّبِيّ ﷺ أنه قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النّبِيَّ ومَعَهُ الرّهَطُ، والنّبِيَّ ومَعَهُ الرّجُلُ والرّجُلاَنِ، والنّبِيّ ولَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنّهُمْ أُمّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىَ وقَومُهُ، فَنَظَرْتُ، فإذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمّتُكَ، ومَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلفًا يَدْخُلُونَ الجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولاَ عَذَابٍ**»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلّهُمُ الّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلّهُمُ الّذِينَ ولِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله شيئًا، وذَكَرُوا أَشْيَاءَ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «**هُمُ الّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، ولاَ يَكْتَوون، ولاَ يَتَطَيّرُونَ، وعَلَى رَبّهِمْ يَتوكّلُونَ**»، فَقَامَ عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**» ثُمّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ يا رسول الله: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**» وهذا اللفظ لمسلم، ولم يخرج البخاري الموقوف في

---

(١) المقصود: الشُّهب التي تُرمَى بها الشياطين. هذا هو الذي يظهر، وليس المراد أنه سقط على الأرض، وجاء في "مسند أحمد" (٥/ ٢٩٩) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: إِنَّا قد نُهينا أن نتبعه أبصارنا. وصححه الشيخ مقبل رحمه الله في "الصحيح المسند" (٢٨٢).

أوله[(١)].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "مُفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ" (٢/ ٢٣٤):

زاد مسلم وحده: «**ولا يَرْقُونَ**» فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول هذه الزيادة وهم من الراوي؛ لم يقل النبي ﷺ: «**ولا يَرْقُونَ**»؛ لأن الراقي محسن إلى أخيه، وقد قال النبي ﷺ وقد سئل عن الرقي، فقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»[(٢)] وقال: «**لا بأس بالرقي ما لم يكن شركا**»[(٣)].

والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه والراقي محسن نافع.

قلت: والنبي ﷺ لا يجعل ترك الإحسان المأذون فيه سببا للسبق إلى الجنان، وهذا بخلاف ترك الإسترقاء؛ فإنه توكل على الله ورغبة عن سؤال غيره ورضاء بما قضاه، وهذا شيء، وهذا شيء.اهـ

وقَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "زَادِ المَعَادِ" (١/ ٤٩٦):

فقوله في الحديث: «**لا يرقون**» غلط من الراوي، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول ذلك. قال: وإنما الحديث: «**هم الذين لا يَسْتَرْقُونَ**».

قلت: وذلك لأن هؤلاء دخلوا الجنة بغير حساب، لكمال توحيدهم، ولهذا نفى عنهم الاسترقاء، وهو سؤالُ الناس أن يرقوهم؛ ولهذا قال: «**وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ**»، فلكمال توكُّلهم على ربهم، وسُكونهم إليه، وثقتهم به، ورِضاهم عنه، وإنزال حوائجهم به، لا يسألون الناس شيئًا، لا رُقيةً ولا غيرها، ولا يحصُلُ لهم طِيرَةٌ تصدُّهم عما يقصِدونه، **فإن الطِّيَرَةَ تَنْقُصُ التوحيد وتُضْعِفُه.**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٠) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

قال: والراقي متصدِّق مُحسن، والمسترقي سائل، والنبي ﷺ رَقَى، ولم يسترق، وقال: «**مَنْ اسْتطاع منكم أَنْ يَنْفَعَ أَخاه فَلْيَنْفَعْه**»(١).

فإن قيل: فما تصنعون بالحديث الذي في "**الصحيحين**" عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ، كان إذا أوى إلى فراشه، جمع كفَّيه ثم نفَث فيهما، فقرأ: ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ۝١﴾ [الإخلاص:١]، و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ** ۝١﴾ [الفلق:١]، و ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ** ۝١﴾ [الناس:١]، ويمسح بهما ما استطاع مِن جسده، ويبدأ بهما على رأسه ووجهه ماَ أقبل من جسده، يفعلُ ذلك ثلاث مرات. قالت عائشة رضي الله عنها: «**فلما اشتكى رسول الله ﷺ، كان يأمرني أن أفعل ذلك به**» (٢).

فالجواب: أن هذا الحديث قد روي بثلاثة ألفاظ: أحدها: هذا.
والثاني: أنه كان ينفُث على نفسه، **والثالث:** قالت: كنت أنفُث عليه بهن، وأمسح بيد نفسه لبركتها، **وفي لفظ رابع:** كان إذا اشتكى، يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفُث، وهذه الألفاظ يُفسِّر بعضها بعضًا. وكان ﷺ ينفث على نفسه، وضعفه ووجعُه يمنعه من إمرار يده على جسده كله. فكان يأمر عائشة رضي الله عنها أن تُمر يده على جسده بعد نفثه هو، وليس ذلك من الاسترقاء في شيء، وهي لم تقل: كان يأمرني أن أرقيه، وإنما ذكرت المسح بيده بعد النفث على جسده، ثم قالت: كان يأمرني أن أفعل ذلك به، أي: أن أمسح جسده بيده، كما كان هو يفعل.اهـ

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ رحمه الله فِي "التَّمْهِيدِ" (٥/ ٢٦٧):

فلهذه الفضيلة ذهب بعض أهل العلم إلى كراهية الرقى والاكتواء، والآثار بهذا كثيرة ثابتة عن النبي ﷺ وممن ذهب إلى هذا داود بن علي، وجماعة من أهل الفقه والأثر، **قال**: وممن كره الرقى سعيد بن جبير ذكر الحسن بن علي الحلواني قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا أبو شهاب قال: دخلت على سعيد بن جبير وهو نازل

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٨) عن عائشة رضي الله عنها.

بالمروة، وكانت تأخذه شقيقة بصداع، فقال له رجل: ألا آتيك بمن يرقيك من الصداع؟ فقال: **لا حاجة لي بالرقى**.

وروى سنيد عن هشيم عن أبي حصين عن سعيد بن جبير أنه كان عنده يوما فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة... فذكر الحديث المتقدم.

وذكر أبوبكر- يعني: ابن أبي شيبة- قال: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن الحسن، **أنه كان يكره شرب الأدوية كلها؛ إلا اللبن والعسل**.

وذهب آخرون من العلماء إلى إباحة الاسترقاء والمعالجة والتداوي، وقالوا: إن من سنة المسلمين التي يجب عليهم لزومها لروايتهم لها عن نبيهم ﷺ الفزع إلى الله عند الأمر يعرض لهم، وعند نزول البلاء بهم في التعوذ بالله من كل شر وإلى الاسترقاء، وقراءة القرآن، والذكر، والدعاء.

واحتجوا بالآثار المروية عن النبي ﷺ في إباحة التداوي والاسترقاء منها قوله: «**تداووا عباد الله ولا تداووا بحرام؛ فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء**»[(١)]. وبقوله عليه السلام: «**الشفاء في ثلاثة: في شربة عسل، أو شرطة محجم، أو كية نار، وما أحب أن أكتوي**»[(٢)].

ومن حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ احتجم واستعط، وأعطى الحجام أجره[(٣)]. وروى عنه أنه قال: «**إن كان دواء يبلغ الداء؛ فالحجامة تبلغه**»[(٤)]. وقال عليه السلام: «**ما خلق الله داء إلا خلق له دواء إلا الموت والهرم**»[(٥)]

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وهو حديث صحيح بشواهده.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨١) عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٢٠٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٠٣)، ومسلم (١٢٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٢٠٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) **ضعيف**: أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٧٤) قال: بلغني أن النبي ﷺ قال... فذكره. وهذا بلاغ معضل.

(٥) أخرجه أحمد (١٨٤٥٥) من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه، بإسناد حسن.

وقال ﷺ في الحبة السوداء: «**شفاء من كل داء إلا السام**» يعني الموت رواه ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة(١). وقال ﷺ: «**الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين**»(٢).

ورقى رسول الله ﷺ نفسه ورقى أصحابه وأمرهم بالرقية(٣)، وأباح الأكل بالرقية(٤)، وكان يعوذ الحسن والحسين، ويسترقي لهما(٥)، وكذلك جاء عنه في ابني جعفر(٦)، وأمر عامر بن ربيعة بالاغتسال لسهيل بن حنيف من العين(٧)، وكان يقول: «**من قال: أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء**»(٨) ونحو هذا من الحديث

وقال: «**من تصبح سبع تمرات من عجوة من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر**»(٩). وكوى رسول الله ﷺ أسعد بن زرارة(١٠).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (٥٦٨٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٨)، ومسلم (٢٠٤٩) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٣) هذه إشارة إلى أحاديث كثيرة قد ذكر بعضها رحمه الله.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم برقم (٢٢٠١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وأخرجه البخاري (٥٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٧١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم (٢١٩٨) من حديث جابر بن عبد الله، يقول: رخص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية، وقال لأسماء بنت عميس: «**ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة**» قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم، قال: «**ارقيهم**» قالت: فعرضت عليه، فقال: «**ارقيهم**».

(٧) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٣٩)، وأحمد (١٥٩٨٠)، وابن ماجه (٣٥٠٩) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

(٨) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٨) عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها.

(٩) أخرجه البخاري (٥٤٤٥) ومسلم (٢٠٤٧) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(١٠) أخرجه الترمذي (٢٠٥٠) من طريق: معمر عن الزهري، عن أنس رضي الله عنه، وأخطأ معمر في الحديث، فقد رواه غيره عن الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه، عن النبي ﷺ مرسلًا، ورجح المرسل أبو حاتم في "العلل" (٢/ ٢٦١)، والحافظ ابن رجب في "شرح العلل"=

وروي **أنه قطع من أبي بن كعب عرقا وكواه**. وهو حديث غريب. رواه أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر[(١)].

وذكر الأثرم قال: سألت أحمد بن حنبل عن قطع العرق؟ فقال: لا بأس بذلك عمران بن حصين قطع عرقا[(٢)]. وأسيد بن حضير قطع عرق النساء[(٣)]. وأبي بن كعب قطع عرقا. فيما قال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

وذكر ابن وهب قال حدثني عمر بن محمد، وعبد الله بن عمر، ومالك بن أنس، ويونس بن يزيد، أن نافعا أخبرهم **أن عبد الله بن عمر اكتوى من اللقوة**[(٤)]، **ورقى من العقرب**[(٥)] قال: وحدثني عمرو بن الحارث، عن عبد ربه بن سعيد، عن نافع **أن عبد الله بن عمر كان إذا دعا طبيبا يعالج أهله؛ اشترط عليه أن لا يداوي بشيء مما حرم الله**[(٦)].

= (٢/ ٦٠٣)، والحافظ ابن حجر في "الإصابة"، وتبعهم على ذلك شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله في "أحاديث معلة" رقم (٣٩).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٧) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٢٩) حدثنا وكيع، عن أبي مكين، عن ابن سيرين، عن عمران بن حصين: «أنه قطع العروق» وهذا إسناد حسن، وأبو مكين هو نوح بن ربيعة الأنصاري، وهو حسن الحديث.

(٣) أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير"(٨/ ٤٣٩)، وأبو يعلى (٩٤٥)، والطبراني (٥٦٨)، وابن حبان (٧٢٧٩)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني"(١٧٣٩)، من طريق محمود بن لبيد الأنصاري، عن ابن شفيع وكَانَ طَبِيبًا قَالَ قَطَعْتُ مِنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ عِرْقَ النَّسَاء. وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة الطبيب عبد الله بن الشفيع.

(٤) إسناده صحيح، وقد أخرجه أيضًا عبد الرزاق عن معمر في "الجامع" (١١/ ١٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢٢) بإسناد صحيح.

(٥) إسناده صحيح، وقد أخرجه أيضًا أخرجه عبد الرزاق عن معمر في "جامعه" (١١/ ١٨) بإسناد صحيح.

(٦)إسناده صحيح، رجاله ثقات.

فمن زعم أنه لا معنى للرقى والاستعاذة ومنع من التداوي والمعالجة ونحو ذلك مما يلتمس به العافية من الله؛ فقد خرج من عرف المسلمين، وخالف طريقهم.

قالوا: ولو كان الأمر كما ذهب إليه من كره التداوي والرقى ما قطع الناس أيديهم وأرجلهم، وغير ذلك من أعضائهم للعلاج، وما افتصدوا ولا احتجموا وهذا عروة بن الزبير قد قطع ساقه[(١)].

قالوا: وقد يحتمل أن يكون قول النبي ﷺ أنهم لا يسترقون ولا يكتوون أن يكون قصد إلى نوع من الكي مكروه منهي عنه، أو يكون قصد إلى الرقى بما ليس في كتاب الله ولا من ذكره، وقد جاء عن أبي بكر الصديق كراهية الرقية بغير كتاب الله وعلى ذلك العلماء، وأباح لليهودية أن ترقي عائشة رضي الله عنها بكتاب الله[(٢)].

قال أبو عمر: هذا كله قد نزع به أو ببعضه من قصد إلى الرد على القول الأول.

والذي أقول به أنه قد كان من خيار هذه الأمة وسلفها وعلمائها قوم يصبرون على الأمراض حتى يكشفها الله، ومعهم الأطباء؛ فلم يعابوا بترك المعالجة ولو كانت المعالجة سنة من السنن الواجبة؛ لكان الذم قد لحق من ترك الاسترقاء والتداوي، وهذا لا نعلم أحدا قاله، ولكان أهل البادية والمواضع النائية عن الأطباء قد دخل عليهم النقص في دينهم؛ لتركهم ذلك، وإنما التداوي والله أعلم إباحة على ما قدمنا لميل النفوس إليه وسكونها نحوه ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد:٣٨]، لا أنه سنة، ولا أنه واجب، ولا أن العلم بذلك علم موثوق به لا

---

(١) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٠/ ٢٦٠) من طريق عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، قال: وقعت في رجل عروة بن الزبير الأكلة؛ فصعدت في ساقه؛ فبعث إليه الوليد؛ فحمل إليه ثم دعا الأطباء؛ فقالوا: ليس له دواء إلا أن تقطع رجله. قال: فقطعت؛ فما تضور وجهه. إسناده صحيح.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٤٣) عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمنِ؛ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وهِيَ تَشْتَكِي. ويَهُودِيَّةٌ تَرْقِيهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ارْقِيهَا بِكِتَابِ اللهِ.
والأثر ظاهره الإرسال؛ لأن عمرة تحكي القصة، وهي لم تدركها، ولكن لعلها أخذتها عن عائشة رضي الله عنها؛ فقد كانت ملازمة لها، كثيرة الرواية عنها.

يخالف، بل هو خطر وتجربة موقوفة على القدر، والله نسأله العصمة والتوفيق، **وعلى إباحة التداوي والاسترقاء جمهور العلماء**.اهـ بتلخيص

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله **في "جامع العلوم والحكم"** (حديث/ ٤٩):

وقد اختلف العلماء: هل الأفضل لمن أصابه المرض التداوي أم تركه لمن حقق التوكل على الله؟ وفيه قولان مشهوران ، وظاهر كلام أحمد أن التوكل لمن قوي عليه أفضل ، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب**» ثم قال : «**هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**».

ومن رجح التداوي قال: إنه حال النبي ﷺ الذي كان يداوم عليه، وهو لا يفعل إلا الأفضل، وحمل الحديث على الرقى المكروهة التي يخشى منها الشرك بدليل أنه قرنها بالكي والطيرة وكلاهما مكروه.اهـ

قال أبو عبد الله أكرمه الله برضوانه: الذي يظهر أن التداوي أفضل؛ لأنه هو الذي فعله النبي ﷺ في نفسه وفي أصحابه، وإنما كره التداوي بما فيه كراهة كالاكتواء وطلب الرقية من الغير، ولأن فيه قوةً على العبادات وطلب العلم النافع.

١٤ هل الاكتواء ينافي التوحيد؟

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله **فِي "زَادِ المَعَادِ"** (٤/ ٦٣):

ثَبَتَ فِي "**الصَّحِيحِ**" مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**بَعَثَ إِلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ طَبِيبًا، فَقَطَعَ لَهُ عِرْقًا وكَواهُ عَلَيْهِ**»[(١)].

«**ولَمَّا رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ حَسَمَهُ النَّبِيُّ** ﷺ **ثُمَّ ورِمَتْ، فَحَسَمَهُ الثَّانِيَةَ**»[(٢)]. والْحَسْمُ هُو الْكَيُّ.

وقَالَ أبو عبيد: وقَدْ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ نُعِتَ لَهُ الْكَيُّ فَقَالَ: «**اكْوُوهُ وارْضِفُوهُ**»[(١)]، قَالَ أبو عبيد: الرَّضْفُ: الْحِجَارَةُ تُسَخَّنُ ثُمَّ يُكْمَدُ بِهَا.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٧) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٨) عن جابر رضي الله عنه.

وفِي **"صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ"** مِنْ حَدِيثِ أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**أَنَّهُ كُوِيَ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ، والنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ**»[٢].

وفِي الترمذي، عَنْ أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**كَوى أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنَ الشَّوكَةِ**»[٣]، وقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ[٤]، وفِيهِ: «**ومَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ**»، وفِي لَفْظٍ آخَرَ: «**وأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ**».

وفِي **"جَامِعِ الترمذي"** وغَيْرِهِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**نَهَى عَنِ الْكَيِّ قَالَ: فَابْتُلِينَا فَاكْتَوَيْنَا فَمَا أَفْلَحْنَا، ولَا أَنْجَحْنَا**». وفِي لَفْظٍ: «**نُهِينَا عَنِ الْكَيِّ وقَالَ: فَمَا أَفْلَحْنَ ولَا أَنْجَحْنَ**»[٥].

قَالَ الخطابي: إِنَّمَا كَوى سعدا لِيَرْقَأَ الدَّمَ مِنْ جُرْحِهِ، وخَافَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْزِفَ فَيَهْلَكَ. والْكَيُّ مُسْتَعْمَلٌ فِي هَذَا الْبَابِ، كَمَا يُكْوى مَنْ تُقْطَعُ يَدُهُ أَو رِجْلُهُ.

وأَمَّا النَّهْيُ عَنِ الْكَيِّ، فَهُو أَنْ يَكْتَوِيَ طَلَبًا لِلشِّفَاءِ، **وكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مَتَى لَمْ يَكْتَوِ هَلَكَ فَنَهَاهُمْ عَنْهُ لِأَجْلِ هَذِهِ النِّيَّةِ.**

وقِيلَ: إِنَّمَا نَهَى عَنْهُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ خَاصَّةً؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِهِ نَاصُورٌ، وكَانَ مَوضِعُهُ خَطَرًا فَنَهَاهُ عَنْ كَيِّهِ فَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ مُنْصَرِفًا إِلَى الْمَوضِعِ المخوف مِنْهُ، واللَّهُ أَعْلَمُ.

وقَالَ ابن قتيبة: **الْكَيُّ جِنْسَانِ:**

كَيُّ الصَّحِيحِ؛ لِئَلَّا يَعْتَلَّ، فَهَذَا الَّذِي قِيلَ فِيهِ: لَمْ يَتَوكَّلْ مَنِ اكْتَوى؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَدْفَعَ الْقَدَرَ عَنْ نَفْسِهِ.

والثَّانِي: كَيُّ الْجُرْحِ إذا نَغِلَ، والْعُضْو إذا قُطِعَ، فَفِي هَذَا الشِّفَاءُ.

= (١) أخرجه أحمد (٣٧٠١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بإسنادٍ صحيحٍ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧١٩) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) تقدم تخريجها، والحديث عند البخاري عن ابن عباس، وعند مسلم عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٠٤٩)، وكذلك أحمد (١٩٨٣١)، وأبو داود (٣٨٦٥)، وهو حديث صحيح.

وأَمَّا إذا كَانَ الْكَيُّ لِلتَّدَاوي الَّذِي يَجُوزُ أَنْ يَنْجَعَ، ويَجُوزُ أَنْ لَا يَنْجَعَ، فإنه إِلَى الْكَرَاهَةِ أَقْرَبُ. انْتَهَى.

وثَبَتَ فِي **«الصَّحِيحِ»** فِي حَدِيثِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ أَنَّهُمُ «**الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ولَا يَكْتَوونَ ولَا يَتَطَيَّرُونَ، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ**».

فَقَدْ تَضَمَّنَتْ أَحادِيثُ الْكَيِّ أَرْبَعَةَ أَنْواعٍ، أَحَدُهَا: فِعْلُهُ. **والثَّاني:** عَدَمُ مَحَبَّتِهِ لَهُ. **والثَّالِثُ:** الثَّنَاءُ عَلَى مَنْ تَرَكَهُ. **والرَّابِعُ:** النَّهْيُ عَنْهُ، ولَا تَعَارُضَ بَيْنَهَا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فإن فِعْلَهُ يَدُلُّ عَلَى جِوازِهِ، وعَدَمُ مَحَبَّتِهِ لَهُ لَا يَدُلُّ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ. وأَمَّا الثَّنَاءُ عَلَى تَارِكِهِ فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَرْكَهُ أَولَى وأَفْضَلُ. وأَمَّا النَّهْيُ عَنْهُ فَعَلَى سَبِيلِ الِاخْتِيَارِ والْكَرَاهَةِ أَو عَنِ النَّوعِ الَّذِي لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، بَلْ يُفْعَلُ خوفًا مِنْ حُدُوثِ الدَّاءِ، واَللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ

١٥ من حقق التوحيد والتوكل على الله عز وجل دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب:

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «حادي الأرواح» (٤/ ٦٣):

فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب، هو تحقيق التوحيد وتجريده؛ فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، والطيرة نوع من الشرك، ويتوكلون على الله وحده، لا على غيره، وتركهم الاسترقاء، والتطير هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث: «**الطيرة الشرك**» قال ابن مسعود: وما منا إلا من تطير، ولكن الله يذهبه بالتوكل[1].

فالتوكل ينافي التطير، وأما رقية الغير فهي إحسان من الراقي، قد رقى رسول الله ﷺ جبريل، وأذن في الرقي، وقال: لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك. واستأذنوه فيها فقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**» وهذا يدل على أنها

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٩)، وأبو داود (٣٩١٠)، وكذلك الترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وإسناده صحيح.

نفع وإحسان وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله؛ فالراقي محسن، والمسترقي سائل راج نفع الغير والتوكل ينافي ذلك.

فإن قيل فعائشة رضي الله عنها قد رقيت رسول الله ﷺ وجبريل قد رقاه قيل: أجل، ولكن هو لم يسترق وهو ﷺ لم يقل: ولا يرقيهم راق. وإنما قال: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم وفي امتناعه أن يدعو للرجل الثاني سد لباب الطلب؛ فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله، والله أعلم.اهـ

١٦ من استرقى أو تطير أو اكتوى ثم ندم وترك ذلك ومات على ذلك استحق الفضيلة المتقدمة.

قال أبو عبد الله غفر الله له: من المعلوم أن التوبة تمحو الذنوب كلها؛ حتى الشرك بالله، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣]. وقال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال:٣٨].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة:٧٢-٧٤].

وقال جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾[الفرقان:٦٨-٧٠]، فهذه الأدلة وغيرها أكثر منها من كتاب الله جل وعلا، ومن سنة النبي ﷺ تدل على أن من تاب من الكفر، أو غيره من الكبائر، أنه يرجع كيوم ولدته أمه وأنه لا يؤاخذ على ذنوبه السابقة.

فائدة: من بابٍ أولى أن من تاب من عمل شيء مكروه أنه يُرفع عنه ما ترتب عليه من حرج وحكم، ولذلك فمن اكتوى، أو استرقى، ثم ترك ذلك، وندم من فعله، وعزم على عدم فعل ذلك مرة أخرى، وحقق التوكل؛ فيرجى أن يدخل في السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

وفي **"صحيح مسلم"** (١٢٢٦) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: «**وقَدْ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ، حَتَّى اكْتَوَيْتُ، فَتُرِكْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ فَعَادَ**».

١٧ الانتفاع بالرقية الشرعية متعلق بأسباب:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله **في "الجواب الكافي"** (ص٩):

ولَكِنْ هَاهُنَا أَمْرٌ يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لَهُ، وهُو أَنَّ الْأَذْكَارَ والْآيَاتِ والْأَدْعِيَةَ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا ويُرْقَى بِهَا، هِيَ فِي نَفْسِهَا نَافِعَةٌ شَافِيَةٌ، ولَكِنْ تَسْتَدْعِي قَبُولَ الْمَحِلِّ، وقُوةَ هِمَّةِ الْفَاعِلِ وتَأْثِيرَهُ، فَمَتَى تَخَلَّفَ الشِّفَاءُ كَانَ لِضَعْفِ تَأْثِيرِ الْفَاعِلِ، أَو لِعَدَمِ قَبُولِ الْمُنْفَعِلِ، أَو لِمَانِعٍ قَويٍّ فِيهِ يَمْنَعُ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ الدَّواءُ، كَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَدْوِيَةِ والْأَدْواءِ الْحِسِّيَّةِ، فَإِنَّ عَدَمَ تَأْثِيرِهَا قَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ قَبُولِ الطَّبِيعَةِ لِذَلِكَ الدَّواءِ، وقَدْ يَكُونُ لِمَانِعٍ قَويٍّ يَمْنَعُ مِنَ اقْتِضَائِهِ أَثَرَهُ، فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ إِذَا أَخَذَتِ الدَّواءَ بِقَبُولٍ تَامٍّ كَانَ انْتِفَاعُ الْبَدَنِ بِهِ بِحَسْبِ ذَلِكَ الْقَبُولِ، **فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ إِذَا أَخَذَ الرُّقَى والتَّعَاوِيذَ بِقَبُولٍ تَامٍّ، وكَانَ لِلرَّاقِي نَفْسٌ فَعَّالَةٌ وهِمَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ.**

وكَذَلِكَ الدُّعَاءُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَقْوى الْأَسْبَابِ فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، ولَكِنْ قَدْ يَتَخَلَّفُ أَثَرُهُ عَنْهُ، إِمَّا لِضَعْفِهِ فِي نَفْسِهِ - بِأَنْ يَكُونَ دُعَاءً

لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُدْوانِ - وإِمَّا لِضَعْفِ الْقَلْبِ وعَدَمِ إِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ وجَمْعِيَّتِهِ عَلَيْهِ وقْتَ الدُّعَاءِ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْقَوسِ الرِّخْو جِدًّا، فَإِنَّ السَّهْمَ يَخْرُجُ مِنْهُ خُرُوجًا ضَعِيفًا، **وإِمَّا لِحُصُولِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ**: مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، والظُّلْمِ، ورَيْنِ الذُّنُوبِ عَلَى الْقُلُوبِ، واسْتِيلَاءِ الْغَفْلَةِ والشَّهْوةِ واللَّهْو، وغَلَبَتِهَا عَلَيْهَا.اهـ

١٨ السبق في دخول الجنة لا يلزم منه أن كل من دخل بعدهم فهو دونهم في المنزلة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "حادي الأرواح" (ص١١٦):

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام**». وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه[1].

في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا**»[2]

فالذي في الصحيح أن سبقهم لهم (بأربعين خريفا) فأما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكونَ كلاهما محفوظا، وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرائمهم. والله أعلم.

ولكن هاهنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وأن سبقه غيره في الدخول والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفا وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه،

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٧٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله، وزاد عليه فيها والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

فالمزية مزيتان: مزية سبق، ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل للواحد السبق والرفعة ويعدمهما آخر ويحصل لآخر السبق دون الرفعة ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين، أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق.اهـ



١٨ وعَنْ عَلِي بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، ولَعَنَ اللهُ مَنْ آوى مُحْدِثًا، ولَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ والِدَيْهِ، ولَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ الـمَنَارَ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.(١)

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

١ مسألة: حكم الذبح لله، والذبح لغير الله.

الذبح لله عبادة من أجل العبادات، والذبح لغير الله شرك.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

ويقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر:٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة الأنعام (آية:١٦٢):

يَأْمُرُهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ ويَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ، أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فإن صَلَاتَهُ لِلَّهِ ونُسُكَهُ عَلَى اسْمِهِ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وهَذَا كَقَولِهِ تَعالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر:٢]، أَيْ: أَخْلِصْ لَهُ صَلَاتَكَ وذَبِيحَتَكَ، فإن الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ويَذْبَحُونَ لَهَا، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تعالى بِمُخَالَفَتِهِمْ والِانْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، والْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ والنِّيَّةِ والْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى.

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَولِهِ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام:١٦٢]، قَالَ: النُّسُكُ: الذَّبْحُ فِي الْحَجِّ والْعُمْرَةِ.(٢) وقَالَ الثَّورِيُّ، عَنِ السُّدِّي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: ﴿وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام:١٦٢]، قَالَ: ذَبْحِي. وكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ(٣).اهـ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٧٨).

(٢) سنده صحيح. وهو عند ابن جرير [آية:١٦٢] من سورة الأنعام، وابن أبي حاتم (٨١٨١)، وهو في "تفسير مجاهد" (ص٣٣٢)، والنسك: الذبح، وليس خاصًّا بذبح الحج والعمرة، بل هو كل ذبح يتقرب به إلى الله تعالى، حتى الذي يذبح للضيافة يُعتبر نسكًا.

(٣) هما عند ابن جرير [آية:١٦٢] من سورة الأنعام، وأثر سعيد بن جبير حسن، وأثر الضحاك ضعيفٌ، فيه: جويبر وهو شديد الضعف، وفيه: سفيان بن وكيع سيئ الحفظ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (١٦/ ٥٣١):

وقولُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [الكوثر:٢]، أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ هَاتَيْنِ العِبَادَتَيْنِ العَظِيمَتَيْنِ وهُمَا الصَّلَاةُ والنُّسُكُ الدَّالَّتَانِ عَلَى القُرْبِ والتَّواضُعِ والِافْتِقَارِ وحُسْنِ الظَّنِّ وقُوةِ اليَقِينِ وطُمَأْنِينَةِ القَلْبِ إلَى اللَّهِ وإِلَى عِدَتِهِ وأَمْرِهِ وفَضْلِهِ وخُلْفِهِ عَكْسُ حَالِ أَهْلِ الكِبْرِ والنُّفْرَةِ وأَهْلِ الغِنَى عَنْ اللَّهِ الَّذِينَ لَا حَاجَةَ فِي صَلَاتِهِمْ إلَى رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَهُ إيَّاهَا والَّذِينَ لَا يَنْحَرُونَ لَهُ خَوفًا مِنْ الفَقْرِ وتَرْكًا لِإِعَانَةِ الفُقَرَاءِ وإِعْطَائِهِمْ وسُوءِ الظَّنِّ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ ولِهَذَا جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام:١٦٢].

والنُّسُكُ هِيَ الذَّبِيحَةُ ابْتِغَاءَ وجْهِهِ. والمَقْصُودُ: أَنَّ الصَّلَاةَ والنُّسُك هُمَا أَجَلُّ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إلَى اللَّهِ فإنه أَتَى فِيهِمَا بِالْفَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى السَّبَبِ؛ لِأَنَّ فِعْلَ ذَلِكَ وهُو الصَّلَاةُ والنَّحْرُ سَبَبٌ لِلْقِيَامِ بِشُكْرِ مَا أَعْطَاهُ اللهُ إيَّاهُ مِنْ الكَوثَرِ والْخَيْرِ الكَثِيرِ فَشُكْرُ المُنْعِمِ عَلَيْهِ وعِبَادَتُهُ أَعْظَمُهَا هَاتَانِ العِبَادَتَانِ بَلْ الصَّلَاةُ نِهَايَةُ العِبَادَاتِ وغَايَةُ الغَايَاتِ. كَأَنَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١]، الخَيْرَ الكَثِيرَ وأَنْعَمْنَا عَلَيْك بِذَلِكَ لِأَجلِ قِيَامِك لَنَا بِهَاتَيْنِ العِبَادَتَيْنِ شُكْرًا لِإِنْعَامِنَا عَلَيْك وهُمَا السَّبَبُ لِإِنْعَامِنَا عَلَيْك بِذَلِكَ فَقُمْ لَنَا بِهِمَا، فإن الصَّلَاةَ والنَّحْرَ مَحْفُوفَانِ بِإِنْعَامٍ قَبْلِهِمَا وإِنْعَامٍ بَعْدِهِمَا.

وأَجَلُّ العِبَادَاتِ المَالِيَّةِ النَّحْرُ وأَجَلُّ العِبَادَاتِ البَدَنِيَّةِ الصَّلَاةُ ومَا يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي الصَّلَاةِ لَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ العِبَادَاتِ كَمَا عَرَفَهُ أَرْبَابُ القُلُوبِ الحَيَّةِ وأَصْحَابُ الهِمَمِ العَالِيَةِ ومَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي نَحْرِهِ مِنْ إيثَارِ اللَّهِ وحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ وقُوةِ اليَقِينِ والْوُثُوقِ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ إذا قَارَنَ ذَلِكَ الإيمان والْإِخْلَاصَ، وقَدْ امْتَثَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَ رَبِّهِ فَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ كَثِيرَ النَّحْرِ حَتَّى نَحَرَ بِيَدِهِ فِي حِجَّةِ الوِدَاعِ ثَلَاثًا وسِتِّينَ بَدَنَةً وكَانَ يَنْحَرُ فِي الأَعْيَادِ وغَيْرِهَا.اهـ

قَالَ الإِمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ" (١٩٧٨):

وأَمَّا الذَّبْح لِغَيْرِ اللَّه فَالْمُرَاد بِهِ أَنْ يَذْبَح بِاسْمِ غَير اللَّه تَعَالَى كَمَنْ ذَبَحَ لِلصَّنَمِ أَو الصَّلِيب أَو لِمُوسَى أَو لِعِيسَى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِمَا أَو لِلْكَعْبَةِ ونَحْو ذَلِكَ، فَكُلّ هَذَا حَرَام، ولَا تَحِلّ هَذِهِ الذَّبِيحَة، سَواء كَانَ الذَّابِح مُسْلِمًا أَو نَصْرَانِيًّا أَو يَهُودِيًّا، نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيّ، واتَّفَقَ عَلَيْهِ أَصْحَابنَا، فَإِن قَصَدَ مَعَ ذَلِكَ تَعْظِيم المَذْبُوح لَهُ غَيْر اللَّه تَعَالَى والْعِبَادَة لَهُ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا، فَإِن كَانَ الذَّابِح مُسْلِمًا قَبْل ذَلِكَ صَارَ بِالذَّبْحِ مُرْتَدًّا.اهـ

قَال أبوعبد الله عافاه الله: تخصيصه الحكم بالكفر في حق من قصد التعظيم؛ فيه نظر؛ فإن الذبح من أصله تعظيم لمن ذبح له.

قال الإمام السعدي رحمه الله في "القول السديد" : وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.

قال الإمام ابن باز رحمه الله كما في "مجموع فتاواه" (٦/ ٣٣٤):

الذبح لغير الله منكر عظيم وشرك أكبر سواء كان ذلك لنبي أو ولي أو كوكب أو جني أو صنم أو غير ذلك؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢]،﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣]، فأخبر سبحانه أن الذبح لله كما أن الصلاة لله، فلو ذبح لغير الله فهو كمن صلى لغير الله يكون شركا بالله عز وجل، وهكذا يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر:١]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:٢]، فالصلاة والنحر عبادتان عظيمتان.

فمن صرف الذبح لأصحاب القبور أو للأنبياء أو للكواكب أو للأصنام أو للجن أو للملائكة فقد أشرك بالله، كما لو صلى لهم أو استغاث بهم أو نذر لهم كل هذا شرك بالله عز وجل.اهـ

وقال الإمام العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ **كما في "مجموع فتاواه"** (٢/ ١٤٨):

الذبح لغير الله شرك أكبر لأن الذبح عبادة كما أمر الله به في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر:٢]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام:١٦٢]، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣]، فمن ذبح لغير الله؛ فهو مشركٌ شركًا مخرجًا عن الملة - والعياذ بالله- سواء ذبح ذلك لملك من الملائكة، أو لرسول من الرسل، أو لنبي من الأنبياء، أو لخليفة من الخلفاء، أو لولي من الأولياء، أو لعالم من العلماء فكل ذلك شرك بالله -عز وجل- ومخرج عن الملة والواجب على المرء أن يتقي الله في نفسه، وأن لا يوقع نفسه في ذلك الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

٢ مسألة: ذبيحة الكتابي.

تحل ذبيحة الكتابي بلا خلاف عند أهل العلم إذا سمَّى الله عليها، ولم يذبحها لغير الله؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة:٥]، وخالف الشيعة، ولا يعتد بخلافهم[1].

٣ مسألة: هل تباح ذبائح أهل الكتاب مما ذبحوه لغير الله؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي "اقْتِضَاءُ الصِّراطِ المُسْتَقِيم"** (ص٢٥٦):

فلما تعارض العموم الحاظر، وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٧٣]، والعموم المبيح، وهو قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥]، اختلف العلماء في ذلك.

والأشبه بالكتاب والسنة: ما دل عليه أكثر كلام أحمد من الحظر، وإن كان من متأخري أصحابنا من لم يذكر هذه الرواية بحال؛ وذلك لأن عموم قوله تعالى:

---

(١) انظر: "المغني" (١٣/ ٣١١) "المجموع" (٩/ ٧٨، ٨٠).

﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة:٣] عموم محفوظ لم تخص منه صورة، بخلاف ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة:٥]، فإنه يشترط له الذكاة المبيحة فلو ذكى الكتابي في غير المحل المشروع لم تبح ذكاته، ولأن غاية الكتابي: أن تكون ذكاته كالمسلم، والمسلم لو ذبح لغير الله، أو ذبح باسم غير الله لم يبح، وإن كان يكفر بذلك، فكذلك الذمي؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة:٥]، سواء، وهم وإن كانوا يستحلون هذا، ونحن لا نستحله فليس كل ما استحلوه حل، ولأنه قد تعارض دليلان، حاظر ومبيح، فالحاظر أولى. ولأن الذبح لغير الله، وباسم غيره، قد علمنا يقينا أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام، فهو من الشرك الذي أحدثوه، فالمعنى الذي لأجله حلت ذبائحهم، منتف في هذا. والله أعلم.

فإن قيل: أما إذا سموا عليه غير الله بأن يقولوا: باسم المسيح ونحوه، فتحريمه ظاهر، أما إذا لم يسموا أحدًا، ولكن قصدوا الذبح للمسيح، أو للكوكب ونحوها، فما وجه تحريمه؟

قيل: قد تقدمت الإشارة إلى ذلك، وهو أن الله سبحانه قد حرَّم ما ذبح على النصب، وذلك يقتضي تحريمه، وإن كان ذابحه كتابيا، لأنه لو كان التحريم لكونه وثنيا، لم يكن فرق بين ذبحه على النصب وغيرها، ولأنه لما أباح لنا طعام أهل الكتاب، دل على أن طعام المشركين حرام، فتخصيص ما ذبح على الوثن يقتضي فائدة جديدة.

وأيضا: فإنه ذكر تحريم ما ذبح على النصب، وما أهل به لغير الله؛ وقد دخل فيما أهل به لغير الله ما أهل به أهل الكتاب لغير الله؛ فكذلك كل ما ذبح على النصب، فإذا ذبح الكتابي على ما قد نصبوه من التماثيل في الكنائس، فهو مذبوح على النصب، ومعلوم أن حكم ذلك لا يختلف بحضور الوثن وغيبته، فإنما حرم

لأنه قصد بذبحه عبادة الوثن وتعظيمه، وهذه الأنصاب قد قيل: هي من الأصنام، وقيل: هي غير الأصنام.

قالوا: كان حول البيت ثلاثمائة وستون حجرًا، كان أهل الجاهلية يذبحون عليها، ويشرحون اللحم عليها، وكانوا يعظمون هذه الحجارة، ويعبدونها، ويذبحون عليها، وكانوا إذا شاءوا بدلوا هذه الحجارة بحجارة هي أعجب إليهم منها.

ويدل على ذلك قول أبي ذر في حديث إسلامه: «**حتى صرت كالنصب الأحمر**»[1] يريد أنه كان يصير أحمر من تلوثه بالدم.

وفي قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾، قولان:

أحدهما: أن نفس الذبح كان يكون عليها، كما ذكرناه، فيكون ذبحهم عليها تقربا إلى الأصنام، وهذا على قول من يجعلها غير الأصنام، فيكون الذبح عليها لأجل أن المذبوح عليها مذبوح للأصنام، أو مذبوح لها، وذلك يقتضي تحريم كل ما ذبح لغير الله، ولأن الذبح في البقعة لا تأثير له إلا من جهة الذبح لغير الله، كما كرهه النبي ﷺ من الذبح في مواضع أصنام المشركين، وموضع أعيادهم، وإنما يكره المذبوح في البقعة المعينة؛ لكونها محل شرك، فإذا وقع الذبح حقيقة لغير الله؛ كانت حقيقة التحريم قد وجدت فيه.

والقول الثاني: أن الذبح على النصب، أي: لأجل النصب، كما قيل: «**أولم على زينب بخبز ولحم**»[2]، وأطعم فلان على ولده، وذبح فلان على ولده، ونحو ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:١٨٥]، وهذا ظاهر على قول من يجعل النصب نفس الأصنام، ولا منافاة بين كون الذبح لها، وبين كونها كانت تلوث بالدم، وعلى هذا القول؛ فالدلالة ظاهرة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٧٣) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥١٦٨)، ومسلم برقم (١٤٢٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، بنحوه

قال: وفي الحقيقة: مآل القولين إلى شيء واحد في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة:٣]، كما قد أومأنا إليه.

وفيها قول ثالث ضعيف: أن المعنى على اسم النصب. وهذا ضعيف؛ لأن هذا المعنى حاصل من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣]، فيكون تكريرا. لكن اللفظ يحتمله، كما روى البخاري في "**صحيحه**" [(١)] عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحدث عن رسول الله ﷺ أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، «**فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة في لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه**». وفي رواية له: وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض الكلأ، ثم أنتم تذبحونها على غير اسم الله؟! إنكارا لذلك وإعظاما له.

وأيضا فإن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣]، ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله، مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود: فسواء لفظ به أو لم يلفظ.

وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه، كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله، فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور. فإذا حرم ما قيل فيه: باسم المسيح، أو الزهرة؛ فلأن يحرم ما قيل فيه: لأجل المسيح والزهرة أو قصد به ذلك، أولى.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٨٢٦، و٥٤٩٩).

وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ما ذبح باسم غير الله، ولم يحرم ما ذبح لغير الله، كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم، بل لو قيل بالعكس لكان أوجه، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله.

وعلى هذا: فلو ذبح لغير الله متقربا به إليه لحرم وإن قال فيه: بسم الله، كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الأولياء، والكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان.اهـ

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَنٍ رحمه الله فِيْ «فَتْحِ المَجِيْدِ» (باب: ٩):

هذا لا اختلاف فيه بين العلماء، وأما إذا ذبح للحم وذكر على الذبيحة اسم المسيح، أو الزهرة، ونحو ذلك؛ فهذا الذي فيه خلاف العلماء، وكلام شيخ الإسلام هذا يدل على أنه يقول بتحريمه، ووافقه على ذلك بعض العلماء.

وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١]، ثم استثنى قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة:٥]، يعني ذبيحة اليهودي والنصراني، وإن كان النصراني يقول عند الذبح: (باسم المسيح)، واليهودي يقول: (باسم عزير).

وذكر قول عطاء: كُلْ من ذبيحة النصراني، وإن قال: (باسم المسيح)؛ لأنَّ الله تعالى قد أباح ذبائحهم، وقد علم ما يقولون.[1] وذكر مثله عن القاسم بن مخيمرة[2]،

---

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥٢): ثنا سليمان بن حرب، ثنا عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الملك، عن عطاء، فذكره، وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥١): ثنا علي، ثنا الوليد بن مسلم، سمعت عبدالرحمن بن يزيد بن جابر يقول: سمعت القاسم بن مخيمرة، يقول:..، فذكره، وإسناده صحيح، وعلي هو ابن المديني.

وهـو قول الزهري(١)، وربيعة، والشعبي(٢)، ومكحول(٣)، وروي عن عبادة بن الصامت(٤)، وأبي الدرداء(٥) من الصحابة. انتهى ملخصًا(٦).اهـ

قال أبوعبد الله: مذهب الجمهور أنها لا تحل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣]، وقالوا: أحلَّ الله طعام أهل الكتاب إذا اجتمعت فيه شروط الحل عند المسلمين بأن ينهر الدم، ويذكر اسم الله عليه. وقول الجمهور هو الصحيح، والله أعلم.

والقول بالمنع من أكل تلك الذبيحة، نقله إسماعيل القاضي كما في «**أحكام أهل الذمة**» (١/ ٢٥٢)، عن علي، وعائشة، وابن عمر، ومجاهد، وطاوس، وميمون بن مهران، ومال إليه ابن القيم، فذكر ترجيح ذلك من ثمانية وجوه كما في أحكام أهل الذمة (١/ ٢٥٤-٢٥٦).

قلت: وهو القول الراجح؛ لعموم الآية: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣]، والله أعلم.

---

(١) الذي وجدته عن الزهري أنه يقول بعدم الأكل، أخرجه عبد الرزاق (٦/ ١٢٠-١٢١) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥٢)، معلقًا عن أيوب بن نجيح، عن الشعبي، وأيوب بن نجيح له ترجمة في «الجرح والتعديل»، قال أبو حاتم: لا أعرفه. وأما أثر ربيعة فلم أجده.

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥١): ثنا علي، ثنا الوليد بن مسلم، قال: سمعت الأوزاعي، عن مكحول، فذكره.

(٤) أخرجه إسماعيل القاضي كما في المصدر السابق من طريق: أبي الحكم التنوخي، عن جرير بن عتبة، أو عتبة بن جرير، عن عبادة به، وهذا إسناد ضعيفٌ؛ لجهالة جرير بن عتبة، وأبي الحكم.

(٥) أخرجه ابن جرير (٨/ ١٣٨)، وإسماعيل القاضي كما في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٥١)، من طريقين عن معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن عمير بن الأسود، عن أبي الدرداء به، وهذا إسناد صحيح.

(٦) انتهى من «أحكام القرآن» للقرطبي (٦/ ٧٦).

وأما الآثار: فأثر علي رضي الله عنه في إسناده عطاء بن السائب، وهو مختلط، وأثر عائشة رضي الله عنها فيه: قابوس بن أبي ظبيان، وهو ضعيف، وأثر ابن عمر رضي الله عنهما إسناده صحيح، وبقية الآثار لم يذكر أسانيدها[1].

٤ مسألة: حكم ما يذبح أمام السلطان إذا قدم، ومثله ما يذبح أمام أولياء المقتول لإرضائهم، وما أشبه ذلك.

قَالَ الإِمَامُ النَّووِيُّ رحمه الله فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ"(١٩٧٨):

وذَكَرَ الشَّيْخ إِبْرَاهِيم المَرْوزِيُّ مِنْ أَصْحَابنَا: أَنَّ مَا يُذْبَح عِنْد اِسْتِقْبَال السُّلْطَان تَقَرُّبًا إِلَيْهِ أَفْتَى أَهْل بُخَارَة بِتَحْرِيمِهِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا أُهِّلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّه تَعَالَى، وقَالَ الرَّافِعِيّ: هَذَا إِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ اِسْتِبْشَارًا بِقُدُومِهِ، فَهُو كَذَبْحِ العَقِيقَة لِولَادَةِ المَولُود، ومِثْل هَذَا لَا يُوجِب التَّحْرِيم، واللهُ أَعْلَم.اهـ

قلت: وما ذكره الرافعي غير صحيح؛ فإنهم يذبحونه بين يديه؛ فلا يشبه بالعقيقة، وأنَّى له ذلك.

وقال الإمام ابن باز رحمه الله كما في "مجموع فتاواه" (٩/ ٣٩٣):

الذبح لله سبحانه قربة عظيمة وعبادة تقرب إليه سبحانه فلا يجوز صرفها لغيره، فعقر الذبائح للملوك والسلاطين والعظماء والتقرب إليهم بذلك يعتبر من الذبح لغير الله، ويعتبر من الشرك بالله كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢]، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣].

والنسك هو الذبح، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر:١]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

---

(١) انظر: "المجموع" (٩/ ٧٨) "المغني" (١٣/ ٣١١-٣١٢) "المحلى" (١٠٠٢) "دفع الإيهام" مع "أضواء البيان" (١٠/ ١٠٠).

لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة:٥]، وقال النبي ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**». أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

فلا يجوز لأحد أن يتقرب إلى السلاطين والملوك والعظماء بالذبح لهم عند مقابلتهم، أو عند خروجهم من المستشفى، أو عند قدومهم إلى أي بلد. كما لا يجوز التقرب بالذبح للجن، أو الملائكة، أو الكواكب أو الأصنام، أو أصحاب القبور، أو غيرهم من المخلوقين للأدلة المذكورة.

أما إن كان الذبح يقصد به التقرب إلى الله سبحانه والشكر له، ولا يقصد به تعظيم الملوك والسلاطين، فهو في هذه الحال يعتبر منكرا وتشبها بأهل الجاهلية في عقرهم الذبائح لعظمائهم وعلى قبورهم، ووسيلة من وسائل الذبح لغير الله.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا عقر في الإسلام**»(١) وقال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(٢)

أما إذا ذبح الإنسان للضيف أو لأهله فهذا شيء لا بأس به، بل هو مشروع إذا دعت الحاجة إليه، وليس من الذبح لغير الله، بل هو مما أباحه الله سبحانه لعباده؛ وقد جاءت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة على إباحة مثل هذا الأمر.اهـ

وقال الإمام العثيمين رحمه الله كما في مجموع فتاواه (٩/ ٢٠٦):

فلو قدم السلطان إلى بلد، فذبحنا له، فإن كان تقربا وتعظيما؛ فإنه شرك أكبر، وتحرم هذه الذبائح، وعلامة ذلك: أننا نذبحها في وجهه ثم ندعها. أما لو ذبحنا له

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦٦٩٠)، ومن طريقه أخرجه أحمد (١٣٠٣٢)، وعبد بن حميد (١٢٥٣)، وأبو داود (٣٢٢٢)، وابن حبان (٣١٤٦)، والبيهقي (٤/ ٥٧ و ٩/ ٣١٤) عن معمر، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف رواية معمر عن ثابت.

قال الخطابي: كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل على قبر الرجل الجواد، يقولون: نجازيه على فعله، لأنه كان يعقرها في حياته فيطعمها الأضياف، فنحن نعقرها عند قبره لتأكلها السباع والطير فيكون مطعماً بعد مماته كما كان مطعماً في حياته.

(٢) أخرجه أحمد (٥١١٤)، وأبو داود (٤٠٣١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه بإسناد حسن.

إكراما وضيافة، وطبخت وأكلت؛ فهذا من باب الإكرام، وليس بشرك- يعني: ولا تذبح أمامه-.انتهى

٥ مسألة: حكم الذبح أمام العروس عند زفافها ووصولها إلى بيت زوجها:

في "**فتاوى اللجنة الدائمة**" (١٩/ ٩٨) ما نَصُّه: ذبح ذبيحة عند دخول الزوجة لبيت زوجها من أجل إرضاء الجن، واعتقاد أنه إذا لم يذبح تلك الذبيحة فإنه يصاب أو أهله بالمآسي والأحداث الكريهة ونحو ذلك هو من العادات المحرمة، بل شرك أكبر؛ لأن ذلك من الذبح لغير الله، حيث إن الذبح عبادة لله تعالى، لا يجوز أن يتقرب به إلا له وحده، فمن صرفه لغير الله فقد أشرك شركا أكبر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣]، وقد لعن رسول الله ﷺ من ذبح لغير الله، فقال: «**لعن الله من ذبح لغير الله**» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو ... عضو ... نائب الرئيس ... الرئيس

بكر بن عبد الله أبو زيد ... صالح بن فوزان الفوزان ... عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٦ مسألة: حكم اللعن لمن يستحقه بالوصف.

دل حديث الباب على جواز لعن أهل الكبائر بالوصف، ومن باب أولى جوازه في الكافرين، وقد تواترت أدلة الكتاب والسنة في ذلك.

قَالَ الإِمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ **فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ"**(٧٩):

وأَمَّا اللَّعْنُ بِالْوَصْفِ لَيْسَ بِحَرَامٍ كَلَعْنِ الواصِلَة والْمُسْتَوصِلَة والْواشِمَة والْمُسْتَوشِمَة وآكِلِ الرِّبَا ومُوكِله والْمُصَورِينَ والظَّالِمِينَ والْفَاسِقِينَ والْكَافِرِينَ،

ولَعْن مَنْ غَيَّرَ مَنَار الأَرْضِ، ومَنْ تَولَّى غَيْر مَوالِيه، ومَنْ اِنْتَسَبَ إِلَى غَيْر أَبِيهِ، ومَنْ أَحْدَث فِي الإِسْلَام حَدَثًا أَو آوى مُحْدِثًا، وغَيْر ذَلِكَ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوص الشَّرْعِيَّة بِإِطْلَاقِهِ عَلَى الأَوصَاف لَا عَلَى الأَعْيَان. واَللَّه أَعْلَم.

٧ مسألة: حكم لعن المعين من المسلمين، أو ممن لم يعلم موته على الكفر من الكافرين.

قَالَ الإِمَامُ النَّوويُّ رحمه الله **فِي** «**شَرْحِ مُسْلِمٍ**» (٧٩):

واتَّفَقَ العُلَمَاء عَلَى تَحْرِيم اللَّعْن فإنه فِي اللُّغَة: الإِبْعَاد والطَّرْد، وفِي الشَّرْع: الإِبْعَاد مِنْ رَحْمَة اللَّه تَعَالَى؛ فَلَا يَجُوز أَنْ يُبْعَد مِنْ رَحْمَة اللَّه تَعَالَى مَنْ لَا يُعْرَف حَاله وخَاتِمَة أَمْره مَعْرِفَة قَطْعِيَّة؛ فَلِهَذَا قَالُوا: لَا يَجُوز لَعْن أَحَد بِعَيْنِهِ مُسْلِمًا كَانَ أَو كَافِرًا أَو دَابَّة إِلَّا مَنْ عَلِمْنَا بِنَصٍّ شَرْعِيٍّ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الكُفْر أَو يَمُوت عَلَيْهِ كَأَبِي جَهْل، وإِبْلِيس.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِيْ** «**المُسْتَدْرَكِ عَلَى مَجْمُوعِ الفَتَاوى**»(١/ ١٣٣):

فِي كلامه على لعن المعين من الكفار، وغيرهم من الفساق بالاعتقاد أو بالعمل: **لأصحابنا فيها أقوال:**

أحدها: لا يجوز بحال، وهو قول أبي بكر عبد العزيز.

والثاني: يجوز في الكافر دون الفاسق.

والثالث: يجوز مطلقا.

وقال عبد الله بن أحمد الحنبلي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: على الجهمية لعنة الله. وكان الحسن يلعن الحجاج، وأحمد يقول: الحجاج رجل سوء.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: ليس في هذا عن أحمد لعنة معين. لكن قول الحسن نعم.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: لم أره نقل لعنة معينة إلا لعنة نوع أو دعاء على معين بالعذاب أو سبًا له. لكن قال القاضي: لم يفرق بين المطلق والمعين، وكذلك جدنا أبو البركات.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: المنصوص عن أحمد الذي قرره الخلال اللعن المطلق، لا المعين. كما قلنا في نصوص الوعيد والوعد، وكما نقول في الشهادة بالجنة والنار؛ فإنا نشهد بأن المؤمنين في الجنة وأن الكافرين في النار، ونشهد بالجنة والنار لمن شهد له الكتاب والسنة، ولا نشهد بذلك لمعين إلا من شهد له النص أو شهد له الاستفاضة على قول. فالشهادة في الخبر كاللعن في الطلب.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ **كَمَا فِيْ «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ»** (٤/ ٣٤٤):

وقد تنازع الناس في لعنة الفاسق المعين فقيل: إنه جائز كما قال ذلك طائفة من أصحاب أحمد، وغيرهم كأبي الفرج بن الجوزي وغيره. **وقيل**: إنه لا يجوز كما قال ذلك طائفة أخرى من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي بكر عبد العزيز وغيره. والمعروف عن أحمد كراهة لعن المعين كالحجاج بن يوسف وأمثاله، وأن يقول كما قال الله تعالى ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود:١٨].اهـ

قَال أبوعبد الله: الذي اختاره ابن الجوزي نقله عن أحمد، وذكر أنه أجاز لعن يزيد بن معاوية، ومنهم من ينقل عن أحمد القول الثاني، ونصره أبوبكر الخلال في مذهب أحمد. والمشهور عن أحمد خلاف ما ذكره ابن الجوزي؛ فإن المشهور عن أحمد في يزيد بن معاوية قوله: لا نحبه، ولا نسبه.

والقول الثاني: وهو عدم الجواز. نُقِل عن جماعة من أصحاب أحمد، ونُقِلَ عن الحسن، وابن سيرين، وهو الأشهر عند المتأخرين من أصحاب أحمد، والشافعي، ونصره النووي، وابن المنير، وغيرهما. والقائلون بالجواز حجتهم أنه جاز اللعن بالوصف؛ فيجوز بالتعيين؛ لأنه يشمله ذلك الوصف، وقالوا: قد جاء عن النبي ﷺ لعن بعض الناس بعينهم كما في «**مسلم**» في [كتاب الفضائل] رقم (١٠)، عن

معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ منع ناسًا من أن يتقدموا إلى الماء في تبوك، فتقدم رجلان من المنافقين، فلعنهما وسبهما.

وأيضًا جاء في الحديث أنه قال: «**اللهم، إنما أنا بشرٌ من البشر، فأي رجل من المسلمين لعنته، أو سببته، وليس لها بأهل، فاجعلها له زكاة ورحمة تقربه إليك يوم القيامة**» أخرجه مسلم (٢٦٠١-٢٦٠٣) من طرق عن أبي هريرة وجابر وأنس رضي الله عنهم، بألفاظ متقاربة.

واستدلوا بقصة الرجل الذي جاء يشتكي جاره، فأمره النبي ﷺ أن يخرج متاعه، فأخرج متاعه، فجعل من يمر من الناس يقول: اللهم العنه، اللهم اخزه، وفي رواية: فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به وفعل وفعل. رواه أبوداود (٥١٥٣)، والبخاري في "**الأدب المفرد**" (١٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده حسن.

وجاء عند أحمد (٤/ ٥)، والبزار (٢/ ٢٤٧) من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ لعن الحَكَم وما ولد من صلبه. واللفظ للبزار، وهو في "**الصحيح المسند**" (٥٧٢).

واستدلوا أيضًا بحديث أبي هريرة في مسلم أن النبي ﷺ قال: «**اتقوا اللعانين: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم**»[1].

والقائلون بالمنع من أدلتهم: ما جاء في البخاري أنَّ النبي ﷺ لعن بعض الكفار: الحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو-قبل أن يسلموا- فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران:١٢٨][2]، ثم أسلموا، وحسن إسلامهم.

فهذا دليل على أنه لا يجوز لعن المعين؛ لأنَّ اللعن الطرد من رحمة الله، وأنت لا تدري هل سيموت على كفره أم لا؟ أما من عُلم أنه مات كافرًا فيجوز لعنه، أو

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

من عُلِم أنه سيموت على كفره؛ فيجوز لعنه، فنحن نعلم أنَّ أبا جهل، وأبا لهب ماتا على الكفر؛ فيجوز لعنهما، وأيضًا نعلم أن المسيح الدجال، وإبليس سيموتان على الكفر؛ فيجوز لعنهما.

واستدلوا بحديث: «**لا ينبغي لصدِّيق أن يكون لعَّانًا**» أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه[١].

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند الترمذي وأحمد وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**»[٢].

والذي يظهر المنع من ذلك إذا كان المقصود به الإبعاد والطرد من رحمة الله؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨]، فهذا ليس إلى الإنسان.

وأما اللعن الذي هو السب، والدعاء؛ فالظاهر جوازه لمن يستحقه. وأما أدلة المجوزين فهي محمولة على أنه قصد بها السب والدعاء دون قصد الطرد من رحمة الله، وبهذا يُجمع بين الأدلة، وبالله التوفيق[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٤)، والترمذي (١٩٧٧) بإسناد حسن.

(٣) انظر: "منهاج السنة" (٤/ ٥٦٩)، "الآداب الشرعية" (١/ ٢٦٩)، "موقف أهل السنة والجماعة من الأهواء والبدع" للرحيلي (١/ ٢٥٠).

١٩ وعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاك قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوانَةَ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوانَةَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وثَنٌ مِنْ أَوثَانِ الـجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**». قَالُوا: لاَ. قَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِـيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**». قَالُوا: لَا. قَالَ رسول الله ﷺ: «**أَوفِ بِنَذْرِكَ؛ فإنه لاَ وفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، ولاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**» أَخْرَجَهُ أَبُوداودَ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ[1].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

١ مسألة: حكم الذبح لله في مكان يعبد فيه غير الله أو فيه عيد للمشركين.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله فِي «اقْتِضَاءُ الصِّراطِ المُسْتَقِيم»(١/ ٤٤٠):

وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه:

أحدها: أن قوله: «**فأوف بنذرك**» **تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء، وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم**؛ فيكون سبب الأمر بالوفاء وجود النذر خاليا من هذين الوصفين؛ فيكون وجود الوصفين مانعًا من الوفاء، ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به.

والثاني: أنه عقب ذلك بقوله: «**لا وفاء لنذر في معصية الله**» ولولا اندراج الصورة المسئول عنها في هذا اللفظ العام وإلا لم يكن في الكلام ارتباط، والمنذور في نفسه وإن لم يكن معصية لكن لما سأله النبي ﷺ عن الصورتين قال له: «**فأوف بنذرك**» يعني حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك؛ فكان جوابه ﷺ فيه أمرًا بالوفاء عند الخلو من هذا، ونهى عنه عند وجود هذا وأصل الوفاء بالنذر

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣) بإسناد صحيح.

معلوم؛ فَبَيَّن ما لا وفاء فيه، **واللفظ العام إذا ورد على سبب؛ فلا بد أن يكون السبب مندرجًا فيه.**

والثالث: أنه لو كان الذبح في موضع العيد جائزًا لسوغ ﷺ للناذر الوفاء به؛ كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به، بل لأوجب الوفاء به؛ إذ كان الذبح بالمكان المنذور واجبا؛ فإذا كان الذبح بمكان عيدهم منهيا عنه؛ فكيف الموافقة في نفس العيد بفعل بعض الأعمال التي تعمل بسبب عيدهم.اهـ

٢ مسألة: حكمُ تخصيصِ مكانٍ للعبادة.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «اقْتِضَاءُ الصِّراطِ الْمُسْتَقِيم» (٢/ ١٥٨):

فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو غيرها أو قناة جارية أو جبلا أو مغارة، وسواء قصدها؛ ليصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به، لا عينًا ولا نوعًا.

٣ مسألة: حكم النذر بأموال لتسرج به القبور والمشاهد ويعان به السدنة.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «اقْتِضَاءُ الصِّراطِ الْمُسْتَقِيم» (٢/ ٢٣٤):

وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنًا؛ لتنور به ويقول: إنها تقبل النذر كما يقوله بعض الضالين؛ فإن هذا النذر نذر معصية باتفاق العلماء، لا يجوز الوفاء به.

وكذلك إذا نذر مالا من النقد أو غيره للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فإن هؤلاء السدنة فيهم شبه من السدنة الذين كانوا عند اللّات والعزى ومناة يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمجاورون هناك فيهم شبه من العاكفين الذين قال لهم الخليل إبراهيم إمام الحنفاء ﷺ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]، وقال: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ

وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧]، والذين أتى عليهم موسى عليه السلام وقومه بعد مجاوزتهم البحر كما قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ [الأعراف:١٣٨].

فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع التي لا فضل في الشريعة للمجاورين بها نذر معصية، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها أو سدنة الأبداد التي بالهند والمجاورين عندها.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **في "الاقتضاء" أيضًا (٢/ ١٨٩)**: وكذلك إيقاد المصابيح في هذه المشاهد مطلقا لا يجوز بلا خلاف أعلمه للنهي الوارد، ولا يجوز الوفاء بما ينذر لها من دهن وغيره، بل موجبه موجب نذر المعصية.اهـ

٤ مسألة: حكم النذر لله.

الوفاء بالنذر ممدوحٌ؛ فيكون الوفاء به من العبادات؛ لأنَّ الله مدح من أوفى به، كما قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا﴾ [الإنسان:٧] الآية، وقال: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [الحج:٢٩].

والنذر مكروه عند الجمهور؛ لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النبي ﷺ نهى عن النذر، وقال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»[(١)] متفق عليه، واللفظ لمسلم، وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**إنه لا يرد من القدر، وإنما يستخرج به من البخيل**» متفق عليه، واللفظ لمسلم[(٢)]؛ ولأنَّ النذر إلزام الإنسان نفسَه بعبادة، وقد يعجز عنها، ويندم؛ فلهذا كره العلماء النذر، وبعضهم اختار تحريمه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٠٨)، ومسلم برقم (١٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٦٠٩)، ومسلم برقم (١٦٤٠).

وذهب مالك إلى الاستحباب؛ إلا ما كان من نذر المقابلة، أو النذر الذي يشق؛ ففيه كراهة، وذهب الحنفية إلى الاستحبابِ مطلقًا.

والراجح ما ذهب إليه مالك رحمه الله؛ لأن النذر فيه تعظيم لله، ولأَنَّ الله أثنى على الناذرين الموفين بنذورهم، والأدلة الواردة في النهي عن النذر ظاهرها أنه في نذر المقابلة، لقوله: «**يستخرج به من البخيل**»، ولقوله «**لا يرد من القدر شيئا**».

ويدل على الكراهة فقط، وعدم التحريم ما جاء في "**صحيح مسلم**" (١٦٤١)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما، أنَّ امرأةً مسلمة أُسِرَت، فهربت من المشركين على ناقة النبي ﷺ، ونذرت إن نجَّاها الله لتنحرَنَّها، فأنكر عليها النبي ﷺ نذرها في ملك غيرها، ولم ينكر عليها النذر من أصله، وأيضًا لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أبي داود (٣٣٠٨)، وهو في "**الصحيح المسند**" (٦٥٦) أنَّ امرأة ركبت البحر فنذرت إن نجاها الله لتصومَنَّ شهرًا، فنجاها الله، فلم تصم حتى ماتت، فأتت أختها إلى النبي ﷺ، فأمرها أن تصوم عنها، مع أنه نذر مقابلة، ولم ينكر عليها ذلك مع أنه مقام بيان، وتعليم[1].

٥ أقسام النذر من حيث الصيغة.

النذر نذران: مطلق، ومقيد

* **النذر المقيد هو**: الذي يكون بشرطٍ، كأن يقول: إن شفى الله مريضي؛ فعَلَيَّ كذا.
* **النذر المطلق هو**: الذي يكون عن غير شرط، كقوله: لله عليَّ أن أفعل كذا.

٦ مسألة: كيف يكون النذر عبادة مع كونه مكروهًا؟

هو عبادة من جهة أن فيه تعظيمًا لله، مثل الحلف؛ فإنه فيه تعظيم؛ فهو عبادة، لكن إن شق على نفسه، فيكره له، كأن يقول: والله لأصومَنَّ شهرين متتابعين. فمن الخطأِ أن يقال: الوفاء بالنذر هو العبادة فقط، بل عقد النذر والوفاء به كله عبادة.

---

(١) وانظر: "الموسوعة الفقهية الكويتية" (٤٠/ ١٣٧).

وكذلك إذا ألزم نفسه بعبادة مشروعة، ليس فيها مشقة، وليس بمقابلة؛ فهو مستحب أيضًا؛ لانتفاء أسباب الكراهة في هذه الصورة.

٧ مسألة: حكم النذر لغير الله، وهل فيه كفارة؟

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ في "تَيسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ"، باب رقم (١١):

وقد نص غير واحد من العلماء على أن النذر لغير الله شرك.

قال شيخ الإسلام: وأما ما نذره لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو أن يحلف بغير الله من المخلوقات والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة وكذلك الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء ولا كفارة فإن كلاهما شرك، والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا العقد ويقول ما قال النبي ﷺ حيث قال: «**من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**»[1].اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٣٣/ ١٢٣):

فَمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُو مُشْرِكٌ أَعْظَمُ مِنْ شِرْكِ الحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ وهُو كَالسُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي "اقْتِضَاءُ الصِّراطِ المُسْتَقِيم" (٢/ ٢٣٤):

فيمن نذر للقبور أو نحوها دُهْنًا لِتُنَورَ به، ويقول: إنها تقبل النذر كما يقوله بعض الضالين- قال: وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين، لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالًا للسَّدنة، أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة؛ فإن فيهم شَبَهًا من السدنة التي كانت عند اللات، والعزى، ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾ [الأنبياء:٥٢]، والذين اجتاز بهم موسى

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٥٠)، ومسلم برقم (١٦٤٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقومه، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ [الأعراف:١٣٨]، فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها، أو لسدنة الأبداد[١] التي في الهند والمجاورين عندها.[٢]اهـ

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ رحمه الله فِيْ "تَيسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ"، باب رقم(١١):

فهذه النذور الواقعة من عباد القبور وأشباههم لم يعتقدون فيه نفعا أوضرا فيتقرب اليه بالنذر ليقضي حاجته أو ليشفع له كل ذلك شرك في العبادة وهو شبيه بما ذكر الله عن المشركين في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ روى ابن أبي حاتم في الآية، يعني: جعلوا لله جزءا من الحرث، ولشركائهم ولأوثانهم جزءا؛ فما ذهبت به الريح مما سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه، وقالوا: الله عن هذا غني، وما ذهبت به الريح من جزء أوثانهم الى جزء الله أخذوه، وعباد القبور يجعلون لله جزءا من أموالهم بالنذر والصدقة وللأموات والطواغيت جزءا كذلك.اهـ

وقال الأذرَعي[٣] **في "شرح المنهاج"**: وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي، أو شيخ، أو على اسم من حلها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء

---

(١) الأبداد: جمع بُدّ، وهو الصنم. والسَدَنة: جمع سادن، وهو خادم الصنم، والمانع عنه، والفرق بينه وبين الحاجب أنَّ الحاجب يأذن إذا أمر بذلك ممن أمره بذلك، والسادن يأذن بنفسه. "لسان العرب".

(٢) انظر "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٢٣٤).

(٣) هو أحمد بن حمدان بن عبد الواحد الأذْرَعي، أبو العباس، ولد سنة (٧٠٨)، وتوفي سنة (٧٨٣). انظر: "الدرر الكامنة" (١/ ١٣٥).

والصالحين؛ فإن قصد الناذر بذلك -وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة- تعظيم البقعة، أو المشهد، أو الزاوية، أو تعظيم من دُفِن بها، أو نُسِبَت إليه، أو بُنِيت على اسمه؛ فهذا النذر باطل غير منعقد؛ فإن معتقدهم أنَّ لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يُدفع بها البلاء، ويُستجلب بها النَّعْمَاء، ويُستشفى بالنذر لها من الأدواء، حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل: (إنه استند إليها عبد صالح)، وينذرون لبعض القبور السُّرج والشموع، والزيت، ويقولون: القبر الفلاني، أو المكان الفلاني يقبل النذر. يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول: من شفاء مريضٍ، أو قدوم غائبٍ، أو سلامةِ مالٍ، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة؛ فهذا النذر على هذا الوجه باطلٌ لا شك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطلٌ مطلقًا، ومن ذلك: نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء؛ فإن الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبركًا وتعظيمًا ظَانًّا أنَّ ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرم، سواء انتفع به هناك منتفع أم لا.اهـ من "**التيسير**"، و"**فتح المجيد**" باب (١١).

وقال الشيخ قاسم الحنفي(١) في "**شرح درر البحار**": النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد، كأن يكون للإنسان غائب، أو مريض، أوله حاجة، فيأتي إلى بعض الصلحاء، ويجعل على رأسه سترة، ويقول: يا سيدي فلان، إنْ ردَّ اللهُ غائبي، أو عُوفي مريضي، أو قُضيت حاجتي؛ فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت كذا؛ فهذا النذر باطل بالإجماع؛ لوجوه

---

(١) هو القاسم بن قطلوبغا بن عبدالله المصري، ولد سنة (٨٠٢)، وتوفي سنة (٨٧٩)، له مؤلفات عديدة، منها: "شرح درر البحار" للقونوي في الفروع. انظر: "هداية العارفين" (١/ ٨٣٠).

منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق[1].

ومنها: أنَّ المنذور له ميت، والميت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر.

إلى أن قال: إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم، والشمع، والزيت وغيرها، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربًا إليهم، فحرام بإجماع المسلمين.اهـ

نقله عنه ابن نجيم[2] في "**البحر الرائق**"[3]، ونقله المرشدي[4] في "**تذكرته**" وغيرهما عنه، وزاد: وقد ابتُلِيَ الناس بهذا، لاسيما في مولد البدوي.[5] اه من "**التيسير**"، و"**فتح المجيد**"، باب (١١).

قال أبوعبد الله غفر الله له: الذي يُسْرِج على القبور إن كان متبركًا بصاحب القبر يظن أنه سينفعه بشيء؛ أو صَاحَبَ ذلك النذرُ له، أو دعاؤه، فهذا هو الشرك الأكبر، وإن كان يظن أنَّ هذا الإسراج قُربة لله لكونه أسرج على هذه القبور، فيظن في نفسه أنه ناصرٌ للأولياء؛ فهذا لا يصل إلى حد الشرك الأكبر؛ فهو لم يصرف له عبادة، وإنما يريد الأجر من الله بهذا الإيقاد، والإسراج؛ فهذا مبتدع؛ لأنه تقرب إلى الله بشيء ليس من دين الله، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر.اه

---

(١) وهذا يعتبر شركًا أكبر؛ لأنه يتقرب إلى الولي، ويدعوه وهو ميت، يدعوه من دون الله، ولأنه صرف النذر لغير الله بقوله: لك كذا.

(٢) هو الإمام زين الدين بن إبراهيم بن محمد المشهور بابن نُجَيم، ولد سنة (٩٢٦)، وتوفي سنة (٩٧٠)، له كتب عديدة من أشهرها: "البحر الرائق شرح كنز الدقائق"، و"الأشباه والنظائر". انظر: "شذرات الذهب" (١٠/ ٥٢٣).

(٣) انظر: "البحر الرائق" (٢/ ٤٦٧-٤٦٨) في آخر [كتاب الصوم].

(٤) هو عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، أبو الوجاهة العمري، المرشدي، مفتي الحرم المكي، ولد سنة (٩٧٥)، وتوفي سنة (١٠٣٧)، انظر: "الأعلام" للزركلي (٣/ ٣٢١).

(٥) هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر البدوي، صوفي هالك، وقبره معروف بمصر في (طنطا)، ويعبد من دون الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هلك عام (٦٧٥). "الشذرات" (٧/ ٦٠٢).

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي[(١)] في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء:

فهذا الذبح، والنذر إن كان على اسم فلان؛ فهو لغير الله؛ فيكون باطلًا، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، والنذر لغير الله إشراك مع الله كالذبح لغيره.[(٢)] اهـ من "**التيسير**"، و"**فتح المجيد**"، باب (١١).

٨ مسألة: حكم النذر لله بمعصية؟

أجمع العلماء على أنه لا يجوز نذر المعصية، ولا يجوز الوفاء فيه.

قال الحافظ: واتفقوا على تحريم النذر في المعصية.اهـ من "**الفتح**" (٦٧٠٠).

٩ مسألة: وهل في نذر المعصية كفارة؟

اختلف العلماء: هل تجب فيه كفارة يمين؟ على قولين:

أحدهما: يجب. وهو مذهب أحمد في المشهور عنه، وبعض الحنفية، وهو قول للشافعي اختاره البيهقي، ورُوي عن ابن مسعود، وابن عباس[(٣)].

---

(١) هو الإمام صنع الله بن صنع الله الحلبي، المكي، واعظٌ، فقيهٌ، محدثٌ، توفي سنة (١١٢٠). "هداية العارفين" (١/ ٤٢٨)، "معجم المؤلفين" (٦٢٤١).

(٢) انتهى من كتابه "سيف الله على من كذب على أولياء الله" (ص٦٨-٦٩).

(٣) أثر ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٢٨٨)، وعبد الرزاق (٨/ ٤٣٣) بإسناد رجاله ثقات، من طريق: أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه به، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه؛ فهو منقطع؛ فالإسناد ضعيف.

وأثر ابن عباس رضي الله عنهما صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٣١٣)، عن وكيع، عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن كريب، عن ابن عباس به مطولًا.

وإسناده صحيح، رجاله ثقات معروفون.

واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: «**لا نذر في معصيةٍ، وكفارته كفارة يمين**»، رواه أحمد، وأهل السنن[١]، واحتج به أحمد وإسحاق.

واستدلوا على ذلك بحديث ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن الجارود (٩٣٥)، أنَّ النبي ﷺ قال: «**النذر نذران: نذرٌ لله؛ فيجب الوفاء، ونذر للشيطان؛ فكفارته كفارة يمين**»، وفي إسناده: خطَّاب بن القاسم الحرَّاني، قال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه. وقال أبو زرعة في رواية ابن أبي حاتم: ثقة. وقال في رواية البرذعي: منكر الحديث. وقال النسائي: لا علم لي به.

قلت: يغلب على ظني أن خطابًا قد وهم في رفعه؛ لأنَّ المعروف عن ابن عباس الموقوف كما تقدم، والله أعلم.

واستدلوا أيضًا بحديث عمران بن حصين عند أبي داود والنسائي بمثل حديث عائشة، وفي إسناده محمد بن الزبير الحنظلي، وهو متروك.

قالوا: والقياس يقتضيه؛ لأن النذر يمين كما وقع في حديث عقبة لما نذرت أخته أن تحج ماشية «**لتكفر عن يمينها**» فسمى النذر يمينا، ومن حيث النظر: هو عقدة لله تعالى بالتزام شيء، والحالف عقد يمينه بالله ملتزمًا بشيء.

الثاني: لا كفارة عليه. رُوي ذلك عن مسروق، والشعبي[٢]، وهو قول الشافعي، والمالكية؛ واستدلوا بحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَال: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إذا هُو بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَل عَنْهُ، فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيل نَذَرَ أَنْ يَقُومَ ولاَ يَقْعُدَ،

---

(١) ضعيف منكر. أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٧)، وأبو داود (٣٢٩٠) (٣٢٩١)، والترمذي (١٥٢٤)، والنسائي (٧/ ٢٦-٢٧)، وابن ماجه (٢١٢٥)، وهذا الحديث مُعَلٌّ، فقد أعله البخاري، والدارقطني، والترمذي، وغيرهم، وسنده ظاهره الصحة، لكن ذكر الحفاظ أنه سقط من سنده سليمان بن أرقم، وهو متروك، وهو في "أحاديث معلة" لشيخنا مقبل رحمه الله رقم (٤٩٩).

(٢) ذكره عنهما ابن قدامة رحمه الله في "المغني" (١٣/ ٦٢٤)، ولم أجد للأثرين سندًا، فلعلهما في بعض الكتب المفقودة.

ولاَ يَسْتَظِلِ، ولاَ يَتكلَّمَ، ويَصُومَ. فَقَال النَّبِيُّ ﷺ: مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ولْيَسْتَظِلِ ولْيَقْعُدْ، ولْيُتِمَّ صَومَهُ، أخرجه البخاري[1]، ولم يذكر فيه كفارة.

واستدلوا بما أخرجه مسلم عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما، أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ أُسِرَتْ فَانْفَلَتَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الوثَاقِ، فَرَكِبَتِ العَضْبَاءَ، ونَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُول اللَّهِ ﷺ فَقَال: سُبْحَانَ اللَّهِ بِئْسَمَا جَزَتْهَا، نَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا، لاَ وفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، ولاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ العَبْدُ[2].

واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها الذي في البخاري: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطيعَ اللهَ فَلْيُطِعْه، ومن نذر أن يَعصيَ الله فلا يَعصِه**»[3]. وليس فيه ذكر الكفارة.

والقول الأول رجَّحه الإمام ابن باز، والإمام العثيمين رحمة الله عليهما، **وهو الصحيح**؛ لأنه التزام لله، فهو كاليمين، وقد أفتى بذلك ابن عباس رضي الله عنهما، كما تقدم، وفعلته عائشة رضي الله عنها، كما في "**صحيح البخاري**" (٦٠٧٣)، ولا نعلم لهما مخالفًا.

وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما، كما في "**موطأ مالك**" (٢/ ٤٧٦) بإسناد صحيح: كيف يكون في هذا كفارة؟ -يعني مع كونه معصية- فقال ابن عباس: إن الله تعالى قال: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ** ﴾ [المجادلة:٢] ثم جعل فيه من الكفارة ما قد رأيت[4].

١٠ مسألة: حكم النذر فيما لا يملك العبد وهل فيه كفارة؟

أجرى الحافظ ابن حجر رحمه الله الخلاف في هذه المسألة كالخلاف في نذر المعصية؛ لأن النذر في حق الغير من المعاصي[5].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٧٠٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٦٤١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٦٩٦).

(٤) انظر: "اقْتِضَاءُ الصِّراطِ المُسْتَقِيم" (ص٣١٥)، "الموسوعة الفقهية" (٤٠/ ١٤٩)، "المغني" (١٣/ ٦٢٢-٦٢٤)، "سنن الترمذي" (١٥٢٥)، "فتح الباري" (٦٧٠٠).

(٥) انظر: "فتح الباري" (٦٧٠٠).

تنبيه: لا يدخل في النذر فيما لا يملك: أن ينذر على شيء في الذمة مما لا يملكه بعد؛ لصحة النذر المبهم عند أهل العلم.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ **في "شرح مسلم"** (١٦٤١): وأما قوله ﷺ: «**ولا فيما لا يملك العبد**» فهو محمول على ما إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال: إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق عبد فلان أو أتصدق بثوبه أو بداره. أو نحو ذلك فأما إذا التزم في الذمة شيئا لا يملكه؛ فيصح نذره. مثاله: قال: إن شفى الله مريضي فلله علي عتق رقبة. وهو في ذلك الحال لا يملك رقبة، ولا قيمتها فيصح نذره وإن شفي المريض ثبت العتق في ذمته.اهـ

١١ مسألة: حكم نذر فعل المباح.

من أهل العلم من قال: لا ينعقد. وهو مذهب المالكية، والشافعية، والحنفية.

واستدلوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ قال: «**ولا نذر إلا فيما يبتغى به وجه الله**». وإسناده حسن.

ومن أهل العلم من قال: ينعقد موجبًا للكفارة، وهو مذهب الحنابلة وبعض الشافعية، واستدلوا بما رواه أبوداود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأحمد، والترمذي عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ امرأةً قالت: يا رسول الله، إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف. فقال: «**أَوفِ بنذرِكِ**».(١)

---

(١) حسن لغيره. حديث عبد الله بن عمرو: أخرجه أبوداود (٣٣١٢)، وفي إسناده: الحارث بن عبيد أبو قدامة الإيادي، وفيه ضعف.

والحديث حسن بشاهده عن بريدة عند أحمد (٥/ ٣٥٣)، والترمذي (٣٦٩٠)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩)، وابن حبان (٦٨٩٢)، من طريق: الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه به، وإسناده حسن.

واستدلوا بحديث: «**لا نذر في معصية**»؛ لأن فيه نفي النذر في المعصية فبقي ما عداه ثابتا، وهذا القول هو الصحيح، والله أعلم(١).

١٢ مسألة: حكم نذر المكروه.

الخلاف فيه كالخلاف المتقدم في المسألة السابقة.

١٣ مسألة: حكم نذر اللجاج والغضب.

نذر اللجاج والغضب هو الذي يكون في حالة مغاضبة وخصام، وما أشبه ذلك، فيقول مثلًا: لله عليَّ إن فعلت كذا أن أحج عشر حجج. فإنه هنا لا يريد الحج، وإنما يريد الامتناع عن هذا الشيء. فهذه من إيمان العرب، وقد أفتى بعض الصحابة أنَّ فيه كفارة يمين منهم عمر بن الخطاب وابنه وأم سلمة رضي الله عنهم، كما في "**الكبرى**" للبيهقي (١٠/ ٦٥)، وعائشة رضي الله عنها كما في "**مصنف ابن أبي شيبة**" (٣/ ٤٢٥)، و"**مصنف عبد الرزاق** "(٨/ ٤٨٣) و"**سنن البيهقي**" (١٠/ ٦٥).

وهو يمينٌ عند جمهور العلماء، فَيُخَيَّر بين فعله، وبين تركه، ويكفر كفارة يمين، وقد جاء في المسألة حديث عمران بن حصين مرفوعًا: «**لا نذر في غضب، وكفارته كفارة يمين**»، رواه أحمد، والنسائي.(٢)

وخالف مالك وبعض الشافعية؛ فعدوه نذرًا يلزم الوفاء به.

والذي رجحه شيخ الإسلام، وابن القيم أنه يكفر كفارة يمين، أو يوفي به، وبيَّن شيخ الإسلام رحمه الله بأنه يشمله قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾ [المائدة:٨٩]، قال: وهذا من أيمان العرب.

---

(١) انظر: "الموسوعة الفقهية" (٤٠/ ١٥١)، "التيسير"، و"فتح المجيد" باب رقم (١٠، ١١)، "الفتح" (٦٧٠٠).

(٢) **ضعيف جدًّا**. أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٣)، والنسائي (٧/ ٢٨)، وفي سنده: محمد بن الزبير الحنظلي، وهو متروك، وقد اختلف عليه في إسناد الحديث، وانظر: "الإرواء" (٢٥٨٧).

ونقل إجماع أهل اللغة على أن هذا يسمى يمينًا، وهذا هو ترجيح الإمامين ابن باز، وابن عثيمين رحمهما الله(١).

تنبيه: بقي في النذر مسائل موضعها في كتب الفقه، وإنما أشرنا ههنا إلى بعض مهماتها، وبالله التوفيق.

❁❁❁

---

(١) وانظر: «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٢٥٣ ٢٥٦، ٢٨٠)، «فتح الباري» (٦٧٠٠)، «شرح مسلم» (١٦٤٥)، «بداية المجتهد» (١/ ٤٢٣)، «شرح المهذب» (٨/ ٤٥٩).

٢٠ وعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ وهُو عَلَى المِنبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ**» أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ[١].

٢١ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ والْغُلُو فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الغُلُو**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.[٢]

مسائل العقيدة المستفادة من الحديثين

قوله: «**إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**».

أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى، فادَّعَوا فيه الإلهية، وإنما أنا عبد الله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، فقولوا عبد الله ورسوله.

فأبى المشركون إلا مخالفة أَمْرِه، وارتكاب نَهْيِهِ، فعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شِعرًا ونثرًا ما يطول عَدُّه، وصنفوا فيه مصنفات. اهـ من "**فتح المجيد**" (باب: ١٨)

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "المُسْتَدْرَكِ عَلَى مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٤/ ٣٤):

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**»، وقال: «**إيّاكم والغُلو في الدين، فإنما أهلكَ مَن كان قبلكم الغُلُو في الدين**»، وهذا قال لهم بسبب رَمْي الجمارِ لئلاَّ يَغْلُوا فيها، فكيف فيما هو أعظم من ذلك؟ وهؤلاء أهلُ الغلو النصارى ومن شابَهَهم من هذه الأمة في الغلو- كما ثبتَ عنه في "**الصحيحين**" أنه قال: «**لَتَركَبُنَّ سَنَنَ من كان**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٢٥)، وهو كذلك عند ابن ماجه (٣٠٢٩)، والنسائي (٥/ ٢٦٨).

قبلكم حَذْو القُذَّة بالقُذَّةِ، حتى لو دَخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخلتُموه»(١).

هم قَصدوا تعظيمَ الأَنبياء والصالحين بالغُلو فيهم، فوقعوا في تكذيبهم وبُغضِهم ما جاءوا به، فإن المسيح قال للنصارى كما أخبر الله عنه أنه قال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ وقال المسيح: ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ [مريم:٣٠]، والغُلاةُ فيه كذَّبوه وعَصَوه، فقالوا: ما هو عبدَ الله بل هو الله، وأشركوا به الشركَ الذي نهاهم عنه.

وكذلك الغاليةُ في عليّ وفي غيرهم من أهل العلم والإيمان، وعليٌّ عليه السلام يقول: لا أوتَى بأحدٍ يُفَضلُني على أبي بكرٍ وعُمَرَ إلا جَلَدتُه حد المفتري(٢). وحرَّقَ الغاليةَ فيه بالنار(٣)، ويقول ما نُقِلَ عنه من نحو ثمانين وجهًا: خيرُ هذه الأمةِ بعدَ نبيها أبوبكر ثم عمر، ويَذكُر ذلك لابنِه محمد بن الحنفية كما رواه البخاري

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) **ضعيف**: أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٣١٢)، وفي «فضائل الصحابة» لأبيه (٤٩، و٣٨٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢١٩)، والدارقطني في «المختلف والمؤتلف» (٢/ ٨٠٧)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ٩٧٣) من طرق عن محمد بن طلحة بن مصرف اليامي، عن أبي عبيدة بن الحكم بن جَحْل، عن أبيه الحكم بن جَحْل، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه به.

والحكم بن جَحْل، وثقه ابن معين كما في «الجرح والتعديل»، وابن نمير، كما في كتاب «التراجم الساقطة من إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي. وقال أبو حاتم الرازي: روى عن رجل لم يسمه عن علي بن أبي طالب. وقال البخاري في «التاريخ»: سمع عطاء، وقال بعضهم: سمع عليًّا رضي الله عنه.

ولكن ولده أبو عبيدة، واسمه: أمية بن الحكم، لم يوثقه معتبر، وقد روى عنه ابنه مِهْجَع، ومحمد بن طلحة بن مصرف، الذي في الإسناد، وقال الذهبي في «الميزان» وفي «المغني»: لا يعرف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠١٧).

في "**الصحيح**" عنه[1]، والشيعةُ تكذبُه وتُخالِفُه، فهم معه كالنصارى مع المسيح واليهودِ مع موسى. وكذلك أَتباعُ الشيوخِ الصالحين المهتدين يَضِلُّون فيهم، ويتركون اتِّباعَهم على الطريقة التي يُحِبها اللهُ ورسوله.

وهذا بابٌ دخلَ فيه الشيطانُ على خلق كثير فأضلَّهم، حتى يجعل أحدُهم قولَ الحق تنَقُّصًا له، فإذا قيل للنصارى في المسيح: ﴿**مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ**ۖ﴾ [المائدة:٧٥]، قالوا: هذا تنقيصٌ بالمسيح وسوءُ أدبٍ معه، وهم مع هذا يَشتُمون الله ويَسُبونه مَسَبَّةً ما سَبَّهُ إياها أحدٌ من البشر، كما كان معاذ بن جبل يقول في النصارى: لا تَرحموهم، فلقد سَبُّوا الله مَسَبَّةً ما سَبَّه إياها أحدٌ من البشر.

وفي "**الصحيح**" عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالى شَتَمَنِيْ ابنُ آدمَ، وما يَنبغي له ذلك، وكَذَّبَني ابنُ آدم، وما ينبغي له ذلك، فأما شتْمُه إيّايَ؛ فقوله: إن لي ولدًا، وأنا الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأما تكذيبُه إيّايَ فقوله لن يُعِيْدَني كما بدأني، وليس أَولُ الخلقِ بأهونَ عليَّ من إعادتِه**»[2]؟

وهؤلاء الغاليةُ يَجمعُون بين شتم الربّ وتكذيبه، وهكذا الغالية المنتسبون إلى هذه الأمّة تجدُ أحدَهم يَغلُو في قُدوتِه، حتى يكرهُ أن يُوصَفَ بما هو فيه، ويُقالَ عليه الحقُّ، وهو مع هذا يقول في الله العظائمَ التي ما قالتْها فيه لا اليهودُ ولا النصارى، حتى يقول: إن الله موصوفٌ بكل ذَم وكل عيب كما هو موصوفٌ بكل حمدٍ وكل مدحٍ، وإنه هو إبليس وفرعون والأصنام، كما قالته النصارى في المسيح، والله سبحانَه عابَ على المشركين ما هو دون هذا، حيثُ قال: ﴿**وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٧١) عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ».

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٩٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾، وقال: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [الأنعام:١٠٨].

وهؤلاء يريدون أن يُقالَ في أئمتِهم الحقُّ، ويقولون على الله الباطلَ، ويَرضون بأن يُسَبَّ الله ويُشْتَم، ولا يَرضَون بأن يُسَبَّ متبوعُ أحدِهم على ما افتراه على الله ورسوله، بل لا يَرضَون أن يُقال فيه الحقُّ أو أن يُضافَ إليه خطأٌ جائزٌ عليه وواقعٌ منه.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله فِي "اقْتِضَاءُ الصِّراطِ المُسْتَقِيم" (ص١٠٦):

وقوله: «**إياكم والغلو في الدين**» عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال. **والغلو:** هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك.

والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١].

وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه فالغلو فيه مثل رمي الحجارة الكبار، ونحو ذلك بناء على أنه قد بالغ في الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى.

وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكا.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٠/ ٦٢٠):

قَولُ بَعْضِ النَّاسِ: الثَّوابُ عَلَى قَدْرِ المَشَقَّةِ لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ عَلَى الإِطْلَاقِ كَمَا قَدْ يَسْتَدِلُّ بِهِ طَوَائِفُ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنْ الرَّهْبَانِيَّاتِ والْعِبَادَاتِ الْمُبْتَدَعَةِ الَّتِي لَمْ

يَشْرَعْهَا اللهُ ورَسُولُهُ مِنْ جِنْسِ تَحْرِيمَاتِ الْمُشْرِكِينَ وغَيْرِهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ مِنْ الطَّيِّبَاتِ ومِثْلُ التَّعَمُّقِ والتَّنَطُّعِ الَّذِي ذَمَّهُ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»(١) وقَالَ: «**لَومُدَّ لِي الشَّهْرُ لَواصَلْت وصَالًا يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ**»(٢) - مِثْلُ الجُوعِ أَو الْعَطَشِ الْمُفْرِطِ الَّذِي يَضُرُّ العَقْلَ والْجِسْمَ، ويَمْنَعُ أَدَاءَ واجِبَاتٍ أَو مُسْتَحَبَّاتٍ أَنْفَع مِنْهُ، وكَذَلِكَ الِاحْتِفَاءُ والتَّعَرِّي، والْمَشْيُ الَّذِي يَضُرُّ الإِنْسَانَ بِلَا فَائِدَةٍ: مِثْلُ حَدِيثِ أَبِي إسْرَائِيلَ الَّذِي نَذَرَ أَنْ يَصُومَ وأَنْ يَقُومَ قَائِمًا ولَا يَجْلِسُ ولَا يَسْتَظِلُّ ولَا يَتكَلَّمُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**مُرُوهُ فَلْيَجْلِسْ ولْيَسْتَظِلَّ ولْيَتَكَلَّمْ ولْيُتِمَّ صَومَهُ**» رَواهُ البُخَارِيُّ(٣). وهَذَا بَابٌ واسِعٌ. وأَمَّا الأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الطَّاعَةِ فَقَدْ تَكُونُ الطَّاعَةُ لِلَّهِ ورَسُولِهِ فِي عَمَلٍ مُيَسَّرٍ كَمَا يَسَّرَ اللهُ عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ الكَلِمَتَيْنِ، وهُمَا أَفْضَلُ الأَعْمَالِ؛ ولِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ(٤).

**ولَو قِيلَ**: الأَجْرُ عَلَى قَدْرِ مَنْفَعَةِ العَمَلِ وفَائِدَتِهِ لَكَانَ صَحِيحًا اتِّصَافُ» **الأَولِ**: بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِهِ بِالْأَمْرِ. **والثَّانِي**: بِاعْتِبَارِ صِفَتِهِ فِي نَفْسِهِ. والْعَمَلُ تَكُونُ مَنْفَعَتُهُ وفَائِدَتُهُ تَارَةً مِنْ جِهَةِ الأَمْرِ فَقَطْ، وتَارَةً مِنْ جِهَةِ صِفَتِهِ فِي نَفْسِهِ، وتَارَةً مِنْ كِلَا الأَمْرَيْنِ.اهـ

❁❁❁

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٧٢٤١)، ومسلم (١١٠٤) عن أنس رضي الله عنه.
(٣)أخرجه البخاري (٦٧٠٤).
(٤)أخرجه البخاري برقم (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿٢٢﴾ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ. فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّورِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُولَئِكَ قَومٌ إذا مَاتَ فِيهِمْ العَبْدُ الصَّالِحُ أَو الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وصَورُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(١)

﴿٢٣﴾ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». قَالَتْ: فَلَولاَ ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ؛ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

﴿٢٤﴾ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وهُمْ أَحْيَاءٌ، ومَنْ يَتَّخِذُ القُبُورَ مَسَاجِدَ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.(٣)

﴿٢٥﴾ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَومًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.(٤)

﴿٢٦﴾ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، ولاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وصَلُّوا عَلَيَّ؛ فإنَ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.(٥)

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).
(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥).
(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦).
(٥) أخرجه أبوداود برقم (٢٠٤٢).

مسائل العقيدة المستفادة من الأحاديث

١ إشكال في قوله ﷺ في النصارى: «قبور أنبيائهم».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في "**الفتح**" (٤٣٥): وقَدِ اسْتُشْكِلَ ذِكْرُ النَّصَارَى فِيهِ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ لَهُمْ أَنْبِيَاءٌ بِخِلَافِ النَّصَارَى، فَلَيْسَ بَيْنَ عِيسَى وبَيْنَ نَبِيِّنَا ﷺ نَبِيٌّ غَيْرُهُ، ولَيْسَ لَهُ قَبْرٌ.

والْجَوابُ: أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءٌ أَيْضًا؛ لَكِنَّهُمْ غَيْرُ مُرْسَلِينَ كَالْحَوارِيِّينَ ومَرْيَمَ فِي قَولٍ، أَو الْجَمْعُ فِي قَولِهِ «**أَنْبِيَائِهِمْ**» بِإِزَاءِ الْمَجْمُوعِ مِنَ الْيَهُودِ والنَّصَارَى، والْمُرَادُ الْأَنْبِيَاءُ وكِبَارُ أَتْبَاعِهِمْ فَاكْتَفَى بِذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ، ويُؤَيِّدُهُ قَولُهُ فِي رِوايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ جُنْدَبٍ: «**كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ**» ولِهَذَا لَمَّا أَفْرَدَ النَّصَارَى فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ**» ولَمَّا أَفْرَدَ الْيَهُودُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي بَعْدَهُ قَالَ: «**قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ**» أَو الْمُرَادُ بِالِاتِّخَاذِ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاعًا أَو اتِّبَاعًا فَالْيَهُودُ ابْتَدَعَتْ والنَّصَارَى اتَّبَعَتْ ولَا رَيْبَ أَنَّ النَّصَارَى تُعَظِّمُ قُبُورَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ تُعَظِّمُهُمُ الْيَهُود.اهـ

٢ مسألة: معنى اتخاذ القبور مساجد وبيان العلة من تحريم ذلك.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي "**اقْتِضَاءُ الصِّراطِ الْمُسْتَقِيم**" (٢/ ١٨٩):

ومن ذلك -يعني من المحرمات التي فيه شبه بالكافرين- الصلاة عندها، وإن لم يبن هناك مسجد؛ فإن ذلك أيضا اتخاذها مسجدًا، كما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن خشي أن يتخذ مسجدا**» ولم تقصد عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مجرد بناء مسجد فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وإنما قصدت أنهم خشوا أن الناس يصلون عند قبره، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا بل كل موضع يصلى فيه؛ فإنه يسمى مسجدا، وإن لم يكن هناك بناء كما قال ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**».

وقد روى أبو سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبزار وغيرهم بأسانيد جيدة، ومن تكلم فيه فما استوفى طرقه[١].

واعلم أن من الفقهاء من اعتقد أن سبب كراهة الصلاة في المقبرة ليس إلا لكونها مظنة النجاسة لما يختلط بالتراب من صديد الموتى، وبنى على هذا الاعتقاد الفرق بين المقبرة الجديدة والعتيقة، وبين أن يكون بينه وبين التراب حائل أو لا يكون، ونجاسة الأرض مانعة من الصلاة عليها سواء كانت مقبرة أو لم تكن لكن المقصود الأكبر بالنهي عن الصلاة عند القبور ليس هو هذا؛ فإنه قد بين أن اليهود والنصارى كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وقال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا**»، وروى عنه أنه قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وقالت عائشة رضي الله عنها: «**ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدا**» وقال: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهى عن ذلك**»[٢].

فهذا كله يبين لك أن السبب ليس هو مظنة ، وإنما هو مظنة اتخاذها أوثانا كما قال الشافعي: وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا؛ مخافة الفتنة عليه، وعلى من بعده من الناس.

وقد ذكر هذا المعنى أبو بكر الأثرم في "**ناسخ الحديث ومنسوخه**"، وغيره من أصحاب أحمد وسائر العلماء .

وقد نبه هو ﷺ على العلة بقوله :«**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**» وبقوله: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوها مساجد**». وأولئك إنما

---

(١) أخرجه أحمد (١١٧٨٤)، وأبو داود (٤٩٢)، والترمذي (٣١٧)، والدارمي (١٥٣٠)، وابن ماجه (٧٤٥)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٣٢) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

كانوا يتخذون قبورا لا نجاسة عندها، ولأنه قد روى مسلم في صحيحه عن أبي مرثد الغنوي أن النبي ﷺ قال: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**»، ولأنه ﷺ قال: «**كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**». فجمع بين التماثيل والقبور.

وأيضا فإن اللات كان سبب عبادتها؛ تعظيم قبر رجل صالح كان هناك، وقد ذكروا أن (ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا) أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام؛ فروى محمد بن جرير بإسناده إلى الثوري، عن موسى، عن محمد بن قيس ﴿**وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:٢٣]، قال: كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم؛ فلما ماتوا وجاء آخرون؛ دب إليهم إبليس؛ فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم. قال قتادة وغيره: كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك .

وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع هي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وبتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك؛ فلأن يشرك بقبر الرجل الذي يعتقد نبوته أو صلاحه أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله، ولهذا تجد أقواما كثيرين يتضرعون عندها، ويتخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يعبدونها في المسجد، بل ولا في السحر ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال.

فهذه المفسدة التي هي مفسدة الشرك كبيره وصغيره هي التي حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة ونحو ذلك، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها؛ لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة

الصلاة للشمس فيها فنهى المسلم عن الصلاة حينئذ، وإن لم يقصد ذلك سدا للذريعة.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (١/ ١٨٩):

وبالجملة فمن له معرفة بالشرك، وأسبابه، وذرائعه، وفهم عن رسول الله ﷺ مقاصده؛ جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أنَّ هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته -صيغة لا تفعلوا- وصيغة: «**إني أنهاكم عن ذلك**» ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقلَّ نصيبه، أو عدم من لا إله إلا الله.

فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانةً لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له، وغضب لربه أن يُعْدَل به سواه، فأبى المشركون إلا معصيةً لأمره، وارتكابًا لنهيه، وغرَّهم الشيطان بأنَّ هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم لها أشد تعظيمًا وأشد فيهم غلوا؛ كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله من هذا الباب دخل على عُبَّاد يعوقَ، ويغوثَ، ونسر، ودخل على عُبَّاد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلو فيهم، والطعن في طريقتهم، فهدى اللهُ أهلَ التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (١٧/ ٥٠٢-٥٠٣):

والمَقَابِرُ نَهى عَنْهَا؛ لِمَا فِيهِ مِنْ التَّشَبُّهِ بِالمُتَّخِذِينَ القُبُورَ مَسَاجِدَ، وإِنْ كَانَ المُصَلِّي قَدْ لَا يَقْصِدُ الصَّلَاةَ لِأَجْلِ فَضِيلَةِ تِلْكَ البُقْعَةِ، بَلْ اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ، لَكِن فِيهِ تَشَبُّهٌ بِمَنْ يُقْصَدُ ذَلِكَ؛ فَنَهى عَنْهُ كَمَا يَنْهَى عَنْ الصَّلَاةِ المُطْلَقَةِ وقْتَ الطُّلُوعِ والْغُرُوبِ، وإِنْ لَمْ يَقْصِدْ فَضِيلَةَ ذَلِكَ الوقْتِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ التَّشَبُّهِ بِمَنْ يَقْصِدُ فَضِيلَةَ ذَلِكَ الوقْتِ وهُمْ المُشْرِكُونَ، فَنَهْيُهُ عَنْ الصَّلَاةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَنَهْيِهِ عَنْ الصَّلَاةِ فِي ذَلِكَ المَكَانِ.اهـ

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ فِيْ "تَيسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ" (باب:١٩):
ومن علل بخوف الفتنة بالشرك: الإمام الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخ الإسلام وغيرهم، وهو الحق الذي لا ريب فيه.اهـ

(٣) مسألة: حكم الصلاة على القبور أو إليها أو في المقبرة أو في مسجد فيه قبر.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي "إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ" (١/ ١٨٥):
وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداعُ دينٍ لم يأذن به الله؛ فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ: أنَّ الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد، فمن أعظم المحدثات، وأسباب الشرك: الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها.اهـ

ثم قال: وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك، والتغليظ فيه، وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها؛ متابعةً منهم للسنة الصحيحة الصريحة، وصرح أصحاب أحمد، وغيرهم من أصحاب مالك، والشافعي بتحريم ذلك، وطائفة أطلقت الكراهة، والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم؛ إحسانًا للظن بالعلماء، وأنْ لا يُظَن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله، والنهي عنه.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي "اقْتِضَاءُ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم" (٢/ ١٨٤):
فأما بناء المساجد على القبور، فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عنه متابعة للأحاديث، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي وغيرهما بتحريمه، ومن العلماء من أطلق فيه لفظ الكراهة؛ فما أدري عني به التنزيه أو التحريم، ولا ريب في القطع بتحريمه؛ لما روى مسلم في "**صحيحه**" عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو

يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا منكم خليلا؛ لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[١]

وعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا**» أخرجه البخاري ومسلم[٢].

وأخرجاه جميعًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٣] وفي رواية لمسلم: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» .

فقد نهى عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعل ذلك من أهل الكتاب؛ ليحذر أمته أن يفعلوا ذلك.

قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا. رواه البخاري ومسلم[٤].

وروى الإمام أحمد في "**مسنده**" بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة، وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**»[٥] رواه أبو حاتم في صحيحه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٢) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) مخرج في أحاديث الباب.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

(٥) مخرج في أحاديث الباب.

وفي الباب أحاديث كثيرة وآثار ليس هذا موضع استقصائها.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ **كما في «جامع المسائل» (٢/ ١٢٢):**

والأحاديث والآثار في هذا عن النبي ﷺ وأصحابه وسلفِ الأمة وأئمتِها وسائرِ علماء الدين كثيرة. فمن اعتقد أن الصلاة عندها فيها فضيلة على غيرها، أو أنه ينبغي أن يُقصَد الصلاة عندها، وأن في ذلك أجرًا ومثوبةً، فهو مخطئٌ ضالّ باتفاقِ أئمة المسلمين.اهـ

قَال أبوعبد الله عافاه الله: اتخاذ المساجد على القبور محرم كما في أحاديث الباب، وهذا يشمل حالات:

١) أن يُبْنَى مسجد على قبر.
٢) أن يدفن القبر في المسجد.
٣) أن يُصَلَّى إلى القبر.
٤) أن يصلى على القبر.

وكل هذه الحالات تعتبر اتخاذًا لها مسجدًا، وهذا محرم عند أهل العلم، وقد نقل الألباني رَحِمَهُ اللهُ في كتابه **«تحذير الساجد»** عن أصحاب المذاهب الأربعة تحريم ذلك، وبين أن إطلاق الكراهة عند بعضهم المراد بها كراهة التحريم.

واختلفوا في بطلان الصلاة:

فمذهب أحمد وأبي ثور، واختاره شيخ الإسلام بطلان الصلاة؛ لأنَّ هذا النهي يُفضي إلى الشرك، وهو أعظم المنهيات.

وأما مالك، والشافعي، وأبو حنيفة فيذهبون إلى عدم البطلان، وهو رواية عن أحمد، واستدلوا بحديث: «**وجُعِلت ليَ الأرضُ مسجدًا، وطهورًا**».

والجواب: أنَّ هذا حديث عامٌّ، ولا يعارض الأدلة الخاصة المتقدمة، بل هذا الحديث العام مخصوصٌ بالأحاديث المتقدمة؛ فالصواب هو القول الأول، وهو

الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، والشوكاني، والسعدي، وابن عثيمين، والوادعي رحمة الله عليهم[1].

٤ مسألة: هل تحرم الصلاة في المسجد إذا كان القبر في مؤخرة المسجد؟

قال الإمام العثيمين رحمه الله كما في "مجموع فتاواه" (١٢/ ٣٠٥):

لا يجوز أن يوضع في المسجد قبر، لا في قبلته ولا خلف المصلين، ولا عن إيمانهم، ولا عن شمائلهم، وإذا دفن أحد في المسجد ولوكان هو المؤسس له فإنه يجب أن ينبش هذا القبر، وأن يدفن مع الناس، أما إذا كان القبر سابقًا على المسجد وبني المسجد عليه؛ فإنه يجب أن يهدم المسجد، وأن يبعد عن القبر، لأن فتنة القبور في المساجد عظيمة جدًا فربما يدعو إلى عبادة هذا المقبور ولو بعد زمن بعيد، وربما يدعو إلى الغلو فيه، وإلى التبرك به، وهذا خطر عظيم على المسلمين، لكن إن كان القبر سابقًا؛ وجب أن يهدم المسجد ويغير مكانه، وإن كان المسجد هو الأول فإنه يجب أن يخرج هذا الميت من قبره ويدفن مع المسلمين، والصلاة إلى القبر محرمة ولا تصح الصلاة إلى القبر لقوله ﷺ: «**لا تصلوا إلى القبور**»، والله المستعان. اهـ

قلت: وبذلك أفتى الإمام ابن باز رحمه الله كما في "**مجموع فتاواه**" (٢٩/ ٢٣٣).

٥ حكم من صلى عند قبر أو في مقبرة، وهو جاهل بوجود القبر أو المقبرة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "شرح عمدة الفقه" (١/ ٤٤١):

ولو صلى في موضع لم يعلم أنه مقبرة، ثم تبين له أنه مقبرة؛ فهنا ينبغي أن يكون كما لو صلى في موضع نجس، لا يعلم بنجاسته، ثم علم بعد ذلك، وقد تقدم قول عمر لأنس القبر القبر[1]. ولم يأمره بالإعادة؛ لأنه لم يكن يعلم أن بين يديه قبرًا.اهـ

---

(١) وانظر: "المغني" (٢/ ٤٦٨)، "غاية المرام" (٣/ ٥٢٢)، "الأوسط" (٢/ ١٨٤ ١٨٥)، "شرح المهذب" (٣/ ١٥٨)، "فتح الباري" لابن رجب (٢/ ٣٩٩)، "مجموع الفتاوى" (٢١/ ٣٠٤).

قَال أبو عبد الله وفقه الله: ويمكن أن يستدل على ذلك بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فخلع نعليه، فخلع الناس نعالهم، فلما انصرف قال: «**لم خلعتم نعالكم؟!**». فقالوا: يا رسول الله، رأيناك خلعت فخلعنا. قال: «**إن جبريل أتاني فأخبرني أن بهما خبثا، فإذا جاء أحدكم المسجد، فليقلب نعله، فلينظر فيهما، فإن رأى بهما خبثا، فليمسحه بالأرض، ثم ليصل فيهما**» أخرجه أحمد، وأبو داود(٢).

٦ حكم من صلى عند قبر، أو في مقبرة غير عالم بالتحريم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "شرح عمدة الفقه" (١/ ٤٤١):

إذا ثبت ذلك فمن صلى فيها غير عالم بالنهي؛ فهل تجب عليه الإعادة على روايتين شبيهتين بالروايتين بالتوضىء من لحم الإبل لغير العالم، وكثير من متأخري أصحابنا ينصرون البطلان مطلقا للعمومات، لفظا ومعنى، والذي ذكره الخلال أن لا إعادة، وهذه أشبه لا سيما على قول من يختار منهم أن من نسي النجاسة أو جهلها لا إعادة؛ فيكون الجهل بالحكم فيها، كالجهل بوجود النجاسة؛ إذا كان ممن يعذر، ولأن النهي لا يثبت حكمه في حق المنهي حتى يعلم؛ فمن لم يعلم فهو كالناسي وأولى، ولأنه لو صلى صلاة فاسدة لنوع تأويل مثل أن يمس ذكره، أو يلبس جلود السباع، ويصلي، ثم يتبين له رجحانُ القول الآخر لم تجب عليه الإعادة مع سمعه للحجة، فالذي لم يسمع الحجة يجب أن يعذر لذلك؛ إذ لا فرق بين أن يتجدد له فهم لمعنى لم يكن قبل ذلك، أو سماع لعلم لم يكن قبل ذلك إذا كان

=(١) علقه البخاري في "صحيحه" بصيغة الجزم في كتاب الصلاة (باب/ ٤٨)، ووصله عبد الرزاق (١٥٨١)، وابن أبي شيبة (٧٥٧٥، و٣٦٣٧٨)، وابن المنذر في "الأوسط" (٧٦٦)، والبيهقي في "الكبرى" (٢/ ٤٣٥)، وهو أثر صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١١١٥٣)، وأبو داود (٦٥٠)، بإسناد صحيح.

معذورا بذلك؛ بخلاف من جهل بطلان الصلاة في الموضع النجس فإن هذا مشهور. انتهى

٧ مسألة: قصد القبور للتبرك بالصلاة والدعاء عندها.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "اقْتِضَاءُ الصِّراطِ المُسْتَقِيم" (٢/ ١٩٣):

فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء أو بعض الصالحين متبركًا بالصلاة في تلك البقعة؛ فهذا عين المحادةِ لله ورسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به؛ فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ من أن الصلاة عند القبر أي قبر كان لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا بل مزية شر.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "اقْتِضَاءُ الصِّراطِ المُسْتَقِيم" (٢/ ١٩٥):

فإن الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين:

أحدهما: أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيها كمن يدعو الله في طريقه، ويتفق أن يمر بالقبور أو من يزورها، فيسلم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة؛ فهذا ونحوه لا بأس به.

الثاني: أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره فهذا النوع منهي عنه إما نهي تحريم أو تنزيه وهو إلى التحريم أقرب.

والفرق بين البابين ظاهر؛ فإن الرجل لوكان يدعو الله واجتاز في ممره بصنم أو صليب أو كنيسة أو كان يدعو في بقعة، وكان هناك بقعة فيها صليب وهو عنه ذاهل أو دخل إلى كنيسة ليبيت فيها مبيتا جائزا، ودعا الله في الليل، أو بات في بيت بعض أصدقائه، ودعا الله لم يكن بهذا بأس، ولو تحرى الدعاء عند صنم أو صليب أو كنيسة يرجو الإجابة بالدعاء في تلك البقعة؛ لكان هذا من العظائم بل لو قصد بيتا أو حانوتا في السوق أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها، يرجو الإجابة بالدعاء

عندها لكان هذا من المنكرات المحرمة؛ إذ ليس للدعاء عندها فضل؛ فقصد القبور للدعاء عندها من هذا الباب بل هو أشد من بعضه؛ لأن النبي ﷺ نهى عن اتخاذها مساجد، وعن اتخاذها عيدا، وعن الصلاة عندها بخلاف كثير من هذه المواضع، وما يرويه بعض الناس من أنه قال: (إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور). أو نحو هذا فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء.اهـ

٨ مسألة: قصد القبور للطواف حولها أو العكوف عندها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "جامع المسائل" (٣/ ١٢٢):

وكذلك العكوف عندها، والمجاورة عندها، ليس مشروعًا، باتفاق المسلمين، ولا واجبًا ولا مستحبًّا، بل ذلك من البدع المذمومة المنهيّ عنها. وإنما تكون البقعة التي يُشرَع العكوف فيها والمجاورة فيها: المساجد. اهـ

قال الإمام ابن باز رحمه الله كما في "فتاوى نور على الدرب" (١/ ٢٧١) رقم السؤال (١٢٤):

وهكذا الطواف على القبور منكر، والطواف يكون بالكعبة، لا يطاف بالقبور فهذا منكر عظيم، بل شرك أكبر، إذا قصد به التقرب إلى صاحب القبر، وإذا ظن أنه قربة لله وأنه يتقرب إلى الله بهذا فهذه بدعة؛ الطواف من خصائص البيت العتيق الكعبة، والقبور لا يطاف بها أبدا، هذا منكر وبدعة، وإذا كان فعله تقربا لصاحب القبر صار شركا أكبر، وهكذا دعاء الميت، والاستغاثة بالميت، والنذر له والذبح له، كله من الشرك الأكبر. [وانظر أيضًا رقم: (١٢٨).]

وقال الإمام ابن باز رحمه الله كما في "مجموع فتاواه" (١٦/ ١١٦):

فأمّا زيارَتُهُم لقَصدِ الدُّعاءِ عند قبورهم، أو العكوفِ عندها، أو سؤالِهم قضاء الحاجات، أو شفاءَ المرضى، أو سؤالِ الله بهم أو بِجاههم ونحو ذلك، فهذه زيارةٌ بِدعيَّةٌ مُنكَرةٌ لَم يَشرَعْها اللهُ ولا رسولُه، ولا فعلَها السّلفُ الصالِحُ، بل هي من

الهُجْرِ الذي نَهى عنه الرسول ﷺ حيث قال: «**زُورُوا القبورَ ولا تقولوا هُجرًا**»(١)، وهذه الأمورُ المذكورةُ تَجتَمِع في كونها بِدعة، ولكنها مُختَلِفَةُ المراتِب، فبعضُها بِدعةٌ ولَيس بشِركٍ، كدُعاء الله سبحانَه عند القبور وسؤالِه بِحقِّ الميِّت وجاهِهِ ونَحو ذلك، وبعضُها من الشِّركِ الأكبر كدُعاء الموتَى والاستعانةِ بهم ونحو ذلك.اهـ

قال الإمام الفوزان عافاه الله كما في "إعانة المستفيد" (٢/ ٦٠):

فالرسول ﷺ نهى عن الصلاة عند القبور، ونهى عن الدعاء عند القبور، ونهى عن البناء على القبور، ونهى عن العكوف عند القبور، واتخاذ القبور عيدًا، إلى غير ذلك، كل هذا من الوسائل التي تُفضي إلى الشرك، وهي ليست شركًا في نفسها، بل قد تكون مشروعة في الأصل، ولكنها تؤدي إلى الشرك بالله عزّ وجلّ، ولذلك منعها ﷺ.اهـ

قال أبوعبد الله غفر الله له: ويدل على أن الطواف والعكوف عند القبر ليس بنفسه شركًا أكبر حتى يتقرب بذلك لصاحب القبر أن الصلاة عند القبر لم تكن شركًا، حتى يكون الأمر كذلك؛ فالطواف والعكوف من باب أولى، والله أعلم.

٩ مسألة: وجوب إزالة المساجد المبنية على القبور وإخراج القبور التي دفنت في المسجد.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ فِي "زَادِ المَعَادِ" (٣/ ٥٧٢):

فيُهدم المسجد إذا بُني على قبر، كما يُنبش الميتُ إذا دُفِنَ في المسجد، نص على ذلك الإمام أحمد وغيرُه، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجدٌ وقبر، بل أيُّهما طرأ على الآخر. منع منه، وكان الحكم لِلسابق، فلو وضِعا معًا، لم يجز، ولا يصح هذا الوقف ولا يجوز، ولا تَصِحُّ الصلاة في هذا المسجد؛ لنهى رسولِ الله ﷺ عن

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٤٨٥)، وأحمد (١١٦٠٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

ذلك، ولعنه مَن اتخذ القبر مسجدًا أو أوقد عليه سراجًا، فهذا دينُ الإسلام الذي بعث الله به رسوله ونبيه، وغربتُه بينَ الناس كما ترى.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٢٢/ ١٩٥):

اتَّفَقَ الأَئِمَّةُ أَنَّهُ لَا يُبْنَى مَسْجِدٌ عَلَى قَبْرٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[1]. وأَنَّهُ لَا يَجُوزُ دَفْنُ مَيِّتٍ فِي مَسْجِدٍ. فإن كَانَ المَسْجِدُ قَبْلَ الدَّفْنِ غُيِّرَ: إمَّا بِتَسْوِيَةِ القَبْرِ وإِمَّا بِنَبْشِهِ إنْ كَانَ جَدِيدًا. وإِنْ كَانَ المَسْجِدُ بُنِيَ بَعْدَ القَبْرِ: فَإِمَّا أَنْ يُزَالَ المَسْجِدُ، وإِمَّا أَنْ تُزَالَ صُورَةُ القَبْرِ؛ فَالْمَسْجِدُ الَّذِي عَلَى القَبْرِ لَا يُصَلَّى فِيهِ فَرْضٌ ولَا نَفْلٌ؛ فإنه مَنْهِيٌّ عَنْهُ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «اقْتِضَاءُ الصِّراطِ المُسْتَقِيمِ» (٢/ ١٨٧):

فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو بغيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين، وتكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه، ولا تصح عندنا في ظاهر المذهب؛ لأجل النهي واللعن الوارد في ذلك.اهـ

١٠ مسألة: هل النهي عن اتخاذ القبور مساجد خاص بما كان ظاهرًا، أم يشمل غير الظاهر؟

ظاهر كلام شيخ الإسلام السابق آنفًا -أعني قوله-: فإن كَانَ المَسْجِدُ قَبْلَ الدَّفْنِ غُيِّرَ: إمَّا بِتَسْوِيَةِ القَبْرِ وإِمَّا بِنَبْشِهِ إنْ كَانَ جَدِيدًا. وإِنْ كَانَ المَسْجِدُ بُنِيَ بَعْدَ القَبْرِ: فَإِمَّا أَنْ يُزَالَ المَسْجِدُ وإِمَّا أَنْ تُزَالَ صُورَةُ القَبْرِ.

ظاهره: أنه رَحِمَهُ اللهُ يرى أن التحريم إنما هو فيما ظهر من القبور، وأنَّ ما كان مندرسًا لا يشمله النهي.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٢) عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال رحمه الله **أيضًا كما في "مجموع الفتاوى" (١٧/ ٤٦٣):**

كَذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ: يَحْرُمُ بِنَاءُ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، ويَجِبُ هَدْمُ كُلِّ مَسْجِدٍ بُنِيَ عَلَى قَبْرٍ، وإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ قَدْ قُبِرَ فِي مَسْجِدٍ، وقَدْ طَالَ مُكْثُهُ سُوي الْقَبْرُ حَتَّى لَا تَظْهَرَ صُورَتُهُ؛ فإن الشِّرْكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ إذا ظَهَرَتْ صُورَتُهُ. اهـ

وقد قال بذلك أيضًا الإمام الألباني رحمه الله، ونقله عن الملا القاري؛ فقال رحمه الله كما في **"تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد"**:

العبرة في هذه المسألة بالقبور الظاهرة، وأن ما في بطن الأرض من القبور فلا يرتبط به حكم شرعي من حيث الظاهر، بل الشريعة تنزه عن مثل هذا الحكم؛ لأننا نعلم بالضرورة والمشاهدة أن الأرض كلها مقبرة الأحياء، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾. قال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم.اهـ

قال أبوعبد الله عافاه الله: الأدلة عامة تشمل ما ظهر منها، وما لم يظهر؛ إذا علم وجودها. وكلام السلف عام يشمل الصورتين؛ والعلة التي جاءت في الأحاديث تشمل الصورة المذكورة، وهي: خشية أن تعبد من دون الله؛ فقد عبد المشركون الأشجار والأحجار والأتربة وغيرها، وهو ظاهر كلام الأئمة: ابن باز والعثيمين والوادعي والفوزان وغيرهم كما في فتاواهم، رحمة الله عليهم أجمعين.

﴿١١﴾ مسألة: بناء القباب على قبور الأولياء والأنبياء.

هذا العمل من البدع والمحدثات، ومما لم يشرعه الله؛ وعليه فالواجب هو إزالة هذه القباب والبنايات التي على القبور، وقد قال الله تعالى في مسجد الضرار: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

وفي "**صحيح مسلم**" (٩٧٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه نهى أن يبنى على القبر أو يقعد عليه أو يجصص.

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه هدم مسجد الضرار كما بين ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله في "**زاد المعاد**".

قال رحمه الله كما في "زاد المعاد" (٣/ ٥٧١):

ومنها: تحريقُ أمكنة المعصية التي يُعصى اللهُ ورسولُه فيها وهدمُها، كما حرقَ رسول الله ﷺ مسجد الضِّرار، وأمر بهدمه، وهو مسجدٌ يُصلَّى فيه، ويُذكر اسمُ الله فيه، لما كان بناؤه ضِرارًا وتفريقًا بين المؤمنينَ، ومأوى للمنافقين، وكُلُّ مكان هذا شأنه، فواجب على الإمام تعطيلُه، إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضِعَ له. وإذا كان هذا شأنَ مسجد الضِّرارِ، فمشاهِدُ الشِّرْكِ التي تدعو سدنتُها إلِى اتخاذ مَنْ فيها أندادًا من دون الله أحقُّ بالهدمِ وأوجب، وكذلك محالُّ المعاصي والفسوق، كالحانات، وبُيوت الخمَّارين، وأرباب المنكرات، وقد حرق عمرُ بن الخطاب قريةً بكمالها يُباع فيها الخمر، وحرق حانوت رُويشد الثقفي[(١)] وسماه فويسقًا، وحرق قصرَ سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية[(٢)]، وهمَّ

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو عبيد في الأموال (٢٨٧) حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: وجد عمر في بيت رجل من ثقيف شرابا، فأمر به فأحرق، وكان يقال له: رويشد، فقال له: «**أنت فويسق**» وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله رجال الشيخين.

وأخرجه ابن زنجويه برقم (٤١٠) حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، أنا إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده، أن عمر بن الخطاب، أحرق بيت رويشد الثقفي، وكان، حانوت شراب، وكان قد تقدم إليه في ذلك. فكأني أنظر إلى بيته كأنه جمرة أو فحمة، يشك إبراهيم بن سعد. وهذا إسناد صحيح.

وأخرجه عبد الرزاق (٩/ ٢٢٩) من طريقين عن نافع، عن صفية بنت أبي عبيد، عن عمر به.

(٢) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٣٩٠) من طريق عباية بن رفاعة، عن عمر رضي الله عنه به. وإسناده ضعيف؛ لأنه منقطع؛ فعباية لم يدرك عمر رضي الله عنه.

رسول الله ﷺ بتحريق بيوت تَاركي حضور الجماعة والجُمُعة، وإنما منعه مَن فيها من النساء والذُّرِّية الذين لا تجبُ عليهم كما أخبر هو عن ذلك(١).اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله كما في "إغاثة اللهفان" (١/ ٢١٠):

هدم رسول الله ﷺ مسجد الضرار، ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فسادًا منه، كالمساجد المبنية على القبور، فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها، حتى تسوى بالأرض، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار. وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها، لأنها أسست على معصية الرسول، لأنه قد نهى عن البناء على القبور كما تقدم. فبناء أسس على معصيته ومخالفته بناء غير محترم. وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعًا.

وقد أمر رسول الله ﷺ بهدم القبور المشرفة كما تقدم.

فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولى وأحرى، لأنه لعن متخذي المساجد عليها، ونهى عن البناء عليها؛ فيجب المبادرة والمساعدة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله ونهى عنه. والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنهما. فهو أشد غيرة وأسرع تغييرًا.

وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، وطفيه. فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله ﷺ. ولا يصح هذا الوقف ولا يحل إثباته وتنفيذه.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشى: انظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة، أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها.اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وليس في الصحيحين ذكر النساء والذرية، ولكن أخرجه أحمد (٨٧٩٦) بلفظ: «**لَولَا مَا فِي الْبُيُوتِ مِنَ النِّسَاءِ والذُّرِّيَّةِ، لَأَقَمْتُ الصَّلَاةَ، صَلَاةَ الْعِشَاءِ، وأَمَرْتُ فِتْيَانِي يُحْرِقُونَ مَا فِي الْبُيُوتِ بِالنَّارِ**» وإسناده ضعيف؛ لضعف أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي.

وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتاب "**الحوادث والبدع**" : ومن هذا القسم ما قد عم به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وسرج مواضع مخصوصة من كل بلد، يحكى لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحدا ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله، وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك. ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من بين عيون، وشجر وحائط، وحجر. وفى مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة. كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر، في نفس قارعة الطريق، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط التي في الحديث"، ثم ساق حديث أبى واقد:

"أَنَّهُمْ مَرُّوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ خَضْرَاءَ يقالُ لهَا: ذَات أَنْواطٍ، فقَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْواطٍ كَما لَهُمْ ذَات أَنْواطٍ. فقَالَ النبي ﷺ: «**الله أكبر، هذا كما قَالَ قَومُ مُوسَى لِمُوسَى: اجْعَلْ لنَا إلهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَة. قَالَ: إنَّكُمْ قَومٌ تَجْهَلُونَ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(١). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ثم ذكر ما صنعه بعض أهل العلم ببلاد إفريقية: أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية، كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق، فمن تعذر عليه نكاح، أو ولد، قال: امضوا بي إلى العافية، فيعرف فيها الفتنة، فخرج في السحر فهدمها، وأذن للصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك، فلا ترفع لها رأسا، قال: فما رفع لها رأس إلى الآن.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢١٨٠) عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه بإسناد صحيح.

وقد كان بدمشق كثير من هذه الأنصاب، فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، كالعمود المخلق، والنصب الذي كان بمسجد النارنج عند المصلى يعبده الجهال، والنصب الذي كان تحت الطاحون الذي عند مقابر النصارى ينتابه الناس للتبرك به، وكان صورة صنم في نهر القلوط ينذرون له ويتبركون به، وقطع الله سبحانه النصب الذي كان عند الرحبة يسرج عنده، ويتبرك به المشركون. وكان عمودًا طويلًا على رأسه حجر كالكرة. وعند مسجد درب الحجر نصب قد بنى عليه مسجد صغير، يعبده المشركون يسر الله كسره. اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ **كما في "جامع المسائل"** (٣/ ٤١):

وكذلك لا يُشْرَعُ بإجماع المسلمين أن يَبنيَ مسجدًا على قبرٍ من القبور، بل هذا يُنْهَى عنه باتفاق المسلمين، وهو محرَّمٌ، نَهى النبي ﷺ عن ذلك، ولَعنَ من يفعل ذلك، والمساجدُ المبنيةُ على القبور يُشرَعُ باتفاق المسلمين إزالتُها ويَجب ذلك، فإن كان المسجد قِبَلَ القبر فإنه ينبغي أن يُسَاوى القبرُ ويُزالَ أثَرُه، أو يُعادَ المسجدُ إلى ما كان. وإن كان المسجدُ يُبني على القبر فيُهدَم المسجدُ ويُزَال، كما هُدِمَ مسجدُ الضرار الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾[التوبة:١٠٧-١١٠].

ولهذا كان أصحاب النبي ﷺ يأمرون بهدمِ مثلِ ذلك، كما روى حرب الكرماني عن زيد بن ثابت أن ابنًا له ماتَ، فاشترى غلامٌ له جَصًا وآجُرًّا لِيَبنيَ على القبر، فقال له زيد: حفرتَ وكفرتَ، أتُريد أن تَبنيَ على قبرِ ابني مسجدًا؟ ونهاه عن ذلك.اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في "فتح المجيد" (باب/ ١٩):

وقال ابن القيم رحمه الله : يجبُ هدم القباب التي بنيت على القبور؛ لأنها أُسِّسَتْ على معصية الرسول ﷺ.[١]

وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة[٢] من الأبنية، منهم: ابن الجميزي، والظهير التَّزْمَنْتي، وغيرهما.

وقال القاضي ابن كج[٣]: ولا يجوز أن تُجَصَّص القبور، ولا أن يُبنى عليها قباب، ولا غير قباب، والوصية بها باطلة.

وقال الأذرعي: وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية، وإنفاق الأموال الكثيرة؛ فلا ريب في تحريمه.

وقال القرطبي -في حديث جابر «**نهى النبي ﷺ أن يجصص القبر، أو يبنى عليه**»[٤]-: وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناء والجص على القبور، وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجة عليه[٥].

وقال ابن رشد: كره مالك البناءَ على القبر، وجَعْلَ البلاطة المكتوبة، وهو من بدع أهل الطول أحدثوه إرادة الفخر، والمباهاة، والسمعة، وهو مما لا اختلاف فيه.

---

(١) انتهى من "إغاثة اللهفان" (١/ ٣٢٧).

(٢) مقبرة في مصر منسوبة إلى قَرَافَة: بطن من المعافر، قبيلة من اليمن. "معجم البلدان" (٤/ ٣١٧).

(٣) هو القاضي يوسف بن أحمد، أبو القاسم الدّينوري، توفي سنة (٤٠٥). "طبقات الشافعية" (٥/ ٣٥٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٩٧٠).

(٥) انتهى من "المفهم" (٢/ ٦٢٦).

وقال الزيلعي في "**شرح الكنز**" : ويكره أن يُبنى على القبر[١].

وذكر قاضي خان أنه لا يجصص القبر، ولا يُبنى عليه؛ لما رُوي عن النبي ﷺ أنه نهى عن التجصيص والبناء فوق القبر، والمراد بالكراهة -عند الحنفية رحمهم الله- كراهة التحريم، وقد ذكر ذلك ابن نجيم في "**شرح الكنز**"[٢].

وقال الشافعي: أكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدًا؛ مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس[٣].

وكلام الشافعي يبين أن مراده بالكراهة كراهة التحريم.

قال الشارح: وجزم النووي في "**شرح المهذب**" بتحريم البناء مطلقًا، وذكر في "**شرح مسلم**" نحوه أيضًا[٤].

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة إمام الحنابلة صاحب المصنفات الكبار كـ"**المغني**" ، و"**الكافي**" ، ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى**» الحديث، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيمُ الأموات، واتخاذهم صورًا، والتمسح بها، والصلاة عندها.انتهى[٥]

١٢ مسألة : تعظيم قبور الأنبياء والصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله .

تقدم في حديث الباب قوله ﷺ: «**اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَومًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

---

(١) انتهى من "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" (١/ ٢٤٦)، والزيلعي هو أبو محمد عثمان بن علي الزيلعي، من فقهاء الحنفية، وهو غير الزيلعي عبدالله بن يوسف صاحب "نصب الراية".

(٢) ذكر في مواضع عديدة من شرحه الأمرين، أعني أنها تطلق على كراهة التنزيه، وكراهة التحريم.

(٣) انظر: "الأم" (١/ ٢٤٦).

(٤) انظر: "شرح المهذب" (٥/ ٢٧٠)، "شرح مسلم" (٩٧٠)، "تيسير العزيز الحميد" (ص٣٣٣)، والمذكور في المصدرين السابقين هو الكراهة.

(٥) من "المغني" (٣/ ٤٤١).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ **كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٢٧/ ٧٩):**

وكَانَ العُكُوفُ عَلَى القُبُورِ والتَّمَسُّحُ بِهَا وتَقْبِيلُهَا والدُّعَاءُ عِنْدَهَا وفِيهَا ونَحْو ذَلِكَ هُو أَصْلَ الشِّرْكِ وعِبَادَةِ الأَوثَانِ؛ ولِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وثَنًا يُعْبَدُ**».

واتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ زَارَ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ أَو قَبْرَ غَيْرِهِ مِنْ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ - الصَّحَابَةُ وأَهْلُ البَيْتِ وغَيْرُهُمْ - أَنَّهُ لَا يَتَمَسَّحُ بِهِ ولَا يُقَبِّلُهُ؛ بَلْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِنْ الجَمَادَاتِ مَا يُشْرَعُ تَقْبِيلُهَا إِلَّا الحَجَرُ الأَسْودُ وقَدْ ثَبَتَ فِي «**الصَّحِيحَيْنِ**» : أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**واللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّك حَجَرٌ لَا تَضُرُّ ولَا تَنْفَعُ، ولَولَا أَنِّي رَأَيْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُك مَا قَبَّلْتُك**»[1].

ولِهَذَا لَا يُسَنُّ بِاتِّفَاقِ الأَئِمَّةِ أَنْ يُقَبِّلَ الرَّجُلُ أَو يَسْتَلِمَ رُكْنَيِ البَيْتِ - اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الحَجَرَ - ولَا جُدْرَانَ البَيْتِ، ولَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، ولَا صَخْرَةَ بَيْتِ المَقْدِسِ، ولَا قَبْرَ أَحَدٍ مِنْ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ. حَتَّى تَنَازَعَ الفُقَهَاءُ فِي وضْعِ اليَدِ عَلَى مِنْبَرِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا كَانَ مَوجُودًا فَكَرِهَهُ مَالِكٌ وغَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ بِدْعَةٌ وذُكِرَ أَنَّ مَالِكًا لَمَّا رَأَى عَطَاءً فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَأْخُذْ عَنْهُ العِلْمَ، ورَخَّصَ فِيهِ أَحْمَد وغَيْرُهُ؛ لِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَعَلَهُ.

وأَمَّا التَّمَسُّحُ بِقَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وتَقْبِيلُهُ فَكُلُّهُمْ كَرِهَ ذَلِكَ ونَهَى عَنْهُ؛ وذَلِكَ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا مَا قَصَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَسْمِ مَادَّةِ الشِّرْكِ وتَحْقِيقِ التَّوحِيدِ وإِخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.اهـ

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢١٢):**

ومن أعظم كيد الشيطان: أنه ينصب لأهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس ثم يجعله وثنا يعبد من دون الله ثم يوحي إلى أوليائه: أن من نهى عن عبادته، واتخاذه عيدا وجعلِه وثنًا فقد تنقصه وهضم حقه؛ فيسعى الجاهلون المشركون في قتله

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعقوبته ويكفرونه، وذنبه عند أهل الإشراك: أمره بما أمر الله به ورسوله ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله: مِن جعلِه وثنًا وعيدًا، وإيقادَ السرج عليه، وبناءَ المساجد والقباب عليه، وتجصيصَه وإشادته وتقبيله واستلامه، ودعائه أو الدعاء به أو السفر إليه أو الاستغاثة به من دون الله مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله: من تجريد التوحيد لله، وأن لا يعبد إلا الله فإذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون واشمأزت قلوبهم، وقالوا: قد تنقص أهل الرتب العالية وزعم أنهم لا حرمة لهم ولا قدر وسرى ذلك في نفوس الجهال والطغام، وكثير ممن ينسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفروا الناس عنهم. ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك. فما كانوا أولياءه، وإن أولياؤه إلا المتبعون له الموافقون له، العارفون بما جاء به، الداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا، لابسو ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم، ويبغونها عوجًا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضًا كما في "إغاثة اللهفان" (١/ ١٩٧):

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا، ووضعوا له مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه "مناسك حج المشاهد" مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام.

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ، وقصده من النهى عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه. ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره.

فمنها: تعظيمها المواقع في الافتتان بها. ومنها: اتخاذها عيدا. ومنها: السفر إليها.

ومنها: مشابهة عبادة الأصنام بما يفعل عندها: من العكوف عليها، والمجاورة عندها. وتعليق الستور عليها وسدانتها، وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفئ القنديل المعلق عليها.

ومنها: النذر لها ولسدنتها. ومنها: اعتقاد المشركين بها أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف، وإلى غير ذلك.

ومنها: الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها، ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم، فإنهم يؤذيهم بما يفعل عند قبورهم. ويكرهونه غاية الكراهة. كما أن المسيح يكره ما يفعله النصارى عند قبره. وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم. ويوم القيامة يتبرءون منهم. كما قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفرقان: ١٧-١٨] . قال الله للمشركين ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ ﴾ [الفرقان:١٩] الآية، وقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن ﴾ [المائدة:١١٦]، الآية، وقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[سبأ: ٤٠-٤١] .اهـ

١٣ مسألة: قصد القبر النبوي للزيارة.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ **كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٢٧/ ٢٤٦):**

الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ سَلَفًا وخَلَفًا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ هُو السَّفَرُ إِلَى مَسْجِدِهِ ﷺ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَيْهِ فِيهِ، ونَحو ذَلِكَ مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ مِنَ الأَعْمَالِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وحْدَهُ، والْقِيَامِ بِحَقِّ رَسُولِهِ مِنْ أَفْضَلِ العِبَادَاتِ لِلَّهِ كَشَهَادَتِنَا لَهُ وثَنَائِنَا عَلَيْهِ، وصَلَاتِنَا وسَلَامِنَا عَلَيْهِ مِنْ أَفْضَلِ مَا عَبَدْنَا اللَّهَ بِهِ، وهَذَا ونَحْوهُ هُو الْمَشْرُوعُ فِي مَسْجِدِهِ سَواءٌ سُمِّيَ زِيَارَةً لِقَبْرِهِ أَولَمْ يُسَمَّ.

فَإِنَّ لَفْظَ الزِّيَارَةِ لِقَبْرِهِ واسْتِحْبَابَ ذَلِكَ لَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ، بَلْ المَنْقُولُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ومَنْ وافَقَهُ السَّلَامُ عَلَيْهِ هُنَاكَ والصَّلَاةُ، وهُمْ لَا يُسَمُّونَ هَذَا زِيَارَةً لِقَبْرِهِ، فَكَيْفَ بالذين لَمْ يَكُونُوا يَقِفُونَ عِنْدَ القَبْرِ بِحَالِ وهُمْ جُمْهُورُ الصَّحَابَةِ.

وأَمَّا مَا ابْتَدَعَهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ الشِّرْكِ والْبِدَعِ وسَمَّى ذَلِكَ (زِيَارَةً لِقَبْرِهِ) فَهو من جِنْسِ الزِّيَارَةِ البِدْعِيَّةِ الَّتِي تُفْعَلُ عِنْدَ قَبْرِ غَيْرِهِ لَيْسَ هو من الزِّيَارَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

وأَمَّا مَا يَدْخُلُ فِي الأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ فَهَذَا هُو الْمُسْتَحَبُّ بِسُنَّتِهِ الثَّابِتَةِ عَنْهُ وبِإِجْمَاعِ أُمَّتِهِ، ثُمَّ مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ مَنْ لَا يُسَمِّي هَذَا (زِيَارَةً لِقَبْرِهِ) بَلْ يَكْرَهُ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَقُولَ: إنَّ ذَلِكَ سَفرٌ إِلَى قَبْرِهِ، وقَدْ صَرَّحَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مِثْلُ مَالِكٍ وغَيْرِهِ بِأَنَّ الْمُسَافِرَ إِلَى هُنَاكَ إذا كَانَ مَقْصُودُهُ القَبْرَ أَنَّهُ سَفرٌ مَنْهِيٌّ عَنْهُ دَاخِلٌ فِي قَولِهِ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ**»، وأَنَّ السَّفَرَ الَّذِي هُو طَاعَةٌ وقُرْبَةٌ أَنْ يُقْصَدَ السَّفَرُ لِأَجْلِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ وأَنَّهُ لَو نَذَرَ أَنْ يُسَافِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِغَيْرِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ فإنه يُنْهَى عَنْ الوفَاءِ بِنَذْرِهِ: لِأَنَّهُ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ. فإذا كَانَ هَذَا مِنْ قَولِهِمْ مَعْرُوفًا فِي الْكُتُبِ الصِّغَارِ والْكِبَارِ فَكَيْفَ يُظَنُّ أَنَّ السَّفَرَ لِمُجَرَّدِ زِيَارَةِ القُبُورِ هُو مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الأَئِمَّةِ.

وطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ العُلَمَاءِ يُسَمُّونَ هَذَا زِيَارَةً لِقَبْرِهِ، ويَقُولُونَ: تُسْتَحَبُّ زِيَارَةُ قَبْرِهِ أَو السَّفَرُ لِزِيَارَةِ قَبْرِهِ ومَقْصُودُهُمْ بِالزِّيَارَةِ هُو مَقْصُودُ الأَولِينَ وهُو السَّفَرُ إِلَى مَسْجِدِهِ وأَنْ يُفْعَلَ فِي مَسْجِدِهِ مَا يُشْرَعُ مِنْ الصَّلَاةِ والسَّلَام عَلَيْهِ والدُّعَاءِ لَهُ والثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وهَذَا عِنْدَهُمْ يُسَمَّى زِيَارَةً لِقَبْرِهِ مَعَ اتِّفَاقِ الجَمِيعِ عَلَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَزُورُ قَبْرَهُ الزِّيَارَةَ المَعْرُوفَةَ فِي سَائِرِ القُبُورِ فإن تِلْكَ قُبُورٌ بَارِزَةٌ يُوصَلُ إِلَيْهَا ويُقْعَدُ عِنْدَهَا. أَو يُقَامُ عِنْدَهَا ويُمْكِنُ أَنْ يُفْعَلَ عِنْدَهَا مَا يُشْرَعُ: كَالدُّعَاءِ لِلْمَيِّتِ والِاسْتِغْفَارِ لَهُ ومَا يُنْهَى عَنْهُ: كَدُعَائِهِ والشِّرْكِ بِهِ والنِّيَاحَةِ عِنْدَ قَبْرِهِ والنَّدْبِ. فَهَذَا هُو الْمَفْهُومُ مِنْ (زِيَارَةِ القُبُورِ).

والرَّسُولُ دُفِنَ فِي بَيْتِهِ فِي حُجْرَتِهِ ومَنَعَ النَّاسَ مِنْ الدُّخُولِ إِلَى هُنَاكَ والْوصُولِ إِلَى قَبْرِهِ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَزُورَ قَبْرَهُ كَمَا يَزُورُ قَبْرَ غَيْرِهِ؛ لَا زِيَارَةً شَرْعِيَّةً ولَا بِدْعِيَّةً؛ بَلْ إِنَّمَا يَصِلُ جَمِيعُ الخَلْقِ إِلَى مَسْجِدِهِ وفِيهِ يَفْعَلُونَ مَا يُشْرَعُ لَهُمْ أَو مَا يُكْرَهُ لَهُمْ. والسَّفَرُ إِلَى مَسْجِدِهِ - لَمَّا شُرِعَ - سَفَرُ طَاعَةٍ وقُرْبَةٍ بِالْإِجْمَاعِ؛ وهُو الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «الاستغاثة» (١/ ١٤٤):

الأحاديث التي رويت في زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة بل موضوعة، وليس في السنن الأربعة منها حديث واحد؛ فضلا عن الصحيحين، ولا احتج الأئمة بشيء منها، ولا رووا شيئا منها، ولا مالك ولا الشافعي ولا أحمد ولا الثوري ولا الأوزاعي ولا الليث ولا أبو حنيفة ولا إسحاق بن راهويه، ولا أحد من أئمة المسلمين، وذلك مثل قوله: «**من زارني بعد مماتي؛ فكأنما زارني في حياتي**»، ومثل ما يروون عنه أنه قال: «**من زارني بعد مماتي كنت له شفيعا يوم القيامة**»، ومثل ما يروون «**من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة**».

فهذا الأحاديث وما أشبهها كلها كذب موضوع على النبي ﷺ لم يثبت عنه لفظ واحد في زيارة قبره، ولكن روى الأولان من قد يروي الموضوعات كالبزار والدارقطني كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع.

كيف يكون زائر قبره كالمهاجر إليه في حياته؛ فإن زيارته في حياته إنما شرعت لمن يأتي ويبايعه على الإسلام والجهاد أو يهاجر إليه لطلب الآخرة أو يطلب منه العلم أو نحو ذلك من المقاصد المأمور بها في حياته التي لا يحصل شيء منها بزيارة قبره **وهذه الأمور المبتدعة من الأقوال هي مراتب:**

أبعدها عن الشرع: أن يسأل الميت حاجة أو يستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس بكثير من الأموات، وهو من جنس عبادة الأصنام، ولهذا تتمثل لهم الشياطين على صورة الميت أو الغائب كما كانت تتمثل لعبادة الأصنام، بل أصل عبادة الأصنام إنما كانت من القبور كما قال ابن عباس وغيره[1]، وقد يرى أحدهم

---

(١) هذا الأثر أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٠)، من طريق: ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَومِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَومَةِ الجَنْدَلِ، وأَمَّا سُواعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَومِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَومِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ».
وقد أعل؛ فإنَّ عطاء ليس هو ابن أبي رباح، بل هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، كما قرر ذلك غير واحد من الحفاظ، كابن المديني، وأبي مسعود الدمشقي، وأبي علي الغساني، وآخرين، ويبين صحة ذلك أمورٌ منها: أنه قد جاء مصرحًا بنسبته عند عبدالرزاق في "التفسير" (٢/ ٣٢٠) بالخراساني، ومنها: قال ابن المديني رحمه الله كما في "الفتح" (٤٩٢٠): سمعت هشام بن يوسف يقول: قال لي ابن جريج: سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران؟ ثم قال: اعفني من هذا. قال: قال هشام: فكان بَعْدُ إذا قال: قال عطاء، عن ابن عباس، قال: عطاء الخراساني. قال هشام: فكتبنا، ثم مللنا. يعني كتبنا الخراساني، قال ابن المديني: وإنما بينت هذا؛ لأن محمد بن ثور كان يجعلها -يعني في روايته- عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، فيظن أنه عطاء بن أبي رباح، وقد أخرج الفاكهي=

القبر قد انشق وخرج منه الميت فعانقه أو صافحه أو كلمه، ويكون ذلك شيطانًا؛ تمثل على صورته ليضله، وهذا يوجد كثيرا عند قبور الصالحين، وأما السجود للميت أو للقبر فهو أعظم وكذلك تقبيله.

المرتبة الثانية: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت؛ فيقصد زيارته لذلك أو للصلاة عنده، أو لأجل طلب حوائجه منه؛ فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين، وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين.

المرتبة الثالثة: أن يسأل صاحب القبر أن يسأل الله له، وهذا بدعة باتفاق أئمة المسلمين، وقد أخبر الله عن إخوة يوسف أنهم خروا له سجدا، وكذلك سجد له أبواه، وهذا السجود ليس مشروعا لنا؛ فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد حتى قال النبي ﷺ: «**لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[1] من عظم حقه عليها، وكذلك الذين اتخذوا مسجدًا على أهل الكهف، وهذه الأمة قد نهيت عن بناء المساجد على القبور.اهـ

= الحديث المذكور من طريق محمد بن ثور، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، ولم يقل: الخراساني.

قلتُ: ورواية الفاكهي في "أخبار مكة" (٥/ ١٦٢-١٦٣).

قال أبو عبدالله: وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس، وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء، وإنما سمعه من ولده عثمان، وعثمان بن عطاء الخراساني شديد الضعف، وقد حاول الحافظ أن يدافع عن الأثر في "الفتح"، ثم قال في "هدي الساري": وهذا عندي من المواضع العقيمة عن الجواب السديد، ولابد للجواد من كبوة، والله المستعان.اهـ فالراجح أنَّ الأثر معل لا يثبت.

(١) جاء عن عدد من الصحابة، منها حديث أبي هريرة ﵁: أخرجه الترمذي (١١٥٩) بإسناد حسن.

١٤ مسألة: قصد القبر النبوي للدعاء عنده، واستقباله بالدعاء.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (١٧/ ٤٧١):

وأَمَّا زِيَارَةُ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ؛ لِأَجْلِ طَلَبِ الحَاجَاتِ مِنْهُمْ أَو دُعَائِهِمْ والْإِقْسَامِ بِهِمْ عَلَى اللَّهِ، أَو ظَنِّ أَنَّ الدُّعَاءَ أَو الصَّلَاةَ عِنْدَ قُبُورِهِمْ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي المَسَاجِدِ والْبُيُوتِ؛ فَهَذَا ضَلَالٌ وشِرْكٌ وبِدْعَةٌ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ.

ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ يَفْعَلُ ذَلِكَ، ولَا كَانُوا إذا سَلَّمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَقِفُونَ يَدْعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، ولِهَذَا كَرِهَ ذَلِكَ مَالِكٌ وغَيْرُهُ مِنْ العُلَمَاءِ، وقَالُوا: إِنَّهُ مِنْ البِدَعِ الَّتِي لَمْ يَفْعَلْهَا السَّلَفُ، واتَّفَقَ العُلَمَاءُ الأَرْبعَةُ وغَيْرُهُمْ مِنْ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ إذا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ، ولَا يَسْتَقْبِلُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وأَمَّا إذا سَلَّمَ عَلَيْهِ فَأَكْثَرُهُمْ قَالُوا: يَسْتَقْبِلُ القَبْرَ. قَالَهُ مَالِكٌ والشَّافِعِيُّ وأَحْمَد. وقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: بَلْ يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ أَيْضًا، ويَكُونُ القَبْرُ عَنْ يَسَارِهِ وقِيلَ: بَلْ يَسْتَدْبِرُ القِبْلَةَ.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٢٧/ ٢٢٣):

وكَانَ الصَّحَابَةُ والتَّابِعُونَ لَمَّا كَانَتْ الحُجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ مُنْفَصِلَةً عَنْ المَسْجِدِ إِلَى زَمَنِ الولِيدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ لَا يَدْخُلُ عِنْدَهُ أَحَدٌ لَا لِصَلَاةِ هُنَاكَ، ولَا لِتَمَسُّحِ بِالْقَبْرِ، ولَا دُعَاءٍ هُنَاكَ، بَلْ هَذَا جَمِيعُهُ إِنَّمَا يَفْعَلُونَهُ فِي المَسْجِدِ، كَانَ السَّلَفُ مِنْ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ إذا سَلَّمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وأَرَادُوا الدُّعَاءَ دَعَوا مُسْتَقْبِلِي القِبْلَةَ لَمْ يَسْتَقْبِلُوا القَبْرَ.

وأَمَّا وقُوفُ المُسَلِّمِ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ أَيْضًا لَا يَسْتَقْبِلُ القَبْرَ. وقَالَ أَكْثَرُ الأَئِمَّةِ: بَلْ يَسْتَقْبِلُ القَبْرَ عِنْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ خَاصَّةً. ولَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ الأَئِمَّةِ يَسْتَقْبِلُ القَبْرَ عِنْدَ الدُّعَاءِ -أَيْ الدُّعَاءِ الَّذِي يَقْصِدُهُ لِنَفْسِهِ- إِلَّا فِي حِكَايَةٍ مَكْذُوبَةٍ تُرْوى عَنْ مَالِكٍ ومَذْهَبُهُ بِخِلَافِهَا.

واتَّفَقَ الأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمَسُّ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ ولَا يُقَبِّلُهُ. وهَذَا كُلُّهُ مُحَافَظَةً عَلَى التَّوحِيدِ. فإن مِنْ أُصُولِ الشِّرْكِ بِاَللَّهِ اتِّخَاذَ القُبُورِ مَسَاجِدَ كَمَا قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ فِي قَوله تعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:٢٣]، قَالُوا: هَؤُلَاءِ كَانُوا قومًا صَالِحِينَ فِي قَوم نُوح، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَورُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمْ الأَمَدُ؛ فَعَبَدُوهُمْ. وقَدْ ذَكَرَ بَعْضَ هَذَا المَعْنَى البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ كَمَا ذَكَرَ قَولَ ابْنِ عَبَّاسٍ: إنَّ هَذِهِ الأَوثَانَ صَارَتْ إلَى العَرَبِ. وذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرِ الطبري وغَيْرُهُ فِي التَّفْسِيرِ عَنْ غَيْرِ واحِدٍ مِنْ السَّلَفِ. وذَكَرَهُ غَيْرُهُ فِي قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ(١).اهـ

﴿١٥﴾ مسألة: قصد القبر النبوي للسلام على النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام رحمه الله كَمَا فِي «الفَتَاوى الكُبْرَى» (٢/ ٤٢٧):

ومَعَ هَذَا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إنَّ الدُّعَاءَ مُسْتَجَابٌ عِنْدَ قَبْرِهِ، ولَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَحَرَّى الدُّعَاءَ مُتَوجِّهًا إلَى قَبْرِهِ، بَلْ نَصُّوا عَلَى نَقِيضِ ذَلِكَ؟ واتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَا يُدْعَى مُسْتَقْبِلَ القَبْرِ وتَنَازَعُوا فِي السَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ الأَكْثَرُونَ كَمَالِكٍ وأَحْمَدَ وغَيْرِهِمَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القَبْرِ، وهُو الَّذِي ذَكَرَهُ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ، وأَظُنُّهُ مَنْقُولًا عَنْهُ.

وقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وأَصْحَابُهُ: بَلْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، بَلْ نَصَّ أَئِمَّةُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوقَفُ عِنْدَهُ لِلدُّعَاءِ مُطْلَقًا كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ إسْمَاعِيلُ بْنُ إسْحَاقَ فِي كِتَابِ المَبْسُوطِ، وذَكَرَهُ القَاضِي عِيَاضٌ قَالَ مَالِكٌ لَا أَرَى أَنْ يَقِفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ويَدْعُو ولَكِنْ يُسَلِّمُ ويَمْضِي.

وقَالَ أَيْضًا فِي «**المَبْسُوطِ**»: لَا بَأْسَ لِمَنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَو خَرَجَ إلَى سَفَرٍ، أَنْ يَقِفَ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، ويَدْعُو لَهُ، ولِأَبِي بَكْرٍ، وعُمَرَ.

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

فَقِيلَ لَهُ: فإن نَاسًا مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَا يَقْدَمُونَ مِنْ سَفَرٍ ولَا يُرِيدُونَهُ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي اليَوم مَرَّةً أَو أَكْثَرَ، ورُبَّمَا وقَفُوا فِي الجُمُعَةِ أَو الْيومِ المَرَّةَ والْمَرَّتَيْنِ أَو أَكْثَرَ عِنْدَ القَبْرِ؛ فَيُسَلِّمُونَ ويَدْعُونَ سَاعَةً.

فَقَالَ: لَمْ يَبْلُغْنِي هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الفِقْهِ بِبَلْدَتِنَا. ولَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَولَهَا، ولَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أَولِ هَذِهِ الأُمَّةِ وصَدْرِهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ جَاءَ مِنْ سَفَرٍ أَو أَرَادَهُ.

قَالَ ابْنُ القَاسِمِ: رَأَيْت أَهْلَ المَدِينَةِ إذا خَرَجُوا مِنْهَا أَو دَخَلُوهَا أَتَوا القَبْرَ وسَلَّمُوا، قَالَ: وذَلِكَ دَأْبِي.

فَهَذَا مَالِكٌ وهُو أَعْلَمُ أَهْلِ زَمَانِهِ أَيْ زَمَنِ تَابِعِ التَّابِعِينَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الَّذِينَ كَانَ أَهْلُهَا فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ وتَابِعِيهِمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمَا يُشْرَعُ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَكْرَهُونَ الوقُوفَ لِلدُّعَاءِ بَعْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ، وبَيَّنَ أَنَّ المُسْتَحَبَّ هُو الدُّعَاءُ لَهُ ولِصَاحِبَيْهِ وهُو الْمَشْرُوعُ مِنْ الصَّلَاةِ والسَّلَامِ، وأَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا لَا يُسْتَحَبُّ لِأَهْلِ المَدِينَةِ كُلَّ وقْتٍ، بَلْ عِنْدَ القُدُومِ مِنْ سَفَرٍ أَو إِرَادَتِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ تَحِيَّةٌ لَهُ، والْمُحَيَّا لَا يُقْصَدُ بَيْتُهُ كُلَّ وقْتٍ لِتَحِيَّتِهِ بِخِلَافِ القَادِمِينَ مِنْ السَّفَرِ.

وقَالَ مَالِكٌ فِي رِوايَةِ ابن وهْبٍ: إذا سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَقِفُ وجْهُهُ إِلَى القَبْرِ لَا إِلَى القِبْلَةِ، ويَدْنُو ويُسَلِّمُ ولَا يَمَسُّ القَبْرَ بِيَدِهِ، وكَرِهَ مَالِكٌ أَنْ يُقَالَ زُرْنَا قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ كَرَاهَةُ مَالِكٍ لَهُ لِإِضَافَتِهِ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ لِقَولِهِ: «**اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يَنْهَى عَنْ إِضَافَةِ هَذَا اللَّفْظِ إِلَى القَبْرِ والتَّشَبُّهِ بِفِعْلِ ذَلِكَ قَطْعًا لِلذَّرِيعَةِ وحَسْمًا لِلْبَابِ.

قُلْتُ: والْأَحَادِيثُ الكَثِيرَةُ المَرْوِيَّةُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِهِ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ، بَلْ مَوضُوعَةٌ لَمْ يَرْوِ الْأَئِمَّةُ، ولَا أَهْلُ السُّنَنِ المُتَّبَعَةِ: كَسُنَنِ أَبِي دَاود، والنَّسَائِيُّ، ونَحْوِهِمَا، فِيهَا شَيْئًا ولَكِنْ جَاءَ لَفْظُ زِيَارَةِ القُبُورِ فِي غَيْرِ هَذَا الحَدِيثِ، مِثْلِ: قَولُهُ ﷺ: «**كُنْتُ**

نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ أَلَا فَزُورُوهَا فإنها تُذَكِّرُكُمْ الآخرة»(١). وكَانَ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ إذا زَارُوا القُبُورَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والْمُسْلِمِينَ وإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، يَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا ومِنْكُمْ والْمُسْتَأْخِرِينَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا ولَكُمْ العَافِيَةَ**»(٢).

ولَكِنْ صَارَ لَفْظُ زِيَارَةِ القُبُورِ فِي عُرْفِ كَثِيرٍ مِنْ المُتَأَخِّرِينَ يَتَنَاولُ الزِّيَارَةَ البِدْعِيَّةَ والزِّيَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ وأَكْثَرُهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهَا إلَّا بِالْمَعْنَى البِدْعِيِّ لَا الشَّرْعِيِّ، فَلِهَذَا كُرِهَ هَذَا الإِطْلَاقُ، فَأَمَّا الزِّيَارَةُ الشَّرْعِيَّةُ فَهِيَ مِنْ جِنْسِ الصَّلَاةِ عَلَى المَيِّتِ يُقْصَدُ بِهَا الدُّعَاءُ لِلْمَيِّتِ كَمَا يُقْصَدُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ اللهُ فِي حَقِّ المُنَافِقِينَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة:٨٤].

فَلَمَّا نُهِيَ عَنْ الصَّلَاةِ عَلَى المُنَافِقِينَ والْقِيَامِ عَلَى قُبُورِهِمْ دَلَّ ذَلِكَ بِطَرِيقِ مَفْهُومِ الخِطَابِ وعِلَّةِ الحُكْمِ أَنَّ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ فِي حَقِّ المُؤْمِنِينَ والْقِيَامُ عَلَى قَبْرِهِ بَعْدَ الدَّفْنِ مِنْ جِنْسِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ قَبْلَ الدَّفْنِ يُرَادُ بِهِ الدُّعَاءُ لَهُ.

وهَذَا هُو الَّذِي مَضَتْ بِهِ السُّنَّةُ، واسْتَحَبَّهُ السَّلَفُ عِنْدَ زِيَارَةِ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ.اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٧) عن بريدة رضي الله عنه، وزيادة «**فإنها تذكركم الآخرة**» أخرجه ابن أبي شيبة (١١٨٠٦)، وأحمد (١٢٣٦) وغيرهما من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وجهالة ربيعة بن النابغة، والحديث صحيح بشواهده، وقد أخرجه مسلم (٩٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**فإنها تذكر الموت**».

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٤) عن عائشة رضي الله عنها.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي **«مَجْمُوعِ الفَتَاوى»** (٢٧/ ١٦٦): **ولِهَذَا كَانَتْ السُّنَّةُ عِنْد الصَّحَابَةِ وأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ إذا سَلَّمَ العَبْدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وصَاحِبَيْهِ: أَنْ يَدْعُو اللهُ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ ولَا يَدْعُو مُسْتَقْبِلَ الحُجْرَةِ والْحِكَايَةُ الَّتِي تُرْوى فِي خِلَافِ ذَلِكَ عَنْ مَالِكٍ مَعَ المَنْصُورِ بَاطِلَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا.**

ولَمْ أَعْلَمْ الأَئِمَّةَ تَنَازَعُوا فِي أَنَّ السُّنَّةَ اسْتِقْبَالُ القِبْلَةِ وقْتَ الدُّعَاءِ؛ لَا اسْتِقْبَالُ القَبْرِ النَّبَوِيِّ. وإِنَّمَا تَنَازَعُوا وقْتَ السَّلَام عَلَيْهِ. فَقَالَ الأَكْثَرُونَ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القَبْرِ. وقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ مُسْتَدْبِرَ القَبْرِ. وكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْك يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلَامُ عَلَيْك يَا أَبَتِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ(١).

فإذا كَانَ الدُّعَاء فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ الأَئِمَّةُ فِيهِ بِاسْتِقْبَالِ القِبْلَةِ كَمَا رُوِيَ عَنْ الصَّحَابَة وكَرِهُوا اسْتِقْبَالَ القَبْرِ؛ فَمَا الظَّنُّ بِقَبْرِ غَيْرِهِ وهَذَا مِمَّا يُبَيِّنُ لَك أَنَّ قَصْدَ الدُّعَاءِ عِنْدَ القُبُورِ: لَيْسَ مِنْ دِينِ المُسْلِمِينَ.

ومَنْ ذَكَرَ شَيْئًا يُخَالِفُ هَذَا مِنْ المُصَنِّفِينَ فِي المَنَاسِكِ أَو غَيْرِهَا فَلَا حُجَّةَ مَعَهُ بِذَلِكَ، ولَا مَعَهُ نَقْلٌ عَنْ إمَامٍ مَتْبُوعٍ. وإِنَّمَا هُو شَيْءٌ أَخَذَهُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْ بَعْضٍ؛ لِأَحَادِيث ظَنُّوهَا صَحِيحَةً، وهِيَ بَاطِلَةٌ أَو لِعَادَاتِ مُبْتَدَعَةٍ ظَنُّوهَا سُنَّةً بِلَا أَصْلٍ شَرْعِيٍّ.

ولَمْ يَكُنْ فِي العُصُورِ المُفَضَّلَةِ مَشَاهِدُ عَلَى القُبُورِ، وإِنَّمَا ظَهَرَ ذَلِكَ وكَثُرَ فِي دَولَةِ بَنِي بويه؛ لَمَّا ظَهَرَتْ القَرَامِطَةُ بِأَرْضِ المَشْرِقِ والْمَغْرِبِ كَانَ بِهَا زَنَادِقَةٌ كُفَّارٌ مَقْصُودُهُمْ تَبْدِيلُ دِينِ الإِسْلَامِ، وكَانَ فِي بَنِي بويه مِنْ المُوافِقَةِ لَهُمْ عَلَى بَعْضِ

---

(١) **صحيح**. أخرجه إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة» رقم (١٠٠) بإسناد صحيح من طريق: أيوب عن نافع به، وأخرجه عبد الرزاق (٦٧٢٤)، من طريق: أيوب وعبيد الله وعبد الله، عن نافع به، وفيه: قال عبيد الله: لا نعلم أحدًا فعل ذلك من أصحاب النبي ﷺ؛ إلا ابن عمر.

ذَلِكَ، ومِنْ بِدَعِ الجَهْمِيَّةِ والْمُعْتَزِلَةِ والرَّافِضَةِ مَا هُو مَعْرُوفٌ لِأَهْلِ العِلْمِ فَبَنَوا المَشَاهِدَ المَكْذُوبَةَ كَمَشْهَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأَمْثَالِهِ.

وصَنَّفَ أَهْلُ الفِرْيَةِ الأَحَادِيثَ فِي زِيَارَةِ المَشَاهِدِ والصَّلَاةِ عِنْدَهَا والدُّعَاءِ عِنْدَهَا ومَا يُشْبِهُ ذَلِكَ. فَصَارَ هَؤُلَاءِ الزَّنَادِقَةُ وأَهْلُ البِدَعِ المُتَّبِعُونَ لَهُمْ يُعَظِّمُونَ المَشَاهِدَ ويُهِينُونَ المَسَاجِدَ، وذَلِكَ ضِدُّ دِينِ المُسْلِمِينَ ويَسْتَتِرُونَ بِالتَّشَيُّعِ.

فَفِي الأَحَادِيثِ المُتَقَدِّمَةِ المُتَواتِرَةِ عَنْهُ مِنْ تَعْظِيمِ الصِّدِّيقِ ومِنْ النَّهْيِ عَنْ اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ مَا فِيهِ رَدٌّ لِهَاتَيْنِ البِدْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَصْلُ الشِّرْكِ وتَبْدِيلِ الإِسْلَامِ. ومِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْكُرْ المَشَاهِدَ ولَا أَمَرَ بِالصَّلَاةِ فِيهَا وإِنَّمَا أَمَرَ بِالْمَسَاجِدِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة:١١٤]، ولَمْ يَقُلْ: مَشَاهِدَ اللَّهِ؛ بَلْ قَدْ «**أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا أَنْ لَا يَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَواهُ ولَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسَهُ**»[١]. ونَهَى عَنْ اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ ولَعَنَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهَذَا أَمْرٌ بِتَخْرِيبِ المَشَاهِدِ لَا بِعِمَارَتِهَا سَواءٌ أُرِيدَ بِهِ العِمَارَةُ الصُّورِيَّةُ أَو الْمَعْنَوِيَّةُ.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧]، ولَمْ يَقُلْ فِي المَشَاهِدِ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٢٩]، ولَمْ يَقُل عِنْدَ كُلِّ مَشْهَدٍ. وقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٧]، ولَمْ يَقُلْ: مَشَاهِدَ اللَّهِ؛ إِذْ عُمَّارُ المَشَاهِدِ هُمْ مُشْرِكُونَ أَو مُتَشَبِّهُونَ بِالْمُشْرِكِينَ. إِلَى قَولِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨]، ولَمْ يَقُلْ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَشَاهِدَ اللَّهِ، بَلْ عُمَّارُ المَشَاهِدِ يَخْشَونَ غَيْرَ اللَّهِ؛ فَيَخْشَونَ المَوتَى ولَا يَخْشَونَ اللَّهَ؛ إِذْ عَبَدُوهُ عِبَادَةً لَمْ يُنَزِّلْ بِهَا سُلْطَانًا ولَا جَاءَ بِهَا كِتَابٌ ولَا سُنَّةٌ كَمَا قَالَ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُنَاظَرَتِهِ لِلْمُشْرِكِينَ لَمَّا

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَاجُّوهُ وخوفُوهُ آلِهَتَهُمْ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨١]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

وفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا هُو الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَولَ العَبْدِ الصَّالِحِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣]»[(١)] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام:٨٣]، قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وغَيْرُهُ. بِالْعِلْمِ.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨]، ولَمْ يَقُلْ: وأَنَّ المَشَاهِدَ لِلَّهِ، بَلْ أَهْلُ المَشَاهِدِ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ. ولِهَذَا لَمَّا لَمْ يَكُنْ بِنَاءُ المَسَاجِدِ عَلَى القُبُورِ الَّتِي تُسَمَّى المَشَاهِدَ وتَعْظِيمُهَا مِنْ دِينِ المُسْلِمِينَ؛ بَلْ مِنْ دِينِ المُشْرِكِينَ؛ لَمْ يَحْفَظْ ذَلِكَ فإن اللهَ ضَمِنَ لَنَا: أَنْ يَحْفَظَ الذِّكْرَ الَّذِي أَنْزَلَهُ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩]، فَمَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ الكِتَابِ والْحِكْمَةِ مَحْفُوظٌ، وأَمَّا أَمْرُ المَشَاهِدِ فَغَيْرُ مَحْفُوظٍ، بَلْ عَامَّةُ القُبُورِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَيْهَا المَسَاجِدُ إِمَّا مَشْكُوكٌ فِيهَا وإِمَّا مُتَيَقَّنٌ كَذِبُهَا.اهـ

فائدة: قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٢٧/ ٢٢٤):

وأَولُ مَنْ وضَعَ هَذِهِ الأَحَادِيث فِي السَّفَرِ لِزِيَارَةِ المَشَاهِدِ الَّتِي عَلَى القُبُورِ هُمْ أَهْلُ البِدَعِ - مِنْ الرَّافِضَةِ وغَيْرِهِمْ - الَّذِينَ يُعَطِّلُونَ المَسَاجِدَ ويُعَظِّمُونَ المَشَاهِدَ: الَّتِي يُشْرَكُ فِيهَا ويُكَذَّبُ فِيهَا ويُبْتَدَعُ فِيهَا دِينٌ لَمْ يُنَزِّلْ اللهُ بِهِ سُلْطَانًا فإن الكِتَابَ والسُّنَّةَ إنَّمَا فِيهِ ذِكْرُ المَسَاجِدِ دُونَ المَشَاهِدِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

١٦ مسألة: شد الرحل لزيارة قبور الأنبياء والصالحين.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي "اقْتِضَاءُ الصِّراطِ المُسْتَقِيم" (٢/ ١٨٢):

وقد اختلف أصحابنا وغيرهم: هل يجوز السفر لزيارتها؟ على قولين:

أحدهما: لا يجوز والمسافرة لزيارتها معصية، لا يجوز قصر الصلاة فيها. وهذا قول ابن بطة وابن عقيل وغيرهما؛ لأن هذا السفر بدعة، لم يكن في عصر السلف وهو مشتمل على ما سيأتي من معاني النهي، ولأن في "الصحيحين" عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى ومسجدي هذا**»[1]، وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب والعبادة.

بدليل أن بصرة بن أبي بصرة الغفاري لما رأى أبا هريرة راجعًا من الطور الذي كلم الله عليه موسى؛ قال: لو رأيتك قبل أن تأتيه؛ لم تأته؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[2].

فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة في العموم، وأنه لا يجوز السفر إليها كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩، و١١٩٧)، ومسلم (٨٢٧، و١٣٩٧) عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) **صحيح**. أخرجه مالك في "الموطأ" (١/ ١٠٨)، ومن طريقه: أحمد (٢٣٨٤٨)، والنسائي (٣/ ١١٣-١١٤)، وغيرهم عن يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به، وهذا إسناد صحيح، وصحابي الحديث هو أبو بصرة الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما نبه على ذلك ابن عبد البر في "التمهيد" (٢٣/ ٣٨)، و"الاستيعاب" (٢/ ٣٩)، ومن قال فيه: (بصرة بن أبي بصرة) فقد أخطأ فيه.

وقد أخرج الحديث أحمد من وجهين آخرين برقم (٢٣٨٥٠)، (٢٧٢٣٠)، وسماه: (أبا بصرة الغفاري)، والموضع الأول إسناده صحيح، والموضع الثاني إسناده حسن.

وأيضا فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله غير المساجد الثلاثة لا يجوز مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة ويستحب أخرى، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل مالا يحصى؛ فالسفر إلى بيوت الموتى من عباده أولى أن لا يجوز.

والوجه الثاني: أنه يجوز السفر إليها قاله طائفة من المتأخرين منهم أبو حامد الغزالي، وأبو الحسن بن عبدوس الحراني، والشيخ أبو محمد المقدسي، وما علمته منقولا عن أحد من المتقدمين بناءً على أن هذا الحديث لم يتناول النهي عن ذلك كما لم يتناول النهي عن السفر إلى الأمكنة التي فيها الوالدان والعلماء والمشايخ والإخوان أو بعض المقاصد من الأمور الدنيوية المباحة.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ **كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٢٧/ ٢٢٥):**

والْقَولُ بِتَحْرِيمِ السَّفَرِ إلَى غَيْرِ المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ - وإِنْ كَانَ قَبْرَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ - هُو قَولُ مَالِكٍ وجُمْهُورِ أَصْحَابِهِ، وكَذَلِكَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ أَحْمَد الحَدِيثُ عِنْدَهُمْ مَعْنَاهُ بِتَحْرِيمِ السَّفَرِ إلَى غَيْرِ الثَّلَاثَةِ، لَكِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَبْرُ نَبِيِّنَا لَمْ يَدْخُلْ فِي العُمُومِ، ثُمَّ لِهَذَا القَولِ مَأْخَذَانِ: **أَحَدُهُمَا:** أَنَّ السَّفَرَ إلَيْهِ سَفَرٌ إلَى مَسْجِدِهِ. وهَذَا المَأْخَذُ هُو الصَّحِيحُ. وهُو مُوافِقٌ لِقَولِ مَالِكٍ وجُمْهُورِ أَصْحَابِهِ.

والْمَأْخَذُ الثَّانِي: أَنَّ نَبِيَّنَا لَا يُشَبَّهُ بِغَيْرِهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ. انتهى المراد.

١٧ مسألة: قصد الأماكن التي صلاها رسول الله ﷺ أو نزل فيها اتفاقًا بدون قصد.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ **كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (١٧/ ٤٦٦):**

والْمَقْصُودُ هَاهُنَا: أَنَّ الصَّحَابَةَ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ لَمْ يَبْنُوا قَطُّ عَلَى قَبْرِ نَبِيٍّ ولَا رَجُلٍ صَالِحٍ مَسْجِدًا، ولَا جَعَلُوهُ مَشْهَدًا ومَزَارًا ولَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ آثَارِ الأَنْبِيَاءِ مِثْلَ مَكَانٍ نَزَلَ فِيهِ أَو صَلَّى فِيهِ أَو فَعَلَ فِيهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُونُوا يَقْصِدُونَ بِنَاءَ مَسْجِدٍ لِأَجْلِ آثَارِ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ، ولَمْ يَكُنْ جُمْهُورُهُمْ يَقْصِدُونَ الصَّلَاةَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَقْصِدْ الرَّسُولُ الصَّلَاةَ فِيهِ، بَلْ نَزَلَ فِيهِ أَو صَلَّى فِيهِ اتِّفَاقًا، بَلْ كَانَ أَئِمَّتُهُمْ

كَعُمَرِ بْنِ الخَطَّابِ وغَيْرِهِ يَنْهَى عَنْ قَصْدِ الصَّلَاةِ فِي مَكَانٍ صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اتِّفَاقًا لَا قَصْدًا، وإِنَّمَا نُقِلَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ خَاصَّةً، أَنَّهُ كَانَ يَتَحَرَّى أَنْ يَسِيرَ حَيْثُ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ويَنْزِلَ حَيْثُ نَزَلَ، ويُصَلِّي حَيْثُ صَلَّى، وإِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَقْصِدْ تِلْكَ البُقْعَةَ لِذَلِكَ الفِعْلِ بَلْ حَصَلَ اتِّفَاقًا، وكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَجُلًا صَالِحًا شَدِيدَ الِاتِّبَاعِ فَرَأَى هَذَا مِنْ الِاتِّبَاعِ.

وأَمَّا أَبُوهُ وسَائِرُ الصَّحَابَةِ مِنْ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عُثْمَانَ وعَلِيٍّ وسَائِرِ العَشْرَةِ وغَيْرِهِمْ مِثْلَ ابْنِ مَسْعُودٍ ومُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وأبي بْنِ كَعْبٍ فَلَمْ يَكُونُوا يَفْعَلُونَ مَا فَعَلَ ابْنُ عُمَرَ وقَولُ الجُمْهُورِ أَصَحّ.

وذَلِكَ أَنَّ المُتَابَعَةَ أَنْ يُفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ عَلَى الوجْهِ الَّذِي فَعَلَ لِأَجْلِ أَنَّهُ فَعَلَ. فإذا قَصَدَ الصَّلَاةَ والْعِبَادَةَ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ كَانَ قَصْدُ الصَّلَاةِ والْعِبَادَةِ فِي ذَلِكَ المَكَانِ مُتَابَعَةً لَهُ وأَمَّا إذا لَمْ يَقْصِدْ تِلْكَ البُقْعَةَ فإن قَصْدَهَا يَكُونُ مُخَالَفَةً لَا مُتَابَعَةً لَهُ.

مِثَالُ الأَولِ لَمَّا قَصَدَ الوقُوفَ والذِّكْرَ والدُّعَاءَ بِعَرَفَةَ ومُزْدَلِفَةَ وبَيْنَ الجَمْرَتَيْنِ كَانَ قَصْدُ تِلْكَ البِقَاعِ مُتَابَعَةً لَهُ وكَذَلِكَ لَمَّا طَافَ وصَلَّى خَلْفَ المَقَامِ رَكْعَتَيْنِ كَانَ فِعْلُ ذَلِكَ مُتَابَعَةً لَهُ وكَذَلِكَ لَمَّا صَعِدَ عَلَى الصَّفَا والمروة لِلذِّكْرِ والدُّعَاءِ كَانَ قَصْدُ ذَلِكَ مُتَابَعَةً لَهُ وقَدْ كَانَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوعِ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَ الأُسْطُوانَةِ قَالَ لِأَنِّي رَأَيْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ عِنْدَهَا[1].

فَلَمَّا رَآهُ يَقْصِدُ تِلْكَ البُقْعَةَ لِأَجْلِ الصَّلَاةِ كَانَ ذَلِكَ القَصْدُ لِلصَّلَاةِ مُتَابَعَةً، وكَذَلِكَ لَمَّا أَرَادَ عتبان بْنُ مَالِكٍ أَنْ يَبْنِيَ مَسْجِدًا لَمَّا عَمِيَ فَأَرْسَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي تُصَلِّي فِي مَنْزِلِي فَاتَّخِذْهُ مُصَلًّى وفِي رِوايَةٍ فَقَالَ: تَعَالَ فَخطَّ لِي مَسْجِدًا فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ ومَنْ شَاءَ مِنْ أَصْحَابِهِ وفِي رِوايَةٍ فَغَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنتْ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢)، ومسلم (٥٠٩) عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ، فَقَالَ: «**أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِك**»؟ فَأَشَرْت لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ البَيْتِ؛ «**فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُمْنَا وراءَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ**»(١). الحَدِيثُ.

فإنه قَصَدَ أَنْ يَبْنِيَ مَسْجِدًا وأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَولَ مِنْ يُصَلِّي فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، وأَنْ يَبْنِيَهُ فِي المَوضِعِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ؛ فَالْمَقْصُودُ كَانَ بِنَاءَ المَسْجِدِ وأَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَكَانِ الَّذِي يَبْنِيهِ؛ فَكَانَتْ الصَّلَاةُ مَقْصُودَةً لِأَجْلِ المَسْجِدِ لَمْ يَكُنْ بِنَاءُ المَسْجِدِ مَقْصُودًا؛ لِأَجْلِ كَونِهِ صَلَّى فِيهِ اتِّفَاقًا، وهَذَا المَكَانُ مَكَانٌ قَصَدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ فِيهِ؛ لِيَكُونَ مَسْجِدًا فَصَارَ قَصْدُ الصَّلَاةِ فِيهِ مُتَابَعَةً لَهُ بِخِلَافِ مَا اتَّفَقَ أَنَّهُ صَلَّى فِيهِ بِغَيْرِ قَصْدٍ.

وكَذَلِكَ قَصْدُ يَومِ الاِثْنَيْنِ والْخَمِيسِ بِالصَّومِ مُتَابَعَةً لِأَنَّهُ قَصَدَ صَومَ هَذَيْنِ اليَومَيْنِ، وقَالَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّهُ تُفْتَحُ أَبْوابُ الجَنَّةِ فِي كُلِّ خَمِيسٍ واثْنَيْنِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**»(٢). وكَذَلِكَ قَصْدُ إِتْيَانِ مَسْجِدِ قُبَاء مُتَابَعَةً لَهُ فإنه قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي قُبَاء كُلَّ سَبْتٍ رَاكِبًا ومَاشِيًا(٣).

ولِهَذَا لَمْ يَسْتَحِبَّ عُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ وغَيْرِهَا قَصْدُ شَيْءٍ مِنْ المَسَاجِدِ والْمَزَارَاتِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ ومَا حَولَهَا بَعْدَ مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ إِلَّا مَسْجِدَ قُبَاء؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقْصِدْ مَسْجِدًا بِعَيْنِهِ يَذْهَبُ إِلَيْهِ إِلَّا هُو.

وقَدْ قَصَدَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِالذَّهَابِ إِلَيْهِ وصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ تَوضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاء لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ كَانَ كَعُمْرَةٍ**»(٤). ومَعَ هَذَا فَلَا يُسَافَرُ إِلَيْهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (كتاب المساجد/ ٢٦٣) عن عتبان بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١١٩١)، ومسلم (١٣٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) **حسن بشواهده**. أخرجه الترمذي (٣٢٤)، وابن ماجه (١٤١١) من حديث أُسيد بن ظهير الأنصاري، والراوي عنه أبو الأبرد، واسمه: زياد المدني، وهو مجهول. =

لَكِنْ إذا كَانَ الإِنْسَانُ بِالْمَدِينَةِ أَتاهُ، ولَا يَقْصِدُ إنْشَاءَ السَّفَرِ إلَيْهِ بَلْ يَقْصِدُ إنْشَاءَ السَّفَرِ إلَى المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ لِقَولِهِ ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ والْمَسْجِدِ الأَقْصَى ومَسْجِدِي هَذَا**»[١] ولِهَذَا لَو نَذَرَ السَّفَرَ إلَى مَسْجِدِ قُبَاء لَمْ يُوفِّ بِنَذْرِهِ عِنْدَ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ وغَيْرِهِمْ بِخِلَافِ المَسْجِدِ الحَرَامِ؛ فإنه يَجِبُ الوفَاءُ بِالنَّذْرِ إلَيْهِ بِاتِّفَاقِهِمْ وكَذَلِكَ مَسْجِدُ المَدِينَةِ وبَيْتُ المَقْدِسِ فِي أَصَحِّ قَولَيْهِمْ. وهُو مَذْهَبُ مَالِكٍ وأَحْمَد والشَّافِعِيِّ فِي أَحَدِ قَولَيْهِ وفِي الآخَرِ، وهُو قَولُ أَبِي حَنِيفَةَ لَيسَ عَلَيْهِ ذَلِكَ؛ لَكِنَّهُ جَائِزٌ ومُسْتَحَبٌّ لِأَنَّ مِنْ أَصْلِهِ أَنَّهُ لَا يَجِبُ بِالنَّذْرِ إلَّا مَا كَانَ واجِبًا بِالشَّرْعِ والْأَكْثَرُونَ يَقُولُونَ يَجِبُ بِالنَّذْرِ كُلُّ مَا كَانَ طَاعَةً لِلَّهِ كَمَا ثَبَتَ فِي "صَحِيحِ البُخَارِيِّ" عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ ومَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ**»[٢].اهـ

١٨ النهي عن اتخاذ القبور أعيادا وبيان معنى ذلك:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله فِي "اقْتِضَاءُ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم" (٢/ ١٦٩):

وقد جاء عن النبي ﷺ، والسلف النهي عن اتخاذها -يعني قبور الأنبياء والصالحين- عيدًا، عمومًا وخصوصًا. وبينوا معنى العيد.

=وله شاهد من حديث سهل بن حنيف عند أحمد (١٥٩٨١)، وابن ماجه (١٤١٢)، وفيه: محمد بن سليمان الكرماني مجهول حال.

وله شاهد آخر عند ابن حبان (١٦٢٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، فيه داود بن إسماعيل الأنصاري، وهو مجهول الحال.

وله طريق أخرى عند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٣) من طريق: سليط بن سعد السالمي، عن ابن عمر رضي الله عنه موقوفًا، وله حكم الرفع، وسليط مجهول.

فالحديث بهذه الشواهد يرتقي إلى الحُسن، وقد حسنه العلامة الألباني رحمه الله؛ وعلى هذا الحديث يجوز قصد الصلاة فيه من غير سفر، والنبي ﷺ كان يقصده كل سبت.

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩، و١١٩٧)، ومسلم (٨٢٧، و١٣٩٧) عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) عن عائشة رضي الله عنها.

فأما العموم: فقال أبو داود في سننه: حدثنا أحمد بن صالح قال: قرأت على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[1] وهذا إسناد حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالك، فيه لين لا يقدح في حديثه. قال يحيى بن معين: هو ثقة. وحسبك بابن معين موثقا. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، وهو لين تعرف حفظه وتنكر. فإن هذه العبارات منهم تنزل حديثه من مرتبة الصحيح إلى مرتبة الحسن، إذ لا خلاف في عدالته وفقهه، وأن الغالب عليه الضبط، لكن قد يغلط أحيانا، ثم هذا الحديث مما يعرف من حفظه، ليس مما ينكر، لأنه سنة مدنية، وهو محتاج إليها في فقهه، ومثل هذا يضبطه الفقيه. وللحديث شواهد من غير طريقه، فإن هذا الحديث روي من جهات أخرى فما بقي منكرا، وكل جملة من هذا الحديث رويت عن النبي ﷺ بأسانيد معروفة، وإنما الغرض هنا النهي عن اتخاذه عيدا.

فمن ذلك: ما رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا جعفر بن إبراهيم -من ولد ذي الجناحين- حدثنا علي بن عمر، عن أبيه، عن علي بن الحسين: أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو. فنهاه، فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته عن أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**»[2] رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي

---

(١) إسناده حسن، وهو صحيح بشواهده.

(٢) **صحيح بشواهده**. رواه المقدسي في "المختارة" رقم (٤٢٨)، وهو عند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وأبي يعلى (٤٦٩)، والقاضي في "فضل الصلاة" رقم (٢٠)، وهو من طريق: جعفر بن إبراهيم الجعفري، عن علي بن عمر بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن الحسين به، وجعفر بن إبراهيم، وعمر بن علي كلاهما مجهول حال، لكن يشهد له حديث أبي هريرة ﷺ المتقدم؛ فهو حديث حسن، بل صحيح بشواهده. وهذا الحديث صحابيه علي بن أبي طالب ﷺ، وهو مسلسل بآل البيت.

الحافظ، فيما اختاره من الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين، وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم في صحيحه.

وروى سعيد في سننه، حدثنا حبان بن علي، حدثني محمد بن عجلان، عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا بيتي عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**»[(١)].

وقال سعيد: حدثنا عبد العزيز بن محمد، أخبرني سهيل بن أبي سهيل، قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشى. فقال: هلم إلى العشاء؟ فقلت: لا أريده. فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا بيتي عيدا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**» ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء[(٢)].

فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لا سيما، وقد احتج من أرسله به، وذلك يقتضي ثبوته عنده، ولو لم يكن روي من

---

(١) **صحيح بشواهده**. أخرجه سعيد بن منصور كما في "الاقتضاء" (٢/ ٦٥٦)، و "الصارم المنكي" (ص١٦١)، وفي إسناده حبان بن علي، وفيه ضعف، وأبو سعيد مولى المهري حسن الحديث، وروى له مسلم، والحديث مرسل يتقوى مع ما تقدم؛ فهو صحيح بشواهده.

تنبيه: قوله في الحديث: «**بيتي**» منكر، والمحفوظ «**قبري**»، كما في سائر الروايات.

(٢) **صحيح بشواهد**. أخرجه سعيد بن منصور كما في "الاقتضاء" (٢/ ٦٥٦)، و"الصارم المنكي" (ص١٦١)، وهو مرسل؛ لأنَّ الحسن بن الحسن بن علي يرويه عن النبي ﷺ، وسهيل بن أبي سهيل مجهول حال، لكن الحديث يصلح في الشواهد، وتقدم حديث أبي هريرة، وحديث علي رضي الله عنه، فهما شاهدان يتقوى بهما.

وهذا الحديث والأثر أخرجه إسماعيل القاضي في "فضل الصلاة على النبي ﷺ" رقم (٣٠) من طريق: عبدالعزيز الدراوردي به، وأخرجه عبدالرزاق (٦٧٢٦)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥) من طريق: محمد بن عجلان، عن سهيل به.

وجوه مسندة غير هذين. فكيف وقد تقدم مسندا؟ .

ووجه الدلالة: أن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدا. فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان، ثم إنه قرن ذلك بقوله ﷺ: «**ولا تتخذوا بيوتكم قبورا**» أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومن تشبه بهم. وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا**»[1].

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه**»[2] ثم إنه ﷺ أعقب النهي عن اتخاذه عيدًا بقوله: «**صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**»، وفي الحديث الآخر: «**فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**» يشير بذلك ﷺ إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري، وبعدكم منه؛ فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدًا.

والأحاديث عنه بأن صلاتنا وسلامنا تعرض عليه كثيرة، مثل ما روى أبو داود من حديث أبي صخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام**»[3]. وهذا الحديث على شرط مسلم.

ومثل ما روى أبو داود أيضا عن أوس بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي**»،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١) بإسناد حسن.

قالوا: يا رسول الله، كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء**»[(١)]. وفي مسند ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيا بلغته**»[(٢)]، وفي النسائي وغيره عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام**»[(٣)] إلى أحاديث أخر في هذا الباب متعددة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، وأبو داود (١٠٤٧، و١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١)، وابن ماجه (١٠٨٥، و١٦٣٦)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه العقيلي (٤/ ١٣٦ - ١٣٧)، والبيهقي في "الشعب" (١٤٨١) وفي "حياة الأنبياء" (١٨) وأبو القاسم الأصبهاني في "الترغيب" (١٦٦٦) من طرق عن العلاء بن عمرو الحنفي، ثنا محمد بن مروان، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة به.

وقال العقيلي: لا أصل له من حديث الأعمش، وليس بمحفوظ، ولا يتابع محمد بن مروان السدي إلا من هو دونه.اهـ

قال ابن الجوزي في "الموضوعات" (١/ ٣٠٢ - ٣٠٣): هذا حديث لا يصح، ومحمد بن مروان هو السدي. قال ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن نمير: كذاب، وقال السعدي: ذاهب، وقال النسائي: متروك، وقال ابن حبان: لا يحل كتب حديثه إلا اعتبارا.اهـ

وله طريق أخرى: فقد أخرجه أبو الشيخ في "الصلاة على النبي" كما في "جلاء الأفهام" (ص٥٤) وفي "الثواب" كما في "اللآلئ المصنوعة" (١/ ٢٥٨) عن عبد الرحمن بن أحمد الأعرج ثنا الحسن بن الصباح ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا: «**من صلّى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلّي عليّ من بعيد أعلمته**» قال ابن القيم: وهذا الحديث غريب جدا.

وتقدم قول العقيلي: لا أصل له من حديث الأعمش، وليس بمحفوظ، ولا يتابع محمد بن مروان السدي إلا من هو دونه.اهـ

قلت: رواته ثقات غير عبد الرحمن بن أحمد الأعرج ترجمه أبو الشيخ في "الطبقات" (٣/ ٥٤١) وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" (٢/ ١١٣) ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا. فالظاهر أن آفة الإسناد منه.

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٦٦)، والدارمي (٢٩٨١)، والنسائي في "المجتبى" (١٢٨٢)، وفي "الكبرى" (١٢٠٦) و (٩٨١١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، بلفظ: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام**» بإسناد صحيح.

ثم إن أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنه، نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ، واستدل بالحديث، وهو راوي الحديث الذي سمعه من أبيه الحسين، عن جده علي، وأعلم بمعناه من غيره؛ فبين أن قصده للدعاء ونحوه اتخاذ له عيدًا.

وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته، كره أن يقصد الرجل القبر للسلام عليه، ونحوه عند دخول المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيدًا.

فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا لها أضبط.

والعيد إذا جعل اسمًا للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه، وانتيابه للعبادة عنده، أو لغير العبادة، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة، جعلها الله عيدًا، مثابة للناس، يجتمعون فيها، وينتابونها، للدعاء والذكر والنسك، وكان للمشركين أمكنة ينتابونها للاجتماع عندها. فلما جاء الإسلام محا الله ذلك كله.

وهذا النوع من الأمكنة يدخل فيه قبور الأنبياء والصالحين والقبور التي يجوز أن تكون قبورًا لهم، بتقدير كونها قبورًا لهم، بل وسائر القبور أيضًا داخلة في هذا. اهـ



ذكر بعض شبهات الصوفية والمشركين في بناء المساجد على القبور

١ الشبهة الأولى: قولهم: قبر النبي ﷺ في مسجده، ولو كان حرامًا؛ ما فعل به ذلك الصحابة رضوان الله عليهم.

والجواب عنها:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله فِي "الرد على الأخنائي" (ص١٢٧):

ومن المعلوم بالتواتر أن ذلك كان في خلافة الوليد بن عبد الملك، وكان بعد بضع وثمانين. وقد ذكروا أن ذلك كان سنة إحدى وتسعين، وأن عمر بن عبد العزيز مكث في بنائه ثلاث سنين، وسنة ثلاث وتسعين مات فيها خلق كثير من التابعين مثل سعيد بن المسيب وغيره من الفقهاء السبعة، ويقال لها سنة الفقهاء.

وجابر بن عبد الله كان من السابقين الأولين ممن بايع بالعقبة، وتحت الشجرة، ولم يكن بقي من هؤلاء غيره لما مات، وذلك قبل تغيير المسجد بسنتين، ولم يبق بعده ممن كان بالغًا حين موت النبي ﷺ إلا سهل بن سعد الساعدي فإنه توفي سنة ثمان وثمانين، وقيل سنة إحدى وتسعين، ولهذا قيل فيه: إنه آخر من مات بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ. كما قاله أبو حاتم البستي وغيره.

وأما من مات بعد ذلك فكانوا صغارًا، مثل السائب بن يزيد الكندي ابن أخت نمر فإنه مات بالمدينة سنة إحدى وتسعين، وقيل إنه مات بعده عبد الله بن أبي طلحة الذي حنكه النبي ﷺ، وكذلك محمود بن الربيع الذي عقل مجة مجها رسول الله ﷺ في وجهه من بئر كانت في دارهم وله خمس سنين، مات سنة تسع وتسعين، وسنه [ثلاث وتسعين]، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف سماه النبي ﷺ

أسعد باسم أسعد بن زرارة مات سنة مائة. لكن هؤلاء لم يكن لهم في حياته ﷺ من التمييز ما ينقلون عنه أقواله وأفعاله التي ينقلها الصحابة، مثل ما ينقله جابر وسهل بن سعد وغيرهما.

وأما ابن عمر فكان قد مات قبل ذلك، عام قتل ابن الزبير بمكة سنة ثنتين وسبعين، وابن عباس مات قبل ذلك بالطائف سنة بضع وستين، فهؤلاء وأمثالهم من الصحابة لم يدرك أحد منهم تغيير المسجد، وإدخال الحجر فيه، وأنس بن مالك كان بالبصرة لم يكن بالمدينة، وقد قيل إنه آخر من مات بها من الصحابة.

وكانت حجر أزواج النبي ﷺ شرقي المسجد وقبليه، وقيل وشاميه، فاشتريت من ملاكها ورثة أزواجه ﷺ وزيدت في المسجد؛ فدخلت حجرة عائشة رضي الله عنها.

وكان الذي تولى ذلك عمر بن عبد العزيز نائب الوليد على المدينة، فسد باب الحجرة وبنوا حائطًا آخر عليها غير الحائط القديم، فصار المسلم عليه من وراء الجدار أبعد من المسلم عليه لما كان جدارًا واحدًا.اهـ

قال الإمام ابن عبد الهادي رحمه الله في «الصارم المنكي» (ص١٥١):

ثم إنه إنما أدخلت الحجرة في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وكان من آخرهم موتًا جابر بن عبد الله، وهو توفي في خلافة عبد الملك، فإنه توفي سنة ثمان وسبعين، والوليد تولى سنة ست وثمانين، وتوفي سنة ست وتسعين؛ فكان بناء المسجد، وإدخال الحجرة فيه فيما بين ذلك.اهـ

قال الإمام ابن باز رحمه الله كما في «مجموع فتاواه» (٤/ ٣٣٨):

والرسول محمد ﷺ وصاحباه رضي الله عنهما لم يدفنوا في المسجد وإنما دفنوا في بيت عائشة، ولكن لما وسع المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك أدخل الحجرة في المسجد في آخر القرن الأول، ولا يعتبر عمله هذا في حكم الدفن في المسجد؛ لأن الرسول ﷺ وصاحبيه لم ينقلوا إلى أرض المسجد وإنما أدخلت الحجرة التي هم

بها في المسجد من أجل التوسعة؛ فلا يكون في ذلك حجة لأحد على جواز البناء على القبور أو اتخاذ المساجد عليها أو الدفن فيها لما ذكرته آنفا من الأحاديث الصحيحة المانعة من ذلك، وعمل الوليد ليس فيه حجة على ما يخالف السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، والله ولي التوفيق.

وقال رحمه الله كما في "مجموع فتاواه" (٨/ ٣٢٧):

وأما وجود قبر النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في مسجده ﷺ فليس به حجة على دفن الموتى في المساجد؛ لأنه ﷺ دفن في بيته -في بيت عائشة رضي الله عنها ثم دفن صاحباه معه، فلما وسع الوليد بن عبد الملك المسجد أدخل الحجرة فيه على رأس المائة الأولى من الهجرة، وقد أنكر عليه ذلك أهل العلم، ولكنه رأى أن ذلك لا يمنع من التوسعة، وأن الأمر واضح لا يشتبه. وبذلك يتضح لكل مسلم أنه ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما لم يدفنوا في المسجد، وإدخالهم فيه بسبب التوسعة ليس بحجة على جواز الدفن في المساجد؛ لأنهم ليسوا في المسجد، وإنما هم في بيته ﷺ، ولأن عمل الوليد لا يصلح حجة لأحد في ذلك، وإنما الحجة في الكتاب والسنة، وفي إجماع سلف الأمة رضي الله عنهم، وجعلنا من أتباعهم بإحسان.اهـ

وفي "فتاوى اللجنة الدائمة" (١/ ٤١١) **ما نصه:**

وأما قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما، فقد كانا خارج المسجد في حجرة عائشة رضي الله عنها، ولما وسع المسجد في زمان الوليد بن عبد الملك أدخلت الحجرة في المسجد بأمر الوليد، ولم يكن ذلك بمشورة أهل العلم. والمقصود: أن مسجد الرسول ﷺ لم يبن على قبر، والحمد لله.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

بكر أبوزيد... عبد العزيز آل الشيخ... صالح الفوزان... عبد الله بن غديان...

عبد الرزاق عفيفي... عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

وقال الإمام العثيمين رَحِمَهُ اللهُ كما في "مجموع فتاواه" (١٢/ ٣٠٤):

ومن المعلوم أيضًا أن النبي ﷺ لم يدفن فيه، وإنما دفن في بيته المنفصل عن المسجد، وفي عهد الوليد بن عبد الملك كتب إلى أميره على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز في سنة (٨٨) من الهجرة أن يهدم المسجد النبوي، ويضيف إليه حجر زوجات النبي ﷺ، فجمع عمر وجوه الناس والفقهاء، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد فشق عليهم ذلك، وقالوا: تركها على حالها أدعى للعبرة، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجدًا؛ فكتب عمر بذلك إلى الوليد؛ فأرسل الوليد إليه يأمره بالتنفيذ، فلم يكن لعمر بد من ذلك، فأنت ترى أن قبر النبي ﷺ لم يوضع في المسجد ولم يبن عليه المسجد فلا حجة به لمحتج على الدفن في المساجد أو بنائها على القبور، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، قال ذلك، وهو في سياق الموت تحذيرًا لأمته مما صنع هؤلاء. ولما ذكرت له أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور قال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، أولئك شرار الخلق عند الله**». وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون من القبور مساجد**». أخرجه الإمام أحمد بسند جيد. والمؤمن لا يرضى أن يسلك مسلك اليهود والنصارى ولا أن يكون من شرار الخلق.اهـ

وقال الإمام الفوزان عافاه الله في "إعانة المستفيد" (٢/ ٣١):

نقول: إن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد، وإنما دفن في بيته خارج المسجد، والحكمة في ذلك ما ذكرته أم المؤمنين أنه خشي أن يتخذ مسجدًا، فالبيت منفرد عن المسجد، وفي معزل عن المسجد، وإنما أدخل البيت في المسجد بعد عهد الخلفاء الراشدين في وقت الوليد بن عبد الملك؛ لما أراد أن يوسع المسجد عمّم

التوسعة من جهة المشرق، فأدخل حجرة النبي ﷺ، ولم يكن هذا بمشورة أهل العلم، وإنما هذا عمل الخليفة بدون مشورة أهل العلم، ولكن مع هذا فالبيت لا يزال على شكله وحيازته، والمسجد لا يزال على وضعه والحمد لله، وما يحصل من النّاس الجهّال إنما يكون في مسجد الرسول ﷺ، وليس عند القبر، لأن القبر بعيد عنهم، ومَصُون عنهم، ولا يرونه، ولهذا لما دعا النبي ﷺ ربه قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**» استجاب الله دعاءه، فصانه في بيته، ولهذا يقول الإمام ابن القيم:

فأجـــاب رب العـــالمين دعاءه وأحاطـه بثلاثـة الجـدران.اه

٢ الشبهة الثانية: قولهم: لم ينكر الله عز وجل على الذين عزموا أن يجعلوا على أصحاب الكهف مسجدًا؛ فقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف:٢١].

والجواب عنها: جاء في "فتاوى اللجنة الدائمة" (٦/ ٢٥٦) ما نصه:

أما قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف:٢١]، فقال الإمام ابن كثير في تفسيره: حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون منهم. والثاني: أهل الشرك منهم. فالله أعلم، والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد يحذر ما فعلوا**»، ففهم من هذا أن الله لم يقرهم عليه، وعلى تقدير تقريره فإن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه، وما دام ورد شرعنا بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد فلا تجوز الصلاة فيها ولا تصح.اه

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عبد الله بن قعود... عبد الله بن غديان... عبد الرزاق عفيفي... عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

وقال الإمام الألباني رحمه الله في **"تحذير الساجد"** (ص٥٥):

الجواب عنها من ثلاثة وجوه:

الأول: أن الصحيح المتقرر في علم الأصول أن شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا لأدلة كثيرة، منها قوله ﷺ: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحدا من الأنبياء قبلي...** » فذكرها... وآخرها: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة**».

فإذا تبين هذا فلسنا ملزمين بالأخذ بما في الآية؛ لو كانت تدل على أن جواز بناء المسجد على القبر كان شريعة لمن قبلنا.

الثاني: هب أن الصواب قول من قال: (شريعة من قبلنا شريعة لنا)؛ فذلك مشروط عندهم بما إذا لم يرد في شرعنا ما يخالفه، وهذا الشرط معدوم هنا لأن الأحاديث تواترت في النهي عن البناء المذكور كما سبق؛ فذلك دليل على أن ما في الآية ليس شريعة لنا.

الثالث: لا نسلم أن الآية تفيد أن ذلك كان شريعة لمن قبلنا غاية ما فيها أن جماعة من الناس قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [الكهف:٢١]، فليس فيها التصريح بأنهم كانوا مؤمنين، وعلى التسليم فليس فيها أنهم كانوا مؤمنين صالحين متمسكين بشريعة نبي مرسل، بل الظاهر خلاف ذلك.اهـ

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في **"فتح الباري"** (كتاب الصلاة، باب ٤٨):

وقد دل القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث -يعني حديث: «**لعن الله اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»-، وهو قول الله عز وجل في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [الكهف:٢١]، فجعل اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك يشعر بأن مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المتبعين لما أنزل الله على رسله من الهدى.اهـ

وقال الإمام الشنقيطي رحمه الله في **"أضواء البيان"** (٢/ ٣٠١):

أَمَّا الْجَوابُ عَنِ الِاسْتِدْلَالِ بِالآية فَهُو أَنْ تَقُولَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَومِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف:٢١]؟ أَهُمْ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ؟ أَمْ هُمْ كَفَرَةٌ لَا يَجُوزُ الِاقْتِدَاءُ بِهِمْ؟، وقَدْ قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ رحمه الله فِي هَؤُلَاءِ الْقَومِ، مَا نَصُّهُ: وقَدِ اخْتُلِفَ فِي قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، أَهُمُ الرَّهْطُ الْمُسْلِمُونَ أَمْ هُمُ الْكُفَّارُ؟

فإذا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَى الْقَولِ بأنهمْ كُفَّارٌ؛ فَلَا إِشْكَالَ فِي أَنَّ فِعْلَهُمْ لَيْسَ بِحُجَّةٍ؛ إِذْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِالِاحْتِجَاجِ بِأَفْعَالِ الْكُفَّارِ كَمَا هُو ضَرُورِيٌّ، وعَلَى الْقَولِ: بأنهمْ مُسْلِمُونَ كَمَا يَدُلُّ لَهُ ذِكْرُ الْمَسْجِدِ؛ لِأَنَّ اتِّخَاذَ الْمَسَاجِدِ مِنْ صِفَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَخْفَى عَلَى أَدْنَى عَاقِلٍ أَنَّ قَولَ قَومٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ: إِنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ كَذَا، لَا يُعَارِضُ بِهِ النُّصُوصَ الصَّحِيحَةَ الصَّرِيحَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ فَقَابَلَ قَولَهُمْ: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف:٢١] بِقَولِهِ ﷺ فِي مَرَضِ مَوتِهِ قَبْلَ انْتِقَالِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى بِخَمْسٍ: «**لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ والنَّصَارَى: اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». الْحَدِيثَ. يَظْهَرُ لَكَ أَنَّ مَنِ اتَّبَعَ هَؤُلَاءِ الْقَومَ فِي اتِّخَاذِهِمُ الْمَسْجِدَ عَلَى الْقُبُورِ، مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ﷺ كَمَا هُو واضِحٌ.اهـ

٣ الشبهة الثالثة: قولهم: قد جاء في الحديث أن مسجد الخيف قبر فيه سبعون نبيًا، وقد صلى فيه رسول الله ﷺ.

والجواب عنها قال الإمام الألباني رحمه الله كما في **"تحذير الساجد"** (ص٦٨):

الجواب: أننا لا نشك في صلاته ﷺ في هذا المسجد، ولكننا نقول: **إن ما ذكر في الشبهة من أنه دفن فيه سبعون نبيًا لا حجة فيه من وجهين:**

الأول: أننا لا نسلم صحة الحديث المشار إليه؛ لأنه لم يروه أحد ممن عني بتدوين الحديث الصحيح، ولا صححه أحد ممن يوثق بتصحيحه من الأئمة

المتقدمين، ولا النقد الحديثي يساعد على تصحيحه؛ فإن في إسناده من يروي الغرائب، وذلك مما يجعل القلب لا يطمئن لصحة ما تفرد به

قال الطبراني في "**معجمه الكبير**" (١٣٥٢٥): حدثنا عبدان بن أحمد، ثنا عيسى بن شاذان، ثنا أبو همام الدلال، ثنا إبراهيم بن طهمان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**في مسجد الخيف قَبرُ سبعين نبيا**».

وأورده الهيثمي "**المجمع**" (٣ / ٢٩٨) بلفظ: «**قُبِر سبعون نبيا**». وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

وهذا قصور منه في التخريج فقد أخرجه الطبراني أيضا كما رأيت.

قلت: ورجال الطبراني ثقات أيضا غير عبدان بن أحمد وهو الأهوازي كما ذكر الطبراني في "**المعجم الصغير**" (ص ١٣٦)، ولم أجد له ترجمة وهو غير عبدان بن محمد المروزي، وهو من شيوخ الطبراني أيضا في "**الصغير**" (ص١٣٦) وغيره وهو ثقة حافظ له ترجمة في "**تاريخ بغداد**" (١١/ ١٣٥) و"**تذكرة الحفاظ**" (٢/ ٢٣٠) وغيرها.

لكن في رجال هذا الإسناد من يروي الغرائب مثل عيسى بن شاذان، قال فيه ابن حبان في "**الثقات**": يغرب. وإبراهيم بن طهمان، قال فيه ابن عمار الموصلي: ضعيف الحديث مضطرب الحديث.

وهذا على إطلاقه وإن كان مردودا على ابن عمار فهو يدل على أن في حديث ابن طهمان شيئا، ويؤيده قول ابن حبان في ثقات أتباع التابعين: أمره مشتبه، له مدخل في الثقات، ومدخل في الضعفاء، وقد روى أحاديث مستقيمة تشبه أحاديث الأثبات، وقد تفرد عن الثقات بأشياء معضلات سنذكره إن شاء الله في كتاب الفصل بين النقلة، إن قضى الله سبحانه ذلك، وكذلك كل شيء توقفنا في أمره ممن له مدخل في الثقات، ولذلك قال فيه الحافظ ابن حجر في "**التقريب**": ثقة يغرب.

وشيخ منصور وهو ابن المعتمر ثقة، وقد روى له ابن طهمان حديثا آخر في مشيخته (٢٤٤ / ٢) (٧٣) فالحديث من غرائبه أو من غرائب ابن شاذان.

ثم رأيته قد توبع -يعني: ابن شاذان- فقد وقفت على إسناد البزار للحديث في "**زوائده**" (ص ١٢٣ مصورة المكتب الإسلامي) فإذا هو يقول: حدثنا إبراهيم، عن المستمر العروقي ثنا محمد ثنا إبراهيم بن طهمان به.

وقال البزار: تفرد به إبراهيم عن منصور ولا نعلمه عن ابن عمر بأحسن من هذا إسنادا .

وهذه متابعة لا بأس بها العروقي بالقاف صدوق يغرب كما في "**التقريب**". فالعهدة في الحديث على ابن طهمان وجرى الهيثمي على ظاهر إسناده فقال في"**زوائد البزا ر**" : قلت: هو إسناد صحيح، ولعل قوله السابق: ورجاله ثقات، أدق لما ذكرنا من الغرابة ذلك لأن مثل هذه الكلمة لا تقتضي الصحة كما لا يخفى على من مارس هذه الصناعة لأن عدالة الرواة وثقتهم شرط واحد من شروط الصحة الكثيرة بل إن العالم لا يلجأ إلى هذه الكلمة معرضا عن التصريح بالصحة إلا لأنه يعلم أن في السند مع ثقة رجاله علة تمنع من القول بصحته أو على الأقل لم يعلم تحقق الشروط الأخرى فيه؛ فلذلك لم يصرح بصحته وهذه مسألة مهمة طالما غفل عنها المبتدئون في هذا العلم الشريف وغيرهم، ولذلك نبهت عليها في مقدمة"**تمام المنة على فقه السنة**".

وأنا أخشى أن يكون الحديث تحرف على أحدهما فقال: (قبر) بدل (صلى) لأن هذا اللفظ الثاني هو المشهور في الحديث، فقد أخرج الطبراني في "**الكبير**" (٣/ ١٥٥١) بإسناد رجاله ثقات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا:

«**صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا**» الحديث وكذلك رواه الطبراني في "**الأوسط**" (١/ ١١٩/ ٢) "**زوائده**" (٧٥) وعنه المقدسي في "**المختارة** " (٢٤٩ / ٢) والمخلص في الثالث من السادس من "**المخلصيات**" (٧٠/ ١) وأبو

محمد بن شيبان العدل في"**الفوائد**" (٢/ ٢٢٢/ ٢) وقال المنذري (٢/ ١١٦): رواه الطبراني في "**الأوسط**"، وإسناده حسن.

ولا شك في حسن الحديث عندي؛ فقد وجدت له طريقًا أخرى عن ابن عباس رواه الأزرقي في "**أخبار مكة**" (ص ٣٥) عنه موقوفا عليه، وإسناده يصلح للاستشهاد به كما بينته في كتابي الكبير "**حجة الوداع**" (ولم ينجز بعد).

ثم رواه الأزرقي (ص ٣٨) من طريق محمد بن إسحاق، قال: حدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن عباس به موقوفًا. فهذا هو المعروف في هذا الحديث، والله أعلم. وجملة القول: أن الحديث ضعيف.اهـ

٤ الشبهة الرابعة: قولهم: إن جمعًا من الأنبياء مدفونون في المسجد الحرام، وإسماعيل عليه السلام مدفون في الحِجْر.

والجواب عنها قال الإمام الألباني رحمه الله **في "تحذير الساجد"**:

الجواب: لا شك أن المسجد الحرام أفضل المساجد، والصلاة فيه بمائة ألف صلاة، ولكن هذه الفضيلة أصلية فيه منذ رفع قواعده إبراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما السلام، ولم تطرأ هذه الفضيلة عليه بدفن إسماعيل عليه السلام فيه لو صح أنه دفن فيه، ومن زعم خلاف ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا، وجاء بما لم يقله أحد من السلف الصالح رضي الله عنهم، ولا جاء به حديث تقوم الحجة به.

فإن قيل: لا شك فيما ذكرت، ودفن إسماعيل فيه لا يخالف ذلك، ولكن ألا يدل هذا على الأقل على عدم كراهية الصلاة في المسجد الذي فيه قبر؟

فالجواب: كلا، ثم كلا، وهاك البيان من وجوه:

الأول: أنه لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة كـ(الكتب الستة، ومسند أحمد، ومعاجم الطبراني الثلاثة، وغيرها)،

ضعيفًا بل موضوعًا عند بعض المحققين، وغاية ما وري في ذلك من آثار معضلات بأسانيد واهيات موقوفات أخرجها الأزرقي في "**أخبار مكة**" (ص ٣٩ و٢١٩ و٢٢٠) فلا يلتفت إليها وإن ساقها بعض المبتدعة مساق المسلمات، ونحو ذلك ما أورد السيوطي في "**الجامع**" من رواية الحاكم في "**الكنى**" عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا بلفظ: «**إن قبر إسماعيل في الحجر**».

الوجه الثاني: أن القبور المزعوم وجودها في المسجد الحرام غير ظاهرة ولا بارزة ولذلك لا تقصد من دون الله تعالى؛ فلا ضرر من وجودها في بطن أرض المسجد فلا يصح حينئذ الاستدلال بهذه الآثار على جواز اتخاذ المساجد على قبور مرتفعة على وجه الأرض لظهور الفرق بين الصورتين، وبهذا أجاب الشيخ على القاري رحمه الله تعالى فقال في "**مرقاة المفاتيح**" (١/ ٤٥٦) بعد أن حكى قول المفسر الذي أشرت إليه في التعليق:

وذكر غيره أن صورة قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر تحت الميزاب، وأن في الحطيم بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين نبيا

قال القاري: وفيه أن صورة قبر إسماعيل عليه السلام وغيره مندرسة؛ فلا يصلح الاستدلال.

وهذا جواب عالم نحرير، وفقيه خرِّيت، وفيه الإشارة إلى ما ذكرناه آنفا، وهو أن العبرة في هذه المسألة بالقبور الظاهرة، وأن ما في بطن الأرض من القبور فلا يرتبط به حكم شرعي من حيث الظاهر، بل الشريعة تنزه عن مثل هذا الحكم؛ لأننا نعلم بالضرورة والمشاهدة أن الأرض كلها مقبرة الأحياء كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات:٢٦].

قال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم.

ثم قال: ومن البين الواضح أن القبر إذا لم يكن ظاهرًا غير معروفا مكانه فلا يترتب من وراء ذلك مفسدة، كما هو مشاهد حيث ترى الوثنيات والشركيات إنما

تقع عند القبور المشرفة حتى ولو كانت مزورة، لا عند القبور المندرسة، ولو كانت حقيقة فالحكمة تقتضي التفريق بين النوعين، وهذا ما جاءت به الشريعة كما بينا سابقا فلا يجوز التسوية بينهما والله المستعان.اهـ

٥ من هو أول من بنى على القبر النبوي قبة؟

قال الإمام محمد بن الأمير الصنعاني رحمه الله في "تطهير الاعتقاد":

فإن قلتَ: هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الأموال. **قلتُ:** هذا جهل عظيم بحقيقة الحال، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ، ولا من أصحابه، ولا من تابعيهم، ولا تابعي التابعين، ولا من علماء أمته وأئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ثمان وسبعين وستمائة، ذكره في "**تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**" فهذه أمور دولية لا دليلية، يتبع فيها الآخر الأول.اهـ

٢٧ وعَنْ أَبِي واقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه: أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْواطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْواطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُلْتُمْ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً». أخرجه أحمد والترمذي بإسناد صحيحٍ[١].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

١ مسألة: حكم من تبرك بحجر أو شجر أو قبر أو غير ذلك من الأوثان.

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ رحمه الله فِي "تَيسِيرِ العَزِيزِ الحَمِيدِ" (١/ ١٤٧):

أخبر ﷺ أن هذا الأمر الذي طلبوه منه، وهو اتخاذ شجرة للعكوف عندها، وتعليق الأسلحة بها تبركاً كالأمر الذي طلبه بنو إسرائيل من موسى عليه السلام حيث قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة، والعكوف عندها، اتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها، فما الظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والذبح، والنذر لهم، والطواف بقبورهم، وتقبيلها، وتقبيل أعتابها وجدرانها، والتمسح بها، والعكوف عندها، وجعل السدنة والحجاب لها؟! وأي نسبة بين هذا، وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركًا؟!

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨)، والترمذي (٢١٨٠).

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها.

وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب "**البدع والحوادث**": ومن هذا القسم أيضًا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة، تخليق الحيطان والعمد، وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر، وفي مدينة دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحما خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث!

ثم ذكر الحديث المتقدم، وكلام الطرطوشي الذي ذكرنا، ثم قال: ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبنياني رحمه الله تعالى أحد الصالحين ببلاد أفريقية في المائة الرابعة حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية، كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق، من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت: امضوا بي إلى العافية، فتعرف بها الفتنة، قال أبو عبد الله: فأنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأذن الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأسًا، قال: فما رفع لها رأس إلى الآن.

قلت: أبو إسحاق الذي هدمها إمام مشهور من أئمة المالكية زاهد اسمه إبراهيم بن أحمد بن علي بن أسلم، وكان الإمام أبو محمد بن أبي زيد يعظم شأنه، ويقول: طريق أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد في الوقت، وكان القابسي يقول: الجبنياني إمام يقتدى به. مات سنة تسع وستين وثلاثمائة.

وذكر ابن القيم نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر، وهذه الشجرة، وهذه العين تقبل النذر، أي: تقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له.

وفي هذه الجملة من الفوائد:

أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها، والعكوف عندها، والذبح لها، هو الشرك، ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون هذا شركًا، ويقع في هذه الأمة. فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنًا، وطلبوه من النبي ﷺ حتى بين لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل: اجعل لنا إلهًا، فكيف بغيرهم مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة؟.اهـ

وقال الإمام السعدي رحمه الله في "القول السديد" (ص٥١):

فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها. فإن هذا التبرك غلو فيها، وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها، وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحد عليه، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم، وحجرة النبي ﷺ، وصخرة بيت المقدس، وغيرها من البقع الفاضلة.

وأما استلام الحجر الأسود، وتقبيله واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته فهو روح التعبد.اهـ

٢ وهل يكون التبرك شركًا أصغر؟

الجواب: نعم، الذي يذهب هنالك يتبرك بالمكان نفسه، بترابه مثلًا، أو يتمسح بالقبر، ويظن أنَّ هذا سبب للبركة، ولا يعتقد في ذلك المكان ولا في صاحبه أنه واسطة بينه وبين الله، ولا يقدم عبادة لصاحب القبر، ويعتقد أنَّ الله هو الذي يجلب النفع، ويصرف عنه الشر؛ فهذا من الشرك الأصغر الذي هو ذريعة إلى الشرك الأكبر؛ لأنه اتخذ ما ليس سببًا سببًا.

والواقع في حال عُبَّاد القبور غالبًا أنهم يعتقدون أنَّ البركة حاصلة في الميت نفسه، وأنَّ الميت هو الذي جلب البركة، وهذا شرك أكبر، وممن نبَّه على أنَّ التبرك قد يكون شركًا أصغر الإمام العثيمين رحمه الله كما في "**مجموع فتاواه**" (٢/ ٢٣١)، والشيخ صالح آل الشيخ في شرحه لـ"**كتاب التوحيد**" (ص١٢٨-١٢٩)، وقد أشار إلى ذلك الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في "**التيسير**" (١/ ١٤٥) حيث قال: فإن قلت: فأين دليل الترجمة من الآيات؟ قيل: هو بَيِّنٌ بحمد الله؛ لأنه إن كان التبرك بالشجر، والقبور، والأحجار من الأكبر فواضح، وإن كان من الأصغر فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر. انتهى

٣ مسألة: كيف يكون طلبهم ذات أنواط شركا، وهم لم يؤمروا بتجديد إسلامهم؟

جواب هذه الشبهة من وجوه:

١- أنهم معذورون؛ لأنهم حُدثاء عهد بكفر كما ورد في الحديث.

٢- أنهم ما فعلوا ما قالوه.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في "كشف الشبهات":

لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه؛ لكفروا.

وقال في كتابه - كتاب التوحيد - في المسائل: الثالثة: كونهم لم يفعلوا.اهـ

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين رحمه الله: لا شك أن هؤلاء لو اتخذوا ذات أنواط بعد إنكار النبي ﷺ عليهم؛ لكفروا. اهـ من الانتصار (ص ٣٥).

وقال الإمام عبدالله الدويش رحمه الله كما في **"التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد"** (ص٧٢):

لما شبه مقالتهم بمقالة بني إسرائيل، وجعل ذلك اتخاذ إله مع الله صار هذا شركًا أصغر، ولو كان أكبر لأمرهم بتجديد إسلامهم، والذي منعهم من الردة كونهم لم يفعلوا.اهـ

وبنفس المعنى أفتى الإمام ابن باز رحمه الله مع غيره من أعضاء اللجنة الدائمة كما في **"فتاوى اللجنة"** (٢/ ٥١-٥٢).

٤ مسألة: حكم التبرك بذوات الصالحين وآثارهم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله **في "فتح المجيد"** (باب/ ٨):

وأما ما ادَّعاه بعض المتأخرين[1] من أنه يجوز التبرك بآثار الصالحين؛ فممنوع من وجوه:

منها: أنَّ السابقين الأولين من الصحابة، ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ، لا في حياته ولا بعد موته، ولوكان خيرًا؛ لسبقونا إليه، وأفضل الصحابة أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، وقد شهد لهم النبي ﷺ فيمن شهد له بالجنة، وما فعله أحدٌ من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة، ولا فعله التابعون مع أحد ساداتهم في العلم والدين، وهم الأسوة؛ فلا يجوز أن يُقاس على

(١) الأصل أنَّ هذا قول الصوفيين، لكن حصلت زلات لبعض العلماء الأفاضل من علماء أهل السنة، كالنووي، والمازري، والحافظ ابن حجر، والقاضي عياض، فالتبرك بآثار الصالحين قد يكون شركًا أكبر، وذلك إذا اعتقد أنَّ البركة تحصل من هذا الصالح نفسه، وأما إن اعتقد أنَّ البركة من الله، وأنَّ هذا الصالح سبب في ذلك، فيكون بدعة وضلالة، ويكون شركًا أصغر.اهـ

رسول الله ﷺ أحد من الأمة، وللنبي ﷺ في حال الحياة خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره.

ومنها: أنَّ في المنع عن ذلك سدًّا لذريعة الشرك كما لا يخفى، والله أعلم.اهـ

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله في **"الاعتصام"**(١/ ٣١٠):

ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ عَنِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أنهم كَانُوا يَتبرَّكُونَ بِأَشْيَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ، فَأُتِيَ بِوضُوءٍ، فَتَوضَّأَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ**. . . الْحَدِيثَ[1].

وعَنِ الْمِسْورِ رضي الله عنه فِي حَدِيثِ الْحُدَيْبِيَةِ: «**ومَا انْتَخَمَ النَّبِيُّ ﷺ نُخَامَةً؛ إِلَّا وقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَّكَ بِهَا وجْهَهُ وجِلْدَهُ**». وفِيهِ: «**كَانَ إذا توضَّأَ يَقْتَتِلُونَ عَلَى وضُوئِهِ**»[2].

وخَرَّجَ غَيْرُهُ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي التَّبَرُّكِ بِشعْرِهِ وثَوبِهِ وغَيْرِهِمَا، حَتَّى أَنَّهُ مَسَّ بِإِصْبَعِهِ أَحَدَهُمْ بِيَدِهِ، فَلَمْ يَحْلِقْ ذَلِكَ الشَّعْرَ الَّذِي مَسَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى مَاتَ.

فَالظَّاهِرُ فِي مِثْلِ هَذَا النَّوعِ أَنْ يَكُونَ مَشْرُوعًا فِي حَقِّ مَنْ ثَبَتَتْ ولَايَتُهُ واتِّبَاعُهُ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأَنْ يُتبَرَّكَ بِفَضْلِ وضُوئِهِ، ويُتَدَلَّكَ بِنُخَامَتِهِ، ويُسْتَشْفَى بِآثَارِهِ كُلِّهَا، ويُرْجَى نَحْو مِمَّا كَانَ فِي آثَارِ الْمَتْبُوعِ الْأَعْظَمِ ﷺ.

إِلَّا أَنَّهُ عَارَضَنَا فِي ذَلِكَ أَصْلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فِي مَتْنِهِ، مُشْكِلٌ فِي تَنْزِيلِهِ، وهُو أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم ـ بَعْدَ مَوتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لَمْ يَقَعْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ خَلَّفَهُ، إِذْ لَمْ يَتْرُكِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَهُ فِي الْأُمَّةِ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه فَهُو كَانَ خَلِيفَتَهُ، ولَمْ يُفْعَلْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، ولَا عُمَرَ رضي الله عنه وهُو كَانَ فِي الْأُمَّةِ بَعْدَهُ، ثُمَّ كَذَلِكَ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، ثُمَّ سَائِرُ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ لَا أَحَدَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧)، ومسلم (٥٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

أَفْضَلَ مِنْهُمْ فِي الْأُمَّةِ، ثُمَّ لَمْ يَثْبُتْ لِواحِدٍ مِنْهُمْ مَنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ مَعْرُوفٍ أَنَّ مُتبَرِّكًا تَبرَّكَ بِهِ عَلَى أَحَدٍ تِلْكَ الْوجُوهِ أَو نَحْوها، بَلِ اقْتَصَرُوا فِيهِمْ عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِالْأَفْعَالِ والْأَقْوالِ والسِّيَرِ الَّتِي اتَّبعُوا فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ، فَهُو إذن إِجْمَاعٌ مِنْهُمْ عَلَى تَرْكِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وبَقِيَ النَّظَرُ فِي وجْهِ تَرْكِ مَا تَركُوا مِنْهُ، **ويَحْتَمِلُ وجْهَيْنِ**:

(**أَحدُهُما**): أَنْ يَعْتَقِدُوا فِيهِ الِاخْتِصَاصَ، وأَنَّ مَرْتَبَةَ النُّبُوةِ يَسَعُ فِيهَا ذَلِكَ كُلُّهُ؛ لِلْقَطْعِ بِوجُودِ مَا الْتَمَسُوا مِنَ الْبَرْكَةِ والْخَيْرِ؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نُورًا كُلُّهُ فِي ظَاهِرِهِ وبَاطِنِهِ، فَمَنِ الْتَمَسَ مِنْهُ نُورًا؛ وجَدَهُ عَلَى أَيِّ جِهَةٍ الْتَمَسَهُ؛ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْأُمَّةِ؛ فإنه ـ وإِنْ حَصَلَ لَهُ مِنْ نُورِ الِاقْتِدَاءِ بِهِ والِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ـ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَهُ عَلَى حَالٍ تُوازِيهِ فِي مَرْتَبَتِهِ، ولَا يُقَارِبُهُ فَصَارَ هَذَا النَّوْعُ مُخْتَصًّا بِهِ؛ كَاخْتِصَاصِهِ بِنِكَاحِ مَا زَادَ عَلَى الْأَرْبَعِ، وإِحْلَالِ بُضْعِ الْواهِبَةِ نَفْسَهَا لَهُ، وعَدَمِ وجُوبِ الْقَسَمِ عَلَى الزَّوجَاتِ. . . وشِبْهِ ذَلِكَ.

فَعَلَى هَذَا الْمَأْخَذِ؛ لَا يَصِحُّ لِمَنْ بَعْدَهُ الِاقْتِدَاءُ بِهِ فِي التَّبرُّكِ عَلَى أَحَدِ تِلْكَ الْوجُوهِ ونَحْوهَا، ومَنِ اقْتَدَى بِهِ كَانَ اقْتِدَاؤُهُ بِدْعَةً، كَمَا كَانَ الِاقْتِدَاءُ بِهِ فِي الزِّيَادَةِ عَلَى أَرْبَعِ نِسْوةٍ بِدْعَةً.

(**الثَّانِي**): أَنْ لَا يَعْتَقِدُوا الِاخْتِصَاصَ، ولَكِنَّهُمْ تَركُوا ذَلِكَ مِنْ بَابِ الذَّرَائِعِ؛ خَوفًا مِنْ أَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ سُنَّةً؛ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي اتِّبَاعِ الْآثَارِ والنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ، أَو لِأَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى حَدٍّ، بَلْ تَتَجاوزُ فِيهِ الْحُدُودَ، وتُبَالِغُ بِجَهْلِهَا فِي الْتِمَاسِ الْبَرَكَةِ، حَتَّى يُدَاخِلَهَا لِلْمُتبَرَّكِ بِهِ تَعْظِيمٌ يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْحَدِّ، فَرُبَّمَا اعْتَقَدَ فِي الْمُتَبَرَّكِ بِهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، وهَذَا التَّبرُّكُ هُو أَصْلُ الْعِبَادَةِ، ولِأَجْلِهِ قَطَعَ عُمَرُ رضي الله عنه الشَّجَرَةَ الَّتِي بُويِعَ تَحْتَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[1]، بَلْ هُو كَانَ أَصْلَ عِبَادَةِ الْأَوثَانِ فِي

---

(١) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» رقم (٤٢)، وفيه قال عيسى بن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون، عن نافع، فذكر ذلك عن عمر. وأخرجه ابن سعد (٢/ ١٠٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥) بسند صحيح إلى نافع، لكن نافعًا لم يدرك عمر رضي الله عنه. وقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه، في=

الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ـ حَسْبَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ السِّيَرِ ـ، فَخَافَ عُمَرُ ﷺ أَنْ يَتَمَادَى الْحَالُ فِي الصَّلَاةِ إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ حَتَّى تُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَكَذَلِكَ يَتَّفِقُ عِنْدَ التَّوَغُّلِ، وقَدْ خَرَّجَ ابْنُ وهْبٍ فِي "**جَامِعِه**" مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «كَانَ إذا تَوضَّأَ أَو تَنَخَّمَ؛ ابْتَدَرَ مَنْ حَولَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وضُوءَهُ ونُخَامَتَهُ، فَشَرِبُوهُ، ومَسَحُوا بِهِ جُلُودَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ؛ سَأَلَهُمْ: «**لِمَ تَفْعَلُونَ هَذَا؟**»، قَالُوا: نَلْتَمِسُ الطُّهُورَ والْبَرَكَةَ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُحِبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ؛ فَلْيَصْدُقِ الْحَدِيثَ، ولْيُؤَدِّ الْأَمَانَةَ، ولَا يُؤْذِ جَارَهُ**»[(١)].

فَإِنْ صَحَّ هَذَا النَّقْلُ؛ فَهُو مُشْعِرٌ بِأَنَّ الْأَوْلَى تَرْكَهُ، وأَنْ يَتَحَرَّى مَا هُو الْآكَدُ والْأَحْرَى مِنْ وظَائِفِ التَّكْلِيفِ، ولَا يَلْزَمُ الْإِنْسَانَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ.

ولَمْ يَثْبُتْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ الرُّقْيَةِ ومَا يَتْبَعُهَا، أَو دُعَاءِ الرَّجُلِ لِغَيْرِهِ عَلَى وجْهٍ سَيَأْتِي بِحَولِ اللَّهِ.

فَقَدْ صَارَتِ الْمَسْأَلَةُ مَنْ أَصْلِهَا دَائِرَةً بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَنْ تَكُونَ مَشْرُوعَةً، وأَنْ تَكُونَ بِدْعَةً، فَدَخَلَتْ تَحْتَ حُكْمِ الْمُتَشَابِهِ، واللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ

= "البخاري" أنه قال: لما كان العام المقبل من بيعة الرضوان لم يجتمع منا اثنان على الشجرة. يعني: أنهم اختلفوا فيها، وصاروا لا يعرفون أي شجرة هي. قال ابن عمر: رحمة من الله. وفي "الصحيحين" عن المسيب بن حزن ﷺ، أنه قال: نسينا مكانها من العام المقبل. فهذا هو الظاهر، أنَّ الصحابة ﷺ، لم يعرفوا مكانها؛ فيدل هذا على ضعف أثر عمر، وقد ضعفه الألباني ﷺ في "تحذير الساجد" (ص٩٣). ولو فرض صحة أثر عمر ﷺ؛ فإنه يُحمل على أنَّ أناسًا زين لهم الشيطان بتحديد شجرة فظنوها هي، فجعلوا يتعبدون الله عندها، فأمر بقطعها.

(١) ضعيف: إسناده ضعيف؛ لأن شيخ الزهري مبهم، ولم يذكر أنه صحابي.

وقد أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٧)، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٩١٠٤) من طريق معمر، عن الزهري، قال: حدثني من لا أتهم من الأنصار... فذكره.

قال أبو عبد الله عافاه الله: الوجه الأول هو الصحيح بلا ريب، وهي أنها من خصوصياته ﷺ لما ذكره الشاطبي رحمه الله، وبالله التوفيق.

٥ مسألة: هل هناك تبرك واجب، ومستحب؟

نعم، التبرك الواجب هو التبرك بالعبادات الواجبة، كالصلاة المفروضة، وصيام رمضان...، ونحو ذلك، والتبرك المستحب هو التبرك بالعبادات المستحبة.

٦ سؤال: هل يوصف ربُّنا بصفة البركة؟

الجواب: يوصف ربُّنا بصفة التبارك، ومعناها: التعاظم، والتعالي، ودليله قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤]، وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك:١].

ويوصف بصفة المباركة، ودليله قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء:١]، وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]، وإذا دُعي لمخلوق بالبركة يقال فيه: بارك الله في فلان. ولا يقال: تبارك الله في فلان؛ لأنَّ صفة التبارك ذاتية، وصفة المباركة متعدية.



٢٩ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١).

٣٠ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وانْتَكَسَ، وإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ» أخرجه البخاري (٢٦٨٨).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديثين

١ تعريف الرياء.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "**الفتح**"(٦٤٩٩): هو مشتقٌّ من الرؤية، والمراد بها إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبها والفرق بينه وبين السمعة: أنَّ الرياء لما يُرى من العمل، كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة، والوعظ، والذكر، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله.اهـ

٢ مسألة: حكم الرياء وبيان ما يكون منه شركًا أكبر، وما يكون أصغر.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في **"جامع العلوم والحكم"** (حديث/ ١):

واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياءً محضًا، بحيث لا يراد به سوى مرآت المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون:٤-٦]، وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٤٧].

وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.اهـ

وفي "فتاوى اللجنة الدائمة" (١/ ٧٤٩) ما نصه:

أما إذا كان لا يأتي بأصل العبادة إلا رياء ولولا ذلك ما صلى ولا صام ولا ذكر الله، ولا قرأ القرآن فهو مشرك شركا أكبر، وهو من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢]﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٤٣] الآية، إلى أن قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦]، وصدق فيهم قوله تعالى في الحديث القدسي «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» رواه مسلم في صحيحه.اهـ

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عبد الله بن قعود ❊ عبد الله بن غديان ❊ عبد الرزاق عفيفي ❊ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله:

وتارة يكون العمل لله، ويشاركه الرياء[١]، فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضا.

وفي "**صحيح مسلم**" عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشريكه**».

وخرّجه ابن ماجه، ولفظه: «**فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك**»، -ثم ذكر أحاديث في نفس المعنى- ثم قال:

وخرج النسائي بإسناد جيد عن أبي أمامة الباهلي: أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**». فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ -: «**لا شيء له**»، ثم قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغي به وجهه**».

وممن روي عنه هذا المعنى، وأن العمل إذا خالطه شيء من الرياء كان باطلا: طائفة من السلف، منهم: عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، والحسن، وسعيد بن المسيب، وغيرهم.

ولا نعرف عن السلف في هذا خلافا، وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين.

فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية، وفي "**صحيح**

---

(١) إذا دخل الرياء على الإنسان في أثناء العبادة، فإذا كانت العبادة متصلة بعضها ببعض؛ بطلت العبادة كلها كالصلاة، وإن كانت العبادة منفصلة؛ كأن يكون حَجًّا، كأن يرائي في الطواف، أوفي السعي، فيعيده؛ لأنه يبطل عليه الطواف فقط، ولا يبطل الحج، فهذا التفصيل إذا استرسل في الرياء، وأما إذا دفعه مباشرة؛ فلا شيء عليه. انظر: "القول المفيد" للعثيمين رحمه الله.

مسلم" عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الغزاة إذا غنموا غنيمة، تعجلوا ثلثي أجرهم، فإن لم يغنموا شيئا، تم لهم أجرهم**».

وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عرضا من الدنيا أنه لا أجر له، وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا.

وقال الإمام أحمد: التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

وقال أيضا: فيمن يأخذ جعلا على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس أن يأخذ، كأنه خرج لدينه، فإن أعطي شيئا أخذه.

وكذا روي عن عبد الله بن عمرو، قال: إذا أجمع أحدكم على الغزو، فعوضه الله رزقا، فلا بأس بذلك، وأما إن أحدكم إن أعطي درهما غزا، وإن منع درهما مكث، فلا خير في ذلك.

وكذا قال الأوزاعي: إذا كانت نية الغازي على الغزو، فلا أرى بأسا.

وهكذا يقال فيمن أخذ شيئا في الحج ليحج به: إما عن نفسه، أو عن غيره، وقد روي عن مجاهد أنه قال في حج الجمال وحج الأجير وحج التاجر: هو تمام لا ينقص من أجورهم شيء، وهذا محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب.

قال رحمه الله: وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ودفعه، فلا يضره بغير خلاف.

إن كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء واسترسل معه، يجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره.

وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله، كالصلاة والصيام والحج، فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نية.

ولا يرد على هذا الجهاد، فإن الجهاد يلزم بحضور الصف، ولا يجوز تركه حينئذ، فيصير كالحج.

قال رحمه الله: فأما إذا عمل العمل لله خالصا، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك.

وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر، عن النبي ﷺ، أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه، فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن. خرجه مسلم.

وخرّجه ابن ماجه وعنده: «**الرجل يعمل العمل لله فيحبه الناس عليه**». وبهذا المعنى فسره الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وابن جرير الطبري، وغيرهم.

وكذلك الحديث الذي خرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة: أن رجلا قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل فيسره، فإذا اطلع عليه أعجبه[1]، فقال: «**له أجران: أجر السر، وأجر العلانية**»[2].اهـ ملخصًا.

---

(١) قال الترمذي في السنن عقب الحديث (٢٣٨٤): وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقال: إذا اطلع عليه فأعجبه فإنما معناه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير لقول النبي ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**» فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا لما يرجو بثناء الناس عليه، فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ليكرم على ذلك ويعظم عليه فهذا رياء. وقال بعض أهل العلم: إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله فيكون له مثل أجورهم فهذا له مذهب أيضا.

(٢) ضعيف، الراجح إرساله: أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٥٥٢)، وابن ماجه (٤٢٢٦)، والترمذي (٢٣٨٤)، والبزار (٨٩٢١)، وابن حبان (٣٧٥)، من طريق سعيد بن سنان أبي سنان الشيباني، عن حبيب بن أبي ثابت، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عن أبي هريرة به.

وسعيد بن سنان، عنده أخطاء وأوهام، وقد أخطأ في الحديث؛ فإن الراجح فيه الإرسال. =

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٤):

وأما الشرك الأصغر، فكيسير الرياء[١]، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: (ما شاء الله وشئت. وهذا من الله ومنك. وأنا بالله وبك. وما لي إلا الله وأنت. وأنا متوكل على الله وعليك. ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا)، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده. انتهى[٢]

٣ شروط قبول العمل عند الله عز وجل.

ولا خلاف أن الإخلاص شرطٌ لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، قال: أخلصه، وأصوبه. قيل: يا أبا علي، ما أخلصه، وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا؛ لم يقبل، وإذا كان صوابًا، ولم يكن خالصًا؛ لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.[٣]

= قال الترمذي رحمه الله: هذا حديث غريب، وقد روى الأعمش، وغيره عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا، وأصحاب الأعمش لم يذكروا فيه عن أبي هريرة.اهـ

وقال أبو حاتم: الصحيح عندي مرسل.اهـ العلل (٢٧٦).

وقال الدارقطني في "العلل" (١٤٩٩): والصحيح من ذلك قول من قال، عن الأعمش، عن حبيب، عن أبي صالح مرسلا.

(١) كلامه هذا يعني أن كثرة الرياء من الشخص تدل على فساد باطنه، وأنه منافق، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢﴾ [النساء:١٤٢]، فكثرة الرياء من الشخص تدل على أنه منافق نفاقًا أكبر.

(٢) من "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٤).

(٣) صحيح. الأثر ذكره ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (١/ ٧٢)، والبغوي في "تفسيره" عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:٢]، وقد أسنده ابنُ أبي الدنيا في كتابه "الإخلاص" (٢٢) عن محمد بن علي بن شقيق، عن إبراهيم بن الأشعث، عن الفُضيل بن عياض به، وإبراهيم بن الأشعث هو خادم الفُضَيل، وقد وثِّق كما في "اللسان"، وروى بعضَ المنكرات.

٤ متى يكون الرجل مخلصًا؟

قال شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ **كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (١٨/ ٢٦٠):**

وأَمَّا النِّيَّةُ الَّتِي هِيَ إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ فَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي حَدِّهَا وحَدِّ الإِخْلَاصِ كَقَولِ بَعْضِهِمْ: المُخْلِصُ هُو الَّذِي لَا يُبَالِي لَو خَرَجَ كُلُّ قَدْرٍ لَهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ صَلَاحِ قَلْبِهِ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، ولَا يُحِبُّ أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ عَلَى مَثَاقِيلِ الذَّرِّ مِنْ عَمَلِهِ، وأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ الحَسَنِ.

لَكِنَّ كَلَامَهُمْ يَتَضَمَّنُ الإِخْلَاصَ فِي سَائِرِ الأَعْمَال، وهَذَا لَا يَقَعُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، بَلْ لَا يَقَعُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ بَلْ غَالِبُ المُسْلِمِينَ يُخْلِصُونَ لِلَّهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ كَإِخْلَاصِهِمْ فِي الأَعْمَالِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُمْ مِثْلَ صَوم شَهْرِ رَمَضَانَ فَغَالِبُ المُسْلِمِينَ يَصُومُونَهُ لِلَّهِ، وكَذَلِكَ مَنْ دَاومَ عَلَى الصَّلَوَاتِ فإنه لَا يُصَلِّي إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا فَإِنَّمَا يُصَلِّي حَيَاءً أَو رِيَاءً أَو لِعِلَّةٍ دُنْيَوِيَّةٍ؛ ولِهَذَا قَالَ ﷺ فِيمَا رَواهُ التِّرْمِذِيُّ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ؛ فإن اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨] الآيَةَ**»[١]. ومَنْ لَمْ يُصَلِّ إِلَّا بِوضُوءٍ واغْتِسَالٍ فإنه لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا لِلَّهِ ولِهَذَا قَالَ ﷺ فِيمَا رَواهُ أَحْمَدُ وابْنُ مَاجه مِنْ حَدِيثِ ثوبان عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**اسْتَقِيمُوا ولَنْ تَحْصُوا، واعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ، ولَا يُحَافِظُ عَلَى الوضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»[٢] فإن الوضُوءَ سِرٌّ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وقَدْ يَنْتَقِضُ وضُوؤهُ ولَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ فإذا حَافَظَ عَلَيْهِ لَمْ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١١٦٥١)، والدارمي (١٢٥٩)، والترمذي (٣٠٩٣)، وغيرهم، وهو من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري به. ودراج بن سمعان فيه ضعف؛ لاسيما فيما رواه عن أبي الهيثم.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٣٧٨)، والدارمي (٦٨١)، وابن ماجه (٢٧٧)، وغيرهم، من حديث ثوبان رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

يُحَافِظْ عَلَيْهِ إِلَّا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ومَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مُؤْمِنًا والْإِخْلَاصُ فِي النَّفْعِ الْمُتَعَدِّي أَقَلُّ مِنْهُ فِي الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ ولِهَذَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» الْحَدِيثَ.

فائدة: قال شَيْخُ الإِسْلَام رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٠/ ٢٧٧):

وكَثِيرًا مَا يَقْرِنُ النَّاسُ بَيْنَ الرِّيَاءِ والْعُجْبِ فَالرِّيَاءُ مِنْ بَابِ الإِشْرَاكِ بِالْخَلْقِ والْعُجْبُ مِنْ بَابِ الإِشْرَاكِ بِالنَّفْسِ، وهَذَا حَالُ الْمُسْتَكْبِرِ فَالْمُرَائِي لَا يُحَقِّقُ قَولَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] والْمُعْجَبُ لَا يُحَقِّقُ قَولَهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] فَمَنْ حَقَّقَ قَولَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] خَرَجَ عَنْ الرِّيَاءِ، ومَنْ حَقَّقَ قَولَهُ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] خَرَجَ عَنْ الإِعْجَابِ وفِي الْحَدِيثِ الْمَعْرُوفِ: «**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ وهَوى مُتَّبَعٌ وإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ**»(١). وشَرٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ وهَؤُلَاءِ مَنْ لَا تَكُونُ عِبَادَتُهُ لِلَّهِ ولَا اسْتِعَانَتُهُ بِاَللَّهِ بَلْ يَعْبُدُ غَيْرَهُ ويَسْتَعِينُ غَيْرَهُ وهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ الوجْهَيْنِ.اهـ

٥ مسألة: الحذر من ترك العمل الصالح؛ خوفًا من الرياء.

قال شَيْخُ الإِسْلَام رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (٢٣/ ١٧٥):

ومَنْ كَانَ لَهُ ورْدٌ مَشْرُوعٌ مِنْ صَلَاةِ الضُّحَى أَو قِيَامِ لَيْلٍ أَو غَيْرِ ذَلِكَ؛ فإنه يُصَلِّيهِ حَيْثُ كَانَ ولَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَدَعَ ورْدَهُ الْمَشْرُوعَ؛ لِأَجْلِ كَونِهِ بَيْنَ النَّاسِ إذا عَلِمَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ سِرًّا لِلَّهِ مَعَ اجْتِهَادِهِ فِي سَلَامَتِهِ مِنْ الرِّيَاءِ ومُفْسِدَاتِ الإِخْلَاصِ؛ ولِهَذَا قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: تَرْكُ الْعَمَلِ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ والْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ. وفِعْلُهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ مَعِيشَتُهُ الَّتِي يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَفْعَلَهُ حَيْثُ تَتَعَطَّلُ مَعِيشَتُهُ ويَشْتَغِلُ قَلْبُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ فإن

---

(١) أخرجه البزار (٦٤٩١، و٧٢٩٣)، والدولابي في الكنى (٨٤٧)، والطبراني في "الأوسط" (٥٤٥٢)، وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه، وهو حديث صحيح بشواهده. وانظر "الصحيحة" (١٨٠٢).

الصَّلَاةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَجْمَعَ لِلْقَلْبِ وأَبْعَدَ مِنْ الوسْواسِ كَانَتْ أَكْمَلَ. **ومَنْ نَهَى عَنْ أَمْرٍ مَشْرُوعٍ بِمُجَرَّدِ زَعْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ رِيَاءٌ فَنَهْيُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ مِنْ وجُوهٍ:**

أَحَدُهَا: أَنَّ الأَعْمَالَ المَشْرُوعَةَ لَا يُنْهَى عَنْهَا خَوفًا مِنَ الرِّيَاءِ بَلْ يُؤْمَرُ بِهَا وبِالْإِخْلَاصِ فِيهَا ونَحْنُ إذا رَأَيْنَا مَنْ يَفْعَلُهَا أَقْرَرْنَاهُ وإِنْ جَزَمْنَا أَنَّهُ يَفْعَلُهَا رِيَاءً فَالْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢] فَهَؤُلَاءِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ والْمُسْلِمُونَ يُقِرُّونَهُمْ عَلَى مَا يُظْهِرُونَهُ مِنَ الدِّينِ وإِنْ كَانُوا مُرَائِينَ ولَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ الظَّاهِرِ؛ لِأَنَّ الفَسَادَ فِي تَرْكِ إِظْهَارِ المَشْرُوعِ أَعْظَمُ مِنْ الفَسَادِ فِي إِظْهَارِهِ رِيَاءً كَمَا أَنَّ فَسَادَ تَرْكِ إِظْهَارِ الإيمان والصَّلَواتِ أَعْظَمُ مِنْ الفَسَادِ فِي إِظْهَارِ ذَلِكَ رِيَاءً؛ ولِأَنَّ الإِنْكَارَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى الفَسَادِ فِي إِظْهَارِ ذَلِكَ رِئَاءَ النَّاسِ.

الثَّانِي: لِأَنَّ الإِنْكَارَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى مَا أَنْكَرَتْهُ الشَّرِيعَةُ، وقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهُ ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أومر أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، ولَا أَنْ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ؟**»[(١)] وقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: مَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَحْبَبْنَاهُ، ووالَيْنَاهُ عَلَيْهِ، وإِنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ. ومَنْ أَظْهَرَ لَنَا شَرًّا أَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ وإِنْ زَعَمَ أَنَّ سَرِيرَتَهُ صَالِحَةٌ[(٢)].

الثَّالِثُ: أَنَّ تَسْوِيغَ مِثْلِ هَذَا يُفْضِي إِلَى أَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ والْفَسَادِ يُنْكِرُونَ عَلَى أَهْلِ الخَيْرِ والدِّينِ إذا رَأَوا مَنْ يُظْهِرُ أَمْرًا مَشْرُوعًا مَسْنُونًا قَالُوا: هَذَا مِرَاءٌ فَيَتْرُكُ أَهْلُ الصِّدْقِ والْإِخْلَاصِ إِظْهَارَ الأُمُورِ المَشْرُوعَةِ حَذَرًا مِنْ لَمْزِهِمْ وذَمِّهِمْ فَيَتَعَطَّلُ الخَيْرُ ويَبْقَى لِأَهْلِ الشِّرْكِ شَوكَةٌ يُظْهِرُونَ الشَّرَّ ولَا أَحَدَ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ وهَذَا مِنْ أَعْظَمِ المَفَاسِدِ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٦٤١).

الرَّابِعُ: أَنَّ مِثْلَ هَذَا مِنْ شَعَائِرِ الْمُنَافِقِينَ وهُو يَطْعَنُ عَلَى مَنْ يُظْهِرُ الأَعْمَالَ الْمَشْرُوعَةَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٧٩]، فإن النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا حَضَّ عَلَى الإِنْفَاقِ عَامَ تَبُوكَ جَاءَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ يَدُهُ تَعْجِزُ مِنْ حَمْلِهَا فَقَالُوا: هَذَا مِرَاءٌ وجَاءَ بَعْضُهُمْ بِصَاعٍ فَقَالُوا: لَقَدْ كَانَ اللهُ غَنِيًّا عَنْ صَاعِ فُلَانٍ فَلَمَزُوا هَذَا وهَذَا فَأَنْزَلَ اللهُ ذَلِكَ[1]. وصَارَ عِبْرَةً فِيمَنْ يَلْمِزُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ ورَسُولِهِ واللهُ أَعْلَمُ.اهـ

(٦) تفسير قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [هود:١٥] .... إلى قوله: ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود:١٦].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "عدة الصابرين" (ص١٦٣):

وقد أشكل فهم هذه الآية على كثير من الناس حيث فهموا منها أن من كان له إرادة في الدنيا وزينتها؛ فله هذا الوعيد، ثم اختلفوا في معناها:

فقالت طائفة منهم ابن عباس: من كان يريد تعجيل الدنيا؛ فلا يؤمن بالبعث، ولا بالثواب ولا بالعقاب[2]. قالوا: والآية في الكفار خاصة على قول ابن عباس.

وقال قتادة: من كانت الدنيا همه وسدمه ونيته وطلبه؛ جازاه الله في الدنيا بحسناته، ثم يفضي الى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها. وأما المؤمن فيجزى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أنس بإسناد صحيح، قال: حدثنا أبي، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس بن مالك في قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ قال: نزلت في اليهود والنصارى.

قال هؤلاء: فالآية في الكفار بدليل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود:١٦] قالوا: المؤمن من يريد الدنيا والآخرة؛ فأما من كانت إرادته مقصورة على الدنيا فليس بمؤمن.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أبى صالح عنه: نزلت في أهل القبلة[١]. قال مجاهد هم أهل الرياء وقال الضحاك: من عمل صالحًا من أهل الإيمان من غير تقوى عجل له ثواب عمله في الدنيا. واختار الفراء هذا القول وقال: من أراد بعمله من أهل القبلة ثواب الدنيا عجل له ثوابه ولم يبخس. وهذا القول أرجح ومعنى الآية على هذا من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها وهذا لا يكون مؤمنا البتة فإن العاصي والفاسق ولو بالغا في المعصية والفسق؛ فإيمانهما يحملهما على أن يعملا أعمال البر لله فيريدان بأعمال البر وجه الله وإن عملا بمعصيته.

فأما من لم يرد بعمله وجه الله وإنما أراد به الدنيا وزينتها؛ فهذا لا يدخل في دائرة أهل الإيمان، وهذا هو الذي فهمه معاوية من الآية واستشهد بها على حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم في "**صحيحه**"[٢] في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة: القارئ الذي قرأ القرآن؛ ليقال فلان قارئ، والمتصدق الذي أنفق أمواله ليقال: فلان جواد، والغازي الذي قتل في الجهاد؛ ليقال هو جريء.

وكما أن خيار خلق الله هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون؛ فشرار الخلق من تشبه بهم، وليس منهم؛ فمن تشبه بأهل الصدق والاخلاص وهو مراء كمن تشبه بالأنبياء وهو كاذب.

ويدل على صحة هذا القول في الآية قوله تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾، وذلك على أنها في قوم لهم أعمال لم يريدوا بها وجه الله، وإنما أرادوا بها الدنيا، ولها عملوا فوفاهم الله ثواب أعمالهم فيها من غير بخس، وأفضوا الى الآخرة بغير عمل

---

(١) أخرجه بمعناه ابن جرير، وابن أبي حاتم بسلسلة العوفيين المشهورة بالضعف.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يستحقون عليه الثواب، وهذا لا يقع ممن يؤمن بالآخرة إلا كما يقع منه كبائر الأعمال وقوعا عارضا يتوب منه ويراجع التوحيد.

وقال ابن الأنباري: فعلى هذا القول، المعنى: في قوم من أهل الاسلام يعملون العمل الحسن؛ لتستقيم به دنياهم غير متفكرين في الآخرة وما ينقلبون اليه فهؤلاء يجعل لهم جزاء حسناتهم في الدنيا، فإذا جاءت الآخرة كان جزاؤهم عليها النار اذ لم يريدوا بها وجه الله، ولم يقصدوا التماس ثوابه وأجره.

ثم أورد صاحب هذا القول على أنفسهم سؤالا، قالوا: فإن قيل الآية الثانية على هذا القول توجب تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا في النار؟

وأجابوا عنه بأن ظاهر الآية يدل على أن من راءى بعمله، ولم يلتمس به ثواب الآخرة بل كانت نيته الدنيا فإن الله يبطل إيمانه عند الموافاة فلا يوافي ربه بالإيمان قالوا: ويدل عليه قوله: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود:١٦]، وهذا يتناول أصل الإيمان وفروعه.

وأجابت فرقة أخرى: بأن الآية لا تقتضي الخلود الأبدي في النار، وإنما تقتضي أن الذي يستحقونه في الآخرة النار، وأنهم ليس لهم عمل صالح يرجون به النجاة فإذا كان مع أحدهم عمود التوحيد؛ فإنه يخرج به من النار مع من يخرج من أصحاب الكبائر الموحدين، وهذا هو جواب ابن الأنباري، وغيره .

والآية بحمد الله لا إشكال فيها، والله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها، وهو النار، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه؛ فإذا أحبط ما ينجو به وبطل لم يبق معه ما ينجيه؛ فإن كان معه إيمان لم يرد به الدنيا وزينتها، بل أراد الله به والدار الآخرة، لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل، وأنجاه إيمانه من الخلود في النار، وإن دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة المطلقة.

والإيمان إيمانان: إيمان يمنع من دخول النار، وهو الإيمان الباعث على أن تكون الأعمال لله يبتغى بها وجهه وثوابه. **وإيمان يمنع الخلود في النار** وإن كان مع

المرائي شيءٌ منه وإلا كان من أهل الخلود؛ فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد، والله الموفق، وذلك قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠]، ومنه قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨].

فهذه ثلاث مواضع من القرآن يشبه بعضها بعضا ويصدق بعضها بعضا وتجتمع على معنى واحد، وهو أن من كانت الدنيا مراده، ولها يعمل في غاية سعيه لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن كانت الآخرة مراده ولها عمل وهي غاية سعيه فهي له.

بقي أن يقال: فما حكم من يريد الدنيا والآخرة فإنه داخل تحت حكم الإرادتين فبأيهما يلحق؟

قيل: من هاهنا نشأ الإشكال، وظن من ظن من المفسرين أن الآية في حق الكافر فإنه هو الذى يريد الدنيا دون الآخرة، وهذا غير لازم طردا ولا عكسا فإن بعض الكفار قد يريد الآخرة وبعض المسلمين قد لا يكون مراده إلا الدنيا، والله تعالى قد علق السعادة بإرادة الآخرة، والشقاوة بإرادة الدنيا؛ فإذا تجردت الإرادتان تجرد موجبهما ومقتضاهما وإن اجتمعتا فحكم اجتماعهما حكم اجتماع البر والفجور والطاعة والمعصية والإيمان والشرك في العبد، وقد قال تعالى لخير الخلق بعد الرسل ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾، وهذا خطاب للذين شهدوا معه الوقعة، ولم يكن فيهم منافق، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما شعرت أن أحد أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية[1].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم في تفسير الآية المذكورة من طرق متعددة، وهو أثر صحيح بطرقه.

والذين أريدوا في هذه الآية هم الذين أخلوا مركزهم الذى أمرهم رسول الله بحفظه وهم من خيار المسلمين، ولكن هذه إرادة عارضة حملتهم على ترك المركز والإقبال على كسب الغنائم بخلاف من كان مراده بعمله الدنيا وعاجلها؛ فهذه الإرادة لون وارادة هؤلاء لون.

وها هنا أمر يجب التنبيه له وهو أنه لا يمكن إرادة الدنيا وعاجلها بأعمال البر دون الآخرة مع الإيمان بالله ورسوله ولقائه أبدًا؛ فإن الإيمان بالله والدار الآخرة يستلزم إرادة العبد لرحمة الله والدار الآخرة بأعماله فحيث كان مراده بها الدنيا فهذا لا يجامع الإيمان أبدا، وإن جامع الإقرار والعلم؛ فالإيمان وراء ذلك والإقرار والمعرفة حاصلان لمن شهد الله سبحانه له بالكفر مع هذه المعرفة كفرعون وثمود واليهود الذين شاهدوا رسول الله وعرفوه كما عرفوا أبناءهم، وهم من أكفر الخلق بإرادة الدنيا وعاجلها، فالأعمال قد تجامع هذه المعرفة والعلم، ولكن الإيمان الذى هو وراء ذلك لا بد أن يريد صاحبه بأعماله الله والدار الآخرة، والله المستعان.اهـ

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كما في "مجموع مؤلفاته" (٥/ ١٢٠- ١٢٣):

وقد ذكر عن السلف من أهل العلم فيها -يعني الآية المتقدمة- أنواع مما يفعل الناس اليوم ولا يعرفون معناه:

النوع الأول: من ذلك العمل الصالح الذي يفعل كثير من الناس ابتغاء وجه الله، من صدقة وصلاة وإحسان إلى الناس، ونحو ذلك، وكذلك ترك ظلم أو كلام في عرض، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن الله يجازيه بحفظ ماله وتنميته، وحفظ أهله وعياله وإدامة النعمة عليهم ونحو ذلك، ولا همة له في طلب الجنة ولا الهرب من النار، فهذا

يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب، وهذا النوع ذكر عن ابن عباس في تفسير الآية.

وقد غلط بعض مشايخنا بسبب عبارة في "**شرح الإقناع**" في أول باب النية، لما قسم الإخلاص مراتب، وذكر هذا منها ظن أنه يسميه إخلاصا مدحا له وليس كذلك، وإنما أراد أنه لا يسمى رياء، وإلا فهو عمل حابط في الآخرة.

والنوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رئاء الناس، لا طلب ثواب الآخرة، وهو يظهر أنه أراد وجه الله وإنما صلى أو صام أو تصدق أو طلب العلم لأجل أن الناس يمدحونه ويجل في أعينهم، فإن الجاه من أعظم أنواع الدنيا. ولما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار وهم: الذي تعلم العلم ليقال عالم حتى قيل، وتصدق ليقال جواد، وجاهد ليقال شجاع، بكى معاوية بكاء شديدًا، ثم قرأ هذه الآية.

النوع الثالث: أن يعمل الأعمال الصالحة ومقصده بها مالا، مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو مهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر هذا النوع أيضا في تفسير هذه الآية كما في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة**»[1] إلخ. وكما يتعلم العلم لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا. وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم، لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس ولا يحصل لهم طائل. والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم، لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير العظيم وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم وهو العذاب في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

النوع الرابع: أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرًا يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، وتصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر أو كفر أكبر يخرجهم عن الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم؛ فهذا النوع أيضا قد ذكر في الآية عن أنس بن مالك[(١)] وغيره. وكان السلف يخافون منه كما قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة:٢٧]. فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمال ما حمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثره، فصارت الدنيا أكبر قصده؛ فلذلك قيل قصد الدنيا، وصار ذلك القليل كأنه لم يكن كقوله ﷺ «**صل فإنك لم تصل**»، والأول أطاع الله ابتغاء وجهه، لكن أراد من الله الثواب في الدنيا، وخاف على الحظ والعيال مثل ما يقول الفسقة، فصح أن يقال: قصد الدنيا. والثاني والثالث واضح.

لكن بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالا كثيرة أو قليلة قاصدا بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو الواقع كثيرا.

فالجواب أن هذا عمل للدنيا والآخرة، ولا ندري ما يفعل الله في خلقه، والظاهر أن الحسنات والسيئات تدافعا، وهو لما غلب عليه منهما. وقد قال بعضهم: أن القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص، ويسكت

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير الآية: قال: حدثنا أبي، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس بن مالك في قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا ﴾ قال: نزلت في اليهود والنصارى. وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثقات.

عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله، ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال، وأما الفرق بين الحبوط والبطلان؛ فلا أعلم بينهما فرقا بينا، والله أعلم.اهـ

٧ شرح قوله ﷺ: «تعس عبد الدينار...»

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (١٠/ ١٨٠):

ولِهَذَا كَانَ الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَخْفى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ. وفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَم تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعِسَ عَبْدُ القَطِيفَةِ تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ تَعِسَ وانْتَكَسَ وإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وإِنْ مُنِعَ سَخِطَ**»(١). فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ الدِّرْهَمِ وعَبْدَ الدِّينَارِ وعَبْدَ القَطِيفَةِ وعَبْدَ الخَمِيصَةِ. وذِكْرُ مَا فِيهِ دُعَاءٌ وخَبَرٌ وهُو قَوْلُهُ: «**تَعِسَ وانْتَكَسَ وإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**» والنَّقْشُ إخْرَاجُ الشَّوكَةِ مِنْ الرِّجْلِ والْمِنْقَاشُ مَا يُخْرَجُ بِهِ الشَّوكَةُ وهَذِهِ حَالُ مَنْ إذا أَصَابَهُ شَرٌّ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ ولَمْ يُفْلِحْ لِكَونِهِ تَعِسَ وانْتَكَسَ فَلَا نَالَ المَطْلُوبَ ولَا خَلَصَ مِنْ المَكْرُوهِ، وهَذِهِ حَالُ مَنْ عَبَدَ المَالَ، وقَدْ وصِفَ ذَلِكَ بأنه «**إذَا أُعْطِيَ رَضِيَ وإِذَا مُنِعَ سَخِطَ**» كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة:٥٨]، فَرِضَاهُمْ لِغَيْرِ اللهِ وسَخَطُهُمْ لِغَيْرِ اللَّهِ، وهَكَذَا حَالُ مَنْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِرِئَاسَةٍ أَو بِصُورَةٍ، ونَحو ذَلِكَ مِنْ أَهْواءِ نَفْسِهِ إنْ حَصَلَ لَهُ رَضِيَ وإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ سَخِطَ، فَهَذَا عَبْدُ مَا يَهْواهُ مِنْ ذَلِكَ، وهُو رَقِيقٌ لَهُ إذْ الرِّقُّ والْعُبُودِيَّةُ فِي الحَقِيقَةِ هُو رِقُّ القَلْبِ وعُبُودِيَّتُهُ؛ فَمَا اسْتَرَقَّ القَلْبَ واسْتَعْبَدَهُ فَهُو عَبْدُهُ.

ولِهَذَا يُقَالُ:

العَبْدُ حُرٌّ مَا قَنِعَ ... والْحُرُّ عَبْدٌ مَا طَمِعَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقَالَ القَائِلُ:

أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي ... ولَو أَنِّي قَنَعْتُ لَكُنْت حُرًّا

ويُقَالُ: الطَّمَعُ غُلٌّ فِي العُنُقِ قَيْدٌ فِي الرِّجلِ فإذا زَالَ الغُلُّ مِنْ العُنُقِ زَالَ القَيْدُ مِنْ الرِّجْلِ. ويُرْوى عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: الطَّمَعُ فَقْرٌ والْيَأْسُ غِنًى وإِنَّ أَحَدَكُمْ إذا يَئِسَ مِنْ شَيْءٍ اسْتَغْنَى عَنْهُ[1].

وهَذَا أَمْرٌ يَجِدُهُ الإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ؛ فإن الأَمْرَ الَّذِي يَيْأَسُ مِنْهُ لَا يَطْلُبُهُ ولَا يَطْمَعُ بِهِ ولَا يُبْقِ قَلْبَهُ فَقِيرًا إلَيْهِ، ولَا إلَى مَنْ يَفْعَلُهُ، وأَمَّا إذا طَمِعَ فِي أَمْرٍ مِنْ الأُمُورِ ورَجَاهُ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ؛ فَصَارَ فَقِيرًا إلَى حُصُولِهِ؛ وإِلَى مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ سَبَبٌ فِي حُصُولِهِ، وهَذَا فِي المَالِ والْجَاهِ والصُّورِ وغَيْرِ ذَلِكَ. قَالَ الخَلِيلُ صلى الله عليه وسلم: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧]. فَالْعَبْدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ رِزْقٍ، وهُو مُحْتَاجٌ إلَى ذَلِكَ، فإذا طَلَبَ رِزْقَهُ مِنْ اللَّهِ صَارَ عَبْدًا لِلَّهِ فَقِيرًا إلَيْهِ، وإِنْ طَلَبَهُ مِنْ مَخْلُوقٍ صَارَ عَبْدًا لِذَلِكَ المَخْلُوقِ فَقِيرًا إلَيْهِ.اهـ

---

(١) **أثر ثابت**: أخرجه أحمد في "الزهد" (٦١٩)، ومن طريقه أبو نعيم في "الحلية" (١/ ٥٠) عن أبي معاوية، ووكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال، قال عمر رضي الله عنه... فذكره. قال أبو نعيم: رواه ابن وهب، عن الثوري، عن هشام، عن أبيه، عن زبيد بن الصلت، عن عمر رضي الله عنه.

وأخرجه أيضًا ابن المبارك (٩٩٨)، من طريق أبي معاوية به. وأخرجه عمر بن شبة في "تاريخ المدينة" (٢/ ٧٦٧)، عن يحيى بن سعيد، عن هشام بن عروة به.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ لأن عروة لم يدرك عمر رضي الله عنه؛ فهو منقطع. وإن ثبتت الواسطة التي عند ابن وهب، أعني: زيادة (زبيد بن الصلت) فالأثر صحيح؛ لأنه ثقة. وإن لم تثبت هذه الزيادة فالأثر حسن بالطريق التي تليها:

فقد أخرجه ابن وهب في الجامع برقم(٤١٨) قال : وأخبرني مسلم بن خالد ، عن إسماعيل بن أمية، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال : «**إن اليأس غنى ، وإن الطمع فقر حاضر ، وإن العزلة راحة من خلاط السوء**». وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف مسلم بن خالد، ولأن إسماعيل بن أمية لم يدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (١٠/ ١٨٩):

وهَكَذَا أَيْضًا طَالِبُ المَالِ فإن ذَلِكَ يَسْتَعْبِدُهُ ويَسْتَرِقُّهُ، وهَذِهِ الأُمُورُ نوعَانِ: مِنْهَا مَا يَحْتَاجُ العَبْدُ إِلَيْهِ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامِهِ وشَرَابِهِ ومَسْكَنِهِ ومنكحه ونَحْوِ ذَلِكَ. فَهَذَا يَطْلُبُهُ مِنْ اللَّهِ ويَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِ فَيَكُونُ المَالُ عِنْدَهُ يَسْتَعْمِلُهُ فِي حَاجَتِهِ بِمَنْزِلَةِ حِمَارِهِ الَّذِي يَرْكَبُهُ وبِسَاطِهِ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ؛ بَلْ بِمَنْزِلَةِ الكَنِيفِ الَّذِي يَقْضِي فِيهِ حَاجَتَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَعْبِدَهُ فَيَكُونُ هَلُوعًا إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا؛ وإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا.

ومِنْهَا مَا لَا يَحْتَاجُ العَبْدُ إِلَيْهِ فَهَذِهِ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَلِّقَ قَلْبَهُ بِهَا؛ فإذا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَا صَارَ مُسْتَعْبَدًا لَهَا؛ ورُبَّمَا صَارَ مُعْتَمِدًا عَلَى غَيْرِ اللهِ فَلَا يَبْقَى مَعَهُ حَقِيقَةُ العِبَادَةِ لِلَّهِ ولَا حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ؛ بَلْ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ وشُعْبَةٌ مِنْ التَّوَكُّلِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ وهَذَا مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِقَولِهِ ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَم تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ؛ تَعِسَ عَبْدُ القَطِيفَةِ؛ تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ**»[1] وهَذَا هُو عَبْدُ هَذِهِ الأُمُورِ ولَو طَلَبَهَا مِنْ اللَّهِ؛ فإن اللَّهَ إذا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا رَضِيَ؛ وإِذَا مَنَعَهُ إِيَّاهَا سَخِطَ، وإِنَّمَا عَبْدُ اللَّهِ مَنْ يُرْضِيهِ مَا يُرْضِي اللَّهَ؛ ويُسْخِطُهُ مَا يُسْخِطُ اللَّهَ؛ ويُحِبُّ مَا أَحَبَّهُ اللهُ ورَسُولُهُ، ويُبْغِضُ مَا أَبْغَضَهُ اللهُ ورَسُولُهُ؛ ويُوالِي أَولِيَاءَ اللَّهِ ويُعَادِي أَعْدَاءَ اللَّهِ تَعَالَى، وهَذَا هُو الَّذِي اسْتَكْمَلَ الإيمان. كَمَا فِي الحَدِيثِ «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وأَبْغَضَ لِلَّهِ وأَعْطَى لِلَّهِ ومَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإيمان**»[2] وقَالَ: «**أَوثَقُ عُرَى الإيمان الحُبُّ فِي اللَّهِ؛ والبُغْضُ فِي اللَّهِ**»[3]. وفِي الصَّحِيح عَنْهُ ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وجَدَ حَلَاوةَ الإيمان: مَنْ كَانَ اللهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُمَا ومَنْ كَانَ يُحِبُّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ومَنْ كَانَ**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامة رضي الله عنه بإسناد حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المسند» كما في «إتحاف الخيرة المهرة» (٩٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، وأخرجه الطيالسي (٣٧٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»(١) فَهَذَا وافَقَ رَبَّهُ فِيمَا يُحِبُّهُ ومَا يَكْرَهُهُ فكَانَ اللهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُمَا، وأَحَبَّ المَخْلُوقَ لِلَّهِ لَا لِغَرَضٍ آخَرَ؛ فَكَانَ هَذَا مِنْ تَمَامِ حُبِّهِ لِلَّهِ فإن مَحَبَّةَ مَحْبُوبِ المَحْبُوبِ مِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ المَحْبُوبِ.اهـ

وقال رحمه الله **كما في "جامع المسائل" (٢/ ٢٦١):**

والمحبة وإن كَانَت جِنْسا تَحْتَهُ أَنْواع فالمحبوبات المعظمة لغير الله قد أثبت الشَّارِع فِيهَا اسْم التَّعَبُّد كَقَوله فِي الحَدِيث الصَّحِيح «**تعس عبد الدِّرْهَم، تعس عبد الدِّينَار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإِذا شيك فَلَا انتقش، إِن أعطي رَضِي، وإِن منع سخط**»(٢). فَسُمي هَؤُلَاءِ الأَرْبَعَة الَّذين إِن أعْطوا رَضوا وإِن منعُوا سخطوا لِأَنَّهَا محبتهم ومرادهم: عبادًا لَهَا حَيْثُ قَالَ: عبد الدِّرْهَم وعبد الدِّينَار وعبد القطيفة وعبد الخميصة.اهـ

قال الامام ابن القيم رحمه الله **كما في "إغاثة اللهفان" (٢/ ١٤٩):**

فإن المحبوبات لغير الله قد أثبت الشارع فيها اسم التعبد كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، إن أعطى رضي، وإن منع سخط**» رواه البخاري. فسمى هؤلاء الذين إن أُعطوا رضوا وإن منعوا سخطوا عبيدا لهذه الأشياء لانتهاء محبتهم ورضاهم ورغبتهم إليها؛ فإذا شغف الإنسان بمحبة صورة لغير الله بحيث يرضيه وصوله إليها وظفره بها، ويسخطه فوات ذلك كان فيه من التعبد لها بقدر ذلك.اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الإمام العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في **"مجموع فتاواه"** (٩/ ٣٢٥):

فالشرك أمره عظيم جدًا، ونحن نحذر إخواننا المسلمين مما هم عليه الآن من الانكباب العظيم على الدنيا حتى غفلوا عما خلقوا له، واشتغلوا بما خلق لهم؛ فعامة الناس الآن تجدهم مشتغلين بالدنيا، وليس في أفكارهم إلا الدنيا قائمين وقاعدين ونائمين ومستيقظين، وهذا في الحقيقة نوع من الشرك؛ لأنه يوجب الغفلة عن الله عز وجل، ولهذا سمى النبي ﷺ من فعل ذلك عبدًا لما تعبد له، فقال: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة**»، ولو أقبل العبد على الله بقلبه وجوارحه؛ لحصل ما قدر له من الدنيا؛ فالدنيا وسيلة وليست غاية، وتعس من جعلها غاية، كيف تجعلها غاية، وأنت لا تدري مقامك فيها؟! وكيف تجعلها غاية وسرورها مصحوب بالأحزان؛ كما قال الشاعر:

فيوم علينا ويوم لنا ... ويوم نُساء ويوم نُسر

فالحاصل: أن النبي ﷺ بعث لتحقيق عبادة الله، ولهذا كان حريصًا على سد كل الأبواب التي تؤدي إلى الشرك.اهـ



فهرس المحتويات

شرح عقيدة أهل السنة الأخيار

بدراسة أحاديث المختار

من أحاديث سيد الأبرار

في المعتقد الصحيح

القسم الثاني من

الجزء الأول

تأليف

أبي عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني



ذِكْرُ بَعْضِ الأُمُورِ المُنَافِيَةِ لِلتَّوحِيْدِ

﴿١﴾ وعَنْ قُتَيْلَةَ امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وشِئْتَ. وتَقُولُونَ: والْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إذا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «**وربِّ الكَعْبَةِ**». ويَقُولُونَ: «**مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ**». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ(١).

﴿٢﴾ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَحْلِفُ: لاَ والْكَعْبَةِ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وأَبُو دَاودَ، وهُو حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ بِشَواهِدِهِ(٢).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديثين

﴿١﴾ مسألة: حكم الحلف بغير الله وهل ينعقد اليمين بذلك؟

الحلف بغير الله شرك كما دلت عليه أحاديث الباب، ولو كان حلفًا بملك مقرب، أو بنبي مرسل.

فإن عظم المحلوف به كتعظيمه لله، أو أشد؛ فهو شرك أكبر، وإن لم يعظم المحلوف به كتعظيمه لله؛ فهو شرك أصغر.

وجاء عن أحمد رواية في جواز الإقسام بالنبي ﷺ، وأخذ بذلك بعض أصحابه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "جامع المسائل" (٥/ ١١٦):

وهذه الرواية عن أحمد لم يُوافِقْها أحد من الأئمة، بل جمهورُ الأئمة على الرواية الأخرى عنه، وهو أنه لا يُشرَع الحلفُ بمخلوقٍ لا النبيِّ ولا غيرِه، ولا يجب بذلك

---

(١) أخرجه النسائي (٧/ ٦)، وكذلك أحمد (٦/ ٣٧١).

(٢) أخرجه أحمد (٤٩٠٤)، وأبو داود برقم (٣٢٥١).

كفارة. وتلك الرواية اختارها طائفة من أصحابه ونَصَرُوها في الخلاف، كالقاضي والشريف أبي جعفر وابن عقيل وغيرهم.

ثمّ أكثر هؤلاء يقولون: هذا الحكمُ مختصٌّ به، لكون الإيمان به بخصوصه ركنًا في الإيمان، لا يتمُّ الإيمان إلاّ بالشهادتين. وذكر ابن عقيل أن حكم سائر الأنبياء كذلك في انعقاد اليمين بالحلف بهم.

وأما جماهيرُ علماء المسلمين من السَّلَف والخلف فعلَى أنه لا ينعقد اليمينُ بمخلوقٍ، لا الأنبياء ولا غيرِهم، كالرواية الثانية عن أحمد. وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة واختيارُ طائفةٍ من أصحاب أحمد، وهذا القول هو الصواب، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تحلفوا إلاّ بالله**»(١)، وقال: «**من كان حالفًا فليحلِفْ بالله أو ليَصْمُت**»(٢). وفي السنن عنه أنه قال: «**مَن حَلَفَ بغير الله فقد أشرك**»(٣).

وقال ابن مسعود وابن عباس: لأن أحلفَ بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلفَ بغيرِه صادقًا(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٧٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) مخرج في أحاديث الباب.

(٤) **اللفظ المذكور هو لابن مسعود، وليس لأثر ابن عباس** رضي الله عنهما:

أثر ابن مسعود صحيح: أخرجه عبدالرزاق (٨/ ٤٦٩)، والطبراني (٨٩٠٢)، من طريق: وبرة بن عبدالرحمن، عن ابن مسعود، وليس له سماع منه، وذلك لأنَّ بين وفاتيهما فترة كبيرة، فابن مسعود تُوُفِّيَ عام (٣٢)، ووبرة تُوُفِّيَ عام (١١٦).

وجاءت زيادة عند أبي نعيم في «التاريخ» (٢/ ١٨١)، و«الحلية» (٧/ ٢٦٧)، عن وبرة بن عبدالرحمن، عن همام، عن ابن مسعود، وفي السند متروك، وهو: محمد بن معاوية بن أعين النيسابوري، بل قد كذبه ابنُ معين.

ثم وجدت في «المدونة» لسحنون المالكي ثبوت الواسطة، وهي (همام بن الحارث).

فقال سحنون في «المدونة» (١/ ٥٨٤): قال ابن وهب، عن سفيان بن عيينة، عن مسعر بن كدام، عن وبرة، عن همام بن الحارث، أن عبد الله بن مسعود كان يقول: لأن أحلف بالله كاذبا أحب=

وذلك لأن الحلفَ بغير الله شركٌ، والشركُ أعظمُ إثمًا من الكذب. وهذا يوافقُ أظهرَ قولَي العلماء أن النهيَ عن الحلف بالمخلوقات نهيُ تحريم لا نهيُ تنزيهٍ، وهذا قول أكثرِ العلماء، وهو أحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد.

وإذا كان الحلفُ بغير الله من باب الشرك، فمعلومٌ أنه لا يجوز أن يُشرَكَ به ولا يُعْدَلَ به ولا يُسَوى به الأنبياءُ وغيرُهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾.

قال طائفة من السلف: كان قوم يدعون الملائكة والأنبياء، فأنزلَ الله هذه الآية بيَّن فيها أن الملائكة والأنبياء قد يتقربون إلى الله ويرجونه ويخافونه، كما أن سائر العباد يتقربون إلى الله ويرجونه ويخافونه، فلا يجوز دعاءُ الملائكةِ والأنبياءِ. وقد قال رجلٌ للنبي ﷺ: ما شاءَ الله وشئتَ، فقال: «**أجَعَلْتَني لله نِدًّا؟ قُلْ: ما شاء الله وحدَه**»[(١)]. وقال: لا تقولوا ما شاء الله وشاءَ محمدٌ، بل قولوا ما شاء الله ثمَّ شاءَ محمدٌ. فنهاهم أن يُشرِكوا به حتى في مثل هذه الأقوالِ.

وقد أمرَه الله أن يقولَ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤] الآية.اهـ

= إلي من أن أحلف بغيره صادقا. وهذا إسناد صحيح.

وأثر ابن عباس: ضعيف. ذكره سحنون المالكي في "المدونة" (١/ ٥٨٤)، فقال: قال يعني عبد الرحمن بن مهدي: وقال ابن عباس لرجل حلف بالله: والله لأن أحلف بالله مائة ثم آثم أحب إلي من أن أحلف بغيره مرة ثم أبر. وهذا إسناد ضعيف، معضل.

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" (١٠٨٢٥)، وكذلك ابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد (١٨٣٩) (١٩٦٤) (٢٥٦١) (٣٢٤٧)، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنه، والحديث صحيح بشواهده.

٢ مسألة: هل الحلف بغير الله وقول الرجل: (ما شاء الله وشئت) شرك أكبر أم أصغر؟

في "الصحيحين" عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وهُو يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ وإلا فَلْيَصْمُتْ**»[(١)].

فهذا الحديث يدل على أن الحلف بغير الله ليس بشرك أكبر؛ لأن النبي ﷺ لم يبين ذلك لعمر رضي الله عنه، ولم يخبره بأنه قد أشرك، وأنه يحتاج إلى تجديد إسلامه، وعليه فالأمر يختلف باختلاف نية الحالف؛ فمن كان معظما لمحلوفه كتعظيمه لله أو أكثر؛ فهو مشرك شركًا أكبر؛ لأنه قد جعله لله ندًا، ومن لم يعظمه ذلك التعظيم؛ فهو مشرك شركًا أصغر.

قال أبو زرعة ابن العراقي رحمه الله في "طرح التثريب" (٧/ ١٤٣):

وقد قال أصحابنا: إنه لو اعتقد الحالف بالمخلوق في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله تعالى كفر، وعلى هذا يحمل ما روي أن النبي ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر**» انتهى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٤):

وأما الشرك الأصغر، فَكَيَسِير الرياء[(٢)]، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: (ما شاء الله وشئت. وهذا من الله ومنك. وأنا بالله وبك. وما لي إلا الله وأنت. وأنا متوكل على الله وعليك. ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا)، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده.اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) كلامه هذا يعني أن كثرة الرياء من الشخص تدل على فساد باطنه، وأنه منافق، كما قال تعالى: ﴿خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، فكثرة الرياء من الشخص تدل على أنه منافق نفاقًا أكبر.

وفي "فتاوى اللجنة الدائمة" (١/ ٣٤٠) ما نصه:

أما الحلف بغير الله، وقول القائل: ما شاء الله وشئت، وما لي إلا الله وأنت، ونحو ذلك، فإن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله فهو شرك أكبر؛ فإن كان جاهلا علم؛ فإن أصر فهو والعالم ابتداء سواء، كل منهما يكون مشركا أكبر.

وكذا في قوله: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، فإن اعتقد أن هذا الشخص شريك مع الله لا يقع شيء إلا بمشيئة الله ومشيئة هذا الشخص، فإن كان جاهلا علم، فإن أصر فهو والعالم ابتداء سواء، كل منهما مشرك شركا أكبر.

وأما إذا حلف بغير الله بلسانه ولم يعتقد بقلبه تعظيم من حلف به أو ما حلف به، وكذلك إذا قال: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، فهذا إن كان جاهلا علم فإن أصر فهو والعالم ابتداء سواء كل منهما مشرك شركا أصغر.اهـ

٣ مسألة: قول الرجل: متوكل على الله وعليك. وقوله: ثم عليك.

قال ابن القيم رحمه الله في "الداء والدواء" (ص٢٠٧) ط/ دار ابن الجوزي:

ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه أحمد وأبو داود عنه أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» وصححه الحاكم، وابن حبان.

ومن ذلك قول القائل للمخلوق: (ما شاء الله وشئت) كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل ما شاء الله وشئت قال: «**أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده**» وهذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ٢٨﴾ [التكوير:٢٨]، فكيف من يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومالي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض. ويقول: والله، وحياة فلان. أو يقول: نذرًا لله ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان. أو: أرجوا الله وفلانًا، ونحو ذلك، فَوازِنْ بين هذه

الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت. ثم انظر أيهما أفحش؛ يتبين لك أن قائلها أولى لجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله ندًّا لله بها فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء، بل لعله أن يكون من أعدائه ندًّا لرب العالمين.اهـ

وقال رحمه الله **كما في "زاد المعاد" (٢/ ٢٥٣):**

ومن ذلك قولُه: «**لاَ تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وشَاءَ فُلانٌ، ولَكِن قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ مَا شَاءَ فُلاَنٌ"**، **وقال له رجل: ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ، فَقَالَ:** «**أَجَعلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ قُل: مَا شَاءَ اللهُ وحْدَهُ**».

وفى معنى هذا الشرك المنهى عنه قولُ مَن لا يتوقَّى الشرك: أنا باللهِ وبِكَ، وأنا في حَسْبِ اللهِ وحَسْبِكَ، وما لي إلا اللهُ وأنتَ، وأنا متوكِّل على الله وعليك، وهذا من اللهِ ومِنك، واللهُ لي في السماء وأنت لي في الأرض، وواللهِ وحياتِك، وأمثال هذا من الألفاظ التي يجعل فيها قائِلُهَا المخلوقَ نِدًّا للخالق، وهى أشدُّ منعًا وقُبْحًا من قوله: ما شَاءَ اللهُ وشئتَ.اهـ

قال الإمام العثيمين رحمه الله **كما في "لقاء الباب المفتوح" (رقم/ ١٣٨):**

التوكل نوعان: النوع الأول: توكل بمعنى التفويض والتسليم، هذا لا يجوز إلا لله، وهذا النوع يعتقد المتوكل أنه دون المتوكَّل عليه، أنه دونه بكثير، وهذا لا يصح إلا لله.

النوع الثاني: توكل بمعنى الاعتماد على الشخص مع الاعتقاد بأنه دونك في الرتبة، وأنك تستطيع أن تفسخ وكالته، وأن تعتمد على غيره، هذا لا بأس به، فإذا قلت: اذهب فأنت وكيلي، أو فأنا موكلك فلا بأس بهذا، وليس هذا عبادة.

ثم قال: بعض أهل العلم يفرق بين (ثُمَّ) في المشيئة وفي التوكل؟ لكن التفريق في التوكل: هل هو عبادة وتفويض وتسليم مطلق؟ فهذا لا يصح إلا لله، هل المراد وكلتك بمعنى جعلتك نائبًا عني في هذا الشيء؟ فهذا لا بأس به.

وفي **"فتاوى اللجنة"** (١/ ٣٧٧) ما نصه:

يجوز أن يقول الشخص توكلت على الله ثم عليك، فإن التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه والاعتماد عليه، فهو جل وعلا المتصرف في هذا الكون، والتوكل على العبد بعد التوكل على الله جل وعلا تفويض العبد فيما يقدر عليه، فالله له مشيئة، والعبد له مشيئة، ومشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ [المزمل:١٩]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾﴾ وقد أرشد النبي ﷺ إلى أصل ذلك، فروى النسائي وصححه عن قتيلة: أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، : «**فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت**» وصح عنه ﷺ أنه قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم ما شاء فلان**».

عبد الله بن قعود * عبد الله بن غديان * عبد الرزاق عفيفي * عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٤ مسألة: ما هو الجواب عن الحديث: «أفلح وأبيه إن صدق»؟

قال ابن عبد البر رحمه الله **في "التمهيد"** (١٤/ ٣٦٧):

فإن احتج محتج بحديث يروى عن إسماعيل بن جعفر، عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر، عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله، في قصة الأعرابي النجدي أن النبي ﷺ قال: «**أفلح وأبيه إن صدق**» قيل له: هذه لفظة غير محفوظة في هذا الحديث من حديث من يحتج به.

وقد روى هذا الحديث مالك وغيره عن أبي سهيل لم يقولوا ذلك فيه، وقد

روي عن إسماعيل بن جعفر هذا الحديث وفيه: «**أفلح والله إن صدق، أو دخل الجنة والله إن صدق**» وهذا أولى من رواية من روى «**وأبيه**» لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح وبالله التوفيق.اهـ

وقال رحمه الله كما في "التمهيد" (١٦/ ١٥٨):

وهذه لفظة إن صحت فهي منسوخة؛ لنهي رسول الله ﷺ عن الحلف بالآباء وبغير الله، وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتابنا هذا.

وقال البغوي رحمه الله كما في "شرح السنة" (١٠/ ٦):

فإن قيل: أليس النبي ﷺ قال في حديث الأعرابي الذي سأله عن الإسلام، وقال بعد ما بين له: لا أزيد على هذا ولا أنقص، فقال عليه السلام: «**أفلح وأبيه إن صدق**» قيل: تلك كلمة جرت على لسانه على عادة الكلام الجاري على الألسن، لا على قصد القسم، وكانت العرب تستعملها كثيرًا في خطابها، تؤكد بها كلامها لا على وجه التعظيم، والنهي إنما وقع عنه إذا كان ذلك على وجه التوقير، والتعظيم له، كالحالف بالله يقصد بذكر الله سبحانه وتعالى في يمينه التعظيم، والتوقير يدل عليه أن فيه ذكر أبي الأعرابي، ولا يحلف بأبي الغير تعظيمًا، وتوقيرًا. وقيل: فيه إضمار، معناه: ورب أبيه. كما سبق في تأويل الآية. وإنما نهاهم عن ذلك، لأنهم لم يكونوا يضمرون ذلك في إيمانهم، وإنما كان مذهبهم في ذلك مذهب التعظيم لآبائهم، والله أعلم.

وقال الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (١١):

قَوله ﷺ: «**أَفْلَحَ وأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**». هَذَا مِمَّا جَرَتْ عَادَتُهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ الجَواب عَنْهُ مَعَ قَوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاَللَّهِ**» وقَوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**» وجَوابه: أَنَّ قَوله ﷺ: «**أَفْلَحَ وأَبِيهِ**» لَيْسَ هُو حَلِفًا إِنَّمَا هُو كَلِمَة جَرَتْ عَادَة العَرَب أَنْ تُدْخِلَهَا فِي كَلَامها غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهَا حَقِيقَةَ الحَلِفِ. والنَّهْي إِنَّمَا ورَدَ فِيمَنْ قَصَدَ حَقِيقَة الحَلِف لِمَا فِيهِ مِنْ إِعْظَام المَحْلُوف بِهِ

ومُضَاهَاتِهِ بِهِ اللَّهَ سُبْحَانه وتَعَالَى. فَهَذَا هُو الْجَواب المَرْضِيُّ. وقِيلَ: يُحْتَمَل أَنْ يَكُون هَذَا قَبْل النَّهْي عَنْ الحَلِف بِغَيْرِ اللَّه - تَعَالَى - واَللَّه أَعْلَمُ.اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الفتح" (٤٦):

قوله: «**أفلح إن صدق**» وقع عند مسلم من رواية إسماعيل بن جعفر المذكورة: «**أفلح وأبيه إن صدق**» أو «**دخل الجنة وأبيه إن صدق**». ولأبي داود مثله لكن بحذف «أو». فإن قيل: ما الجامع بين هذا وبين النهي عن الحلف بالآباء؟ أجيب: بأن ذلك كان قبل النهي، أو بأنها كلمة جارية على اللسان لا يقصد بها الحلف، كما جرى على لسانهم عقرى، حلقى. وما أشبه ذلك، أوفيه إضمار اسم الرب كأنه قال: ورب أبيه، وقيل: هو خاص ويحتاج إلى دليل، وحكى السهيلي عن بعض مشايخه أنه قال: هو تصحيف، وإنما كان والله، فقصرت اللامان. واستنكر القرطبي هذا وقال: إنه يجزم الثقة بالروايات الصحيحة.

وغفل القرافي فادعى أن الرواية بلفظ: «**وأبيه**»، لم تصح، لأنها ليست في الموطأ، وكأنه لم يرتض الجواب فعدل إلى رد الخبر، وهو صحيح لا مرية فيه. وأقوى الأجوبة الأولان.اهـ

قال الإمام الألباني رحمه الله في "الضعيفة" (٤٩٩٢):

إذا عرفت هذا؛ فقد تمهد لدينا إمكانية ترجيح رواية مالك على رواية إسماعيل بمرجحات ثلاثة:

الأول: أن مالكًا أوثق من إسماعيل؛ فإن هذا - وإن كان ثقة -؛ فمالك أقوى منه في ذلك وأحفظ. ويكفي في الدلالة على ذلك أن الإمام البخاري سئل عن أصح الأسانيد؟ فقال: مالك عن نافع عن ابن عمر. وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: من أثبت أصحاب الزهري؟ قال: مالك أثبت في كل شيء.

الثاني: أن مالكًا لم يختلف الرواة عليه في ذلك؛ خلافًا لإسماعيل؛ فمنهم من رواه عنه مثل رواية مالك، كما سبق.

الثالث: أنني وجدت لروايته شاهدًا بل شواهد؛ خلافًا لرواية إسماعيل –ثم ذكرها-.اهـ

٥ مسألة: وما هو الجواب عن حديث «أما وأبيك لتنبأنه».

قال الإمام الألباني رحمه الله في "الضعيفة" (٤٩٩٢):

منكر: أخرجه مسلم (٨/ ٢)، وابن ماجه (٢/ ١٥٧)، وأبو يعلى (١٠/ ٤٨٠/ ٦٠٩٢) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة - وهذا في "**المصنف**" (٨/ ٥٤١) -: حدثنا شريك عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! نبئني من أحق الناس مني بحسن الصحبة؟ فقال: «**أما وأبيك لتنبأنه، أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**». قال: نبئني يا رسول الله! عن مالي كيف أتصدق فيه؟ قال: «**نعم**» - والله! - لتنبأن: تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش وتخاف الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت نفسك ههنا؛ قلت: «**مالي لفلان، ومالي لفلان، وهو لهم وإن كرهت**». والسياق لابن ماجه وأبي يعلى.

وليس عند مسلم - وكذا ابن أبي شيبة - قضية الصدقة؛ إلا من طريق أخرى عن عمارة.

وكذلك هي عند أحمد كما يأتي؛ إلا أن هذا أخرج القضية الأولى من طريق أخرى عن شريك فقال (٢/ ٣٩١): حدثنا أسود بن عامر: حدثنا شريك به؛ إلا أنه قال... فذكر القضية الأولى، وقال فيها: «**نعم - والله! – لتنبأن**»؛ كما في القضية الثانية عند ابن ماجه.

وخالفه ابن أبي شيبة، وعنه مسلم؛ فقال: «**وأبيك**» مكان: «**والله**»! وهذا من أوهام شريك عندي، والصواب رواية الأسود إن كانت محفوظة عن عمارة في هذه الجملة؛ لأنها لم ترد عند الثقات كما يأتي.

وقال الحافظ في "**الفتح**" (١٠/ ٣٢٩-٣٣٠) عقبها: «**فلعلها تصحفت**»!

وأقول: بل الأقرب أنها من شريك نفسه - وهو ابن عبد الله القاضي-؛ فإنه سيئ الحفظ، فاضطرب في ضبط هذه الجملة، فقال مرة: «**والله**». وأخرى: «**وأبيه**».

وقد تابعه فيها في القضية الثانية: ابن فضيل عن عمارة بلفظ:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «**أما - وأبيك! - لتنبأنه: أن تصدق...**»الحديث.

أخرجه أحمد (٢/ ٢٣١): حدثنا محمد بن فضيل به.

وأخرجه مسلم (٣/ ٩٣): حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة وابن نمير قالا: حدثنا ابن فضيل به.

ومن هذا الوجه رواه البخاري في "**الأدب المفرد**" (٧٧٨).

وخالفهم أحمد بن حرب فقال: حدثنا محمد بن فضيل به؛ دون قوله: «**أما - وأبيك! - لتنبأنه**». أخرجه النسائي (٢/ ١٢٥).

وتابعه أبو كريب: أخبرنا محمد بن فضيل به. أخرجه أبو يعلى (١١/ ٤٨٢).

وتابعه في بعضه جرير بن عبد الحميد عن عمارة بن القعقاع به؛ دون قوله: «**أما - وأبيك! -...**». أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠): حدثنا جرير به. ومن طريقه: ابن حبان (٣٣٢٤).

وأخرجه مسلم (٣/ ٩٣)، وأبو يعلى (٤/ ١٤٤٤) من طريق زهير بن حرب: حدثنا جرير به؛ مثل رواية أحمد بن حرب؛ ليس فيه: «**أما - وأبيك! - لتنبأنه**».

وكذلك رواه عبد الواحد بن زياد: حدثنا عمارة بن القعقاع بن شبرمة به. أخرجه أحمد (٢/ ٤١٥)، والبخاري (٣/ ٢٢١)، ومسلم (٣/ ٩٤).

وتابعه سفيان الثوري عن عمارة به. أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٧)، والبخاري (٥/ ٣٨٧)، والنسائي (١/ ٣٥٣)، وابن حبان (٤٣٤).

هذا ما يتعلق بالقضية الثانية.

وأما الأولى؛ فقد خالفه جرير أيضًا؛ فرواه عن عمارة به؛ دون قوله:

«**نعم - وأبيك! - لتنبأن**»: أخرجه البخاري (١٠/ ٣٢٩)، ومسلم (٨/ ٢)، وأبو يعلى (١٠/ ٤٦٨)، وابن حبان (٣٣٢٤،٣٣٠١، ١٤٣٥ - الإحسان).

قلت: ويتحرر عندي من هذا التخريج أنه قد اختلف على عمارة بن القعقاع في ذكر الحلف بالأب: فتفرد بذكره شريك ومحمد بن فضيل، على خلاف في ذلك عليهما، ولم يذكره جرير بن عبد الحميد، وعبد الواحد بن زياد، وسفيان الثوري عن عمارة.

والقلب يطمئن لروايتهم؛ لأنهم أكثر وأحفظ. زد على ذلك أنه لم يختلف عليهم في ذلك؛ بخلاف شريك وابن فضيل؛ فقد اختلف الرواة في ذلك عليهما كما رأيت، وذلك مما يضعف الثقة بزيادتهما على الثقات.

وإذا لم يكن هذا كافيًا في ترجيح رواية الأكثر عن عمارة بن القعقاع؛ فلا أقل من التوقف في ترجيح رواية شريك وابن فضيل المخالفة لهم.

ولكن الأمر ينعكس تمامًا حينما نجد لعمارة متابعين عن أبي زرعة، لم يذكروا في الحديث الحلف مطلقًا، وهما:

١- عبد الله بن شبرمة، عن أبي زرعة بن عمرو، عن أبي هريرة بالقضية الأولى.

أخرجه مسلم، وأحمد (٢/ ٣٢٧-٣٢٨)، والبخاري في "**الأدب المفرد**" رقم (٥)، وابن عدي في "**الكامل**" (٦/ ٢٢٤١) من طرق عنه.

٢- يحيى بن أيوب: حدثنا أبو زرعة به.

أخرجه عبد الله بن المبارك في "**البر والصلة**" رقم (٦)، وعنه أحمد (٢/ ٤٠٢)، والبخاري في "**الأدب**" (٦). وسنده صحيح على شرط الشيخين.

وعلقه - مع الذي قبله - البخاري في "**صحيحه**" بصيغة الجزم.

قلت: فاتفاق هذين الثقتين - مع رواية الأكثر عن عمارة - لا يدع شكًا في أن روايتهم هي الأرجح.

ومن ذلك؛ يتبين أن **زيادة الحلف بالأب في هذا الحديث زيادة شاذة غير محفوظة.**

وإن مما يؤكد ذلك: أن الحديث قد جاء من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، مثل رواية الجماعة عن أبي زرعة... ليس فيه الحلف بالأب.

أخرجه ابن المبارك (رقم ٥)، والبخاري في "**الأدب المفرد**" (٣)، وعبد الرزاق في "المصنف" (٢٠١٢١)، وغيرهم، وحسنه الترمذي، وهو مخرج في "**المشكاة**"، و"**الإرواء**" (٨٣٧، و٢١٧٠).

واعلم أن الغرض من هذا البحث إنما هو مجرد التثبت من هذه الزيادة؛ هل صحت عن النبي ﷺ في هذا الحديث بالذات أم لا؟ وليس لأنه معارض للأحاديث الكثيرة المصرحة بالنهي عن الحلف بغير الله؛ فإنه لو صح فالجواب عنه معروف من وجوه ذكرها الحافظ وغيره، ويكفي في ذلك قاعدة: (القول مقدم على الفعل عند التعارض).اهـ

والقاعدة المذكورة أخيرًا ليس مسلَّما بها؛ فالصحيح أنه يجمع بينهما، ولا يقدم القول على الفعل؛ إلا إذا ظهرت دلائل الاختصاص بنبينا محمد ﷺ.

٦ مسألة: حكم الحلف بالأمانة.

قال أبو عبد الله غفر الله له: حديث الباب يدل على أنَّ الحلف بالأمانة محرم، ومن الحلف بغير الله، والحلف بغير الله شرك كما تقدم.

ومما يجدر التنبيه عليه: أن بعض الفقهاء قد أجاز الحلف بقوله: (أمانة الله)، وجعلها من الحلف بصفات الله.

وأيضًا: بعض المتلفظين بالأمانة: لا يعني بذلك اليمين، وإنما يقصد من نفسه: أنه يتكلم بأمانة؛ فهذا ليس من الحلف بالأمانة، ولكن ينبغي الترك لأنه

ظاهره الحلف بالأمانة، ولأن كثيرًا من الناس يستعملونها في الأيمان؛ لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**».

قال شيخ الإسلام رحمه الله **كما في "مختصر الفتاوى المصرية"** (ص٥٤٨):

صَحَّ عَنهُ ﷺ أَنه قَالَ: «**من كَانَ حَالفا فليحلف بِاللَّه أَو ليصمت**»، وَ«**من حلف بِغَيْر الله فقد أشرك**» فَلَيْسَ لأحد أَن يحلف لَا بِملك، وَلَا نَبِي، وَلَا غير ذَلِك من الْمَخْلُوقَات، وَلَا يحلف إِلَّا باسم من أَسمَاء الله، أَو صفة من صِفَاته، وَقد روي «**من حلف بالأمانة فَلَيْسَ منا**» فَمن حلف بالأمانة لَا يدْرِي مَا حلف بِهِ، أَو عني بِهِ مخلوقا فقد أَسَاءَ، وَإِن أَرَادَ بهَا صفة من صِفَات الله نَحْو وَأَمَانَة الله، أَو عصمته جَازَ ذَلِك.اهـ

وفي "فتاوى اللجنة الدائمة" (١/ ٣٤٢) **ما نصه**:

إذا لم يكن قصد بقوله: بالأمانة الحلف بغير الله، وإنما أراد بذلك ائتمان أخيه في أن يخبره بالحقيقة فلا شيء في ذلك مطلقا، لكن ينبغي ألا يعبر بهذا اللفظ الذي ظاهره الحلف بالأمانة، أما إذا كان القصد بذلك الحلف بالأمانة فهو حلف بغير الله، والحلف بغير الله شرك أصغر.اهـ

عضو ... عضو ... نائب رئيس اللجنة

عبد الله بن منيع ... عبد الله بن غديان ... عبد الرزاق عفيفي

٧ مسألة: قسم الله سبحانه وتعالى بمخلوقاته.

قال الإمام النووي رحمه الله **في "شرح مسلم"** (١٤٦٨):

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِمَخْلُوقَاتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (والصَّافَّاتِ) (والذَّارِيَاتِ) (والطُّورِ) (والنَّجْم).

فَالْجَواب: أَنَّ اللَّه تَعَالَى يُقْسِم بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاته تَنْبِيهًا عَلَى شَرَفه.اهـ

قال الإمام العثيمين رحمه الله في "القول المفيد" ():

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس:١]، وقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ [البلد:١]، وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل:١] ، وما أشبه ذلك، من المخلوقات التي أقسم الله بها؛ **فالجواب عنه من وجهين:**

الأول: أن هذا من فعل الله، والله لا يُسْأَل عما يفعل، وله أن يقسم سبحانه بما شاء من خلقه، وهو سائل غير مسئول، وحاكم غير محكوم عليه.

الثاني: أن قسم الله بهذه الآيات؛ دليل على عظمته، وكمال قدرته وحكمته؛ فيكون القسم بها الدال على تعظيمها ورفع شأنها؛ متضمنا للثناء على الله عز وجل، بما تقتضيه من الدلالة على عظمته. وأما نحن؛ فلا نقسم بغير الله أو صفاته؛ لأننا منهيون عن ذلك.اهـ

٨ مسألة: حكم تشريك الضمير بين الله ورسوله.

في "**صحيح مسلم**" عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غوى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**بِئْسَ الخَطِيبُ أَنْتَ. قُلْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**».

وقد جاءت أدلة في جواز تشريك الضمير، منها: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢]، ومنها: حديث: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» متفق عليه عن أنس رضي الله عنه.

قال سليمان بن عبد الله رحمه الله في "تيسير العزيز الحميد" (باب/ ٣٠):

وأحسن ما قيل فيه قولان:

أحدهما: ما قاله البيضاوي وغيره أنه ثنى الضمير هنا إيماء الى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها لاغية وأمر بالأفراد في حديث الخطيب إشعارا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية إذ

العطف في تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم. قلت: وهذا جواب بليغ جدا.

الثاني: حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى، وهذا على الجواز.

وجواب ثالث: وهو أن هذا ورد على الأصل، وحديث الخطيب ناقل فيكون أرجح.

قال أبوعبد الله عفا الله عنه: ذكر الشارح ثلاثة أجوبة، وبقي جوابان:

أحدهما: ذكره النووي عند شرحه لـ"**صحيح مسلم**" حيث قال: إن الخطب شأنها البسط، والإيضاح، واجتناب الإشارات والرموز؛ ولهذا ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم أعادها ثلاثًا؛ لِتُفهَم عنه، وإنما ثنى الضمير في قوله: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»؛ لأنه ليس خطبة وعظ، وإنما هو تعليم، فكلما قل لفظه كان أقرب إلى حفظه، بخلاف الخطبة.اهـ

وأيضًا الخطب يحضرها من هو قليل الفهم، فقد يفهم من إشراك الضمير أن الله تعالى ورسوله ﷺ يشتركان في الحقوق.

الثاني: جواب شيخ الإسلام رحمه الله:

قال رحمه الله **كما في "جامع المسائل"** (٥/ ١١٨):

ولما قال الأعرابي: ومَن يَعْصِهما فقد غَوى، قال: «**بئسَ الخطيبُ أنتَ، قُلْ: ومن يَعْصِ الله ورسولَه**».

مع أنه قد رُويَ عنه أنه قال: «ومَن يَعْصِهما»، وذلك لأن هذا إذا قاله من جَعَلَ طاعةَ الرسولِ تابعةً لطاعة الله ويجعله عبدًا للهِ ورسولًا، لم يُنكَر عليه الجمعُ بينهما في الضمير، بخلافِ من قد لا يَفهم ذلك، بل يجعل الرسولَ ندًّا، كقولِ القائل: ما شاء الله وشاء محمد.اهـ

هذا وقال بعض المتأخرين: إن قوله: «**قل: من يعص الله ورسوله**» مدرج من بعض الرواة، وإنما قال له النبي ﷺ: «**بئس الخطيب أنت**» فحسب، فلعله رأى منه

أحوالًا لا تليق، وليس الذم متوجهًا إلى العبارة، واستدلوا على ذلك بأنَّ بعض طرق الحديث ليس فيها هذه الزيادة: «**قل: من يعص...**»، وإنما فيه فقط: «**بئس الخطيب أنت**» فحسب.

قال أبوعبد الله: لكن الزيادة في "**مسلم**"، زادها وكيع بن الجراح، والذي لم يزدها هو عبدالرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان، وكلهم أئمة، وهذه الرواية في "**مسلم**"، ولم ينتقدها الحفاظ، كالدارقطني، وغيره.

وأحسن الأجوبة هو الجواب الأول الذي ذكره الشارح، وهو جواب البيضاوي، ثم جواب شيخ الإسلام، ثم جواب الإمام النووي رحمة الله عليهم، والله أعلم.

وقوله: «**بئس الخطيب**» لا يلزم منه أنها معصية، بل كره منه هذه العبارة، هذا هو الذي يفهم من هذه العبارة أنه كرهها، وأن غيرها من العبارات أفضل.

٩ مسألة: لماذا لم ينه النبي ﷺ عن الحلف بالكعبة وقول ما شاء الله وشئت حتى صدر ذلك الكلام من اليهودي؟

قال الإمام العثيمين رحمه الله في "**القول المفيد**" (٢/ ٣٤٠):

فيه إشكال، وهو أن يقال: كيف لم ينبه على هذا العمل إلا هذا اليهودي؟!

وجوابه: أنه يمكن أن الرسول ﷺ لم يسمعه ولم يعلم به، ولكن يقال: بأنَّ الله يعلم، فكيف يقرهم؟ فيبقى الإشكال، لكن يُجاب عليه بأنَّ هذا من الشرك الأصغر دون الأكبر، فتكون الحكمة هي ابتلاء هؤلاء اليهود الذين انتقدوا المسلمين بهذه اللفظة مع أنهم يشركون شركًا أكبر، ولا يرون عيبهم.انتهى

قال أبوعبدالله رحمه الله: أما في مسألة الحلف بالكعبة فقول العثيمين رحمه الله فيه محتمل، ويحتمل أنَّ ذلك كان قبل النهي عنه.

وأما بالنسبة للتشريك بالمشيئة، ففي حديث الطفيل الآتي قريبًا ما يدل على أنَّ النبي ﷺ كان يعلم بذلك، وكان يكرهه، ولكن يمنعه الحياء من النهي عنه، وهذا يدل على أنه لم يكن قد أوحي إليه بالنهي عنه؛ إذ لو أوحي إليه بذلك لنهى عنه، وما منعه منه مانع.

(١٠) مسألة: قوله: لعمرك. ولعمري، وما أشبهه؟

الجمهور على أنها لا تنعقد يمينه؛ لأنه قسم بحياة مخلوق.

وقال الحسن: قوله: (لعمري) فيه كفارة.

والصحيح قول الجمهور، وما جاء من الأحاديث والآثار فيها؛ فهي محمولة على أنه جرى على اللسان بغير إرادة الحلف، والله أعلم.

مثل قول عائشة رضي الله عنها في البخاري (٤٦٩٥): أَجَلْ لَعَمْرِي لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ.

ومثل قولها في صحيح مسلم (١٢٥٥): يَغْفِرُ اللهُ لأَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَعَمْرِى مَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ.

وقولها كما في صحيح مسلم (١٢٧٧): فَلَعَمْرِى مَا أَتَمَّ اللهُ حَجَّ مَنْ لَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصَّفَا.

ومنها قول ابن عباس كما في صحيح مسلم (١٤٠٦): فَلَعَمْرِى لَقَدْ كَانَتِ الْمُتْعَةُ تُفْعَلُ عَلَى عَهْدِ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ.

وقوله كما في صحيح مسلم (١٨١٢): فَلَعَمْرِى إِنَّ الرَّجُلَ لَتَنْبُتُ لِحْيَتُهُ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الأَخْذِ لِنَفْسِهِ ضَعِيفُ العَطَاءِ مِنْهَا فإذا أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنْ صَالِحِ مَا يَأْخُذُ النَّاسُ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ الْيُتْمُ.

وفي **"سنن أبي داود"** (١٦٢٧) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِى أَسَدٍ أَنَّهُ قَالَ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوجَدْتُ عِنْدَهُ رَجُلًا يَسْأَلُهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ أَجِدُ مَا أُعْطِيكَ**». فَتَوَلَّى الرَّجُلُ عَنْهُ وَهُو مُغْضَبٌ، وَهُو يَقُولُ لَعَمْرِى إِنَّكَ

لَتُعْطِي مَنْ شِئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَغْضَبُ عَلَيَّ أَنْ لاَ أَجِدَ مَا أُعْطِيهِ مَنْ سَأَلَ مِنْكُمْ ولَهُ أُوقِيَّةٌ أَو عَدْلُهَا فَقَدْ سَأَلَ الحَافًا**». وإسناده صحيح.

وفي "**مسند أحمد**" (٣/ ٣٥٨) عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له -في قصة جمله- «**لَعَمْرِي مَا نَفَعْنَاكَ لِنُنْزِلَكَ عَنْهُ**»[١].

١١ مسألة: قول الحالف: لعمر الله.

مذهب الحنابلة، والمالكية، وأبي حنيفة أنها يمين منعقدة تُوجِب الكفارة؛ لأنَّ (العَمْر) بمعنى الحياة والبقاء؛ فهو حلف بصفات الله.

وقال الشافعي، وبعض الحنابلة: إن قصد اليمين؛ فهي يمين، وإلا فلا؛ لأنها يمين بتقدير محذوف.

والصحيح القول الأول، والله أعلم[٢].

١٢ مسألة: الحلف بالخروج من الإسلام.

كقول الحالف: (هو يهودي إن فعل كذا) أو(هو نصراني، أو مجوسي، أو كافر)، أو نحو ذلك، أو(هو بريء من الإسلام إن لم يفعل كذا)؛ فهل يكفر بذلك أم لا؟

فالذي عليه جمهور العلماء أنه لا يكفر بذلك إلا إن كان راضيا بالكفر، وكانت حقيقة التعليق مقصودة، وأما إن كان قصده الامتناع من فعل شيء، أو تأكيده وقوع شيء، أو ما أشبه ذلك؛ فإنه يحرم عليه ويأثم، ولكنه ليس بكفر، وهذا هو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة وأكثر الحنفية.

وذهب بعض الحنفية إلى أنه يكفر مطلقًا، وهذا قولٌ ضعيفٌ.

واختلفوا في يمينه: هل تنعقد، وهل يلزم فيها كفارة؟

---

(١) انظر: "المغني" (١٣/ ٤٥٧) "المجموع" (١٨/ ٣٨).

(٢) انظر: "المغني" (١٣/ ٤٥٥) "البيان" (١٠/ ٥٠٥) "الموسوعة الفقهية" (٧/ ٢٥٨).

فذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ عليه في ذلك الكفارة إذا حنث، وهو قول عطاء، وطاوس، والحسن، والشعبي، والثوري، والأوزاعي، وإسحاق، وأصحاب الرأي، وأحمد في رواية، وعليه فتوى الإمام ابن باز، والفوزان، وعبدالعزيز آل الشيخ، وبكر أبوزيد، والغديان، وعليه التوبة والاستغفار.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله (٣٥/ ٢٧٤): ولهذا قال أكثر أهل العلم: إذا قال: هو يهودي، أو نصراني إن لم يفعل ذلك؛ فهي يمين بمنزلة قوله: والله لأفعلن؛ لأنه ربط عدم الفعل بكفره الذي هو براءته من الله، فيكون قد ربط الفعل بإيمانه بالله، وهذا هو حقيقة الحلف بالله. وقالوا: يدخل في عموم الأيمان ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة:٨٩].اهـ

وذهب جماعةٌ من أهل العلم إلى أنه لا كفارة فيها، وهو قول مالك، والشافعي، والليث، وأبي ثور، وابن المنذر، وأحمد في رواية؛ لأنه لم يرد في هذه اليمين نصٌّ، ولا هي في قياس المنصوص؛ فإن الكفارة إنما وجبت في الحلف باسم الله تعظيمًا لاسمه، وإظهارًا لشرفه وعظمته، ولا تتحقق السوية.

واستدلوا على ذلك بحديث ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا فَهُو كَمَا قَالَ**». متفق عليه، وبحديث بريدة عند أحمد (٥/ ٣٥٥)، والنسائي (٧/ ٦)، وغيرهما، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من قال: إني بريء من الإسلام؛ فإن كان كاذبًا فهو كما قال، وإن كان صادقًا؛ لم يعد إلى الإسلام سالمًا**»، وهو حديث صحيح، وهو في "**الصحيح المسند**" لشيخنا الوادعي رحمه الله.

والقول الثاني: عزاه ابن المنذر للأكثر، وهو اختيار ابن حزم، والشوكاني[١].

---

(١) انظر: "المغني" (١٣/ ٤٦٤) "نيل الأوطار" (٥/ ٤٩٠-٤٩١) "السيل" "المحلى" (١١٢٩) "الشرح الممتع" (٦/ ٤٠٥) "فتاوى اللجنة" (٢٣/ ١٩٦).

﴿٣﴾ وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُو الْعِبَادَةُ»، وقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠]، إِلَى قَولِهِ: ﴿دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر:٦٠]. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ، والترمذي بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ.[1]

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

١ مسألة: من الشرك بالله دعاء غير الله.

قال شَيْخُ الإِسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١/ ٣٤٧):

فَإِنَّ دُعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ ولِهَذَا لَمْ يُنْقَلْ دُعَاءُ أَحَدٍ مِنْ المَوتَى والْغَائِبِينَ - لَا الأَنْبِيَاءُ ولَا غَيْرُهُمْ - عَنْ أَحدٍ مِنْ السَّلَفِ وأَئِمَّةِ العِلْمِ وإِنَّمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ المُتَأَخِّرِينَ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ المُجْتَهِدِينَ.اهـ

٢ مسألة: الدعاء ينقسم إلى قسمين.

قال شَيْخُ الإِسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٥/ ١٠):

قَولُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]، ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾: هَاتَانِ الآيَتَانِ مُشْتَمِلَتَانِ عَلَى آدَابِ نَوعَيْ الدُّعَاءِ: دُعَاءُ العِبَادَةِ ودُعَاءُ المَسْأَلَةِ؛ فإن الدُّعَاءَ فِي القُرْآنِ يُرَادُ بِهِ هَذَا تَارَةً وهَذَا تَارَةً ويُرَادُ بِهِ مَجْمُوعُهُمَا؛ وهُمَا مُتَلَازِمَانِ. **فإن دُعَاءَ المَسْأَلَةِ** هُو طَلَبُ مَا يَنْفَعُ الدَّاعِيَ وطَلَبُ كَشْفِ مَا يَضُرُّهُ ودَفْعِهِ. وكُلُّ مَنْ يَمْلِكُ الضُّرَّ والنَّفْعَ فإنه هُو الْمَعْبُودُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا لِلنَّفْعِ والضُّرِّ. ولِهَذَا أَنْكَرَ تَعَالَى عَلَى مَنْ عَبَدَ مَنْ دُونِهِ مَا لَا يَمْلِكُ ضُرًّا ولَا نَفْعًا. وذَلِكَ كَثِيرٌ فِي القُرْآنِ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦]، وقَالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

---

[1] (١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩).

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس:١٨]، فَنَفَى سُبْحَانَهُ عَنْ هَؤُلَاءِ المَعْبُودِينَ الضَّرَّ والنَّفْعَ القَاصِرَ والْمُتَعَدِّيَ فَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ولَا لِعَابِدِيهِمْ. وهَذَا كَثِيرٌ فِي القُرْآنِ يُبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّ المَعْبُودَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا لِلنَّفْعِ. والضُّرِّ فَهُو يَدْعُو لِلنَّفْعِ والضُّرِّ دُعَاءَ المَسْأَلَةِ ويَدْعُو خَوفًا ورَجَاءً دُعَاءَ العِبَادَةِ فَعُلِمَ أَنَّ النَّوعَيْنِ مُتَلَازِمَانِ فَكُلُّ دُعَاءِ عِبَادَةٍ مُسْتَلْزِمٌ لِدُعَاءِ المَسْأَلَةِ. وكُلُّ دُعَاءِ مَسْأَلَةٍ مُتَضَمِّنٌ لِدُعَاءِ العِبَادَةِ. وعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، يَتَنَاولُ نَوعَيِ الدُّعَاءِ. وبِكُلِّ مِنْهُمَا فُسِّرَتْ الآيَةُ. **قِيلَ**: أُعْطِيهِ إذا سَأَلَنِي. **وقِيلَ**: أُثِيبُهُ إذا عَبَدَنِي. والْقَولَانِ مُتَلَازِمَانِ. ولَيْسَ هَذَا مِنْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ كِلَيْهِمَا أَو اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي حَقِيقَتِهِ ومَجَازِهِ؛ بَلْ هَذَا اسْتِعْمَالُهُ فِي حَقِيقَتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فَتَأَمَّلْهُ فإنه مَوضُوعٌ عَظِيمُ النَّفْعِ وقُلْ مَا يُفْطَنُ لَهُ.

قال: ومِنْ ذَلِكَ قَوله تَعَالَى ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان:٧٧]، أَيْ دُعَاؤُكُم إيَّاهُ **وقِيلَ**: دُعَاؤُهُ إيَّاكُمْ إلَى عِبَادَتِهِ فَيَكُونُ المَصْدَرُ مُضَافًا إلَى المَفْعُولِ ومَحَلُّ الأَولِ مُضَافًا إلَى الفَاعِلِ وهُو الْأَرْجَحُ مِنْ القَولَيْنِ. وعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ بِهِ نَوعَيِ الدُّعَاءِ وهُو فِي دُعَاءِ العِبَادَةِ أَظْهَرُ أَيْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ لَولَا أَنَّكُمْ تَرْجُونَهُ وعِبَادَتُهُ تَسْتَلْزِمُ مَسْأَلَتَهُ. فَالنَّوعَانِ دَاخِلَانِ فِيهِ. ومِنْ ذَلِكَ قَوله تَعَالَى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠]، فَالدُّعَاءُ يَتَضَمَّنُ النَّوعَيْنِ وهُو فِي دُعَاءِ العِبَادَةِ أَظْهَرُ؛ ولِهَذَا أَعْقَبَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ﴾ [غافر:٦٠]، الآيَةُ. ويُفَسَّرُ الدُّعَاءُ فِي الآية بِهَذَا وهَذَا. ورَوى التِّرْمِذِيُّ عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ - عَلَى المِنْبَرِ - «**إنَّ الدُّعَاءَ هُو العِبَادَةُ. ثُمَّ قَرَأَ قَوله تَعَالَى** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] الآيَةُ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وأَمَّا قَوله تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الحج:٧٣] الآيَةُ. وقَولُهُ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن

دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ [النساء:١١٧] الآيَةُ. وقَولُهُ: ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ ﴾ [فصلت:٤٨] الآيَةُ. وكُلُّ مَوضِعٍ ذَكَرَ فِيهِ دُعَاءَ المُشْرِكِينَ لِأَوثَانِهِمْ فَالْمُرَادُ بِهِ دُعَاءُ العِبَادَةِ المُتَضَمِّنُ دُعَاءَ المَسْأَلَةِ فَهُو فِي دُعَاءِ العِبَادَةِ أَظْهَرُ؛ **لِوجُوهٍ ثَلاثَةٍ:**

أَحدُهَا: أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣] فَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ دُعَاءَهُمْ إِيَّاهُمْ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ.

الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: فَسَّرَ هَذَا الدُّعَاءَ فِي مَوضِعٍ آخَرَ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ ﴾ [الشعراء:٩٢]، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ ﴾ [الشعراء:٩٣]، وقَوله تَعَالَى ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ ﴾ [الأنبياء:٩٨]، وقَوله تَعَالَى ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ ﴾ [الكافرون:٢]، فَدُعَاؤُهُمْ لِآلِهَتِهِمْ هُو عِبَادَتُهُمْ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا فِي الرَّخَاءِ فإذا جَاءَتْهُمْ الشَّدَائِدُ دَعَوا اللَّهَ وحْدَهُ وتَرَكُوهَا ومَعَ هَذَا فَكَانُوا يَسْأَلُونَهَا بَعْضَ حَوائِجِهِمْ ويَطْلُبُونَ مِنْهَا وكَانَ دُعَاؤُهُمْ لَهَا دُعَاءَ عِبَادَةٍ ودُعَاءَ مَسْأَلَةٍ. وقَوله تَعَالَى ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر:١٤] هُو دُعَاءُ العِبَادَةِ والْمَعْنَى أُعْبُدُوهُ وحْدَهُ وأَخْلِصُوا عِبَادَتَهُ لَا تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ.

وأَمَّا قَولُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ ﴾ [إبراهيم:٣٩] فَالْمُرَادُ بِالسَّمْعِ هَاهُنَا السَّمْعُ الخَاصُّ وهُو سَمْعُ الإِجَابَةِ والْقَبُولِ لَا السَّمْعُ العَامُّ؛ لِأَنَّهُ سَمِيعٌ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ. **وإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالدُّعَاءُ:** دُعَاءُ العِبَادَةِ ودُعَاءُ الطَّلَبِ وسَمْعُ الرَّبِّ تَعَالَى لَهُ إِثَابَتُهُ عَلَى الثَّنَاءِ وإِجَابَتُهُ لِلطَّلَبِ فَهُو سَمِيعٌ هَذَا وهَذَا.

وأَمَّا قَولُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ ﴾ [مريم:٤]، **فَقَدْ قِيلَ:** إِنَّهُ دُعَاءُ المَسْأَلَةِ، والْمَعْنَى: أَنَّك عَودْتَنِي إِجَابَتَك ولَمْ تُشْقِنِي بِالرَّدِّ والْحِرْمَانِ؛ فَهُو تَوسُّلٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى بِمَا سَلَفَ مِنْ إِجَابَتِهِ وإِحْسَانِهِ وهَذَا ظَاهِرٌ هَاهُنَا.

وأَمَّا قَوله تَعالَى ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ ﴾ الآيَةُ: فَهَذَا الدُّعَاءُ: المَشْهُورُ أَنَّهُ دُعَاءُ المَسْأَلَةِ وهُو سَبَبُ النُّزُولِ. قَالُوا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ فَيَقُولُ مَرَّةً: (يَا اللهُ) ومَرَّةً (يَا رَحْمَنُ) فظَنَّ المُشْرِكُونَ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَهَيْنِ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ.

وأَمَّا قَوْلُهُ ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:٢٨] فَهَذَا دُعَاءُ العِبَادَةِ المُتَضَمِّنُ لِلسُّلُوكِ رَغْبَةً ورَهْبَةً، والْمَعْنَى: إِنَّا كُنَّا نُخْلِصُ لَهُ العِبَادَةَ؛ وبِهَذَا اسْتَحَقُّوا أَنْ وقَاهُمْ اللهُ عَذَابَ السُّمُومِ لَا بِمُجَرَّدِ السُّؤَالِ المُشْتَرَكِ بَيْنَ النَّاجِي وغَيْرِهِ؛ فإنه سُبْحَانَهُ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والْأَرْضِ ﴿لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ ﴾ [الكهف:١٤] أَيْ: لَنْ نَعْبُدَ غَيْرَهُ. وكَذَا قَوْلُهُ: ﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا ﴾ [الصافات:١٢٥] الآيَةُ.

وأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ ﴾ [القصص:٦٤] فَهَذَا دُعَاءُ المَسْأَلَةِ يَكْبِتُهُمْ اللهُ ويُخْزِيهِمْ يومَ القِيَامَةِ بِآرَائِهِمْ أَنَّ شُرَكَاءَهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ دَعْوتَهُمْ ولَيْسَ المُرَادُ اُعْبُدُوهُمْ. وهُو نَظِيرُ قَوله تَعالَى ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ ﴾ [الكهف:٥٢].

إذا عُرِفَ هَذَا: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ﴾ [الأعراف:٥٥] يَتَنَاوَلُ نَوعَيْ الدُّعَاءِ؛ لَكِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي دُعَاءِ المَسْأَلَةِ مُتَضَمِّنٌ دُعَاءَ العِبَادَةِ ولِهَذَا أَمَرَ بِإِخْفَائِهِ وإِسْرَارِهِ. قَالَ الحَسَنُ: بَيْنَ دَعْوةِ السِّرِّ ودَعْوةِ العَلَانِيَةِ سَبْعُونَ ضِعْفًا ولَقَدْ كَانَ المُسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ ومَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوتٌ أَيْ مَا كَانَتْ إِلَّا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وبَيْنَ رَبِّهِمْ عَزَّ وجَلَّ؛ وذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ﴾ [الأعراف:٥٥] وأَنَّهُ ذَكَرَ عَبْدًا صَالِحًا ورَضِيَ بِفِعْلِهِ فَقَالَ: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾ [مريم:٣]. **وفِي إِخْفَاءِ الدُّعَاءِ فَوائِدُ عَدِيدَةٌ:**

أَحدُهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ إيمانا؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَعلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ الخَفِيَّ.

وثَانِيهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ فِي الأَدَبِ والتَّعْظِيمِ لِأَنَّ المُلُوكَ لَا تُرْفَعُ الأَصْواتُ عِنْدَهُمْ ومَنْ رَفَعَ صَوتَهُ لَدَيْهِمْ مَقَتُوهُ ولِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى فإذا كَانَ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ الخَفِيَّ فَلَا يَلِيقُ بِالْأَدَبِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا خَفْضُ الصَّوتِ بِهِ.

وثَالِثُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي التَّضَرُّعِ والْخُشُوعِ الَّذِي هُو رُوحُ الدُّعَاءِ ولُبُّهُ ومَقْصُودُهُ. فإن الخَاشِعَ الذَّلِيلَ إنَّمَا يَسْأَلُ مَسْأَلَةَ مِسْكِينٍ ذَلِيل قَدْ انْكَسَرَ قَلْبُهُ. وذَلَّتْ جَوارِحُهُ وخَشَعَ صَوتُهُ؛ حَتَّى إنَّهُ لَيَكَادُ تَبْلُغُ ذِلَّتُهُ وسَكِينَتُهُ وضَرَاعَتُهُ إلَى أَنْ يَنْكَسِرَ لِسَانُهُ فَلَا يُطَاوِعُهُ بِالنُّطْقِ. وقَلْبُهُ يَسْأَلُ طَالِبًا مُبْتَهِلًا ولِسَانُهُ لِشِدَّةِ ذِلَّتِهِ سَاكِتًا وهَذِهِ الحَالُ لَا تَأْتِي مَعَ رَفْعِ الصَّوتِ بِالدُّعَاءِ أَصْلًا.

ورَابِعُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الإِخْلَاصِ.

وخَامِسُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي جَمْعِيَّةِ القَلْبِ عَلَى الذِّلَّةِ فِي الدُّعَاءِ فإن رَفْعَ الصَّوتِ يَفْرُقُهُ فَكُلَّمَا خَفَضَ صَوتَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي تَجْرِيدِ هِمَّتِهِ وقَصْدِهِ لِلْمَدْعُو سُبْحَانَهُ.

وسَادِسُهَا: -وهو من النُّكَتِ البَدِيعَةِ جِدًّا- أَنَّهُ دَالٌّ عَلَى قُرْبِ صَاحِبِهِ لِلْقَرِيبِ لَا مَسْأَلَةِ نِدَاءِ البَعِيدِ لِلْبَعِيدِ؛ ولِهَذَا أَثْنَى اللهُ عَلَى عَبْدِهِ زَكَرِيَّا بِقَولِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:٣].

وقال شيخ الإسلام كما في "المستدرك من مجموع الفتاوى" (١/ ١٦):

الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو: عبادة الله وحده لا شريك له. فإذا كان مطلوب العبد من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله مثل: شفاء مريضه، أو وفاء دينه من غير جهة معينة، أو عافيته مما به من بلاء الدنيا والآخرة، أو انتصاره على عدوه، أو هداية قلبه، أو غفران ذنبه، أو دخوله الجنة ونجاته من النار، أو أن يتعلم العلم والقرآن، أو أن يصلح قلبه، ويُحسِّن خُلُقه، وأمثال ذلك، فهذا لا يجوز أن يطلب إلا من الله تعالى.

ولا يجوز أن يقول لملك ولا نبي ولا شيخ ميت أوحي: اغفر لي ذنبي وانصرني على عدوي. فمن سأل مخلوقا شيئا من ذلك فهو مشرك به قد اتخذه لله ندا، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وهذا مثل دين النصارى.

وكذلك قوله: يا سيدي فلان أنا في حسبك، أوفي جيرتك، فلان يظلمني يا شيخي فلان: انصرني عليه.

وأما ما يقدر عليه العبد فيجوز أن يطلب منه في بعض الأحوال دون بعض، فإن (مسألة المخلوق) قد تكون جائزة، وقد تكون منهيا عنها. ومن ذلك قوله: يا فلان ادع الله لي، اسأل الله لي كذا. فطلب الدعاء ممن هو فوقه أو دونه مشروع، وقد قال ﷺ: «**مَنْ سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي**»[١]، وذلك لأجل منفعته ﷺ بطلب الوسيلة له ومنفعتنا بالشفاعة.

وفرق بين من يطلب من غيره الدعاء لمنفعته منه وبين من يسأل غيره لحاجته إليه فقط. وفي الصحيح أن عمر رضي الله عنه قال: «**اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا**»[٢].

وأما زيارة القبور المشروعة؛ فهي: أن يسلم على الميت ويدعو له فقط كالصلاة على جنازته. فليس في الزيارة المشروعة حاجة للحي إلى الميت ولا توسل به؛ بل فيها منفعة الميت كالصلاة عليه، والله يرحم هذا ويثيبه على عمله، ويرحم هذا ويثيبه على دعائه للميت وتذكره الدار الآخرة، كما علم النبي ﷺ الصحابة الزيارة، وكما كان هو ﷺ يزور.اهـ

٣ مسألة: سؤال الميت له ثلاث أحوال:

قال شَيْخُ الإِسْلَام رحمه الله كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١/ ٣٥٠- ٣٥٧):

والْمَرَاتِبُ فِي هَذَا البَابِ ثَلاثٌ: -

إِحْدَاهَا: أَنْ يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ وهُو مَيِّتٌ أَو غَائِبٌ سَواءٌ كَانَ مِنْ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ أَو غَيْرِهِمْ فَيَقُولُ: يَا سَيِّدِي فُلَانٌ أَغِثْنِي أَو أَنَا أَسْتَجِيرُ بك أَو أَسْتَغِيثُ بِك أَو انْصُرْنِي عَلَى عَدُوي. ونَحْو ذَلِكَ فَهَذَا هُو الشِّرْكُ بِاَللَّهِ. والْمُسْتَغِيثُ بِالْمَخْلُوقَاتِ قَدْ يَقْضِي الشَّيْطَانُ حَاجَتَهُ أَو بَعْضَهَا وقَدْ يَتَمَثَّلُ لَهُ فِي صُورَةِ الَّذِي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٠١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

اسْتَغَاثَ بِهِ فَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ كَرَامَةٌ لِمَنْ اسْتَغَاثَ بِهِ؛ وإِنَّمَا هُو شَيْطَانٌ دَخلَهُ وأَغْواهُ لَمَّا أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَا يَتكَلَّمُ الشَّيْطَانُ فِي الأَصْنَامِ وفِي المَصْرُوعِ وغَيْرِ ذَلِكَ ومِثْلُ هَذَا واقِعٌ كَثِيرًا فِي زَمَانِنَا وغَيْرِهِ وأَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَطُولُ وصْفُهُ فِي قَومٍ اسْتَغَاثُوا بِي أَو بِغَيْرِي وذَكَرُوا أَنَّهُ أَتى شَخْصٌ عَلَى صُورَتِي أَو صُورَةِ غَيْرِي وقَضَى حَوائِجَهُمْ فَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَرَكَةِ الاسْتِغَاثَةِ بِي أَو بِغَيْرِي وإِنَّمَا هُو شَيطَانٌ أَضَلَّهُمْ وأَغْواهُمْ وهَذَا هُو أَصْلُ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ واتِّخَاذِ الشُّرَكَاءِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الصَّدْرِ الأَولِ مِنْ القُرُونِ المَاضِيَةِ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَهَذَا أَشْرَكَ بِاللَّهِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ

وأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ: اغْفِرْ لِي وتُبْ عَلَيَّ كَمَا يَفْعَلُهُ طَائِفَةٌ مِنْ الجُهَّالِ المُشْرِكِينَ. وأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَسْجُدَ لِقَبْرِهِ ويُصَلِّيَ إِلَيْهِ ويَرَى الصَّلَاةَ أَفْضَلَ مِنْ اسْتِقْبَالِ القِبْلَةِ حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ: هَذِهِ قِبْلَةُ الخَواصِّ والْكَعْبَةُ قِبْلَةُ العَوامِّ. وأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَرَى السَّفَرَ إِلَيْهِ مِنْ جِنْسِ الحَجِّ حَتَّى يَقُولَ إِنَّ السَّفَرَ إِلَيْهِ مَرَّاتٌ يَعْدِلُ حَجَّةً وغُلَاتُهُمْ يَقُولُونَ: الزِّيَارَةُ إِلَيْهِ مَرَّةً أَفْضَلُ مِنْ حَجِّ البَيْتِ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ. ونَحْو ذَلِكَ فَهَذَا شِرْكٌ بِهِمْ وإِنْ كَانَ يَقَعُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فِي بَعْضِهِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَيِّتِ أَو الغَائِبِ مِنْ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ: أُدْعُ اللَّهَ لِي أَو أُدْعُ لَنَا رَبَّك أَو اسْأَلْ اللَّهَ لَنَا كَمَا تَقُولُ النَّصَارَى لِمَرْيَمَ وغَيْرِهَا فَهَذَا أَيْضًا لَا يَسْتَرِيبُ عَالِمٌ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ وأَنَّهُ مِنْ البِدَعِ الَّتِي لَمْ يَفْعَلْهَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ؛ وإِنْ كَانَ السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ القُبُورِ جَائِزًا ومُخَاطَبَتُهُمْ جَائِزَةً كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ إِذا زَارُوا القُبُورَ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ «**السَّلَامُ عَلَيكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ المُؤْمِنِينَ والْمُسْلِمِينَ وإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ. يَغْفِرُ اللهُ لَنَا ولَكُمْ نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا ولَكُمْ العَافِيَةَ. اللهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ ولَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ واغْفِرْ لَنَا ولَهُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٧٥) عن بريدة رضي الله عنه، وليس فيه الزيادة: «**اللهم لا تحرمنا أجرهم...**»، وإنما هي في ضمن الدعاء للميت.

وروى أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ البَرِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ الرَّجُلِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»(١).

---

(١) **ضعيف جدًا**: تخريجه من "السلسلة الضعيفة" (٤٤٩٣)، للإمام الألباني رحمه الله:

قال رحمه الله: أخرجه أبو بكر الشافعي في "مجلسان" (٦/ ١) ، وابن جميع في "معجمه" (٣٥١) ، وأبو العباس الأصم في "الثاني من حديثه" (ق ١٤٣/ ٢ ورقم ٤٣ - منسوختي) ، ومن طريقه الخطيب في "التاريخ" (٦/ ١٣٧) ، وتمام في "الفوائد" (٢/ ١٩/ ١) ، وعنه ابن عساكر (٣/ ٢٠٩/ ٢ و ٨/ ٥١٧/ ١) ، والديلمي (٤/ ١١) ، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" (١٢/ ٥٩٠) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة مرفوعاً، بلفظ: «**ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا؛ فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**».

قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً ؛ عبد الرحمن بن زيد ؛ متروك كما تقدم مراراً ، وساق الذهبي في ترجمته هذا الحديث في جملة ما أنكر عليه .

وقد توبع عليه ، لكن في الطريق من لا يحتج به ، فقال ابن أبي الدنيا في "كتاب القبور" - باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء (١) : حدثنا محمد بن قدامة الجوهري : حدثنا معن بن عيسى القزاز : أخبرنا هشام بن سعد : حدثنا زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه ؛ رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه ؛ رد عليه السلام**».

قلت : وهذا مع كونه موقوفاً على أبي هريرة ؛ فإنه منقطع وضعيف. أما الانقطاع ؛ فلأن زيد بن أسلم لم يسمع منه ؛ كما قال ابن معين. وأما الضعف ؛ فهو من الجوهري هذا ؛ قال ابن معين : ليس بشيء. وقال أبو داود: ضعيف ، لم أكتب عنه شيئاً قط.

قلت : ولهذا أورده الذهبي في "الضعفاء" ، وقال في "الميزان" : وقد وهم الخطيب وغيره في خلط ترجمته بترجمة محمد بن قدامة بن أعين المصيصي الثقة. وقال الحافظ ابن حجر في "التهذيب": وميزه ابن أبي حاتم وغيره ، وهو الصواب. ثم استدل على ذلك بدليل قوي فليراجعه من شاء ، وقال في "التقريب": فيه لين ، ووهم من خلطه بالذي قبله. يعني المصيصي الثقة .

قلت : وللحديث شاهد من حديث ابن عباس صححه البعض ، فوجب تحرير القول فيه بعد أن يسر الله لي الوقوف على إسناده في "مخطوطة المحمودية في المدينة النبوية" ، فقال الحافظ ابن عبد البر في "شرح الموطأ" (١/ ١٤٧/ ١) : أخبرنا أبو عبد الله عبيد بن محمد- قراءةً مني عليه سنة تسعين، وثلاث مئة في ربيع الأول - قال : أملت علينا فاطمة بنت الريان المخزومي المستملي - في دارها بمصر في شوال سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة - قالت : أخبرنا الربيع بن سليمان المؤذن -صاحب الشافعي- : أخبرنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: فذكره.

=

وفِي "**سُنَنِ أَبِي دَاود**" عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»[١] لَكِنْ لَيْسَ مِنْ المَشْرُوعِ أَنْ يُطْلَبَ مِنْ الأَمْوَاتِ لَا دُعَاءٌ ولَا غَيْرُهُ. وفِي "**مُوطَّأِ مَالِكٍ**" أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْك يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلَامُ عَلَيْك يَا أَبَتِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ**»[٢].
وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: رَأَيْت عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقِفُ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ويَدْعُو لِأَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ[٣]. وكَذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ[٤] وغَيْرُهُ نُقِلَ

= قلت : وهذا إسناد غريب ؛ الربيع بن سليمان فمن فوقه؛ ثقات معروفون من رجال "التهذيب"، وأما من دونه فلم أعرفهما ، لا شيخ ابن عبد البر، ولا المملية فاطمة بنت الريان، وظني أنها تفردت - بل شذت - بروايتها الحديث عن الربيع بن سليمان بهذا الإسناد الصحيح له عن ابن عباس؛ فإن المحفوظ عنه إنما هو الإسناد الأول.

كذلك رواه الحافظ الثقة أبو العباس الأصم السابق الذكر، قال: حدثنا الربيع بن سليمان: حدثنا بشر بن بكر ، عن عبد الرحمن بن زيد، بإسناده المتقدم عن أبي هريرة. وكذلك هو عند تمام من طريقين أخريين عن الربيع به .

ومن هذا التحقيق يتبين أن قول عبد الحق الإشبيلي في "أحكامه" (٨٠/ ١): إسناده صحيح.

غير صحيح ، وإن تبعه العراقي في "تخريج الإحياء" (٤/ ٤١٩ - حلبي) ، وأقره المناوي ! وأما الحافظ ابن رجب الحنبلي ؛ فقد رده بقوله في "أهوال القبور" (ق ٨٣/ ٢): يشير إلى أن رواته كلهم ثقات ، وهو كذلك ؛ إلا أنه غريب ، بل منكر.اهـ

ثم ساق حديث أبي هريرة مرفوعاً في شهداء أحد : «**أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده! لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة**». وأعله بالاضطراب والإرسال، وسأخرج ذلك فيما يأتي (٥٢٢١).

(تنبيه): سقط من إسناد ابن جميع والذهبي اسم عطاء بن يسار ، فقال الذهبي عقبه: غريب، ومع ضعفه، ففيه انقطاع؛ ما علمنا زيداً سمع أبا هريرة. انتهى كلام الإمام الألباني رحمه الله.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١) بإسناد حسن.

(٢) **صحيح**. أخرجه إسماعيل القاضي في "فضل الصلاة" رقم (١٠٠) بإسناد صحيح من طريق: أيوب عن نافع به، وأخرجه عبد الرزاق (٦٧٢٤)، من طريق: أيوب وعبيد الله وعبد الله، عن نافع به، وفيه: قال عبيد الله: لا نعلم أحدًا فعل ذلك من أصحاب النبي ﷺ؛ إلا ابن عمر.

(٣) **صحيح**. أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٦٦) عن عبد الله بن دينار به. وإسناده صحيح.

(٤) لم أجد له سندًا عنه رضي الله عنه.

عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَلِّمُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فإذا أَرَادُوا الدُّعَاءَ اسْتَقْبَلُوا القِبْلَةَ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَدْعُونَ مُسْتَقْبِلِي الحُجْرَةِ وإِنْ كَانَ قَدْ وقَعَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ طَوائِفُ مِنْ الفُقَهَاءِ والصُّوفِيَّةِ والْعَامَّةِ مَنْ لَا اعْتِبَارَ بِهِمْ فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ إِمَامٌ مُتَّبَعٌ فِي قَولِهِ: ولَا مَنْ لَهُ فِي الأُمَّةِ لِسَانُ صِدْقٍ عَامٌّ.

ومَذْهَبُ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ - مَالِكٍ وأَبِي حَنِيفَةَ والشَّافِعِيِّ وأَحْمَدَ - وغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الإِسْلَامِ أَنَّ الرَّجُلَ إذا سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وأَرَادَ أَنْ يَدْعُو لِنَفْسِهِ فإنه يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ. واخْتَلَفُوا فِي وقْتِ السَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ الثَّلَاثَةُ - مَالِكٌ والشَّافِعِيُّ وأَحْمَدُ -: يَسْتَقْبِلُ الحُجْرَةَ ويُسَلِّمُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْقَاءِ وجْهِهِ وقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا يَسْتَقْبِلُ الحُجْرَةَ وقْتَ السَّلَامِ كَمَا لَا يَسْتَقْبِلُهَا وقْتَ الدُّعَاءِ بِاتِّفَاقِهِمْ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُقَالَ: أَسْأَلُك بِفُلَانٍ أَو بِجَاهِ فُلَانٍ عِنْدَك ونَحْو ذَلِكَ الَّذِي تَقَدَّمَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وأَبِي يُوسُفَ وغَيْرِهِمَا أَنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ. وتَقَدَّمَ أَيْضًا أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَشْهُورٍ عَنْ الصَّحَابَةِ بَلْ عَدَلُوا عَنْهُ إِلَى التَّوسُّلِ بِدُعَاءِ العَبَّاسِ وغَيْرِهِ. وقَدْ تَبَيَّنَ مَا فِي لَفْظِ (التَّوسُّلِ) مِنْ الِاشْتِرَاكِ بَيْنَ مَا كَانَتْ الصَّحَابَةُ تَفْعَلُهُ وبَيْنَ مَا لَمْ يَكُونُوا يَفْعَلُونَهُ فإن لَفْظَ التَّوسُّلِ والتَّوجُّهِ فِي عُرْفِ الصَّحَابَةِ ولُغَتِهِمْ هُو التَّوسُّلُ والتَّوجُّهُ بِدُعَائِهِ وشَفَاعَتِهِ.

ولِهَذَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوسَّلَ ويَتَوجَّهَ بِدُعَاءِ كُلِّ مُؤْمِنٍ وإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ المَشَايِخِ المَتْبُوعِينَ يَحْتَجُّ بِمَا يَرْوِيهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا أَعْيَتْكُمْ الأُمُورُ فَعَلَيْكُمْ بِأَهْلِ القُبُورِ أَو فَاسْتَعِينُوا بِأَهْلِ القُبُورِ**» فَهَذَا الحَدِيثُ كَذِبٌ مُفْتَرًى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِإِجْمَاعِ العَارِفِينَ بِحَدِيثِهِ لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ مِنْ العُلَمَاءِ بِذَلِكَ ولَا يُوجَدُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الحَدِيثِ المُعْتَمَدَةِ. وقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا** ﴾ [الفرقان:٥٨] .

وهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْلَامِ أَنَّهُ غَيْرُ مَشْرُوعٍ، وقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَمَّا هُو أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ - عَنْ اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ ونَحْو ذَلِكَ - ولَعَنَ أَهْلَهُ

تَحْذِيرًا مِنْ التَّشَبُّهِ بِهِمْ فإن ذَلِكَ أَصْلُ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:٢٣]، فإن هَؤُلَاءِ كَانُوا قَومًا صَالِحِينَ فِي قَومِ نُوحٍ فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ ثُمَّ صَورُوهُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الأَصْنَامَ عَلَى صُورِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ[١] وغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ.

فَمَنْ فَهِمَ مَعْنَى قَولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة:٥] عَرفَ أَنَّهُ لَا يُعِينُ عَلَى العِبَادَةِ الإِعَانَةَ المُطْلَقَةَ إِلَّا اللهُ وحْدَهُ، وأَنَّهُ يُسْتَعَانُ بِالْمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وكَذَلِكَ الِاسْتِغَاثَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِاللَّهِ، والتَّوكُّلُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَيْهِ ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٢٦] فَالنَّصْرُ المُطْلَقُ - وهُو خَلْقُ مَا يَغْلِبُ بِهِ العَدُو- لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، وفِي هَذَا القَدْرِ كِفَايَةٌ لِمَنْ هَدَاهُ اللهُ واللهُ أَعْلَمُ. انتهى باختصار. وانظر (٢٧/ ٧٢).

قال شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله **كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى»** (١/ ١٥٧):

والْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ وصَفَهُمْ اللهُ ورَسُولُهُ بِالشِّرْكِ أَصْلُهُمْ صِنْفَانِ: قَومُ نُوحٍ. وقَومُ إِبْرَاهِيمَ: **فَقَومُ نُوحٍ** كَانَ أَصْلُ شِرْكِهِمْ العُكُوفَ عَلَى قُبُورِ الصَّالِحِينَ، ثُمَّ صَورُوا تَمَاثِيلَهُمْ ثُمَّ عَبَدُوهُمْ. **وقَومُ إِبْرَاهِيمَ** كَانَ أَصْلُ شِرْكِهِمْ عِبَادَةَ الكَوَاكِبِ والشَّمْسِ والْقَمَرِ، وكُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ يَعْبُدُونَ الجِنَّ، فإن الشَّيَاطِينَ قَدْ تُخَاطِبُهُمْ وتُعِينُهُمْ عَلَى أَشْيَاءَ، وقَدْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ المَلَائِكَةَ، وإِنْ كَانُوا فِي الحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الجِنَّ، فإن الجِنَّ هُمْ الَّذِينَ يُعِينُونَهُمْ ويَرْضَونَ بِشِرْكِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبأ:٤٠]، ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤١]. والْمَلَائِكَةُ لَا تُعِينُهُمْ عَلَى الشِّرْكِ لَا فِي المَحْيَا ولَا فِي المَمَاتِ ولَا يَرْضَونَ بِذَلِكَ، ولَكِنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ تُعِينُهُمْ وتَتَصَورُ لَهُمْ فِي صُورِ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢١٧).

الآدَمِيِّينَ، فَيَرَونَهُمْ بِأَعْيُنِهِمْ، ويَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَنَا إِبْرَاهِيمُ أَنَا المَسِيحُ أَنَا مُحَمَّدٌ أَنَا الخَضِرُ أَنَا أَبُوبَكْرٍ أَنَا عُمَرُ أَنَا عُثْمَانُ أَنَا عَلِيٌّ أَنَا الشَّيْخُ فُلَانٌ، **وقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ**: هَذَا هُو النَّبِيُّ فُلَانٌ أَو هَذَا هُو الْخَضِرُ، ويَكُونُ أُولَئِكَ كُلُّهُمْ جِنًّا يَشْهَدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، والْجِنُّ كَالْإِنْسِ فَمِنْهُمْ الكَافِرُ ومِنْهُمْ الفَاسِقُ ومِنْهُمْ العَاصِي، وفِيهِمْ العَابِدُ الجَاهِلُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُحِبُّ شَيْخًا فَيَتَزَيَّا فِي صُورَتِهِ، ويَقُولُ: أَنَا فُلَانٌ، ويَكُونُ ذَلِكَ فِي بَرِّيَّةٍ ومَكَانٍ قَفْرٍ، فَيُطْعِمُ ذَلِكَ الشَّخْصَ طَعَامًا ويَسْقِيهِ شَرَابًا، أَو يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، أَو يُخْبِرُهُ بِبَعْضِ الأُمُورِ الواقِعَةِ الغَائِبَةِ، فَيَظُنُّ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَنَّ نَفْسَ الشَّيْخِ المَيِّتِ أَو الْحَيِّ فَعَلَ ذَلِكَ، **وقَدْ يَقُولُ**: هَذَا سِرُّ الشَّيْخِ، وهَذِهِ رَقِيقَتُهُ وهَذِهِ حَقِيقَتُهُ، أَو هَذَا مَلَكٌ جَاءَ عَلَى صُورَتِهِ، وإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جِنِّيًّا، فإِن المَلَائِكَةَ لَا تُعِينُ عَلَى الشِّرْكِ والإِفْكِ والإِثْمِ والْعُدْوانِ.

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإسراء:٥٦]، ﴿ **أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾ [الإسراء:٥٧]، **قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ**: كَانَ أَقْوامٌ يَدْعُونَ المَلَائِكَةَ والْأَنْبِياءَ كَالْعُزَيْرِ والْمَسِيحِ فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ المَلَائِكَةَ والْأَنْبِيَاءَ عِبَادُ اللَّهِ كَمَا أَنَّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ عِبَادُ اللَّهِ وبَيَّنَ أَنَّهُمْ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ويَخَافُونَ عَذَابَهُ ويَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَفْعَلُ سَائِرُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

والْمُشْرِكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ يَقُولُونَ: إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِهِمْ أَيْ نَطْلُبُ مِنْ المَلَائِكَةِ والْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا فإِذا أَتَيْنَا قَبْرَ أَحَدِهِمْ طَلَبْنَا مِنْهُ أَنْ يَشْفَعَ لَنَا فإِذا صَوَّرْنَا تِمْثَالَهُ - والتَّمَاثِيلُ إِمَّا مُجَسَّدَةٌ وإِمَّا تَمَاثِيلُ مُصَورَةٌ كَمَا يُصَورُهَا النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ - قَالُوا: فَمَقْصُودُنَا بِهَذِهِ التَّمَاثِيلِ تَذَكُّرُ أَصْحَابِهَا وسِيَرِهِمْ ونَحْنُ نُخَاطِبُ هَذِهِ التَّمَاثِيلَ ومَقْصُودُنَا خِطَابُ أَصْحَابِهَا لِيَشْفَعُوا لَنَا إِلَى اللَّهِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: يَا سَيِّدِي فُلَانٌ أَويَا سَيِّدِي جرجس أَو بِطَرْسِ أَويَا سِتِّي الحَنُونَةُ مَرْيَمُ أَويَا سَيِّدِي الخَلِيلُ

أَو مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ أَو غَيْرَ ذَلِكَ اشْفَعْ لِي إِلَى رَبِّك، وقَدْ يُخَاطِبُونَ المَيِّتَ عِنْدَ قَبْرِهِ: سَلْ لِي رَبَّك، أَو يُخَاطِبُونَ الحَيَّ وهُو غَائِبٌ كَمَا يُخَاطِبُونَهُ لَوكَانَ حَاضِرًا حَيًّا ويُنْشِدُونَ قَصَائِدَ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ فِيهَا: يَا سَيِّدِي فُلَانٌ أَنَا فِي حَسَبِك أَنَا فِي جِوارِك اشْفَعْ لِي إِلَى اللَّهِ، سَلْ اللَّهَ لَنَا أَنْ يَنْصُرَنَا عَلَى عَدُونَا، سَلْ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنَّا هَذِهِ الشِّدَّةَ، أَشْكُو إِلَيْك كَذَا وكَذَا فَسَلْ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ هَذِهِ الكُرْبَةَ، أَو يَقُولُ أَحَدُهُمْ: سَلْ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي، ومِنْهُمْ مَنْ يَتَأَوَّلُ قَوله تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

ويَقُولُونَ: إذا طَلَبْنَا مِنْهُ الِاسْتِغْفَارَ بَعْدَ مَوتِهِ كُنَّا بِمَنْزِلَةِ الَّذِينَ طَلَبُوا الِاسْتِغْفَارَ مِنْ الصَّحَابَةِ ويُخَالِفُونَ بِذَلِكَ إجْمَاعَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وسَائِرَ المُسْلِمِينَ فإن أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَطْلُبْ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مَوتِهِ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ ولَا سَأَلَهُ شَيْئًا ولَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ فِي كُتُبِهِمْ وإِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مَنْ ذَكَرَهُ مِنْ مُتَأَخِّرِي الفُقَهَاءِ وحَكَوا حِكَايَةً مَكْذُوبَةً عَلَى مَالِكٍ رضي الله عنه سَيَأْتِي ذِكْرُهَا، وبَسْطُ الكَلَامِ عَلَيْهَا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

فَهَذِهِ الأَنْواعُ مِنْ خِطَابِ المَلَائِكَةِ والأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوتِهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وفِي مَغِيبِهِمْ وخِطَابِ تَمَاثِيلِهِمْ هو من أَعْظَمِ أَنْواعِ الشِّرْكِ المَوجُودِ فِي المُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الكِتَابِ وفِي مُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الكِتَابِ والْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْدَثُوا مِنْ الشِّرْكِ والْعِبَادَاتِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ تَعَالَى. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الشورى:٢١].

فَإِنَّ دُعَاءَ المَلَائِكَةِ والأَنْبِيَاءِ بَعْدَ مَوتِهِمْ وفِي مَغِيبِهِمْ وسُؤَالَهُمْ والِاسْتِغَاثَةَ بِهِمْ والِاسْتِشْفَاعَ بِهِمْ فِي هَذِهِ الحَالِ ونَصْبَ تَمَاثِيلِهِمْ - بِمَعْنَى طَلَبِ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ - هو من الدِّينِ الَّذِي لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ ولَا ابْتَعَثَ بِهِ رَسُولًا ولَا أَنْزَلَ بِهِ كِتَابًا ولَيْسَ هُو واجِبًا ولَا مُسْتَحَبًّا بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ ولَا فَعَلَهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ لَهُمْ

بِإِحْسَانٍ ولَا أَمَرَ بِهِ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ لَهُ عِبَادَةٌ وزُهْدٌ ويَذْكُرُونَ فِيهِ حِكَايَاتٍ ومَنَامَاتٍ فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ الشَّيْطَانِ. وفِيهِمْ مَنْ يَنْظِمُ القَصَائِدَ فِي دُعَاءِ المَيِّتِ والِاسْتِشْفَاعِ بِهِ والِاسْتِغَاثَةِ أَو يَذْكُرُ ذَلِكَ فِي ضِمْنِ مَدِيحِ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ فَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ ولَا واجِبٍ ولَا مُسْتَحَبٍّ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ومَنْ تَعَبَّدَ بِعِبَادَةٍ لَيْسَتْ واجِبَةً ولَا مُسْتَحَبَّةً؛ وهُو يَعْتَقِدُهَا واجِبَةً أَو مُسْتَحَبَّةً فَهُو ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ بِدْعَةً سَيِّئَةً لَا بِدْعَةً حَسَنَةً بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الدِّينِ فإِن اللَّهَ لَا يُعْبَدُ إِلَّا بِمَا هُو واجِبٌ أَو مُسْتَحَبٌّ. وكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ يَذْكُرُونَ فِي هَذِهِ الأَنْواعِ مِنْ الشِّرْكِ مَنَافِعَ ومَصَالِحَ ويَحْتَجُّونَ عَلَيْهَا بِحُجَجٍ مِنْ جِهَةِ الرَّأْيِ أَو الذَّوقِ أو من جِهَةِ التَّقْلِيدِ والْمَنَامَاتِ ونَحْو ذَلِكَ.

وجَوابُ هَؤُلَاءِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الِاحْتِجَاجُ بِالنَّصِّ والْإِجْمَاعِ. **والثَّانِي:** القِيَاسُ والذَّوقُ والِاعْتِبَارُ بِبَيَانِ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ الفَسَادِ فإِن فَسَادَ ذَلِكَ رَاجِحٌ عَلَى مَا يُظَنُّ فِيهِ مِنْ المَصْلَحَةِ. **أَمَّا الأَول فَيُقَالُ:** قَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ والتَّواتُرِ مِنْ دِينِ الإِسْلَامِ وبِإِجْمَاعِ سَلَفِ الأُمَّةِ وأَئِمَّتِهَا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِواجِبٍ ولَا مُسْتَحَبٍّ. وعُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ ولَا أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ شَرَعُوا لِلنَّاسِ أَنْ يَدْعُوا المَلَائِكَةَ والْأَنْبِيَاءَ والصَّالِحِينَ ولَا يَسْتَشْفِعُوا بِهِمْ لَا بَعْدَ مَمَاتِهِمْ ولَا فِي مَغِيبِهِمْ فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ: يَا مَلَائِكَةَ اللَّهِ اشْفَعُوا لِي عِنْدَ اللَّهِ سَلُوا اللَّهَ لَنَا أَنْ يَنْصُرَنَا أَو يَرْزُقَنَا أَو يَهْدِيَنَا.

وكَذَلِكَ لَا يَقُولُ لِمَنْ مَاتَ مِنْ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُدْعُ اللَّهَ لِي سَلْ اللَّهَ لِي اسْتَغْفِرْ اللَّهَ لِي سَلْ اللَّهَ لِي أَنْ يَغْفِرَ لِي أَو يَهْدِيَنِي أَو يَنْصُرَنِي أَو يُعَافِيَنِي ولَا يَقُولُ: أَشْكُو إلَيْك ذُنُوبِي أَو نَقْصَ رِزْقِي أَو تَسَلُّطَ العَدُو عَلَيَّ أَو أَشْكُو إلَيْك فُلَانًا الَّذِي ظَلَمَنِي، ولَا يَقُولُ: أَنَا نَزِيلُك أَنَا ضَيْفُك أَنَا جَارُك أَو أَنْتَ تُجِيرُ مَنْ يَسْتَجِيرُ أَو أَنْتَ خَيْرُ مُعَاذٍ يُسْتَعَاذُ بِهِ.

ولَا يَكْتُبُ أَحَدٌ ورَقَةً ويُعَلِّقُهَا عِنْدَ القُبُورِ ولَا يَكْتُبُ أَحَدٌ مَحْضَرًا أَنَّهُ اسْتَجَارَ

بِفُلَانٍ ويَذْهَبُ بِالْمَحْضَرِ إِلَى مَنْ يَعْمَلُ بِذَلِكَ المَحْضَرِ ونَحْو ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ أَهْلُ البِدَعِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والْمُسْلِمِينَ كَمَا يَفْعَلُهُ النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ وكَمَا يَفْعَلُهُ المُبْتَدِعُونَ مِنْ المُسْلِمِينَ عِنْدَ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ أَوفِي مَغِيبِهِمْ فَهَذَا مِمَّا عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْلَامِ وبِالنَّقْلِ المُتَوَاتِرِ وبِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَشْرَعْ هَذَا لِأُمَّتِهِ.اهـ

قال شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (١/ ١٧٨):

وهَذَا ونَحْوهُ مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ الأَنْبِيَاءَ والصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوتِهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وغَيْرِ قُبُورِهِمْ: هُمْ مِنْ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ كَالَّذِينَ يَدْعُونَ الكَواكِبَ والَّذِينَ اتَّخَذُوا المَلَائِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩]، ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٨٠].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإسراء:٥٦]، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ:٢٢]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾ [سبأ:٢٣].

ومِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي القُرْآنِ: يَنْهَى أَنْ يُدْعَى غَيْرُ اللَّهِ لَا مِنْ المَلَائِكَةِ ولَا الأَنْبِيَاءِ ولَا غَيْرِهِمْ؛ فإن هَذَا شِرْكٌ أَو ذَرِيعَةٌ إِلَى الشِّرْكِ؛ بِخِلَافِ مَا يُطْلَبُ مِنْ أَحَدِهِمْ فِي حَيَاتِهِ مِنْ الدُّعَاءِ والشَّفَاعَةِ؛ فإنه لَا يُفْضِي إِلَى ذَلِكَ؛ فإن أَحَدًا مِنْ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ لَمْ يُعْبَدْ فِي حَيَاتِهِ بِحَضْرَتِهِ فإنه يَنْهَى مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ بِخِلَافِ دُعَائِهِمْ

بَعْدَ مَوتِهِمْ فإن ذَلِكَ ذَرِيعَةٌ إِلَى الشِّرْكِ بِهِمْ وكَذَلِكَ دُعَاؤُهُمْ فِي مَغِيبِهِمْ هُو ذَرِيعَةٌ إِلَى الشِّرْكِ. فَمَنْ رَأَى نَبِيًّا أَو مَلَكًا مِنْ المَلَائِكَةِ وقَالَ لَهُ: **ادْعُ لِي**، لَمْ يُفْضِ ذَلِكَ إِلَى الشِّرْكِ بِهِ بِخِلَافِ مَنْ دَعَاهُ فِي مَغِيبِهِ فإن ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى الشِّرْكِ بِهِ كَمَا قَدْ وقَعَ فإن الغَائِبَ والْمَيِّتَ لَا يَنْهَى مَنْ يُشْرِكُ بَلْ إذا تَعَلَّقَتْ القُلُوبُ بِدُعَائِهِ وشَفَاعَتِهِ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى الشِّرْكِ بِهِ فَدَعَا وقَصَدَ مَكَانَ قَبْرِهِ أَو تِمْثَالِهِ أَو غَيْرَ ذَلِكَ كَمَا قَدْ وقَعَ فِيهِ المُشْرِكُونَ ومَنْ ضَاهَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ ومُبْتَدِعَةِ المُسْلِمِينَ.

ومَعْلُومٌ أَنَّ المَلَائِكَةَ تَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ وتَسْتَغْفِرُ لَهُم كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر:٧]، ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [غافر:٨]، ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر:٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى:٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝٦﴾ [الشورى:٦].

فَالْمَلَائِكَةُ يَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيرِ أَنْ يَسْأَلَهُمْ أَحَدٌ. وكَذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَو غَيْرَهُ مِنْ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ يَدْعُو ويَشْفَعُ لِلْأَخْيَارِ مِنْ أُمَّتِهِ هو من هَذَا الجِنْسِ هُمْ يَفْعَلُونَ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُمْ فِيهِ بِدُونِ سُؤَالِ أَحَدٍ. وإِذَا لَمْ يُشْرَعْ دُعَاءُ المَلَائِكَةِ لَمْ يُشْرَعْ دُعَاءُ مَنْ مَاتَ مِنْ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ ولَا أَنْ نَطْلُبَ مِنْهُمْ الدُّعَاءَ والشَّفَاعَةَ **وإِنْ كَانُوا يُدْعَونَ ويَشْفَعُونَ لِوجْهَيْنِ**:

أَحَدُهُما: أَنَّ مَا أَمَرَهُمْ اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ هُمْ يَفْعَلُونَهُ وإِنْ لَمْ يُطْلَبْ مِنْهُمْ ومَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِهِ لَا يَفْعَلُونَهُ ولَو طُلِبَ مِنْهُمْ فَلَا فَائِدَةَ فِي الطَّلَبِ مِنْهُمْ.

الثَّانِي: أَنَّ دُعَاءَهُمْ وطَلَبَ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الحَالِ يُفْضِي إِلَى الشِّرْكِ بِهِمْ فَفِيهِ هَذِهِ المَفْسَدَةُ فَلَو قُدِّرَ أَنَّ فِيهِ مَصْلَحَةً لَكَانَتْ هَذِهِ المَفْسَدَةُ رَاجِحَةً فَكَيْفَ ولَا مَصْلَحَةَ فِيهِ؛ بِخِلَافِ الطَّلَبِ مِنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ وحُضُورِهِمْ فإنه لَا مَفْسَدَةَ فِيهِ؛ فإنهمْ يَنْهَونَ عَنْ الشِّرْكِ بِهِمْ. بَلْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ وهُو أَنَّهُمْ يُثَابُونَ ويُؤْجَرُونَ عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ حِينَئِذٍ مِنْ نَفْعِ الخَلْقِ كُلِّهِمْ فإنهمْ فِي دَارِ العَمَلِ والتَّكْلِيفِ وشَفَاعَتُهُمْ فِي الآخرة فِيهَا إِظْهَارُ كَرَامَةِ اللَّهِ لَهُمْ يومَ القِيَامَةِ.اهـ

سئل الإمام العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ **كما في «شرح منظومته القواعد الفقهية»:**

اختلف بعض طلاب العلم في مسألة: من جاء عند قبر، وقال: يا فلان لصاحب القبر ادع الله لي، فقال بعضهم: هو شرك أكبر، وقال آخرون: بل هو شرك أصغر، فما هو الجواب سددكم الله؟

الظاهر لي: أن هذا من باب الشرك الأصغر؛ لأنه لم يطلب من هذا الميت أن يحصل مقصوده، أو أن يدفع مكروهه، وإنما سأله أن يسأل الله - عز وجل - ومعلوم أن الميت لا يمكن أن يسأل الله -عز وجل- لأن النبي ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[(١)] وإن من السفه أن يتصور الإنسان أن الميت يمكنه الدعاء لمن طلبه منه الميت، لا يملك الدعاء، ولا يملك أن يكشف الضر، أما من دعا الميت بنفسه قال: يا فلان اكشف ما بي من ضر، وأعطني كذا وكذا، فهذا شرك أكبر لا شك فيه.اهـ

وقال الشيخ الفوزان عافاه الله في رده على استدلال الصوفية على جواز الاستغاثة بالأموات بحديث الشفاعة العظمى:

والجواب عن هذا كما يقول الشيخ: إن هذا طلب من إنسان حي قادر على الدعاء، وعلى الاستئذان بالشفاعة والطلب من الإنسان في حال حياته وقدرته ليس من الممنوع كما في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكما يستغيث الإنسان بإخوانه في الحرب وغيرها، فهذا فيه دليل على أن الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه جائزة، والذي يقع من الأمم يوم القيامة هو استغاثة بالحي، وطلب الدعاء منه فيجوز أن تذهب إلى إنسان حي قادر يسمع كلامك، وتقول: يا فلان ادع الله لي بكذا وكذا، والصحابة كانوا يعملون هذا مع النبي ﷺ في حياته، وليس هذا من الشرك، إنما الذي يكون شركًا وأنكرناه هو الاستغاثة بالميت وهذا لا علاقة له بحديث الشفاعة؛ لأنكم تستغيثون بأموات وتطلبون الشفاعة منهم، والأموات لا يقدرون على شيء؛ فلا يجوز أن يذهب إلى قبر يستنجد به ويدعوه أو يطلب منه الدعاء أو الشفاعة أو غير ذلك؛ ففرق بين عمل هؤلاء المشركين وبين ما في الحديث الصحيح وما في قصة موسى ﷺ؛ فبهذا التفصيل زالت هذه الشبهة والحمد لله.اهـ من شرح "**كشف الشبهات**".

﴿٤﴾ مسألة: معنى الاستعاذة، والاستغاثة، والاستعانة، وبيان ما يكون منه شركًا إذا صرف لغير الله.

قال ابن كثير رحمه الله: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير. انتهى.

يقول الشاعر:

يـا مـن ألـوذ بـه فيمـا أُؤَمِّلـه ... ومـن أعـوذ بـه ممـا أحـاذره

لا يجبـر النـاس عـظمًـا أنـت كاسره ... ولا يهيظـون عـظمًـا أنـت جابره

وهذان البيتان صحيحان في حق الله تعالى، وأما الشاعر فإنه أتى به في حق ملك من الملوك، وكان شيخ الإسلام يدعو به في سجوده.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن:٦].

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[يونس:١٠٦-١٠٧]. ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧] وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر:٣٨].

وقال: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢]، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الأحقاف:٥-٦].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: الاستغاثة هي طلب الغَوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون.(١)

وقال غيره: الفرق بين الاستغاثة والدعاء أنَّ الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، فَعَطْفُ الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص، فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وينفرد الدعاء عنها في مادة،(٢) فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة.

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١/ ١٠٣).

(٢) المادة التي يجتمع فيها الاستغاثة والدعاء هي طلب إزالة المكروب بعد وقوعه، وينفرد الدعاء عند أن يطلب خيرًا، أو يطلب دفع شر لم يقع به، إذًا كل استغاثة دعاء، ولا عكس.

٥ مسألة: الاستعاذة بصفة الله أو الاستغاثة بها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كما في "الاستغاثة" (١/ ١٨١):

مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين فهل يقول مسلم يا كلام الله اغفر لي وارحمني وأغثني أو أعني أو يا علم الله أو يا قدرة الله أو يا عزة الله أو يا عظمة الله ونحو ذلك أو سمع من مسلم أو كافر أنه دعا لذلك من صفات الله وصفات غيره أو يطلب من الصفة جلب منفعة أو دفع مضرة أو إعانة أو نصرا أو إغاثة أو غير ذلك.

قال أبو عبد الله: وما جاء من الأحاديث في ظاهرها الاستعاذة بصفات الله تكون من باب التوسل، وليس دعاء للصفة نفسها، كما قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف:١٨٠]، ومنه حديث: «**اللهم، إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك**»[١]، فهو دعاء لله وتوسل بصفاته، وأما دعاء الصفة بنفسها؛ فليس بمشروع كما يقول بعضهم: (يا رحمة الله ارحميني، ويا لطف الله الطف بي...)، فهذا غير مشروع؛ لأنَّ الصفة ليست قائمة بنفسها حتى تُدْعَى.

وذكر ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ كما في "**المناهي اللفظية**" رقم (٢٣)، وبكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ في "**معجم المناهي اللفظية**" (ص٥٧٩) أن هذا من الشرك، ونقلا كلام شيخ الإسلام الذي تقدم نقله.

تنبيه: حديث: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»[٢] هذا توسل بالصفات، وليس دعاء لها، فقوله: «**يا حي ياقيوم**» هذا دعاء لله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (٥٧٠) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

٤ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا سَيِّدَنَا، وابْنَ سَيِّدِنَا، وخَيْرَنَا وابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِتَقْواكُمْ، ولَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ، عَبْدُاللهِ ورَسُولُهُ، واللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وجَلَّ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، والنسائي بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ[1].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

١ حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك:

بوب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ﵀ على هذا الحديث في كتاب التوحيد: بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الـمُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوحِيد وسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في "فتح المجيد" (باب/ ٦٥):

حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد، أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ، كقوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[2]، وتقدم، وقوله: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل**»[3]، ونحو ذلك.

ونهى عن التمادح، وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنسانًا: «**ويلك قطعت عنق صاحبك**»، والحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، أنَّ رجلًا أثنى على رجل عند النبي ﷺ، فقال له: «**قطعت عنق صاحبك**» ثلاثًا[4]،

---

(١) أخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (٢٤٨) (٢٤٩)، وأحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥)، عن عمر ﵁.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧)، وابن سعد (١/ ٣٨٧) من حديث عبادة بن الصامت ﵁، وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف مدلس، وفيه رجل مبهم.

(٤) أخرجه أبوداود (٤٨٠٥)، وقد أخرجه أيضًا البخاري (٢٦٦٢، ٦٠٦١)، ومسلم (٣٠٠٠) من نفس الوجه.

وقال: «**إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**»، أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن المقداد ابن الأسود[1].

وفي هذه الأحاديث نَهَى أن يقولوا: أنت سيدنا، وقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**»، ونهاهم أن يقولوا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، وقال: «**لا يستجرينكم الشيطان**»[2].

وكذلك قوله في حديث أنس: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَولِكُمْ ولَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» كره ﷺ أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو، وأخبر ﷺ أن مواجهة المادح للمدوح بمدحه -ولو بما فيه- من عمل الشيطان[3]؛ لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد؛ فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غاية الذل في غاية المحبة.

وكمال الذل يقتضي الخضوع، والخشية، والاستكانة لله تعالى، وأن لا يرى نفسه إلا في مقام الذم لها، والمعاتبة لها في حق ربه، وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات، ومحبة المدح من العبد لنفسه يخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه؛ فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسًا، والنهي عنه صيانة لهذا المقام، فمتى أخلص الذلَّ لله والمحبة له؛ خلصت أعماله وصحت، فمتى أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب؛ دخل على مقام العبودية بالنقص أو

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٢)، والترمذي (٢٣٩٣)، وابن ماجه (٣٧٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٠٧٤)، وأحمد (٤/ ٢٤)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢١١)، وإسناده صحيح.

(٣) هذا فيما إذا سبب للمدوح العجب والاغترار، أو أدى بالمادح إلى الغلو بالممدوح، وأما إذا خلا من ذلك؛ جاز كما أثنى النبي ﷺ على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم في حضورهم.

الفساد، وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها؛ وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة، كما في الحديث: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئًا منهما عذبته**»[(١)]، وفي الحديث: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٢)]، وهذه الآفات قد تكون محبة المدح سببًا لها وسُلَّمًا إليها، والعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول ﷺ، وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك، والنبي ﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يُمدح؛ صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك؛ نصحًا لهم، وحمايةً لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده أو يضعفه من الشرك ووسائله ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة:٥٩]، ورأوا أن فعل ما نهاهم ﷺ عن فعله قربة من أفضل القربات، وحسنة من أعظم الحسنات.اهـ

٢ هل السيد من أسماء الله تعالى؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله **في "بدائع الفوائد" (٣/ ٢١٣):**

اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر: فمنعه قوم، ونقل عن مالك واحتجوا بأنه قيل له: «**يا سيدنا قال: إنما السيد الله**»[(٣)] وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم**»[(١)] وهذا أصح من الحديث الأول.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٥٥٢)، وأبو داود (٤٠٩٠)، من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهما بنحوه.

(٢) أخرجه مسلم (٩١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٠٧٤)، وأحمد (٤/ ٢٤)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢١١)، وإسناده صحيح.

قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال لتميمي: إنه سيد كندة، ولا يقال لملكٍ: إنه سيد البشر. قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم.

وفي هذا نظر؛ فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى؛ فهو بمعنى المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق علي المخلوق، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال الطبري في تفسيره سورة الإخلاص:

حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: ثنا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثني مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص:٢] يَقُولُ: «السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدَدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ عَظُمَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهُ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبَرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ صِفَتُهُ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ».

وهذا إسناد احتج به جمع من الأئمة، وضعفه آخرون بسبب الانقطاع بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس رضي الله عنه.

٣ هل يطلق على المنافق سيد؟

أخرج أحمد (٢٢٩٣٩)، البخاري في "**الأدب المفرد**" (٧٦٠) ، وأبو داود (٤٩٧٧)، والنسائي في "**عمل اليوم والليلة**" (٢٤٤) معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن نبي الله ﷺ قال: «**لا تقولوا للمنافق سيدنا؛ فإنه إن يك سيدكم؛ فقد أسخطتم ربكم**».

وهذا إسنادٌ رجاله ثقات، ولكن قال الترمذي: قال بعض أهل العلم لا نعرف لقتادة سماعا من عبد الله بن بريدة.اهـ

= (١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٤٣)، ومسلم برقم (١٧٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قلت: لعله أراد بذلك البخاري؛ فقد قال ذلك في "**التاريخ الكبير**" (٤/ ١٢).

وهذا مبني على مذهب البخاري من أنه يشترط في صحة الحديث أن يكون الراوي قد نص على سماعه من شيخه في بعض مسموعاته.

ولم يشترط ذلك مسلم والجمهور، بل اكتفوا بالمعاصرة مع إمكان اللقي، وعليه فالحديث صحيح على مذهب مسلم.

ومع ذلك فقد توبع قتادة رحمه الله:

فقد أخرجه الحاكم (٤/ ٣١١)، وأبو نعيم في "**أخبار أصبهان**" (٢/ ١٩٨)، والبيهقي في "**الشعب**" (٥٢٢٠) ، والخطيب في "**تاريخ بغداد**" (٥/ ٤٥٤) من طريق عقبة بن عبد الله الأصم، عن عبد الله بن بريدة، به.

وعقبة بن عبد الله ضعيف، ولكنه متابع بقتادة، فالحديث صحيح، ولا ينزل عن رتبة الحسن.

والمراد بالنهي الوارد في الحديث: أن ينسب الصالحون المنافق سيدا لهم، لأن في ذلك تعظيمًا له وتوقيرًا، وهو ذليل عند الله عز وجل، وليس المراد أنه لا يكون سيدا لجنسه من المنافقين، أو يكون الكافر سيدًا على جنسه من الكفار.

فهرقل كان سيد الروم، وكسرى سيد فارس، وعبد الله بن أبي سيد المنافقين، وحيي بن أخطب سيد بني النضير، وأبو سفيان كان سيد قريش في حال الكفر.

وفي "**صحيح مسلم**" (١٥٠٤) عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**» فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي.

وفي **"صحيح مسلم"** (١٣٦٥) أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه، في قصة صفية رضي الله عنها: فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدِ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ؟ مَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ.

قال الطيبي رحمه الله في "شرح المشكاة" (١٠/ ٣٠٩٥):

أي إن يك سيدا لكم، فيجب عليكم طاعته، فإذا أطعتموه فقد أسخطتم ربكم؛ أو لا تقولوا للمنافق سيدا، فإنكم إن قلتم ذلك فقد أسخطتم ربكم؛ فوضع الكون موضع القول تحقيقا له.

وفيه أن قول الناس لغير الله (مولانا) كالحكماء والأطباء داخل في هذا النهي والوعيد بل هو أشد لورود قوله تعالى (مولانا) في التنزيل دون السيد.اهـ

وقوله: (كالحكماء والأطباء) عنى به من كان من غير أهل الاستقامة.



٥ وعَنْ عَبْدِاللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَومًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، لَا أَرْغَبَ بُطُونًا، ولَا أَكْذَبَ السِنَةً، ولَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ فِي المَجْلِسِ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ مُنَافِقٌ؛ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النبيَّ ﷺ، ونَزَلَ القُرْآنُ. قَالَ عَبْدُاللهِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَنْكُبُهُ الحِجَارَةُ، وهُو يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ. ورَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَبِاللهِ، وآيَاتِهِ، ورَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِئُونَ**».

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وابْنُ جَرِيْرٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ.(١)

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

٤ حديث آخر في بيان قصة سبب النزول.

قال الإمام ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ في "**تفسيره**" (٦/ ١٨٣١):

حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ: لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاضَى عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِائَةً مِائَةً عَلَى أَنْ نَنْجُوَ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرِكِ الْقَوْمَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا؛ فَإِنْ هُمْ أَنْكَرُوا وَكَتَمُوا فَقُلْ: بَلَى قَدْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا. فَأَدْرَكَهُمْ فَقَالَ لَهُمُ: الَّذِي أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَاءُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ، وَقَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي، وَاسْمُ أَبِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾ [التوبة:٦٦] فَكَانَ الَّذِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ فَتَسَمَّى: عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يَعْلَمُ بِمَقْتَلِهِ

(١) أخرجاه في تفسير آية [٦٥] من سورة التوبة.

فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ لَا يَعْلَمُ مَقْتَلَه، وَلَا مَنْ قَتَلَهُ وَلَا يُرَى لَهُ أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ.

وهذا إسناد حسن، وابن إسحاق صرح بالسماع.

٥ بيان أن الآية دلت على كفر من استهزأ بالله ورسوله ودينه.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٧/ ٢٧٣):

ولِهَذَا ذَمَّ اللهُ المُنَافِقِينَ بأنهم دَخلُوا فِي الإيمان ثُمَّ خَرَجُوا مِنْهُ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون:١]، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾ وقَالَ فِي الآيَة الأُخْرَى ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ﴾ [التوبة:٦٤] - إلَى قَولِهِ - ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة:٦٥] ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ فَقَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمانكُمْ. وقَولُ مَنْ يَقُولُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الآيَاتِ: إنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إيمانهمْ بِلِسَانِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ أَولًا بِقُلُوبِهِمْ لَا يَصِحُّ لِأَنَّ الإيمان بِاللِّسَانِ مَعَ كُفْرِ القَلْبِ قَدْ قَارَنَهُ الكُفْرُ فَلَا يُقَالُ: قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمانكُمْ فإنهم لَمْ يَزَالُوا كَافِرِينَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وإِنْ أُرِيدَ أَنَّكُمْ أَظْهَرْتُمْ الكُفْرَ بَعْدَ إظْهَارِكُمْ الإيمان، فَهُمْ لَمْ يُظْهِرُوا لِلنَّاسِ إلَّا لِخَواصِّهِمْ وهُمْ مَعَ خَواصِّهِمْ مَا زَالُوا هَكَذَا؛ بَلْ لَمَّا نَافَقُوا وحَذِرُوا أَنْ تَنْزِلَ سُورَةٌ تُبَيِّنُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ النِّفَاقِ وتَكَلَّمُوا بِالِاسْتِهْزَاءِ صَارُوا كَافِرِينَ بَعْدَ إيمانهمْ ولَا يَدُلُّ اللَّفْظُ عَلَى أَنَّهُمْ مَا زَالُوا مُنَافِقِينَ.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٧/ ٢٢٠):

فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إيمانهم مَعَ قَولِهِمْ: إنَّا تَكَلَّمْنَا بِالْكُفْرِ مِنْ غَيرِ اعْتِقَادٍ لَهُ بَلْ كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ، وبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِآيَاتِ اللَّهِ كُفْرٌ ولَا يَكُونُ هَذَا إلَّا مِمَّنْ شَرَحَ صَدْرَهُ بِهَذَا الكَلَامِ، ولَوكَانَ الإيمان فِي قَلْبِهِ مَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا الكَلَامِ،

والقُرْآنُ يُبيِّنُ أَنَّ إيمان القَلْبِ يَسْتَلْزِمُ العَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٤٧-٥١]، فَنَفَى الإيمان عَمَّنْ تولَّى عَنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ، وأَخْبَرَ أَنَّ المُؤْمِنِينَ إذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ ورَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ سَمِعُوا وأَطَاعُوا؛ فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا مِنْ لَوازِمِ الإيمان.اهـ

قال أبوعبد الله عفا الله عنه: الاستهزاء بالله، أو برسوله، أو بدينه، أو بالقرآن كفرٌ أكبر بلا خلاف بين العلماء؛ لهذه الآية.

⟨٦⟩ حكم سب النبي ﷺ، وهل يقتل من سبه وتنقصه بأبي هو وأمي ﷺ.

قال القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي رحمه الله **كما في "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"** (٢/ ٤٧٤):

قال أبو بكر بن المُنْذر: أَجْمَع عَوامّ أهل الْعِلْم عَلَى أن من سَبّ النَّبِيّ ﷺ يُقْتَل.

وَمِمَّن قَال ذَلِك مَالِك بن أَنَس، وَاللَّيْث، وَأَحْمَد، وإسحاق، وَهُو مَذْهَب الشَّافِعِيّ.

قَال الْقَاضِي أَبُو الْفَضْل: وَهُو مُقْتَضَى قَوْل أَبِي بَكْر الصَّدّيق رضي الله عنه[١]، وَلَا تُقْبَل تَوْبَتُه عِنْد هَؤْلَاء، وَبِمِثْلِه قَال أَبُو حنيفة وأصحابه، والثَّوْرِيّ وَأَهْل الكُوفَة وَالْأَوْزَاعِيّ فِي الْمُسْلِمِين، لكِنَّهُم قَالُوا: هِي رِدَّة.

وَرَوَى مِثْلَه الْوَلِيد بن مُسْلِم عَن مَالِك وحَكَى الطَّبَرِيّ مِثْلَه عَن أَبِي حنيفة

---

(١) سيأتي الأثر عنه مع تخريجه إن شاء الله قريبًا.

وأصحابه فيمن تَنَقَّصَه ﷺ أَو برئ مِنْه أَو كَذَّبَه وَقَال سُحْنُون فيمن سَبَّه: ذَلِك ردّة كَالزَّنْدَقَة وَعَلَى هَذَا وَقَع الخِلَاف فِي استتابته وتَكْفِيرِه، وهل قَتْلُه حَد أَو كُفْر، وَلَا نَعْلَم خِلَافًا فِي اسْتِبَاحَه دَمِه بَيْن عُلَمَاء الأَمْصَار وَسَلَف الْأُمَّة وَقَد ذَكَر غَيْر وَاحِد الإِجْمَاع على قَتْلِه وَتَكْفِيرِه وأَشَار بَعْض الظَّاهِرِيَّة وَهُو أَبُو مُحَمَّد عَلِيّ بن أَحْمَد الفارسيّ إِلَى الخِلَاف فِي تَكْفِير المستخف بِه وَالْمَعْرُوف مَا قَدَّمْنَاه قَال مُحَمَّد بن سُحْنُون أَجْمَع الْعُلَمَاء أَنّ شَاتِم النَّبِيّ ﷺ الْمُتَنَقِّص لَه كَافِر وَالْوَعِيد جَار عَلَيْه بِعَذَاب اللَّه لَه وَحُكْمُه عند الأمة القتل، وَمِن شَكّ فِي كُفْرِه وَعَذَابِه كَفَر، وَاحْتَجّ إِبْرَاهِيم بن حُسَيْن بن خَالِد الْفَقِيه فِي مِثْل هَذَا بِقَتْل خَالِد بن الْوَلِيد مَالِك بن نُوَيْرَة[1] لِقَوْلِه عَن النَّبِيّ ﷺ صَاحِبُكُم، وَقَال أَبُو سُلَيْمَان الخطَّابِيّ لَا أَعْلَم أَحَدا من الْمُسْلِمِين اخْتُلِف فِي وُجُوب قَتْلِه إِذَا كَان مُسْلِمًا.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله كَمَا فِيْ «الصَّارِمِ المَسْلُولِ» (ص٤):

من سب النبي من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله هذا مذهب عليه عامة أهل العلم قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل. وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي.

قال: وحكي عن النعمان: لا يقتل. يعني الذي هم عليه من الشرك أعظم.

وقد حكى أبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي إجماع المسلمين على أن حد من سب النبي ﷺ القتل كما أن حد من سب غيره الجلد.

وهذا الإجماع الذي حكاه هذا محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين أو أنه أراد به إجماعهم على أن ساب النبي ﷺ يجب قتله إذا كان مسلما.

وكذلك قيده القاضي عياض فقال: أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه وكذلك حكي عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره.

---

(١) تقدم ذكر القصة.

وقال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون على أن من سب رسوله الله ﷺ، أو دفع شيئا مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبيا من أنبياء الله عز وجل: أنه كافر بذلك، وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله.

قال الخطابي: لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله.

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ، والمتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له. وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر.

٧ مسألة: حكم من سب النبي ﷺ من أهل الذمة وهل يوجب قتله؟

قال ابن عبد البر رحمه الله كما في «التمهيد» (٦/ ١٦٧):

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي الَّذِي يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

فَقَالَ مَالِكٌ مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ ﷺ (مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ) قُتِلَ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَالثَّوْرِيُّ: يُعَزَّرُ وَلَا يُقْتَلُ. وَقَالَ اللَّيْثُ: يُقْتَلُ مَكَانَهُ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يُؤْخَذُ عَلَى مَنْ صُولِحَ مِنَ الْكُفَّارِ فَذَكَرَ أَشْيَاءَ، مِنْهَا: وَمَتَى ذَكَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ كِتَابَ اللَّهِ أَوْ مُحَمَّدًا ﷺ بِمَا لَا يَنْبَغِي فَقَدْ أُحِلَّ دَمُهُ.

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إِنْ لَمْ يُشْتَرَطْ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ فَلَا يُسْتَحَلُّ ماله واحتج الطحاوي لقول أصحابه بما لا حُجَّةَ فِيهِ.

وَالْقَوْلُ عِنْدِي فِي ذَلِكَ قَوْلُ مالك والليث، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ فِي رَاهِبٍ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ. قَالَ: لَوْ سَمِعْتُهُ لَقَتَلْتُهُ[1].

وَلَا مُخَالِفَ لَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلِمْتُهُ، وَلَا يَخْلُو أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ ابْنِ خَطَلٍ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أُحِلَّتْ لَهُ مَكَّةُ، وَهِيَ دَارُ

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد كما في «الصارم المسلول» (ص٢٠٣) من طريق حصين عمن حدثه عن ابن عمر حصين عمن حدثه عن ابن عمر به. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لأن الراوي عن ابن عمر مبهم.

حَرْبٍ وَكُفْرٍ وَكَانَ لَهُ أَنْ يُرِيقَ دَمَ مَنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِهَا فِي السَّاعَةِ الَّتِي أُحِلَّ لَهُ فِيهَا الْقِتَالُ أَوْ يَكُونُ عَلَى مَذْهَبِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّ الْحَرَمَ لَا يُجِيرُ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ وَكَانَ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ وَجَبَ قَتْلُهُ لِمَا ذَكَرْنَا فَلَمْ يُجِرْهُمُ الْحَرَمُ.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله **كَمَا فِيْ "الصَّارِمِ المَسْلُولِ"** (ص٥٣٢):

نقول: الآثار عن الصحابة والتابعين والفقهاء، مثل مالك وأحمد وسائر الفقهاء القائلين بذلك كلها مطلقة في من شتم النبي ﷺ من مسلم أو معاهد فإنه يقتل ولم يفصلوا بين شتم وشتم، ولا بين أن يكرر الشتم أو لا يكرره، أو يظهره أو لا يظهره وأعني بقولي لا يظهره: أن لا يتكلم به في ملأ من المسلمين، وإلا فالحد لا يقام عليه حتى يشهد مسلمان أنهما سمعاه يشتمه، أو حتى يقر بالشتم وكونه يشتمه بحيث يسمعه المسلمون إظهارا له، اللهم إلا أن يفرض أنه شتمه في بيته خاليا فسمعه جيرانه المسلمون أو من استرق السمع منهم.

قال مالك وأحمد: كل من شتم النبي ﷺ أو تنقصه مسلما كان أو كافرا؛ فإنه يقتل ولا يستتاب.

فنصا على أن الكافر يجب قتله بتنقصه له كما يقتل بشتمه، وكما يقتل المسلم بذلك، وكذلك أطلق سائر أصحابنا أن سب النبي ﷺ من الذمي يوجب القتل.

وذكر القاضي وابن عقيل وغيرهما أن ما أبطل الإيمان؛ فإنه يبطل الأمان إذا أظهروه؛ فإن الإسلام أوكد من عقد الذمة؛ فإذا كان من الكلام ما يبطل حقن الإسلام فأن يبطل حقن الذمة أولى مع الفرق بينهما من وجه آخر؛ فإن المسلم إذا سب الرسول دل على سوء اعتقاده في رسول الله ﷺ فلذلك كفر.

والذمي قد علم أن اعتقاده ذلك وأقررناه على اعتقاده، وإنما أخذ عليه كتمه، وأن لا يظهره؛ فبقي تفاوت ما بين الإظهار والإضمار.

قال ابن عقيل: فكما أخذ على المسلم أن لا يعتقد ذلك أخذ على الذمي أن لا يظهره فإظهار هذا كإضمار ذاك وإضماره لا ضرر على الإسلام، ولا إزراء فيه

وفي إظهاره ضرر وإزراء على الإسلام، ولهذا ما بطن من الجرائم لا يتبعها في حق المسلم ولو أظهرها أقمنا عليهم حد الله.

وطرّد القاضي وابن عقيل هذا القياس في كل ما ينقض الإيمان من الكلام مثل التثنية والتثليث كقول النصارى: (إن الله ثالث ثلاثة) ونحو ذلك: أن الذمي متى أظهر ما يعلمه من دينه من الشرك نقض العهد، كما أنه إن أظهر ما نعلمه بقوله في نبينا ﷺ نقض العهد.

قال القاضي: وقد نص أحمد على ذلك فقال في رواية حنبل: كل من ذكر شيئا يعرض به الرب؛ فعليه القتل مسلما كان أو كافرا هذا مذهب أهل المدينة.

وقال جعفر بن محمد: سمعت أبا عبد الله يسأل عن يهودي مر بمؤذن وهو يؤذن فقال له: كذبت فقال: يقتل لأنه شتم.

فقد نص على قتل من كذب المؤذن في كلمات الأذان وهي قول (الله أكبر) أو (أشهد أن لا إله إلا الله) أو (أشهد أن محمدا رسول الله) وقد ذكرها الخلال والقاضي في سب الله بناء على أنه كذبه فيما يتعلق بذكر الرب سبحانه.

والأشبه أنه عام في تكذيبه فيما يتعلق بذكر الرب وذكر الرسول بل هو في هذا أولى لأن اليهودي لا يكذب من قال (لا إله إلا الله) ولا من قال (الله أكبر) وإنما يكذب من قال (إن محمدا رسول الله) وهذا قول جمهور المالكيين قالوا: إنه يقتل بكل سب سواء كانوا يستحلونه أو لا يستحلونه؛ لأنهم وإن استحلوه فإنا لم نعطهم العهد على إظهاره، وكما لا يحصن الإسلام من سبه كذلك لا تحصن منه الذمة وهو قول أبي مصعب وطائفة من المدنيين.اهـ

٨ هل يقتل الساب بعد الاستتابة أم يقتل بدون استتابة؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِيْ "الصَّارِمِ المَسْلُولِ" (ص٣١٢):

ذكرنا أن المشهور عن مالك وأحمد: أنه لا يستتاب، ولا تُسقط القتلَ عنه توبتُه وهو قول الليث بن سعد، وذكر القاضي عياض أنه المشهور من قول السلف وجمهور العلماء، وهو أحد الوجهين لأصحاب الشافعي.

وحكى مالك وأحمد أنه تقبل توبته، وهو قول الإمام أبي حنيفة وأصحابه وهو المشهور من مذهب الإمام الشافعي بناء على قبول توبة المرتد.اهـ

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كما في "زاد المعاد" (٥/ ٥٤):

ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَضَى بِإِهْدَارِ دَمِ أُمِّ وَلَدِ الْأَعْمَى لَمَّا قَتَلَهَا مَوْلَاهَا عَلَى السَّبِّ[(١)].

وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ عَلَى سَبِّهِ وَأَذَاهُ، وَأَمَّنَ النَّاسَ يَوْمَ الْفَتْحِ إِلَّا نَفَرًا مِمَّنْ كَانَ يُؤْذِيهِ وَيَهْجُوهُ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ وَامْرَأَتَانِ. وَقَالَ: «**مَنْ لكعب بن الأشرف، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ**»[(٢)]. وَأَهْدَرَ دَمَهُ وَدَمَ أبي رافع[(٣)].

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِأَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَدْ أَرَادَ قَتْلَ مَنْ سَبَّهُ: لَيْسَ هَذَا لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[(٤)]. فَهَذَا قَضَاؤُهُ ﷺ وَقَضَاءُ خُلَفَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا مُخَالِفَ لَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ أَعَاذَهُمُ اللَّهُ مِنْ مُخَالَفَةِ هَذَا الْحُكْمِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٦١) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بإسنادٍ صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥١٠)، ومسلم (١٨٠١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٢٢) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٤) **صحيح**: أخرجه الطيالسي (٤)، والحميدي (٦)، وأحمد (٥٤، و٦١)، وأبو داود (٤٣٦٣)، والنسائي في "المجتبى" (٤٠٧١)، وفي "الكبرى" (٣٥٢٠)، والبزار (٤٩)، وأبو يعلى (٨١)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (١٢/ ٤٠٥)، والطبراني في "الأوسط" (١١٢٩، و٥٣٩٢)، والحاكم (٨٠٤٦)، والضياء في "المختارة" (٢٤، و٢٥)، والبيهقي (١٣٣٧٧)، من طرق عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به، وبعض أسانيده صحيحة.

وَقَدْ رَوَى أبو داود فِي "**سُنَنِهِ**": عَنْ علي رضي الله عنه «**أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَمَهَا**»[(١)].

وَذَكَرَ أَصْحَابُ "**السِّيَرِ وَالْمَغَازِي**" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: هَجَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ لِي بِهَا؟**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهَا: أَنَا، فَنَهَضَ فَقَتَلَهَا، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ**»[(٢)].

وَفِي ذَلِكَ بِضْعَةَ عَشَرَ حَدِيثًا مَا بَيْنَ صِحَاحٍ وَحِسَانٍ وَمَشَاهِيرَ، وَهُوَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٦٢) وهو حديث صحيح بشواهده.

(٢) **باطل واهي**: أخرجه القضاعي في "مسند الشهاب" (٨٥٦)، والحربي في "فوائده" (٥٠) كما في "الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء" (٢٧٥٢)، وابن عدي في "الكامل" (٦/ ٢١٥٦)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥١/ ٢٢٤)، محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي، ثنا محمد بن الحجاج اللخمي أبو إبراهيم الواسطي، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: هجت امرأة من بني خطمة النبي ﷺ بهجاء لها، فبلغ ذلك النبي ﷺ فاشتد عليه ذلك، وقال: «**من لي بها؟**» فقال رجل من قومها: أنا يا رسول الله، وكانت تمارةً تبيع التمر، قال: فأتاها فقالَ لها: عندَكِ تمرٌ؟ فقالتْ: نَعم، فأرتْهُ تمراً، فقالَ: أردتُ أجودَ مِن هذا، قالَ: فدخلتْ لِتريَهُ، قالَ: ودخلَ خلفَها، فنظر يمينا وشمالا، فلم ير إلا خوانا، قال: فعلا به رأسها حتى دمغها به، قال: ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله قد كفيتكها، قال: فقال النبي ﷺ: «**أما إنه لا ينتطح فيها عنزان**» ، فأرسلها مثلا.

وهذا الإسناد فيه محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي، وهو متروك، قال الدارقطني: كذاب.

وفيه أيضًا محمد بن الحجاج اللخمي، ترجمته في "ميزان الاعتدال"، قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدي: هو وضع حديث الهريسة. وقال الدارقطني: كذاب. وقال ابن معين: كذاب خبيث.

وقال – مرة: ليس بثقة.

و أخرجه الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (١٣/ ٩٩) من طريق مُسْلِمُ بْنُ عِيسَى – جَارُ أَبِي مُسْلِمٍ المستملي – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ اللَّخْمِيُّ، عَنْ مُجَالِدٍ به.

فتوبع محمد بن إبراهيم من مسلم بن عيسى، وهو مجهول الحال، وبقيت الآفة الكبرى من محمد بن الحجاج اللخمي.

وَقَدْ ذَكَرَ حَرْبٌ فِي «**مَسَائِلِهِ**»: عَنْ مجاهد قَالَ: أُتِيَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَجُلٍ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ قَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ سَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ سَبَّ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَاقْتُلُوهُ(١). ثُمَّ قَالَ مجاهد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَيُّمَا مُسْلِمٍ سَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ سَبَّ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَدْ كَذَّبَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ رِدَّةٌ، يُسْتَتَابُ، فَإِنْ رَجَعَ، وَإِلَّا قُتِلَ، وَأَيُّمَا مُعَاهِدٍ عَانَدَ، فَسَبَّ اللَّهَ أَوْ سَبَّ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ جَهَرَ بِهِ، فَقَدْ نَقَضَ الْعَهْدَ فَاقْتُلُوهُ(٢).

وَذَكَرَ أحمد، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ مَرَّ بِهِ رَاهِبٌ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا يَسُبُّ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ سَمِعْتُهُ لَقَتَلْتُهُ، إِنَّا لَمْ نُعْطِهِمُ الذِّمَّةَ عَلَى أَنْ يَسُبُّوا نَبِيَّنَا(٣).

وَالْآثَارُ عَنِ الصَّحَابَةِ بِذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَحَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْإِجْمَاعَ عَلَى قَتْلِهِ. قَالَ شَيْخُنَا: وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى إِجْمَاعِ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. وَالْمَقْصُودُ: إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ حُكْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَضَائِهِ فِيمَنْ سَبَّهُ.

وَأَمَّا تَرْكُهُ ﷺ قَتْلَ مَنْ قَدَحَ فِي عَدْلِهِ بِقَوْلِهِ: «**اعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِل**»(٤)، وَفِي حُكْمِهِ بِقَوْلِهِ: «**أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ**»(٥)، وَفِي قَصْدِهِ بِقَوْلِهِ: «**إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ**»(٦) أَوْ فِي خَلْوَتِهِ بِقَوْلِهِ: «**يَقُولُونَ إِنَّكَ تَنْهَى عَنِ الْغَيِّ وَتَسْتَخْلِي بِهِ**»(٧) وَغَيْرُ

---

(١) أخرجه حرب في «مسائله» كما في «الصارم المسلول» (ص٢٠١) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد به.

وهذا إسنادٌ ضعيف؛ ليث ضعيف، ومجاهد لم يدرك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه حرب في «مسائله» كما في «الصارم المسلول» (ص٢٠١) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد به. وهذا إسنادٌ ضعيف؛ لضعف ليث بن أبي سليم.

(٣) أخرجه أحمد كما في «الصارم المسلول» (ص٢٠٣)، و«أحكام أهل الذمة» (٣/ ١٣٥٨)، ومسدد كما في «المطالب العالية» (٢٠٣١) من طريق حصين بن عبد الرحمن، عمن حدثه، عن ابن عمر به. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ فيه رجل مبهم.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٣٨، و٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٣، و١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري، وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) أخرجه أحمد (٣٦٣١) عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده. وإسناده حسن.

ذَلِكَ، فَذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ لَهُ، فَلَهُ أَنْ يَسْتَوْفِيَهُ، وَلَهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، وَلَيْسَ لِأُمَّتِهِ تَرْكُ اسْتِيفَاءِ حَقِّهِ ﷺ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ حَيْثُ كَانَ ﷺ مَأْمُورًا بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ كَانَ يَعْفُو عَنْ حَقِّهِ لِمَصْلَحَةِ التَّأْلِيفِ وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ، وَلِئَلَّا يُنَفِّرَ النَّاسَ عَنْهُ، وَلِئَلَّا يَتَحَدَّثُوا أَنَّهُ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، وَكُلُّ هَذَا يَخْتَصُّ بِحَيَاتِهِ ﷺ.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِيْ «الصَّارِمِ المَسْلُولِ» (ص٣٣٧):

والدليل على أن المسلم يقتل من غير استتابة وإن أظهر التوبة بعد أخذه كما هو مذهب الجمهور قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب:٥٧].

وقد تقدم أن هذا يقتضي قتله، ويقتضي تحتم قتله، وإن تاب بعد الأخذ لأنه سبحانه ذكر الذين يؤذون الله ورسوله، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات فإذا كانت عقوبة أولئك لا تسقط إذا تابوا بعد الأخذ؛ فعقوبة هؤلاء أولى وأحرى؛ لأن عقوبة كليهما على الأذى الذي قاله بلسانه، لا على مجرد كفر هو باق عليه.

وأيضا فإنه قال: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ [الأحزاب:٦٠] إلى قوله: ﴿تَقۡتِيلٗا﴾ [الأحزاب:٦١] وهو يقتضي أن من لم ينته؛ فإنه يؤخذ ويقتل فعلم أن الانتهاء العاصم ما كان قبل الأخذ.

وأيضا فإنه جعل ذلك تفسيرًا للعن؛ فعلم أن الملعون متى أخذ قتل إذا لم يكن انتهى قبل الأخذ، وهذا ملعون؛ فدخل في الآية.

يؤيد ذلك: ما قدمناه عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النور:٢٣]، قال: هذه في شأن عائشة رضي الله عنها، وأزواج النبي ﷺ خاصة ليس فيها توبة ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور:٤] إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ

تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ [النور:٥] فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لأولئك توبة. قال: فهم رجل أن يقوم فيقبل رأسه من حسن ما فسر[١].

فهذا ابن عباس قد بين أن من لعن هذه اللعنة، لا توبة له واللعنة الأخرى أبلغ منها. يقرره أن قاذف أمهات المؤمنين إنما استحق هذه اللعنة على قوله لأجل النبي ﷺ فعلم أن مؤذيه لا توبة له.

ثم قال رحمه الله:

وأيضا فسنة رسول الله ﷺ دلت من غير وجه على قتل الساب من غير استتابة؛ فإنه أمر بقتل الذي كذب عليه من غير استتابة، وقد ذكرنا أن ذلك يقتضي قتل الساب سواء أجرينا الحديث على ظاهره أو حملناه على من كذب عليه كذبا يشينه وكذلك في حديث الشعبي: أنه أمر بقتل الذي طعن عليه في قسم مال العزى من غير استتابة[٢].

وفي حديث أبي بكر لما استأذنه أبو برزة أن يقتل الرجل الذي شتمه من غير استتابة قال: «**إنها لم تكن لأحد بعد رسول الله ﷺ**»[٣] فعلم أنه كان له قتل من شتمه من غير استتابة، وعمر رضي الله عنه قتل الذي لم يرض بحكمه ﷺ من غير استتابة أصلا

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن جرير في تفسيره (سورة النور/ آية٢٣)، وعمر بن شبة (١/ ٣٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ١٥٣) من طريق الْعَوَّامِ بن حوشب، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به. وهذا إسناد ضعيف؛ فيه راوٍ لم يسمَّ.

(٢) **ضعيف**: قال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في "مغازيه" كما في "الصارم المسلول" (ص٨٠): حدثني أبي عن المجالد بن سعيد، عن الشعبي، قال: «لما افتتح رسول الله ﷺ مكة دعا بمال العزى؛ فنثره بين يديه، ثم دعا رجلا قد سماه؛ فأعطاه منها، ثم دعا أبا سفيان بن حرب، فأعطاه منها ثم دعا سعد بن حريث؛ فأعطاه منها، ثم دعا رهطا من قريش؛ فأعطاهم، فجعل يعطي الرجل القطعة من الذهب فيها خمسون مثقالا، وسبعون مثقالا، ونحو ذلك فقام رجل، فقال: إنك لبصير حيث تضع التبر، ثم قام الثانية، فقال مثل ذلك. فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم قام الثالثة فقال: إنك لتحكم وما نرى عدلا قال: «**ويحك، إذن لا يعدل أحد بعدي**» ثم دعا نبي الله ﷺ أبا بكر فقال: «**اذهب فاقتله**» فذهب فلم يجده فقال: «**لو قتلته لرجوت أن يكون أولهم وآخرهم**».

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف مجالد بن سعيد، والشعبي رواه مرسلًا.

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه قريبًا.

فنزل القرآن بإقراره على ذلك[١] وهو من أدنى أنواع الاستخفاف به فكيف بأعلاها؟.

وأيضا فإن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما طعن عليه، وافترى افتراء عابه به بعد أن أسلم، أهدر دمه، وامتنع عن مبايعته[١] وقد تقدم تقرير الدلالة منه على أن

---

(١) **حسن**: قال شيخ الإسلام في "الصارم المسلول" (ص٣٨): رواه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم في "تفسيره": حدثنا شعيب بن شعيب، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا عتبة بن ضمرة، حدثني أبي: أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فقضى للمحق على المبطل. فقال المقضي عليه: لا أرضى فقال صاحبه: فما تريد؟ قال: أن نذهب إلى أبي بكر الصديق، فذهبا إليه، فقال الذي قضي له: قد اختصمنا إلى النبي ﷺ فقضى لي عليه. فقال أبو بكر: فأنتما على ما قضى به النبي ﷺ فأبى صاحبه أن يرضى، وقال: نأتي عمر بن الخطاب فأتياه فقال المقضي له: قد اختصمنا إلى النبي ﷺ فقضى لي عليه فأبى أن يرضى ثم أتينا أبا بكر الصديق، فقال: أنتما على ما قضى به النبي ﷺ فأبى أن يرضى فسأله عمر، فقال: كذلك؟ فدخل عمر منزله، فخرج والسيف في يده قد سله، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية.

وهذا المرسل له شاهد من وجه آخر يصلح للاعتبار.

قال ابن دحيم: حدثنا الجوزجاني، حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير قال: اختصم إلى رسول الله ﷺ رجلان فقضى لأحداهما فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر فقال رسول الله ﷺ: نعم انطلقوا إلى عمر، فانطلقا فلما أتيا عمر، قال الذي قضي له: يا ابن الخطاب إن رسول الله ﷺ قضى لي، وإن هذا قال: ردنا إلى عمر؛ فردنا إليك رسول الله ﷺ فقال عمر: أكذلك؟ للذي قضي عليه. قال: نعم. فقال عمر: مكانك حتى أخرج؛ فأقضي بينكما فخرج مشتملا على سيفه فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر. فقتله وأدبر الآخر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله قتل عمر صاحبي، ولولا ما أعجزته لقتلني فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت أظن أن عمر يجتري على قتل مؤمن. فأنزل الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فبرأ الله عمر من قتله».

وقد رويت هذه القصة من غير هذين الوجهين قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: ما أكتب حديث ابن لهيعة إلا للاعتبار والاستدلال، وقد أكتب حديث هذا الرجل على هذا المعنى، كأني أستدل به مع غيره يشده لا أنه حجة إذا انفرد.

قلت: القصة بالطريقين حسنة، ولكن وقع في الطريق الثانية ما لا يشهد له في الأولى، ولكن كلا الطريقين فيهما أصل القصة.

= (١) قال شيخ الإسلام رحمه الله في "الصارم المسلول" (ص١٠٩): قصة ابن أبي سرح وهي مما اتفق عليها أهل العلم، واستفاضت عندهم استفاضة، تستغني عن رواية الآحاد، وذلك أثبت وأقوى مما رواه الواحد العدل؛ فنذكرها مشروحة؛ ليتبين وجه الدلالة منها:

عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه، فقال: «**أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله**» فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك إلا أومأت إلينا بعينك قال: «**إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين**» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

قال أبو عبد الله: أخرجه أبو داود (٢٦٨٣) وفي إسناده أسباط بن نصر الهمداني، وهو سيئ الحفظ، ولكن الحديث صحيح بشواهده.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ورواه النسائي كذلك بأبسط من هذا عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس؛ إلا أربعة نفر، وقال: اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح. فأما عبد الله بن خطل فأدرك، وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا وكان أشب الرجلين فقتله. وأما مقيس بن صبابة، فأدركه الناس في السوق فقتلوه. وأما عكرمة فركب البحر، فأصابتهم عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا هاهنا. فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص؛ لا ينجني في البر غيره. اللهم لك علي عهد، إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمد حتى أضع يدي في يده، ولأجدنه عفوا كريما فجاء وأسلم. وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ ثم ذكر الباقي كما رواه أبو داود.

قال أبو عبد الله: أخرجه النسائي (٤٠٦٧) وهو من طريق أسباط بن نصر المتقدم. والحديث صحيح بشواهده.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وعن عبد الله بن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ؛ فأزله الشيطان فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان، فأجاره رسول الله ﷺ. رواه أبو داود.

قال أبو عبد الله غفر الله له: أخرجه أبو داود (٤٣٥٨)، وهو حديث صحيح بشواهده.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وروى محمد بن سعد في الطبقات عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، أن رسول الله ﷺ أمر بقتل ابن أبي سرح يوم الفتح، وفَرْتَنَا، وابن الزبعري، وابن خطل، فأتاه أبو بردة وهو متعلق بأستار الكعبة فبقر بطنه.

وكان رجل من الأنصار قد نذر إن رأى ابن أبي سرح أن يقتله، فجاء عثمان، وكان أخاه من الرضاعة فشفع له إلى رسول الله ﷺ وقد أخذ الأنصاري، بقائم السيف ينظر إلى النبي ﷺ، متى يومئ إليه أن يقتله، فشفع له عثمان، حتى تركه ثم قال رسول الله ﷺ للأنصاري: «**هلا وفيت بنذرك؟**» فقال: يا=

= رسول الله، وضعت يدي على قائم السيف، أنتظر متى تومئ؛ فأقتله. فقال النبي ﷺ: «**ليس لنبي أن يومئ**».

قال أبو عبد الله غفر الله له: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٠٧) عن عفان بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد به. وعلي بن زيد ضعيف، والإسناد مرسل. ولكنه في الشواهد.

قال شيخ الإسلام ﵀: وقال محمد بن إسحاق في رواية ابن بكير عنه: قال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر وعبد الله بن أبي بكر بن حزم: إن رسول الله ﷺ حين دخل مكة، وفرق جيوشه أمرهم أن لا يقتلوا أحدا إلا من قاتلهم؛ إلا نفرا قد سماهم رسول الله ﷺ وقال: «**اقتلوهم وإن وجدتموهم تحت أستار الكعبة**» عبد الله بن خطل، وعبد الله بابن أبي سرح، وإنما أمر بابن أبي سرح لأنه كان قد أسلم فكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي فرجع مشركا ولحق بمكة فكان يقول: لهم إني لأصرفه كيف شئت: إنه ليأمرني أن أكتب له الشيء؛ فأقول له: أو كذا أو كذا، فيقول: نعم. وذلك أن رسول الله ﷺ كان يقول: «عليم حليم» فيقول له: أو أكتب «عزيز حكيم» فيقول له رسول الله ﷺ: كلاهما سواء.

وقال ابن إسحاق في رواية إبراهيم بن سعد عنه: حدثني بعض علمائنا، أن ابن أبي سرح رجع إلى قريش فقال: والله لو أشاء لقلت كما يقول محمد، وجئت بمثل ما يأتي به إنه ليقول الشيء وأصرفه إلى شيء فيقول: أصبت ففيه أنزل الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ فلذلك أمر رسول الله ﷺ بقتله.

قال شيخ الإسلام ﵀ في (ص١١٩):

واعلم أن افتراء ابن أبي سرح والكاتب الآخر النصراني على رسول الله ﷺ بأنه كان يتعلم منهما افتراء ظاهر. وكذلك قوله: (إني لأصرفه كيف شئت إنه ليأمرني أن أكتب له الشيء فأقول له أو كذا أو كذا فيقول نعم) فرية ظاهرة فإن النبي ﷺ كان لا يُكتِبه إلا ما أنزله الله، ولا يأمره أن يكتب قرآنا إلا ما أوحاه الله إليه، ولا ينصرف له كيف شاء، بل ينصرف كما يشاء الله.

وكذلك قوله: (إني لأكتب له ما شئتُ، هذا الذي كتبت يوحى إلي كما يوحى إلى محمد، وإن محمدا إذا كان يتعلم مني؛ فإني سأنزل مثل ما أنزل الله) فرية ظاهرة فإن النبي ﷺ لم يكن يُكتبه ما شاء، ولا كان يوحى إليه شيء.

وكذلك قول النصراني: (ما يدري محمد إلا ما كتبت له) من هذا القبيل، وعلى هذا الافتراء حاق به العذاب، واستوجب العقاب.

يبين ذلك أن الذي في "الصحيح" أن النصراني كان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له. نعم ربما كان هو يكتب غير ما يقوله النبي ﷺ ويغيره ويزيده وينقصه؛ فظن أن عمدة النبي ﷺ على كتابته مع ما فيه من التبديل، ولم يدر أن كتاب الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وأنه لا يغسله الماء، وأن الله حافظ له، وأن الله يقرئ نبيه؛ فلا ينسى إلا ما شاء الله مما يريد رفعه ونسخ تلاوته، وأن جبريل كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن كل عام، وأن النبي ﷺ إذا نزل عليه آية أقرأها لعدد من المسلمين، يتواتر نقل الآية بهم.اهـ =

الساب يقتل، وإن أسلم وذكرنا أنه كان قد جاءه مسلما تائبا، قد أسلم قبل أن يجيء إليه كما رويناه عن غير واحد، أو قد جاء يريد الإسلام، وقد علم النبي ﷺ أنه قد جاء يريد الإسلام، ثم كف عنه انتظار أن يقوم إليه رجل فيقتله.

وهذا نص في أن مثل هذا المرتد الطاعن لا يجب قبول توبته، بل يجوز قتله وإن جاء تائبا وإن تاب، وقد قررنا هذا فيما مضى، وهنا من وجوه أخرى أن الذي عصم دمه عفو رسول الله ﷺ عنه لا مجرد إسلامه، وأن بالإسلام والتوبة انمحى الإثم وبعفو رسول الله ﷺ احتقن الدم، والعفو بطل بموته ﷺ، وليس للأمة أن يعفوا عن حقه وامتناعه من بيعته حتى يقوم إليه بعض القوم فيقتله نص في جواز قتله وإن جاء تائبا.

وأما عصمة دمه بعد ذلك؛ فليس دليلا لنا على أن نعصم دم من سب وتاب بعد أن قدرنا عليه لأنا قد بينا من غير وجه أن النبي ﷺ قد كان يعفو عمن سبه ممن لا خلاف بين الأمة في وجوب قتله إذا فعل ذلك وتعذر عفو النبي ﷺ عنه وقد ذكرنا أيضا أن حديث عبد الله بن خطل يدل على قتل الساب؛ لأنه كان مسلما فارتد وكان يهجوه فقتل من غير استتابة.

وأيضا فما تقدم من حديث أنس المرفوع، وأثر أبي بكر في قتل من آذاه في أزواجه وسراريه من غير استتابة[1]، وما ذاك إلا لأجل أنه نوع من الأذى ولذلك

= قلت: حديث النصراني في "صحيح مسلم" (٢٧٨١) عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَرَفَعُوهُ، قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ فَأُعْجِبُوا بِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ، فَوَارَوْهُ فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ، فَوَارَوْهُ فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، فَتَرَكُوهُ مَنْبُوذًا.

(١) **ضعيف جدًا**: ذكره سيف بن عمر التميمي في كتاب "الردة والفتوح" كما في الصارم المسلول (ص٢٠٠)، عن شيوخه قال: ورفع إلى المهاجر يعني المهاجر بن أبي أمية، وكان أميرا على اليمامة ونواحيها امرأتان مغنيتان غنت إحداهما بشتم النبي ﷺ فقطع يدها ونزع ثنيتيها، وغنت الأخرى بهجاء المسلمين؛ فقطع يدها ونزع ثنيتيها، فكتب إليه أبو بكر: بلغني الذي سرت به في المرأة التي=

حرمه الله ومعلوم أن السب أشد أذى منه بدليل أن السب يحرم منه ومن غيره، ونكاح الأزواج لا يحرم إلا منه ﷺ، وإنما ذاك مبالغة في تحريم ما يؤذيه، ووجوب قتل من يؤذيه أي أذى كان من غير استتابة.

وأيضا فإنه ﷺ أمر بقتل النسوة اللاتي كن يؤذينه بألسنتهن بالهجاء مع أمانه لعامة أهل البلد ومع أن قتل المرأة لا يجوز إلا أن تفعل ما يوجب القتل ولم يستتب واحدة منهن حين قتل من قتل، والكافرة الحربية من النساء لا تقتل إن لم تقاتل والمرتدة لا تقتل حتى تستتاب، وهؤلاء النسوة قتلن من غير أن يقاتلن ولم يستتبن فعلم أن قتل من فعل مثل فعلهن جائز بدون استتابة؛ فإن صدور ذلك عن مسلمة أو معاهدة أعظم من صدوره عن حربية.

ثم قال رحمه الله:

وأيضا ما اعتمده الإمام أحمد من أن أصحاب رسول الله ﷺ فرقوا بين الساب وبين المرتد المجرد فقتلوا الأول من غير استتابة، واستتابوا الثاني وأمروا باستتابته وذلك أنه قد ثبت أنهم قتلوا سابه وقد تقدم ذكر بعض ذلك مع أنه قد تقدم عنهم أنهم كانوا يستتيبون المرتد، ويأمرون باستتابته؛ فثبت بذلك أنهم كانوا لا يقبلون توبة من يسبه من المسلمين؛ لأن توبته لو قبلت لشرعت استتابته كالمرتد؛ فإنه على هذا القول نوع من المرتدين.

ومن خص المسلم بذلك قال: لا يدل ذلك على أن الكافر الساب لا يسقط عنه إسلامه القتل فإن الحربي يقتل من غير استتابة مع أن إسلامه يسقط عنه القتل

= تغنت وزمرت بشتم النبي ﷺ؛ فلولا ما قد سبقتني لأمرتك بقتلها؛ لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود؛ فمن تعاطى ذلك من مسلم، فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر.

وكتب إليه أبو بكر في التي تغنت في هجاء المسلمين: أما بعد فإنه بلغني أنك قطعت يد امرأة في أن تغنت بهجاء المسلمين ونزعت ثنيتيها؛ فإن كانت ممن تدعي الإسلام فأدب دون المثلة وإن كانت ذمية فلعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم، ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروهك فاقبل الدعة، وإياك في المثلة في الناس؛ فإنها مأثم ومنفرة إلا في قصاص.اهـ

قلت: سيف بن عمر التميمي متروك، ومشايخه مجهولون، وهو معضل.

إجماعا ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة أنه أمر باستتابة الساب إلا ما روى عن ابن عباس، وفي إسناد الحديث عنه مقال ولفظه: (أيما مسلم سب الله أو سب أحدا من الأنبياء فقد كذب برسول الله ﷺ وهي ردة يستتاب فإن رجع وإلا قتل)[١] وهذا والله أعلم فيمن كذب بنبوة شخص من الأنبياء، وسبه بناءً على أنه ليس بنبي ألا ترى إلى قوله: (فقد كذب برسول الله ﷺ) ولا ريب أن من كذب بنبوة بعض الأنبياء وسبه بناء على ذلك، ثم تاب قبلت توبته كمن كذب ببعض آيات القرآن؛ فإن هذا أظهر أمره؛ فهو كالمرتد أما من كان يظهر الإقرار بنبوة النبي ثم أظهر سبه فهذا هو مسألتنا.

يؤيد هذا أنا قد روينا عنه أنه كان يقول: (ليس لقاذف أزواج النبي ﷺ توبة وقاذف غيرهن له توبة)[٢] ومعلوم أن ذلك رعاية لحق رسول الله ﷺ فعلم أن مذهبه أن ساب النبي ﷺ وقاذفه لا توبة له، وأن وجه الرواية الأخرى عنه إن صحت ما ذكرناه أو نحوه.

وأيضا فإن سبه أو شتمه ممن يظهر الإقرار بنبوته دليل على فساد اعتقاده وكفره به بل هو دليل على الاستهانة به والاستخفاف بحرمته؛ فإن من وقر الإيمان في قلبه والإيمان موجب لإكرامه وإجلاله لم يتصور منه ذمه وسبه والنقص به، وقد كان من أقبح المنافقين نفاقا من يستخف بشتم النبي ﷺ كما روي عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرة من حجر نسائه في نفر من المسلمين قد كان تقلص عنهم الظل، فقال: سيأتيكم إنسان ينظر بعين شيطان، فلا تكلموه. فجاء

---

(١) **ضعيف**: أخرجه حرب في "مسائله لأحمد" كما في "الصارم المسلول" (ص٢٨٥) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا به.

وهذا إسنادٌ ضعيف؛ لضعف ليث بن أبي سليم.

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن جرير في تفسيره (سورة النور/ آية٢٣)، وعمر بن شبة (١/ ٣٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ١٥٣) من طريق الْعَوَّامِ بن حوشب، عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به. وهذا إسناد ضعيف؛ فيه راوٍ لم يسمَّ.

رجل أزرق فدعاه النبي ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟ دعاهم بأسمائهم فانطلق فجاء بهم فحلفوا له واعتذروا إليه فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [التوبة:٩٦] الآية رواه أبو مسعود بن الفرات، ورواه الحاكم في صحيحه وقال: فأنزل الله تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ [المجادلة:١٨] الآية[١].

وإذا ثبت أنه كافر مستهين به؛ فإظهار الإقرار برسالته بعد ذلك لا يدل على زوال الكفر والاستهانة لأن الظاهر إنما يكون دليلا صحيحا معتمدا إذا لم يثبت أن الباطن بخلافه فإذا قام دليل على الباطن لم يلتفت إلى ظاهر قد علم أن الباطن بخلافه.

ولهذا اتفق العلماء على أنه لا يجوز للحاكم أن يحكم بخلاف علمه، وإن شهد عنده بذلك العدول، ويجوز له أن يحكم بشهادتهم إذا لم يعلم خلافها، وكذلك أيضا لو أقر إقرارا علم أنه كاذب فيه مثل، أن يقول لمن هو أكبر منه (هذا ابني) لم يثبت نسبه، ولا ميراثه باتفاق العلماء، وكذلك الأدلة الشرعية مثل خبر العدل الواحد، ومثل الأمر والنهي والعموم والقياس يجب إتباعها إلا أن يقوم دليل أقوى منها يدل على أن باطنها مخالف لظاهرها، ونظائر هذا كثيرة.

فإذا علمت هذا فنقول: هذا الرجل قد قام الدليل على فساد عقيدته وتكذيبه به واستهانته له فإظهاره الإقرار برسالته الآن ليس فيه أكثر مما كان يظهره قبل هذا وهذا القدر بطلت دلالته فلا يجوز الاعتماد عليه.

وهذه نكتة من لا يقبل توبة الزنديق وهو مذهب أهل المدينة ومالك وأصحابه والليث بن سعد، وهو المنصور من الروايتين عن أبي حنيفة، وهو إحدى الروايات عن أحمد نصرها كثير من أصحابه وعنهما أنه يستتاب وهو المشهور عن الشافعي.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢٤٠٧)، والبزار (٥٠١٠)، والحاكم (٣٧٩٥)، والضياء في المختارة (١٧٦، و١٨١)، وإسناده صحيح، وعند هم جميعًا ذكر آية المجادلة، لا آية التوبة.

وقال أبو يوسف آخرا: أقتله من غير استتابة، لكن إن تاب قبل أن أقتله قبلت توبته، وهذا أيضا الرواية الثالثة عن أحمد.

وعلى هذا المأخذ فإذا كان الساب قد تكرر منه السب ونحوه مما يدل على الكفر اعتضد السبب بدلالات أخر من الاستخفاف بحرمات الله والاستهانة بفرائض الله ونحو ذلك من دلالات النفاق والزنديق كان ذلك أبلغ في ثبوت زندقته وكفره، وفي أن لا يقبل منه مجرد ما يظهر من الإسلام مع ثبوت هذه الأمور، وما ينبغي أن يتوقف في قتل مثل هذا، وفي أن لا يسقط عنه القتل بما يظهر من الإسلام؛ إذ توبة هذا بعد أخذه لم تجدد له حالا لم تكن قبل ذلك؛ فكيف تعطل الحدود بغير موجب؟ نعم لو أنه قبل رفعه إلى السلطان ظهر منه من الأقوال والأعمال ما يدل على حسن الإسلام، وكف عن ذلك؛ لم يقتل في هذه الحال.

وعلى مثل هذا ومن هو أخف منه ممن لم يظهر نفاقه قط تحمل آيات التوبة من النفاق وعلى الأول تحمل آيات إقامة الحد. انتهى المراد بتلخيص

قال الإمام العثيمين كما في «لقاءات الباب المفتوح» (رقم/ ٥٣):

يقول السائل: ذكرتم في بعض دروسكم أن من سب الرسول ﷺ أو أحدًا من أصحابه فإنه يكفر ويقتل؟

قال العثيمين رحمه الله: والأمر ليس كذلك، إنما الصواب: أن من سب الرسول ﷺ فإنه هو الذي يكفر، **أما من سب أحدًا من الصحابة فلا يكفر، لكن لو سب الصحابة عمومًا أو سبهم إلا نفرًا قليلًا فإنه يكفر**، لكن الكلام الآن وموضوع الإجابة سيكون عن سب الرسول ﷺ. فنقول: إذا سب الرسول فإنه يكفر، سواء كان جادًا أو مازحًا أو مستهزئًا، فإنه يكفر لقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] ولكن إذا تاب تقبل توبته؛ لقوله تبارك وتعالى: ﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣]. ولكن هل يسقط عنه القتل؟

الجواب على هذا: فيه تفصيل: إن كان الذي سب الرسول ﷺ سبه وهو كافر لم يسلم بعد؛ فإنه لا يقتل؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨]. أما إذا كان الذي سب الرسول مسلمًا، وارتد بسبب سبه الرسول ﷺ؛ فإن القول الراجح الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يقتل مع قبول توبته؛ أخذًا بالثأر للرسول ﷺ.

فإن قال قائل: إنه قد وجد أناس سبوا الرسول ﷺ وقبل توبتهم ولم يقتلهم. قلنا: نعم. هذا صحيح، لكن الحق في القتل لمن؟ للرسول ﷺ، وإذا عفا عنهم في حياته فالحق له، إن شاء قتلهم وإن شاء لم يقتلهم، لكن بعد موته لا نستطيع معرفة إن كان الرسول سيعفو عنهم أم لا، فإذا كانوا مستحقين للقتل بسببهم الرسول ﷺ وهو حق آدمي، ولم نعلم أنه عفا عنهم، فإن الواجب قتلهم. ثم إن في قتلهم مصلحة وهو كف ألسنة غيرهم عن سب الرسول ﷺ، أما هم فقد قبل الله توبتهم إذا كانت توبتهم نصوحًا، وأمرهم إلى الله، وإذا لم يقتلوا اليوم ماتوا غدًا، وهذا هو القول الراجح في هذه المسألة.

ويرى بعض العلماء أنه إذا تاب فلا تقبل توبته ويقتل كافرًا، وهو المشهور في مذهب الإمام أحمد، قال في "**زاد المستقنع**": ولا تقبل توبة من سب الله أو رسوله، ولكن هذا القول ضعيف؛ لأن الصواب: أن التوبة مقبولة متى صدرت على الوجه الصحيح، لكن إن كان سب الله فإنه لا يقتل، وإن كان قد سب الرسول فإنه يقتل، ولعلكم تتعجبون فتقولون: أيهما أعظم: سب الله، أم سب الرسول ﷺ؟!!

الجواب: سب الله أعظم بلا إشكال، إذن.. فلماذا إذا تاب من سب الله قبلنا توبته ولم نقتله، وإذا تاب من سب الرسول قبلنا توبته وقتلناه؟

لأن من سب الله وتاب تاب الله عليه، وقد أخبر الله تعالى عن نفسه أنه يسقط حقه فقال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ [الزمر:٥٣] فنحن نعلم أن الله تعالى قد عفا عنه بتوبته من سب الله، أما من سب الرسول فلا نعلم أن الرسول عفا عنه، وحينئذٍ يتعين قتله، هذا وجه الفرق بينهما.

وذهب بعض العلماء: إلى أن من سب الله أو رسوله، ثم تاب قبلت توبته ولم يقتل، فصارت الأقوال في المسألة ثلاثة، أرجحها أن توبته تقبل ويقتل.اهـ

٩ بيان السب وبيان ما يلتحق به.

قال القاضي عياض رحمه الله كما في "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (٢/ ٤٧٣):

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ عَابَهُ أَوْ أَلْحَقَ بِهِ نَقْصًا فِي نَفْسِهِ أَوْ نَسَبِهِ، أَوْ دِينِهِ أَوْ خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِهِ أَوْ عَرَّضَ بِهِ أَوْ شَبَّهَهُ بِشَيْءٍ عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ لَهُ أَوِ الْإِزْرَاءِ عَلَيْهِ، أَوِ التَّصْغِيرِ لِشَأْنِهِ، أَوِ الْغَضِّ مِنْهُ وَالْعَيْبِ لَهُ فَهُوَ سَابٌّ لَهُ.

وَالْحُكْمُ فِيهِ حُكْمُ السَّابِّ يُقْتَلُ كَمَا نُبَيِّنُهُ. وَلَا نَسْتَثْنِي فَصْلًا مِنْ فُصُولِ هَذَا الْبَابِ عَلَى هَذَا الْمَقْصِدِ، وَلَا نَمْتَرِي فِيهِ تَصْرِيحًا كَانَ أَوْ تَلْوِيحًا.

وَكَذَلِكَ مَنْ لَعَنَهُ أَوْ دَعَا عَلَيْهِ، أَوْ تَمَنَّى مَضَرَّةً لَهُ، أَوْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِ عَلَى طَرِيقِ الذَّمِّ، أَوْ عَبَثَ فِي جِهَتِهِ الْعَزِيزَةِ بِسُخْفٍ مِنَ الْكَلَامِ، وَهَجْرٍ، ومنكر من القول وزور. أو عَيَّرَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ عَلَيْهِ، أَوْ غَمَصَهُ بِبَعْضِ الْعَوَارِضِ الْبَشَرِيَّةِ الْجَائِزَةِ وَالْمَعْهُودَةِ لَدَيْهِ، وَهَذَا كُلُّهُ إِجْمَاعٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَئِمَّةِ الْفَتْوَى مِنْ لَدُنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عليهم إلى هلم جرا.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِيْ "الصَّارِمِ المَسْلُولِ" (ص٥٢٧):

قد ثبت أن كل سب وشتم يبيح الدم؛ فهو كفر وإن لم يكن كل كفر سبا، ونحن نذكر عبارات العلماء في هذه المسألة:

قال الإمام أحمد: كل من شتم النبي ﷺ أو تنقصه ـ مسلما كان أو كافرا ـ فعليه القتل، ورأى أن يقتل ولا يستتاب.

وقال في موضع آخر: كل من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب سبحانه وتعالى فعليه القتل مسلما كان أو كافرا وهذا مذهب أهل المدينة.

وقال أصحابنا: التعريض بسب الله وسب رسوله ﷺ ردة، وهو موجب للقتل كالتصريح، ولا يختلف أصحابنا أن قذف أم النبي ﷺ من جملة سبه الموجب للقتل وأغلظ؛ لأن ذلك يفضي إلى القدح في نسبه، وفي عبارة بعضهم إطلاق القول بأن من سب أم النبي ﷺ يقتل مسلما كان أو كافرا وينبغي أن يكون مرادهم بالسب هنا القذف كما صرح به الجمهور لما فيه من سب النبي ﷺ

وقال ابن القاسم عن مالك: من سب النبي ﷺ قتل ولم يستتب. قال ابن القاسم: أو شتمه أو عابه أو تنقصه؛ فإنه يقتل كالزنديق، وقد فرض الله توقيره.

وكذلك قال مالك في رواية المدنيين عنه: من سب رسول الله ﷺ، أو شتمه، أو عابه، أو تنقصه؛ قتل مسلما كان أو كافرا، ولا يستتاب.

وروى ابن وهب عن مالك أنه قال: من قال إن رداء النبي ﷺ ـ ورُوي برده ـ وسخ، وأراد عيبه قتل.

وروى بعض المالكية إجماع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة.

وكذلك قال أبو حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه أو برئ منه أو كذبه: إنه مرتد.

وكذلك قال أصحاب الشافعي: كل من تعرض لرسول الله ﷺ بما فيه استهانة؛ فهو كالسب الصريح فإن الاستهانة بالنبي كفر، وهل يتحتم قتله أو يسقط بالتوبة ؟

على الوجهين، وقد نص الشافعي على هذا المعنى.

فقد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على أن التنقص له كفر مبيح للدم وهم في استتابته على ما تقدم من الخلاف، ولا فرق في ذلك بين أن يقصد عيبه لكن المقصود شيء آخر حصل السب تبعا له، أو لا يقصد شيئا من ذلك بل يهزل ويمزح، أو يفعل غير ذلك .

فهذا كله يشترك في هذا الحكم إذا كان القول نفسه سبا؛ فإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب، ومن قال: ما هو سب وتنقص له؛ فقد آذى الله ورسوله، وهو مأخوذ بما يؤذي به الناس من القول الذي هو في نفسه أذى، وإن لم يقصد أذاهم ألم تسمع إلى الذين قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥] فقال الله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:٦٦].

وهذا مثل من يغضب فيذكر له حديث عن النبي ﷺ أو حكم من حكمه أو يدعى إلى سنته؛ فيعلن ويقبح ونحو ذلك، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]].

فأقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه، ثم لا يجدوا في نفوسهم حرجا من حكمه، فمن شاجر غيره في حكم، وحرج لذكر رسول الله ﷺ حتى أفحش فيه منطقه؛ فهو كافر بنص التنزيل، ولا يعذر بأن مقصوده رد الخصم، فإن الرجل لا يؤمن حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وحتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

ومن هذا الباب قول القائل: **(إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله)**[١] وقول الآخر: **(اعدل؛ فإنك لم تعدل)** وقول ذلك الأنصاري: **(أن كان ابن عمتك)**[٢]؛ فإن هذا كفر محض حيث زعم أن النبي ﷺ إنما حكم للزبير؛ لأنه ابن عمته، ولذلك أنزل الله تعالى هذه الآية وأقسم أنهم لا يؤمنون حتى لا يجدوا في أنفسهم حرجا من حكمه وإنما عفا عنه النبي ﷺ كما عفا عن الذي قال: **(إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله)** وعن الذي قال: **(اعدل فإنك لم تعدل)**، وقد ذكرنا عن عمر رضي الله عنه أنه قتل رجلا لم يرض بحكم النبي ﷺ فنزل القرآن بموافقته؛ فكيف بمن طعن في حكمه[٣]؟

وقد ذكر طائفة من الفقهاء ـ منهم ابن عقيل وبعض أصحاب الشافعي ـ أن هذا كان عقوبته التعزير، ثم منهم من قال: لم يعزره النبي ﷺ لأن التعزير غير واجب. ومنهم من قال: عفا عنه؛ لأن الحق له. ومنهم من قال: عاقبه بأن أمر الزبير أن يسقي، ثم يحبس الماء حتى يرجع إلى الجدر.

وهذه أقوال ردية ولا يستريب من تأمل في أن هذا كان يستحق القتل بعد نص القرآن أن من هو بمثل حاله؛ ليس بمؤمن.

ثم قال رحمه الله: وإذا ثبت أن كل سب ـ تصريحا أو تعريضا ـ موجب للقتل فالذي يجب أن يعتني به الفرق بين السب الذي لا يقبل منه التوبة، والكفر الذي تقبل منه التوبة فنقول: هذا الحكم قد نيط في الكتاب والسنة باسم أذى الله ورسوله وفي بعض الأحاديث ذكر الشتم والسب وكذلك جاء في ألفاظ الصحابة والفقهاء ذكر السب والشتم والاسم إذا لم يكن له حد في اللغة كاسم الأرض والسماء والبحر والشمس والقمر ولا في الشرع كاسم الصلاة والزكاة والحج والإيمان والكفر فإنه يرجع في حده إلى العرف كالقبض والحرز والبيع والرهن والكري ونحوها فيجب

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.
(٣) **حسن**: تقدم تخريجه قريبًا.

أن يرجع الأذى والسب إلى العرف فما عده أهل العرف سبا وانتقاصا أو عيبا أو طعنا ونحو ذلك فهو من السب.

وما لم يكن كذلك فهو كفر به؛ فيكون ليس بسب، حكم صاحبه حكم المرتد إن كان مظهرا له وإلا فهو زندقة، والمعتبر أن يكون سبًّا وأذى للنبي ﷺ وإن لم يكن سبا وأذى لغيره.

فعلى هذا كل ما لو قيل لغير النبي ﷺ أوجب تعزيرا أوحدا بوجه من الوجوه فإنه من باب سب النبي ﷺ كالقذف واللعن وغيرهما من الصور التي تقدم التنبيه عليها.

وأما ما يختص بالقدح في النبوة فإن لم يتضمن إلا بمجرد عدم التصديق بنبوته فهو كفر محض، وإن كان فيه استخفاف واستهانة مع عدم التصديق؛ فهو من السب.

وهنا مسائل اجتهادية يتردد الفقهاء هل هي من السب أو من الردة المحضة، ثم ما ثبت أنه ليس بسب فإن استسر به صاحبه فهو زنديق حكمه الزنديق وإلا فهو مرتد محض واستقصاء الأنواع بينها ليس هذا موضعه.

أما الذمي فيجب التفريق بين مجرد كفره به وبين سبه؛ فإن كفره به لا ينقض العهد، ولا يبيح دم المعاهد بالاتفاق؛ لأنا صالحناهم على هذا، وأما سبه له فإنه ينقض العهد، ويوجب القتل كما تقدم.

قال القاضي أبو يعلى: عقد الأمان يوجب إقرارهم على تكذيب النبي ﷺ، لا على شتمهم وسبهم له.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِيْ «الصَّارِمِ المَسْلُولِ» (ص٥٦٦):

السب الذي ذكرنا حكمه من المسلم هو: الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم

كاللعن والتقبيح ونحوه، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

فهذا أعظم ما تفوه به الألسنة، فأما ما كان سبًّا في الحقيقة والحكم، لكن من الناس من يعتقده دينا، ويراه صوابا وحقا، ويظن أن ليس فيه انتقاص ولا تعييب فهذا نوع من الكفر، حكم صاحبه إما حكم المرتد المظهر للردة، أو المنافق المبطن للنفاق.اهـ

١٠ مسألة: لماذا لم يقتل النبي ﷺ بعض من آذاه من المنافقين وتكلم في عرضه؟

قال القاضي عياض رحمه الله في "الشفا" (٢/ ٤٩٦):

فإن قلت: فلم لم يقتل النبي ﷺ اليهودي الذي قال له: (**السام عليكم**)[١]. وهذا دعاء عليه. ولا قتل الآخر الذي قال له: (**إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله**)[٢]. وقد تأذى النبي ﷺ من ذلك، وقال: قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر. ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان؟

فاعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أن النبي ﷺ كان أول الإسلام يستألف عليه الناس، ويميل قلوبهم، ويحبب إليهم الإيمان، ويزينه في قلوبهم ويداريهم، ويقول: لأصحابه: «**إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا منفرين**»[٣]، ويقول: «**يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا**»[٤]، ويقول: «**لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**»[٥].

وكان ﷺ يداري الكفار والمنافقين، ويجمل صحبتهم، ويغضي عنهم، ويحتمل من أذاهم، ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه، وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان، وبذلك أمره الله تعالى. فقال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥) عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٢٢٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ».
(٤) أخرجه البخاري (٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤) عن أنس رضي الله عنه.
(٥) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾ [المائدة:١٣].

وقال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ [فصلت:٣٤].

وذلك لحاجة الناس للتألف أول الإسلام، وجمع الكلمة عليه، فلما استقر وأظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح، ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبه ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان له ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة.

وكذلك هدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم ولقوه مسلمين.

وبواطن المنافقين مستترة، وحكمه ﷺ على الظاهر، وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله، ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر، وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر ﷺ على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا، وأخلص سرا كما أظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم، وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار.

وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال، وقال: لعله لم يثبت عنده ﷺ من أقوالهم ما رفع، وإنما نقله الواحد، ومن لم يصل رتبة الشهادة في مثل هذا الباب من صبي أو عبد أو امرأة، والدماء لا تستباح إلا بعدلين.

وعلى هذا يحمل أمر اليهود من السلام، وأنهم لووا ألسنتهم، ولم يبينوه ألا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله عنها، ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه، ولهذا

نبه النبي ﷺ أصحابه على فعلهم، وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين فقال: «**إن اليهود إذا سلَّمَ أحدُهم؛ فإنما يقول: السام عليكم؛ فقولوا: عليكم**»[(١)].

وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديين: إن النبي ﷺ لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم، ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم.

وأيضا: فإن الأمر كان سرًّا وباطنا، وظاهرهم الإسلام والإيمان، وإن كان من أهل الذمة بالعهد والجوار، والناس قريب عهدهم بالإسلام، ولم يتميز بعد الخبيث من الطيب.

وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار الدين بحكم ظاهرهم؛ فلو قتلهم النبي ﷺ لنفاقهم وما يبدر منهم، وعلمه بما أسروا في أنفسهم؛ لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وأرجف المعاند، وارتاع من صحبة النبي ﷺ، والدخول في الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم، وظن العدو الظالم ـ أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة.

وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله، ولهذا قال ﷺ: «**لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**»[(٢)] وقال: «**أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم**»[(٣)]. وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها، واستواء الناس في علمها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٥٧)، ومسلم (٢١٦٤) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢٣٦٧٠) حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج، أخبرني ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار، أن رجلا، من الأنصار حدثه أتى رسول الله ﷺ وهو في مجلس فساره يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ فقال: «**أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟**» قال الأنصاري: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له. قال رسول الله ﷺ: «**أليس يشهد أن محمدا رسول الله؟**» قال: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له. قال: «**أليس يصلي؟**» قال: بلى يا=

وقد قال محمد بن المواز: لو أظهر المنافقون نفاقهم؛ لقتلهم النبي ﷺ، وقاله القاضي أبو الحسن بن القصار.

وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝٦١ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٦٢﴾[الأحزاب:٦٠- ٦٢] الآية: قال: معناه إذا أظهروا النفاق.

فإن قلت: فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أنه ﷺ ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط؛ إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله(١).

فاعلم أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه؛ فإن هذه من حرمات الله التي انتقم لها، وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول أو الفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل، أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بإزاره حتى أثر في عنقه(٢)، وكرفع صوت الآخر عنده(٣)، وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة(٤)، وما كان من تظاهر زوجيه عليه(٥)، وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه.

وقد قال بعض علمائنا: إن أذى النبي ﷺ حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره. وأما غيره؛ فيجوز بفعل مباح مما يجوز للإنسان فعله، وإن تأذى به غيره، واحتج

= رسول الله، ولا صلاة له، فقال رسول الله ﷺ: «**أولئك الذين نهاني الله عنهم**» وهذا إسنادٌ صحيح، رجاله ثقات.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٩٠)، ومسلم (١٦٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٦٠٧) عن عمارة بن خزيمة، عن عمه بإسناد صحيح به.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩١٥)، ومسلم (١٤٧٩) عن عمر رضي الله عنه.

بعموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [الأحزاب:٥٧]، وبقوله ﷺ في حديث فاطمة: «**إنها بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ألا وإني لا أحرم ما أحل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا**»[١].اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِيْ "**الصَّارِمِ المَسْلُولِ**" (ص١٧٨):

ومن هذا الباب: أن الرجل الذي قال له لما قسم غنائم حنين: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله فقال عمر: دعني يا رسول الله ﷺ فأقتل هذا المنافق. فقال: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي**» ثم أخبر أنه يخرج من ضئضئه أقوام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم وذكر حديث الخوارج. رواه مسلم[٢].

فإن النبي ﷺ لم يمنع عمر من قتله إلا لئلا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، ولم يمنعه لكونه في نفسه معصوما كما قال في حديث حاطب بن أبي بلتعة فإنه لما قال: ما فعلت ذلك كفرا، ولا رغبة عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي ﷺ: «**إنه قد صدقكم**» فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «**إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٣] فبين ﷺ أنه باق على إيمانه، وأنه صدر منه ما يغفر له به الذنوب؛ فعلم أن دمه معصوم، وهنا علل بمفسدة زالت.

فعلم أن قتل مثل هذا القائل إذا أمنت هذه المفسدة جائز، وكذلك لما أمنت هذه المفسدة أنزل الله قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التحريم:٩]، بعد أن كان قد قال له: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ ﴾ [الأحزاب:٤٨]، قال زيد بن أسلم: قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩) عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[التحريم:٩] نسخت ما كان قبلها.

ومما يشبه هذا أن عبد الله بن أبيّ لما قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون:٨]، وقال: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون:٧]، استأمر عمر في قتله فقال: «**إذن ترعد له أنوف كثيرة بالمدينة**»[(١)] وقال: «**لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**»[(٢)].

فعلم أن من آذى النبي ﷺ بمثل هذا الكلام؛ جاز قتله كذلك مع القدرة، وإنما ترك النبي ﷺ قتله لما خيف في قتله من نفور الناس عن الإسلام لما كان ضعيفًا.

ومن هذا الباب: أن النبي ﷺ لما قال: «**من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي**» قال له سعد بن معاذ: أنا أعذرك إن كان من الأوس ضربت عنقه[(٣)]. والقصة مشهورة فلما لم ينكر ذلك عليه دل على أن من آذى النبي ﷺ وتنقصه يجوز ضرب عنقه والفرق بين ابن أبيّ، وغيره ممن تكلم في شأن عائشة رضي الله عنها: أنه كان يقصد بالكلام فيها عيب رسول الله ﷺ والطعن عليه وإلحاق العار به، ويتكلم بكلام ينتقصه به، فلذلك قالوا: نقتله. بخلاف حسان ومسطح وحمنة؛ فإنهم لم يقصدوا ذلك ولم يتكلموا بما يدل على ذلك، ولهذا إنما استعذر النبي ﷺ من ابن أبيّ دون غيره، ولأجله خطب الناس حتى كاد الحيان يقتتلون.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كما في "زاد المعاد" (٥/ ٥٥):

وَأَمَّا تَرْكُهُ ﷺ قَتْلَ مَنْ قَدَحَ فِي عَدْلِهِ بِقَوْلِهِ: «**اعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِل**»[(٤)]، وَفِي حُكْمِهِ بِقَوْلِهِ: «**أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ**»[(٥)]، وَفِي قَصْدِهِ بِقَوْلِهِ: «**إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا**

---

(١) لم أجد له بهذا اللفظ إسنادًا في كتب السنة والحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٣٨، و٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٣، و١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

وَجْهُ اللَّهِ»[١] أَوْ فِي خَلْوَتِهِ بِقَوْلِهِ: «يَقُولُونَ إِنَّكَ تَنْهَى عَنِ الْغَيِّ وَتَسْتَخْلِي بِه»[٢] وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ لَهُ، فَلَهُ أَنْ يَسْتَوْفِيَهُ، وَلَهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، وَلَيْسَ لِأُمَّتِهِ تَرْكُ اسْتِيفَاءِ حَقِّهِ ﷺ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ حَيْثُ كَانَ ﷺ مَأْمُورًا بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ كَانَ يَعْفُو عَنْ حَقِّهِ لِمَصْلَحَةِ التَّأْلِيفِ وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ، وَلِئَلَّا يُنَفِّرَ النَّاسَ عَنْهُ، وَلِئَلَّا يَتَحَدَّثُوا أَنَّهُ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، وَكُلُّ هَذَا يَخْتَصُّ بِحَيَاتِهِ ﷺ.اهـ

١١ حكم سب الله عز وجل وهل تقبل توبته؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «الصَّارِمِ المَسْلُولِ» (ص٥٥٠):

إن كان مسلما وجب قتله بالإجماع؛ لأنه بذلك كافر مرتد، وأسوأ من الكافر؛ فإن الكافر يعظم الرب، ويعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له.

ثم اختلف أصحابنا وغيرهم في قبول توبته بمعنى أنه هل يستتاب كالمرتد ويسقط عنه القتل إذا أظهر التوبة من ذلك بعد رفعه إلى السلطان وثبوت الحد عليه؟ على قولين:

أحدهما: أنه بمنزلة ساب الرسول، وفيه الروايتان في ساب الرسول هذه طريقة أبي الخطاب، وأكثر من احتذى حذوه من المتأخرين، وهو الذي يدل عليه كلام الإمام أحمد حيث قال: كل من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب تبارك وتعالى فعليه القتل مسلما كان أو كافرا، وهذا مذهب أهل المدينة.

فأطلق وجوب القتل عليه، ولم يذكر استتابة وذكر أنه قول أهل المدينة، وقول أهل المدينة المشهور أنه لا يسقط القتل بتوبته، ولو لم يرد هذا لم يخصه بأهل المدينة فإن الناس مجمعون على أن من سب الله تعالى من المسلمين يقتل، وإنما

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٣١) عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده. وإسناده حسن.

اختلفوا في توبته فلما أخذ بقول أهل المدينة في المسلم كما أخذ بقولهم في الذمي؛ علم أنه قصد محل الخلاف بإظهار التوبة بعد القدرة عليه كما ذكرناه في ساب الرسول.

وأما الرواية الثانية: فإن عبد الله قال: سئل أبي عن رجل قال: يا ابن كذا وكذا أنت ومن خلقك. قال أبي: هذا مرتد عن الإسلام. قلت لأبي: تضرب عنقه؟ قال: نعم تضرب عنقه. فجعله من المرتدين.

والرواية الأولى: قول الليث بن سعد، وقول مالك. وروى ابن القاسم عنه قال: من سب الله تعالى من المسلمين قتل، ولم يستتب إلا أن يكون افترى على الله بارتداده إلى دين دان به، وأظهره فيستتاب، وإن لم يظهره لم يستتب. وهذا قول ابن القاسم، ومطرف، وعبد الملك، وجماهير المالكية.

والثاني: أنه يستتاب، وتقبل توبته، بمنزلة المرتد المحض. وهذا قول القاضي أبي يعلى، والشريف أبي جعفر، وأبي علي بن البناء، وابن عقيل، مع قولهم: إن من سب الرسول لا يستتاب وهذا قول طائفة من المدنيين: منهم محمد بن مسلمة والمخزومي وابن أبي حازم قالوا: لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني؛ فإن تابوا قبل منهم، وإن لم يتوبوا قتلوا، ولا بد من الاستتابة، وذلك كله كالردة، وهو الذي ذكره العراقيون من المالكية.

وكذلك ذكر أصحاب الشافعي رضي الله عنهم، قالوا: سب الله ردة؛ فإذا تاب قبلت توبته. وفرقوا بينه وبين سب الرسول على أحد الوجهين وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة أيضا.

وأما من استتاب الساب لله ولرسوله فمأخذه أن ذلك من أنواع الردة، ومن فرق بين سب الله وسب الرسول قالوا: سب الله كفر محض وهو حق لله، وتوبة من لم يصدر منه إلا مجرد الكفر الأصلي أو الطارئ مقبولة مسقطة للقتل بالإجماع، ويدل على ذلك أن النصارى يسبون الله بقولهم: هو ثالث ثلاثة. وبقولهم: إن له

ولدا. كما أخبر النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه قال: «**شتمني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك، فأما شتمه إياي؛ فقوله: إن لي ولدًا وأنا الأحد الصمد**»[1] وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٤﴾ [المائدة:٧٤].

وهو سبحانه قد علم منه أنه يسقط حقه عن التائب فإن الرجل لو أتى من الكفر والمعاصي بملء الأرض ثم تاب؛ تاب الله عليه وهو سبحانه لا تلحقه بالسب غضاضة ولا معرة، وإنما يعود ضرر السب على قائله، وحرمته في قلوب العباد أعظم من أن يهتكها جرأة الساب.

وبهذا يظهر الفرق بينه وبين الرسول فإن السب هناك قد تعلق به حق آدمي والعقوبة الواجبة لآدمي، لا تسقط بالتوبة، والرسول تلحقه المعرة والغضاضة بالسب؛ فلا تقوم حرمته ولا تثبت في القلوب مكانته إلا باصطلام سابه لما أن هجوه وشتمه ينقص من حرمته عند كثير من الناس، ويقدح في مكانه في قلوب كثيرة؛ فإن لم يحفظ هذا الحِمَى بعقوبة المنتهك وإلا أفضى الأمر إلى الفساد.

ثم قال رحمه الله: وإذا قبلنا توبة من سب الله سبحانه فإنه يؤدب أدبا وجيعا حتى يردعه عن العود إلى مثل ذلك هكذا ذكره بعض أصحاب مالك في كل مرتد.

١٢ مسألة: إن كان الساب لله من أهل الذمة.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله كَمَا فِيْ "الصَّارِمِ المَسْلُولِ" (ص٥٥٩):

وإن كان الساب لله ذميا فهو كما لو سب الرسول، وقد تقدم نص الإمام أحمد على أن من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب سبحانه فإنه يقتل سواء كان مسلما أو كافرا. وكذلك أصحابنا قالوا: من ذكر الله أو كتابه أو دينه أو رسوله بسوء. فجعلوا الحكم فيه واحدًا، وقالوا: الخلاف في ذكر الله وفي ذكر النبي ﷺ سواء.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك مذهب مالك وأصحابه، وكذلك أصحاب الشافعي ذكروا لمن سب الله ورسوله أو كتابه من أهل الذمة حكما واحدا.

لكن هنا مسألتان: إحداهما: أن سب الله تعالى على قسمين:

أحدهما: أن يسبه بما لا يتدين به مما هو استهانة عند المتكلم وغيره مثل اللعن والتقبيح ونحوه؛ فهذا هو السب الذي لا ريب فيه.

والثاني: أن يكون مما يتدين به، ويعتقده تعظيما، ولا يراه سبًّا، ولا انتقاصا مثل قول النصراني: إن له ولدًا وصاحبة ونحوه.

فهذا مما اختلف فيه إذا أظهره الذمي: فقال القاضي وابن عقيل من أصحابنا: ينتقض به العهد كما ينتقض إذا أظهروا اعتقادهم في النبي ﷺ. وهو مقتضى ما ذكره الشريف أبو جعفر وأبو الخطاب وغيرهما؛ فإنهم ذكروا أن ما ينقض الإيمان ينقض الذمة، ويحكى هذا عن طائفة من المالكية.

ووجه ذلك: أنا عاهدناهم على أن لا يظهروا شيئا من الكفر وإن كانوا يعتقدونه؛ فمتى أظهروا مثل ذلك؛ فقد آذوا الله ورسوله والمؤمنين بذلك، وخالفوا العهد فينتقض العهد بذلك كسبِّ النبي ﷺ وقد تقدم عن عمر رضي الله عنه أنه قال للنصراني الذي كذب بالقدر: لئن عدت إلى مثل ذلك لأضربن عنقك[1].

---

(١) أخرجه حرب في "مسائله"، كما في "الصارم المسلول" (ص٢٠١) من طريق أبي مشجعه بن ربعي قال: لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام قام قسطنطين بطريق الشام وذكر معاهدة عمر له وشروطه عليهم قال: اكتب بذلك كتابا. قال عمر: نعم فبينما هو يكتب الكتاب إذ ذكر عمر، فقال: إني استثني عليك معرة الجيش مرتين قال: لك ثنتان، وقبح الله من أقالك.

فلما فرغ عمر من الكتاب قال له: يا أمير المؤمنين قم في الناس فأخبرهم الذي جعلت لي وفرضت علي ليتناهوا عن ظلمي قال عمر: نعم فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. فقال النبطي: إن الله لا يضل أحدا. فقال عمر: ما يقول؟ قال: لا شيء. وعاد النبطي لمقالته، فقال: أخبروني ما يقول. قالوا: يزعم أن الله لا يضل أحدا. قال عمر: إنا لم نعطك الذي أعطيناك؛ لتدخل علينا في ديننا، والذي نفسي بيده لئن عدت لأضربن الذي فيه عيناك وعاد عمر، ولم يعد النبطي، فلما فرغ عمر أخذ النبطي الكتاب.

وهذا إسنادٌ فيه ضعف؛ فإن أبا مشجعة بن ربعي، لم يرو عنه سوى ابن أخيه مسلمة بن=

والمنصوص عن مالك: أن من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به قتل ولم يستتب. قال ابن القاسم: إلا أن يسلم طوعا.

فلم يجعل ما يتدين به الذمي سبا، وهذا قول عامة المالكية، وهو مذهب الشافعي ذكره أصحابه، وهو منصوصه، قال في "**الأم**" في تحديد الإمام ما يأخذه من أهل الذمة: وعلى أن لا يذكروا رسول الله ﷺ إلا بما هو أهله، ولا يطعنوا في دين الإسلام، ولا يعيبوا من حكمه شيئا؛ فإن فعلوه فلا ذمة لهم، ويأخذ عليهم أن لا يسمعوا المسلمين شركهم، وقولهم في عزير وعيسى؛ فإن وجدوهم فعلوا بعد التقدم في عزير وعيسى إليهم؛ عاقبهم على ذلك عقوبة، لا يبلغ بها حدًّا؛ لأنهم قد أذن بإقرارهم على دينهم مع علم ما يقولون.

وهذا ظاهر كلام الإمام أحمد؛ لأنه سئل عن يهودي مر بمؤذن، فقال له: كذبت. فقال: يقتل لأنه شتم. فعلل قتله بأنه شتم، فعلم أن ما يظهره من دينه الذي ليس بشتم؛ ليس كذلك.

قال: من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب تعالى؛ فعليه القتل مسلمًا كان أو كافرًا، وهذا مذهب أهل المدينة.

وإنما مذهب أهل المدينة فيما هو سب عند القائل، وذلك أن هذا القسم ليس من باب السب والشتم الذي يلحق بسب الله وسب النبي ﷺ؛ لأن الكافر لا يقول هذا طعنا ولا عيبا، وإنما يعتقده تعظيمًا وإجلالًا، وليس هو ولا أحد من الخلق يتدين بسب الله تعالى بخلاف ما يقال في حق النبي ﷺ من السوء؛ فإنه لا يقال إلا طعنا وعيبا، وذلك أن الكافر يتدين بكثير من تعظيم الله، وليس يتدين بشيء من تعظيم الرسول.

= عبد الله بن ربعي الجهني، ولم يوثقه معتبر بتوثيقه؛ فهو مجهول، وابن أخيه أيضًا فيه جهالة.

ألا ترى أنه قال: محمد ﷺ ساحر أو شاعر، فهو يقول: إن هذا نقض وعيب. وإذا قال: إن المسيح أو عزيرا ابن الله. فليس يقول: إن هذا عيب ونقص. وإن كان هذا عيبا ونقصا في الحقيقة.

وفرق بين قول يقصد به قائله العيب والنقص، وقول لا يقصد به ذلك، ولا يجوز أن يجعل قولهم في الله كقولهم في الرسول بحيث يجعل الجميع نقضا للعهد؛ إذ يفرق في الجميع بين ما يعتقدونه وبين ما لا يعتقدونه؛ لأن قولهم في الرسول كله طعن في الدين، وغضاضة على الإسلام، وإظهار لعداوة المسلمين يقصدون به عيب الرسول ونقصه، وليس مجرد قولهم الذي يعتقدونه في الله مما يقصدون به عيب الله ونقصه.

ألا ترى أن قريشا كانت تقار النبي ﷺ على ما كان يقوله من التوحيد وعبادة الله وحده، ولا يقارونه على عيب آلهتهم والطعن في دينهم وذم آبائهم، وقد نهى الله المسلمين أن يسبوا الأوثان لئلا يسب المشركون الله مع كونهم لم يزالوا على الشرك فعلم أن محذور سب الله أغلظ من محذور الكفر به فلا يجعل حكمها واحدا.اهـ

(١٣) مسألة: وهل يستتاب الذمي الساب لله، وتقبل توبته؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله **كَمَا فِيْ «الصَّارِمِ المَسْلُولِ»** (ص٥٦٢):

أما القاضي وجمهور أصحابه ـ مثل الشريف وابن البناء وابن عقيل ومن تبعهم ـ فإنهم يقبلون توبته، ويسقطون عنه القتل بها، وهذا ظاهر على أصلهم؛ فإنهم يقبلون توبة المسلم إذا سب الله فتوبة الذمي أولى، وهذا هو المعروف من مذهب الشافعي وعليه يدل عموم كلامه حيث قال في شروط أهل الذمة: وعلى أن أحدًا منكم إن ذكر محمدا ﷺ أو كتاب الله ودينه بما لا ينبغي فقد برئت منه ذمة الله. ثم

قال: وأيهم قال أو فعل شيئا مما وصفته نقضًا للعهد، وأسلم؛ لم يقتل إذا كان ذلك قولا إلا أنه لم يصرح بالسب لله؛ فقد يكون عنى إذا ذكروا ما يعتقدونه.

وكذلك قال ابن القاسم وغيره من المالكية: إنه يقتل إلا أن يسلم. وقال ابن مسلمة، وابن أبي حازم، والمخزومي: إنه لا يقتل حتى يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل.

والمنصوص عن مالك أنه يقتل ولا يستتاب، كما تقدم وهذا معنى قول أحمد في إحدى الروايتين:

قال في رواية حنبل: من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب فعليه القتل مسلما كان أو كافرا، وهذا مذهب أهل المدينة.

وظاهر هذه العبارة أن القتل لا يسقط عنه بالتوبة كما لا يسقط القتل عن المسلم بالتوبة؛ فإنه قال مثل هذه العبارة في شتم النبي ﷺ في رواية حنبل أيضا قال: كل من شتم النبي ﷺ مسلما كان أو كافرا فعليه القتل. وكان حنبل يعرض عليه مسائل المدنيين، ويسأله عنها.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: **ويظهر الحكم في المسألة بأن يرتب هذا السب ثلاث مراتب:**

المرتبة الأولى: أن من شان الرب بما يتدين به، وليس فيه سب لدين الإسلام إلا أنه سب عند الله تعالى، مثل قول النصارى في عيسى ونحو ذلك؛ فقد قال تعالى فيما يرويه عنه رسوله: «**شتمني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك**» ثم قال: «**وأما شتمه إياي فقوله إني اتخذت ولدًا، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد**»[1].

فهذا القسم حكمه حكم سائر أنواع الكفر سميت شتما أو لم تسم وقد ذكرنا الخلاف في انتقاض العهد بإظهار مثل هذا، وإذا قيل بانتقاض العهد به؛ فسقوط القتل عنه بالإسلام متوجه وهو في الجملة قول الجمهور.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٧٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المرتبة الثانية: أن يذكر ما يتدين به، وهو سب لدين المسلمين وطعن عليهم كقول اليهودي للمؤذن: كذبت. وكرد النصراني على عمر رضي الله عنه(١)، وكما لوعاب شيئا من أحكام الله أو كتابه، ونحو ذلك؛ فهذا حكمه حكم سب الرسول في انتقاض العهد به.

وهذا القسم هو الذي عناه الفقهاء في نواقض العهد حيث قالوا: إذا ذكر الله أو كتابه أو رسوله أودينه بسوء.

ولذلك اقتصر كثير منهم على قوله: (أو ذكر كتاب الله ودينه أو رسوله بسوء) وأما سقوط القتل عنه بالإسلام فهو كسب الرسول؛ إلا أن في ذلك حقًا لآدمي فمن سلك ذلك المسلك في سب الرسول؛ فرق بينه وبين هذا، وهي طريقة القاضي وأكثر أصحابه، ومن قتله لما في ذلك من الجناية على الإسلام وأنه محارب لله ورسوله فإنه يقتل بكل حال، وهو مقتضى أكثر الأدلة التي تقدم ذكرها.

المرتبة الثالثة: أن يسبه بما لا يتدين به، بل هو محرم في دينه كما هو محرم في دين الله تعالى كاللعن والتقبيح، ونحو ذلك فهذا النوع لا يظهر بينه وبين سب المسلم فرق، بل ربما كان فيه أشد؛ لأنه يعتقد تحريم مثل هذا الكلام في دينه، كما يعتقد المسلمون تحريمه، وقد عاهدنا على أن نقيم عليه الحد فيما يعتقد تحريمه،

---

(١) أخرجه حرب في "مسائله"، كما في "الصارم المسلول" (ص٢٠١) من طريق أبي مشجعه بن ربعي قال: لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام قام قسطنطين ....، وفيه: فلما فرغ عمر من الكتاب قال له: يا أمير المؤمنين قم في الناس فأخبرهم الذي جعلت لي وفرضت علي ليتناهوا عن ظلمي قال عمر: نعم فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. فقال النبطي: إن الله لا يضل أحدا. فقال عمر: ما يقول؟ قال: لا شيء. وعاد النبطي لمقالته، فقال: أخبروني ما يقول. قالوا: يزعم أن الله لا يضل أحدا. قال عمر: إنا لم نعطك الذي أعطيناك؛ لتدخل علينا في ديننا، والذي نفسي بيده لئن عدت لأضربن الذي فيه عيناك وعاد عمر، ولم يعد النبطي، فلما فرغ عمر أخذ النبطي الكتاب.

وهذا إسنادٌ فيه ضعف؛ فإن أبا مشجعة بن ربعي، لم يرو عنه سوى ابن أخيه مسلمة بن عبد الله بن ربعي الجهني، ولم يوثقه معتبر بتوثيقه؛ فهو مجهول، وابن أخيه أيضًا فيه جهالة.

فإسلامه لم يجدد له اعتقادا لتحريمه، بل هو فيه كالذمي إذا زنى أو قتل أو سرق ثم أسلم سواء ثم هو مع ذلك مما يؤذي المسلمين كسب الرسول بل هو أشد.

فإذا قلنا: لا تقبل توبة المسلم من سب الله؛ فلأن نقول: لا تقبل توبة الذمي أولى؛ بخلاف الرسول؛ فإنه يتدين بتقبيح من يعتقد كذبه، ولا يتدين بتقبيح خالقه الذي يقر أنه خالقه، وقد يكون من هذا الوجه أولى بأن لا يسقط عنه القتل ممن سب الرسول.

وهذا القسم قد اختلف الفقهاء فيه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الذمي يستتاب منه كما يستتاب المسلم منه، هذا قول طائفة من المدنيين كما تقدم، وكأن هؤلاء لم يروه نقضا للعهد؛ لأن ناقض العهد يقتل كما يقتل المحارب، ولا معنى لاستتابة الكافر الأصلي المحارب، وإنما رأوا حده القتل فجعلوه كالمسلم، وهو يستتيبون المسلم، فكذلك يستتاب الذمي، وعلى قول هؤلاء؛ فالأشبه أن استتابته من السب؛ لا تحتاج إلى إسلامه، بل تقبل توبته مع بقائه على دينه.

القول الثاني: أنه لا يستتاب لكن إن أسلم لم يقتل، وهذا قول ابن القاسم وغيره، وهو قول الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد، وعلى طريقة القاضي لم يذكر فيه خلاف بناء على أنه قد نقض عهده فلا يحتاج قتله استتابة لكن إذا أسلم سقط عنه القتل كالحربي.

القول الثالث: أنه يقتل بكل حال وهو ظاهر كلام مالك وأحمد لأن قتله وجب على جرم محرم في دين الله وفي دينه، فلم يسقط عنه موجبه بالإسلام كعقوبته على الزنا والسرقة والشرب وهذا القول هو الذي يدل عليه أكثر الأدلة المتقدم ذكرها.اهـ

قال أبو عبد الله أحسن الله إليه: يظهر لي أن القول الثاني أصح؛ لأنه نقض العهد؛ فاستحق القتل، ولا يدفعه عنه إلا الإسلام، كما لو أسلم المحارب، والله أعلم.

١٤ مسألة: من تاب من السب قبل القدرة عليه.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ **كَمَا فِيْ «الصَّارِمِ المَسْلُولِ»** (ص٥١٢):

إذا تلخص ذلك فمن سب الرسول ﷺ ورفع إلى السلطان، وثبت ذلك عليه بالبينة، ثم أظهر التوبة لم يسقط عنه الحد عند من يقول إنه يقتل حدا سواء تاب قبل أداء البينة، أو بعد أداء البينة؛ لأن هذه توبة بعد أخذه، والقدرة عليه فهو كما لو تاب قاطع الطريق والزاني والسارق في هذه الحال.

وكذلك لو تاب بعد أن أريد رفعه إلى السلطان، والبينة بذلك ممكنة، وهذا لا ريب فيه والذمي في ذلك كالملي إذا قيل: إنه يقتل حدا كما قررناه.

وأما إن أقر بالسب، ثم تاب أو جاء تائبا منه، فمذهب المالكية أنه يقتل أيضا؛ لأنه حد من الحدود، لا يسقط عندهم بالتوبة قبل القدرة ولا بعدها.

ولهم في الزنديق إذا جاء تائبا قولان لكن قال القاضي عياض: مسألته أقوى لا يتصور فيها الخلاف لأنه حق يتعلق بالنبي ﷺ، ولأمته بسببه لا يسقط بالتوبة كسائر حقوق الآدميين.

وكذلك يقول من يرى أنه يقتله حدا كما يقوله الجمهور، ويرى أن التوبة لا تسقط الحد بحال كأحد قولي الشافعي، وإحدى الروايتين عن أحمد وأما على المشهور في المذهبين ـ من أن التوبة قبل القدرة تسقط الحد ـ فقد ذكرنا أنما ذاك في حدود الله فأما حدود الآدميين من القود وحد القذف فلا تسقط بالتوبة.

فعلى هذا لا يسقط القتل عنه، وإن تاب قبل القدرة كما لا يسقط القتل قودا عن قاطع الطريق إذا تاب قبل القدرة؛ لأنه حق آدمي ميت؛ فأشبه القود وحد القذف وهذا قول القاضي أبي يعلى وغيره، وهو مبني على أن قتله حق لآدمي، وأنه لم يعف عنه ولا يسقط إلا بالعفو، وهو قول من يفرق بين من سب الله، ومن سب رسوله.

وأما من سوى بين من سب الله، ومن سب رسوله، وقال: إن الحدود تسقط بالتوبة قبل القدرة؛ فإنه يسقط القتل هنا؛ لأنه حد من الحدود الواجبة لله تعالى تاب صاحبه قبل القدرة عليه، وهذا موجب قول من قال: إن توبته تنفعه فيما بينه وبين الله ويسقط عنه حق الرسول في الآخرة، وبه صرح غير واحد من أصحابنا، وغيرهم لأن التوبة المسقطة لحق الله وحق العبد؛ وجدت قبل أخذه لإقامة الحد عليه، وذلك أن هذا الحد ليس له عاف عنه، فإن لم تكن التوبة مسقطة له؛ لزم أن يكون من الحدود ما لا تسقطه توبة قبل القدرة، ولا عفو، وليس لهذا نظير نعم لو كان الرسول ﷺ حيا لتوجه أن يقال: لا يسقط الحد؛ إلا عفوه بكل حال.

وأما إن أخذ وثبت السب بإقراره ثم تاب، أو جاء فأقر بالسب غير مظهر للتوبة، ثم تاب فذلك مبني على جواز رجوعه عن هذا الإقرار: فإذا لم يقبل رجوعه أقيم عليه الحد بلا تردد وإن قبل رجوعه، وأسقط الحد عمن جاء تائبا؛ ففي سقوطه عن هذا الوجهان المتقدمان.

وإن أقيم الحد على من جاء تائبا؛ فعلى هذا أولى، والقول في الذمي إذا جاء مسلما معترفا أو أسلم بعد إقراره كذلك.اهـ

١٥ مسألة: حكم من سب النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام من الكفار المحاربين.

قال شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوى» (٣/ ٢٩١):

ومَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ سَبَّ الرَّسُولَ مِنْ الكُفَّارِ المُحَارِبِينَ، وقَالَ: هُو سَاحِرٌ أَو شَاعِرٌ أَو مَجْنُونٌ أَو مُعَلَّمٌ أَو مُفْتَرٍ وتَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

وقَدْ كَانَ طَائِفَةٌ يَسُبُّونَ النَّبِيَّ مِنْ أَهْلِ الحَرْبِ، ثُمَّ أَسْلَمُوا وحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ وقَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنهُمْ: مِنْهُمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ

ﷺ، وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وكَانَ قَدْ ارْتَدَّ، وكَانَ يَكْذِبُ عَلَى النَّبِيِّ، ويَقُولُ: أَنَا كُنْتُ أُعَلِّمُهُ القُرْآنَ، ثُمَّ تَابَ وأَسْلَمَ، وبَايَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ[١].اهـ

وقال رحمه الله **كما في "الصارم المسلول"** (ص١٥٠):

إن الحربي إذا أسلم لم يؤخذ بشيء مما عمله في الجاهلية، لا من حقوق الله، ولا من حقوق العباد من غير خلاف نعلمه؛ لقوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال:٣٨] ولقوله ﷺ: «**الإسلام يجب ما قبله**» رواه مسلم[٢]. ولقوله ﷺ: «**من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية**» متفق عليه[٣]. ولهذا أسلم خلق كثير، وقد قتلوا رجالا يعرفون؛ فلم يطلب أحد منهم بقود ولا دية ولا كفارة.

أسلم وحشي قاتل حمزة، وابن العاص قاتل ابن قوقل، وعقبة بن الحارث قاتل خبيب بن عدي، ومن لا يحصى ممن ثبت في الصحيح أنه أسلم وقد علم أنه قتل رجلا بعينه من المسلمين؛ فلم يوجب النبي ﷺ على أحد منهم قصاصا، بل قال ﷺ: «**يضحك الله تعالى إلى رجلين يقتل أحدهما صاحبه، كلاهما يدخل الجنة: يقتل هذا في سبيل الله فيدخل الجنة، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم، ويقتل في سبيل الله ويدخل الجنة**» متفق عليه[٤].اهـ

١٦ حكم من سب نبيًا آخر كحكم من سب النبي ﷺ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله **كَمَا فِيْ "الصَّارِمِ المَسْلُولِ"** (ص٥٧٠):

والحكم في سب سائر الأنبياء كالحكم في سب نبينا فمن سب نبينا مسمى باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن أو موصوفا بالنبوة ـ مثل أن

---

(١) **صحيح**: تقدم تخرج قصته بتمامها.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٩٢١)، ومسلم (١٢٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يذكر في حديث أن نبيا فعل كذا أوقال كذا فيسب ذلك القائل أو الفاعل مع العلم بأنه نبي وإن لم يعلم من هو أو يسب نوع الأنبياء على الإطلاق ـ فالحكم في هذا كما تقدم لأن الإيمان بهم واجب عموما وواجب الإيمان خصوصا بمن قصه الله علينا في كتابه وسبهم كفر وردة إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي.

وقد تقدم في الأدلة الماضية ما يدل على ذلك بعمومه لفظا أو معنى، وما أعلم أحدا فرق بينهما، وإن كان أكثر كلام الفقهاء إنما فيه ذكر من سب نبينا فإنما ذلك لمسيس الحاجة إليه، وأنه وجب التصديق له والطاعة له جملة وتفصيلا ولا ريب أن جرم سابه أعظم من جرم ساب غيره كما أن حرمته أعظم من حرمة غيره، وإن شاركه سائر إخوانه من النبيين والمرسلين في أن سابهم كافر حلال الدم.

فأما إن سب نبيا غير معتقد لنبوته؛ فإنه يستتاب من ذلك إذا كان ممن علمت نبوته بالكتاب والسنة؛ لأن هذا جحد لنبوته إن كان ممن يجهل أنه نبي فإنه سب محض فلا يقبل قوله: (إني لم أعلم أنه نبي).اهـ

(١٧) مسألة: من سب موصوفا بوصف أو مسمى باسم وذلك يقع على الله سبحانه أو بعض رسله.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِيْ "الصَّارِمِ المَسْلُولِ" (ص٥٧٦):

فإن سب موصوفًا بوصف، أو مسمى باسم، وذلك يقع على الله سبحانه أو بعض رسله خصوصا أو عموما، لكن قد ظهر أنه لم يقصد ذلك: إما لاعتقاده أن الوصف أو الاسم لا يقع عليه، أو لأنه وإن كان يعتقد وقوعه عليه لكن ظهر أنه لم يرده لكون الاسم في الغالب لا يقصد به ذلك بل غيره؛ فهذا القول وشبهه حرام في الجملة يستتاب صاحبه منه إن لم يعلم أنه حرام، ويعزر مع العلم تعزيزا بليغا لكن لا يكفر بذلك، ولا يقتل، وإن كان يخاف عليه الكفر.

مثال الأول: أن يسب الدهر الذي فرق بينه وبين الأحبة، أو الزمان الذي أحوجه إلى الناس، أو الوقت الذي أبلاه بمعاشرة من ينكد عليه، ونحو ذلك مما يكثر الناس قوله نظما ونثرا؛ فإنه إنما يقصد أن يسب من يفعل ذلك به. ثم إنه يعتقد أو يقول: إن فاعل ذلك هو الدهر. الذي هو الزمان فيسبه.

وفاعل ذلك إنما هو الله سبحانه؛ فيقع السب عليه من حيث لم يعتمده المرء، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر بيده الأمر**»(١)

وقوله فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى، يقول: «**يا ابن آدم تسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**»(٢) فقد نهى رسول الله ﷺ عن هذا القول وحرمه، ولم يذكر كفرا ولا قتلا، والقول المحرم يقتضي التعزيز والتنكيل.

ومثال الثاني: أن يسب مسمى باسم عام يندرج فيه الأنبياء، وغيرهم لكن يظهر أنه لم يقصد الأنبياء من ذلك العام مثل ما نقل الكرماني قال: سألت أحمد قلت: رجل افترى على رجل، فقال: يا ابن كذا وكذا إلى آدم وحواء.

فعظم ذلك جدا وقال: نسأل الله العافية، لقد أتى هذا عظيما. وسئل عن الحد فيه فقال: لم يبلغني في هذا شيء. وذهب إلى حد واحد وذكر هذا أبوبكر عبد العزيز أيضا فلم يجعله أحمد بهذا القول كافرا، مع أن هذا اللفظ يدخل فيه نوح، وإدريس وشيث، وغيرهم من النبيين؛ لأن الرجل لم يدخل آدم وحواء في عمومه وإنما جعلها غاية وحدًّا لمن قذفه، وإلا لو كان من المقذوفين تعين قتله بلا ريب، ومثل هذا العموم في مثل هذا الحال لا يكاد يقصد به صاحبه من يدخل فيه من الأنبياء فعظم الإمام أحمد ذلك؛ لأن أحسن أحواله أن يكون قد قذف خلقًا من المؤمنين، ولم يوجب إلا حدا واحدًا؛ لأن الحد هنا ثبت للحي ابتداء على أصله، وهو واحد وهذا قول أكثر المالكية في مثل ذلك .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٨١)، ومسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال سحنون وأصبغ وغيرهما في رجل قال له غريمه: صلى الله على النبي محمد، فقال له الطالب: لا صلى الله على من صلى عليه، قال سحنون: ليس هو كمن شتم رسول الله ﷺ أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه إذا كان على ما وصف من الغضب؛ لأنه إنما شتم الناس. **وقال أصبغ وغيره:** لا يقتل إنما شتم الناس وكذلك قال ابن أبي زيد فيمن قال: لعن الله العرب، ولعن الله بني إسرائيل، ولعن الله بني آدم، وذكر أنه لم يرد الأنبياء، وإنما أراد الظالمين منهم: إن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان.

وذهب طائفة ـ منهم الحارث بن مسكين وغيره ـ إلى القتل في مسألة المصلي ونحوها، وكذلك قال أبو موسى بن مياس فيمن قال: لعنه الله إلى آدم. إنه يقتل.اهـ

(١٨) مسألة: من أكره على سب النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

قال شَيْخُ الإِسْلَام رَحِمَهُ اللهُ **كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى"** (٧/ ٥٦٠):

فإنه سُبْحَانَهُ اسْتَثْنَى المُكْرَهَ مِنْ الكُفَّارِ ولَو كَانَ الكُفْرُ لَا يَكُونُ إلَّا بِتَكْذِيبِ القَلْبِ وجَهْلِهِ لَمْ يَسْتَثْنِ مِنْهُ المُكْرَهَ؛ لِأَنَّ الإِكْرَاهَ عَلَى ذَلِكَ مُمْتَنِعٌ فَعُلِمَ أَنَّ التَّكَلُّمَ بِالْكُفْرِ كُفْرٌ إلا فِي حَالِ الإِكْرَاهِ. وقَوله تَعَالَى ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل:١٠٦]، أَيْ: لِاسْتِحْبَابِهِ الدُّنْيَا عَلَى الآخرة، ومِنْهُ قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «**يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ويُمْسِي كَافِرًا ويُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١).

والآية نَزَلَتْ فِي عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ(٢)، وبِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ(١)، وأَمْثَالِهِمَا مِنْ المُؤْمِنِينَ المُسْتَضْعَفِينَ لَمَّا أَكْرَهَهُمْ المُشْرِكُونَ عَلَى سَبِّ النَّبِيِّ ﷺ، ونَحو ذَلِكَ مِنْ كَلِمَاتِ

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **صحيح بطرقه:** أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (١٥٠٩) عن مَعْمر بن راشد، عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر=

= فعذبوه، حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ «**كيف تجد قلبك؟**» قال: مطمئن بالإيمان، فقال النبي ﷺ: «**فإنْ عادوا فعد**».

وأخرجه الطبري في "تفسيره" (النحل/ ١٠٦) من طريق محمد بن ثور الصنعاني، عن معمر به.

وأخرجه ابن سعد في "الطبقات" (٣/ ١٨٩)، من طريق عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم به.

وهذا إسنادٌ مرسل، رجاله ثقات، وأبو عبيدة، هو من آل عمار بن ياسر، ويحكي قصة وقعة لجده، وهذا يقوي من شأنها.

وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنه:

أخرجه الطبري في "تفسيره" (١٤/ ١٨١) حدثنا محمد بن سعد، حدثنا أبي، حدثني عمي، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] إلى آخر الآية، وذلك أنّ المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه، ثم تركوه، فرجع إلى رسول الله ﷺ؛ فحدثه بالذي لقي من قريش، والذي قال: فأنزل الله تعالى ذكره عذره ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ إلى قوله ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾[النحل: ١٠٦].

وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء. سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، وعمه الحسين بن الحسن بن عطية العوفي، والحسن بن عطية العوفي، وعطية العوفي كلهم ضعفاء.

وله شاهد من مراسيل قتادة:

أخرجه الطبري في "تفسيره" (النحل/ ١٠٦) حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة... فذكره مرسلًا.

وله شاهد من مراسيل أبي مالك غزوان الغفاري:

أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (٣/ ٢٥٠)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٢١)، والطبري في "تفسيره" (النحل/ ١٠٦) من طريق هشيم، عن حصين، عن أبي مالك غزوان الغفاري، في قوله ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] قال: نزلت في عمار بن ياسر.

وهذا إسنادٌ مرسل رجاله ثقات.

وله شاهد من مراسيل محمد بن سيرين:

أخرجه ابن سعد (٣/ ١٨٨) عن إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم البصري، عن ابن عون، عن محمد: أنّ النبي ﷺ لقي عمارًا، وهو يبكي؛ فجعل يمسح عن عينيه، وهو يقول: «**أخذك الكفار؛ فغطوك في الماء فقلت كذا وكذا، فإنْ عادوا فقل ذاك لهم**». وهو مرسل رجاله ثقات.

وله شاهد من مراسيل أبي المتوكل الناجي، علي بن داود:

أخرجه مسدد، كما في "إتحاف الخيرة المهرة" (٤٦٣٩) وفي "المطالب العالية" (٣٦٤٦)، عن=

الكُفْرِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ بِلِسَانِهِ كَعَمَّارٍ، ومِنْهُمْ مَنْ صَبَرَ عَلَى المِحْنَةِ كَبِلَالٍ، ولَمْ يُكْرَهْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى خِلَافِ مَا فِي قَلْبِهِ، بَلْ أُكْرِهُوا عَلَى التَّكَلُّمِ، فَمَنْ تَكَلَّمَ بِدُونِ الإِكْرَاهِ لَمْ يَتَكَلَّمْ إِلَّا وصَدْرُهُ مُنْشَرِحٌ بِهِ.اهـ

١٩ تحريم سب الأصنام إذا كان يؤدي إلى سب الله.

يقول الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ ﴾ [الأنعام:١٠٨].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كما في "الفتاوى الكبرى" (٦/ ١٧٤):

حَرَّمَ سَبَّ الآلِهَةِ مَعَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ لِكَونِهِ ذَرِيعَةً إِلَى سَبِّهِمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى؛ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ تَرْكِهِمْ سَبَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ رَاجِحَةٌ عَلَى مَصْلَحَةِ سَبِّنَا لِآلِهَتِهِمْ.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "أعلام الموقعين" (٣/ ١٣٧):

فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين، مع كون السب غيظا وحمية لله وإهانة لآلهتهم؛ لكونه ذريعة الى سبهم لله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم، وهذا كالتنبيه، بل كالتصريح على المنع من الجائز؛ لئلا يكون سببا في فعل ما لا يجوز.اهـ

٢٠ مسألة: حكم سبِّ الصحابة.

يقول الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

= يحيى، عن إسماعيل بن مسلم، ثنا أبو المتوكل الناجي... فذكر نزول الآية في عمار رضي الله عنه. وهذا إسناد مرسل، رجاله ثقات. ويحيى هو القطان، وإسماعيل هو العبدي.

وسبب نزول الآية في عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، صحيح ثابت بمجموع هذه الطرق، والله أعلم.

(١) لم أجد سبب نزول الآية في قصة بلال بن رباح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح:٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:٨-١٠].

قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره للآية المتقدمة: روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلًا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح:٢٩]، حتى بلغ ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح:٢٩]، فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابته هذه الآية.

ثم قال -يعني: الزبيري-: لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله فمن نقص واحدًا منهم أو طعن عليه في روايته؛ فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، ثم ذكر طائفة من الآيات التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح، ثم قال عقبها: وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم.اهـ

وقال ربنا جل وعلا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠].

وقال رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

وقال عز وجل: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨].

وقال الله جل وعلا: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة:٨٨-٨٩].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠].

وفي "**الصحيحين**" عن أنس رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ

الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»(١).

وفي "**الصحيحين**" عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ**»(٢).

وفي "**صحيح مسلم**" عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**»(٣).

وفي "**صحيح مسلم**" عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**»(٤).

وفي "**الصحيحين**" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»(٥).

وفي "**الصحيحين**" عَنْ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(٦).

وفي "**فضائل الصحابة**" لأحمد (١٥) عن ابْنِ عُمَرَ يَقُولُ: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧)، ومسلم برقم (٧٤).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٨٣)، ومسلم برقم (٧٥).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٦، و٧٧).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٧٨).
(٥) أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤٠).
(٦) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧)، ومسلم برقم (٢٤٩٤).

قال الإمام النووي رحمه الله **تعالى في «شرح مسلم» (١٦/ ٩٣):**

واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنه مجتهدون في تلك الحروب متأولون.اهـ

وأقول: ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بتكفير من سبَّ الصحابة أو انتقصهم، وطعن في عدالتهم، وصرح ببغضهم، وأن من كانت هذه صفته أباح دم نفسه وحل قتله، إلا أن يتوب من ذلك ويترحم عليهم.

وممن ذهب إلى هذا القول من السلف الصحابي الجليل عبد الرحمن بن أبزى، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وأبو بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن يوسف الفريابي، وبشر بن الحارث المروزي، ومحمد بن بشار العبدي، وغيرهم كثير، فهؤلاء الأئمة صرحوا بكفر من سب الصحابة، وبعضهم صرح مع ذلك أنه يعاقب بالقتل، وإلى هذا القول ذهب بعض العلماء من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية.

قال الإمام الطحاوية في «عقيدته»:

وحبهم ـ أي الصحابة ـ دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.اهـ

قلت: ومن سبهم، وطعن فيهم؛ فقد زاد على بغضهم.

قال الإمام الذهبي رحمه الله **في «الكبائر»(ص٢٣٧):**

فمن طعن فيهم أو سبهم؛ فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور، والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط؛ طعن في الأصل والإزدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته.اهـ

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "الفتح" (٣٦٧٣):

اختلف في ساب الصحابي، فقال عياض: ذهب الجمهور إلى أنه يعزر، وعن بعض المالكية يقتل. وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنين فحكى القاضي حسين في ذلك وجهين: وقواه السبكي في حق من كفر الشيخين، وكذا من كفر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ.اهـ

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإحكام في أصول الأحكام" (١/ ١٤٩):

ساب الصحابة ـ يعلم ويعرف، فإن تمادى فهو فاسق، وإن عاند في ذلك الله تعالى أو رسوله ﷺ فهو كافر مشرك.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِيْ "الصَّارِمِ المَسْلُولِ" (ص٥٨١):

فمن سبهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقًا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، وإنما خص الأنصار ـ والله أعلم ـ لأنهم هم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين وآووا رسول الله ﷺ ونصروه ومنعوه، وبذلوا في إقامة الدين النفوس والأموال وعادوا الأحمر والأسود من أجله وآووا المهاجرين وواسوهم في الأموال، وكان المهاجرون إذ ذاك قليلًا غرباء فقراء مستضعفين، ومن عرف السيرة وأيام رسول الله ﷺ وما قاموا به من الأمر، ثم كان مؤمنًا يحب الله ورسوله، لم يملك أن لا يحبهم، كما أن المنافق لا يملك أن لا يبغضهم، وأراد بذلك ـ والله أعلم ـ أن يعرف الناس قدر الأنصار لعلمه بأن الناس يكثرون والأنصار يقلون وأن الأمر سيكون في المهاجرين فمن شارك الأنصار في نصر الله ورسوله ﷺ بما أمكنه فهو شريكهم في الحقيقة، كما تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤] فبغض من نصر الله ورسوله من أصحابه نفاق.اهـ

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله في كتابه "الإبانة الكبرى" (٨/ ٣٤٦):

فلم يكن الله ليمدح هذه الأمة بالخيرة، ويجعلها شاهدة على غيرها، ويصفها بالعدالة، مع ما نعتها به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان به، فلم يكن تعالى ليمدح هذه الأمة بالخير الكثير، ويفضلها على جميع الأمم الماضية، ويجعل نبيها خير المرسلين وخاتم النبيين، ثم يفضل سائر الأمم عليها وجميع الأنبياء على نبيها، بأن يجعل في عقب كل نبي نبياً مثله، أو رجلاً من أمته هو خيرها وأفضلها، يخلف ذلك النبي ﷺ أمته، ويدعوهم إلى شريعته.

ويجعل خَلْف هذا النبي الفاضل في هذه الأمة الخيّرة شرّ أهل زمانه، وأضلّ أهل عصره كما زعمت هذه الفرقة الضالة التي طعنت في خلافة أبي بكر، وقالت: إن الخليفة الذي قام بعقب نبينا ضالّ، وأن الأمة التي قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] إنها شرُّ أمة أخرجت للناس؛ لأنهم ضلال كفار إذ بايعوا ضالاً، وكانت جميع الأمم قبلهم أفضل منهم، إذ قام بعقب كل نبي نبيٌّ، أو أفضل أهل زمانه، وقام بعد نبينا -بزعم الرافضة- أضل أهل زمانه يتلوه ويتبعه، وتابعته الأمة كلها على ذلك منذ يوم قبض رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا؛ لأن البيعة انعقدت بعد النبي ﷺ للضال وبايعه ضلال، والناس كلهم على آثارهم يُهْرعون.

فعلى ما أصّلتِ الرافضة لأنفسها من دينها، وانتحلته من مذاهبها، أن هذه الأمة التي أخبر الله أنها خير أمة أخرجت للناس، هي شر أمة أخرجت للناس؟ وأن الأمة التي جعلها الله وسطاً لتكون الشاهدة على الناس هي المشهود عليها؟!، وأن النبي الذي أرسله الله رحمة للعالمين؛ لأن الذين آمنوا به في حياته وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون: كفروا به بعد وفاته، وخالفوه وجحدوه، وأجمعوا كلهم على ضلالة بعده، ثم قفا الناس أثرهم، فضلوا بضلالتهم، وكفرت الأمة كلها باتباعهم، فبطل عند الرافضة أمرُ الله، وكذبت أخبار الله،

واستحال وجود صحة كتاب الله فيما أثنى عليهم فيه، حيث يقول: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح:٢٩].

فقالت الفرقة المفترية على الله: يبتغون ظلماً وطغياناً، وكفراً وآثاماً: تعالى عما تقوله الرافضة علواً كبيراً.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة:٨٨-٨٩].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨]. فقدم الله الرضى عنهم لِمَا علم من قلوبهم أنها خير قلوب البرية بقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:١٨] لما علم من صحة قلوبهم، ثم أخبر بعاقبة أمرهم، وآخر مصيرهم، وما أعده لهم، فقال: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ [التوبة:١٠٠] ثم وصف أعمالهم وأقوالهم، في حركاتهم وسكونهم وقيامهم وقعودهم، وَهِمَمِهِم وعزومهم، وما هم لله سائلون ومنه طالبون، ثم وصف استجابته لهم، وحفظه لأعمالهم، وجميل صنيعه بهم، ذكْراً يُفهم، وأثابهم، ومكافأته لهم بأحسن المكافأة، وأجزل المجازاة، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:١٩١] ثم ما زالوا دواماً وإلحاحاً حتى استجاب لهم ربهم ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾

إلى قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٥].

فيلزم من طعن في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، أو طعن على مَنْ بايعهم واتبعهم أن يقول: إن الله تبارك وتعالى -عما تقوله هذه الفرق الضالة- علواً كبيراً، أن يقولوا: إن الله أثنى عليهم بما جهله من أمر عاقبتهم، وذلك أنه قدّم الوعد لهم، وهو لا يعلم أنهم ينكثون ويجورون، فيكفرون، وأنه رفع السكينة من قلوبهم لكفر في قلوبهم حتى قالت الخوارج الضالة في علي عليه السلام ما قالته وكفرته.

وقالت المبتدعة المتأخرة فيه ﵁ ما قالته مما قد رفعه الله عنه ونَطق القرآن به، وجاءت السنة بخلافه.

وقالت المبتدعة في خلافة أبي بكر ما قالته حتى كفرته، وكفّرت الذين عقدوا خلافة أبي بكر وبايعوه وكفى بقائل هذه المقالة من الفريقين شناعة وبشاعة، فإنها ألزمت أنفسها -جهلاً وبغياً وعدواناً، وسلكت طريقاً موحشاً مُغْوِراً مهلكا غير مستقيم ولا مسلوك- بأن قالوا: إن الله لم يعلم عاقبة أصحاب رسول الله ﷺ، ولا إلى ماذا يصيرون، ولا ما هم عاملون، حتى أثنى عليهم بما لا يستحقون، ووعدهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

فزعمت هذه الفرق الشاردة عن الدين، والمفارقة لجماعة المسلمين، أن الصحابة غيروا وبدلوا وكفروا، فالجنان التي وعدهم الله أنهم فيها خالدون إنهم إليها لا يصلون، وفيها لا يسكنون، فنعوذ بالله من الحيرة، والعمى والضلالة بعد الهدى، وأن نقول على الله ما لم يقل، ونلزم أصحاب رسول الله ﷺ خلاف ما وعدهم، وأن نكذب الله فيما وصفهم به، وأن نقول بقول هذه الفرق المذمومة

الذين أدخلوا في أخبار القرآن التناقض، وجهّلوا الله تعالى إذ أعدّ لمن يكفر به ويرتد عن دينه جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

وبعد فإنه لا يخلو ما ألزموه أصحاب رسول الله ﷺ من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان الذين قدم الله فيهم الوعد، وأخبرهم بما أعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فلا يخلو أن يكون فَرْض الرضا وإعداد الجنات وهو يعلم أنهم يكفرون، أو لا يعلم أنهم يكفرون؟.

فإن كان يعلم أنهم يكفرون ببيعتهم أبا بكر، فقد قدم الرضا عن قوم، وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وهو عالم أنهم يكفرون، أو يكون قدّم لهم هذا الوعد وهو لا يعلم بما هم عاملون. فكفى بقائل هذه المقالة جحداً وكفراً.اهـ

قال أبو بكر الخلال رحمه الله **في "السنة"** (٧٧٧):

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: مَنِ الرَّافِضَةُ؟ قَالَ: الَّذِي يَشْتِمُ وَيَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَمَّنْ يَشْتِمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ؟ قَالَ: مَا أُرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ مَالِكٌ: الَّذِي يَشْتِمُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ لَهُ سَهْمٌ، أَوْ قَالَ: نَصِيبٌ فِي الْإِسْلَامِ.

وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ شَتَمَ أَخَافُ عَلَيْهِ الْكُفْرَ مِثْلَ الرَّوَافِضِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ شَتَمَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَرَقَ عَنِ الدِّينِ.

أَخْبَرَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى، قَالَ: ثنا أَبُو طَالِبٍ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: الرَّجُلُ يَشْتِمُ عُثْمَانَ؟ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ رَجُلًا تَكَلَّمَ فِيهِ، فَقَالَ: هَذِهِ زَنْدَقَةٌ.

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي عَنِ رَجُلٍ شَتَمَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا أُرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ.اهـ

قال أبو عبد الله غفر الله له: الأسانيد إلى أحمد رحمه الله صحيحة.

وذهب جماعة من أهل العلم إلى القول بعدم تكفير ساب الصحابي، وهو مقتضى قضاء عمر بن عبد العزيز، وعاصم الأحول، وهو قول مالك، وأحمد في رواية، وإسحاق، وآخرون، وحجتهم في ذلك:

ما في "**الصحيحين**" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»[(١)].

وما رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: فقال أبو برزة: ألا أضرب عنقه، قال: فانتهره، وقال: ما هي لأحد بعد رسول الله ﷺ[(٢)].

وفي "**الصحيحين**" عَنْ ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[(٣)].

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[الأحزاب:٥٧-٥٨].

ففرق الله بين من يؤذيه ويؤذي رسوله؛ فتوعدهم باللعنة في الدنيا والآخرة، وبين من يؤذي المؤمنين؛ فقال فيهم: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب:٥٨].

والصحيح في هذه المسألة هو التفصيل الذي ذكره شيخ الإسلام رحمه الله.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه الطيالسي (٤)، والحميدي (٦)، وأحمد (٥٤، و٦١)، وأبو داود (٤٣٦٣)، والنسائي في "المجتبى" (٤٠٧١)، وفي "الكبرى" (٣٥٢٠)، والبزار (٤٩)، وأبو يعلى (٨١)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (١٢/٤٠٥)، والطبراني في "الأوسط" (١١٢٩، و٥٣٩٢)، والحاكم (٨٠٤٦)، والضياء في "المختارة" (٢٤، و٢٥)، والبيهقي (١٣٣٧٧)، من طرق عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه به، وبعض أسانيده صحيحة.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٨)، ومسلم برقم (٦٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **في "الصارم المسلول"** (ص٥٩١):

أما من اقترن بسبه دعوى أن عليًا إله، أو أنه كان هو النبي، وإنما غلط جبرائيل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

و كذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تُسْقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية، ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

وأما من سبهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقًا، فهذا محل الخلاف فيهم؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ، ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفرًا قليلًا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم؛ فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم، والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا؛ فإن كفره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق.

وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها: أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارهم، وكفر هذا مما يعلم باضطرار من دين الإسلام.

ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت لله فيهم مَثُلَات، وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات.

وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك، وممن صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي كتابه في "**النهي عن سب الأصحاب وما جاء فيه من الإثم والعقاب**".

وبالجملة: فمن أصناف السابَّة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه.اهـ

٢١ مسألة: قذف أمهات المؤمنين بالزنى كفر وردة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الصارم المسلول" (ص٥٦٥):

فأما من سب أزواج النبي ﷺ؛ فقال القاضي أبو يعلى: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف. وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم.

فروي عن مالك: من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل. قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ [النور:١٧].

وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري: سمعت القاسم بن محمد يقول لإسماعيل بن إسحاق: أتي المأمون بالرقة برجلين: شتم أحدهما فاطمة، والآخر عائشة؛ فأمر بقتل الذي شتم فاطمة، وترك الآخر فقال إسماعيل: ما حكمهما إلا أن يقتلا؛ لأن الذي شتم عائشة رضي الله عنها رد القرآن، وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه، والعلم من أهل البيت وغيرهم.

قال أبو السائب القاضي: كنت يوما بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان، وكان يلبس الصوف، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوجه في كل سنة بعشرين ألف دينار إلى مدينة السلام يفرق على سائر ولد الصحابة وكان بحضرته رجل ذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة فقال: يا غلام اضرب عنقه.

فقال له: العلويون: هذا رجل من شيعتنا فقال: معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ فإن كانت عائشة خبيثة؛ فالنبي خبيث، فهو كافر فاضربوا عنقه. فضربوا عنقه وأنا حاضر. رواه اللالكائي.

وأما من سب غير عائشة من أزواجه؛ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كساب غيرهن من الصحابة.

والثاني: وهو الأصح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين؛ فهو كقذف عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس، وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده، وقد تقدم التنبيه على ذلك فيما مضى عند الكلام على قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب:٥٧] الآية والأمر فيه ظاهر.اهـ

٢٢ مسألة: حكم الاستهزاء بالعلماء والصالحين.

وأما الاستهزاء بالعلماء، أو القُرَّاء؛ فقد ذكر العلماء أنه إن استهزأ بهم استهزاءً يرجع على ما يحمله من القرآن، والسنة؛ فهو كفر أكبر.

وإن استهزأ به لشخصيته من طوله، أو قصره، أو لونه، لا بسبب ما يحمله من القرآن والسنة؛ فهذا ليس بكفر، ولكنه فسقٌ، وظلمٌ، وضلال، والدليل على أنه إن استهزأ به لأجل دينه يكفر: الآية السابقة، فهي تشمله، ويدل على هذا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المطففين:٢٩-٣٠] الآيات، فلم يسخروا منهم إلا لأنهم آمنوا، وأيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٩-١١٠][1]

---

(١) انظر: "الصارم المسلول" (ص٤-٥، ٥٥٠)، "فتاوى اللجنة الدائمة" (٢/ ١٨-٢٥).

٦ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأَنَا الدَّهْر، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

قال الإمام البيهقي رحمه الله في "الكبرى" (٣/ ٣٦٥):

قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي رِوَايَةِ حَرْمَلَةَ: وَإِنَّمَا تَأْوِيلُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ شَأْنُهَا أَنْ تَذُمَّ الدَّهْرَ، وَتَسُبَّهُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ الَّتِي تَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ مَوْتٍ، أَوْ هَرَمٍ، أَوْ تَلَفٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّمَا يُهْلِكُنَا الدَّهْرُ، وَهُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَهُمَا الْفِتْنَتَانِ وَالْجَدِيدَانِ، فَيَقُولُونَ: أَصَابَتْهُمْ قَوَارِعُ الدَّهْرِ. وَأَبَادَهُمُ الدَّهْرُ؛ فَيَجْعَلُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اللَّذَيْنِ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ، فَيَذُمُّونَ الدَّهْرَ فَإِنَّهُ الَّذِي يُفْنِينَا وَيَفْعَلُ بِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ**» عَلَى أَنَّهُ الَّذِي يُفْنِيكُمْ، وَالَّذِي يَفْعَلُ بِكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا سَبَبْتُمْ فَاعِلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ فَإِنَّمَا تَسُبُّوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّ اللهَ فَاعِلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.اهـ

قال أبوعبد الله عفا الله عنه: نسبة الأفعال إلى الدهر لا تجوز، وهي عقيدة الجاهليين كما في هذا الحديث قولهم: «**إنما يهلكنا الليل والنهار**»، وهي عقيدةٌ كفرية؛ لأن الله هو الفاعل في الحقيقة.

وأما السب له بدون هذا الاعتقاد فيعتبر من كبائر الذنوب، ويعتبر ضعف إيمان بالقدر، وتسخطًا على الله في أقداره.

وأما وصف الأيام والليالي بأنها باردة، أو حارة، أو شديدة؛ فإنه لا يدخل في هذا. والمقصود بقوله تعالى: «**وأنا الدهر**»، تبينه الرواية الأخرى: «**بيدي الأمر، أُقلب الليل والنهار**»؛ فيكون معنى: «**أنا الدهر**»، أي: أنا خالق الدهر، وأتصرف

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٢٦)، ومسلم برقم (٢٢٤٦).

فيه، وأقدر فيه الأمور، فسبها يرجع إلى عدم الإيمان بالأقدار؛ فيكون مرجع السَّب إلى الله تعالى. اهـ

قال ابن القيم رحمه الله **كما في "زاد المعاد"** (٢/ ٣٥٤-٣٥٥):

وفِي هَذَا ثَلاثُ مَفَاسِدَ عَظِيْمَة، **إِحْدَاهَا**: سَبُّه مَنْ ليس بأهلِ أن يُسَب؛ فإن الدهرَ خَلْقٌ مُسَخَّرٌ مِن خلق الله، منقادٌ لأمره، مذلَّلٌ لتسخيره، فسابُّه أولى بالذمِّ والسبِّ منه.

الثانية: أن سبَّه متضمِّن للشرك؛ فإنه إنما سبَّه لظنَّه أنه يضرُّ وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضرَّ مَن لا يستحق الضرر، وأعطى مَن لا يستحقُّ العطَاءَ، ورفع مَن لا يستحقُّ الرِّفعة، وحرم مَن لا يستحِقُ الحِرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعارُ هؤلاء الظلمة الخونة في سبِّه كثيرةٌ جدًا، وكثيرٌ من الجُهَّال يُصرِّح بلعنه وتقبيحِه.

الثالثة: أن السبَّ منهم إنما يقعُ على مَن فعل هذه الأفعال التي لو اتَّبَعَ الحقُّ فيها أهواءَهم لفسدتِ السماواتُ والأرض، وإذا وقعت أهواؤُهم، حَمِدُوا الدهرَ، وأَثْنَوا عليه، وفي حقيقةِ الأمر، فَربُّ الدَّهْرِ تَعَالَى هُو الْـمُعْطِي الـمَانِعُ، الخافِضُ الرَّافعُ، الـمُعزُّ الـمُذِلُّ، والدهرُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ، فمسبَّتهم للدَّهرِ مَسَبَّةٌ للَّه عَزَّ وجَلَّ؛ ولِهَذَا كَانَتْ مؤذيَةً للربِّ تَعَالَى، كَمَا في "الصحيحين" مِنْ حَدِيْثِ أَبى هُرَيْرَةَ، عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ تَعالَى: يُؤْذِينى ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأَنَا الدَّهْرُ**»، فَسَابُّ الدَّهْر دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَابُدَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا: إِمَّا سَبُّه لِله، أَو الشِّركُ بِهِ؛ فإنه إذا اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّهْرَ فَاعِلٌ مَعَ اللهِ فَهُو مُشْرِكٌ، وإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ وحْدَهُ هُو الَّذِى فَعَلَ ذَلِكَ وهُو يَسُبُّ مَنْ فَعَلَهُ، فَقَدْ سَبَّ اللهَ. انتهى.



٧ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ». قِيلَ: يَا رسول الله، ومَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وأَكْلُ الرِّبَا، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

١ مسألة: لماذا اقتصر في هذا الحديث على ذكر سبع موبقات مع أن الكبائر أكثر من ذلك؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الفتح" (٦٨٥٧):

ويحتاج عند هذا إلى الجواب عن الحكمة في الاقتصار على سبع، ويجاب بأن مفهوم العدد ليس بحجة، وهو ضعيف، أو بأنه أعلم أولًا بالمذكورات، ثم أعلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل. وقد أخرج الطبري، وإسماعيل القاضي عن ابن عباس أنه قيل له: الكبائر سبع؟ قال: هن أكثر من سبع وسبع(٢). وفي رواية: هي إلى السبعين أقرب(٣). وفي رواية: إلى السبعمائة(٤).اهـ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" [آية:٣١] من سورة النساء، فقال: حدثنا محمد بن عبدالأعلى، قال: حدثنا معتمر، عن أبيه، عن طاوس، عن ابن عباس به، وهذا إسناد صحيح.

(٣) رواية صحيحة، كما في "تفسير الطبري" و"مصنف عبدالرزاق" (١٠/ ٤٦٠)؛ فإنَّ لها إسنادين إلى ابن عباس رضي الله عنهما، كلٌّ منهما صحيح.

(٤) أخرجها ابنُ أبي حاتم في "تفسيره" [آية:٣١] من سورة النساء، وفيه زيادة، وهي قوله: «إلا أنه لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»، وهومن طريق أبي حاتم، ثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء، ثنا أبي، ثنا شبل، عن قيس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات معروفون، وقيس هو ابن سعد.

٢ مسألة: تعريف السحر.

السحر في اللغة: عبارة عما خَفِي ولَطُفَ سَبَبُه؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إن من البيان لسحرا**»(١)، وسُمِّي السَّحَرُ سَحَرًا؛ لأنه يقع خَفِيًّا آخر الليل.

قال ابن قدامة رحمه الله **في "المغني"** (٨/ ١٥٠):

هو عقد ورقى يتكلّم به، أو يكتبه السّاحر، أو يعمل شيئا يؤثّر في بدن المسحور أو قلبه، أو عقله من غير مباشرة له.

وقال الكفويّ في "الكليات" (ص٥١٠):

هو مزاولة النّفوس الخبيثة لأفعال وأحوال يترتّب عليها أمور خارقة للعادة لا يتعذّر معارضته. ويطلق على ما يفعله صاحب الحيل بمعونة الآلات والأدوية، وما يريك إيّاه صاحب خفّة اليد.

٣ مسألة: بيان أنواع السحر.

ذكر أهل العلم أن السحر على قسمين:

أحدها: ما كان باستخدام الشياطين، وهو الأكثر انتشارًا عند السحرة، وهذا النوع لا يتعلمه صاحبه إلا بعد الكفر بالله كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]، فيصرفون العبادة للشياطين، ويستمتع كل واحد بالآخر، فالإنسي يستمتع بالجن بأن يخدموه، ويعينوه، والجن يستمتعون بالإنس بتعظيمهم، وصرف عبادات لهم.

الثاني: هو أن يسحره بخفة الحركة، أو باستخدام الأعشاب، أو بعض العقاقير؛ فهذا يختلف حكمه، فقد يكون كفرًا، وذلك إذا اعتقد إباحة ذلك، وقد

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥١٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم برقم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

يكون فسوقًا، وظلمًا، وذلك إذا اعتقد تحريمه، وآذى الناس به، أو أكل أموالهم بالباطل.

٤ مسألة: السحر له تأثير حقيقي وليس بمجرد تخييل.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق:٤]، ويقول سبحانه ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝١١٦﴾ [الأعراف:١١٦].

وفي "**الصحيحين**" عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ ومَا فَعَلَهُ حَتَّى إذا كَانَ ذَاتَ يَومٍ أَو ذَاتَ لَيْلَةٍ وهُو عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا ودَعَا ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي والْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وجَعُ الرَّجُلِ فَقَالَ مَطْبُوبٌ قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ قَالَ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ فِي مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ قَالَ وأَيْنَ هُو قَالَ فِي بِئْرِ ذَرْوانَ**» فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ أَو كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ. قَالَ: «**قَدْ عَافَانِي اللهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَورَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ**»[١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كما في "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٢٧):

وقد دل قوله ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق:٤] وحديث عائشة رضي الله عنها المذكور على تأثير السحر، وأن له حقيقة، وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة، لا في مرض،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣)، ومسلم برقم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولا قتل، ولا حل، ولا عقد. قالوا: وإنما ذلك تخيل لأعين الناظرين، لا حقيقة له سوى ذلك.

وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وأرباب القلوب من أهل التصوف وما يعرفه عامة العقلاء والسحر الذي يؤثر مرضا وثقلا وحلا وعقدا وحبا وبغضا وتزينا وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه.

وقوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ ﴾ [الفلق:٤] دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرا كما يقوله هؤلاء لم يكن للنفث، ولا للنفاثات شر يستعاذ منه.

وأيضا فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به مع أن هذا تغير في إحساسهم؛ فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم، وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير في صفة أخرى من صفات النفس والبدن، فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركا والمتصل منفصلا والميت حيا، فما المحيل لأن يغير صفات نفسه حتى يجعل المحبوب إليه بغيضا، والبغيض محبوبا وغير ذلك من التأثيرات.

وقد قال تعالى عن سحرة فرعون إنهم ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦ ﴾ [الأعراف:١١٦] فبين سبحانه أن أعينهم سحرت، وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي، وهو الحبال والعصي مثل أن يكون السحرة استعانت بأرواح حركتها، وهي الشياطين فظنوا أنها تحركت بأنفسها، وهذا كما إذا جر من لا يراه حصيرا أو بساطا فترى الحصير والبساط ينجر، ولا ترى الجارَّ له مع أنه هو الذي يجره؛ فهكذا حال الحبال والعصي؛ التبستها الشياطين فقلبتها كتقلب الحية؛ فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها، والشياطين هم الذين يقلبونها.

وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها، ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا؛ فتارة يتصرف في نفس الرآي وإحساسه حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستعانته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها.

وأما ما يقوله المنكرون من أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيها مثل الزئبق وغيره حتى سعت؛ فهذا باطل من وجوه كثيرة، فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالا، بل حركة حقيقية، ولم يكن ذلك سحرا لأعين الناس ولا يسمى ذلك سحرا، بل صناعة من الصناعات المشتركة، وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه:٦٦].

ولو كانت تحركت بنوع حيلة كما يقوله المنكرون لم يكن هذا من السحر في شيء، ومثل هذا لا يخفى، وأيضا لو كان ذلك بحيلة، كما قال هؤلاء لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق، وبيان ذلك المحال، ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها وأيضا: فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفي فيها حذاق الصناع، ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة، وخضوعه لهم، ووعدهم بالتقريب والجزاء، وأيضا: فإنه لا يقال في ذلك ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [الشعراء:٤٩] فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها وبالجملة فبطلان هذا أظهر من أن يتكلف رده.اهـ

قلت: والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة أن له تأثيرًا حقيقيًّا بحيث يجعل الرجل يظن أنه يفعل الشيء ولا يفعله، أو يضيق عليه صدره، أو يؤثر عليه في بدنه ونشاطه، فهذه أمور ملاحظة، ومشاهدة: أنَّ الرجل يتغير حاله، هذا هو معنى قولهم (له تأثير حقيقي)، وليس المراد أن السحر يقلب الحقائق من شيء إلى شيء، كأن يقلب الشجرة إلى إنسان حقيقة.

وأما حديث: «**حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله**» هذا فيه دلالة لقول جمهور أهل السنة؛ فإن التخيل هذا معناه: أنه تغيرٌ في حال النبي ﷺ، فهذا يدل على أنه حقيقةٌ أثر على النبي ﷺ بسبب عمل الساحر، وكذلك قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه:٦٦] يعني أنهم سحروا أعين الناس حتى خيل إليهم أن العصي تسعى.

والمعتزلة يقولون: ليس هناك تأثير حقيقي، بل هو خيالي. وقال بقولهم بعض الفقهاء، وهو قول باطل.

قال الإمام النووي رحمه الله كما في «**شرح مسلم**» (٢١٨٩):

قَالَ الإِمَام المَازِرِيّ رحمه الله: مَذْهَب أَهْل السُّنَّة وجُمْهُور عُلَمَاء الأُمَّة عَلَى إِثْبَات السِّحْر، وأَنَّ لَهُ حَقِيقَة كَحَقِيقَةِ غَيْره مِنْ الأَشْيَاء الثَّابِتَة، خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ ونَفَى حَقِيقَته، وأَضَافَ مَا يَقَع مِنْهُ إِلَى خَيَالَات بَاطِلَة لَا حَقَائِق لَهَا، وقَدْ ذَكَرَهُ اللَّه تَعَالَى فِي كِتَابه، وذَكَرَ أَنَّهُ مِمَّا يُتَعَلَّم، وذَكَرَ مَا فِيهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يُكَفَّر بِهِ، وأَنَّهُ يُفَرِّق بَيْن المَرْء وزَوجه، وهَذَا كُلّه لَا يُمْكِن فِيمَا لَا حَقِيقَة لَهُ، وهَذَا الحَدِيث أَيْضًا مُصَرِّح بِإِثْبَاتِهِ، وأَنَّهُ أَشْيَاء دُفِنَتْ وأُخْرِجَتْ، وهَذَا كُلّه يُبْطِل مَا قَالُوهُ، فَإِحَالَة كَونه مِنْ الحَقَائِق مُحَال، ولَا يَسْتَنْكِر فِي العَقْل أَنَّ اللَّه سُبْحَانه وتَعَالَى يَخْرِق العَادَة عِنْد النُّطْق بِكَلَامٍ مُلَفَّق، أَو تَرْكِيب أَجْسَام، أَو المَزْج بَيْن قُوى عَلَى تَرْتِيب لَا يَعْرِفهُ إِلَّا السَّاحِر. وإِذَا شَاهَدَ الإِنْسَان بَعْض الأَجْسَام مِنْهَا قَاتِلَة كَالسُّمُوم، ومِنْهَا مُسْقِمَة كَالْأَدْوِيَةِ الحَادَّة، ومِنْهَا مُضِرَّة كَالْأَدْوِيَةِ المُضَادَّة لِلْمَرَضِ لَمْ يَسْتَبْعِد عَقْله أَنْ يَنْفَرِد السَّاحِر بِعِلْمِ قُوى قَتَّالَة، أَو كَلَام مُهْلِك، أَو مُؤَدٍّ إِلَى التَّفْرِقَة .اهـ[1]

(١) وانظر: «الحاوي الكبير» (١٣/ ٩٣)، «المغني» (١٢/ ٢٩٩)، «الفتح» (٥٧٦٣).

٥ الجواب عمن أنكر حديث أن النبي ﷺ سحر.

قال الإمام النووي رحمه الله كما في «شرح مسلم» (٢١٨٩):

قَالَ المَازِرِيّ: وقَدْ أَنْكَرَ بَعْض الْمُبْتَدِعَة هَذَا الحَدِيث بِسَبَبٍ آخَر، فَزَعَمَ أَنَّهُ يَحُطّ مَنْصِب النُّبُوة، ويُشَكِّك فِيهَا، وأَنَّ تَجْوِيزه يَمْنَع الثِّقَة بِالشَّرْعِ، هَذَا الَّذِي اِدَّعَاهُ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَة بَاطِل؛ لِأَنَّ الدَّلَائِل القَطْعِيَّة قَدْ قَامَتْ عَلَى صِدْقه وصِحَّته وعِصْمَته فِيمَا يَتَعَلَّق بِالتَّبْلِيغِ، والْمُعْجِزَة شَاهِدَة بِذَلِكَ، وتَجْوِيز مَا قَامَ الدَّلِيل بِخِلَافِهِ بَاطِل.

فَأَمَّا مَا يَتعَلَّق بِبَعْضِ أُمُور الدُّنْيَا الَّتِي لَمْ يُبْعَث بِسَبَبِهَا، ولَا كَانَ مُفَضَّلًا مِنْ أَجْلهَا، وهُو مِمَّا يَعْرِض لِلْبَشَرِ فَغَيْر بَعِيد أَنْ يُخَيَّل إِلَيْهِ مِنْ أُمُور الدُّنْيَا مَا لَا حَقِيقَة لَهُ، وقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا كَانَ يُتَخَيَّل إِلَيْهِ أَنَّهُ وطِئَ زَوجَاته ولَيْس بِواطِئٍ، وقَدْ يَتَخَيَّل الإِنْسَان مِثْل هَذَا فِي المَنَام، فَلَا يَبْعُد تَخَيُّله فِي اليَقِظَة، ولَا حَقِيقَة لَهُ.

وقِيلَ: إِنَّهُ يُخَيَّل إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَهُ ومَا فَعَلَهُ، ولَكِنْ لَا يَعْتَقِد صِحَّة مَا يَتَخَيَّلهُ، فَتَكُون اِعْتِقَادَاته عَلَى السَّدَاد.

قَالَ القَاضِي عِيَاض: وقَدْ جَاءَتْ رِوايَات هَذَا الحَدِيث مُبَيِّنَة أَنَّ السِّحْر إِنَّمَا تَسَلَّطَ عَلَى جَسَده وظَواهِر جَوارِحه، لَا عَلَى عَقْله وقَلْبه واعْتِقَاده، ويَكُون مَعْنَى قَوله فِي الحَدِيث: «**حَتَّى يَظُنّ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْله ولَا يَأْتِيهِنَّ**» ويُرْوى: «**يُخَيَّل إِلَيْهِ**» أَيْ يَظْهَر لَهُ مِنْ نَشَاطه ومُتَقَدِّم عَادَته القُدْرَة عَلَيْهِنَّ، فإذا دَنَا مِنْهُنَّ أَخَذَتْهُ أَخْذَة السِّحْر فَلَمْ يَأْتِهِنَّ، ولَمْ يَتَمَكَّن مِنْ ذَلِكَ كَمَا يَعْتَرِي المَسْحُور. وكُلّ مَا جَاءَ فِي الرِّوايَات مِنْ أَنَّهُ يُخَيَّل إِلَيْهِ فِعْل شَيْء، ثُمَّ لَا يَفْعَلهُ ونَحْوه فَمَحْمُول عَلَى التَّخَيُّل بِالْبَصَرِ، لَا لِخَلَل تَطَرَّقَ إِلَى العَقْل، ولَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْخُل لَبْسًا عَلَى الرِّسَالَة، ولَا طَعْنًا لِأَهْلِ الضَّلَالَة. واللَّه أَعْلَم.اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ **كما في "بدائع الفوائد"**:

وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث متلقى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته، وقد اعتاض على كثير من أهل الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار وقابلوه بالتكذيب، وصنف بعضهم فيه مصنفا مفردا حمل فيه على هشام، وكان غاية ما أحسن القول فيه، أن قال: غلط واشتبه عليه الأمر، ولم يكن من هذا شيء. قال: لأن النبي لا يجوز أن يسحر؛ فإنه يكون تصديقا لقول الكفار ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾ [الإسراء:٤٧] قالوا وهذا كما قال فرعون لموسى ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١﴾ [الإسراء:١٠١].

وقال قوم صالح له ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣﴾ [الشعراء:١٥٣]، وقال قوم شعيب له ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٨٥﴾ [الشعراء:١٨٥] قالوا: فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا، فإن ذلك ينافي حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين.

وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم؛ فإن هشامًا من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه؛ فما للمتكلمين وما لهذا الشأن، وقد رواه غير هشام عن عائشة.

وقد اتفق أصحاب "**الصحيحين**" على تصحيح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله ﷺ وأيامه من المتكلمين.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد بن حيان، عن زيد بن الأرقم، قال: سحر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود فاشتكى لذلك أياما، قال: فأتاه جبريل، فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، وعقد لذلك عقدا، فأرسل رسول

الله عليا، فاستخرجها، فجاء بها فجعل كلما حل عقدة، وجد لذلك خفة؛ فقام رسول الله كأنما أنشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي، ولا رآه في وجهه قط[1].

وقال ابن عباس وعائشة: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ؛ فدنت إليه اليهود؛ فلم يزالوا حتى أخذ مشاطة رأس النبي، وعدة أسنان من مشطه؛ فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود، فنزلت هاتان السورتان فيه[2].

قالوا: والسحر الذي أصابه كان مرضا من الأمراض عارضا شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك، ولا عيب بوجه ما؛ فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء فقد أغمي عليه في مرضه[3]، ووقع حين انفكت قدمه وجحش شقه[4]. رواه البخاري ومسلم، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء، فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس، فليس ببدع أن يبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلى بالذي رماه فشجه، وابتلى بالذي ألقى على ظهره السلا، وهو ساجد، وغير ذلك فلا نقص عليهم، ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند الله.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٢٩-٣٠)، وكذلك أحمد (١٩٢٦٧)، وعبد بن حميد (٢٧١) ، والنسائي في "المجتبى" (٧/ ١١٢-١١٣)، وفي "الكبرى" (٣٥٤٣) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٩٣٥)، والطبراني في "الكبير" (٥٠١٦) من طريق أبي معاوية به. وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، إلا يزيد بن حيان؛ فمن رجال مسلم فقط.

(٢) ذكره الثعلبي في "تفسيره" في سورة الفلق، مطولًا بدون إسناد، وقال الحافظ ابن كثير، بعد أن أورده في "تفسيره" في سورة الفلق: قال: هَكَذَا أَوْرَدَهُ بِلَا إِسْنَادٍ، وَفِيهِ غَرَابَةٌ، وَفِي بَعْضِهِ نَكَارَةٌ شَدِيدَةٌ، وَلِبَعْضِهِ شواهد مما تقدم، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٨٧)، ومسلم برقم (٤١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٧٨)، ومسلم برقم (٤١١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قالوا: وقد ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ فقال: نعم. فقال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك[1].

فعوذه جبريل من شر كل نفس وعين حاسد لما اشتكى فدل على أن هذا التعويذ مزيل لشكايته وإلا فلا يعوذه من شيء وشكايته من غيره.

قالوا: وأما الآيات التي استدللتم بها فلا حجة لكم فيها:

أما قوله تعالي عن الكفار أنهم قالوا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء:٤٧] وقول قوم صالح له ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء:١٥٣]، فقيل: المراد به من له سَحْر، وهي الرئة، أي أنه بشر مثلهم يأكل ويشرب، ليس بملك، وليس المراد به السحر.

وهذا جواب غير مرضي، وهو في غاية البعد؛ فإن الكفار لم يكونوا يعبرون عن البشر بمسحور، ولا يعرف هذا في لغة من اللغات وحيث أرادوا هذا المعنى أتوا بصريح لفظ البشر ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء:٩٤].

وأما المسحور فلم يريدوا به ذا السحر، وهي الرئة وأي مناسبة لذكر الرئة في هذا الموضع، ثم كيف يقول فرعون لموسى ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء:١٠١] أفتراه ما علم أنه له سحرا، وأنه بشر ثم كيف يجيبه موسى بقوله ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء:١٠٢] ولو أراد بالمسحور أنه بشر لصدقه موسى. وقال نعم أنا بشر، أرسلني الله إليك. كما قالت الرسل لقومهم لما قالوا لهم إن أنتم إلا بشرا مثلنا فقالوا ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم:١١] ولم ينكروا ذلك فهذا الجواب في غاية الضعف.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وأجابت طائفة منهم ابن جرير وغيره بأن المسحور هنا هو معلم السحر الذي قد علمه إياه غيره، فالمسحور عنده بمعنى ساحر أي عالم بالسحر.

وهذا جيد إن ساعدت عليه اللغة، وهو أن من علم السحر يقال له مسحور ولا يكاد هذا يعرف في الاستعمال ولا في اللغة. وإنما المسحور من سحره غيره كالمطبوب والمضروب والمقتول وبابه.

وأما من عُلِّم السحر؛ فإنه يقال له ساحر بمعنى: أنه عالم بالسحر، وإن لم يسحره غيره كما قال قوم فرعون لموسى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الشعراء:٣٤] ففرعون قذفه بكونه مسحورا وقومه قذفوه بكونه ساحرا فالصواب هو:

الجواب الثالث، وهو جواب صاحب "**الكشاف**" وغيره إن المسحور على بابه وهو من سحر حتى جن فقالوا مسحور مثل مجنون زائل العقل، لا يعقل ما يقول فإن المسحور الذي لا يتبع هو الذي فسد عقله بحيث لا يدري ما يقول فهو كالمجنون ولهذا قالوا فيه معلم مجنون.

فأما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس؛ فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان، وإنما قذفوهم بما يحذرون به سفهاءهم من اتباعهم، وهو أنهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة المجانين، ولهذا قال تعالى ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء:٤٨] مثلوك بالشاعر مرة، والساحر أخرى، والمجنون مرة، والمسحور أخرى، فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في تيهه، وتحيره طريقا يسلكه؛ فلا يقدر عليه فإن أي طريق أخذها؛ فهي طريق ضلال وحيرة، فهو متحير في أمره لا يهتدي سبيلا، ولا يقدر على سلوكها، فهكذا حال أعداء رسول الله معه حتى ضربوا له أمثالا برأه الله منها، وهو أبعد خلق الله منها، وقد علم كل عاقل أنها كذب وافتراء وبهتان.

وأما قولكم: إن سحر الأنبياء ينافي حماية الله تعالى لهم؛ فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم ولتمتلىء صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة، فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الأرض منهم، فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم، وله الحكمة البالغة والنعمة السابغة، لا إله غيره ولا رب سواه.اهـ

٦ مسألة: هل استخرج النبي ﷺ السحر وأفسده.

تقدم في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: قَدْ عَافَانِي اللهُ؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا؛ فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ.

وفي رواية في البخاري (٥٧٦٥): قال: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ البِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ فَقَالَ هَذِهِ البِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا وكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ وكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ قَالَ فَاسْتُخْرِجَ قَالَتْ فَقُلْتُ أَفَلَا أَيْ تَنَشَّرْتَ فَقَالَ أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي وأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ شَرًّا.

وفي "**مسند أحمد**" و"**سنن النسائي**" عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: «سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ: فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا، قَالَ: فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَدًا فِي بِئْرِ كَذَا وكَذَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَنْ يَجِيءُ بِهَا، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا رضي الله عنه، فَاسْتَخْرَجَهَا، فَجَاءَ بِهَا، فَحَلَّهَا. قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ»، فَمَا ذَكَرَ لِذَلِكَ الْيَهُودِيِّ، ولَا رَآهُ فِي وجْهِهِ قَطُّ حَتَّى مَاتَ[1].

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه قريبًا.

قال ابن القيم رحمه الله كما في «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٢٣):

فهذان الحديثان قد يظن في الظاهر تعارضهما؛ فإن حديث عيسى، عن هشام، عن أبيه الأول فيه أنه لم يستخرجه وحديث ابن جريج عن هشام فيه أنه استخرجه ولا تنافي بينهما؛ فإنه استخرجه من البئر حتى رآه وعلمه، ثم دفنه بعد أن شفي.

وقول عائشة رضي الله عنها هلا استخرجته أي: هلا أخرجته للناس حتى يروه ويعاينوه؛ فأخبرها بالمانع له من ذلك، وهو أن المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك فيقع الإنكار ويغضب للساحر قومه فيحدث الشر، وقد حصل المقصود بالشفاء والمعافاة، فأمر بها فدفنت، ولم يستخرجها للناس فالاستخراج الواقع غير الذي سألت عنه عائشة رضي الله عنها، والذي يدل عليه أنه إنما جاء إلى البئر؛ ليستخرجها منه، ولم يجيء إليه لينظر إليها ثم ينصرف إذ لا غرض له في ذلك والله أعلم.اهـ

٧ مسألة: حكم السحر.

أما ما كان باستخدام الشياطين فإنه كفر بالله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠٢-١٠٣].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «التيسير» (باب/ ٢٣):**

فدلت الآية على تحريم السحر، وكذلك هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه:٦٩]، وقد نص أصحاب أحمد أنه يكفر بتعلمه وتعليمه.

وروى عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم شيئًا من السحر قليلًا كان أو كثيرًا كان آخر عهده من الله**»، وهو مرسل.(١)

وقد اختلفوا: هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد(٢). قال أصحابُهُ: إلا أن يكون سحره بأدوية، وتدخين، وسقي شيء لا يضر؛ فلا يكفر.

وقال الشافعي: إذا تعلم السحر؛ قلنا له: صف لنا سحرك؛ فإن وصف ما يوجب الكفر؛ مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها؛ فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر؛ فإن اعتقد إباحته؛ كفر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك، وليس كذلك، بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك، وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفرا في قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:١٠٢]. انتهى باختصار(٣).

وأما ما كان بالحركات الخفية، أو الغش والتلبيس باستخدام بعض الأعشاب أو الأدوية أو غير ذلك؛ فإنه فسوق، وصاحبه مرتكب لكبيرة من الكبائر.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق (١٠/ ١٨٤)، وهو مع إرساله في إسناده: إبراهيم بن أبي يحيى، كذَّبه ابن معين وغيره، وبعضهم يقول: متروك.

(٢) الصحيح مذهب الجمهور، وهو أن من تعلم السحر، أو سحر؛ فإنه يكفر لما تقدم في الآية، وهو ترجيح الأئمة: ابن باز، وابن عثيمين، والوادعي، والفوزان رحمة الله عليهم.

(٣) وانظر: «الحاوي الكبير» (١٣/ ٩٦)، «المغني» (١٢/ ٣٠١).

٨ مسألة: بيان حد الساحر.

جاء في المسألة حديث مرفوع، ولكنه ضعيف، وهو حديث جندب رضي الله عنه عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ**»، وفي إسناده إسماعيل بن مسلم المكي، وهو شديد الضعف.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في "التيسير" (باب/ ٢٣):

وبهذا الحديث أخذ أحمد، ومالك، وأبو حنيفة، فقالوا: يُقتل الساحر.

ورُوي ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبدالله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز.[١]

ولم ير الشافعي عليه القتلَ بمجرد السحر؛ إلا إنْ عمل في سحره ما يبلغ الكفر، وبه قال ابن المنذر، وهو رواية عن أحمد، والأول أولى؛ للحديث، ولأثر عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير فكان إجماعا.

---

(١) أثر عمر رضي الله عنه صحيح، وذكره المصنف في الباب.

وأثر عثمان، وابن عمر، وحفصة رضي الله عنهم، أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٥-١٣٦)، وعبدالرزاق (١٠/ ١٨٠)، والبيهقي (٨/ ١٣٦)، من طرق عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن حفصة، وعثمان، فذكر قصة في ذلك، وإسناده صحيح.

وأثر جندب بن عبدالله رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٥)، عن يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، أنَّ جندبًا قتل ساحرًا، أو أراد أن يقتله. وهذا إسناد صحيح، فيحتمل أن يكون هو، ويحتمل أن يكون جندب الخير، وهو أقرب.

وأثر قيس بن سعد أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٥)، وعبدالرزاق (١٠/ ١٨٣) عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سالم بن أبي الجعد، عن قيس بن سعد، أنه قتل ساحرًا. وهذا إسناد صحيح.

وأثر عمر بن عبدالعزيز أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٥)، عن أبي داود الطيالسي، عن همام، عن يحيى بن أبي كثير، عن عمر بن عبدالعزيز به. وهذا إسناد صحيح.

وأثر جندب بن كعب أخرجه البخاري في "التاريخ" (٢/ ٢٢٢)، وكذلك الدارقطني (٣/ ١١٤)، والطبراني (١٧٢٥)، والبيهقي في "الكبرى" (٨/ ١٣٦)، والمزي في "تهذيب الكمال" (٥/ ١٤٣)، من طرق عن خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي به. وهذا إسناد صحيح، وخالد الحذاء قد سمع من أبي عثمان، وروايته عنه في "الصحيحين".

٩ مسألة: وهل يستتاب أم يقتل بدون استتابة؟

ثبت عن بجالة بن عَبَدة رحمه الله أنه قال: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَواحِرَ.[1]

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في "التيسير" (باب/ ٢٣):

وظاهره أنه يُقتل من غير استتابة، وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأن علم السحر لا يزول بالتوبة، وعن أحمد يستتاب؛ فإن تاب قُبِلت توبته.

وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يُستتاب وتقبل توبته؛ ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

قال أبو عبد الله رحمه الله: إن كان سحره من السحر الذي يكفر به صاحبه؛ فيقتل كفرًا. وهل يُستتاب؟ الناظر إلى آثار الصحابة المتقدمة يجد أنهم لم يستتيبوا الساحر؛ فالظاهر أنه لا يستتاب، وإن استتابه الحاكم فلا ينكر عليه؛ إلا أن يُعلم تلاعبه في التوبة، وعدم صدقه بها.

وأما إن كان سحره بغير الكفر؛ فيعزره الحاكم بما يدفع ضرره بالسجن، أو الضرب، ويجوز بالقتل أيضًا، وبالله التوفيق.

١٠ بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ [الفلق:٤].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٢١):

وهذا الشر: هو شر السحر؛ **فإن النفاثات في العقد:** هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط، وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر، **والنفث هو:** النفخ

---

(١) أخرج البخاري أصل الأثر بدون اللفظ المذكور برقم (٣١٥٦)، وقد أخرجه باللفظ المذكور أحمد (١/ ١٩)، وأبو داود (٣٠٤٣)، وعبدالرزاق (١٠/ ١٧٩-١٨٠، ١٨٤، ٣٦٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٦)، والبزار (١٠٦٠)، وأبو يعلى (٨٦٠)، والبيهقي (٨/ ٢٤٧-٢٤٨)، من طرق عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن بجالة التميمي به. وهذا إسناد صحيح، ولم يذكر بعضهم: «وساحرة».

مع ريق، وهو دون التفل، وهو مرتبة بينهما، والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقد نفخا معه ريق؛ فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك، وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور؛ فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري، لا الأمر الشرعي.

فإن قيل: فالسحر يكون من الذكور والإناث فلم خص الاستعاذة من الإناث دون الذكور؟

قيل في جوابه: إن هذا خرج على السبب الواقع، وهو أن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ. هذا جواب أبي عبيدة وغيره، وليس هذا بسديد؛ فإن الذي سحر النبي هو لبيد بن الأعصم كما جاء في الصحيح.

والجواب المحقق: أن النفاثات هنا هن الأرواح، والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات؛ لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة، والأرواح الشريرة وسلطانه إنما يظهر منها؛ فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث دون التذكير، والله أعلم.اهـ

١١ مسألة: الطريقة الشرعية في حل السحر.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في "كتاب التوحيد":

باب ما جاءَ في النُّشْرَةِ.

عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة؟ فقال: «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»[1]. رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها؟ فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (٣/ ٢٩٤)، ومن طريقه أبو داود (٣٨٦٨) عن عبدالرزاق، عن عقيل بن معقل بن منبه، عن عمه وهب بن منبه، عن جابر به، ورجاله ثقات. وعقيل بن معقل وثقه ابن معين، لكن وهب بن منبه ذكر بعض الحفاظ أنه لم يسمع من جابر بن عبدالله رضي الله عنهما كما في "جامع التحصيل"، =

وللبخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طِبٌّ أو يُؤَخَّذ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيْدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنفعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ[1].انتهى

وروي عن الحسن، أنه قال: لا يَحِلُّ السِّحَر إلا ساحر[2].اهـ

= وإنما هي صحيفة، أو كتاب، وبعض أهل العلم يحتج بذلك وإن كان كتابًا، لكن العبرة بصحة الكتاب عن جابر، هل صح عنه أم لا؟ لأنَّ وهب بن منبه لم يذكر أنه أخذه من أصل جابر، والعلماء عندما يقولون: (إنما هي صحيفة، أو كتاب) يريدون بذلك أنه لا يعتمد على هذا السماع؛ لأنَّ الصحيفة قد تصح وقد لا تصح عن صاحبها؛ وعلى هذا فالحديث منقطع بهذا الإسناد، ثم أفادنا أحد إخواننا عافاه الله بإن مسلمًا رحمه الله قد أثبت سماع وهب من جابر رضي الله عنه كما في الكنى؛ وعليه فالإسناد صحيح.

وله شاهد من مراسيل الحسن البصري عند أبي داود في "مراسيله" (٤٥٣)، وزاد الحاكم (٤/ ٤١٨)، والبزار (٣٠٣٤) عن أنس رضي الله عنه، والذي زادها هو: مسكين بن بكير، وخالفه علي بن الجعد، وهو ثقة، ثبت، وكلاهما يرويه عن شعبة، والراجح المرسل، وزيادة: [أنس رضي الله عنه] غير محفوظة، والراوي عن الحسن كنيته: أبو رجاء، ويكنى بها في هذه الطبقة اثنان، أحدهما: محمد بن سيف الأزدي، وهو ثقة، والثاني: مطر الورَّاق، وهو ضعيف، فالبزار، والمزي يرجحان أنه الثقة، والحاكم يرجح أنه الورَّاق وهو ضعيف، فهذا المرسل يقوي حديث جابر رضي الله عنه، ويزداد به قوةً، والله أعلم.

وكلام الإمام أحمد أنَّ ابن مسعود كان يكره هذا كله؛ لعل الإمام أحمد أخذه من الأثر العام: «**إن الرقى، والتمائم، والتولة شرك**»؛ لأنَّ الأثر الذي ذكره الإمام أحمد لم نقف عليه بهذا النص.

(١) الأثر علقه البخاري في "صحيحه" [باب (٤٩) من كتاب الطب] بصيغة الجزم، ووصله الطبري في "تهذيب الآثار"، وابن منصور، والأثرم، وإبراهيم الحربي، وابن عبد البر كما في "تغليق التعليق" (٥/ ٤٩)، من طرق عن قتادة، وإسناده صحيح. وقتادة إذا عنعن في روايته عن سعيد بن المسيب فهي ضعيفة، نص على ذلك ابن المديني وغيره كما في "تهذيب التهذيب"؛ لأنه يسقط عنه، لكن هنا نص على أنه سأل ابن المسيب هو بنفسه؛ فالرواية صحيحة.

(٢)عزاه الحافظ في "الفتح" للطبري في "تهذيب الآثار"، وذكره ابن مفلح في "الآداب الشرعية" (٣/ ٧٧) بدون إسناد.

قال ابن القيم رحمه الله **في «أعلام الموقعين» (٤/ ٣٩٦):**

والنشرة حل السحر عن السحور، وهي نوعان:

حل سحر بسحر مثله: وهو الذي من عمل الشيطان؛ فإن السحر من عمله؛ فيتقرب اليه الناشر والمنتشر بما يحب؛ فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة؛ فهذا جائز بل مستحب، وعلى النوع المذموم يحمل قول الحسن لا يحل السحر إلا ساحر.

قال أبو عبد الله غفر الله له: ويمكن حل السحر بالبحث عن مكانه، ثم استخراجه من مكانه، وحل عقده، وإفساده كما فعله النبي ﷺ.

١٢ مسألة: قتل المسلم عمداً هل فيه توبة؟

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله **في «فتح المجيد» (٢٣):**

اختلف العلماء فيمن قتل مؤمنًا متعمدًا، هل له توبة أم لا؟

فذهب ابن عباس، وأبو هريرة وغيرهما إلى أنه لا توبة له[1]؛ استدلالا بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣].

---

(١) أثر ابن عباس رضي الله عنهما في «الصحيحين»، أخرجه البخاري برقم (٤٧٦٤)، ومسلم برقم (٣٠٢٣) (٢٠)، وأثر أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٦٦٨) (٦٦٩)، من طريقين: طريق فيها مجهول، وهو كردم، وطريق أخرى فيها حماد بن يحيى الأبح صدوق يُخطئ؛ فلا بأس بتحسينه. وتوجيهه بأنه لا توبة للقاتل، يعني فيما بينه وبين المقتول؛ فإنه يأتي يوم القيامة يحمل رأسه. ويدل على هذا التوجيه سياق أثر أبي هريرة رضي الله عنه؛ فإنه قال: هل يستطيع أن يحييه؟ وبنحو هذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومنهم من وجهه بأنه تورية، وتعريض: (لا توبة له)، أي: إن أصر على ذنبه، ولم يبين ذلك.

وابن عباس رضي الله عنهما قد ثبت عنه غير هذا القول فلعله قد تراجع عنه فقد ثبت عنه كما في «الأدب المفرد» رقم (٤) أنَّ رجلًا سأله أنه قتل امرأة فهل له من توبة؟ فقال: أمك حَيَّة؟ قال: لا. قال: تب إلى الله عز وجل، وتقرب إليه ما استطعت. أخرجه البخاري عن سعيد بن أبي مريم، قال: أخبرنا محمد بن=

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية، وهي آخر ما نزل، وما نسخها شيء.(١)

وفي رواية: لقد نزلت في آخر ما نزل، وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ، وما نزل وحيٌ.(٢)

ورُوي في ذلك آثار تدل لما ذهب إليه كما عند الإمام أحمد، والنسائي، وابن المنذر عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا».(٣)

وذهب جمهور الأمة سلفًا وخلفًا إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله؛ فإن تاب، وأناب، وعمل صالحًا؛ بَدَّلَ اللهُ سيئاته حسنات كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ

= جعفر بن أبي كثير، قال: أخبرني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس به. وهذا إسناد صحيح.

والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة أن جميع الذنوب تحت المشيئة إلا الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨ و ١١٦].

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٥٩٠)، ومسلم برقم (٣٠٢٣).

(٢) هذا اللفظ عند أحمد (٢١٤٢)، وفي إسناده: يحيى بن المجبِّر التيمي، وهو ضعيف، ولكن هو بمعنى اللفظ السابق، فلا يضر.

(٣) صحيح لغيره. أخرجه أحمد (٤/ ٩٩)، والنسائي (١/ ٨٧)، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" [آية:٩٣] من سورة النساء، والحاكم (٤/ ٣٥١)، وفي إسناده: أبو عون الشامي الأنصاري، وهو مجهول الحال، وله شاهد من حديث أبي الدرداء أخرجه أبو داود (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥٩٨٠)، والحاكم (٤/ ٣١٥)، وإسناده صحيح، وهو في "الصحيح المسند" (١٠٥٣).

تنبيه: هذا الحديث ظاهره أنَّ القاتل لا يغفر له، لكن هذا مفسر عند أهل السنة بأنه خرج مخرج الزجر، ومنهم من قال: يصاب بذنبه في الدنيا، أو يمحص في الآخرة، والصحيح أنه تحت المشيئة، ويدل على ذلك حديث عبادة بن الصامت في "الصحيحين" عند أن بايعوا النبي ﷺ على ترك القتل، والزنى، والسرقة، قال ﷺ: «فمن أصاب من ذلك شيئًا، فعوقب به في الدنيا؛ فهو كفارة له، ومن لم يعاقب في الدنيا؛ فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه"، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ الآية

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠] الآية.

وقوله: «ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا». فقد قال أبو هريرة وغيره: هذا جزاؤه إن جازاه.(١)

وقد رُوي عن ابن عباس ما يوافق قول الجمهور، فروى عبد بن حميد، والنحاس عن سعيد بن عبيدة أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: لمن قتل مؤمنًا توبة(٢). وكذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما.(٣) انتهى.



---

(١) لم نجده عن أبي هريرة رضي الله عنه، وإنما وجدناه عن بعض التابعين كما عند الطبري، وابن أبي حاتم في تفسير [الآية:٩٣] من سورة النساء.

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٣٦٢)، ورجاله رجال الشيخين، وسعد بن عبيدة لم يُذكر له سماع من ابن عباس، ولكنه أدركه، ومع ذلك لم نجد من أثبته، ولا من أنكر السماع، وعليه فالأثر صحيح، والله أعلم، وقد عزاه السيوطي في "الدر المنثور" إلى النحاس، وعبد بن حميد كما في تفسير سورة النساء [آية:٩٣].

(٣) وجدناه عن عمر رضي الله عنه، وليس عن ابن عمر، أخرجه ابن أبي شيبة بسند منقطع (٩/ ٣٦١).

﴿٨﴾ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَو عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وأَبُو دَاودَ[١]، وأَخْرَجَهُ البَزَّارُ[٢] مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهُو حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ.

﴿٩﴾ وعَنْ بَعْضِ أَزْواجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.[٣]

﴿١٠﴾ وعَنْ عِمرانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ، أَو تُطِيِّرَ لَهُ، أَو تَكَهَّنَ، أَو تُكِهِّنَ لَهُ، أَو سَحَرَ، أَو سُحِرَ لَهُ، ومَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ». أَخْرَجَهُ البَزَّارُ، وهُو عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ فِي "الأَوسَطِ" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا دُونَ قَولِهِ: «ومَنْ أَتَى....» إِلَى آخِرِهِ، وهُو حَدِيْثٌ حَسَنٌ.[٤]

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه "التوحيد" (باب/ ٢٥):

قال البغوي: العراف: الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك.[٥] وقيل: هو الكاهن.

والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، وأبو داود (٣٩٠٤).

(٢) انظر "كشف الأستار" برقم (٣٠٤٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣٠).

(٤) انظر "كشف الأستار" (٣/ ٣٩٩-٤٠٠)، "الأوسط" للطبراني رقم (٤٢٦٢) ط/ الحرمين.

(٥) انظر: "شرح السنة" (١٢/ ١٨٢).

وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرمَّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.(١)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في "فتح المجيد" (باب/ ٢٥):

قوله: العراف الذي يدعي معرفة الأمور.

ظاهره أنَّ العرَّاف هو الذي يخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها، والضالة ومكانها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنَّ العراف اسم للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم، كالحازر الذي يدعى علم الغيب، أو يدعى الكشف.

وقال أيضا: والمنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو معناه.(٢)

وقال أيضا: والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وحُكِي ذلك عن العرب، وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوء حالًا منه؛ فيلحق به من جهة المعنى.

وقال الإمام أحمد: العرَّاف طرف من السحر، والساحر أخبث.

وقال أبو السعادات: العراف: المنجم والحازر الذي يدعي علم الغيب، وقد استأثر اللهُ تعالى به.

وقال ابن القيم: من اشتهر بإحسان الزَّجر عندهم(٣) سمَّوه عائفًا وعرافًا.(٤)

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٣٥/ ١٧٣).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٣٥/ ١٩٣).

(٣) خلاصة الكلام المتقدم فيما قيل في العراف، والكاهن، والساحر: أنَّ العراف اسمٌ جامعٌ يشمل كل الأمور المذكورة: الكاهن، والرمال، والمنجم...، لكن الكهانة، والتنجيم قد تكون بغير استخدام الشياطين، فيدعي علم المغيبات لأكل أموال الناس، وقد يكون باستخدام الشياطين أيضًا. فالكاهن، والمنجم يكفران؛ لادعائهما علم الغيب، وقد يكون باستخدام الشياطين، فيصرفون لهم العبادات كالساحر.

(٤) انظر: "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٢٢٩) ط/ دار الكتب العلمية.

والمقصود من هذا: معرفة أن من يدعي معرفة علم الشيء من المغيبات؛ فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنى، فيلحق به، وذلك أنَّ إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف، ومنه ما هو من الشياطين، ويكون بالفأل، والزجر، والطيرة، والضرب بالحصى، والخط في الأرض، والتنجيم، والكهانة، والسحر، ونحو هذا من علوم الجاهلية، ونعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل عليهم السلام، كالفلاسفة، والكهان، والمنجمين، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ؛ فإن هذه علوم القوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام، وكل هذه الأمور يُسَمَّى صاحبها كاهنًا أو عرافًا، أو في معناهما، فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون؛ لحقه الوعيد، وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوامٌ فادَّعَوا بها علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وادَّعَوا أنهم أولياء، وأن ذلك كرامة.

ولا ريب أنَّ مَنِ ادَّعَى الولايَةَ، واستدل بإخباره ببعض المغيبات؛ فهو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن؛ إذ الكرامة أمرٌ يجريه الله على يد عبده المؤمن التقي، إما بدعاء، أو أعمال صالحة لا صنع للولي فيها، ولا قدرة له عليها، بخلاف من يدعي أنه ولي لله ويقول للناس: اعلموا أني أعلم المغيبات. فإن مثل هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب، وإن كانت أسبابًا محرمة كاذبة في الغالب؛ ولهذا قال النبي ﷺ في وصف الكهان: «**فيكذبون معها مائة كذبة**»[1]، فَبَيَّنَ أنهم يصدقون مرةً ويكذبون مائة، وهكذا حال من سلك سبيل الكهان ممن يدعي الولاية والعلم بما في ضمائر الناس مع أنَّ نفس دعواه دليلٌ على كذبه؛ لأنَّ في دعواه الولاية تزكيةَ النفس المنهي عنها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم:٣٢].

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري برقم (٣٢١٠)، ومسلم برقم (٢٢٢٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وليس هذا من شأن الأولياء؛ بل شأنهم الإزراء على نفوسهم، وعيبهم لها، وخوفهم من ربهم، فكيف يأتون الناس ويقولون: اعرفوا أنا أولياء، وأنا نعلم الغيب؟ وفي ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق، واقتناص الدنيا بهذه الأمور. انتهى.

﴿١٣﴾ مسألة: حكم الذهاب إلى السحرة والكهان والعرافين.

تبين من حديث أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما ، المذكورين في الباب أن من ذهب إليهم مصدقًا لهم أنهم يعلمون المغيبات، أو أنهم يشفون أو ينفعون من دون الله، أو استجابوا لهم بصرف عبادات لغير الله؛ فقد كفر بما أنزل على محمد، لأنه يرد الأدلة كقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن:٢٦]، وقوله: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ:١٤]، وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان:٣٤] الآية.

وعليه فالصحيح أن الكفر المراد به في حديث أبي هريرة وجابر، هو الكفر الأكبر المخرج من الملة.

ومن ذهب إلى الكهان أو السحرة غير مصدق لهم بما يذكرونه من علم الغيب، ولم يصرف عبادة لغير الله؛ فإنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، ولا تقبل له صلاة أربعين ليلة كما جاء في حديث بعض أزواج النبي ﷺ، وبهذا يجمع بين الأحاديث، ولا يحصل بينها التعارض، والله أعلم.

﴿١٤﴾ معنى قوله ﷺ: لم تقبل له صلاة أربعين ليلة.

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٢٢٣٠):

وأَمَّا عَدَم قَبُول صَلَاته، فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا ثَواب لَهُ فِيهَا، وإِنْ كَانَتْ مُجْزِئَة فِي سُقُوط الفَرْض عَنْهُ، ولَا يَحْتَاج مَعَهَا إِلَى إِعَادَة، ونَظِير هَذِهِ الصَّلَاة فِي الأَرْض المَغْصُوبَة مُجْزِئَة مُسْقِطَة لِلْقَضَاءِ، ولَكِنْ لَا ثَواب فِيهَا، كَذَا قَالَهُ جُمْهُور أَصْحَابنَا، قَالُوا: فَصَلَاة الفَرْض وغَيْرهَا مِنْ الواجِبَات، إذا أُتِيَ بِهَا عَلَى وجْههَا الكَامِل تَرَتَّبَ عَلَيْهَا شَيْئَانِ، سُقُوط الفَرْض عَنْهُ، وحُصُول الثَّواب.

فإذا أَدَّاهَا فِي أَرْض مَغْصُوبَة حَصَلَ الأَول دُون الثَّانِي، ولَا بُدّ مِنْ هَذَا التَّأْوِيل فِي هَذَا الحَدِيث، فإن العُلَمَاء مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَلْزَم مَنْ أَتَى العَرَّاف إِعَادَة صَلَوات أَرْبَعِينَ لَيْلَة، فوجَبَ تَأْويله. واللهُ أَعْلَم .اهـ

﴿١٥﴾ مسألة: وهل تقبل صلاته إذا تاب؟

الحكم المذكور، وهو عدم قبول التوبة، يكون في حق من لم يتب؛ فأما من تاب؛ فإن الله يتوب عليه، وتقبل صلاته، ويدل على ذلك أنه قد جاء مثل ذلك في شرب الخمر، وقيد ذلك بما إذا لم يتب؛ فقد روى أحمد والدارمي وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من شرب الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن تاب؛ تاب الله عليه**»[1]. وإسناده صحيح.

ولأن الله عز وجل يقبل التوبة من الكفر، والشرك؛ فقبول التوبة من هذه الذنوب من باب أولى.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٤٤)، والدارمي (٢١٣٦) بإسناد صحيح، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وجاء في بعض طرق الحديث، أن الراوي سأل عبد الله بن عمرو بن العاص: بلغني أنك تحدث: «من شرب الخمر شربة لم تقبل له توبة أربعين صباحًا... وذكر الحديث». بلفظ (توبة)، وفيه: أن عبد الله قال: اللهم إني لا أحل لأحد أن يقول عني مالم أقل.

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال:٣٨].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

وقال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[الفرقان:٦٨-٧٠].

١٦ مسألة: من ذهب إلى الكاهن لامتحانه، وإظهار كذبه ودجله.

قال شَيْخُ الإِسْلَام رحمه الله **كَمَا فِي "مَجْمُوعِ الفَتَاوى" (١٩/ ٦٢):**

وأَمَّا سُؤَالُ الجِنِّ وسُؤَالُ مَنْ يَسْأَلُهُمْ؛ فَهَذَا إِنْ كَانَ عَلَى وجْهِ التَّصْدِيقِ لَهُمْ فِي كُلِّ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ والتَّعْظِيمِ لِلْمَسْئُولِ فَهُو حَرَامٌ كَمَا ثَبَتَ فِي **"صَحِيحِ مُسْلِمٍ"** وغَيْرِهِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الكُهَّانَ قَالَ: «**فَلَا تَأْتُوا الكُهَّانَ**»[١] وفِي **"صَحِيحِ مُسْلِمٍ"** أَيْضًا عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ؛ عَنْ نَافِعٍ؛ عَنْ صَفِيَّةَ؛ عَنْ بَعْضِ أَزْواجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَومًا**»[٢].

وأَمَّا إِنْ كَانَ يَسْأَلُ المَسْئُولَ؛ لِيَمْتَحِنَ حَالَهُ، ويَخْتَبِرَ بَاطِنَ أَمْرِهِ، وعِنْدَهُ مَا يُمَيِّزُ بِهِ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ؛ فَهَذَا جَائِزٌ كَمَا ثَبَتَ فِي **"الصَّحِيحَيْنِ"**: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ ابْنَ صَيَّادٍ فَقَالَ: **مَا يَأْتِيك**؟ فَقَالَ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وكَاذِبٌ قَالَ: **مَا تَرَى**؟ قَالَ: أَرَى عَرْشًا

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣٠).

عَلَى المَاءِ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ خَبَّأْت لَك خَبِيئًا قَالَ: الدُّخّ الدُّخّ. قَالَ: **اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَك فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ إِخْوانِ الكُهَّانِ**(١).

وكَذَلِكَ إِذا كَانَ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَهُ ويُخْبِرُونَ بِهِ عَنْ الجِنِّ كَمَا يَسْمَعُ المُسْلِمُونَ مَا يَقُولُ الكُفَّارُ والْفُجَّارُ؛ لِيَعْرِفُوا مَا عِنْدَهُمْ فَيَعْتَبِرُوا بِهِ وكَمَا يُسْمَعُ خَبَرُ الفَاسِقِ ويُتَبيَّنُ ويُتَثَبَّتُ فَلَا يُجْزَمُ بِصِدْقِهِ ولَا كَذِبِهِ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿**إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ**﴾ وقَدْ ثَبَتَ فِي "**صَحِيحِ البُخَارِيِّ**" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ كَانُوا يَقْرَءُونَ التَّوراةَ ويُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ ولَا تُكَذِّبُوهُمْ فَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوهُ وإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوهُ، وقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾** [العنكبوت:٤٦]»(٢) فَقَدْ جَازَ لِلْمُسْلِمِينَ سَمَاعُ مَا يَقُولُونَهُ ولَمْ يُصَدِّقُوهُ ولَمْ يُكَذِّبُوهُ.

وقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ: أَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ خَبَرُ عُمَرَ، وكَانَ هُنَاكَ امْرَأَةٌ لَهَا قَرِينٌ مِنْ الجِنِّ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ؛ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَرَكَ عُمَرَ يَسِمُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٢٤) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٨٥، ٧٣٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس عنده زيادة: «**فَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوهُ وإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوهُ**»، وهو زيادة صحيحة في أحاديث أخرى.

(٣) **ضعيف**: أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على "فضائل الصحابة" لأبيه (٣٠٤)، وابن أبي الدنيا في كتابه "هواتف الجان" (١٦٥)، ومن طريقه الشبلي في "آكام المرجان" (ص١٩٢) من طريق يَحْيَى بْنُ الْيَمَانِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «أَبْطَأَ خَبَرُ عُمَرَ عَلَى أَبِي مُوسَى فَأَتَى امْرَأَةً فِي بَطْنِهَا شَيْطَانٌ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: حَتَّى يَجِيءَ إِلَيَّ الشَّيْطَانُ فَجَاءَ فَسَأَلَتْهُ عَنْهُ فَقَالَ: تَرَكْتُهُ مُؤْتَزِرًا بِكِسَاءٍ يَهْنَأُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ وَذَاكَ لَا يَرَاهُ شَيْطَانٌ إِلَّا خَرَّ لِمِنْخَرِهِ الْمَلَكُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرُوحُ الْقُدُسِ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ».

قال عبد الله بن أحمد: حَدَّثَنَا بِهِ شُجَاعٌ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً قَالَ: عَنْ أَبِي مُوسَى، وَمَرَّةً قَالَ: أَبْطَأَ عَلَى أَبِي مُوسَى خَبَرُ عُمَرَ. اهـ يعني به شجاع بن الوليد شيخه فيه عن يحيى بن اليمان. =

وفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ جَيْشًا فقَدِمَ شَخْصٌ إِلَى المَدِينَةِ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ انْتَصَرُوا عَلَى عَدُوهِمْ، وشَاعَ الخَبَرُ؛ فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ؛ فَذَكَرَ لَهُ فَقَالَ: هَذَا أَبُو الهَيْثَمِ بَرِيدُ المُسْلِمِينَ مِنْ الجِنِّ وسَيَأْتِي بَرِيدُ الإِنْسِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِعِدَّةِ أَيَّامٍ[1].اهـ

= **قلت:** وأما ابن أبي الدنيا؛ فرواه مرسلًا بدون شك، وشيخه فيه عن يحيى بن اليمان، هو عبد الله بن أبي بدر. وعليه فالإسناد فيه علتان: إحداهما: يحيى بن اليمان، فيه ضعف. والثانية: أنه مرسل.

(١) لم يوجد له إسناد: ذكره الشبلي في "آكام المرجان" (ص١٩٢) بدون إسناد.

﴿١١﴾ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنْ رسول الله ﷺ قَالَ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» ثلاثًا. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وأبو داود بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ.(١)

﴿١٢﴾ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ عَدْوى ولاَ طِيَرَةَ، ولاَ صَفَرَ ولاَ هَامَةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(٢)

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

١ معنى الطيرة التي نهى عنها الشرع.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الفتح" (٥٧٥٣):

الطيرة: بكسر المهملة وفتح التحتانية وقد تسكن، هي التشاؤم بالشين، وهو مصدر تطير مثل تحير حيرة. قال بعض أهل اللغة لم يجيء من المصادر هكذا غير هاتين، وتعقب بأنه سمع طيبة، وأورد بعضهم التولة وفيه نظر، وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير؛ فإذا خرج أحدهم لأمر؛ فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك، وكانوا يسمونه السانح بمهملة ثم نون ثم حاء مهملة، والبارح بموحدة وآخره مهملة. فالسانح ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس. وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح.اهـ

قال الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (٢٢٢٠):

و(التَّطَيُّر) التَّشَاؤُم، وأَصْله الشَّيْء المَكْرُوه مِنْ قَولٍ أَو فِعْل أَو مَرْئِيّ، وكَانُوا يَتَطَيَّرُونَ بِالسَّوانِحِ والْبَوارِح، فَيُنَفِّرُونَ الظِّبَاء والطُّيُور، فإن أَخَذَتْ ذَات اليَمِين تَبَرَّكُوا بِهِ، ومَضَوا فِي سَفَرهمْ وحَوائِجهمْ، وإِنْ أَخَذَتْ ذَات الشِّمَال رَجَعُوا عَنْ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٩)، وأبو داود (٣٩١٠)، وكذلك الترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

سَفَرهِمْ وحَاجَتهِمْ، وتَشَاءَمُوا بِهَا، فَكَانَتْ تَصُدّهُمْ فِي كَثِير مِنْ الأَوقَات عَنْ مَصَالِحِهِمْ، فَنَفَى الشَّرْع ذَلِكَ وأَبْطَلَهُ، ونَهَى عَنْهُ، وأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ تَأْثِير بِنَفْعٍ ولَا ضُرّ، فَهَذَا مَعْنَى قَوله ﷺ (لَا طِيَرَة).اهـ

قال الإمام العثيمين رحمه الله: هو التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو معلوم.

بمرئي مثل: لو رأى طيرًا فتشاءم لكونه موحشًا.

أو مسموع مثل: من هم بأمر فسمع أحدًا يقول لآخر: يا خسران، أو يا خائب، فيتشاءم.

أو معلوم، كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض الشهور أو بعض السنوات، فهذه لا ترى ولا تسمع.اهـ

٢ مسألة : بيان حكم الطيرة.

قال الإمام النووي رحمه الله **في "شرح مسلم" (٢٢٢٣)**:

(الطِّيَرَة شِرْك) أَيْ اِعْتِقَاد أَنَّهَا تَنْفَع أَو تَضُرّ؛ إِذْ عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهَا مُعْتَقِدِينَ تَأْثِيرهَا، فَهُو شِرْك لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا لَهَا أَثَرًا فِي الفِعْل والْإِيجَاد.اهـ

وقال الحافظ في "**الفتح**": وإنما جعل ذلك شركا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعا أو يدفع ضرا، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى.اهـ

وهذا التفسير من الإمام النووي ثم الحافظ رحمهما الله يجعلها من الشرك الأكبر، وهو كذلك إذا كانت صاحبت الطيرة العقيدة المذكورة.

وقد نص جمع من العلماء على أنها من الشرك الأصغر؛ وذلك لأنه جعل ما ليس بسبب شرعي ولا قدري سببًا؛ فإن ترك العمل من أجل أمور يتشاءم منها شرك أصغر؛ لأن هذه الأمور لم يجعلها الله أسبابًا للمصائب والمكروهات.

وممن نص على أن ذلك شرك أصغر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "**مجموع الفتاوى**" (٧/ ٣٢٩).

٣ ما الجمع بين قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١]

وقوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ [يس:١٩]؟

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ [يس:١٩] يعني هم السبب في جلب الشر على أنفسهم؛ لأنهم هم الذين أتوا بالمعاصي، فسببت عليهم هذه المصائب من القحط وغيره، واللهُ هو الذي قدَّر ذلك، فَنُسب إلى الله تعالى خلقًا وتقديرًا، ونُسب إليهم سببًا، وتكسبًا.اهـ

٤ معنى قوله ﷺ: إن كان من الشؤم شيءٌ حقًا ففي المرأة والدار والفرس.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في **"لطائف المعارف"** (ص٧٥):

فأما قول النبي ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث في المرأة والدار والدابة**» خرجاه في **"الصحيحين"** من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ فقد اختلف الناس في معناه أيضا؛ فروي عن عائشة رضي الله عنها أنها أنكرت هذا الحديث أن يكون من كلام النبي ﷺ وقالت: إنما قال: كان أهل الجاهلية يقولون ذلك. خرجه الإمام أحمد.

وقال معمر سمعت من يفسر هذا الحديث يقول: شؤم المرأة: إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس: إذا لم يكن يغزى عليه في سبيل الله. وشؤم الدار: جار السوء وروي هذا المعنى مرفوعا من وجوه لا تصح ومنهم من قال: قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا شؤم وإن يكن اليُمن في شيء ففي ثلاثة**» فذكر هذه الثلاثة، وقال: هذه الرواية أشبه بأصول الشرع. كذا قاله ابن عبد البر، ولكن إسناد هذه الرواية لا يقاوم ذلك الإسناد.

والتحقيق: أن يقال في إثبات الشؤم في هذه الثلاث: ما ذكرناه في النهي عن إيراد المريض على الصحيح، والفرار من المجذوم، ومن أرض الطاعون إن هذه الثلاث

أسباب قدر الله تعالى بها الشؤمَ واليُمنَ ويقرنه، ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها، وخير ما جلبت عليه ويستعيذ به تعالى من شرها وشر ما جبلت عليه كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ الذي خرجه أبو داود وغيره.

وكذا ينبغي لمن سكن دارا أن يفعل ذلك، وقد أمر النبي ﷺ قومًا سكنوا دارا فقل عددهم وقل مالهم أن يتركوها ذميمة فترك ما لا يجد الإنسان فيه بركة من دار أو زوجة أو دابة غير منهي عنه، وكذلك من اتجر في شيء فلم يربح فيه ثلاث مرات فإنه يتحول عنه. روى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه قال: من بورك له في شيء فلا يتغير عنه(١).

ففي "**المسند**" و"**سنن ابن ماجه**" عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا: «**إذا كان لأحدكم رزق في شيء؛ فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له**»(٢). وأما تخصيص الشؤم

---

(١) لم أجده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإنما وجدته مرفوعًا عن عائشة رضي الله عنها، وهو الذي بعده.

(٢) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٢٦٠٩٢)، وابن ماجه (٢١٤٨) والبيهقي في "شعب الإيمان" (١١٨٦، و١١٨٧) ، وفي "الآداب" (١١٤٣) من طريق مخلد والد الضحاك، عن الزبير بن عبيد، عن نافع، قال: يعني أبا عاصم قال مخلد: ولا أدري من هو يعني نافعا هذا، قال: كنت أتجر إلى الشام – أو إلى مصر – قال: فتجهزت إلى العراق، فدخلت على عائشة أم المؤمنين فقلت: يا أم المؤمنين إني قد تجهزت إلى العراق فقالت: ما لك، ولمتجرك إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إذا كان لأحدكم رزق في شيء؛ فلا يدعه حتى يتغير له، أو يتنكر له**» فأتيت العراق، ثم دخلت عليها، فقلت: يا أم المؤمنين، والله ما رددت الرأس مال. فأعادت عليه الحديث – أو قالت الحديث كما حدثتك.

وهذا إسناد ضعيف منكر، مخلد والد الضحاك: ضعيف ، والزبير بن عبيد انفرد بالرواية عنه مخلد هذا، ولم يوثقه معتبر؛ فهو مجهول، ونافع مجهول كذلك. قال ابن حبان في "الثقات": نافع شيخ يروي عن عائشة، جهدت فلم أقف على نافع هذا من هو.

وقد صرح البيهقي في إحدى روايتيه: أن نافعًا ليس هو مولى ابن عمر.

وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه :

أخرجه ابن ماجه (٢١٤٧) ، والبيهقي في "الشعب" (١١٨٤) و (١١٨٥)، من طريق فَرْوَةُ بْنُ=

بزمان دون زمان كشهر صفر أو غيره؛ فغير صحيح، وإنما الزمان كله خلق الله تعالى وفيه تقع أفعال بني آدم فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله؛ فهو زمان مبارك عليه وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤم عليه؛ فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا كان الشؤم في شيء ففيما بين اللحين ـ يعني اللسان[١] وقال: ما من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان[٢]. وقال عدي بن حاتم: أيمنُ امْرِئٍ وأشأمُه ما بين لحييه، يعني لسانه[٣].

وفي "**المسند**" وأبي داود عن النبي ﷺ قال: «**حسن الملكة نماء، وسوء الملكة شؤم، والبر زيادة في العمر، والصدقة تمنع ميتة السوء**»[٤] فجعل سوء الملكة شؤما،

= يُونُس، حَدَّثَنِي هِلَالُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رُزِقَ فِي شَيْءٍ فَلْيَلْزَمْهُ**» وإسناده ضعيف؛ فروة بن يونس ضعيف، وهلال بن جبير مجهول الحال، وقد تفردا بهذا الحديث عن أنس. فالحديث ضعيف، وكلا الطريقين منكرة.

(١) **ضعيف**: أخرجه معمر في "جامعه"، كما في "المصنف" (١٠/ ٤١٢) عن الأعمش، عن ابن مسعود به. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ منقطع؛ فالأعمش لم يدرك ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٩/ ٦٥)، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (١٦)، وهناد في "الزهد" (٢/ ٥٣٢)، وأبو داود في "الزهد" (١٤٩)، وابن أبي عاصم في "الزهد" (٢٣)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٨٧٤٤، و٨٧٤٥)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (١/ ١٣٤) من طرق عن الْأَعْمَشِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ عَنْبَسِ بْنِ عُقْبَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ... فذكره. وهذا إسنادٌ صحيح، رجاله ثقات، وعنبس وثقه ابن معين.

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٣٧٣)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٥٥٩)، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٦٣)، وابن خزيمة في "التوحيد" (١/ ٣٦٤، و٣٦٥)، وابن حبان (٥٧١٧)، والطبراني (١٧/ ٨٥)، وابن عبد البر في "التمهيد" (٥/ ٦٧)، من طرق عن جرير بن حازم، عن الأعمش، عن خيثمة بن عبد الرحمن، عن عدي بن حاتم به. وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثقات.

(٤) **ضعيف**: أخرجه عبد الرزاق (١١/ ١٣١)، وأحمد (١٦٠٧٩)، وأبو داود (٥١٦٢، و٥١٦٣)، وأبو يعلى (١٥٤٤) من طريق عثمان بن زفر الجهني، عن بعض بنى رافع بن مكيث، عن رافع بن مكيث به. ولم يذكر أبو داود: «والبر زيادة...» إلى آخره. وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة حال عثمان بن زفر الجهني، وشيخه غير معروف، لم يسمَّ.

وفي حديث آخر: «**لا يدخل الجنة سيئ الملكة**»[١] وهو من يسيء إلى مماليكه ويظلمهم.اهـ

قال ابن القيم رحمه الله **في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٢٥٥):**

هذا الحديث قد روى على وجهين: أحدهما: بالجزم. **والثاني:** بالشرط.

فأما الأول فرواه مالك عن ابن شهاب عن سالم وحمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الشؤم في الدار والمرأة والفرس**» متفق عليه[٢]. وفي لفظ في "**الصحيحين**" عنه: «**لا عدوى ولا صفر ولا طيرة، وإنما الشؤم في ثلاثة المرأة والفرس والدار**»[٣] وأما الثاني ففي "**الصحيحين**" أيضا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن كان ففي المرأة والفرس والمسكن**»[٤] يعني الشؤم. وقال البخاري: «**إن كان في شيء**» وفي "**صحيح مسلم**" عن جابر مرفوعا: «**إن كان في شيء ففي الربع والخادم والفرس**»[٥] وفي "**الصحيحين**" عن ابن عمر مرفوعًا: «**إن يكن من الشؤم شيء حقا ففي الفرس والمسكن والمرأة**»[٦].

ثم ذكر بعض أقوال العلماء في توجيه الحديث، وبيان معناه، ثم قال:

وبالجملة فإخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشؤومة على من قاربها، وسكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم، ولا شرٌّ، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولدًا مشئومًا

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١٣، و٣١، و٣٢)، والترمذي (١٩٤٦)، وابن ماجه (٣٦٩١)، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي إسناده فرقد بن يعقوب السبخي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٩٣)، ومسلم برقم (٢٢٢٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٣)، ومسلم برقم (٢٢٢٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٨٥٩)، ومسلم برقم (٢٢٢٦).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٢٢٧).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٢٢٥)، ولم أجدها في البخاري.

يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها، فكذلك الدار، والمرأة، والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر، والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها، وحصول اليُمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوسًا يتنحس بها من قاربها، وكل ذلك بقضائه وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة، ولذذ بها من قاربها من الناس، وخلق ضدها، وجعلها سببا لألم من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مُدْرَكٌ بالحس، فكذلك في الديار، والنساء، والخيل، فهذا لون، والطيرة الشركية لون آخر. انتهى.

قال أبو عبد الله: الطيرة الشركية، هي التشاؤم وترك العمل؛ بجعل ما ليس سببًا سببًا، فيعلق ترك العمل بسبب ليس هو سببًا شرعيًّا، ولا قدريًّا، وأما الوارد في الحديث من سوء خلق المرأة، أو صعوبة الدابة، أو ضيق الدار؛ فهذه أسباب ظاهرة تجعل للإنسان الضيق في صدره، والتألم من ذلك؛ فهذه أسباب قدرية جعلها الله للإنسان، فما من إنسان يُبتَلى بهذه الأمور إلا ويصيبه الضيق، لكن يصبر، أو يترك هذا الأمر الذي سبب له هذا الضيق إن كانت امرأة؛ يطلقها، أو دابة يبيعها، أو دارًا يتركها، وهذا ليس بنقصٍ في التوكل؛ لأنَّ هذه الثلاثة جعلها الله أسبابًا تضيق الصدور، وتجلب الشرور.

﴿ ٥ ﴾ معنى قوله ﷺ: ذروها ذميمة. للرجل الذي شكا إليه من دار سكنها فقل فيها ماله وعياله.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٢٥٧):

وأما الأثر الذي ذكره مالك[١]، عن يحيى بن سعيد، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله دار سكناها والعدد كثير والمال وافر فقل العدد وذهب المال فقال النبي ﷺ: دعوها ذميمة.

وقد ذكر هذا الحديث غير مالك من رواية أنس أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أنا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا، وكثرت فيها أموالنا، ثم تحولنا إلى أخرى؛ فقلت فيها أموالنا، وقل فيها عددنا. فقال رسول الله ﷺ وذكره.

فليس هذا من الطيرة المنهي عنها، وإنما أمرهم ﷺ بالتحول عنها عند ما وقع في قلوبهم منها لمصلحتين ومنفعتين:

إحداهما: مفارقتهم لمكان هم له مستثقلون ومنه مستوحشون لما لحقهم فيه ونالهم؛ ليتعجلوا الراحة مما داخلهم من الجزع في ذلك المكان والحزن والهلع؛ لأن الله عز وجل قد جعل في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم الشر فيه وإن كان لا سبب له في ذلك، وحب ما جرى لهم على يديه الخير، وإن لم يردهم به فأمرهم بالتحول مما كرهوه؛ لأن الله عز وجل بعثه رحمة، ولم يبعثه عذابا، وأرسله ميسرا ولم يرسله معسرا؛ فكيف يأمرهم بالمقام في مكان قد أحزنهم المقام به، واستوحشوا عنده لكثرة من فقدوه فيه؛ لغير منفعته ولا طاعة ولا مزيد تقوى وهدى؛ فلا سيما وطول مقامهم فيها بعد ما وصل إلى قلوبهم منها ما وصل قد يبعثهم ويدعوهم إلى التشاؤم والتطير **فيوقعهم ذلك في أمرين عظيمين: أحدهما:** مقارنة الشرك. **والثاني:** حلول مكروه أحزنهم بسبب الطيرة التي إنما تلحق المتطير.

---

(١) ذكره في "الموطأ" (٢/ ٩٧٢) عن يحيى بن سعيد به.

فحماهم ﷺ بكمال رأفته ورحمته من هذين المكروهين بمفارقة تلك الدار والاستبدال بها من غير ضرر يلحقهم بذلك في دنيا ولا نقص في دين، وهو ﷺ حين فهم عنهم في سؤالهم ما أرادوه من التعرف عن حال رحلتهم عنها هل ذلك لهم ضار مؤد إلى الطيرة. قال: دعوها ذميمة.

وهذا بمنزلة الخارج من أرض بها الطاعون غير فار منه، ولو منع الناس الرحلة من الدار التي تتوالى عليهم المصائب والمحن فيها، وتعذر الأرزاق مع سلامة التوحيد في الرحلة للزم ذلك أن كل من ضاق عليه رزق في بلد أن لا ينتقل منه إلى بلد آخر، ومن قَلَتْ فائدة صناعته أن لا ينتقل عنها إلى غيرها.اهـ

٦ الجمع بين حديث: «لا عدوى ولا طيرة» وحديث «لا يورد ممرض على مصح» مع حديث «فر من المجذوم فرارك من الأسد».

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "حاشيته على سنن أبي داود" (١٠/ ٢٨٩):

ذهب بعضهم إلى أن قوله: «**لا يورد ممرض على مصح**»(١) منسوخ بقوله «**لا عدوى**»(٢) وهذا غير صحيح، وهو مما تقدم آنفا أن المنهي عنه نوع غير المأذون فيه؛ فإن الذي نفاه النبي ﷺ في قوله: «**لا عدوى ولا صفر**»(٣) هو ما كان عليه أهل الإشراك من اعتقادهم ثبوت ذلك على قياس شركهم، وقاعدة كفرهم.

والذي نهى عنه النبي ﷺ من إيراد الممرض على المصح فيه تأويلان:

أحدهما: خشية توريط النفوس في نسبة ما عسى أن يقدره الله تعالى من ذلك إلى العدوى، وفيه التشويش على من يورد عليه وتعريضه لاعتقاد العدوى؛ فلا تنافي بينهما بحال.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٧١)، ومسلم برقم (٢٢٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٧، و٥٧٥٣، ٥٧٥٦)، ومسلم برقم (٢٢٢٠، و٢٢٢٤، و٢٢٢٥) عن أبي هريرة وابن عمر وأنس بن مالك، رضي الله عنهم، وأخرجه مسلم (٢٢٢٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) قوله ﷺ: «**ولا صفر**» جاء في حديث أبي هريرة، وجابر رضي الله عنهما.

والتأويل الثاني: أن هذا إنما يدل على أن إيراد الممرض على المصح قد يكون سببا يخلق الله تعالى به فيه المرض؛ فيكون إيراده سببا، وقد يصرف الله سبحانه تأثيره بأسباب تضاده، أو تمنعه قوة السببية، وهذا محض التوحيد بخلاف ما كان عليه أهل الشرك.

وهذا نظير نفيه سبحانه الشفاعة في يوم القيامة بقوله: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:٢٥٤] فإنه لا تضاد الأحاديث المتواترة المصرحة بإثباتها فإنه سبحانه إنما نفى الشفاعة التي كان أهل الشرك يثبتونها، وهي شفاعة يتقدم فيها الشافع بين يدي المشفوع عنده، وإن لم يأذن له، وأما التي أثبتها الله ورسوله فهي الشفاعة التي تكون من بعد إذنه، كقوله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] وقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقوله ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣]، والله الموفق للصواب.اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الفتح" (٥٧٠٧):

وفي طريق الجمع مسالك أخرى:

أحدها: نفي العدوى جملة، وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم، لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبته وتزداد حسرته، ونحوه حديث: «**لا تديموا النظر إلى المجذومين**»[1]؛ فإنه محمول على هذا المعنى.

ثانيها: حمل الخطاب بالنفي، والإثبات على حالتين مختلفتين، فحيث جاء: «**لا عدوى**» كان المخاطب بذلك من قوي يقينه، وصح توكله بحيث يستطيع أن

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، وابن ماجه (٣٥٤٣)، وغيرهما، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان الأموي، وفيه ضعف، قال البخاري: عنده عجائب. وقال النسائي: ثقة. ومرة قال: ليس بالقوي. وقال مسلم في كتابه "الكنى والأسماء": منكر الحديث.

يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، كما يستطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل أحد، لكن القوي اليقين لا يتأثر به، وهذا مثل ما تدفع قوة الطبيعة العلة فتبطلها، وعلى هذا يحمل حديث جابر في أكل المجذوم من القصعة، وسائر ما ورد من جنسه، وحيث جاء «**فر من المجذوم**»[(١)] كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه، ولم يتمكن من تمام التوكل؛ فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى، فأريد بذلك سد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سببا لإثباتها.

ثالثها: قال القاضي أبو بكر الباقلاني: إثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى، قال: فيكون معني قوله: «**لا عدوى**» أي إلا من الجذام والبرص والجرب مثلا، قال: فكأنه قال: لا يعدي شيء شيئا؛ إلا ما تقدم تبييني له أن فيه العدوى. وقد حكى ذلك ابن بطال.

رابعها: أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء، بل هو لأمر طبيعي، وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة، والمخالطة، وشم الرائحة، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة، وهذه طريقة ابن قتيبة.

خامسها: أن المراد بنفي العدوى: أن شيئا لا يعدي بطبعه؛ نفيا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك، وأكل مع المجذوم[(٢)]؛ ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، معلقًا.

(٢) **ضعيف**. أخرجه أبو داود (٣٩٢٥)، والترمذي (١٨١٨)، وغيرهما، وفي سنده: المفضل بن فضالة البصري، وهو غير المصري. والبصري ضعيف، وقد أُنكر عليه هذا الحديث، وَصَوَّبَ العُقَيلي أنه موقوف على سلمان، فوهم فيه المفضل، وخالفه الثقات، فرووه عن سلمان رضي الله عنه، موقوفًا، وهو أنه كان يشتري الطعام، ويجعل المجذوم يأكل معه، وهو ثابت عن سلمان رضي الله عنه، وسنده صحيح كما في "مصنف ابن أبي شيبة" (٨/ ١٢٩)، وضعَّف الحديث الألباني رحمه الله في "الضعيفة" برقم (١١٤٤).

ونهاهم عن الدنو منه؛ ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها؛ فلا تؤثر شيئا، وإن شاء أبقاها فأثرت.

ثم نقل هذا القول عن الشافعي، ثم البيهقي، وابن الصلاح.

سادسها: العمل بنفي العدوى أصلا ورأسا، وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة لئلا يحدث للمخالط شيء من ذلك؛ فيظن أنه بسبب المخالطة؛ فيثبت العدوى التي نفاها الشارع، وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد وتبعه جماعة.لاثم نقل هذا القول عن مالك، والطبري، وابن خزيمة، والطحاوي، والقرطبي رحمة الله عليهم. انتهى بتصرف وتلخيص.

قَال أبو عبد الله غفر الله له: الصحيح فيما أراه هو ما اختاره الإمام الشافعي والبيهقي، وابن القيم رحمة الله عليهم.

٧ معنى قوله ﷺ: ولا هامة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله **في "الفتح"** (٥٧٠٧):

قال أبو زيد: هي بالتشديد، وخالفه الجميع فخففوها، وهو المحفوظ في الرواية، وكأن من شددها ذهب إلى واحدة الهوام، وهي ذوات السموم. وقيل: دواب الأرض التي تهم بأذى الناس، وهذا لا يصح فيه إلا إن أريد أنها لا تضر لذواتها، وإنما تضر إذا أراد الله إيقاع الضرر بمن أصابته.

وقد ذكر الزبير بن بكار في "**الموفقيات**" أن العرب كانت في الجاهلية تقول: إذا قتل الرجل، ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة - وهي دودة - فتدور حول قبره فتقول: اسقوني اسقوني، فإن أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت.

وذكر ابن فارس وغيره من اللغويين نحو الأول، إلا أنهم لم يعينوا كونها دودة، بل قال القزاز: الهامة طائر من طير الليل، كأنه يعني البومة.

وقال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها، إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إلي نفسي أو أحدًا من أهل داري.

وقال أبو عبيد: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير، ويسمون ذلك الطائر الصدى. فعلى هذا فالمعني في الحديث: لا حياة لهامة الميت، وعلى الأول: لا شؤم بالبومة ونحوها، ولعل المؤلف ترجم «**لا هامة**» مرتين بالنظر لهذين التفسيرين والله أعلم.اهـ

وقال ابن رجب رحمه الله **في "لطائف المعارف"** (ص٧٤):

و أما قوله ﷺ: «**ولا هامة**» فهو: نفي لما كانت الجاهلية تعتقده: أن الميت إذا مات صارت روحه أو عظامه هامة: وهو طائر يطير، وهو شبيه باعتقاد أهل التناسخ: أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها، ولكن الذي جاءت بها الشريعة: أن «**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة، وترد من أنهار الجنة إلى أن يردها الله إلى أجسادها**»[1] وروي أيضا: «**أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادها يوم القيامة**»[2].اهـ

٨ معنى قوله ﷺ: ولا صفر.

قال ابن رجب رحمه الله **في "لطائف المعارف"** (ص٧٤):

وأما قوله ﷺ: «ولا صفر» فاختلف في تفسيره:

فقال كثير من المتقدمين: الصفر: داء في البطن يقال: إنه دود فيه كبار كالحيات وكانوا يعتقدون أنه يعدي؛ فنفى ذلك النبي ﷺ، وممن قال هذا من العلماء: ابن عيينة، والإمام أحمد، وغيرهما، ولكن لو كان كذلك؛ لكان هذا داخلا في قوله:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٨٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: أخرجه مالك (٨٢٠)، وأحمد (١٥٧٧٧، ١٥٧٧٨)، والنسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) عن كعب بن مالك رضي الله عنه بإسناد صحيح.

«**لا عدوى**» وقد يقال: هو من باب عطف الخاص على العام، وخصه بالذكر لاشتهاره عندهم بالعدوى.

وقالت طائفة: بل المراد بصفر شهر ثم اختلفوا في تفسيره على قولين:

أحدهما: أن المراد نفي ما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء؛ فكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك.

والثاني: أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يستشئمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشئوم. فأبطل النبي ﷺ ذلك وهذا حكاه أبو داود عن محمد بن راشد المكحولي عمن سمعه يقول ذلك.

ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينهى عن السفر فيه، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهى عنها، وكذلك التشاؤم بالأيام كيوم الأربعاء، وقد روي أنه: «**يوم نحس مستمر**»(١) في حديث لا يصح .

وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة، وقد قيل: إن أصله أن طاعونا وقع في شوال في سنة من السنين؛ فمات فيه كثير من العرائس فتشائم بذلك أهل الجاهلية، وقد ورد الشرع بإبطاله. قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال؛ فأي نسائه كان أحظى عنده مني. وكانت عائشة رضي الله عنها تستحب أن تدخل نساءها في شوال. وتزوج النبي ﷺ أم سلمة في شوال أيضا.اهـ

---

(١) **ضعيف جدًا**: أخرجه أبو عوانة في "المستخرج" (٦٠٢٢)، والطبراني في "المعجم الأوسط" (٧٩٧، و٦٤٢٢)، والبيهقي (٢٠٦٥٥) من طريق إبراهيم بن أبي حَيَّة، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جابر رضي الله عنه ، قال: قال النبي ﷺ: «**أتاني جبريل عليه السلام، فأمرني باليمين مع الشاهد، وقال: إن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر**». وهذا إسنادٌ واهٍ؛ إبراهيم بن أبي حية، أبو إسماعيل المكي. قال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائيُّ: ضعيف. وقال ابن عديّ: وضعفُه بَيِّنٌ على أحاديثه ورواياته. وقال الدارقطني: متروك.

قلت: والقول الأول قال به البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ وبوب في صحيحه: «باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن»، وكذلك الطبري كما في "**الفتح**"(١).

٩ معنى قوله ﷺ: ولا نوء ولا غول.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (٥٧٠٧):

وأما الغول فقال الجمهور: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات، وهي جنس من الشياطين تتراءى للناس، وتتغول لهم تغولا، أي: تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، وقد كثر في كلامهم «غالته الغول» أي أهلكته أو أضلته، فأبطل ﷺ ذلك.

وقيل: ليس المراد إبطال وجود الغيلان، وإنما معناه إبطال ما كانت العرب تزعمه من تلون الغول بالصور المختلفة، قالوا: والمعنى لا يستطيع الغول أن يضل أحدا. ويؤيده حديث: «**إذا تغولت الغيلان؛ فنادوا بالأذان**»(٢) أي ادفعوا شرها بذكر الله. وفي حديث أبي أيوب عند قوله: «**كانت لي سهوة فيها تمر، فكانت الغول تجيء فتأكل منه**» الحديث. وأما النوء فقد تقدم القول فيه في كتاب الاستسقاء، وكانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا فأبطل ﷺ ذلك بأن المطر إنما يقع بإذن الله لا بفعل الكواكب، وإن كانت العادة جرت بوقوع المطر في ذلك الوقت، لكن بإرادة الله تعالى وتقديره، لا صنع للكواكب في ذلك، والله أعلم.اهـ

---

(١) وانظر: "الفتح لابن حجر" (باب/ ٢٥/ الطب).

(٢) **ضعيفٌ**. أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٥، ٣٨٢)، وابن حزيمة (٢٠٤٨) (٢٠٤٩)، وابن السني (٥٢٣)، وغيرهم من حديث جابر رضي الله عنه، وهو من طريق: الحسن، عن جابر، ولم يسمع منه، والراوي عن الحسن هو هشام بن حسَّان، وله أخطاء في روايته عن الحسن، وقد خالفه يونس بن عبيد عند البزار كما في "كشف الأستار" (٣١٢٩)، فجعله عن الحسن، عن سعد بن أبي وقاص، ولكن في الإسناد إليه شيخ البزار: محمد بن الليث الهدادي، لم أقف له على ترجمة، والحسن لم يسمع من سعد وانظر: "السلسلة الضعيفة" للإمام الألباني رقم (١١٤٠).

قلت: والنفي في الحديث المتقدم، وهو قوله: «**ولا غول**» محمول على أنها لا تستطيع أن تصد إنسانًا بنفسها، أو أن تضل أحدًا، أو تضره مع ذكر الله، وأما وجود الشياطين؛ لاسيما في الأسفار فقد يحصل أنها تتعرض للإنس، فقد جاء في البخاري (٢٩٩٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في الوحدة؛ لما سار راكب بليل وحده**»؛ فإنَّ الشياطين قد تتعرض له بأشكال مخيفة، ومزعجة.

وقد وجد هذا أنَّ بعض الناس ممن كانوا يسافرون يجدون بعض الأشخاص في الليل، وجاء حديث في "**مسند أحمد**" (٢٥١٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد صحيح يؤيد ذلك، فمن حيث وجود الجن والشياطين؛ فإنها قد تظهر وتتلون خاصة في الأسفار، لكن لا تضر الشخص، وهو يذكر الله، هذا هو الذي يُنفَى، أو يكون المنفي أيضًا أن تصد هذه الشياطين الناس عن حاجاتهم، وأيضًا لو كان الناس جماعة؛ لما حصل هذا؛ لقوله ﷺ: «**الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب**»، أخرجه أبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤)، والنسائي في "**الكبرى**" (٨٨٤٩) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بإسناد حسن.

هذا وليعلم أن تعرض الشياطين للأنس بصور مخيفة يكون غالبًا عند من ضعف توكله، وخاف منها، وليس بذاكر لربه، أما من قوي توكله واعتماده على الله، وهو من الذاكرين؛ فإنه يمضي لحاجته، ولا تتعرض له بإذن الله عز وجل.

١٠ مسألة: المراد بالنفي في قوله: لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه "لطائف المعارف" (ص٧١):

وهذا مما يدل على أن المراد نفي تأثير هذه الأسباب بنفسها من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه؛ فمن أضاف شيئا من النعم إلى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله؛ فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفي.اهـ

١٣ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ؛ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ، وابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ[١].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

١ مسألة: بيان معنى علم النجوم وحكمه.

علم النجوم ينقسم إلى قسمين: علم التأثير، وعلم التسيير.

فعلم التأثير: هُو الِاسْتِدْلَالُ عَلَى الحَوادِثِ الأَرْضِيَّةِ بِالْأَحْوالِ الفَلَكِيَّةِ. قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كما في "**مجموع الفتاوى**" (٣٥/ ١٩٢).

وعلم التسيير: هو الاستدلال بالنجوم على الأزمنه والاتجاهات.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "فضل علم السلف على علم الخلف" كما في "مجموع رسائله" (٣/ ١٢):

وقد ورد الأمر بأن يُتعلم من الأنساب ما توصل به الأرحام من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**». أخرجه الإمام أحمد والترمذي[٢].

وخرجه حميد بن زنجويه من طريق آخر عن أبي هريرة مرفوعا، «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا. وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب**

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٣٦).

(٢) **صحيح بطرقه وشواهده**: أخرجه أحمد (٨٨٦٨)، والترمذي (١٩٧٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو حديث صحيح بشواهده، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢٧٦).

الله ثم انتهوا. وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا»(١).

وفي إسناد روايته ابن لُهَيعة.

وخرج أيضًا من رواية نعيم بن أبي هند، قال: قال عمر: «**تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم امسكوا، وتعلموا من النسبة ما تصلون به أرحامكم، وتعلموا ما يحل لكم من النساء، ويحرم عليكم ثم انتهوا**»(٢).

وروى مسعر، عن محمد بن عبد الله، قال: قال عمر بن الخطاب: «**تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق**».

وكان النخعي لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به.

ورخص في تعلم منازل القمر أحمد وإسحق، ويتعلم من أسماء النجوم ما يهتدي به.

وكره قتادة تعلم منازل القمر: ولم يرخص ابن عيينه فيه ذكره حرب عنهما.

وقال طاوس: رب ناظر في النجوم، ومتعلم حروف أبي جاد، ليس له عند الله

---

(١) **ضعيف**: أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (١٥٩٤)، من طريق حُمَيْدِ بْنِ زَنْجَوَيْهِ، حدثنا عُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ، حدثنا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه... فذكره. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لضعف ابن لهيعة.

(٢) **حسن بطرقه**: إسناده منقطع؛ لأن نعيم بن أبي هند لم يدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وله طريق أخرى: أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤)، ومن طريقه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١٤٧٤)، عن غسان بن مضر، عن سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، قال: قال عمر: «**تعلموا من هذه النجوم ما تهتدون به في ظلمة البر والبحر، ثم أمسكوا**». وهذا إسنادٌ منقطعٌ؛ فإن أبا نضرة لم يدرك عمر رضي الله عنه.

وله طريق أخرى: أخرجه المعافى بن عمران في الزهد (١٤٦) عن مِسْعَر بْن كِدَام، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوْنٍ، أَنَّ عُمَرَ، قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنَ الْأَنْسَابِ مَا تَعْلَمُونَ بِهِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَتَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَعْرِفُونَ بِهِ الْقِبْلَةَ وَالطَّرِيقَ، ثُمَّ أَمْسِكُوا». وهذا أيضًا إسناد منقطع؛ فإن أبا عون لم يدرك عمر رضي الله عنه فالأثر بمجموع طرقه حسن، والله أعلم.

وقد روي مرفوعًا، ولا يثبت المرفوع؛ فهو وهم من بعض الرواة، كما بينه الدارقطني في العلل (٢٩٩٠).

خلاق خرجه حرب. وخرجه حميد بن زنجويه من رواية طاوس، عن ابن عباس.

وهذا محمول على علم التأثير لا علم التسيير فإن علم التأثير باطل محرم وفيه ورد الحديث المرفوع: «**ومن اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر**». خرجه أبو داود من حديث ابن عباس مرفوعًا، وخرج أيضًا من حديث قبيصة مرفوعًا: «**العيافة والطِيَرة والطرق من الجبت**»[1]. والعيافة زجر الطير: والطرق الخط في الأرض.

فعلم تأثير النجوم باطل محرم. والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم، وتقريب القرابين لها كفر.

وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزًا عند الجمهور، وما زاد عليه؛ فلا حاجة إليه، وهو يشغل عما هو أهم منه، وربما أدى التدقيق فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين في أمصارهم كما وقع ذلك كثيرًا من أهل هذا العلم قديمًا وحديثًا، وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار وهو باطل.

وقد أنكر الإمام أحمد الاستدلال بالجدي، وقال: إنما ورد ما بين المشرق والمغرب قبلة. يعني لم يرد اعتبار الجدي، ونحوه من النجوم.

وقد أنكر ابن مسعود على كعب قوله: أن الفلك تدور، وأنكر ذلك مالك وغيره، وأنكر الإمام أحمد على المنجمين قولهم: إن الزوال يختلف في البلدان. وقد يكون إنكارهم أو إنكار بعضهم لذلك؛ لأن الرسل لم تتكلم في هذا وإن كان أهله يقطعون به وإن كان الاشتغال به ربما أدى إلى فساد عريض.

وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا على حديث النزول ثلث الليل الآخر

---

(١) **ضعيف**. أخرجه أحمد (٥/ ٦٠) (٣/ ٤٧٧)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في "الكبرى" (١١١٠٨)، وابن حبان (٦١٣١)، والطبراني (١٨/ ٩٤١-٩٤٥)، وفي إسناده: حيان بن العلاء، وهو مجهول.

وقال: ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين. ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض. وأن الرسول ﷺ أو خلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه، بل بادروا إلى عقوبته وإلحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين. انتهى.

قلت: وقد نص قتادة على العلم الجائز من علم النجوم، وأشار إلى المحرم؛ فقال رحمه الله: خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، ورُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَولَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في "التيسير" (باب/ ٢٨):

هذا الأثر عَلَّقه البخاري في "**صحيحه**"، وأخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ .(١)

وأخرجه الخطيب في كتاب "**النجوم**" عن قتادة، ولفظه قال: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك؛ فقد قال برأيه، وأخطأ حَظَّه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإنَّ ناسًا جَهَلَة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: (من أعرس بنجم كذا وكذا؛ كان كذا وكذا)، و(من سافر بنجم كذا وكذا؛ كان كذا وكذا)، ولعمري، ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والطويل والقصير، والحسن والذَّميم، وما علم هذه النجوم، وهذا الدابة، وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، ولو أن أحدًا علم الغيب؛ لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء. انتهى(٢).

---

(١) علقه البخاري في "صحيحه" في [كتاب بدء الخلق/ الباب رقم (٣)]، ووصله عبد بن حميد في "تفسيره" كما في "التغليق" (٣/ ٤٨٩): ثنا يونس، ثنا شيبان، عن قتادة به، وهذا إسناد صحيح.

وأخرجه ابن جرير في تفسير سورة الملك [آية:٥]، وأبو الشيخ في "العظمة" (٧٠٢)، من طريق: سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.وأخرجه أيضًا عبدالرزاق، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" [آية:٩٧] من سورة الأنعام.

(٢) أخرجه الخطيب في كتابه "القول في النجوم" كما في "الدر المنثور" [آية:٩٧] من سورة الأنعام، وهو عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٩/ ٢٩١٣): حدثنا أبي، ثنا هشام بن خالد، ثنا شعيب بن=

قلت: والأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنه في تحريم النظر في النجوم أخرجه عبدالرزاق (١١/ ٢٦)، وابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤)، والبيهقي (٨/ ١٣٩) من طريق: عبدالله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده صحيح.

وحروف أبي جاد هي: [أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ]. فالمنجمون يستخدمونها، فيرقمونها مع علم النجوم، فيستخدمونها في معرفة الغيبيات، وهذا كفر بالله، ويستخدمها الشعراء في ذكر بعض التواريخ، كأن يؤرخ به تاريخ انتهاء كتابة قصيدته، أو تاريخ بناء مسجد، أو بيت، أو نحو ذلك، ومنها قول العمريطي في آخر نظم الورقات:

وتم نظم هذه المقدمة ... أبياتها في العدِّ (در محكمة)

في عام (طا) ثم (ظا) ثم (فا) ... ثاني ربيع شهر وضع المصطفى

وقال الإمام العثيمين رحمه الله: قال شيخنا عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله في تاريخ بناء المسجد الجامع القديم:

جُدْ بالرضى واعْطِ المُنى ... من ساعدوا في ذا البنا

تاريخه حين انتهى ... قول المنيب (اغفر لنا)

والشهر في (شوال) يا ... رب تقبل سعينا

وطريقة الترقيم أنهم يرقمون الحروف الأبجدية المتقدمة على الترتيب من (١) إلى (١٠)، فيكون العاشر حرف الياء، ثم بعد الياء يستخدمون عقود الأعداد على الترتيب إلى (١٠٠)، فيكون حرف القاف رقمه (١٠٠)، ثم يستخدمون عقود المئات إلى (١٠٠٠)؛ فيكون آخرها هو حرف الغين رقمه (١٠٠٠)، فلو عددنا قول العمريطي (طا، ثم ظا، ثم فا) وجدناها في عام (٩٨٩هـ)، ولو عددنا قول السعدي (اغفر لنا) لوجدناها (١٣٦٢هـ)، وانظر "**القول المفيد**" (٢/ ٢٤).

= إسحاق، ثنا سعيد، عن قتادة، فذكره بطوله مع زيادة، وإسناده صحيح، رجاله ثقات معروفون.

١٤ وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». قَالُوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِهِ. فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ بِالْكَوكَبِ، وأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوكَبِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

١٥ وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، والطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، والاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ والنِّيَاحَةُ**». وقَالَ: «**النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ موتِهَا تُقَامُ يومَ القِيَامَةِ وعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.(٢)

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

١ معنى الاستسقاء بالأنواء وسبب تسميتها: أنواء.

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في "غريب الحديث":

سمعت عدة من أهل العلم، يقولون: أما الطعن في الأنساب والنياحة فمعروفان، وأما الأنواء فإنها ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها في الصيف والشتاء والربيع والخريف يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمّى وانقضاء هذه الثمانية وعشرين كلها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة؛ فكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لا بد من أن يكون عند ذلك مطر ورياح فينسبون كل

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٤٦)، ومسلم برقم (٧١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٣٤).

غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذ فيقولون: مُطِرنا بنوء الثريا والدبران والسِّماك، وما كان من هذه النجوم فعلى هذا ؛ فهذه هي الأنواء واحدها نوء .

وإنما سمي نوءًا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب؛ ناء الطالع بالمشرق للطلوع فهو ينوء نوءًا وذلك النهوض هو النوء فسمي النجم به، وكذلك كل ناهض بثقل وإبطاء فإنه ينوء عند نهوضه.اهـ

٢ مسألة : حكم الاستسقاء بالأنواء.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في "فتح المجيد" (باب/ ٢٩):

فإذا قال قائلهم: مُطرنا بنجم كذا، أو بنوء كذا؛ فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيرًا في نزول المطر؛ فهذا شركٌ وكفرٌ، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية، كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًّا، أو أنه يشفع لهم بدعائهم إياه، فهذا هو الشرك الذي بعث اللهُ رسولَه ﷺ بالنهي عنه، وقتال من فعله، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، والفتنة الشرك، وإما أن يقول: مُطرنا بنوء كذا – مثلًا– لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده، لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم، ولو على طريق المجاز، فقد صَرَّح ابن مفلح في "الفروع" بأنه يحرم قول (مطرنا بنوء كذا)[١].

وجزم في "**الإنصاف**" بتحريمه، ولم يذكرا خلافًا[٢]، وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر، ولا قدرة له على شيء؛ فيكون ذلك شركًا أصغر، والله أعلم.اهـ

---

(١) انظر: "الفروع" لابن مفلح (٢/ ١٦٣).

(٢) انظر: "الإنصاف" (٢/ ٤٣٤)، وقول الشارح: (ولم يذكرا خلافًا)، أي: في مذهب الحنابلة، والواقع أنه قد وجِدَ خلافٌ، وقد عَزا ابنُ رجب القول بالتحريم إلى أكثر الحنابلة، قال: والنصوص تدل عليه. قال: وقال=

وقال أيضًا: قوله: «**مؤمن بي وكافر**».

إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر فهذا كفر؛ لأنه شرك في الربوبية، والمشرك كافر، وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره؛ ولأن الله لم يجعل النوء سببًا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من الله ورحمته يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء.

ودل هذا الحديث على أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره، ولو على سبيل المجاز، وأيضًا الباء تحتمل معانٍ[1]، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ، فليست للسببية، ولا للاستعانة؛ لما عرفت من أن هذا باطل، ولا تَصْدُق أيضًا على أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه، وإنما يجيء المطر في الوقت الذي أراد الله مجيئه فيه برحمته، وحكمته، وفضله، فكل معنى تُحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه فاسد، فيظهر على هذا تحريم هذه اللفظة مطلقًا؛ لفساد المعنى، وقد تقدم القطع بتحريمه في كلام صاحب "**الفروع**" و"**الإنصاف**".

= طائفةٌ: هو مكروه. وهو قول الشافعي وأصحابه، وبعض أصحابنا. انتهى من "الفتح" لابن رجب (١٠٣٨).

(١) ذكر الشارح أنها للسببية، والاستعانة، والمصاحبة، وهناك معنى آخر للباء، وهو الظرفية «**مُطرنا بنوء كذا**» ، أي: في نوء كذا، وعند حلول النوء الفلاني، والباء إذا كانت للظرفية فهي بمعنى (في). وهذا اللفظ إن كان لا يعتقد فيه أنَّ النوء سببٌ، ولا مؤثر؛ فهو جائز، والأفضل تركه حتى لا يفهم منه غير ذلك؛ لاسيما إذا كان بالباء، وأما بغير الباء كـالفاء فالأمر فيها أهون؛ لأنَّ الباء الاشتباه فيها كبير؛ لأن أكثر استعمال الباء للسببية، والاستعانة، واستعمالها للظرفية قليل، وهذا نبه عليه الإمام العثيمين رحمه الله في "القول المفيد" (٢/ ١٥٧)، وقد أجاز بعض الحنابلة أن يقال: (مطرنا في نوء كذا، وكذا) مريدًا الظرفية كما في "الإنصاف" (٢/ ٤٣٤)، و"الفتح" لابن رجب (١٠٣٨)، وكره بعضهم ذلك إلا أن يقيده برحمة الله عز وجل. والأول أظهر -والله أعلم- وهو اختيار العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

١٦ عَنْ أَنسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وجَدَ حَلَاوةَ الْإِيمانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» متفق عليه[1].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديثين

١ مسألة: محبة الله على درجتين.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله **في "فتح الباري"** (١٦):

إحداهما: فرض، وهي المحبة المقتضية لفعل أوامره الواجبة والانتهاء عن زواجره المحرمة والصبر على مقدوراته المؤلمة، فهذا القدر لابد منه في محبة الله، ومن لم تكن محبته على هذا الوجه؛ فهو كاذب في دعوى محبة الله، كما قال بعض العارفين: من ادعى محبة الله، ولم يحفظ حدوده فهو كاذب، فمن وقع في ارتكاب شيء من المحرمات، أو أخل بشيء من فعل الواجبات؛ فلتقصره في محبة الله حيث قدم محبة نفسه وهواه على محبة الله، فإن محبة الله لو كملت؛ لمنعت من الوقوع فيما يكرهه.

وإنما يحصل الوقوع فيما يكرهه لنقص محبته الواجبة في القلوب وتقديم هوى النفس على محبته، وبذلك ينقص الإيمان كما قال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» الحديث.

والدرجة الثانية من المحبة - وهي فضل مستحب -: أن ترتقي المحبة من ذلك إلى التقرب بنوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق الشبهات والمكروهات، والرضى بالأقضية المؤلمات، كما قال عامر بن عبد قيس: أحببت الله حبًا هون علي كل مصيبة ورضاني بكل بلية، فما أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت، ولا على ما أمسيت.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

وقال عمر بن عبد العزيز: أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر، ولما مات ولده الصالح، قال: إن الله أحب قبضه، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة تخالف محبة الله. وقال بعض التابعين في مرضه: أحبه إلي أحبه إليه.اهـ

٢ مسألة: بيان عظم مرتبة المحبة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (٣/ ٨):

وَمِنْ مَنَازِلِ " ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] " مَنْزِلَةُ الْمَحَبَّةِ

وَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ. وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ. وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ. وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ. وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ. فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ. وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ. وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ. وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ. وَهِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ. تَحْمِلُ أَثْقَالَ السَّائِرِينَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ بَالِغِيهَا. وَتُوصِلُهُمْ إِلَى مَنَازِلَ لَمْ يَكُونُوا بِدُونِهَا أَبَدًا وَاصِلِيهَا. وَتُبَوِّؤُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِ الصِّدْقِ مَقَامَاتٍ لَمْ يَكُونُوا لَوْلَاهَا دَاخِلِيهَا. وَهِيَ مَطَايَا الْقَوْمِ الَّتِي مَسْرَاهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا دَائِمًا إِلَى الْحَبِيبِ. وَطَرِيقُهُمُ الْأَقْوَمُ الَّذِي يُبَلِّغُهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمُ الْأُولَى مِنْ قَرِيبٍ.

تَاللَّهِ لَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُهَا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. إِذْ لَهُمْ مِنْ مَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمْ أَوْفَرُ نَصِيبٍ. وَقَدْ قَضَى اللَّهُ - يَوْمَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ بِمَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ -: أَنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ. فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ عَلَى الْمُحِبِّينَ سَابِغَةٍ.

تَاللَّهِ لَقَدْ سَبَقَ الْقَوْمُ السُّعَاةَ، وَهُمْ عَلَى ظُهُورِ الْفُرُشِ نَائِمُونَ. وَقَدْ تَقَدَّمُوا الرَّكْبَ بِمَرَاحِلَ، وَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ وَاقِفُونَ.

مَــنْ لِي بِمِثْــلِ سَــيْرِكَ الْمُــدَلَّلِ   تَــمْشِي رُوَيْــدًا وَتَــجِي فِي الْأَوَّلِ

أَجَابُوا مُنَادِيَ الشَّوْقِ إِذْ نَادَى بِهِمْ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. وَبَذَلُوا نُفُوسَهُمْ فِي طَلَبِ الْوُصُولِ إِلَى مَحْبُوبِهِمْ، وَكَانَ بَذْلُهُمْ بِالرِّضَا وَالسَّمَاحِ، وَوَاصَلُوا إِلَيْهِ الْمَسِيرَ بِالْإِدْلَاجِ وَالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ. تَاللَّهِ لَقَدْ حَمِدُوا عِنْدَ الْوُصُولِ سُرَاهُمْ. وَشَكَرُوا مَوْلَاهُمْ عَلَى مَا أَعْطَاهُمْ. وَإِنَّمَا يَحْمَدُ الْقَوْمَ السُّرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا كَثُرَ الْمُدَّعُونَ لِلْمَحَبَّةِ طُولِبُوا بِإِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ عَلَى صِحَّةِ الدَّعْوَى. فَلَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى الْخَلِيُّ حُرْقَةَ الشَّجِيِّ. فَتَنَوَّعَ الْمُدَّعُونَ فِي الشُّهُودِ. فَقِيلَ: لَا تُقْبَلُ هَذِهِ الدَّعْوَى إِلَّا بِبَيِّنَةٍ ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١] .

فَتَأَخَّرَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ. وَثَبَتَ أَتْبَاعُ الْحَبِيبِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ. فَطُولِبُوا بِعَدَالَةِ الْبَيِّنَةِ بِتَزْكِيَةِ ﴿**يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ**﴾ [المائدة: ٥٤] .

فَتَأَخَّرَ أَكْثَرُ الْمُحِبِّينَ وَقَامَ الْمُجَاهِدُونَ، فَقِيلَ لَهُمْ: إِنَّ نُفُوسَ الْمُحِبِّينَ وَأَمْوَالَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ. فَهَلُمُّوا إِلَى بَيْعَةِ ﴿۞ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ**﴾ [التوبة: ١١١] .

فَلَمَّا عَرَفُوا عَظَمَةَ الْمُشْتَرِي، وَفَضْلَ الثَّمَنِ، وَجَلَالَةَ مَنْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ عَقْدُ التَّبَايُعِ: عَرَفُوا قَدْرَ السِّلْعَةِ، وَأَنَّ لَهَا شَأْنًا. فَرَأَوْا مِنْ أَعْظَمِ الْغَبْنِ أَنْ يَبِيعُوهَا لِغَيْرِهِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ. فَعَقَدُوا مَعَهُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ بِالتَّرَاضِي، مِنْ غَيْرِ ثُبُوتِ خِيَارٍ. وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نُقِيلُكَ وَلَا نَسْتَقِيلُكَ.

فَلَمَّا تَمَّ الْعَقْدُ وَسَلَّمُوا الْمَبِيعَ، قِيلَ لَهُمْ: مُذْ صَارَتْ نُفُوسُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ لَنَا رَدَدْنَاهَا عَلَيْكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، وَأَضْعَافَهَا مَعًا ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠] .

إِذَا غُرِسَتْ شَجَرَةُ الْمَحَبَّةِ فِي الْقَلْبِ، وَسُقِيَتْ بِمَاءِ الْإِخْلَاصِ، وَمُتَابَعَةِ الْحَبِيبِ، أَثْمَرَتْ أَنْوَاعَ الثِّمَارِ، وَآتَتْ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي قَرَارِ الْقَلْبِ. وَفَرْعُهَا مُتَّصِلٌ بِسِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

لَا يَزَالُ سَعْيُ الْمُحِبِّ صَاعِدًا إِلَى حَبِيبِهِ لَا يَحْجُبُهُ دُونَهُ شَيْءٌ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

٣ مسألة: كيف يتسبب الإنسان إلى جلب محبة الله له؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله **في «مدارج السالكين» (٣/ ١٨):**

فِي الأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْمَحَبَّةِ، وَالْمُوجِبَةِ لَهَا وَهِيَ عَشَرَةٌ:

أَحَدُهَا: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ وَمَا أُرِيدَ بِهِ، كَتَدَبُّرِ الْكِتَابِ الَّذِي يَحْفَظُهُ الْعَبْدُ وَيَشْرَحُهُ. لِيَتَفَهَّمَ مُرَادَ صَاحِبِهِ مِنْهُ.

الثَّانِي: التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ. فَإِنَّهَا تُوَصِّلُهُ إِلَى دَرَجَةِ الْمَحْبُوبِيَّةِ بَعْدَ الْمَحَبَّةِ.

الثَّالِثُ: دَوَامُ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ: بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ. فَنَصِيبُهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ.

الرَّابِعُ: إِيثَارُ مَحَابِّهِ عَلَى مَحَابِّكَ عِنْدَ غَلَبَاتِ الْهَوَى، وَالتَّسَنُّمُ إِلَى مَحَابِّهِ، وَإِنْ صَعُبَ الْمُرْتَقَى.

الْخَامِسُ: مُطَالَعَةُ الْقَلْبِ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمُشَاهَدَتُهَا وَمَعْرِفَتُهَا. وَتَقَلُّبُهُ فِي رِيَاضِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَمَبَادِيهَا. فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ: أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ. وَلِهَذَا كَانَتِ الْمُعَطِّلَةُ وَالْفِرْعَوْنِيَّةُ وَالْجَهْمِيَّةُ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ عَلَى الْقُلُوبِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَحْبُوبِ.

السَّادِسُ: مُشَاهَدَةُ بِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَآلَائِهِ، وَنِعَمِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ. فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ إِلَى مَحَبَّتِهِ.

السَّابِعُ: وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِهَا، انْكِسَارُ الْقَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى. وَلَيْسَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرُ الْأَسْمَاءِ وَالْعِبَارَاتِ.

الثَّامِنُ: الْخَلْوَةُ بِهِ وَقْتَ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ، لِمُنَاجَاتِهِ وَتِلَاوَةِ كَلَامِهِ، وَالْوُقُوفِ بِالْقَلْبِ وَالتَّأَدُّبِ بِأَدَبِ الْعُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ خَتْمِ ذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.

التَّاسِعُ: مُجَالَسَةُ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، وَالْتِقَاطُ أَطَايِبِ ثَمَرَاتِ كَلَامِهِمْ كَمَا يَنْتَقِي أَطَايِبَ الثَّمَرِ. وَلَا تَتَكَلَّمْ إِلَّا إِذَا تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَةُ الْكَلَامِ، وَعَلِمْتَ أَنَّ فِيهِ مَزِيدًا لِحَالِكَ، وَمَنْفَعَةً لِغَيْرِكَ.

الْعَاشِرُ: مُبَاعَدَةُ كُلِّ سَبَبٍ يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَمِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْعَشْرَةِ: وَصَلَ الْمُحِبُّونَ إِلَى مَنَازِلِ الْمَحَبَّةِ. وَدَخَلُوا عَلَى الْحَبِيبِ. وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمْرَانِ: اسْتِعْدَادُ الرُّوحِ لِهَذَا الشَّأْنِ، وَانْفِتَاحُ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **في «مجموع الفتاوى»** (١٠/ ٨٥):

وَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ هُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَهَا أَصْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَحَبَّةُ الْعَامَّةِ؛ لِأَجْلِ إِحْسَانِهِ إِلَى عِبَادِهِ وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ لَا يُنْكِرُهَا أَحَدٌ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا، وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْعِمُ الْمُحْسِنُ إِلَى عَبْدِهِ بِالْحَقِيقَةِ؛ فَإِنَّهُ الْمُتَفَضِّلُ بِجَمِيعِ النِّعَمِ وَإِنْ جَرَتْ بِوَاسِطَةِ؛ إذْ هُوَ مُيَسِّرُ الْوَسَائِطِ، وَمُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ وَلَكِنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ فِي الْحَقِيقَةِ إذَا لَمْ تَجْذِبْ الْقَلْبَ إلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ نَفْسِهِ؛ فَمَا أَحَبَّ الْعَبْدُ فِي الْحَقِيقَةِ إلَّا نَفْسَهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا لِأَجْلِ إحْسَانِهِ إلَيْهِ فَمَا أَحَبَّ فِي الْحَقِيقَةِ إلَّا نَفْسَهُ. وَهَذَا لَيْسَ بِمَذْمُومِ بَلْ مَحْمُودٌ.

وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ هِيَ الْمُشَارُ إلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ: «**أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ**

وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلِي بِحُبِّي»(١) وَالْمُقْتَصِرُ عَلَى هَذِهِ الْمَحَبَّةِ هُوَ لَمْ يَعْرِفْ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ مَا يَسْتَوْجِبُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ إِلَّا إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ، وَهَذَا كَمَا قَالُوا: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ عَلَى نَوْعَيْنِ: " حَمْدٌ هُوَ شُكْرٌ. وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى نِعْمَتِهِ. وَحَمْدٌ هُوَ مَدْحٌ وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ وَمَحَبَّةٌ لَهُ، وَهُوَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ لِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَكَذَلِكَ الْحُبُّ فَإِنَّ:

الأَصْلَ الثَّانِيَ: فِيهِ هُوَ مَحَبَّتُهُ لِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَهَذَا حُبُّ مَنْ عَرَفَ مِنْ اللَّهِ مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُحَبَّ لِأَجْلِهِ، وَمَا مِنْ وَجْهٍ مِنْ الْوُجُوهِ الَّتِي يَعْرِفُ اللَّهَ بِهَا مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَحِقُّ الْمَحَبَّةَ الْكَامِلَةَ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ حَتَّى جَمِيعُ مَفْعُولَاتِهِ إذْ كُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، وَلِهَذَا اسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ مَحْمُودًا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَيَسْتَحِقُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَهَذَا أَعْلَى وَأَكْمَلُ وَهَذَا حُبُّ الْخَاصَّةِ.اهـ

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله **في «فتح الباري»** (١٦):

ومحبة الله تنشأ تارة من معرفته، وكمال معرفته: تحصل من معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله الباهرة والتفكير في مصنوعاته وما فيها من الإتقان والحكم والعجائب، فإن ذلك كله يدل على كماله وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته.

وتارة ينشأ من مطالعة النعم، وفي حديث ابن عباس المرفوع: «**أحبوا الله لما يغدوكم من نعمه وأحبوني لحب الله**»(٢). خرجه الترمذي في بعض نسخ كتابه.

وقال بعض السلف: من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه فإن المحبة تقتضي الطاعة كما قال بعض العارفين: الموافقة في جميع الأحوال، ثم أنشد:

ولـــو قلـــت لي مـــت ... مـــت ســـمعا وطاعـــة

وقلـــت لداعي المـــوت ... أهـــلا ومرحبـــا.اهـ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد فضائل الصحابة (١٩٥٢)، والترمذي (٣٧٨٩)، وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده عبد الله بن سليمان النوفلي، وهو مجهول.

(٢) **ضعيف**: تقدم تخريجه قريبًا.

مسألة: محبة النبي ﷺ على درجتين:

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "فتح الباري" (١٦):

ومحبة الرسول على درجتين - أيضا:

إحداهما: فرض، وهي ما اقتضى طاعته في امتثال ما أمر به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات والرضى بذلك، وأن لا يجد في نفسه حرجا مما جاء به ويسلم له تسليما، وأن لا يتلقى الهدى من غير مشكاته ولا يطلب شيئا من الخير إلا مما جاء به.

الدرجة الثانية: فضل مندوب إليه، وهي: ما ارتقى بعد ذلك إلى اتباع سنته وآدابه وأخلاقه والاقتداء به في هديه وسمته وحسن معاشرته لأهله وإخوانه وفي التخلق بأخلاقه الظاهرة في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وفي جوده وإيثاره وصفحه وحلمه واحتماله وتواضعه، وفي أخلاقه الباطنة من كمال خشيته لله ومحبته له وشوقه إلى لقائه ورضاه بقضائه وتعلق قلبه به دائما وصدق الالتجاء إليه والتوكل والاعتماد عليه، وقطع تعلق القلب بالأسباب كلها ودوام لهج القلب واللسان بذكره والأنس به والتنعم بالخلوة بمناجاته ودعائه وتلاوة كتابه بالتدبر والتفكر.

٤ كيف يصير العبد محبًّا لرسول الله ﷺ؟

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "فتح الباري" (١٦):

وأما محبة الرسول: فتنشأ عن معرفته، ومعرفة كماله وأوصافه، وعظم ما جاء به، وينشأ ذلك في معرفة مرسله وعظمته - كما سبق -، فإن محبة الله لا تتم إلا بطاعته، ولا سبيل إلى طاعته إلا بمتابعة رسوله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

٥ مسألة: بيان حقيقة المحبة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٩٢):

فَحَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ لَا تَتِمُّ إلَّا بِمُوَالَاةِ الْمَحْبُوبِ، وَهُوَ مُوَافَقَتُهُ فِي حُبِّ مَا يُحِبُّ وَبُغْضِ مَا يُبْغِضُ، وَاَللَّهُ يُحِبُّ الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى وَيُبْغِضُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحُبَّ يُحَرِّكُ إرَادَةَ الْقَلْبِ، فَكُلَّمَا قَوِيَتْ الْمَحَبَّةُ فِي الْقَلْبِ طَلَبَ الْقَلْبُ فِعْلَ الْمَحْبُوبَاتِ، فَإِذَا كَانَتْ الْمَحَبَّةُ تَامَّةً اسْتَلْزَمَتْ إرَادَةً جَازِمَةً فِي حُصُولِ الْمَحْبُوبَاتِ.

فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ قَادِرًا عَلَيْهَا حَصَّلَهَا، وَإِنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْهَا فَفَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْفَاعِلِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ دَعَا إلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا**»(١).

وَقَالَ: «**إنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إلَّا كَانُوا مَعَكُمْ. قَالُوا: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ**»(٢).

وَالْجِهَادُ: هُوَ بَذْلُ الْوُسْعِ، وَهُوَ الْقُدْرَةُ فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ الْحَقِّ، وَدَفْعُ مَا يَكْرَهُهُ الْحَقُّ، فَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ الْجِهَادِ كَانَ دَلِيلًا عَلَى ضَعْفِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَحْبُوبَاتِ لَا تُنَالُ غَالِبًا؛ إلَّا بِاحْتِمَالِ الْمَكْرُوهَاتِ سَوَاءٌ كَانَتْ مَحَبَّةً صَالِحَةً أَوْ فَاسِدَةً؛ فَالْمُحِبُّونَ لِلْمَالِ وَالرِّئَاسَةِ وَالصُّوَرِ لَا يَنَالُونَ مَطَالِبَهُمْ إلَّا بِضَرَرِ يَلْحَقُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنْ الضَّرَرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَالْمُحِبُّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إذَا لَمْ يَحْتَمِلْ مَا يَرَى ذُو الرَّأْيِ مِنْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٩) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الْمُحِبِّينَ لِغَيْرِ اللَّهِ مِمَّا يَحْتَمِلُونَ فِي حُصُولِ مَحْبُوبِهِمْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى ضَعْفِ مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ إِذَا كَانَ مَا يَسْلُكُهُ أُولَئِكَ هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي يُشِيرُ بِهِ الْعَقْلُ.

وَمِنْ الْمَعْلُوم أَنَّ الْمُؤْمِنَ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

ثم قال رحمه الله: وَإِذَا تَبَيَّنَ هَذَا. فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْقَلْبُ حُبًّا لِلَّهِ؛ ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً، وَكُلَّمَا ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً؛ ازْدَادَ لَهُ حُبًّا وَحُرِّيَّةً عَمَّا سِوَاهُ.

وَالْقَلْبُ فَقِيرٌ بِالذَّاتِ إِلَى اللَّهِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

مِنْ جِهَةِ الْعِبَادَةِ وَهِيَ الْعِلَّةُ الغائية.

وَمِنْ جِهَةِ الِاسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ وَهِيَ الْعِلَّةُ الْفَاعِلِيَّةُ فَالْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ وَلَا يُفْلِحُ وَلَا يَلْتَذُّ وَلَا يُسَرُّ وَلَا يَطِيبُ وَلَا يَسْكُنُ وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحُبِّهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ.

وَلَوْ حَصَلَ لَهُ كُلُّ مَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَمْ يَسْكُنْ إِذْ فِيهِ فَقْرٌ ذَاتِيٌّ إِلَى رَبِّهِ وَمِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُ وَمَحْبُوبُهُ وَمَطْلُوبُهُ وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ وَاللَّذَّةُ وَالنِّعْمَةُ وَالسُّكُونُ وَالطُّمَأْنِينَةُ.

وَهَذَا لَا يَحْصُلُ لَهُ إِلَّا بِإِعَانَةِ اللَّهِ لَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ دَائِمًا مُفْتَقِرٌ إِلَى حَقِيقَةِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] فَإِنَّهُ لَوْ أُعِينَ عَلَى حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ وَيَطْلُبُهُ وَيَشْتَهِيهِ وَيُرِيدُهُ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ عِبَادَتُهُ لِلَّهِ بِحَيْثُ يَكُونُ هُوَ غَايَةَ مُرَادِهِ وَنِهَايَةَ مَقْصُودِهِ وَهُوَ الْمَحْبُوبُ لَهُ بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ وَكُلُّ مَا سِوَاهُ إِنَّمَا يُحِبُّهُ لِأَجْلِهِ لَا يُحِبُّ شَيْئًا لِذَاتِهِ إِلَّا اللَّهَ فَمَتَى لَمْ يَحْصُلْ لَهُ هَذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ حَقَّقَ حَقِيقَةَ (لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ)، وَلَا حَقَّقَ التَّوْحِيدَ وَالْعُبُودِيَّةَ وَالْمَحَبَّةَ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ، بَلْ مِنْ الْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ وَالْعَذَابِ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

وَلَوْ سَعَى فِي هَذَا الْمَطْلُوبِ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعِينًا بِاَللَّهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ مُفْتَقِرًا إلَيْهِ فِي حُصُولِهِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ؛ فَإِنَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ فَهُوَ مُفْتَقِرٌ إلَى اللَّهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ الْمَطْلُوبُ الْمَحْبُوبُ الْمُرَادُ الْمَعْبُودُ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ الْمَسْئُولُ

الْمُسْتَعَانُ بِهِ الْمُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَهُهُ لَا إِلَهَ لَهُ غَيْرُهُ، وَهُوَ رَبُّهُ لَا رَبَّ لَهُ سِوَاهُ. وَلَا تَتِمُّ عُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ إِلَّا بِهَذَيْنِ.اهـ

٦ مسألة: أقسام المحبة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله **في "الجواب الكافي" (ص١٨٩):**

وَهَاهُنَا أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَهَا، وَإِنَّمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ بِعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهَا.

أَحَدُهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَلَا تَكْفِي وَحْدَهَا فِي النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَالْفَوْزِ بِثَوَابِهِ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَعُبَّادَ الصَّلِيبِ وَالْيَهُودَ وَغَيْرَهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ.

الثَّانِي: مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُدْخِلُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَقْوَمُهُمْ بِهَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَأَشَدُّهُمْ فِيهَا.

الثَّالِثُ: الْحُبُّ لِلَّهِ وَفِيهِ، وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ مَا يُحِبُّ، وَلَا تَسْتَقِيمُ مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ إِلَّا فِيهِ وَلَهُ.

الرَّابِعُ: الْمَحَبَّةُ مَعَ اللَّهِ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الشِّرْكِيَّةُ، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مَعَ اللَّهِ لَا لِلَّهِ، وَلَا مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا فِيهِ، فَقَدِ اتَّخَذَهُ نِدًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهَذِهِ مَحَبَّةُ الْمُشْرِكِينَ.

وَبَقِيَ قِسْمٌ خَامِسٌ لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ: وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يُلَائِمُ طَبْعَهُ، كَمَحَبَّةِ الْعَطْشَانِ لِلْمَاءِ، وَالْجَائِعِ لِلطَّعَامِ، وَمَحَبَّةِ النَّوْمِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ، فَتِلْكَ لَا تُذَمُّ إِلَّا إِذَا أَلْهَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَشَغَلَتْ عَنْ مَحَبَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ: ٩]. وَقَالَ تَعَالَى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧].اهـ

٧ **مسألة: أصل الشرك بالله، الشرك في المحبة:**

وَأَصْلُ الشِّرْكِ بِاللَّهِ الْإِشْرَاكُ فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِكُ بِهِ نِدًّا يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ اللَّهَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَنْدَادِ لِأَنْدَادِهِمْ.

وَقِيلَ: بَلِ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ أَحَبُّوا اللَّهَ، لَكِنْ لَمَّا شَرِكُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْدَادِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ ضَعُفَتْ مَحَبَّتُهُمْ لِلَّهِ، وَالْمُوَحِّدُونَ لِلَّهِ لَمَّا خَلُصَتْ مَحَبَّتُهُمْ لَهُ كَانَتْ أَشَدَّ مِنْ مَحَبَّةِ أُولَئِكَ، وَالْعَدْلُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالتَّسْوِيَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْدَادِ هُوَ فِي هَذِهِ الْمَحَبَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَلَمَّا كَانَ مُرَادُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ خُلُوصَ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ لَهُ، أَنْكَرَ عَلَى مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا أَوْ شَفِيعًا غَايَةَ الْإِنْكَارِ، وَجَمْعُ ذَلِكَ تَارَةً، وَإِفْرَادُ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة:٤].

وَقَالَ فِي الْإِفْرَادِ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤٣ – ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١].

وَقَالَ تَعالَى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: ١٠].

فَإِذَا وَالَى الْعَبْدُ رَبَّهُ وَحْدَهُ أَقَامَ لَهُ الشُّفعَاءَ، وَعَقَدَ الْمُوَالَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَصَارُوا أَوْلِيَاءَهُ فِي اللَّهِ، بِخِلَافِ مَنِ اتَّخَذَ مَخْلُوقًا وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

فَهَذَا لَوْنٌ وَذَاكَ لَوْنٌ، كَمَا أَنَّ الشَّفَاعَةَ الشِّرْكِيَّةَ الْبَاطِلَةَ لَوْنٌ، وَالشَّفَاعَةَ الْحَقَّ الثَّابِتَةَ الَّتِي إِنَّمَا تُنَالُ بِالتَّوْحِيدِ لَوْنٌ، وَهَذَا مَوْضِعُ فُرْقَانٍ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَأَهْلِ الْإِشْرَاكِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ لَا تَحْصُلُ مَعَ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ فِي الْمَحَبَّةِ، بِخِلَافِ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ، فَإِنَّهَا مِنْ لَوَازِمِ الْعُبُودِيَّةِ وَمُوجِبَاتِهَا، فَإِنَّ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ - بَلْ تَقْدِيمُهُ فِي الْحُبِّ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ - لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهَا، إِذْ مَحَبَّتُهُ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ حُبٍّ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ، كَمَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**». وَفِي لَفْظٍ فِي "الصَّحِيحَيْنِ": «**لَا يَجِدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**»(١).

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي "**السُّنَنِ**": «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»(٢).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وإسناده حسن.

(٣) **ضعيف**: أخرجه الطيالسي (٢١٦٦)، وابن الجعد (٣١٩٢)، وأبو يعلى (٣٤١٩)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٨٦٣١)، والبغوي في "شرح السنة" (١٣/ ٥٢)، من طريق مبارك بن فضالة، عن ثابت البناني، عن أنس رضي الله عنه. =

فَإِنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُوجِبَاتِهَا، وَكُلَّمَا كَانَتْ أَقْوَى كَانَ أَصْلُهَا كَذَلِكَ.

٨ تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى" (١٠/ ١٩٢):

وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ.

وَالثَّانِي: يُحِبُّونَهُمْ كَمَا يُحِبُّونَ اللَّهَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥] فَلَمْ يُمْكِنْ أَنْ يُقَالَ: إنَّ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ آلِهَتَهُمْ، كَمَا يَعْبُدُ الْمُوَحِّدُونَ اللَّهَ بَلْ كَمَا يُحِبُّونَ - هُمْ - اللَّهَ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْدِلُونَ آلِهَتَهُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. كَمَا قَالَ: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام:١]، وَقَالَ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ [الشعراء:٩٧]، ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾

= وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٢٨٩٩)، والضياء في "المختارة" (١٧٤٤)، من طريق عبد الله بن الزبير هو الباهلي عن ثابت، عن أنس به. وقد نُسب عبد الله بن الزبير ب(الحميدي) عند الطبراني، والصحيح فيه أنه الباهلي، كما نصَّ على ذلك البيهقي في "شعب الإيمان" (٨٦٣١).

وهذا إسناد ضعيف لضعف في مبارك بن فضالة، الذي في الإسناد الأول، وجهالة عبد الله بن الزبير الباهلي الذي في الإسناد الثاني، ثم إنه قد وهما فيه؛ فالمحفوظ عن ثابت مرسلًا. رجح ذلك الدارقطني في "العلل" (٢٣٦٦).

ووقع في "تاريخ بغداد" (٩/ ٤٤٦) إسناد آخر ظاهره الصحة من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس به.

لكنه وهم من بعض الرواة كما بينه الخطيب رحمه الله.

وله طريق أخرى واهية: أخرجه أبو يعلى، كما في "إتحاف الخيرة المهرة" (٥٤٤١) من طريق أبي إسماعيل العبدي، عن أنس به.

وأبو إسماعيل العبدي، هو أبان بن أبي عياش، وهو متروك.



[الشعراء:٩٨].

وَقَدْ قَالَ: بَعْضُ مَنْ نَصَرَ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ فِي الْجَوَابِ عَنْ حُجَّةِ (الْقَوْلِ الثَّانِي) قَالَ: الْمُفَسِّرُونَ: قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، أَيْ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ.

فَيُقَالُ: لَا، مَا قَالَهُ هَؤُلَاءِ الْمُفَسِّرُونَ مُنَاقِضٌ لِقَوْلِك؛ فَإِنَّك تَقُولُ: إنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْأَنْدَادَ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ. وَهَذَا يُنَاقِضُ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ لِأَرْبَابِهِمْ؛ فَتَبَيَّنَ ضَعْفُ هَذَا الْقَوْلِ، وَثَبَتَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّةِ الْمُشْرِكِينَ لِلَّهِ وَلِآلِهَتِهِمْ؛ لِأَنَّ أُولَئِكَ أَشْرَكُوا فِي الْمَحَبَّةِ، وَالْمُؤْمِنُونَ أَخْلَصُوهَا كُلَّهَا لِلَّهِ.

وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] أُضِيفَ فِيهِ الْمَصْدَرُ إلَى الْمَحْبُوبِ الْمَفْعُولِ، وَحُذِفَ فَاعِلُ الْحُبِّ؛ فَإِمَّا أَنْ يُرَادَ كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ - مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ فَاعِلٍ - فَيَبْقَى عَامًّا فِي حَقِّ الطَّائِفَتَيْنِ، وَهَذَا يُنَاقِضُ قَوْلَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] وَإِمَّا أَنْ يُرَادَ كَحُبِّهِمْ لِلَّهِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ كَمَا يُحِبُّ غَيْرُهُمْ اللَّهِ؛ إذْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا بِخِلَافِ حُبِّهِمْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] فَأَضَافَ الْحُبَّ الْمُشَبَّهَ إلَيْهِمْ فَكَذَلِكَ الْحُبُّ الْمُشَبَّهُ لَهُمْ إذْ كَانَ سِيَاقُ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهِ. إذَا قَالَ: يُحِبُّ زَيْدًا كَحُبِّ عَمْرٍو، أَوْ يُحِبُّ عَلِيًّا كَحُبِّ أَبِي بَكْرٍ، أَوْ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ كَحُبِّ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِهِ، أَوْ قِيلَ: يُحِبُّ الْبَاطِلَ كَحُبِّ الْحَقِّ، أَوْ يُحِبُّ سَمَاعَ الْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ، كَحُبِّ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ الْمَفْهُومُ إلَّا أَنَّهُ هُوَ الْمُحِبُّ لِلْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ، وَأَنَّهُ يُحِبُّ هَذَا كَمَا يُحِبُّ هَذَا، لَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ يُحِبُّ هَذَا كَمَا يُحِبُّ غَيْرُهُ هَذَا؛ إذْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ غَيْرِهِ أَصْلًا.اهـ

٩ مسألة: محبة الله عبادة، وهو ركن العبادات:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٨):

مَحَبَّةُ اللَّهِ بَلْ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ وَأَكْبَرِ أُصُولِهِ وَأَجَلِّ قَوَاعِدِهِ؛ بَلْ هِيَ أَصْلُ كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ كَمَا أَنَّ التَّصْدِيقَ بِهِ أَصْلُ كُلِّ قَوْلٍ مِنْ أَقْوَالِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ؛ فَإِنَّ كُلَّ حَرَكَةٍ فِي الْوُجُودِ إنَّمَا تَصْدُرُ عَنْ مَحَبَّةٍ: إمَّا عَنْ مَحَبَّةٍ مَحْمُودَةٍ أَوْ عَنْ مَحَبَّةٍ مَذْمُومَةٍ كَمَا قَدْ بَسَطْنَا ذَلِكَ فِي (قَاعِدَةِ الْمَحَبَّةِ مِنْ الْقَوَاعِدِ الْكِبَارِ). فَجَمِيعُ الْأَعْمَالِ الْإِيمَانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ لَا تَصْدُرُ إلَّا عَنْ الْمَحَبَّةِ الْمَحْمُودَةِ.

وَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ الْمَحْمُودَةِ هِيَ مَحَبَّةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذْ الْعَمَلُ الصَّادِرُ عَنْ مَحَبَّةٍ مَذْمُومَةٍ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَكُونُ عَمَلًا صَالِحًا، بَلْ جَمِيعُ الْأَعْمَالِ الْإِيمَانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ لَا تَصْدُرُ إلَّا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ**»(١) وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمْ النَّارُ: الْقَارِئُ الْمُرَائِي وَالْمُجَاهِدُ الْمُرَائِي وَالْمُتَصَدِّقُ الْمُرَائِي.

بَلْ إخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ هُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ سِوَاهُ، وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الْأَوَّلِينَ والآخرين مِنْ الرُّسُلِ، وَأَنْزَلَ بِهِ جَمِيعَ الْكُتُبِ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَهَذَا هُوَ خُلَاصَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهُوَ قُطْبُ الْقُرْآنِ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَاهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٨٥)، بلفظ: «تركته وشركه» بدون زيادة: «**فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ**» وهذه الزيادة عند أحمد (٢/ ٣٠١)، وابن ماجه (٤٢٠٢)، وابن خزيمة (٩٣٨)، وابن حبان (٣٩٥)، وإسنادها حسن، على شرط مسلم.

[الزمر:٣]، وَالسُّورَةُ كُلُّهَا عَامَّتُهَا فِي هَذَا الْمَعْنَى. كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١]، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر:١٢]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر:١٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٨] الْآيَةَ. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر:٤٣] ؟ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر:٤٤] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر:٦٤] إِلَى قَوْلِهِ ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر:٦٦].

وَقَالَ تَعَالَى فِيمَا قَصَّهُ مِنْ قِصَّةِ آدَمَ وَإِبْلِيسَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ [القصص:٨٢]، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢].

وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٩٩]، ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١٠٠] فَبَيَّنَ أَنَّ سُلْطَانَ الشَّيْطَانِ وَإِغْوَاءَهُ إِنَّمَا هُوَ لِغَيْرِ الْمُخْلَصِينَ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] وَأَتْبَاعُ الشَّيْطَانِ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء:٤٨].

ثم قال: فَإِذَا كَانَ أَصْلُ الْعَمَلِ الدِّينِيِّ هُوَ إِخْلَاصَ الدِّينِ لِلَّهِ وَهُوَ إِرَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ فَالشَّيْءُ الْمُرَادُ لِنَفْسِهِ هُوَ الْمَحْبُوبُ لِذَاتِهِ، وَهَذَا كَمَالُ الْمَحَبَّةِ لَكِنَّ أَكْثَرَ مَا جَاءَ الْمَطْلُوبُ مُسَمًّى بِاسْمِ الْعِبَادَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:٢١]، وَأَمْثَالُ هَذَا وَالْعِبَادَةُ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْحُبِّ وَنِهَايَتَهُ، وَكَمَالَ الذُّلِّ وَنِهَايَتَهُ؛ فَالْمَحْبُوبُ الَّذِي لَا يُعَظَّمُ، وَلَا يُذَلُّ لَهُ لَا يَكُونُ مَعْبُودًا، وَالْمُعَظَّمُ الَّذِي لَا يُحَبُّ لَا يَكُونُ مَعْبُودًا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا وَإِنْ كَانُوا يُحِبُّونَهُمْ كَمَا يُحِبُّونَ اللَّهَ فَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ مِنْهُمْ لِلَّهِ وَلِأَوْثَانِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَالْحُبُّ يَتْبَعُ الْعِلْمَ، وَلِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلُوا جَمِيعَ حُبِّهِمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَأُولَئِكَ جَعَلُوا بَعْضَ حُبِّهِمْ لِغَيْرِهِ وَأَشْرَكُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْدَادِ فِي الْحُبِّ وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩] .

وَاسْمُ الْمَحَبَّةِ فِيهِ إِطْلَاقٌ وَعُمُومٌ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُحِبُّ اللَّهَ وَيُحِبُّ رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ الْمَحَبَّةُ الَّتِي لِلَّهِ لَا يَسْتَحِقُّهَا غَيْرُهُ؛ وَلِهَذَا جَاءَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَذْكُورَةً بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ الْعِبَادَةِ، وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ، وَالتَّبَتُّلِ لَهُ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَكُلُّ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ تَتَضَمَّنُ مَحَبَّةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ إنَّهُ كَمَا بَيَّنَ أَنَّ مَحَبَّتَهُ أَصْلُ الدِّينِ فَقَدْ بَيَّنَ أَنَّ كَمَالَ الدِّينِ بِكَمَالِهَا وَنَقْصَهُ بِنَقْصِهَا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»(١).

---

(١) **حسن بطرقه:** أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو حديث حسن بشواهده.

فَأَخْبَرَ أَنَّ الْجِهَادَ ذُرْوَةُ سَنَامِ الْعَمَلِ وَهُوَ أَعْلَاهُ وَأَشْرَفُهُ. وَقَدْ قَالَ تَعالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة:١٩] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة:٢٢] وَالنُّصُوصُ فِي فَضَائِلِ الْجِهَادِ وَأَهْلِهِ كَثِيرَةٌ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ أَفْضَلُ مَا تَطَوَّعَ بِهِ الْعَبْدُ. وَالْجِهَادُ دَلِيلُ الْمَحَبَّةِ الْكَامِلَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ الْآيَةَ. وَقَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْمُحِبِّينَ الْمَحْبُوبِينَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فَوَصَفَ الْمَحْبُوبِينَ الْمُحِبِّينَ بِأَنَّهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ وَأَنَّهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْجِهَادِ؛ لِأَنَّ الْمُحِبَّ يُحِبُّ مَا يُحِبُّ مَحْبُوبُهُ، وَيُبْغِضُ مَا يُبْغِضُ مَحْبُوبُهُ وَيُوَالِي مَنْ يُوَالِيهِ وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِيهِ؛ وَيَرْضَى لِرِضَاهُ وَيَغْضَبُ لِغَضَبِهِ، وَيَأْمُرُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ، فَهُوَ مُوَافِقٌ لَهُ فِي ذَلِكَ. وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ يَرْضَى الرَّبُّ لِرِضَاهُمْ وَيَغْضَبُ لِغَضَبِهِمْ؛ إِذْ هُمْ إِنَّمَا يَرْضَوْنَ لِرِضَاهُ، وَيَغْضَبُونَ لِمَا يَغْضَبُ لَهُ.اهـ

١٠ مسألة: الفرق بين الحب في الله والحب مع الله وضابط المحبة الشركية وما دونها؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "الروح" (ص٢٥٣):

وَالْفرق بَين الْحبّ فِي الله، وَالْحب مَعَ الله، وَهَذَا من أهم الفروق، وكل أحد مُحْتَاج بل مُضْطَر إِلَى الْفرق بَين هَذَا وَهَذَا:

فالحب فِي الله هُوَ من كَمَال الْإِيمَان، وَالْحب مَعَ الله هُوَ عين الشّرك وَالْفرق بَينهمَا أَن الْمُحب فِي الْحبّ تَابع لمحبة الله فَإِذا تمكنت محبته من قلب العَبْد

أوجبت تِلْكَ الْمحبَّة ان يحب مَا يُحِبهُ الله فَإِذا أحب مَا أحبه ربه ووليه كَانَ ذَلِك الْحبّ لَهُ وَفِيه كَمَا يحب رسله وأنبياءه وَمَلَائِكَته وأولياءه لكَونه تَعَالَى يُحِبهُمْ وَيبغض من يبغضهم لكَونه تَعَالَى يبغضهم.

وعلامة هَذَا الْحبّ والبغض فِي الله أَنه لَا يَنْقَلِب بغضه لبغيض الله حبا لإحسانه إِلَيْهِ وخدمته لَهُ وَقَضَاء حَوَائِجه وَلَا يَنْقَلِب حبه لحبيب الله بغضا إِذا وصل إِلَيْهِ من جِهَته من يكرههُ ويؤلمه إِمَّا خطأ وَإِمَّا عمدا مُطيعًا لله فِيهِ أَو متأولا أَو مُجْتَهدا أَو بَاغِيا نازعا تَائِبًا وَالدّين كُله يَدُور على أَربع قَوَاعِد حب وبغض وَيَتَرَتَّب عَلَيْهِمَا فعل وَترك فَمن كَانَ حبه وبغضه وَفعله وَتَركه لله فقد اسْتكْمل الْإِيمَان بِحَيْثُ إِذا أحب؛ أحب لله، وَإِذا أبْغض؛ أبْغض لله، وَإِذا فعل؛ فعل لله، وَإِذا ترك؛ ترك لله، وَمَا نقص من أَصْنَافه هَذِه الْأَرْبَعَة؛ نقص من إيمَانه، وَدينه، بِحَسبِهِ، **وَهَذَا بِخِلَاف الْحبّ مَعَ الله فَهُوَ نَوْعَان:**

نوعٌ يقْدَح فِي أصل التَّوْحِيد، وَهُوَ شرك.

وَنَوع يقْدَح فِي كَمَال الْإِخْلَاص ومحبة الله، وَلَا يُخرج من الْإِسْلَام.

فَالأول: كمحبة الْمُشْركين لأوثانهم وأندادهم. قَالَ تَعَالَى ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ** ﴾ وَهَؤُلَاء الْمُشْركُونَ يحبونَ أوثانهم وأصنامهم وآلهتهم مَعَ الله كَمَا يحبونَ الله فَهَذِهِ محبَّة تأله وموالاة يتبعهَا الْخَوْف والرجاء وَالْعِبَادَة وَالدُّعَاء، وَهَذِه الْمحبَّة هِيَ مَحْض الشّرك الَّذِي لَا يغفره الله، وَلَا يتم الْإِيمَان إِلَّا بمعاداة هَذِه الأنداد، وَشدَّة بغضها وبغض أَهلهَا ومعاداتهم ومحاربتهم، وَبِذَلِك أرسل الله جَمِيع رسله، وَأنزل جَمِيع كتبه، وَخلق النَّار لأهل هَذِه الْمحبَّة الشركية، وَخلق الْجنَّة لمن حَارب أَهلهَا، وعاداهم فِيهِ وَفِي مرضاته، فَكل من عبد شَيْئا من لدن عَرْشه إِلَى قَرَار أرضه؛ فقد اتخذ من دون الله إِلَهًا ووليًّا، وأشرك بِهِ كَائِنا ذَلِك المعبود مَا كَانَ، وَلَا بُد أَن يتبرأ مِنْهُ أحوج مَا كَانَ إِلَيْهِ.

وَالنَّوْع الثَّانِي: محبَّة مَا زينه الله للنفوس من النِّسَاء والبنين وَالذَّهَب وَالْفِضَّة وَالْخَيل المسومة والأنعام والحرث فيحبها محبَّة شَهْوَة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للْمَاء.

فَهَذِهِ الْمحبَّة ثَلَاثَة أَنْوَاع؛ فَإِن أحبها لله توصلا بهَا إِلَيْهِ، واستعانة على مرضاته وطاعته أثيب عَلَيْهَا، وَكَانَت من قسم الْحبّ لله توصلا بهَا إِلَيْهِ، ويلتذ بالتمتع بهَا.

وَهَذَا حَاله أكمل الْخلق الَّذِي حبب إِلَيْهِ من الدُّنْيَا النِّسَاء وَالطّيب، وَكَانَت محبته لَهما عونا لَهُ على محبَّة الله، وتبليغ رسَالَته، وَالْقِيَام بِأَمْرِه.

وَإِن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته وَلم يؤثرها على مَا يُحِبهُ الله ويرضاه بل نالها بِحكم الْميل الطبيعي كَانَت من قسم الْمُبَاحَات، وَلم يُعَاقب على ذَلِك، وَلَكِن ينقص من كَمَال محبته لله، والمحبة فِيهِ.

وَإِن كَانَت هِيَ مَقْصُودَة وَمرَاده وسعيه فِي تَحْصِيلهَا وَالظفر بهَا، وقدمها على مَا يُحِبهُ الله ويرضاه مِنْهُ كَانَ ظَالِما لنَفسِهِ مُتبعا لهواه.

فَالْأولى محبَّة السَّابِقين. **وَالثَّانِية** محبَّة الْمُقْتَصِدِينَ. **وَالثَّالِثَة** محبَّة الظَّالِمين.

فَتَأمل هَذَا الْموضع وَمَا فِيهِ من الْجمع وَالْفرق فَإِنَّهُ معترك النَّفس الأمارة، والمطمئنة، وَالْمهْدِي من هداه الله.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله **في "روضة المحبين"** (ص٢٩٣):

فإن المحبة ثلاثة أقسام: محبة الله، والمحبة له وفيه، والمحبة معه.

فالمحبة له وفيه: من تمام محبته وموجباتها لا من قواطعها؛ فإن محبة الحبيب تقتضي محبة ما يحب، ومحبة ما يعين على حبه، ويوصل إلى رضاه وقربه، وكيف لا يحب المؤمن ما يستعين به على مرضاة ربه، ويتوصل به إلى حبه وقربه.

وأما المحبة مع الله فهي المحبة الشركية، وهي كمحبة أهل الأنداد لأندادهم كما قال تعالى ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة:١٦٥] وأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو

الشرك في هذه المحبة؛ فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الرب سبحانه في خلق السموات والأرض، وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله فوالوا عليها، وعادوا عليها وتألهوها، وقالوا: هذه آلهة صغار تقربنا إلى الإله الأعظم؛ ففرق بين محبة الله أصلا والمحبة له تبعا، والمحبة مع الشرك. وعليك بتحقيق هذا الموضع فإنه مفرق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك

ويحكى أن الفضيل دخل على ابنته في مرضها، فقالت له: يا أبت هل تحبني؟ قال: نعم. قالت: لا إله إلا الله، والله ما كنت أظن فيك هذا، ولم أكن أظنك تحب مع الله أحدا، ولكن أفرد الله بالمحبة، واجعل لي منك الرحمة، أي يكون حبك لي حب رحم جعلها الله في قلب الوالد لولده، لا محبة مع الله.

فلله حق من المحبة لا يشركه فيه غيره، وأظلم الظلم وضع تلك المحبة في غير موضعها، والتشريك بين الله وغيره فيها؛ فليتدبر اللبيب هذا الباب؛ فإنه من أنفع أبواب الكتاب إن شاء الله تعالى.اهـ

(١١) مسألة: ما يحب أحد لذاته إلا الله وحده جل وعلا:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله **في «الجواب الكافي» (ص١٩٣):**

وَالْمَحْبُوبُ قِسْمَانِ: مَحْبُوبٌ لِنَفْسِهِ، وَمَحْبُوبٌ لِغَيْرِهِ؛ **وَالْمَحْبُوبُ لِغَيْرِهِ**، لَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَحْبُوبِ لِنَفْسِهِ، دَفْعًا لِلتَّسَلْسُلِ الْمُحَالِ، وَكُلُّ مَا سِوَى الْمَحْبُوبِ الْحَقِّ فَهُوَ مَحْبُوبٌ لِغَيْرِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُحَبُّ لِذَاتِهِ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مِمَّا يُحَبُّ فَإِنَّمَا مَحَبَّتُهُ تَبَعٌ لِمَحَبَّةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كَمَحَبَّةِ مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، فَإِنَّهَا تَبَعٌ لِمَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ مَحَبَّةَ الْمَحْبُوبِ تُوجِبُ مَحَبَّةَ مَا يُحِبُّهُ، وَهَذَا مَوْضِعٌ يَجِبُ الِاعْتِنَاءُ بِهِ، فَإِنَّهُ مَحَلُّ فُرْقَانٍ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ النَّافِعَةِ لِغَيْرِهِ، وَالَّتِي لَا تَنْفَعُ بَلْ قَدْ تَضُرُّ.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُحَبُّ لِذَاتِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ كَمَالُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَإِلَهِيَّتُهُ وَرُبُوبِيَّتُهُ وَغِنَاهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَمَا سِوَاهُ فَإِنَّمَا يُبْغَضُ وَيُكْرَهُ لِمُنَافَاتِهِ مَحَابَّهُ وَمُضَادَّتِهِ لَهَا، وَبُغْضُهُ وَكَرَاهَتُهُ بِحَسَبِ قُوَّةِ هَذِهِ الْمُنَافَاةِ وَضَعْفِهَا، فَمَا كَانَ أَشَدَّ مُنَافَاةً لِمَحَابِّهِ، كَانَ أَشَدَّ كَرَاهَةً مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْإِرَادَاتِ وَغَيْرِهَا، فَهَذَا مِيزَانٌ عَادِلٌ تُوزَنُ بِهِ مُوَافَقَةُ الرَّبِّ وَمُخَالَفَتُهُ وَمُوَالَاتُهُ وَمُعَادَاتُهُ، فَإِذَا رَأَيْنَا شَخْصًا يُحِبُّ مَا يَكْرَهُهُ الرَّبُّ تَعَالَى وَيَكْرَهُ مَا يُحِبُّهُ، عَلِمْنَا أَنَّ فِيهِ مِنْ مُعَادَاتِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، وَإِذَا رَأَيْنَا الشَّخْصَ يُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ الرَّبُّ وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ، وَكُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَحَبَّ إِلَى الرَّبِّ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَآثَرَهُ عِنْدَهُ، وَكُلَّمَا كَانَ أَبْغَضَ إِلَيْهِ كَانَ أَبْغَضَ إِلَيْهِ وَأَبْعَدَ مِنْهُ، عَلِمْنَا أَنَّ فِيهِ مِنْ مُوَالَاةِ الرَّبِّ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

فَتَمَسَّكْ بِهَذَا الْأَصْلِ فِي نَفْسِكَ وَفِي غَيْرِكَ، فَالْوِلَايَةُ عِبَارَةٌ عَنْ مُوَافَقَةِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ فِي مَحَابِّهِ وَمَسَاخِطِهِ، وَلَيْسَتْ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا تَمَزُّقٍ وَلَا رِيَاضَةٍ.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **في «جامع الرسائل» (٢/ ٢٨٧):**

والمحبوبات على قسمَيْنِ: قسم يحب لنَفسِهِ، وَقسم يحب لغيره؛ إِذْ لَا بُد من مَحْبُوب يحب لنفسِهِ، وَلَيْسَ شَيْء شرع أَن يحب لذاته إِلَّا الله تَعَالَى، وَكَذَلِكَ التَّعْظِيم لذاته تَارَة يعظم الشَّيْء لنفسِهِ، وَتارَة يعظم لغيره، وَلَيْسَ شَيْء يسْتَحق التَّعْظِيم لذاته إِلَّا الله تَعَالَى، وكل مَا أَمر الله أَن يحب ويعظم؛ فَإِنَّمَا محبته لله وتعظيمه عبَادَة لله؛ فَالله هُوَ المحبوب الْمُعظم فِي الْمحبَّة والتعظيم، الْمَقْصُود المستقر الَّذِي إِلَيْهِ المنتهي، وَأما مَا سوي ذَلِك؛ فيحب لأجل الله أَي: لأجل محبَّة العَبْد لله؛ يحب مَا أحبه الله فَمن تَمام محبَّة الشَّيْء محبَّة مَحْبُوب المحبوب، وبغض بغيضه، وَيشْهد لهَذَا الحَدِيث «**أوثق عرى الْإِيمَان الْحبّ فِي الله والبغض فِي الله**»[1].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مسنده»، كما في «إتحاف الخيرة المهرة» (٩٣) من حديث البراء بن=

وَفِي "**السّنَن**" «**من أحب لله، وَأبْغض لله، وَأعْطِي لله، وَمنع لله؛ فقد اسْتكْمل الْإِيمَان**»[1]. فَمن أحب شَيْئا لذاته، أَو عظّمه لذاته غير الله؛ فَذَاك شرك بِهِ، وَإِن أحبه ليتوصل بِهِ إِلَى مَحْبُوب آخر، وتعظيم آخر سوى الله؛ فَهُوَ من فروع هَذَا، وَالله سُبْحَانَهُ لم يشرع أَن يعبد الْإِنْسَان شَيْئا من دونه، أَو يتَّخذ إِلَهًا ليتوصل بِعبَادَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف:٤٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [آل عمران:١٥١].

من أحب شَيْئا كَمَا يحب الله أَو عظمه كَمَا يعظم الله فقد أشرك، فَمن أحب شَيْئا كَمَا يحب الله أَو عظمه كَمَا يعظم الله فقد جعله لله ندا وَإِن كَانَ يَقُول إِنَّمَا نعبدهم ليقربونا إِلَى الله زلفي وَأَنَّهُمْ شفعاؤنا عِنْد الله. قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ أَي: يحبونهم كَمَا يحبونَ الله، وَالَّذين آمنُوا أَشد حبا لله مِنْهُم؛ لأَنهم أَخْلصُوا لله؛ فَلم يجْعَلُوا الْمحبَّة مُشْتَركَة بَينه وَبَين غيره؛ فَإِن الِاشْتِرَاك فِيهَا يُوجب نَقصهَا، وَالله لَا يتَقَبَّل ذَلِك كَمَا فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «**يَقُول الله تَعَالَى: أَنا أُغني الشُّركَاء عَن الشّرك فَمن عمل عملا أشرك فِيهِ غَيْرِي فَأَنا مِنْهُ بَرِيء وَهُوَ كُله للَّذي أشرك**»[2].

فالمؤمن الَّذِي يكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا لَا بُد أَن يكون مَا أحبه الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا لم يُحِبهُ الله وَرَسُوله، وَأَن يبغض مَا يبغضه الله وَرَسُوله

= عازب رضي الله عنهما، وأخرجه الطيالسي (٣٧٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهو حديث حسن بطرقه.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامة رضي الله عنه بإسناد حسن.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٨٥)، بلفظ: «تركته وشركه» بدون زيادة: «**فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ**» وهذه الزيادة عند أحمد (٢/ ٣٠١)، وابن ماجه (٤٢٠٢)، وابن خزيمة (٩٣٨)، وابن حبان (٣٩٥)، وإسنادها حسن، على شرط مسلم.

فَلَا يكون ذَلِك البغيض أحب إِلَيْهِ من مَحْبُوب الله وَرَسُوله

وَالْحب التَّام منا مُسْتَلْزم للإرادة التَّامَّة الْمُوجبَة للْفِعْل مَعَ الْقُدْرَة، والبغض التَّام منا مُسْتَلْزم للكراهة التَّامَّة الْمَانِعَة للقدرة، فَإِذا كَانَ العَبْد قَادِرًا على محبات الْحق، وَلَا يَفْعَلهَا فلضعف محبتها فِي قلبه، أَو وجود مَا يُعَارض الْحق مثل محبته لأَهله وَمَاله فَإِن ذَلِك قد يمنعهُ عَن فعل مَحْبُوب الْحق كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

وَقَالَ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يُؤمن أحدكُم حَتَّى أكون أحب إِلَيْهِ من وَلَده ووالده وَالنَّاس أَجْمَعِينَ**»[(١)]. وَقَالَ لَهُ عمر: وَالله يَا رَسُول الله لأَنْت أحب إِلَيّ من كل شَيْء إِلَّا من نَفسِي. فَقَالَ: «**لَا يَا عمر، حَتَّى أكون أحب إِلَيْك من نَفسك**» قَالَ: فَأَنت أحب إِلَيّ من نَفسِي. قَالَ: «**الْآن يَا عمر**»[(٢)]. وَهَذَانِ الحديثان فِي الصَّحِيح.اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه.

﴿١٧﴾ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا مِنْ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخلَ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحْ المَاءَ يَمُرُّ. فَأَبَى عَلَيْهِ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرسِلْ المَاءَ إِلَى جَارِكَ**». فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ. فَتَلَونَ وجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسْ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ**». فَقَالَ الزُّبَيْرُ: واللهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الآية نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥]. متفق عليه[(١)].

﴿١٨﴾ وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ ﷺ فَقَالَ: «**هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟**». قَالُوا نَعَمْ. فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فقَالَ: «**أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ**». قَالَ: لَا، ولَولَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا؛ لَمْ أُخبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، ولَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا؛ فَكُنَّا إِذا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الحَدَّ؛ قُلْنَا: تَعَالَوا؛ فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ والْوضِيعِ؛ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ والْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَولُ مَنْ أَحيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**». فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة:٤١] إِلَى قولِهِ: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة:٤١] يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ؛ فإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ والْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا. فَأَنْزَلَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة:٤٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧).

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة:٤٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة:٤٧] في الكُفَّارِ كُلِّهَا. أخرجه مسلم[١].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديثين

١ مسألة: الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٦):

فَأَمَّا الْكُفْرُ فَنَوْعَانِ: كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَكُفْرٌ أَصْغَرُ.

فَالْكُفْرُ الْأَكْبَرُ هُوَ الْمُوجِبُ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ.

وَالْأَصْغَرُ مُوجِبٌ لِاسْتِحْقَاقِ الْوَعِيدِ دُونَ الْخُلُودِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى - وَكَانَ مِمَّا يُتْلَى فَنُسِخَ لَفْظُهُ - ﴿لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ﴾ وَقَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ «**اثْنَتَانِ فِي أُمَّتِي، هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ**»[٢] وَقَوْلُهُ فِي «**السُّنَنِ**»: «**مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[٣]. وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[٤] وَقَوْلِهِ: «**لَا تَرْجِعُوا بِعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[١] وَهَذَا

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٦٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، والدارمي (١٢٣٩)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٦٧) من طريق حكيم الأثرم، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة به.

وهذا الحديث قد أعل، فإن البخاري يقول في أبي تميمة: لا يعرف له سماع من أبي هريرة. وحكيم الأثرم ثقة، ولكن قال البخاري: لا يتابع على حديثه هذا. وقال البزار: حدث عنه حماد بحديث منكر، يعني هذا الحديث. وذكره ابن عدي في «الكامل».

(٤) **صحيح لغيره**. أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، وأخرجه أيضًا الترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٠١٧)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، وغيرهم من طريق: حَكيم الأثرم، عن أبي تميمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحكيم قد أُنكر عليه هذا الحديث. فضعف الحديثَ البخاري، والنسائي، وأبو علي النيسابوري، وغيرهم كما في «الفتح» (٤٥٢٦).
=

تَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَامَّةِ الصَّحَابَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، بَلْ إِذَا فَعَلَهُ فَهُوَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ[٢]، وَكَذَلِكَ قَالَ طَاوُسٌ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ[١].

= وأبو تميمة قال البخاري: ليس له سماع من أبي هريرة. ولكن للحديث طريق أخرى:

أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨)، والبيهقي (٨/ ١٣٥)، وهو منقطع، من طريق خلاس بن عمرو، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولم يسمع منه.

- وقد جاءت عند الحاكم زيادة (محمد بن سيرين) مقرونًا بـخِلاس بن عمرو، والصواب عدم ذكره؛ لأنَّ الحاكم رواه من طريق: الحارث بن أبي أسامة، وليس لهذه الزيادة ذكرٌ في "مسنده" (٢/ ١٨٧/ ٢) كما في "الإرواء" (٧/ ٦٩)، وأخرجها من طريق: أحمد بن مهران الأصبهاني، وهو رجل زاهد لم يؤثر توثيقه عن أحد، فرواية الإمام أحمد بدون زيادة (ابن سيرين) أرجح، وعليه فهو منقطع.

وله شاهد آخر من حديث جابر عند البزار كما في "كشف الأستار" (٣٠٤٥)، قال: حدثنا عقبة بن سنان، ثنا غسَّان بن مضر، ثنا سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبدالله، عن النبي صلى الله عليه وسلم به. وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات من رجال "التهذيب"؛ إلا عقبة بن سنان فقد ترجم له ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٦/ ٣١١)، ونقل عن أبيه أنه قال: صدوق. وعليه فالحديث يرتقي إلى الصحة مع طريقي حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (١٢١، و١٧٣٩، و١٧٤١، و٤٤٠٣)، ومسلم (٦٥، و٦٦، و١٦٧٩) من حديث جرير بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وأبي بكرة رضي الله عنهم، وانفرد به البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٤٣٤): حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري، ثنا سفيان، عن هشام بن حجير، عن طاوس، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ قال: ليس هو بالكفر الذي يذهبون إليه. وهذا إسنادٌ حسن، رجاله ثقات؛ إلا هشام بن حجير؛ فإنه حسن الحديث.

وأخرجه سعيد بن منصور (٧٤٩) وابن نصر المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٥٦٩) من طريق سفيان، عن هشام به.

وأخرجه الحاكم (٣٢١٩)، والبيهقي (١٥٨٥٤) من طريق علي بن حرب، عن سفيان بن عيينة به، ولفظه: لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ إِنَّهُ لَيْسَ كُفْرًا يَنْقِلُ عَنِ الْمِلَّةِ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة: ٤٤] كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

وأخرجه المروزي (٥٧١) قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أنا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ=

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ الْآيَةَ عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَاحِدًا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ مَرْجُوحٌ، فَإِنَّ نَفْسَ جُحُودِهِ كُفْرٌ، سَوَاءٌ حَكَمَ أَوْ لَمْ يَحْكُمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالَ: وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْحُكْمُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، وَهَذَا تَأْوِيلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيِّ، وَهُوَ أَيْضًا بَعِيدٌ، إِذِ الْوَعِيدُ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ بِالْمُنَزَّلِ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ تَعْطِيلَ الْحُكْمِ بِجَمِيعِهِ وَبِبَعْضِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِمُخَالَفَةِ النَّصِّ، تَعَمُّدًا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ بِهِ وَلَا خَطَأٍ فِي التَّأْوِيلِ، حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنِ الْعُلَمَاءِ عُمُومًا.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَالضَّحَاكِ وَغَيْرِهِمَا، وَهُوَ بَعِيدٌ، وَهُوَ خِلَافُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، فَلَا يُصَارُ إِلَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ يَتَنَاوَلُ الْكُفْرَيْنِ، الْأَصْغَرَ وَالْأَكْبَرَ بِحَسَبِ حَالِ الْحَاكِمِ، فَإِنَّهُ إِنِ اعْتَقَدَ وُجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَعَدَلَ عَنْهُ عِصْيَانًا، مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَصْغَرُ، وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَإِنْ جَهِلَهُ وَأَخْطَأَهُ فَهَذَا مُخْطِئٌ، لَهُ حُكْمُ الْمُخْطِئِينَ.

وَالْقَصْدُ أَنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا مِنْ نَوْعِ الْكُفْرِ الْأَصْغَرِ، فَإِنَّهَا ضِدُّ الشُّكْرِ، الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ، فَالسَّعْيُ إِمَّا شُكْرٌ، وَإِمَّا كُفْرٌ، وَإِمَّا ثَالِثٌ، لَا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

= طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «هُوَ بِهِ كِفْرَة، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ». وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثقات.

وأخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٧١٣) عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، قَالَ: «هِيَ كُفْرٌ»، قَالَ ابْنُ طَاوُسٍ: «وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ»

(١) أخرجه الثوري في "تفسيره" (ص١٠١)، وعنه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢١)، عن ابن جريج، عن عطاء به. وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثقات.

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله في "شرح الطحاوية" (٢/ ٤٤٦):

وَهُنَا أَمْرٌ يَجِبُ أَنْ يُتَفَطَّنَ لَهُ، وَهُوَ: أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْصِيَةً: كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً، وَيَكُونُ كُفْرًا: إِمَّا مَجَازِيًّا، وَإِمَّا كُفْرًا أَصْغَرَ، عَلَى الْقَوْلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ. وَذَلِكَ بِحَسَبِ حَالِ الْحَاكِمِ: فَإِنَّهُ إِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الْحُكْمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، أَوِ اسْتَهَانَ بِهِ مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ -: فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ. وَإِنِ اعْتَقَدَ وُجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَعَلِمَهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَعَدَلَ عَنْهُ مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ، فَهَذَا عَاصٍ، وَيُسَمَّى كَافِرًا كُفْرًا مَجَازِيًّا، أَوْ كُفْرًا أَصْغَرَ. وَإِنْ جَهِلَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهَا، مَعَ بَذْلِ جُهْدِهِ وَاسْتِفْرَاغِ وُسْعِهِ فِي مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ وَأَخْطَأَهُ، فَهَذَا مُخْطِئٌ، لَهُ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ، وَخَطَؤُهُ مَغْفُورٌ.اهـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "منهاج السنة" (٥/ ١٣٠):

وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ وُجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، فَمَنِ اسْتَحَلَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَرَاهُ هُوَ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعٍ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تَأْمُرُ بِالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَدْلُ فِي دِينِهَا مَا رَآهُ أَكَابِرُهُمْ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ يَحْكُمُونَ بِعَادَاتِهِمُ الَّتِي لَمْ يُنْزِلْهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَسَوَالِفِ الْبَادِيَةِ، وَكَأَوَامِرِ الْمُطَاعِينَ فِيهِمْ، وَيَرَوْنَ أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي الْحُكْمُ بِهِ دُونَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَسْلَمُوا، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا لَا يَحْكُمُونَ إِلَّا بِالْعَادَاتِ الْجَارِيَةِ لَهُمُ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا الْمُطَاعُونَ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا عَرَفُوا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْحُكْمُ إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَلَمْ يَلْتَزِمُوا ذَلِكَ، بَلِ اسْتَحَلُّوا أَنْ يَحْكُمُوا بِخِلَافِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُمْ كُفَّارٌ، وَإِلَّا كَانُوا جُهَّالًا، كَمَنْ تَقَدَّمَ أَمْرُهُمْ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ إِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ أَنْ يَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ تَحْكِيمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ؛ فَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُلْتَزِمًا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، لَكِنْ عَصَى وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْعُصَاةِ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا يَحْتَجُّ بِهَا الْخَوَارِجُ عَلَى تَكْفِيرِ وُلَاةِ الْأَمْرِ الَّذِينَ لَا يَحْكُمُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، ثُمَّ يَزْعُمُونَ أَنَّ اعْتِقَادَهُمْ هُوَ حُكْمُ اللَّهِ. وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ بِمَا يَطُولُ ذِكْرُهُ هُنَا، وَمَا ذَكَرْتُهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْآيَةِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْحُكْمَ بِالْعَدْلِ وَاجِبٌ مُطْلَقًا، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ وَلِكُلِّ أَحَدٍ، وَالْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ عَدْلٌ خَاصٌّ، وَهُوَ أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْعَدْلِ وَأَحْسَنُهَا، وَالْحُكْمُ بِهِ وَاجِبٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكُلِّ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ فِي كُلِّ مَا تَنَازَعَتْ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الِاعْتِقَادِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ.اهـ

قال الإمام ابن باز رحمه الله كما في "مجموع فتاواه" (٢/ ٣٢٦):

أما الدارسون للقوانين والقائمون بتدريسها فهم أقسام:

القسم الأول: من درسها أو تولى تدريسها؛ ليعرف حقيقتها أو ليعرف فضل أحكام الشريعة عليها، أو ليستفيد منها فيما لا يخالف الشرع المطهر، أو ليفيد غيره في ذلك، فهذا لا حرج عليه فيما يظهر لي من الشرع، بل قد يكون مأجورا ومشكورا إذا أراد بيان عيوبها، وإظهار فضل أحكام الشريعة عليها، والصلاة خلف هذا القسم لا شك في صحتها، وأصحاب هذا القسم حكمهم حكم من درس أحكام

الربا، وأنواع الخمر، وأنواع القمار، ونحوها كالعقائد الفاسدة، أو تولى تدريسها ليعرفها ويعرف حكم الله فيها ويفيد غيره، مع إيمانه بتحريمها، وليس حكمه حكم من تعلم السحر أو علمه غيره؛ لأن السحر محرم لذاته لما فيه من الشرك وعبادة الجن من دون الله، فالذي يتعلمه أو يعلمه غيره لا يتوصل إليه إلا بذلك أي بالشرك بخلاف من يتعلم القوانين ويعلمها غيره لا للحكم بها، ولا باعتقاد حلها، ولكن لغرض مباح أو شرعي كما تقدم.

القسم الثاني: من يدرس القوانين أو يتولى تدريسها؛ ليحكم بها أو ليعين غيره على ذلك مع إيمانه بتحريم الحكم بغير ما أنزل الله، ولكن حمله الهوى أو حب المال على ذلك. فأصحاب هذا القسم لا شك فساق، وفيهم كفر وظلم وفسق، لكنه كفر أصغر وظلم أصغر وفسق أصغر لا يخرجون به من دائرة الإسلام، وهذا القول هو المعروف بين أهل العلم، وهو قول ابن عباس وطاوس وعطاء ومجاهد، وجمع من السلف والخلف كما ذكر الحافظ ابن كثير والبغوي والقرطبي وغيرهم، وذكر معناه الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب "**الصلاة**" وللشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله رسالة جيدة في هذه المسألة مطبوعة في المجلد الثالث من مجموعة (الرسائل الأولى).

ولا شك أن أصحاب هذا القسم على خطر عظيم، ويخشى عليهم من الوقوع في الردة، أما صحة الصلاة خلفهم وأمثالهم من الفساق ففيها خلاف مشهور، والأظهر من الأدلة الشرعية صحتها خلف جميع الفساق الذين لم يصل فسقهم إلى حد الكفر الأكبر، وهو قول جم غفير من أهل العلم واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

القسم الثالث: من يدرس القوانين، أو يتولى تدريسها مستحلا للحكم بها، سواء اعتقد أن الشريعة أفضل، أم لم يعتقد ذلك؛ فهذا القسم كافر بإجماع المسلمين كفرا أكبر؛ لأنه باستحلاله الحكم بالقوانين الوضعية المخالفة لشريعة الله يكون

مستحلا لما علم من الدين بالضرورة أنه محرم فيكون في حكم من استحل الزنا والخمر ونحوهما، ولأنه بهذا الاستحلال يكون قد كذب الله ورسوله، وعاند الكتاب والسنة، وقد أجمع علماء الإسلام على كفر من استحل ما حرمه الله أو حرم ما أحله الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومن تأمل كلام العلماء في جميع المذاهب الأربعة في باب حكم المرتد اتضح له ما ذكرنا .

ولا شك أن الطلبة الذين يدرسون بعض القوانين الوضعية، أو المدخل إليها في معهد القضاء أو في معهد الإدارة لا يقصدون بذلك أن يحكموا بما خالف شرع الله منها، وإنما أرادوا أو أريد منهم أن يعرفوها ويقارنوا بينها وبين أحكام الشريعة الإسلامية ليعرفوا بذلك فضل أحكام الشريعة على أحكام القوانين الوضعية، وقد يستفيدون من هذه الدراسة فوائد أخرى تعينهم على المزيد من التفقه في الشريعة والاطمئنان إلى عدالتها .

ولو فرضنا أنه قد يوجد من بينهم من يقصد بتعلمها الحكم بها بدلا من الشريعة الإسلامية ويستبيح ذلك، لم يجز أن يحكم على الباقين بحكمه؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤] ويقول النبي ﷺ: «**لا يجني جان إلا على نفسه**»[(١)].

وبما ذكرنا يتضح أن القدح في إمامة الطلبة المذكورين والحكم بعدم صحة الصلاة خلفهم أمر لا تقره الشريعة، ولا يقره أهل العلم، وليس له أصل يرجع إليه.اهـ

وقال رحمه الله كما في "مجموع فتاواه" (٥/ ٣٥٥):

من حكم بغير ما أنزل الله، وهو يعلم أنه يجب عليه الحكم بما أنزل الله، وأنه خالف الشرع، ولكن استباح هذا الأمر، ورأى أنه لا حرج عليه في ذلك، وأنه يجوز

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٦٤)، وابن أبي شيبة (٣٧١٦٢) من حديث عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه وهو حديث صحيح بشواهده.

له أن يحكم بغير شريعة الله؛ فهو كافر كفرا أكبر عند جميع العلماء؛ كالحكم بالقوانين الوضعية التي وضعها الرجال من النصارى، أو اليهود، أو غيرهم ممن زعم أنه يجوز الحكم بها، أو زعم أنها أفضل من حكم الله، أو زعم أنها تساوي حكم الله، وأن الإنسان مخير إن شاء حكم بالقرآن والسنة، وإن شاء حكم بالقوانين الوضعية ... من اعتقد هذا كفر بإجماع العلماء كما تقدم .

وأما من حكم بغير ما أنزل الله لهوى أو لحظ عاجل، وهو يعلم أنه عاص لله ولرسوله، وأنه فعل منكرا عظيما، وأن الواجب عليه الحكم بشرع الله؛ فإنه لا يكفر بذلك الكفر الأكبر، لكنه قد أتى منكرا عظيما ومعصية كبيرة وكفرا أصغر، كما قال ذلك ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أهل العلم، وقد ارتكب بذلك كفرا دون كفر، وظلما دون ظلم، وفسقا دون فسق، وليس هو الكفر الأكبر، وهذا قول أهل السنة والجماعة، وقد قال الله سبحانه: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة:٤٧]، وقال عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

وقال عز وجل: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾ [المائدة:٥٠]، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمًا لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠]، فحكم الله هو أحسن الأحكام، وهو الواجب الاتباع، وبه صلاح الأمة وسعادتها في العاجل والآجل وصلاح العالم كله، ولكن أكثر الخلق في غفلة عن هذا. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .اهـ

٢ حكم المضطر للتحاكم إلى القوانين الوضعية

في "مجموع فتاوى" الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ **(٢٣/ ٢١٤) ما نصه:**

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم هـ . ع. م. سلمه الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأشير إلى استفتائك المقيد بإدارة البحوث العلمية والإفتاء برقم (٢١٥١) وتاريخ (٦\٦\١٤٠٧هـ) الذي تسأل فيه عن حكم المتحاكم إلى من يحكم بالقوانين الوضعية إذا كانت المحاكم في بلده كلها تحكم بالقوانين الوضعية ولا يستطيع الوصول إلى حقه إلا إذا تحاكم إليها هل يكون كافرا .

وأفيدك: بأنه إذا اضطر إلى ذلك لا يكون كافرا، ولكن ليس له أن يتحاكم إليهم إلا عند الضرورة؛ إذا لم يتيسر له الحصول على حقه إلا بذلك، وليس له أن يأخذ خلاف ما يحله الشرع المطهر.

وفق الله الجميع لما فيه رضاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣ مسألة: المعارضة للنصوص الشرعية بتقديم العقل والقياس والذوق والوجد والسياسات؟

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ **في "مدارج السالكين" (٢/ ٦٨):**

وَالِاعْتِرَاضُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ سَارِيَةٌ فِي النَّاسِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهَا.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: الِاعْتِرَاضُ عَلَى أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِالشُّبَهِ الْبَاطِلَةِ، الَّتِي يُسَمِّيهَا أَرْبَابُهَا قَوَاطِعَ عَقْلِيَّةً. وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ خَيَالَاتٌ جَهْلِيَّةٌ، وَمُحَالَاتٌ ذِهْنِيَّةٌ، اعْتَرَضُوا بِهَا عَلَى أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَحَكَمُوا بِهَا عَلَيْهِ.

وَنَفَوْا لِأَجَلِّهَا مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ. وَأَثْبَتُوا مَا نَفَاهُ، وَوَالَوْا بِهَا أَعْدَاءَهُ. وَعَادَوْا بِهَا أَوْلِيَاءَهُ. وَحَرَّفُوا بِهَا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. وَنَسُوا بِهَا نَصِيبًا كَثِيرًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَتَقَطَّعُوا لَهَا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ.

وَالْعَاصِمُ مِنْ هَذَا الِاعْتِرَاضِ التَّسْلِيمُ الْمَحْضُ لِلْوَحْيِ. فَإِذَا سَلَّمَ الْقَلْبُ لَهُ رَأَى صِحَّةَ مَا جَاءَ بِهِ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ. فَاجْتَمَعَ لَهُ السَّمْعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ. وَهَذَا أَكْمَلُ الْإِيمَانِ. لَيْسَ كَمَنِ الْحَرْبُ قَائِمٌ بَيْنَ سَمْعِهِ وَعَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: الِاعْتِرَاضُ عَلَى شَرْعِهِ وَأَمْرِهِ. وَأَهْلُ هَذَا الِاعْتِرَاضِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: الْمُعْتَرِضُونَ عَلَيْهِ بِآرَائِهِمْ وَأَقْيِسَتِهِمْ، الْمُتَضَمِّنَةِ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَحْرِيمَ مَا أَبَاحَهُ، وَإِسْقَاطَ مَا أَوْجَبَهُ، وَإِيجَابَ مَا أَسْقَطَهُ، وَإِبْطَالَ مَا صَحَّحَهُ، وَتَصْحِيحَ مَا أَبْطَلَهُ، وَاعْتِبَارَ مَا أَلْغَاهُ، وَإِلْغَاءَ مَا اعْتَبَرَهُ، وَتَقْيِيدَ مَا أَطْلَقَهُ، وَإِطْلَاقَ مَا قَيَّدَهُ.

وَهَذِهِ هِيَ الْآرَاءُ وَالْأَقْيِسَةُ الَّتِي اتَّفَقَ السَّلَفُ قَاطِبَةً عَلَى ذَمِّهَا، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا. وَصَاحُوا عَلَى أَصْحَابِهَا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ. وَحَذَّرُوا مِنْهُمْ، وَنَفَرُوا عَنْهُمْ.

النَّوْعُ الثَّانِي: الِاعْتِرَاضُ عَلَى حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالشَّرْعِ بِالْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِيدِ وَالْخَيَالَاتِ، وَالْكُشُوفَاتِ الْبَاطِلَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ، الْمُتَضَمِّنَةِ شَرْعَ دِينٍ لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، وَإِبْطَالَ دِينِهِ الَّذِي شَرَعَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَالتَّعَوُّضَ عَنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ بِخُدَعِ الشَّيْطَانِ وَحُظُوظِ النُّفُوسِ الْجَاهِلَةِ.

وَالْعَجَبُ أَنَّ أَرْبَابَهَا يُنْكِرُونَ عَلَى أَهْلِ الْحُظُوظِ. وَكُلُّ مَا هُمْ فِيهِ فَحَظٌّ، وَلَكِنَّ حَظَّهُمْ مُتَضَمِّنٌ مُخَالَفَةَ مُرَادِ اللَّهِ، وَالْإِعْرَاضَ عَنْ دِينِهِ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ. فَأَيْنَ هَذَا مِنْ حُظُوظِ أَصْحَابِ الشَّهَوَاتِ، الْمُعْتَرِفِينَ بِذَمِّهَا، الْمُسْتَغْفِرِينَ مِنْهَا، الْمُقِرِّينَ بِنَقْصِهِمْ وَعَيْبِهِمْ، وَأَنَّهَا مُنَافِيَةٌ لِلدِّينِ؟

وَهَؤُلَاءِ فِي حُظُوظٍ اتَّخَذُوهَا دِينًا، وَقَدَّمُوهَا عَلَى شَرْعِ اللَّهِ وَدِينِهِ. وَاغْتَالُوا بِهَا الْقُلُوبَ. وَاقْتَطَعُوهَا عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ. فَتَوَلَّدَ مِنْ مَعْقُولِ أُولَئِكَ، وَآرَاءِ الْآخَرِينَ

وَأَقْيِسَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ، وَأَذْوَاقِ هَؤُلَاءِ خَرَابُ الْعَالَمِ، وَفَسَادُ الْوُجُودِ، وَهَدْمُ قَوَاعِدِ الدِّينِ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ وَكَادَ؛ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ ضَمِنَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَقُومُ بِهِ مَنْ يَحْفَظُهُ، وَيُبَيِّنُ مَعَالِمَهُ، وَيَحْمِيهِ مِنْ كَيْدِ مَنْ يَكِيدُ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: الِاعْتِرَاضُ عَلَى ذَلِكَ بِالسِّيَاسَاتِ الْجَائِرَةِ، الَّتِي لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ الَّتِي قَدَّمُوهَا عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَحَكَمُوا بِهَا بَيْنَ عِبَادِهِ، وَعَطَّلُوا لَهَا وَبِهَا شَرْعَهُ وَعَدْلَهُ وَحُدُودَهُ.

فَقَالَ الْأَوَّلُونَ: إِذَا تَعَارَضَ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ أَيُّهُمَا يُقَدَّمُ؟ : قَدَّمْنَا الْعَقْلَ.

وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِذَا تَعَارَضَ الْأَثَرُ وَالْقِيَاسُ: قَدَّمْنَا الْقِيَاسَ.

وَقَالَ أَصْحَابُ الذَّوْقِ وَالْكَشْفِ وَالْوَجْدِ: إِذَا تَعَارَضَ الذَّوْقُ وَالْوَجْدُ وَالْكَشْفُ وَظَاهِرُ الشَّرْعِ: قَدَّمْنَا الذَّوْقَ وَالْوَجْدَ وَالْكَشْفَ.

وَقَالَ أَصْحَابُ السِّيَاسَةِ: إِذَا تَعَارَضَتِ السِّيَاسَةُ وَالشَّرْعُ، قَدَّمْنَا السِّيَاسَةَ.

فَجَعَلَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ قُبَالَةَ دِينِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ طَاغُوتًا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ.

فَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَكُمُ النَّقْلُ وَلَنَا الْعَقْلُ. وَالْآخَرُونَ يَقُولُونَ: أَنْتُمْ أَصْحَابُ آثَارٍ وَأَخْبَارٍ، وَنَحْنُ أَصْحَابُ أَقْيِسَةٍ وَآرَاءٍ وَأَفْكَارٍ. وَأُولَئِكَ يَقُولُونَ: أَنْتُمْ أَرْبَابُ الظَّاهِرِ، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَقَائِقِ. وَالْآخَرُونَ يَقُولُونَ: لَكُمُ الشَّرْعُ وَلَنَا السِّيَاسَةُ. فَيَا لَهَا مِنْ بَلِيَّةٍ، عَمَّتْ فَأَعْمَتْ، وَرَزِيَّةٍ رَمَتْ فَأَصَمَّتْ، وَفِتْنَةٍ دَعَتِ الْقُلُوبَ فَأَجَابَهَا كُلُّ قَلْبٍ مَفْتُونٍ، وَأَهْوِيَةٍ عَصَفَتْ. فَصُمَّتْ مِنْهَا الْآذَانُ، وَعَمِيَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ. عُطِّلَتْ لَهَا - وَاللَّهِ - مَعَالِمُ الْأَحْكَامِ. كَمَا نُفِيَتْ لَهَا صِفَاتُ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. وَاسْتَنَدَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى ظُلْمٍ وَظُلُمَاتِ آرَائِهِمْ، وَحَكَمُوا عَلَى اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ بِمَقَالَاتِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَأَهْوَائِهِمْ. وَصَارَ لِأَجْلِهَا الْوَحْيُ عُرْضَةً لِكُلِّ تَحْرِيفٍ وَتَأْوِيلٍ، وَالدِّينُ وَقْفًا عَلَى كُلِّ إِفْسَادٍ وَتَبْدِيلٍ.

النَّوْعُ الثالث: الِاعْتِرَاضُ عَلَى أَفْعَالِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. وَهَذَا اعْتِرَاضُ الْجُهَّالِ. وَهُوَ مَا بَيْنَ جَلِيٍّ وَخَفِيٍّ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَى.

وَهُوَ سَارٍ فِي النُّفُوسِ سَرَيَانَ الْحُمَّى فِي بَدَنِ الْمَحْمُوم. وَلَوْ تَأَمَّلَ الْعَبْدُ كَلَامَهُ وَأُمْنِيَتَهُ وَإِرَادَتَهُ وَأَحْوَالَهُ، لَرَأَى ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ عِيَانًا، فَكُلُّ نَفْسٍ مُعْتَرِضَةٍ عَلَى قَدَرِ اللَّهِ وَقَسْمِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِلَّا نَفْسًا قَدِ اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ، وَعَرَفَتْهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي يُمْكِنُ وُصُولُ الْبَشَرِ إِلَيْهَا. فَتِلْكَ حَظُّهَا التَّسْلِيمُ وَالِانْقِيَادُ. وَالرِّضَا كُلُّ الرِّضَاءِ.اهـ

فائدة للإمام ابن القيم رحمه الله في بيان حقيقة الشرك بالله

قال رحمه الله كما في «الجواب الكافي» (١/ ٩٤):

حَقِيقَةُ الشِّرْكِ: هُوَ التَّشَبُّهُ بِالْخَالِقِ، وَتَشْبِيهُ الْمَخْلُوقِ بِهِ، هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ فِي الْحَقِيقَةِ، لَا إِثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ، ﷺ؛ فَعَكَسَ الْأَمْرَ مَنْ نَكَسَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَأَعْمَى بَصِيرَتَهُ، وَأَرْكَسَهُ بِكَسْبِهِ، وَجَعَلَ التَّوْحِيدَ تَشْبِيهًا، وَالتَّشْبِيهَ تَعْظِيمًا وَطَاعَةً، فَالْمُشْرِكُ مُشَبِّهٌ لِلْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ فِي خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ.

فَإِنَّ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ التَّفَرُّدَ بِمِلْكِ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ تَعْلِيقَ الدُّعَاءِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ بِهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ عَلَّقَ ذَلِكَ بِمَخْلُوقٍ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِالْخَالِقِ، وَجَعَلَ مَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ شَبِيهًا بِمَنْ لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَأَزِمَّةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدَيْهِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، بَلْ إِذَا فَتَحَ لِعَبْدِهِ بَابَ رَحْمَتِهِ لَمْ يُمْسِكْهَا أَحَدٌ، وَإِنْ أَمْسَكَهَا عَنْهُ لَمْ يُرْسِلْهَا إِلَيْهِ أَحَدٌ.

فَمِنْ أَقْبَحِ التَّشْبِيهِ: تَشْبِيهُ هَذَا الْعَاجِزِ الْفَقِيرِ بِالذَّاتِ بِالْقَادِرِ الْغَنِيِّ بِالذَّاتِ.

وَمِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ: الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ الَّذِي لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا لَهُ وَحْدَهُ، وَالتَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ وَالْخَشْيَةُ وَالدُّعَاءُ وَالرَّجَاءُ وَالْإِنَابَةُ وَالتَّوْبَةُ وَالتَّوَكُّلُ وَالِاسْتِعَانَةُ، وَغَايَةُ الذُّلِّ مَعَ غَايَةِ الْحُبِّ - كُلُّ ذَلِكَ يَجِبُ عَقْلًا وَشَرْعًا وَفِطْرَةً أَنْ يَكُونَ لَهُ وَحْدَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَقْلًا وَشَرْعًا وَفِطْرَةً أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ، فَمَنْ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَ ذَلِكَ الْغَيْرَ بِمَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ وَلَا نِدَّ لَهُ، وَذَلِكَ أَقْبَحُ التَّشْبِيهِ وَأَبْطَلُهُ، وَلِشِدَّةِ

قُبْحِهِ وَتَضَمُّنِهِ غَايَةَ الظُّلْمِ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، مَعَ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ.

وَمِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ: الْعُبُودِيَّةُ الَّتِي قَامَتْ عَلَى سَاقَيْنِ لَا قِوَامَ لَهَا بِدُونِهِمَا: غَايَةِ الْحُبِّ، مَعَ غَايَةِ الذُّلِّ. هَذَا تَمَامُ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَفَاوُتُ مَنَازِلِ الْخَلْقِ فِيهَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمْ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ.

فَمَنْ أَعْطَى حُبَّهُ وَذُلَّهُ وَخُضُوعَهُ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ فِي خَالِصِ حَقِّهِ، وَهَذَا مِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَجِيءَ بِهِ شَرِيعَةٌ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَقُبْحُهُ مُسْتَقِرٌّ فِي كُلِّ فِطْرَةٍ وَعَقْلٍ، وَلَكِنْ غَيَّرَتِ الشَّيَاطِينُ فِطَرَ الْخَلْقِ وَعُقُولَهُمْ وَأَفْسَدَتْهَا عَلَيْهِمْ، وَاجْتَالَتْهُمْ عَنْهَا، وَمَضَى عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ بِمَا يُوَافِقُ فِطَرَهُمْ وَعُقُولَهُمْ، فَازْدَادُوا بِذَلِكَ نُورًا عَلَى نُورٍ، ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥].

إِذَا عُرِفَ هَذَا فَمِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ السُّجُودُ، فَمَنْ سَجَدَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَ الْمَخْلُوقَ بِهِ.

وَمِنْهَا: التَّوَكُّلُ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى غَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ.

وَمِنْهَا: التَّوْبَةُ، فَمَنْ تَابَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ.

وَمِنْهَا: الْحَلِفُ بِاسْمِهِ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا لَهُ، فَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ، هَذَا فِي جَانِبِ التَّشْبِيهِ.

وَأَمَّا فِي جَانِبِ التَّشَبُّهِ بِهِ: فَمَنْ تَعَاظَمَ وَتَكَبَّرَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى إِطْرَائِهِ فِي الْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْخُضُوعِ وَالرَّجَاءِ، وَتَعْلِيقِ الْقَلْبِ بِهِ خَوْفًا وَرَجَاءً وَالْتِجَاءً وَاسْتِعَانَةً، فَقَدْ تَشَبَّهَ بِاللَّهِ وَنَازَعَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُهِينَهُ غَايَةَ الْهَوَانِ، وَيُذِلَّهُ غَايَةَ الذُّلِّ، وَيَجْعَلَهُ تَحْتَ أَقْدَامِ خَلْقِهِ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْعَظَمَةُ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**»[١].

وَإِذَا كَانَ الْمُصَوِّرُ الَّذِي يَصْنَعُ الصُّورَةَ بِيَدِهِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَشَبُّهِهِ بِاللَّهِ فِي مُجَرَّدِ الصُّورَةِ، فَمَا الظَّنُّ بِالتَّشَبُّهِ بِاللَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ؟

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ، يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»[٢].

وَفِي "**الصَّحِيحَيْنِ**" عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، فَلْيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»[٣]، فَنَبَّهَ بِالذَّرَّةِ وَالشَّعِيرَةِ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَكْبَرُ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ هَذَا حَالُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي صَنْعَةِ صُورَةٍ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي خَوَاصِّ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ؟ وَكَذَلِكَ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي الِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَلِكِ الْمُلُوكِ، وَحَاكِمِ الْحُكَّامِ، وَنَحْوِهِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ أَخْنَعَ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِشَاهَانْ شَاهْ - أَيْ مَلِكِ الْمُلُوكِ - لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ**»[٤] وَفِي لَفْظٍ: «**أَغِيظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ**»[٥].

فَهَذَا مَقْتُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ عَلَى مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي الِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَاكِمُ الْحُكَّامِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَى الْحُكَّامِ كُلِّهِمْ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، لَا غَيْرُهُ.اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠)، وأحمد (٧٣٨٢)، وأبو داود (٤٠٩٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وغيرهم بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢١٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فصل في ذكر نواقض الإسلام

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في "نواقض الإسلام":

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢] ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكّل عليهم كَفَرَ إجماعًا.

الثالث: مَن لم يُكفّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كَفَرَ.

الرابع: مَن اعتقد أن غير هدْي النبي ﷺ أكملُ مِن هديه، أو أن حُكْمَ غيرِه أحسنُ من حكمه، كالذي يفضِّل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافِرٌ.

الخامس: مَن أبْغَضَ شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عَمِل به كَفَرَ.

السادس: مَن استهزأ بشيء مِن دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله، أو عقابه، كَفَرَ.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾.

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [البقرة:١٠٢].

الثامن: مُظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسِع الخَضِر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المُكْرَه، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، ومِن أكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.اهـ

قال القاضي عياض في "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (٢ / ١٠٧١):

ولهذا نكفِّر كل من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحَّح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك.اهـ

قال الإمام ابن باز رحمه الله كما في "مجموع فتاواه" (٨/ ١٣):

والقوادح قسمان:

قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها، فيكون صاحبه كافرا، نعوذ بالله .

وقسم ينقص هذه العقيدة ويضعفها .

فالأول: يسمى: ناقضا، وهو: الذي يبطلها ويفسدها، ويكون صاحبه كافرًا مرتدًا عن الإسلام، وهذا النوع هو: القوادح المكفرة:

وهي نواقض الإسلام، وهي الموجبة للردة، هذه تسمى: نواقض .

والناقض: يكون قولا، ويكون عملا، ويكون اعتقادا، ويكون شكا. فقد يرتد الإنسان بقول يقوله، أو بعمل يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشك يطرأ عليه، هذه الأمور الأربعة كلها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذكرها أهل العلم في كتبهم وسموا بابها: (باب حكم المرتد)، فكل مذهب من مذاهب العلماء، وكل فقيه من الفقهاء ألف كتبا -في الغالب- عندما يذكر الحدود يذكر (باب حكم المرتد): وهو الذي يكفر بعد الإسلام، ويسمى هذا: مرتدا، يعني: أنه رجع عن دين الله وارتد عنه، قال فيه النبي ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» خرجه البخاري في الصحيح[١].

وفي "**الصحيحين**": «**أن النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري إلى اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل ا ما فلما قدم عليه قال: انزل. وألقى له وسادة، وإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهوديا، فأسلم، ثم راجع دينه -دين السوء- فتهود. فقال معاذ: لا أنزل حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، فقال: انزل. قال: لا أنزل حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات، فأمر به أبو موسى رضي الله عنه فقتل**»[٢].

فدل ذلك على أن المرتد عن الإسلام يقتل، إذا لم يتب، يستتاب فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن لم يرجع وأصر على كفره وضلاله يقتل، ويعجل به إلى النار؛ لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

فالنواقض التي تنقض الإسلام كثيرة، منها:

الردة بالقول: مثل: سب الله، هذا قول ينقض الدين، وهكذا سب الرسول ﷺ، يعني: اللعن والسب لله ولرسوله، أو العيب والتنقص، مثل أن يقول: إن الله ظالم، إن الله بخيل، إن الله فقير، إن الله جل وعلا لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، كل هذه الأقوال وأشباهها سب وردة عن الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٣)، ومسلم (١٧٣٣).

فمن انتقص الله أو سبه أو عابه بشيء فهو كافر مرتد عن الإسلام - نعوذ بالله من ذلك - وهذه ردة قولية، إذا سب الله أو استهزأ به أو تنقصه أو وصفه بأمر لا يليق، كما تقول اليهود: إن الله بخيل، إن الله فقير ونحن أغنياء، وهكذا لو قال: إن الله لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، أو نفى صفات الله ولم يؤمن بها، فهذا يكون مرتدا بأقواله السيئة .

أو قال مثلا: إن الله لم يوجب علينا الصلاة، فهذه ردة عن الإسلام، فمن قال: إن الله لم يوجب الصلاة فقد ارتد عن الإسلام بإجماع المسلمين، إلا إذا كان جاهلا بعيدا عن المسلمين لا يعرف، فيعلم، فإن أصر كفر، وأما إذا كان بين المسلمين، ويعرف أمور الدين، ثم قال: ليست الصلاة بواجبة. فهذه ردة، يستتاب منها، فإن تاب وإلا قتل، أو قال: الزكاة غير واجبة على الناس، أو قال: صوم رمضان غير واجب على الناس، أو الحج مع الاستطاعة غير واجب على الناس، من قال هذه المقالات كفر إجماعا، ويستتاب فإن تاب وإلا قتل - نعوذ بالله من ذلك - وهذه الأمور ردة قولية .

ومنها : الردة بالفعل :

والردة الفعلية مثل: ترك الصلاة، فكونه لا يصلي وإن قال: إنها واجبة - لكن لا يصلي - هذه ردة على الأصح من أقوال العلماء؛ لقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[1] رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بإسناد صحيح، وقوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». أخرجه مسلم في صحيحه[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩) عن بريدة رضي الله عنه، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢).

وقال عبد الله بن شقيق العقيلي - التابعي المتفق على جلالة قدره رحمه الله: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذي، وإسناده صحيح. وهذه ردة فعلية، وهي ترك الصلاة عمدًا.

ومن ذلك: لو استهان بالمصحف الشريف، وقعد عليه مستهينا به، أو لطخه بالنجاسة عمدًا، أو وطأه بقدمه يستهين به، فإنه يرتد بذلك عن الإسلام.

ومن الردة الفعلية: كونه يطوف بالقبور يتقرب لأهلها بذلك، أو يصلي لهم أو للجن، وهذه ردة فعلية. أما دعاؤه لهم والاستعانة بهم والنذر لهم: فردة قولية.

أما من طاف بالقبور، يقصد بذلك عبادة الله، فهو بدعة قادحة في الدين، ووسيلة من وسائل الشرك، ولا يكون ردة، إنما يكون بدعة قادحة في الدين إذا لم يقصد التقرب إليهم بذلك، وإنما فعل ذلك تقربا إلى الله سبحانه جهلا منه.

ومن الكفر الفعلي: كونه يذبح لغير الله، ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقربا إليهم يعبدهم بها، أو للجن يعبدهم بها، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك، وهذا مما أهل به لغير الله، فيكون ميتة، ويكون كفرا أكبر، نسأل الله العافية من ذلك، هذه كلها من أنواع الردة والنواقض عن الإسلام الفعلية.

ومنها: الردة بالاعتقاد:

ومن أنواع الردة العقدية التي يعتقدها بقلبه، وإن لم يتكلم بها ولم يفعل، بل بقلبه يعتقد: إذا اعتقد بقلبه أن الله جل وعلا فقير، أو أنه بخيل، أو أنه ظالم، ولو أنه ما تكلم، ولو لم يفعل شيئا، هذا كفر - بمجرد هذه العقيدة - بإجماع المسلمين.

أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد بعث ولا نشور، وأن كل ما جاء في هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد جنة أو نار، ولا حياة أخرى، إذا اعتقد ذلك بقلبه ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفر وردة عن الإسلام - نعوذ بالله من ذلك - وتكون أعماله باطلة، ويكون مصيره إلى النار بسبب هذه العقيدة.

وهكذا لو اعتقد بقلبه - ولو لم يتكلم - أن محمدا ﷺ ليس بصادق، أو أنه ليس بخاتم الأنبياء وأن بعده أنبياء، أو اعتقد أن مسيلمة الكذاب نبي صادق، فإنه يكون كافرا بهذه العقيدة .

أو اعتقد بقلبه أن نوحا، أو موسى، أو عيسى، أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام أنهم كاذبون أو أحدا منهم، هذا ردة عن الإسلام .

أو اعتقد أنه لا بأس أن يدعى مع الله غيره كالأنبياء أو غيرهم من الناس، أو الشمس والكواكب أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك صار مرتدا عن الإسلام؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج:٦٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣] وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة:٥]، وقال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر:١٤] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر:٦٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فمن زعم أو اعتقد أنه يجوز أن يعبد مع الله غيره؛ من ملك، أو نبي، أو شجر، أو جن، أو غير ذلك فهو كافر، وإذا نطق وقال بلسانه ذلك صار كافرا بالقول والعقيدة جميعا، وإن فعل ذلك ودعا غير الله واستغاث بغير الله صار كافرا بالقول والعمل والعقيدة جميعا، نسأل الله العافية من ذلك .

ومما يدخل في هذا: ما يفعله عباد القبور اليوم في كثير من الأمصار من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم، فيقول بعضهم: يا سيدي، المدد المدد، يا سيدي، الغوث الغوث، أنا بجوارك، اشف مريضي، ورد غائبي، وأصلح قلبي .

يخاطبون الأموات الذين يسمونهم: الأولياء، ويسألونهم هذا السؤال، نسوا الله وأشركوا معه غيره - تعالى الله عن ذلك - فهذا كفر قولي وعقدي وفعلي .

وبعضهم ينادي من مكان بعيد وفي أمصار متباعدة: يا رسول الله، انصرني...ونحو هذا، وبعضهم يقول عند قبره: يا رسول الله، اشف مريضي، يا رسول الله، المدد المدد، انصرنا على أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه، انصرنا على أعدائنا .

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، هذا من الشرك القولي والعملي، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز، وأنه لا بأس به صار شركا قوليا وفعليا وعقديا، نسأل الله العافية من ذلك .

وهذا واقع في دول وبلدان كثيرة، وكان واقعا في هذه البلاد، كان واقعا في الرياض والدرعية قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فقد كانت لهم آلهة في الرياض والدرعية وغيرهما، أشجار تعبد من دون الله، وأناس يقال: إنهم من الأولياء يعبدونهم مع الله، وقبور تعبد مع الله .

وكان قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه موجودا في الجبيلة حيث قتل في حروب الردة أيام مسيلمة، كان قبره يعبد من دون الله حتى هدم ذلك القبر، ونسي اليوم والحمد لله، بأسباب دعوة الشيخ محمد، قدس الله روحه وجزاه عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء.

وقد كان في نجد والحجاز من الشرك العظيم والاعتقادات الباطلة، ودعوة غير الله ما لا يعد ولا يحصى، فلما جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، أي: قبل ما يزيد عن مائتي سنة، دعا إلى الله وأرشد الناس، فعاداه كثير من العلماء الجهلة وأهل الهوى، لكن الله أيده بعلماء الحق، وبآل سعود - رحم الله الجميع - فدعا إلى الله، وأرشد الناس إلى توحيد الله، وبين لهم: أن عبادة الجن والأحجار والأولياء والصالحين وغيرهم شرك من عمل

الجاهلية، وأنها أعمال أبي جهل، وأمثاله من كفار قريش في عبادتهم اللات، والعزى، ومناة، وعبادة القبور، هذه هي أعمالهم .

فبين رَحِمَهُ اللَّهُ للناس وهدى الله على يديه من هدى، ثم عمت الدعوة بلاد نجد والحجاز وبقية الجزيرة العربية، وانتشر فيها التوحيد والإيمان، وترك الناس الشرك بالله وعبادة القبور والأولياء بعد أن كانوا يعبدونها إلا من رحم الله، بل كان بعضهم يعبد أناسا مجانين لا عقول لهم، ويسمونهم: أولياء، وهذا من عظيم جهلهم الذي كانوا واقعين فيه .

ومنها: الردة بالشك:

عرضنا للردة التي تكون بالقول، والردة بالعمل، والردة بالعقيدة، أما الردة بالشك: فمثل الذي يقول: أنا لا أدري هل الله حق أم لا؟ أنا شاك. هذا كافر كفر شك، أو قال: أنا لا أعلم هل البعث حق أم لا؟ أو قال: أنا لا أدري هل الجنة والنار حق أم لا؟ أنا لا أدري، أنا شاك. فمثل هذا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافرا لشكه فيما هو معلوم من الدين بالضرورة وبالنص والإجماع .

فالذي يشك في دينه ويقول: أنا لا أدري هل الله حق؟ أو هل الرسول حق؟ وهل هو صادق أم كاذب؟ أو قال: لا أدري هل هو خاتم النبيين؟ أو قال: لا أدري مسيلمة كاذب أم لا؟ أو قال: ما أدري هل الأسود العنسي - الذي ادعى النبوة في اليمن - كاذب أم لا؟ هذه الشكوك كلها ردة عن الإسلام، يستتاب صاحبها ويبين له الحق، فإن تاب وإلا قتل. ومثل لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبة أم لا؟ أو الزكاة هل هي واجبة أم لا؟ وصيام رمضان هل هو واجب أم لا؟ أو شك في الحج مع الاستطاعة هل هو واجب في العمر مرة أم لا؟ فهذه الشكوك كلها كفر أكبر يستتاب صاحبها، فإن تاب وآمن وإلا قتل؛ لقول النبي ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[1] رواه البخاري في الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فلا بد من الإيمان بأن هذه الأمور - أعني: الصلاة والزكاة والصيام والحج - كلها حق وواجبة على المسلمين بشروطها الشرعية .

هذا الذي تقدم هو القسم الأول من القوادح، وهو القسم الذي ينقض الإسلام ويبطله، ويكون صاحبه مرتدا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل .

أما النوع الثاني: فهو وجود القوادح دون الكفر، لكنها تضعف الإيمان وتنقصه، وتجعل صاحبها معرضا للنار وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها كافرا .

وأمثلة ذلك كثيرة منها: الزنا إذا آمن أنه حرام ولم يستحله، بل يزني ويعلم أنه عاص، هذا لا يكون كافرا وإنما يكون عاصيا، لكن إيمانه ناقص. وهذه المعصية قدحت في عقيدته لكن دون الكفر. فلو اعتقد أن الزنا حلال صار بذلك كافرا .

وهكذا لو قال: السرقة حلال، أو ما أشبه ذلك، يكون كافرا؛ لأنه استحل ما حرم الله .

وكذلك الغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وأكل الربا وأشباه ذلك، كل هذه من القوادح في العقيدة المضعفة للدين والإيمان .

وهكذا البدع، وهي أشد من المعاصي، فالبدع في الدين تضعف الإيمان، ولا تكون ردة ما لم يوجد فيها شرك ومن أمثلة ذلك: بدعة البناء على القبور، كأن يبني على القبر مسجدا أو قبة، فهذه بدعة تقدح في الدين وتضعف الإيمان، لكن إذا بناها وهو لا يعتقد جواز الكفر بالله، ولم يقترن بذلك دعاء الميتين والاستغاثة بهم والنذر لهم، بل ظن أنه بفعله هذا يحترمهم ويقدرهم، فهذا العمل حينئذ ليس كفرا، بل بدعة قادحة في الدين تضعف الإيمان وتنقصه، ووسيلة إلى الشرك .

ومن أمثلة البدع: بدعة الاحتفال بالمولد النبوي؛ حيث يحتفل بعض الناس في الثاني عشر من ربيع الأول بمولد النبي ﷺ، فهذا العمل بدعة، لم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه ولا خلفاؤه الراشدون، ولم يفعلها أهل القرن الثاني ولا الثالث، بل هذه بدعة محدثة.

أو الاحتفال بمولد البدوي، أو عبد القادر الجيلاني، أو غيرهما، فالاحتفال بالموالد بدعة من البدع، ومنكر من المنكرات التي تقدح في العقيدة؛ لأن الله ما أنزل بها من سلطان، وقد قال النبي ﷺ: «**وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**» رواه مسلم[١]، وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢] متفق على صحته[٣]، أي: فهو مردود عليه، وقال ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٤] خرجه مسلم في صحيحه، وقال: «**إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٥].

فالبدع من القوادح في الدين التي دون الكفر، إذا لم يكن فيها كفر، أما إذا كان في الاحتفال بالمولد دعوة الرسول ﷺ والاستغاثة به وطلبه النصر صار شركا بالله، وكذا دعاؤهم: يا رسول الله انصرنا، المدد المدد يا رسول الله .. الغوث الغوث، أو اعتقادهم أن الرسول ﷺ يعلم الغيب أو غيره، كاعتقاد بعض الشيعة في علي والحسن والحسين أنهم يعلمون الغيب، كل هذا شرك وردة عن الدين، سواء كان في المولد أو في غير المولد .

ومثل هذا قول بعض الرافضة: إن أئمتهم الاثني عشر يعلمون الغيب، وهذا كفر وضلال وردة عن الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل:٦٥].

أما إذا كان الاحتفال بمجرد قراءة السيرة النبوية، وذكر ما جرى في مولده وغزواته، فهذا بدعة في الدين تنقصه ولكن لا تنقضه .

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، عن عائشة رضي الله عنها.
(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.
(٥) أخرجه مسلم (٨٦٧)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ومن البدع: ما يعتقده بعض الجهال في شهر صفر من أنه لا يسافر فيه، فيتشاءمون به، وهذا جهل وضلال، فقد قال النبي ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة**»(١) متفق على صحته، وزاد مسلم: «**ولا نوء ولا غول**»؛ لأن اعتقاد العدوى والطيرة والتعلق بالأنواء أو الغول، كل هذه من أمور الجاهلية التي تقدح في الدين.

ومن زعم أن هناك عدوى فهذا باطل، ولكن الله جعل المخالطة لبعض المرضى قد تكون سببا لوجود المرض في الصحيح، ولكن لا تعدي بطبعها، ولما سمع بعض العرب قول النبي ﷺ: «**لا عدوى... قال: يا رسول الله، الإبل تكون في الرمال كأنها الظباء، فإذا دخلها الأجرب أجربها ؟ قال** ﷺ: **فمن أعدى الأول؟**» أي: من الذي أنزل الجرب في الأول؟(٢).

فالأمر بيد الله سبحانه وتعالى إذا شاء أجربها بسبب هذا الجرب، وإن شاء لم يجربها، وقد قال ﷺ: «**لا يردن ممرض على مصح**»(٣) يعني: لا توردوا الإبل المريضة على الصحيحة، بل تكون هذه على حدة وهذه على حدة، وذلك من باب اتقاء الشر والبعد عن أسبابه، وإلا فالأمور بيد الله، لا يعدي شيء بطبعه، إنما هو بيد الله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١] فالخلطة من أسباب وجود المرض فلا تنبغي الخلطة، فالأجرب لا يخالط الصحيح، هكذا أمرنا الرسول ﷺ من باب الاتقاء والحذر من أسباب الشر، لكن ليس المعنى: أنه إذا خالط فإنه سيعدي، لا، قد يعدي وقد لا يعدي، والأمر بيد الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال ﷺ: «**فمن أعدى الأول؟**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٧١)، ومسلم برقم (٢٢٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٧٧١)، ومسلم برقم (٢٢٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٧٧١)، ومسلم برقم (٢٢٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»[(١)] والمقصود: أن تشاؤم أهل الجاهلية بالعدوى وبالتطير أو الهامة – وهي: روح الميت، يقولون: إنها تكون كأنها طائر حول قبره يتشاءمون بها – وهذا باطل لا أصل له، وروح الميت مرتهنة بعمله إما في الجنة أو النار.

والطيرة والتشاؤم بالمرئيات والسمعيات من عمل الجاهلية، حيث كانوا يتشاءمون إذا رأوا شيئا لا يناسبهم مثل الغراب، أو الحمار الأسود، أو مقطوع الذنب، أو ما أشبه ذلك، فيتشاءمون به، هذا من جهلهم وضلالهم، قال الله جل وعلا في الرد عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١] فالله بيده الضر والنفع، وبيده العطاء والمنع، والطيرة لا أصل لها، ولكنه شيء يجدونه في صدورهم ولا حقيقة له، بل هو شيء باطل، ولهذا قال ﷺ: «**لا طيرة**».

ولذا يجب على المسلم إذا رأى ما يتشاءم به: ألا يرجع عن حاجته، فلو خرج ليسافر، وصادفه حمار غير مناسب أو رجل غير مناسب أو ما أشبه ذلك، فلا يرجع، بل يمضي في حاجته ويتوكل على الله، فإن رجع فهذه هي الطيرة، والطيرة قادحة في العقيدة ولكنها دون الشرك الأكبر، بل هي من الشرك الأصغر.

وهكذا سائر البدع، كلها من القوادح في العقيدة، لكنها دون الكفر، إن لم يصاحبها كفر.

فهذه البدع مثل: بدعة الموالد، والبناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، ومثل صلاة الرغائب هذه كلها بدع، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج التي يحددونها بسبع وعشرين من رجب، هذه بدعة ليس لها أصل، وبعض الناس يحتفل بليلة النصف من شعبان ويعمل فيها أعمالا يتقرب بها، وربما أحيا ليلها أو صام نهارها يزعم أن هذا قربة، فهذا لا أصل له، والأحاديث فيه غير صحيحة، بل هو من البدع.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، معلقًا.

والجامع في هذا: أن كل شيء من العبادات يحدثه الناس ولم يأمر به الرسول ﷺ ولم يفعله ولم يقره فهو بدعة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١)، وقال: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» وكان يقول في خطبة الجمعة: «**وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»(٢)، يحذر الناس من البدع ويدعوهم إلى لزوم السنة ﷺ.

فالواجب على أهل الإسلام أن يلزموا الإسلام ويستقيموا عليه، وفي هذا كفايتهم وكمالهم، فليسوا بحاجة إلى بدع، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣] فالله أكمل الدين وأتمه بحمده وفضله، فليس الناس بحاجة إلى بدع يأتون بها، وقد قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**»(٣).

فليس الناس بحاجة إلى بدع زيد وعمرو، بل يجب التمسك بما شرعه الله، والسير على منهج الله، والوقوف عند حدوده، وترك ما أحدثه الناس، كما قال الله سبحانه وتعالى ذما للبدع وأهلها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورى:٢١].

وفق الله الجميع لما فيه الخير، وأصلح أحوال المسلمين، ووفقهم للفقه في دينه، وجنبهم أسباب الزيغ والضلال والانحراف، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٧١)، ومسلم برقم (٢٢٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، والدارمي (١٠٣)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٣)، والترمذي (٢٦٧٦)، وهو حديث صحيح.

قال الإمام العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "فتاوى نور على الدرب":

نواقض الإسلام بمعناها الإجمالي كل ما أوجب الردة؛ فهو ناقضٌ للإسلام يعني كل شيء من قولٍ أو فعل أو عقيدة يكون به الإنسان مرتدًا فهو ناقضٌ للإسلام وهو لا يحصر في الواقع يعني أفراده لا تحصر لا بعشرة ولا بعشرين ولا بأكثر لكن الضابط أن كل ما كان مقتضيًا للردة فهو من نواقض الإسلام فمثلًا كفر الجحود أن يجحد ما يجب الإيمان به مثل أن يجحد والعياذ بالله وجود الله أو الملائكة أو الرسل أو الكتب أو اليوم الآخر أو القدر خيره وشره فقد أتى ناقضًا من نواقض الإسلام.

لو جحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب الصيام أو وجوب الحج أو أنكر تحريم الزنا أو تحريم الخمر أو ما أشبه ذلك من المحرمات الظاهرة المجمع عليها فهذا ناقضٌ من نواقض الإسلام.

كذلك من نواقض الإسلام الاستهزاء: لو استهزأ بالله أو آياته أو رسوله فهذا ناقضٌ من نواقض الإسلام. قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾.

كذلك لو استكبر عما يكون الاستكبار عنه ردة كما لو ترك الصلاة وصار لا يصلي لا في بيته، ولا مع الجماعة، فهذا ناقضٌ من نواقض الإسلام.

كذلك لو اعتقد في قلبه ما لا يليق بالله عز وجل اعتقد في الله ما لا يليق بالله فهو مرتد والحاصل أن نواقض الإسلام لا تحصر بعدد، وإنما تذكر بحد وهو وهي كل ما أوجب الردة أي كل ما كان ردة فهو ناقضٌ من نواقض الإسلام سواءٌ كان ذلك في العقيدة أو في القول أو الفعل.

۞۞۞

فصل في ذكر أنواع الكفر

قال ابن القيم رحمه الله في "المدارج" (١/ ٣٣٥):

الْكُفْرُ نَوْعَانِ: كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَكُفْرٌ أَصْغَرُ.

فَالْكُفْرُ الأَكْبَرُ هُوَ الْمُوجِبُ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ. وَالْأَصْغَرُ مُوجِبٌ لِاسْتِحْقَاقِ الْوَعِيدِ دُونَ الْخُلُودِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى - وَكَانَ مِمَّا يُتْلَى فَنُسِخَ لَفْظُهُ - ﴿**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ**﴾. وَقَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ «**اثْنَتَانِ فِي أُمَّتِي، هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ**»(١) وَقَوْلُهُ فِي السُّنَنِ: «**مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»(٢) وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ**»(٣) وَقَوْلِهِ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ**

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، والدارمي (١٢٣٩)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في "الكبرى" (٨٩٦٧) من طريق حكيم الأثرم، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة به.

وهذا الحديث قد أعل، فإن البخاري يقول في أبي تميمة: لا يعرف له سماع من أبي هريرة. وحكيم الأثرم ثقة، ولكن قال البخاري: لا يتابع على حديثه هذا. وقال البزار: حدث عنه حماد بحديث منكر، يعني هذا الحديث. وذكره ابن عدي في "الكامل".

(٣) **صحيح لغيره**. أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، وأخرجه أيضًا الترمذي (١٣٥)، والنسائي في "الكبرى" (٩٠١٧)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، وغيرهم من طريق: حَكيم الأثرم، عن أبي تميمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحكيم قد أُنكر عليه هذا الحديث. فضعف الحديثَ البخاري، والنسائي، وأبو علي النيسابوري، وغيرهم كما في "الفتح" (٤٥٢٦).

وأبو تميمة قال البخاري: ليس له سماع من أبي هريرة. ولكن للحديث طريق أخرى:

أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨)، والبيهقي (٨/ ١٣٥)، وهو منقطع، من طريق خلاس بن عمرو، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولم يسمع منه.

- وقد جاءت عند الحاكم زيادة (محمد بن سيرين) مقرونًا بـخِلاس بن عمرو، والصواب عدم ذكره؛ لأنَّ الحاكم رواه من طريق: الحارث بن أبي أسامة، وليس لهذه الزيادة ذكرٌ في "مسنده" (٢/ ١٨٧/ ٢) كما في "الإرواء" (٧/ ٦٩)، وأخرجها من طريق: أحمد بن مهران الأصبهاني، وهو=

بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[(١)] وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَامَّةِ الصَّحَابَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ[(٢)]، بَلْ إِذَا فَعَلَهُ فَهُوَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ

= رجل زاهد لم يؤثر توثيقه عن أحد، فرواية الإمام أحمد بدون زيادة (ابن سيرين) أرجح، وعليه فهو منقطع.

وله شاهد آخر من حديث جابر عند البزار كما في "كشف الأستار" (٣٠٤٥)، قال: حدثنا عقبة بن سنان، ثنا غسَّان بن مضر، ثنا سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ به.

وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات من رجال "التهذيب"؛ إلا عقبة بن سنان فقد ترجم له ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٦/ ٣١١)، ونقل عن أبيه أنه قال: صدوق. وعليه فالحديث يرتقي إلى الصحة مع طريقي حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (١٢١، و١٧٣٩، و١٧٤١، و٤٤٠٣)، ومسلم (٦٥، و٦٦، و١٦٧٩) من حديث جرير بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وأبي بكرة رضي الله عنهم، وانفرد به البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٤٣٤): حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري، ثنا سفيان، عن هشام بن حجير، عن طاوس، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ قال: ليس هو بالكفر الذي يذهبون إليه. وهذا إسنادٌ حسن، رجاله ثقات؛ إلا هشام بن حجير؛ فإنه حسن الحديث.

وأخرجه سعيد بن منصور (٧٤٩) وابن نصر المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٥٦٩) من طريق سفيان، عن هشام به.

وأخرجه الحاكم (٣٢١٩)، والبيهقي (١٥٨٥٤) من طريق علي بن حرب، عن سفيان بن عيينة به، ولفظه: لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ إِنَّهُ لَيْسَ كُفْرًا يَنْقِلُ عَنِ الْمِلَّةِ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤] كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

وأخرجه المروزي (٥٧١) قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أنا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «هُوَ بِهِ كِفْرَة، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ».

وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثقات.

وأخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٧١٣) عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، قَالَ: «هِيَ كُفْرٌ»، قَالَ ابْنُ طَاوُسٍ: «وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ»

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكَذَلِكَ قَالَ طَاوُسٌ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ(١).

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ الْآيَةَ عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَاحِدًا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ مَرْجُوحٌ، فَإِنَّ نَفْسَ جُحُودِهِ كُفْرٌ، سَوَاءٌ حَكَمَ أَوْ لَمْ يَحْكُمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالَ: وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْحُكْمُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، وَهَذَا تَأْوِيلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيِّ، وَهُوَ أَيْضًا بَعِيدٌ، إِذِ الْوَعِيدُ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ بِالْمُنَزَّلِ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ تَعْطِيلَ الْحُكْمِ بِجَمِيعِهِ وَبِبَعْضِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِمُخَالَفَةِ النَّصِّ، تَعَمُّدًا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ بِهِ وَلَا خَطَأٍ فِي التَّأْوِيلِ، حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنِ الْعُلَمَاءِ عُمُومًا.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَالضَّحَاكِ وَغَيْرِهِمَا، وَهُوَ بَعِيدٌ، وَهُوَ خِلَافُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، فَلَا يُصَارُ إِلَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ يَتَنَاوَلُ الْكُفْرَيْنِ، الْأَصْغَرَ وَالْأَكْبَرَ بِحَسَبِ حَالِ الْحَاكِمِ، فَإِنَّهُ إِنِ اعْتَقَدَ وُجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَعَدَلَ عَنْهُ عِصْيَانًا، مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَصْغَرُ، وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَإِنْ جَهِلَهُ وَأَخْطَأَهُ فَهَذَا مُخْطِئٌ، لَهُ حُكْمُ الْمُخْطِئِينَ.

وَالْقَصْدُ أَنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا مِنْ نَوْعِ الْكُفْرِ الْأَصْغَرِ، فَإِنَّهَا ضِدُّ الشُّكْرِ، الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ، فَالسَّعْيُ إِمَّا شُكْرٌ، وَإِمَّا كُفْرٌ، وَإِمَّا ثَالِثٌ، لَا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

---

(١) أخرجه الثوري في «تفسيره» (ص١٠١)، وعنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١)، عن ابن جريج، عن عطاء به. وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثقات.

فَصْلٌ: وَأَمَّا الْكُفْرُ الأَكْبَرُ، فَخَمْسَةُ أَنْوَاعٍ: كُفْرُ تَكْذِيبٍ، وَكُفْرُ اسْتِكْبَارٍ وَإِبَاءٍ مَعَ التَّصْدِيقِ، وَكُفْرُ إِعْرَاضٍ، وَكُفْرُ شَكٍّ، وَكُفْرُ نِفَاقٍ.

فَأَمَّا كُفْرُ التَّكْذِيبِ فَهُوَ اعْتِقَادُ كَذِبِ الرُّسُلِ، وَهَذَا الْقِسْمُ قَلِيلٌ فِي الْكُفَّارِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيَّدَ رُسُلَهُ، وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْآيَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ مَا أَقَامَ بِهِ الْحُجَّةَ، وَأَزَالَ بِهِ الْمَعْذِرَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿**وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ [النمل:١٤] وَقَالَ لِرَسُولِهِ ﷺ ﴿**فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾**﴾ [الأنعام:٣٣].

وَإِنَّ سُمِّيَ هَذَا كُفْرَ تَكْذِيبٍ أَيْضًا فَصَحِيحٌ، إِذْ هُوَ تَكْذِيبٌ بِاللِّسَانِ.

وَأَمَّا كُفْرُ الْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ فَنَحْوُ كُفْرِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْحَدْ أَمْرَ اللَّهِ وَلَا قَابَلَهُ بِالْإِنْكَارِ، وَإِنَّمَا تَلَقَّاهُ بِالْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ، وَمِنْ هَذَا كُفْرُ مَنْ عَرَفَ صِدْقَ الرَّسُولِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْقَدْ لَهُ إِبَاءً وَاسْتِكْبَارًا، وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى كُفْرِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ، كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿**أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾**﴾ [المؤمنون:٤٧] وَقَوْلِ الْأُمَمِ لِرُسُلِهِمْ ﴿**إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا**﴾ [إبراهيم:١٠] وَقَوْلِهِ: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾**﴾ [الشمس:١١] وَهُوَ كُفْرُ الْيَهُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿**فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ**﴾ [البقرة:٨٩] وَقَالَ ﴿**يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ**﴾ [البقرة:١٤٦] وَهُوَ كُفْرُ أَبِي طَالِبٍ أَيْضًا، فَإِنَّهُ صَدَّقَهُ وَلَمْ يَشُكَّ فِي صِدْقِهِ، وَلَكِنْ أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وَتَعْظِيمُ آبَائِهِ أَنْ يَرْغَبَ عَنْ مِلَّتِهِمْ، وَيَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ.

وَأَمَّا كُفْرُ الْإِعْرَاضِ فَأَنْ يُعْرِضَ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ عَنِ الرَّسُولِ، لَا يُصَدِّقُهُ وَلَا يُكَذِّبُهُ، وَلَا يُوَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ، وَلَا يُصْغِي إِلَى مَا جَاءَ بِهِ الْبَتَّةَ، كَمَا قَالَ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ يَالِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَاللهِ أَقُولُ لَكَ كَلِمَةً، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَأَنْتَ أَجَلُّ فِي عَيْنِي مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَأَنْتَ أَحْقَرُ مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ.

وَأَمَّا كُفْرُ الشَّكِّ فَإِنَّهُ لَا يَجْزِمُ بِصِدْقِهِ وَلَا يُكَذِّبُهُ، بَلْ يَشُكُّ فِي أَمْرِهِ، وَهَذَا لَا يَسْتَمِرُّ شَكُّهُ إِلَّا إِذَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْإِعْرَاضَ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ صِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً، فَلَا يَسْمَعُهَا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَأَمَّا مَعَ الْتِفَاتِهِ إِلَيْهَا، وَنَظَرِهِ فِيهَا فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى مَعَهُ شَكٌّ، لِأَنَّهَا مُسْتَلْزِمَةٌ لِلصِّدْقِ، وَلَا سِيَّمَا بِمَجْمُوعِهَا، فَإِنَّ دَلَالَتَهَا عَلَى الصِّدْقِ كَدَلَالَةِ الشَّمْسِ عَلَى النَّهَارِ.

وَأَمَّا كُفْرُ النِّفَاقِ فَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ بِلِسَانِهِ الْإِيمَانَ، وَيَنْطَوِيَ بِقَلْبِهِ عَلَى التَّكْذِيبِ، فَهَذَا هُوَ النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ أَقْسَامِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَصْلٌ: وَكُفْرُ الْجُحُودِ نَوْعَانِ: كُفْرٌ مُطْلَقٌ عَامٌّ، وَكُفْرٌ مُقَيَّدٌ خَاصٌّ.

فَالْمُطْلَقُ: أَنْ يَجْحَدَ جُمْلَةَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَإِرْسَالَهُ الرَّسُولَ.

وَالْخَاصُّ: الْمُقَيَّدُ أَنْ يَجْحَدَ فَرْضًا مِنْ فُرُوضِ الْإِسْلَامِ، أَوْ تَحْرِيمَ مُحَرَّمٍ مِنْ مُحَرَّمَاتِهِ، أَوْ صِفَةٍ وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ خَبَرًا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، عَمْدًا، أَوْ تَقْدِيمًا لِقَوْلِ مَنْ خَالَفَهُ عَلَيْهِ لِغَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ. وَأَمَّا جَحْدُ ذَلِكَ جَهْلًا، أَوْ تَأْوِيلًا يُعْذَرُ فِيهِ صَاحِبُهُ فَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهُ بِهِ، كَحَدِيثِ الَّذِي جَحَدَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَحْرِقُوهُ وَيَذْرُوهُ فِي الرِّيحِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَرَحِمَهُ لِجَهْلِهِ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ، وَلَمْ يَجْحَدْ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى إِعَادَتِهِ عِنَادًا أَوْ تَكْذِيبًا.اهـ

تم الجزء الأول بحمد الله وتوفيقه وإعانته

في شهر رجب من عام ١٤٣٣هـ

فهرس المحتويات

فهرس فوائد القسم الثاني



فهرس الأحاديث


شرح عقيدة أهل السنة الأخيار
٢٤٤

شرح عقيدة أهل السنة الأخيار

بدراسة أحاديث المختار

من أحاديث سيد الأبرار

في المعتقد الصحيح

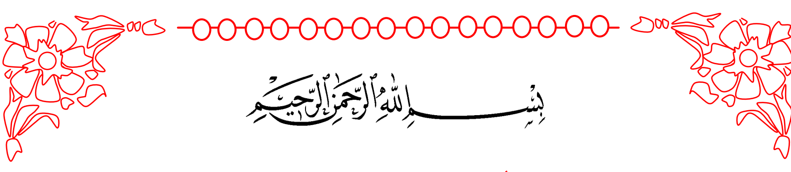
الجزء الثاني

تأليف

أبي عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني

دار الحديث بدمَّاج





تَوْحِيْدُ الرُّبُوبِيَّةِ وَالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

٤٧ عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(١)].

ذكر بعض فوائد الحديث

دل حديث الباب على أن العبد لا يجد طعم الإيمان؛ حتى يحقق توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الألوهية.

قال ابن القيم ﵀ في مدارج السالكين (٢/١٧٢):

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»[(٢)].

وَقَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ**»[(٣)].

وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَإِلَيْهِمَا يَنْتَهِي. وَقَدْ تَضَمَّنَا الرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَأُلُوهِيَّتِهِ. وَالرِّضَا بِرَسُولِهِ، وَالِانْقِيَادَ لَهُ. وَالرِّضَا بِدِينِهِ، وَالتَّسْلِيمَ لَهُ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٣٨٦).

وَمَنِ اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ: فَهُوَ الصِّدِّيقُ حَقًّا. وَهِيَ سَهْلَةٌ بِالدَّعْوَى وَاللِّسَانِ. وَهِيَ مِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ وَالِامْتِحَانِ. وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَاءَ مَا يُخَالِفُ هَوَى النَّفْسِ وَمُرَادَهَا. مِنْ ذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الرِّضَا كَانَ لِسَانُهُ بِهِ نَاطِقًا. فَهُوَ عَلَى لِسَانِهِ لَا عَلَى حَالِهِ.

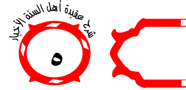
فَالرِّضَا بِإِلَهِيَّتِهِ يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِمَحَبَّتِهِ وَحْدَهُ، وَخَوْفَهُ، وَرَجَاءَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّبَتُّلَ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابَ قُوَى الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ. فَعَلَ الرَّاضِي بِمَحْبُوبِهِ كُلَّ الرِّضَا. وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ.

وَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِتَدْبِيرِهِ لِعَبْدِهِ. وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ. وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ. وَأَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِهِ.

فَالْأَوَّلُ: يَتَضَمَّنُ رِضَاهُ بِمَا يُؤْمَرُ بِهِ. وَالثَّانِي: يَتَضَمَّنُ رِضَاهُ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِنَبِيِّهِ رَسُولًا: فَيَتَضَمَّنُ كَمَالَ الِانْقِيَادِ لَهُ. وَالتَّسْلِيمَ الْمُطْلَقَ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ. فَلَا يَتَلَقَّى الْهُدَى إِلَّا مِنْ مَوَاقِعِ كَلِمَاتِهِ. وَلَا يُحَاكِمُ إِلَّا إِلَيْهِ. وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِ غَيْرِهِ الْبَتَّةَ. لَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ. وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَذْوَاقِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَمَقَامَاتِهِ. وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ. لَا يَرْضَى فِي ذَلِكَ بِحُكْمِ غَيْرِهِ. وَلَا يَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ. فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ كَانَ تَحْكِيمُهُ غَيْرَهُ مِنْ بَابِ غِذَاءِ الْمُضْطَرِّ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَا يُقِيتُهُ إِلَّا مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ. وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ: أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ التُّرَابِ الَّذِي إِنَّمَا يُتَيَمَّمُ بِهِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ الطَّهُورِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِدِينِهِ: فَإِذَا قَالَ، أَوْ حَكَمَ، أَوْ أَمَرَ، أَوْ نَهَى: رَضِيَ كُلَّ الرِّضَا. وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنْ حُكْمِهِ. وَسَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمًا. وَلَوْ كَانَ مُخَالِفًا لِمُرَادِ نَفْسِهِ أَوْ هَوَاهَا، أَوْ قَوْلِ مُقَلِّدِهِ وَشَيْخِهِ وَطَائِفَتِهِ.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حُصُولِ الرِّضَا: أَنْ يَلْزَمَ مَا جَعَلَ اللَّهُ رِضَاهُ فِيهِ. فَإِنَّهُ يُوصِلُهُ إِلَى مَقَامِ الرِّضَا وَلَا بُدَّ.

قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ: مَتَى يَبْلُغُ الْعَبْدُ إِلَى مَقَامِ الرِّضَا؟ فَقَالَ: إِذَا أَقَامَ نَفْسَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أُصُولٍ فِيمَا يُعَامِلُ بِهِ رَبَّهُ، فَيَقُولُ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي قَبِلْتُ. وَإِنْ مَنَعْتَنِي رَضِيتُ. وَإِنْ تَرَكْتَنِي عَبَدْتُ. وَإِنْ دَعَوْتَنِي أَجَبْتُ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الرِّضَا هُوَ صِحَّةُ الْعِلْمِ الْوَاصِلِ إِلَى الْقَلْبِ. فَإِذَا بَاشَرَ الْقَلْبَ حَقِيقَةُ الْعِلْمِ أَدَّاهُ إِلَى الرِّضَا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الرِّضَا أَلَّا يُحِسَّ بِالْأَلَمِ وَالْمَكَارِهِ. بَلْ أَلَّا يَعْتَرِضَ عَلَى الْحُكْمِ وَلَا يَتَسَخَّطَهُ. وَلِهَذَا أُشْكِلَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ الرِّضَا بِالْمَكْرُوهِ، وَطَعَنُوا فِيهِ. وَقَالُوا: هَذَا مُمْتَنِعٌ عَلَى الطَّبِيعَةِ. وَإِنَّمَا هُوَ الصَّبْرُ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَجْتَمِعُ الرِّضَا وَالْكَرَاهَةُ؟ وَهُمَا ضِدَّانِ.

وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّ وُجُودَ التَّأَلُّمِ وَكَرَاهَةَ النَّفْسِ لَهُ لَا يُنَافِي الرِّضَا، كَرِضَا الْمَرِيضِ بِشُرْبِ الدَّوَاءِ الْكَرِيهِ، وَرِضَا الصَّائِمِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْحَرِّ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ أَلَمِ الْجُوعِ وَالظَّمَأِ، وَرِضَا الْمُجَاهِدِ بِمَا يَحْصُلُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ، وَغَيْرِهَا.

وَطَرِيقُ الرِّضَا طَرِيقٌ مُخْتَصَرَةٌ، قَرِيبَةٌ جِدًّا، مُوصِلَةٌ إِلَى أَجَلِّ غَايَةٍ. وَلَكِنَّ فِيهَا مَشَقَّةً. وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَتْ مَشَقَّتُهَا بِأَصْعَبَ مِنْ مَشَقَّةِ طَرِيقِ الْمُجَاهِدَةِ. وَلَا فِيهَا مِنَ الْعَقَبَاتِ وَالْمَفَاوِزِ مَا فِيهَا. وَإِنَّمَا عَقَبَتُهَا هِمَّةٌ عَالِيَةٌ. وَنَفْسٌ زَكِيَّةٌ، وَتَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى كُلِّ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَالرِّضَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ**: رِضَا الْعَوَامِّ بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ. وَرِضَا الْخَوَاصِّ بِمَا قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ. وَرِضَا خَوَاصِّ الْخَوَاصِّ بِهِ بَدَلًا مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: الرِّضَا بِاللَّهِ رَبًّا: أَنْ لَا يَتَّخِذَ رَبًّا غَيْرَ الله تَعَالَى يَسْكُنُ إِلَى تَدْبِيرِهِ. وَيُنْزِلُ بِهِ حَوَائِجَهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَيِّدًا وَإِلَهًا[١]. يَعْنِي فَكَيْفَ أَطْلُبُ رَبًّا غَيْرَهُ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ؟ وَقَالَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤] يَعْنِي مَعْبُودًا وَنَاصِرًا وَمُعِينًا وَمَلْجَا. وَهُوَ مِنَ الْمُوَالَاةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْحُبَّ وَالطَّاعَةَ. وَقَالَ فِي وَسَطِهَا ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]. أَيْ: أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغِي مَنْ يَحْكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَنَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ؟ وَهَذَا كِتَابُهُ سَيِّدُ الْحُكَّامِ، فَكَيْفَ نَتَحَاكَمُ إِلَى غَيْرِ كِتَابِهِ؟ وَقَدْ أَنْزَلَهُ مُفَصَّلًا، مُبَيَّنًا كَافِيًا شَافِيًا.

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ حَقَّ التَّأَمُّلِ، رَأَيْتَهَا هِيَ نَفْسَ الرِّضَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، وَرَأَيْتَ الْحَدِيثَ يُتَرْجِمُ عَنْهَا، وَمُشْتَقًّا مِنْهَا. فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَرْضَى بِاللَّهِ رَبًّا، وَلَا يَبْغِي رَبًّا سِوَاهُ، لَكِنَّهُ لَا يَرْضَى بِهِ وَحْدَهُ وَلِيًّا وَنَاصِرًا. بَلْ يُوَالِي مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ. ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُمْ يُقَرِّبُونَهُ إِلَى الله، وَأَنَّ مُوَالَاتَهُمْ كَمُوَالَاةِ خَوَاصِّ الْمَلِكِ. وَهَذَا عَيْنُ الشِّرْكِ. بَلِ التَّوْحِيدُ: أَنْ لَا يَتَّخِذَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ. وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ وَصْفِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمُ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ.

وَهَذَا غَيْرُ مُوَالَاةِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ. فَإِنَّ هَذَا مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَمِنْ تَمَامِ مُوَالَاتِهِ. فَمُوَالَاةُ أَوْلِيَائِهِ لَوْنٌ وَاتِّخَاذُ الْوَلِيِّ مِنْ دُونِهِ لَوْنٌ. وَمَنْ لَمْ يَفْهَمِ الْفُرْقَانَ بَيْنَهُمَا فَلْيَطْلُبِ التَّوْحِيدَ مِنْ أَسَاسِهِ. فَإِنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ أَصْلُ التَّوْحِيدِ وَأَسَاسُهُ.

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره، سورة الأنعام، عند الآية المذكورة بدون إسناد.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَبْتَغِي غَيْرَهُ حَكَمًا، يَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ، وَيُخَاصِمُ إِلَيْهِ، وَيَرْضَى بِحُكْمِهِ. وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ الثَّلَاثُ هِيَ أَرْكَانُ التَّوْحِيدِ: أَنْ لَا يَتَّخِذَ سِوَاهُ رَبًّا، وَلَا إِلَهًا، وَلَا غَيْرَهُ حَكَمًا.

وَتَفْسِيرُ الرِّضَا بِاللَّهِ رَبًّا: أَنْ يَسْخَطَ عِبَادَةَ مَا دُونَهُ. هَذَا هُوَ الرِّضَا بِاللَّهِ رَبًّا. وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الرِّضَا بِاللَّهِ رَبًّا. فَمَنْ أُعْطِيَ الرِّضَا بِهِ رَبًّا حَقَّهُ سُخْطُ عِبَادَةِ مَا دُونَهُ قَطْعًا. لِأَنَّ الرِّضَا بِتَجْرِيدِ رُبُوبِيَّتِهِ يَسْتَلْزِمُ تَجْرِيدَ عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ الرضا عن الله: وهو الرضى عنه في كل ما قضى وقدر، ونقل عن صاحب منازل السائرين أنه جعل هذا القسم أرفع من الرضا بالله.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ : وَفِي جَعْلِهِ هَذِهِ الدَّرَجَةَ أَعْلَى مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا نَظَرٌ لَا يَخْفَى، وَهُوَ نَظِيرُ جَعْلِهِ الصَّبْرَ بِاللَّهِ أَعْلَى مِنَ الصَّبْرِ لِلَّهِ.

وَالَّذِي يَنْبَغِي: أَنْ تَكُونَ الدَّرَجَةُ الْأَوْلَى أَعْلَى شَأْنًا وَأَرْفَعَ قَدْرًا. فَإِنَّهَا مُخْتَصَّةٌ وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مُشْتَرَكَةٌ. فَإِنَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ يَصِحُّ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ. وَغَايَتُهُ التَّسْلِيمُ لِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ. فَأَيْنَ هَذَا مِنَ الرِّضَا بِهِ رَبًّا وَإِلَهًا وَمَعْبُودًا؟

وَأَيْضًا فَالرِّضَا بِهِ رَبًّا فَرْضٌ. بَلْ هُوَ مِنْ آكَدِ الْفُرُوضِ بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ. فَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِهِ رَبًّا، لَمْ يَصِحَّ لَهُ إِسْلَامٌ وَلَا عَمَلٌ وَلَا حَالٌ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِقَضَائِهِ: فَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ. وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ. وَقِيلَ: بَلْ هُوَ وَاجِبٌ، وَهُمَا قَوْلَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ.

فَالْفَرْقُ بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ فَرْقُ مَا بَيْنَ الْفَرْضِ وَالنَّدْبِ. وَفِي الْحَدِيثِ الْإِلَهِيِّ الصَّحِيحِ «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»(١) فَدَلَّ عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ أَفْضَلُ وَأَعْلَى مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ الرِّضَا بِهِ رَبًّا يَتَضَمَّنُ الرِّضَا عَنْهُ، وَيَسْتَلْزِمُهُ. فَإِنَّ الرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ: هُوَ رِضَا الْعَبْدِ بِمَا يَأْمُرُهُ بِهِ، وَيَنْهَاهُ عَنْهُ، وَيَقْسِمُهُ لَهُ وَيُقَدِّرُهُ عَلَيْهِ، وَيُعْطِيهِ إِيَّاهُ، وَيَمْنَعُهُ مِنْهُ. فَمَتَى لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَضِيَ بِهِ رَبًّا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ. وَإِنْ كَانَ رَاضِيًا بِهِ رَبًّا مِنْ بَعْضِهَا. فَالرِّضَا بِهِ رَبًّا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ: يَسْتَلْزِمُ الرِّضَا عَنْهُ، وَيَتَضَمَّنُهُ بِلَا رَيْبٍ.

وَأَيْضًا: فَالرِّضَا بِهِ رَبًّا مُتَعَلِّقٌ بِذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، فَهُوَ الرِّضَا بِهِ خَالِقًا وَمُدَبِّرًا، وَآمِرًا وَنَاهِيًا، وَمَلِكًا، وَمُعْطِيًا وَمَانِعًا، وَحَكَمًا، وَوَكِيلًا وَوَلِيًّا، وَنَاصِرًا وَمُعِينًا، وَكَافِيًا وَحَسِيبًا وَرَقِيبًا، وَمُبْتَلِيًا وَمُعَافِيًا، وَقَابِضًا وَبَاسِطًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ.

وَأَمَّا الرِّضَا عَنْهُ: فَهُوَ رِضَا الْعَبْدِ بِمَا يَفْعَلُهُ بِهِ، وَيُعْطِيهِ إِيَّاهُ، وَلِهَذَا لَمْ يَجِئْ إِلَّا فِي الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨] فَهَذَا بِرِضَاهَا عَنْهُ لِمَا حَصَلَ لَهَا مِنْ كَرَامَتِهِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].

وَالرِّضَا بِهِ: أَصْلُ الرِّضَا عَنْهُ، وَالرِّضَا عَنْهُ: ثَمَرَةُ الرِّضَا بِهِ.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الرِّضَا بِهِ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. وَالرِّضَا عَنْهُ: مُتَعَلِّقٌ بِثَوَابِهِ وَجَزَائِهِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّقَ ذَوْقَ طَعْمِ الْإِيمَانِ بِمَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا. وَلَمْ يُعَلِّقْهُ بِمَنْ رَضِيَ عَنْهُ، كَمَا قَالَ ﷺ «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا»(١). فَجَعَلَ الرِّضَا بِهِ قَرِينَ الرِّضَا بِدِينِهِ وَنَبِيِّهِ. وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ أُصُولُ الْإِسْلَامِ، الَّتِي لَا يَقُومُ إِلَّا بِهَا وَعَلَيْهَا.

وَأَيْضًا: فَالرِّضَا بِهِ رَبًّا يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدَهُ وَعِبَادَتَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَخَوْفَهُ وَرَجَاءَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَالصَّبْرَ لَهُ وَبِهِ. وَالشُّكْرُ عَلَى نِعَمِهِ: يَتَضَمَّنُ رُؤْيَةَ كُلِّ مَا مِنْهُ نِعْمَةً وَإِحْسَانًا، وَإِنْ سَاءَ عَبْدُهُ. فَالرِّضَا بِهِ يَتَضَمَّنُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالرِّضَا بِمُحَمَّدٍ رَسُولًا يَتَضَمَّنُ شَهَادَةَ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله وَالرِّضَا بِالْإِسْلَامِ دِينًا: يَتَضَمَّنُ الْتِزَامَ عُبُودِيَّتِهِ، وَطَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ. فَجَمَعَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الدِّينَ كُلَّهُ.

وَأَيْضًا: فَالرِّضَا بِهِ رَبًّا يَتَضَمَّنُ اتِّخَاذَهُ مَعْبُودًا دُونَ مَا سِوَاهُ. وَاتِّخَاذَهُ وَلِيًّا وَمَعْبُودًا، وَإِبْطَالَ عِبَادَةِ كُلِّ مَا سِوَاهُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤] وَقَالَ: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤] وَقَالَ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤] . فَهَذَا هُوَ عَيْنُ الرِّضَا بِهِ رَبًّا.

وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ جَعَلَ حَقِيقَةَ الرِّضَا بِهِ رَبًّا: أَنْ يَسْخَطَ عِبَادَةَ مَا دُونَهُ. فَمَتَى سَخِطَ الْعَبْدُ عِبَادَةَ مَا سِوَى الله مِنَ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ، حُبًّا وَخَوْفًا، وَرَجَاءً وَتَعْظِيمًا، وَإِجْلَالًا - فَقَدْ تَحَقَّقَ بِالرِّضَا بِهِ رَبًّا، الَّذِي هُوَ قُطْبُ رَحَى الْإِسْلَامِ.

وَإِنَّمَا كَانَ قُطْبَ رَحَى الدِّينِ لِأَنَّ جَمِيعَ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَحْوَالِ: إِنَّمَا تَنْبَنِي عَلَى تَوْحِيدِ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي الْعِبَادَةِ، وَسُخْطِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ. فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَذَا الْقُطْبُ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحًى تَدُورُ عَلَيْهِ. وَمَنْ حَصَلَ لَهُ هَذَا الْقُطْبُ ثَبَتَتْ لَهُ الرَّحَى. وَدَارَتْ عَلَى ذَلِكَ الْقُطْبِ. فَيَخْرُجُ حِينَئِذٍ مِنْ دَائِرَةِ الشِّرْكِ إِلَى دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ. فَتَدُورُ رَحَى إِسْلَامِهِ وَإِيمَانِهِ عَلَى قُطْبِهَا الثَّابِتِ اللَّازِمِ.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ جَعَلَ حُصُولَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الرِّضَا مَوْقُوفًا عَلَى كَوْنِ الْمَرْضِيِّ بِهِ رَبًّا - سُبْحَانَهُ - أَحَبَّ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَوْلَى الْأَشْيَاءِ بِالتَّعْظِيمِ، وَأَحَقَّ الْأَشْيَاءِ بِالطَّاعَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا يَجْمَعُ قَوَاعِدَ الْعُبُودِيَّةِ، وَيُنَظِّمُ فُرُوعَهَا وَشُعَبَهَا.

وَلَمَّا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ التَّامَّةُ مَيْلَ الْقَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى الْمَحْبُوبِ: كَانَ ذَلِكَ الْمَيْلُ حَامِلًا عَلَى طَاعَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ. وَكُلَّمَا كَانَ الْمَيْلُ أَقْوَى: كَانَتِ الطَّاعَةُ أَتَمَّ، وَالتَّعْظِيمُ أَوْفَرَ. وَهَذَا الْمَيْلُ يُلَازِمُ الْإِيمَانَ، بَلْ هُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَلُبُّهُ. فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَعْلَى مِنْ أَمْرٍ يَتَضَمَّنُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْعَبْدِ، وَأَوْلَى الْأَشْيَاءِ بِالتَّعْظِيمِ، وَأَحَقَّ الْأَشْيَاءِ بِالطَّاعَةِ؟

وَبِهَذَا يَجِدُ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ. كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا. وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ. وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ - بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ - كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**»(١).

فَعَلَّقَ ذَوْقَ الْإِيمَانِ بِالرِّضَا بِاللَّهِ رَبًّا. وَعَلَّقَ وُجُودَ حَلَاوَتِهِ بِمَا هُوَ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ. وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ كَوْنُهُ سُبْحَانَهُ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْعَبْدِ هُوَ وَرَسُولُهُ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْحُبُّ التَّامُّ، وَالْإِخْلَاصُ - الَّذِي هُوَ ثَمَرَتُهُ - أَعْلَى مِنْ مُجَرَّدِ الرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ: كَانَتْ ثَمَرَتُهُ أَعْلَى. وَهُوَ وَجْدُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ. وَثَمَرَةُ الرِّضَا: ذَوْقُ طَعْمِ الْإِيمَانِ. فَهَذَا وَجْدُ حَلَاوَةٍ، وَذَلِكَ ذَوْقُ طَعْمٍ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَإِنَّمَا تَرَتَّبَ هَذَا وَهَذَا عَلَى الرِّضَا بِهِ وَحْدَهُ رَبًّا، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عُبُودِيَّةِ مَا سِوَاهُ، وَمِيلِ الْقَلْبِ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابِ قُوَى الْمُحِبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ. وَرِضَاهُ عَنْ رَبِّهِ تَابِعٌ لِهَذَا الرِّضَا بِهِ. فَمَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا رَضِيَهُ اللَّهُ لَهُ عَبْدًا. وَمَنْ رَضِيَ عَنْهُ فِي عَطَائِهِ وَمَنْعِهِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) عن أنس رضي الله عنه.

وَبَلَائِهِ وَعَافِيَتِهِ: لَمْ يَنَلْ بِذَلِكَ دَرَجَةَ رِضَا الرَّبِّ عَنْهُ، إِنْ لَمْ يَرْضَ بِهِ رَبًّا، وَبِنَبِيِّهِ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَرْضَى عَنِ اللهِ رَبِّهِ فِيمَا أَعْطَاهُ وَفِيمَا مَنَعَهُ، وَلَكِنْ لَا يَرْضَى بِهِ وَحْدَهُ مَعْبُودًا وَإِلَهًا. وَلِهَذَا إِنَّمَا ضَمِنَ رِضَا الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَنْ رَضِيَ بِهِ رَبًّا. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا: إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: هَاهُنَا ثَلَاثَةُ أُمُورٍ: الرِّضَاءُ بِاللَّهِ، وَالرِّضَا عَنِ اللهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ.

فَالرِّضَا بِهِ فَرْضٌ. وَالرِّضَا عَنْهُ - وَإِنْ كَانَ مِنْ أَجَلِّ الْأُمُورِ وَأَشْرَفِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ - فَلَمْ يُطَالِبْ بِهِ الْعُمُومَ. لِعَجْزِهِمْ وَمَشَقَّتِهِ عَلَيْهِمْ.

وَأَوْجَبَتْهُ طَائِفَةٌ كَمَا أَوْجَبُوا الرِّضَا بِهِ، وَاحْتَجُّوا بِحُجَجٍ.

مِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ رَاضِيًا عَنْ رَبِّهِ فَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْهِ. إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الرِّضَا وَالسَّخَطِ. وَسَخَطُ الْعَبْدِ عَلَى رَبِّهِ مُنَافٍ لِرِضَاهُ بِهِ رَبًّا.

قَالُوا: وَأَيْضًا فَعَدَمُ رِضَاهُ عَنْهُ يَسْتَلْزِمُ سُوءَ ظَنِّهِ بِهِ، وَمُنَازَعَتَهُ لَهُ فِي اخْتِيَارِهِ لِعَبْدِهِ، وَأَنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَخْتَارُ شَيْئًا وَيَرْضَاهُ فَلَا يَخْتَارُهُ الْعَبْدُ وَلَا يَرْضَاهُ، وَهَذَا مُنَافٍ لِلْعُبُودِيَّةِ.

قَالُوا: وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ الْإِلَهِيَّةِ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَايَ. وَلَا حُجَّةَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٧، و٥/ ٣٦٧)، وأبو داود (٥٠٧٢)، والنسائي في الكبرى (٩٧٤٧، و١٠٣٢٤)، وابن ماجه (٣٨٧٠)، وغيرهم، من حديث رجل خدم النبي ﷺ، وفي إسناده سابق بن ناجية، وهو مجهول.

وأخرجه الترمذي (٣٣٨٩)، والطبراني في الدعاء (٣٠٤) وغيرهما من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي إسناده سعيد ابن المرزبان، وهو ضعيف، ومدلس، ولعله دلس الرجل الأول في الإسناد السابق، وسمَّى الخادم ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقد ضعف الحديث الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في السلسلة الضعيفة (٥٠٢٠).

أَمَّا قَوْلُهُ: (إِنَّهُ لَا يَتَخَلَّصُ مِنَ السَّخَطِ عَلَى رَبِّهِ إِلَّا بِالرِّضَا عَنْهُ. إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الرِّضَا وَالسَّخَطِ) فَكَلَامٌ مَدْخُولٌ. لِأَنَّ السُّخْطَ بِالْمَقْضِيِّ لَا يَسْتَلْزِمُ السُّخْطَ عَلَى مَنْ قَضَاهُ، كَمَا أَنَّ كَرَاهَةَ الْمَقْضِيِّ وَبُغْضَهُ وَالنُّفْرَةَ عَنْهُ لَا تَسْتَلْزِمُ تَعَلُّقَ ذَلِكَ بِالَّذِي قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ. فَالْمَقْضِيُّ قَدْ يَسْخَطُهُ الْعَبْدُ وَهُوَ رَاضٍ عَمَّنْ قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ. بَلْ قَدْ يَجْتَمِعُ تَسَخُّطُهُ وَالرِّضَا بِنَفْسِ الْقَضَاءِ. كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: (إِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ سُوءَ ظَنِّ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ وَمُنَازَعَتَهُ لَهُ فِي اخْتِيَارِهِ) فَلَيْسَ كَذَلِكَ. بَلْ هُوَ حسن الظَّنِّ بِرَبِّهِ فِي الْحَالَتَيْنِ. فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَسْخَطُ الْمَقْدُورَ وَيُنَازِعُهُ بِمَقْدُورٍ آخَرَ. كَمَا يُنَازِعُ الْقَدَرَ الَّذِي يَكْرَهُهُ رَبُّهُ بِالْقَدَرِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ. فَيُنَازِعُ قَدَرَ الله بِقَدَرِ الله، بِاللَّهِ لِلَّهِ، كَمَا يَسْتَعِيذُ بِرِضَاهُ مِنْ سَخَطِهِ، وَبِمُعَافَاتِهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَيَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْهُ.

فَأَمَّا كَوْنُهُ يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ خِلَافَ مَا يَخْتَارُهُ الرَّبُّ فَهَذَا مَوْضِعُ تَفْصِيلٍ. لَا يُسْحَبُ عَلَيْهِ ذَيْلُ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ. فَاخْتِيَارُ الرَّبِّ تَعَالَى لِعَبْدِهِ نَوْعَانِ.

أَحَدُهُمَا: اخْتِيَارٌ دِينِيٌّ شَرْعِيٌّ. فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ لَا يَخْتَارَ فِي هَذَا النَّوْعِ غَيْرَ مَا اخْتَارَهُ لَهُ سَيِّدُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾[الأحزاب: ٣٦] فَاخْتِيَارُ الْعَبْدِ خِلَافَ ذَلِكَ مُنَافٍ لِإِيمَانِهِ وَتَسْلِيمِهِ، وَرِضَاهُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا.

النَّوْعُ الثَّانِي: اخْتِيَارٌ كَوْنِيٌّ قَدَرِيٌّ. لَا يَسْخَطُهُ الرَّبُّ، كَالْمَصَائِبِ الَّتِي يَبْتَلِي اللَّهُ بِهَا عَبْدَهُ. فَهَذَا لَا يَضُرُّهُ فِرَارُهُ مِنْهَا إِلَى الْقَدَرِ الَّذِي يَرْفَعُهَا عَنْهُ، وَيَدْفَعُهَا وَيَكْشِفُهَا. وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مُنَازَعَةٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ. وَإِنْ كَانَ فِيهِ مُنَازَعَةٌ لِلْقَدَرِ بِالْقَدَرِ.

فَهَذَا يَكُونُ تَارَةً وَاجِبًا، وَتَارَةً يَكُونُ مُسْتَحَبًّا، وَتَارَةً يَكُونُ مُبَاحًا مُسْتَوِيَ الطَّرَفَيْنِ، وَتَارَةً يَكُونُ مَكْرُوهًا، وَتَارَةً يَكُونُ حَرَامًا.

وَأَمَّا الْقَدَرُ الَّذِي لَا يُحِبُّهُ وَلَا يَرْضَاهُ - مِثْلَ قَدَرِ الْمَعَائِبِ وَالذُّنُوبِ - فَالْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِسَخَطِهَا. وَمَنْهِيٌّ عَنِ الرِّضَا بِهَا.

وَهَذَا هُوَ التَّفْصِيلُ الْوَاجِبُ فِي الرِّضَا بِالْقَضَاءِ.

وَقَدِ اضْطَرَبَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ اضْطِرَابًا عَظِيمًا. وَنَجَا مِنْهُ أَصْحَابُ الْفِرَقِ وَالتَّفْصِيلِ. فَإِنَّ لَفْظَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ لَفْظٌ مَحْمُودٌ مَأْمُورٌ بِهِ. وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ الصِّدِّيقِينَ. فَصَارَتْ لَهُ حُرْمَةٌ أَوْجَبَتْ لِطَائِفَةٍ قَبُولَهُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ. وَظَنُّوا أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مَخْلُوقًا لِلرَّبِّ تَعَالَى فَهُوَ مَقْضِيٌّ مَرْضِيٌّ لَهُ. يَنْبَغِي لَهُ الرِّضَا بِهِ. ثُمَّ انْقَسَمُوا عَلَى فِرْقَتَيْنِ.

فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ وَالرِّضَا مُتَلَازِمَيْنِ. فَمَعْلُومٌ أَنَّا مَأْمُورُونَ بِبُغْضِ الْمَعَاصِي، وَالْكُفْرِ وَالظُّلْمِ. فَلَا تَكُونُ مَقْضِيَّةً مُقَدَّرَةً.

وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: قَدْ دَلَّ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ عَلَى أَنَّهَا وَاقِعَةٌ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ. فَنَحْنُ نَرْضَى بِهَا.

وَالطَّائِفَتَانِ مُنْحَرِفَتَانِ، جَائِرَتَانِ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ. فَأُولَئِكَ أَخْرَجُوهَا عَنْ قَضَاءِ الرَّبِّ وَقَدَرِهِ. وَهَؤُلَاءِ رَضُوا بِهَا وَلَمْ يَسْخَطُوهَا. هَؤُلَاءِ خَالَفُوا الرَّبَّ تَعَالَى فِي رِضَاهُ وَسَخَطِهِ. وَخَرَجُوا عَنْ شَرْعِهِ وَدِينِهِ. وَأُولَئِكَ أَنْكَرُوا تَعَلُّقَ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ بِهَا.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ أَنْكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَنْ جَعَلَ مَشِيئَتَهُ وَقَضَاءَهُ مُسْتَلْزِمَانِ لِمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ. فَكَيْفَ بِمَنْ جَعَلَ ذَلِكَ شَيْئًا وَاحِدًا؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا

مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النحل: ٣٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزخرف: ٢٠]. فَهُمُ اسْتَدَلُّوا عَلَى مَحَبَّتِهِ لِشِرْكِهِمْ وَرِضَاهُ عَنْهُ بِمَشِيئَتِهِ لِذَلِكَ. وَعَارَضُوا بِهَذَا الدَّلِيلِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ. وَفِيهِ أَبْيَنُ الرَّدِّ لِقَوْلِ مَنْ جَعَلَ مَشِيئَتَهُ غَيْرَ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ. فَالْإِشْكَالُ إِنَّمَا نَشَأَ مِنْ جَعْلِهِمُ الْمَشِيئَةَ نَفْسَ الْمَحَبَّةِ. ثُمَّ زَادُوهُ بِجَعْلِهِمُ الْفِعْلَ نَفْسَ الْمَفْعُولِ، وَالْقَضَاءَ عَيْنَ الْمَقْضِيِّ. فَنَشَأَ مِنْ ذَلِكَ إِلْزَامُهُمْ بِكَوْنِهِ تَعَالَى رَاضِيًا مُحِبًّا لِذَلِكَ. وَالْتِزَامُ رِضَاهُمْ بِهِ.

وَالَّذِي يَكْشِفُ هَذِهِ الْغُمَّةَ، وَيُبَصِّرُ مِنْ هَذِهِ الْعِمَايَةِ، وَيُنْجِي مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ: إِنَّمَا هُوَ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ، وَهُوَ الْمَشِيئَةُ وَالْمَحَبَّةُ. فَإِنَّهُمَا لَيْسَا وَاحِدًا. وَلَا هُمَا مُتَلَازِمَيْنِ. بَلْ قَدْ يَشَاءُ مَا لَا يُحِبُّهُ، وَيُحِبُّ مَا لَا يَشَاءُ كَوْنَهُ.

فَالْأَوَّلُ: كَمَشِيئَتِهِ لِوُجُودِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ. وَمَشِيئَتِهِ الْعَامَّةِ لِجَمِيعِ مَا فِي الْكَوْنِ مَعَ بُغْضِهِ لِبَعْضِهِ.

وَالثَّانِي: كَمَحَبَّتِهِ إِيمَانَ الْكُفَّارِ، وَطَاعَاتِ الْفُجَّارِ، وَعَدْلَ الظَّالِمِينَ، وَتَوْبَةَ الْفَاسِقِينَ. وَلَوْ شَاءَ ذَلِكَ لَوُجِدَ كُلُّهُ وَكَانَ جَمِيعُهُ. فَإِنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ. وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا الْأَصْلُ، وَأَنَّ الْفِعْلَ غَيْرُ الْمَفْعُولِ، وَالْقَضَاءَ غَيْرُ الْمَقْضِيِّ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَأْمُرْ عِبَادَهُ بِالرِّضَا بِكُلِّ مَا خَلَقَهُ وَشَاءَهُ: زَالَتِ الشُّبَهَاتُ. وَانْحَلَّتِ الْإِشْكَالَاتُ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ شَرْعِ الرَّبِّ وَقَدَرِهِ تُنَاقُضٌ، بِحَيْثُ يُظَنُّ إِبْطَالُ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ، بَلِ الْقَدَرُ يَنْصُرُ الشَّرْعَ. وَالشَّرْعُ يُصَدِّقُ الْقَدَرَ. وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُحَقِّقُ الْآخَرَ.

إِذَا عُرِفَ هَذَا، فَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ وَاجِبٌ، وَهُوَ أَسَاسُ الإِسْلَامِ وَقَاعِدَةُ الْإِيمَانِ. فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِهِ بِلَا حَرَجٍ، وَلَا مُنَازَعَةٍ وَلَا مُعَارَضَةٍ، وَلَا اعْتِرَاضٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

فَأَقْسَمَ: أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ، وَحَتَّى يَرْتَفِعَ الْحَرَجُ مِنْ نُفُوسِهِمْ مِنْ حُكْمِهِ، وَحَتَّى يُسَلِّمُوا لِحُكْمِهِ تَسْلِيمًا. وَهَذَا حَقِيقَةُ الرِّضَا بِحُكْمِهِ.

فَالتَّحْكِيمُ: فِي مَقَامِ الإِسْلَامِ. وَانْتِفَاءُ الْحَرَجِ: فِي مَقَامِ الإِيمَانِ. وَالتَّسْلِيمُ: فِي مَقَامِ الإِحْسَانِ.

وَمَتَّى خَالَطَ الْقَلْبَ بَشَاشَةُ الْإِيمَانِ، وَاكْتَحَلَتْ بَصِيرَتُهُ بِحَقِيقَةِ الْيَقِينِ، وَحَيِّيَ بِرُوحِ الْوَحْيِ، وَتَمَهَّدَتْ طَبِيعَتُهُ، وَانْقَلَبَتِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ مُطْمَئِنَّةً رَاضِيَةً وَادِعَةً، وَتَلَقَّى أَحْكَامَ الرَّبِّ تَعَالَى بِصَدْرٍ وَاسِعٍ مُنْشَرِحٍ مُسْلِمٍ: فَقَدْ رَضِيَ كُلَّ الرِّضَا بِهَذَا الْقَضَاءِ الدِّينِيِّ الْمَحْبُوبِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ، الْمُوَافِقِ لِمَحَبَّةِ الْعَبْدِ وَإِرَادَتِهِ وَرِضَاهُ - مِنَ الصِّحَّةِ، وَالْغِنَى، وَالْعَافِيَةِ، وَاللَّذَّةِ - أَمْرٌ لَازِمٌ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ. لِأَنَّهُ مُلَائِمٌ لِلْعَبْدِ، مَحْبُوبٌ لَهُ. فَلَيْسَ فِي الرِّضَا بِهِ عُبُودِيَّةٌ. بَلِ الْعُبُودِيَّةُ فِي مُقَابَلَتِهِ بِالشُّكْرِ، وَالِاعْتِرَافِ بِالْمِنَّةِ، وَوَضْعِ النِّعْمَةِ مَوَاضِعَهَا الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ تُوضَعَ فِيهَا، وَأَنْ لَا يُعْصَى الْمُنْعِمُ بِهَا، وَأَنْ يُرَى التَّقْصِيرُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ.

وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ، الْجَارِي عَلَى خِلَافِ مُرَادِ الْعَبْدِ وَمَحَبَّتِهِ - مِمَّا لَا يُلَائِمُهُ. وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ اخْتِيَارِهِ - مُسْتَحَبٌّ. وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَفِي

وُجُوبِهِ قَوْلَانِ. وَهَذَا كَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ، وَأَذَى الْخَلْقِ لَهُ، وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْآلَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ الْجَارِي عَلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ - مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَسْخَطُهُ، وَيَنْهَى عَنْهُ - كَأَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ: حَرَامٌ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ. وَهُوَ مُخَالَفَةٌ لِرَبِّهِ تَعَالَى. فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ وَلَا يُحِبُّهُ. فَكَيْفَ تَتَّفِقُ الْمَحَبَّةُ وَرِضَا مَا يَسْخَطُهُ الْحَبِيبُ وَيُبْغِضُهُ؟ فَعَلَيْكَ بِهَذَا التَّفْصِيلِ فِي مَسْأَلَةِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يُرِيدُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَمْرًا لَا يَرْضَاهُ وَلَا يُحِبُّهُ؟ وَكَيْفَ يَشَاؤُهُ وَيُكَوِّنُهُ؟ وَكَيْفَ تَجْتَمِعُ إِرَادَةُ الله لَهُ وَبُغْضُهُ وَكَرَاهِيَتُهُ؟

قِيلَ: هَذَا السُّؤَالُ هُوَ الَّذِي افْتَرَقَ النَّاسُ لِأَجْلِهِ فِرَقًا، وَتَبَايَنَتْ عِنْدَهُ طُرُقُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ.

فَاعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ نَوْعَانِ: مُرَادٌ لِنَفْسِهِ. وَمُرَادٌ لِغَيْرِهِ.

فَالْمُرَادُ لِنَفْسِهِ: مَطْلُوبٌ مَحْبُوبٌ لِذَاتِهِ وَلِمَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ. فَهُوَ مُرَادُ إِرَادَةِ الْغَايَاتِ وَالْمَقَاصِدِ.

وَالْمُرَادُ لِغَيْرِهِ: قَدْ لَا يَكُونُ فِي نَفْسِهِ مَقْصُودًا لِلْمُرِيدِ، وَلَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ لَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى ذَاتِهِ. وَإِنْ كَانَ وَسِيلَةً مَقْصُودَةً وَمُرَادَةً. فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَهُ مِنْ حَيْثُ نَفْسُهُ وَذَاتُهُ، مُرَادٌ لَهُ مِنْ حَيْثُ إِفْضَاؤُهُ وَإِيصَالُهُ إِلَى مُرَادِهِ. فَيَجْتَمِعُ فِيهِ الْأَمْرَانِ: بُغْضُهُ، وَإِرَادَتُهُ، وَلَا يَتَنَافَيَانِ. لِاخْتِلَافِ مُتَعَلِّقِهِمَا. وَهَذَا كَالدَّوَاءِ الْمُتَنَاهِي فِي الْكَرَاهَةِ، إِذَا عَلِمَ مُتَنَاوِلُهُ أَنَّ فِيهِ شِفَاءَهُ، وَكَقَطْعِ الْعُضْوِ الْمُتَآكِلِ إِذَا عُلِمَ أَنَّ فِي قَطْعِهِ بَقَاءَ جَسَدِهِ، وَكَقَطْعِ الْمَسَافَةِ الشَّاقَّةِ جِدًّا إِذَا عُلِمَ أَنَّهَا تُوصِلُهُ إِلَى مُرَادِهِ وَمَحْبُوبِهِ. بَلِ الْعَاقِلُ يَكْتَفِي فِي إِيثَارِ هَذَا الْمَكْرُوهِ وَإِرَادَتِهِ بِالظَّنِّ الْغَالِبِ، وَإِنْ خَفِيَتْ عَنْهُ عَاقِبَتُهُ، وَطُوِيَتْ عَنْهُ مَغَبَّتُهُ، فَكَيْفَ

بِمَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْعَوَاقِبُ؟ فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكْرَهُ الشَّيْءَ وَيُبْغِضُهُ فِي ذَاتِهِ. وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ إِرَادَتَهُ لِغَيْرِهِ، وَكَوْنَهُ سَبَبًا إِلَى مَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ فَوْتِهِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ إِبْلِيسَ، الَّذِي هُوَ مَادَّةٌ لِفَسَادِ الْأَدْيَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالِاعْتِقَادَاتِ وَالْإِرَادَاتِ، وَهُوَ سَبَبُ شَقَاوَةِ الْعَبِيدِ، وَعَمَلِهِمْ بِمَا يُغْضِبُ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَهُوَ السَّاعِي فِي وُقُوعِ خِلَافِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَكُلِّ حِيلَةٍ. فَهُوَ مَبْغُوضٌ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَسْخُوطٌ لَهُ. لَعَنَهُ اللَّهُ وَمَقَتَهُ. وَغَضِبَ عَلَيْهِ. وَمَعَ هَذَا فَهُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى مَحَابَّ كَثِيرَةٍ لِلرَّبِّ تَعَالَى تَرَتَّبَتْ عَلَى خَلْقِهِ. وَجُودُهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عَدَمِهَا.

مِنْهَا: أَنْ تَظْهَرَ لِلْعِبَادِ قُدْرَةُ الرَّبِّ تَعَالَى عَلَى خَلْقِ الْمُتَضَادَّاتِ الْمُتَقَابِلَاتِ فَخَلَقَ هَذِهِ الذَّاتَ - الَّتِي هِيَ أَخْبَثُ الذَّوَاتِ وَشَرُّهَا. وَهِيَ سَبَبُ كُلِّ شَرٍّ - فِي مُقَابَلَةِ ذَاتِ جِبْرِيلَ، الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ الذَّوَاتِ، وَأَطْهَرُهَا وَأَزْكَاهَا. وَهِيَ مَادَّةُ كُلِّ خَيْرٍ. فَتَبَارَكَ اللَّهُ خَالِقُ هَذَا وَهَذَا. كَمَا ظَهَرَتْ لَهُمْ قُدْرَتُهُ التَّامَّةُ فِي خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالضِّيَاءِ وَالظَّلَامِ، وَالدَّاءِ وَالدَّوَاءِ، وَالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ، وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالْمَاءِ وَالنَّارِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وَذَلِكَ مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِزَّتِهِ، وَسُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ. فَإِنَّهُ خَلَقَ هَذِهِ الْمُتَضَادَّاتِ. وَقَابَلَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ. وَسَلَّطَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ. وَجَعَلَهَا مَحَالَّ تَصَرُّفِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَحِكْمَتِهِ. فَخُلُوُّ الْوُجُودِ عَنْ بَعْضِهَا بِالْكُلِّيَّةِ تَعْطِيلٌ لِحِكْمَتِهِ، وَكَمَالِ تَصَرُّفِهِ وَتَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ.

وَمِنْهَا: ظُهُورُ آثَارِ أَسْمَائِهِ الْقَهْرِيَّةِ، مِثْلَ الْقَهَّارِ، وَالْمُنْتَقِمِ، وَالْعَدْلِ، وَالضَّارِّ، وَشَدِيدِ الْعِقَابِ، وَسَرِيعِ الْحِسَابِ، وَذِي الْبَطْشِ الشَّدِيدِ، وَالْخَافِضِ، وَالْمُذِلِّ. فَإِنَّ

هَذِهِ الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ كَمَالٌ. فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ مُتَعَلَّقِهَا. وَلَوْ كَانَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى طَبِيعَةِ الْمَلَكِ لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ.

وَمِنْهَا: ظُهُورُ آثَارِ أَسْمَائِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِحِلْمِهِ وَعَفْوِهِ، وَمَغْفِرَتِهِ وَسِتْرِهِ، وَتَجَاوُزِهِ عَنْ حَقِّهِ، وَعِتْقِهِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عَبِيدِهِ. فَلَوْلَا خَلْقُ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى ظُهُورِ آثَارِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ لَتَعَطَّلَتْ هَذِهِ الْحِكَمُ وَالْفَوَائِدُ. وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا بِقَوْلِهِ: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ الله. فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»[1].

وَمِنْهَا: ظُهُورُ آثَارِ أَسْمَاءِ الْحِكْمَةِ وَالْخِبْرَةِ. فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا. وَيُنْزِلُهَا مَنَازِلَهَا اللَّائِقَةَ بِهَا. فَلَا يَضَعُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. وَلَا يُنْزِلُهُ غَيْرَ مَنْزِلِهِ، الَّتِي يَقْتَضِيهَا كَمَالُ عِلْمِهِ وَحِكْمَتُهُ وَخِبْرَتُهُ. فَلَا يَضَعُ الْحِرْمَانَ وَالْمَنْعَ مَوْضِعَ الْعَطَاءِ وَالْفَضْلِ. وَلَا الْفَضْلَ وَالْعَطَاءَ مَوْضِعَ الْحِرْمَانِ وَالْمَنْعِ. وَلَا الثَّوَابَ مَوْضِعَ الْعِقَابِ، وَلَا الْعِقَابَ مَوْضِعَ الثَّوَابِ، وَلَا الْخَفْضَ مَوْضِعَ الرَّفْعِ، وَلَا الرَّفْعَ مَوْضِعَ الْخَفْضِ، وَلَا الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَلَا الذُّلَّ مَكَانَ الْعِزِّ، وَلَا يَأْمُرُ بِمَا يَنْبَغِي النَّهْيُ عَنْهُ، وَلَا يَنْهَى عَمَّا يَنْبَغِي الْأَمْرُ بِهِ.

فَهُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ. وَأَعْلَمُ بِمَنْ يَصْلُحُ لِقَبُولِهَا. وَيَشْكُرُهُ عَلَى انْتِهَائِهَا إِلَيْهِ وَوُصُولِهَا. وَأَعْلَمُ بِمَنْ لَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ وَلَا يَسْتَأْهِلُهُ. وَأَحْكَمُ مِنْ أَنْ يَمْنَعَهَا أَهْلَهَا. وَأَنْ يَضَعَهَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا.

فَلَوْ قُدِّرَ عَدَمُ الْأَسْبَابِ الْمَكْرُوهَةِ الْبَغِيضَةِ لَهُ لَتَعَطَّلَتْ هَذِهِ الْآثَارُ. وَلَمْ تَظْهَرْ لِخَلْقِهِ. وَلَفَاتَتِ الْحِكَمُ وَالْمَصَالِحُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَيْهَا. وَفَوَاتُهَا شَرٌّ مِنْ حُصُولِ تِلْكَ الْأَسْبَابِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وبنحوه (٢٧٤٨) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

فَلَوْ عُطِّلَتْ تِلْكَ الْأَسْبَابُ - لِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ - لَتَعَطَّلَ الْخَيْرُ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي فِي تِلْكَ الْأَسْبَابِ. وَهَذَا كَالشَّمْسِ وَالْمَطَرِ وَالرِّيَاحِ الَّتِي فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ مَا هُوَ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا يَحْصُلُ بِهَا مِنَ الشَّرِّ وَالضَّرَرِ. فَلَوْ قُدِّرَ تَعْطِيلُهَا - لِئَلَّا يَحْصُلَ مِنْهَا ذَلِكَ الشَّرُّ الْجُزْئِيُّ - لَتَعَطَّلَ مِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ الشَّرِّ بِمَا لَا نِسْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. اهـ ملخصًا.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٦٨٢/١٠ -):

الرِّضَا نَوْعَانِ: **أَحَدُهُمَا**: الرِّضَا بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَيَتَنَاوَلُ مَا أَبَاحَهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ تَعَدٍّ إِلَى الْمَحْظُورِ كَمَا قَالَ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾.

وَهَذَا الرِّضَا وَاجِبٌ، وَلِهَذَا ذُمَّ مَنْ تَرَكَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: الرِّضَا بِالمَصَائِبِ، كَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَالذُّلِّ، فَهَذَا الرِّضَا مُسْتَحَبٌّ فِي أَحَدِ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ وَاجِبٌ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الوَاجِبَ هُوَ الصَّبْرُ، كَمَا قَالَ الحَسَنُ: الرِّضَا غَرِيزَةٌ، وَلَكِنَّ الصَّبْرَ مِعْوَلُ الْمُؤْمِنِ.

وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالرِّضَا مَعَ اليَقِينِ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا**»[1].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٤١)، وفي سنده: عبدالله بن ميمون القدَّاح وهو متروك.

وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/ ٣١٤)، وفيه مبهمان. =

وَأَمَّا الرِّضَا بِالْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، فَالَّذِي عَلَيْهِ أَئِمَّةُ الدِّينِ أَنَّهُ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَاهُ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾.

وَقَالَ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾. وَقَالَ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

فَإِذَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَا يَرْضَى لَهُمْ مَا عَمِلُوهُ، بَلْ يَسْخَطُهُ ذَلِكَ وَهُوَ يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ وَيَغْضَبُ عَلَيْهِمْ، فَكَيْفَ يُشْرَعُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَرْضَى ذَلِكَ وَأَنْ لَا يَسْخَطَ وَيَغْضَبَ لِمَا يُسْخِطُ اللَّهَ وَيُغْضِبُهُ. وَإِنَّمَا ضَلَّ هُنَا فَرِيقَانِ مِنْ النَّاسِ:

قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ المُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ فِي مُنَاظَرَةِ القَدَرِيَّةِ، ظَنُّوا أَنَّ مَحَبَّةَ الحَقِّ وَرِضَاهُ وَغَضَبَهُ وَسَخَطَهُ يَرْجِعُ إِلَى إِرَادَتِهِ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ مُرِيدٌ لِجَمِيعِ الكَائِنَاتِ خِلَافًا لِلْقَدَرِيَّةِ.

وَقَالُوا: هُوَ أَيْضًا مُحِبٌّ لَهَا، مُرِيدٌ لَهَا. ثُمَّ أَخَذُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، فَقَالُوا: لَا يُحِبُّ الفَسَادَ، بِمَعْنَى لَا يُرِيدُ الفَسَادَ، أَيْ لَا يُرِيدُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ. أَيْ: لَا يُرِيدُه لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ.

= وأخرجه الشجري في «الأمالي» (٢/ ١٩٤) كما في «الإيماء» (٣١١١) من طريق: عمرو بن يربع، حدثنا الحارث بن الحجاج، عن أبي معمر، عن علي بن عبدالله بن عباس، عن أبيه، وعمرو بن يربع لم أجد له ترجمة، ويحتمل أن يكون تصحف، والحارث وأبو معمر مجهولان، قاله الدارقطني كما في «سؤالات البرقاني».

وَهَذَا غَلَطٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّ هَذَا عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَنْ يُقَالَ: لَا يُحِبُّ الإِيمَانَ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الإِيمَانَ. أَيْ لَا يُرِيدُهُ لِلْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَاهُ لِلْكَافِرِينَ.

وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ الإِسْلَامِ عَلَى أَنَّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا يُحِبُّهُ.

ثُمَّ قَدْ يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ وَاجِبًا، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا لَيْسَ بِوَاجِبٍ، سَوَاءٌ فَعَلَ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ، وَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَالْفَرِيقُ الثَّانِي: مِنْ غَالِطِي الْمُتَصَوِّفَةِ، شَرِبُوا مِنْ هَذِهِ الْعَيْنِ، فَشَهِدُوا أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْكَائِنَاتِ جَمِيعًا، وَعَلِمُوا أَنَّهُ قَدَرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشَاءَهُ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يَكُونُوا رَاضِينَ حَتَّى يَرْضَوْا بِكُلِّ مَا يُقَدِّرُهُ وَيَقْضِيهِ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَحَبَّةُ نَارٌ تُحْرِقُ مِنْ الْقَلْبِ كُلَّ مَا سِوَى مُرَادِ الْمَحْبُوبِ.

قَالُوا: وَالْكَوْنُ كُلُّهُ مُرَادُ الْمَحْبُوبِ.

وَضَلَّ هَؤُلَاءِ ضَلَالًا عَظِيمًا، حَيْثُ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الإِرَادَةِ الدِّينِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ، وَالإِذْنِ الْكَوْنِيِّ وَالدِّينِيِّ، وَالْأَمْرِ الْكَوْنِيِّ وَالدِّينِيِّ، وَالْبَعْثِ الْكَوْنِيِّ وَالدِّينِيِّ، وَالإِرْسَالِ الْكَوْنِيِّ وَالدِّينِيِّ، كَمَا بَسَطْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَهَؤُلَاءِ يؤول الأَمْرُ بِهِمْ إِلَى أَنْ لَا يُفَرِّقُوا بَيْنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَحْظُورِ.

وَأَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِ، وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُتَّقِينَ، وَيَجْعَلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ، وَيَجْعَلُونَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ وَيَجْعَلُونَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، وَيُعَطِّلُونَ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَالشَّرَائِعَ، وَرُبَّمَا سَمَّوْا هَذِهِ حَقِيقَةً، وَلَعَمْرِي أَنَّهُ حَقِيقَةٌ كَوْنِيَّةٌ، لَكِنَّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْكَوْنِيَّةَ قَدْ عَرَفَهَا عُبَّادُ الأَصْنَامِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الآيَاتُ.

فَالْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، فَمَنْ كَانَ هَذَا مُنْتَهَى تَحْقِيقِهِ كَانَ أَقْرَبَ أَنْ يَكُونَ كَعُبَّادِ الأَصْنَامِ.

وَالْمُؤْمِنُ إِنَّمَا فَارَقَ الكُفْرَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ، وَبِتَصْدِيقِهِمْ فِيمَا أَخْبَرُوا وَطَاعَتُهُمْ فِيمَا أَمَرُوا، وَاتِّبَاعُ مَا يَرْضَاهُ اللهُ وَيُحِبُّهُ، دُونَ مَا يُقَدِّرُهُ وَيَقْضِيهِ مِنْ الكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَلَكِنْ يَرْضَى بِمَا أَصَابَهُ مِنْ المَصَائِبِ، لَا بِمَا فَعَلَهُ مِنْ المَعَائِبِ.

فَهُوَ مِنْ الذُّنُوبِ يَسْتَغْفِرُ، وَعَلَى المَصَائِبِ يَصْبِرُ، فَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾.

فَيَجْمَعُ بَيْنَ طَاعَةِ الأَمْرِ وَالصَّبْرِ عَلَى المَصَائِبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾.

وَقَالَ يُوسُفُ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾.اهـ

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع العلوم والحكم (شرح حديث/٢):

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي - ﷺ -، قال: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا**»[١].

والرضا بربوبية الله يتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، وبالرضا بتدبيره للعبد واختياره له. والرضا بالإسلام دينا يقتضي اختياره على سائر الأديان. والرضا بمحمد رسولا يقتضي الرضا بجميع ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والانشراح، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

وفي الصحيحين عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**»[(١)]. وفي رواية: «**وجد بهن طعم الإيمان**»[(٢)]، وفي بعض الروايات: «**طعم الإيمان وحلاوته**»[(٣)].

وفي الصحيحين عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**»[(٤)]، وفي رواية: «**من أهله، وماله، والناس أجمعين**»[(٥)].اهـ

مسألة (١): البكاء على الميت هل ينافي الرضا عن الله؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٢/٢٠٢):

وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ.

أَحَدُهَا: مَنِ اجْتَمَعَ لَهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَرَحْمَةُ الطِّفْلِ. فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ رَحْمَةً وَالْقَلْبُ رَاضٍ.

الثَّانِي: مَنْ غَيَّبَهُ الرِّضَا عَنِ الرَّحْمَةِ. فَلَمْ يَتَّسِعْ لِلْأَمْرَيْنِ. بَلْ غَيَّبَهُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٧٦٥، و١٣٩١٢) عن أنس رضي الله عنه، بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٦٠، و٣٤٧٦٥) عن أنس رضي الله عنه، بإسناد حسن.

(٤) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٤٤) عن أنس رضي الله عنه.

الثَّالِثُ: مَنْ غَيَّبَتْهُ الرَّحْمَةُ وَالرِّقَّةُ عَنِ الرِّضَا فَلَمْ يَشْهَدْهُ، بَلْ فَنِيَ عَنِ الرِّضَا.

الرَّابِعُ: مَنْ لَا رِضَا عِنْدَهُ وَلَا رَحْمَةَ. وَإِنَّمَا يَكُونُ حُزْنُهُ لِفَوَاتِ حَظِّهِ مِنَ الْمَيِّتِ. وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ الْخَلْقِ. فَلَا إِحْسَانَ. وَلَا رِضَا عَنِ الرَّحْمَنِ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَالْأَوَّلُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الرِّضَا. وَالثَّانِي دُونَهُ. وَالثَّالِثُ دُونَ الثَّانِي. وَالرَّابِعُ هُوَ السَّاخِطُ.اهـ

٤٨ وَعَنْ سُهَيْلِ بنِ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَربَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ». وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧١٣).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

مسألة (١) : توحيد الربوبية لله عز وجل

لا يحقق العبد إيمانه؛ إلا بإيمانه بتوحيد الربوبية لله عز وجل؛ فلا إله غيره، ولا ربَّ سواه.

قال الله جل وعلا: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]. وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧] وقال

سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٧].

وقال الله جل وعلا: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٥٨-٧٤].

وقال جل وعلا: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا معلومة.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي الجواب الصحيح (٣/٤٩١ -):

والرب تعالى يمتنع أن يحتاج إلى شيء من مخلوقاته، لا إلى العرش، ولا إلى غيره، أو يحيط به شيء من الموجودات؛ إذ هو الظاهر؛ فليس فوقه شيء، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»؛ فهو غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، ولهذا لم يكن ما وصف الله به نفسه

مماثلا لصفات المخلوقين كما لم تكن ذاته كذوات المخلوقين فهو مستو على عرشه كما أخبرنا عن نفسه مع غناه عن العرش

والمخلوق المستوي على السرير، أو الفلك، أو الدابة لو ذهب ما تحته؛ لسقط لحاجته إليه، والله غني عن كل ما سواه، وهو الحامل بقدرته للعرش، ولحملة العرش.اهـ

مسألة (٢): معنى قوله عليه الصلاة والسلام: أنت الأول فليس قبلك شيء...الخ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ﵀ كَمَا فِي بيان تلبيس الجهمية (١/١١١):

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**» والباري سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية، ليست فوقية الرتبة كما أن التقدم على الشيء، قد يقال: إنه بمجرد الرتبة كما يكون بالمكان مثل تقدم العالم على الجاهل، وتقدم الإمام على المأموم، فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذلك، بل هو قبله حقيقة؛ فكذلك العلو على العالم قد يقال: إنه يكون بمجرد الرتبة، كما يقال العالم فوق الجاهل. وعلو الله على العالم ليس بمجرد ذلك، بل هو عال عليه علوا حقيقيا وهو العلو المعروف والتقدم المعروف.اهـ

وقال ﵀ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/٢٤٤):

وقَوْله تَعَالَى ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ ضُمِّنَ مَعْنَى الْعَالِي كَمَا قَالَ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ وَيُقَالُ: ظَهَرَ الْخَطِيبُ عَلَى الْمِنبَرِ. وَظَاهِرُ الثَّوْبِ أَعْلَاهُ بِخِلَافِ بِطَانَتِهِ. وَكَذَلِكَ ظَاهِرُ الْبَيْتِ أَعْلَاهُ، وَظَاهِرُ الْقَوْلِ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَبَانَ، وَظَاهِرُ الْإِنْسَانِ خِلَافُ بَاطِنِهِ، فَكُلَّمَا عَلَا الشَّيْءُ ظَهَرَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «**أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَك شَيْءٌ**» فَأَثْبَتَ

الظُّهُورَ وَجَعَلَ مُوجِبَ الظُّهُورِ أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَلَمْ يَقُلْ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ مِنْك وَلَا أَعْرَفَ.

وَبِهَذَا تبَيَّنَ خَطَأُ مَنْ فَسَّرَ (الظَّاهِرَ) بِأَنَّهُ الْمَعْرُوفُ كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُ الظَّاهِرُ بِالدَّلِيلِ الْبَاطِنِ بِالْحِجَابِ كَمَا فِي كَلَامِ أَبِي الْفَرَجِ وَغَيْرِهِ فَلَمْ يَذْكُرْ مُرَادَ الله وَرَسُولِهِ وَإِنْ كَانَ الَّذِي ذَكَرَهُ لَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ، وَقَالَ: «**أَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَك شَيْءٌ**» فِيهِمَا مَعْنَى الْإِضَافَةِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْبُطُونُ وَالظُّهُورُ لِمَنْ يَظْهَرُ وَيُبْطِنُ، وَإِنْ كَانَ فِيهِمَا مَعْنَى التَّجَلِّي وَالْخَفَاءِ، وَمَعْنًى آخَرُ كَالْعُلُوِّ فِي الظُّهُورِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُوصَفُ بِالسُّفُولِ. وَقَدْ بَسَطْنَا هَذَا فِي الْإِحَاطَةِ لَكِنْ إنَّمَا يَظْهَرُ مِنْ الْجِهَةِ الْعَالِيَةِ عَلَيْنَا؛ فَهُوَ يُظْهِرُ عِلْمًا بِالْقُلُوبِ وَقَصْدًا لَهُ وَمُعَايَنَةً إذَا رُئِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ بَادٍ عَالٍ لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يَبْطُنُ فَلَا يُقْصَدُ مِنْهَا، وَلَا يُشْهَدُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَدْنَى مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ سُبْحَانَهُ.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٦/٤٢٤):

وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يَكُونُ شَيْءٌ أَعْلَى مِنْهُ قَطُّ بَلْ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَلَا يَزَالُ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى مَعَ أَنَّهُ يَقْرُبُ إلَى عِبَادِهِ وَيَدْنُو مِنْهُمْ، وَيَنْزِلُ إلَى حَيْثُ شَاءَ، وَيَأْتِي كَمَا شَاءَ.

وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ. فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهِ غَيْرُهُ فَلِعَجْزِ الْمَخْلُوقِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا. كَمَا يَعْجِزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. وَلِهَذَا قِيلَ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخَرَّازِ بِمَ عَرَفْت اللَّهَ؟ قَالَ: بِالْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ. وَأَرَادَ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ لَهُ مَا يَتَنَاقَضُ فِي حَقِّ الْخَلْقِ كَمَا اجْتَمَعَ لَهُ أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْأَعْيَانِ وَالْأَفْعَالِ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ

الْخُبْثِ وَأَنَّهُ عَدْلٌ حَكِيمٌ رَحِيمٌ. وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ مَنْ مَكَّنَهُ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْمَعَاصِي مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى مَنْعِهِمْ وَهُوَ فِي ذَلِكَ حَكِيمٌ عَادِلٌ. فَإِنَّهُ أَعْلَمُ الْأَعْلَمِينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَخَيْرُ الْفَاتِحِينَ؛ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ. فَأَنْ لَا يُحِيطُوا عِلْمًا بِمَا هُوَ أَعْظَمُ فِي ذَلِكَ أَوْلَى وَأَحْرَى.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي الجواب الصحيح (٤/٣١٨):

وَالرُّسُلُ - صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ - أَخْبَرُوا بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَالَمِ بِعِبَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، تَارَةً يَقُولُونَ: هُوَ الْعَلِيُّ وَهُوَ الْأَعْلَى، وَتَارَةً يَقُولُونَ: هُوَ فِي السَّمَاءِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾.

وَلَيْسَ مُرَادُهُمْ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ فِي جَوْفِ السَّمَاوَاتِ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ يَحْصُرُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ كَلَامُ الرُّسُلِ كُلُّهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ فَوْقَهُ.

وَلِهَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: إِنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا يَخْلُو الْعَرْشُ مِنْهُ، فَلَا يَصِيرُ تَحْتَ الْمَخْلُوقَاتِ وَفِي جَوْفِهَا قَطُّ، بَلِ الْعُلُوُّ عَلَيْهَا صِفَةٌ لَازِمَةٌ لَهُ حَيْثُ وُجِدَ مَخْلُوقٌ، فَلَا يَكُونُ الرَّبُّ إِلَّا عَالِيًا عَلَيْهِ.

وَقَوْلُ الرُّسُلِ: (فِي السَّمَاءِ) أَيْ فِي الْعُلُوِّ، لَيْسَ مُرَادُهُمْ أَنَّهُ فِي جَوْفِ الْأَفْلَاكِ، بَلْ السَّمَاءُ الْعُلُوُّ، وَهُوَ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَهُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَلَيْسَ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ حَتَّى يَكُونَ الرَّبُّ مَحْصُورًا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا هُوَ فِي جِهَةٍ مَوْجُودَةٍ، بَلْ لَيْسَ

مَوْجُودًا إِلَّا الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ، وَالْخَالِقُ بَائِنٌ عَنْ مَخْلُوقَاتِهِ، عَالٍ عَلَيْهَا، فَلَيْسَ هُوَ فِي مَخْلُوقٍ أَصْلًا، سَوَاءٌ سُمِّيَ ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ جِهَةً، أَوْ لَمْ يُسَمَّ جِهَةً.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي جِهَةٍ مَوْجُودَةٍ تَعْلُو عَلَيْهِ أَوْ تُحِيطُ بِهِ أَوْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، فَهُوَ مُخْطِئٌ.

كَمَا أَنَّ مَنْ قَالَ: لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبٌّ، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ إِلَهٌ، وَمُحَمَّدٌ لَمْ يُعْرَجْ بِهِ إِلَى رَبِّهِ، وَلَا تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِ، وَلَا تَنْزِلُ الْكُتُبُ مِنْهُ، وَلَا يَقْرُبُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَدْنُو إِلَى شَيْءٍ - فَهُوَ أَيْضًا مُخْطِئٌ.

وَمَنْ سَمَّى مَا فَوْقَ الْعَالَمِ جِهَةً، وَجَعَلَ الْعَدَمَ الْمَحْضَ جِهَةً، وَقَالَ هُوَ فِي جِهَةٍ - بِهَذَا الْمَعْنَى - أَيْ هُوَ نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَهَذَا مَعْنًى صَحِيحٌ.

وَمَنْ نَفَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: لَيْسَ فِي جِهَةٍ فَقَدْ أَخْطَأَ.

بَلْ طَرِيقُ الِاعْتِصَامِ أَنَّ مَا أَثْبَتَهُ الرُّسُلُ لِلَّهِ، أُثْبِتَ لَهُ، وَمَا نَفَتْهُ الرُّسُلُ عَنِ اللهِ، نُفِيَ عَنْهُ.

وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي لَمْ تَنْطِقِ الرُّسُلُ فِيهَا بِنَفْيٍ وَلَا إِثْبَاتٍ، كَلَفْظِ الْجِهَةِ وَالْحَيِّزِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، لَا يُطْلَقُ نَفْيًا وَلَا إِثْبَاتًا إِلَّا بَعْدَ بَيَانِ الْمُرَادِ.

فَمَنْ أَرَادَ بِمَا أَثْبَتَ مَعْنًى صَحِيحًا، فَقَدْ أَصَابَ فِي الْمَعْنَى، وَإِنْ كَانَ فِي اللَّفْظِ خَطَأً.

وَمَنْ أَرَادَ بِمَا نَفَاهُ مَعْنًى صَحِيحًا، فَقَدْ أَصَابَ فِي الْمَعْنَى، وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظِهِ خَطَأً.

وَأَمَّا مَنْ أَثْبَتَ بِلَفْظِهِ حَقًّا وَبَاطِلًا، أَوْ نَفَى بِلَفْظِهِ حَقًّا وَبَاطِلًا، فَكِلَاهُمَا مُصِيبٌ فِيمَا عَنَاهُ مِنَ الْحَقِّ، مُخْطِئٌ فِيمَا عَنَاهُ مِنَ الْبَاطِلِ، قَدْ لَبَّسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَجَمَعَ فِي كَلَامِهِ حَقًّا وَبَاطِلًا. وَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ مُتَطَابِقُونَ عَلَى أَنَّهُ فِي الْعُلُوِّ.

وَفِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مَا يُقَارِبُ أَلْفَ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا لَا يُحْصَى.اهـ

مسألة (٤): لماذا جاء ذكر الاسمين: الأول والآخر، وكذا الظاهر والباطن، معطوفين بحرف العطف، وقد جاءت أسماء أخرى مقترنة بدون حرف العطف؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي بدائع الفوائد (٣/٥٢):

فإذا كان المقام مقام تعداد الصفات من غير نظر إلى جمع أو انفراد؛ حسن إسقاط حرف العطف، وإن أريد الجمع بين الصفات أو التنبيه على تغايرها حسن إدخال حرف العطف فمثال الأول: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ وقوله: ﴿مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾، وتأمل كيف اجتمع النوعان في قوله تعالى: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ فأتى بالواو في الوصفين الأولين، وحذفها في الوصفين الآخرين؛ لأن غفران الذنب وقبول التوب قد يظن أنهما يجريان مجرى الوصف الواحد؛ لتلازمهما؛ فمن غفر الذنب قبل التوب؛ فكان في عطف أحدهما على الآخر ما يدل على أنهما صفتان وفعلان متغايران ومفهومان مختلفان لكل منهما حكمه:

أحدهما: يتعلق بالإساءة والإعراض وهو المغفرة.

والثاني: يتعلق بالإحسان، والإقبال على الله تعالى، والرجوع إليه، وهو التوبة فتقبل هذه الحسنة، وتغفر تلك السيئة.

وحسن العطف ههنا لهذا التغاير الظاهر، وكلما كان التغاير أبين كان العطف أحسن، ولهذا جاء العطف في قوله ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ وترك في قوله: ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ وقوله: ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ وأما

﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ فترك العطف بينهما؛ لنكته بديعة، وهي الدلالة على اجتماع هذين الأمرين في ذاته سبحانه، وأنه حال كونه شديد العقاب فهو ذو الطول، وطوله لا ينافى شدة عقابه، بل هما مجتمعان له بخلاف الأول والآخر؛ فإن الأولية لا تجامع الآخرية، ولهذا فسرها النبي ﷺ بقوله «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**» فأوليته أزليته، وآخريته أبديته.

فإن قلت: فما تصنع بقوله ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ فإن ظهوره تعالى ثابت مع بطونه فيجتمع في حقه الظهور والبطون، والنبي ﷺ فسر الظاهر بأنه الذي ليس فوقه شيء، والباطن بأنه الذي ليس دونه شيء، وهذا العلو والفوقية مجامع لهذا القرب والدنو والإحاطة.

قلت: هذا سؤال حسن، والذي حسَّن دخول الواو ههنا أن هذه الصفات متقابلة متضادة، وقد عطف الثاني منها على الأول للمقابلة التي بينهما، والصفتان الأخريان كالأولیين في المقابلة، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة الآخر إلى الأول؛ فكما حسن العطف بين الأوليين حسن بين الأخريين.اهـ

مسألة (٥): تسمية غير الله بهذه الأسماء الأربعة وبغيرها مما هو مختص به سبحانه وتعالى.

في فتاوى الإمام ابن باز رحمه الله (٢٩٢/٧) ما نصه:

السؤال: ما رأيكم في الغلو في النبي ﷺ حيث يقول بعضهم: إنه الأول والآخر والظاهر والباطن.. فما رأيكم في مثل هذا الاعتقاد فيه ﷺ ؟

الجواب: الأول والآخر والظاهر والباطن هو الله عز وجل قال تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقال النبي ﷺ في دعائه: «**اللهم أنت الأول؛ فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر**»، رواه الإمام مسلم في صحيحه.

فمن قال: إن النبي ﷺ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم فهو كافر، لكونه وصف النبي ﷺ بأسماء أربعة مختصة بالله عز وجل لا يستحقها غيره. وهذا لا يقوله عاقل يفهم ما يقول، الأول والآخر هو الله وحده سبحانه، وهو الذي قبل كل شيء، وبعد كل شيء سبحانه وتعالى. وهو الظاهر فوق جميع خلقه، والباقي بعدهم، والذي يعلم أحوالهم، والرسول ﷺ لا يعلم إلا ما علمه الله، وقد توفي عليه الصلاة والسلام، ووجد بعد أن كان معدوما، وجد في مكة بين أمه آمنة وأبيه عبد الله، وكان عدما قبل ذلك، ثم وجد من ماء مهين، وغيره من البشر كذلك؛ فالذي يقول: إنه الأول والآخر والظاهر والباطن؛ فهو ضال ومرتد إن كان مسلما.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي تحفة المودود (ص١٢٥ -):

ومما يُمنع تسمية الإنسان به: أسماء الرب تبارك وتعالى، فلا يجوز التسمية بالأحد، والصمد، ولا بالخالق، ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالى، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر، والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار، والمتكبر، والأول، والآخر، والباطن، وعلام الغيوب.

ثم قال: وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره كالسميع والبصير والرؤوف والرحيم؛ فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق بحيث يطلق عليه كما يطلق على الرب تعالى. انتهى.

٤٩ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

مسألة (١): إفراد الله بالخلق من توحيد الربوبية:

دل حديث الباب على أن الله عز وجل هو المتفرد بالخلق سبحانه وتعالى، ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف:٩] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

مسألة (٢): هل في قوله تعالى: (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) إثبات خالق غير الله؟

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في شفاء العليل (١/١٣١):

وأما الخالق والمصور؛ فإن استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا إلا على الرب كقوله: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ وإن استعملا مقيدين أطلقا على العبد كما يقال لمن قدَّر شيئا في نفسه: إنه خلقه. قال -يعني الشاعر-:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

ولأنت تفري ما خلقت هجينها ... وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي لك قدرة تمضي وتنفذ بها ما قدرته في نفسك، وغيرك يقدر أشياء، وهو عاجز عن إنفاذها وإمضائها، وبهذا الاعتبار صح إطلاق خالق على العبد في قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ أي أحسن المصورين والمقدرين.

والعرب تقول: قدرت الأديم وخلقته. إذا قسته؛ لتقطع منه مزاده أو قربه ونحوها. قال مجاهد: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين. وقال الليث: رجل خالق. أي: صانع. وهن الخالقات للنساء. وقال مقاتل: يقول تعالى هو أحسن خلقا من الذين يخلقون التماثيل، وغيرها التي لا يتحرك منها شيء.اهـ

وقال الإمام العثيمين رحمه الله كَمَا فِي مجموع فتاواه (١/٤):

فإن قيل: كيف نجمع بين إفراد الله عز وجل بالخلق مع أن الخلق قد يثبت لغير الله كما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾. وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المصورين: «**يقال: لهم: أحيوا ما خلقتم**»[(١)]؟

فالجواب على ذلك: أن غير الله تعالى لا يخلق كخلق الله؛ فلا يمكنه إيجاد معدوم، ولا إحياء ميت، وإنما خلق غير الله تعالى يكون بالتغيير، وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى، وهو مخلوق لله - عز وجل - فالمصور مثلًا، إذا صور صورة فإنه لم يحدث شيئًا غاية ما هنالك أنه حول شيئًا إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل، وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة فالمداد من خلق الله عز وجل، والورقة البيضاء من خلق الله عز وجل، هذا هو الفرق بين إثبات

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٥، و٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٧، و٢١٠٨) عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما.

الخلق بالنسبة إلى الله، عز وجل وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق. وعلى هذا يكون الله سبحانه وتعالى منفردًا بالخلق الذي يختص به.اهـ

فائدة تتعلق بعلم الكيمياء:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٢٩/ ٣٩٠):

وَأَمَّا الكِيمْيَاءُ: فَهُوَ المُشَبَّهُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ المَخْلُوقَيْنِ. وَالْكِيمْيَاءُ لَا تَخْتَصُّ بِهَذَيْنِ؛ بَلْ تَصْنَعُ كِيمْيَاءَ الجَوَاهِرِ: كَاللُّؤْلُؤِ وَالزَّبَرْجَدِ. وَكِيمْيَاءَ المَشْمُومَاتِ: كَالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْوَرْدِ وَكِيمْيَاءَ المَطْعُومَاتِ. وَهِيَ بَاطِلَةٌ طَبْعًا مُحَرَّمَةٌ شَرْعًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»[1]. وَالْكِيمْيَاءُ مِنْ الغِشِّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا إلَّا بِقَدَرٍ، وَالْخَلْقُ لَا يَصْنَعُونَ مِثْلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾. وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شُعَيْرَةً**»[2].

قال: وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ مِنْ المَخْلُوقَاتِ مَا صَنَعَ الخَلْقُ مِثْلَهُ، وَمَا يَصْنَعُهُ الخَلْقُ لَمْ يَخْلُقْ لَهُمْ مِثْلَهُ؛ فَهُمْ يَطْحَنُونَ الطَّعَامَ وَيَنْسِجُونَ الثِّيَابَ وَيَبْنُونَ البُيُوتَ وَلَمْ يَخْلُقْ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ الزُّجَاجُ يَصْنَعُونَهُ مِنْ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَلَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهُ. وَهَذَا مِمَّا احْتَجَّ بِهِ الكِيمَاوِيَّةُ عَلَى صِحَّةِ الكِيمْيَاءِ، وَهِيَ حُجَّةٌ بَاطِلَةٌ؛ لِمَا ذُكِرَ؛ فَإِنَّهُ لَوْ خُلِقَ زُجَاجٌ وَصُنِعَ زُجَاجٌ مِثْلُهُ: لَكَانَ فِي هَذَا حُجَّةٌ، وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١١١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَجَمَاهِيرُ العُقَلَاءِ مِنْ الأَوَّلِينَ والآخرين الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِعِلْمٍ فِي هَذَا البَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّ الكِيمْيَاءَ مُشَبَّهٌ، وَأَنَّ الذَّهَبَ المَخْلُوق مِنْ المَعَادِنِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُصْنَعَ مِثْلُهُ؛ بَلْ وَلَا يُصْنَعُ وَكُلُّ يَنْكَشِفُ قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا، وَلَكِنْ مِنْهُ مَا هُوَ شَدِيدُ الشَّبَهِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ أَبْعَدُ شَبَهًا مِنْهُ. وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.اهـ

مسألة(٣) : حكم التصوير والمصور لذوات الأرواح:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٥٩٥٠):

قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: تَصْوِيرُ صُورَةِ الْحَيَوَانِ حَرَامٌ شَدِيدُ التَّحْرِيمِ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ؛ لِأَنَّهُ مُتَوَعَّدٌ عَلَيْهِ بِهَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، وَسَوَاءٌ صَنَعَهُ لِمَا يُمْتَهَنُ أَمْ لِغَيْرِهِ فَصُنْعُهُ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ، وَسَوَاءٌ كَانَ فِي ثَوْبٍ أَوْ بِسَاطٍ أَوْ دِرْهَمٍ أَوْ دِينَارٍ أَوْ فَلْسٍ أَوْ إِنَاءٍ أَوْ حَائِطٍ أَوْ غَيْرِهَا. فَأَمَّا تَصْوِيرُ مَا لَيْسَ فِيهِ صُورَةُ حَيَوَانٍ؛ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ.

قُلْتُ: وَيُؤَيِّدُ التَّعْمِيمَ فِيمَا لَهُ ظِلٌّ، وَفِيمَا لَا ظِلَّ لَهُ مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**أَيُّكُمْ يَنْطَلِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ فَلَا يَدَعُ بِهَا وَثَنًا إِلَّا كَسَرَهُ وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَّخَهَا أَيْ طَمَسَهَا الْحَدِيثَ**...»[(١)] وَفِيهِ مَنْ عَادَ إِلَى صَنْعَةِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا عُظِّمَتْ عُقُوبَةُ الْمُصَوِّرِ؛ لِأَنَّ الصُّوَرَ كَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَلِأَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهَا يَفْتِنُ، وَبَعْضُ النُّفُوسِ إِلَيْهَا تَمِيلُ. قَالَ: وَالْمُرَادُ بِالصُّوَرِ هُنَا التَّمَاثِيلُ الَّتِي لَهَا رُوحٌ.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٥٧)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي إسناده أبو محمد الهذلي ويكنى أيضا بأبي المورع. قال الذهبي في "الميزان": لا يعرف. والحديث ثابت في صحيح مسلم (٩٦٩) بلفظ: «**وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا**»

وَاسْتَدَلَّ بِهِ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ فِي التَّذْكِرَةِ عَلَى تَكْفِيرِ الْمُشَبِّهَةِ؛ فَحَمَلَ الْحَدِيثَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ «**الْمُصَوِّرُونَ**» أَيِ: الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لِلَّهِ صُورَةً، وَتُعُقِّبَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي بَعْدَهُ فِي الْبَابِ بِلَفْظِ: «**إن الَّذين يصنعون هَذِه الصُّور يُعَذَّبُونَ**» وَبِحَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها الْآتِي بَعْدَ بَابَيْنِ بِلَفْظِ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ**»[1] وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَخَصَّ بَعْضُهُمُ الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ بِمَنْ صَوَّرَ قَاصِدًا أَنْ يُضَاهِيَ؛ فَإِنَّهُ يَصِيرُ بِذَلِكَ الْقَصْدِ كَافِرًا وَسَيَأْتِي فِي (بَابِ مَا وطيء مِنَ التَّصَاوِيرِ) بِلَفْظِ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله تعَالَى**» وَأَمَّا مَنْ عَدَاهُ؛ فَيَحْرُمُ عَلَيْهِ، وَيَأْثَمُ لَكِنْ إِثْمُهُ دُونَ إِثْمِ الْمُضَاهِي.

قُلْتُ: وَأَشَدُّ مِنْهُ مَنْ يُصَوِّرُ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله كَمَا تَقَدَّمَ، وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ: أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَعْمَلُونَ الْأَصْنَامَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ عَمِلَ صَنَمَهُ مِنْ عَجْوَةٍ ثُمَّ جَاعَ فَأَكَلَهُ.اهـ

قال أبو عبد الله: فههنا صورتان من التصوير يكون صاحبهما كافرًا كفرًا أكبر:

إحداهما: من صور صورة، وهو يزعم أنه يستطيع أن يخلق كخلق الله، ويدل على كفره حديث الباب؛ فقوله: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» فيه دلالة على تكفيره؛ فإنه هذا اللفظ: «**ومن أظلم**» يستعمل في الشرع في حق من بلغ من الظلم منتهاه، وهذا هو الكفر.

وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث أورد هذا الحديث في مقام ذكره لأدلة على الظلم الأكبر، وهو الكفر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٥، و٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٧، و٢١٠٨) عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في جامع المسائل (٦/٢٣٧):

ولهذا يكثر من ذكر الشرك والكفر وأنواعه في القرآن، ويخبر بأنه ظلم، وأنه من أعظم الظلم، كقوله: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا﴾. وقد أخبر المسيح أن العبادة ليست بحق للمخلوق، وإنما هي حقّ للخالق تعالى، في قوله: ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «**ومن أظلمُ ممن ذهب يخلق كخلقي**». وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ﴾ الآيات. وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

وقوله في الذي آتاه الله الملك: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾. وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾. وقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾. وقال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾. وقوله: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾، ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾. وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾. وقال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾. وقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

وقوله: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾. وقول أهل الأعراف: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾. وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾. وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ﴾ وقوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾. والآيات في هذا كثيرة.اهـ

ويدل على كفر من أراد التشبه بخلق ربه: قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، وهذا استفهام بمعنى النفي، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

الثانية: أن يصور صورة؛ لعبادتها من دون الله؛ فإنه بهذا العمل يكون راضيًا بعبادة غير الله، والعياذ بالله.

قال أبو عبد الله غفر الله له: ومن لم يرد بتصويره هذين الغرضين؛ فإن تصويره لذوات الأرواح يعد من كبائر الذنوب؛ للأدلة الواردة بتعظيم حرمة ذلك.

منها: حديث ابن مسعود في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُون**»(١).

ومنها: حديث عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما في الصحيحين أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»(٢).

ومنها: ما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا؛ فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومنها ما أخرجه الشيخان عن أبي طلحة رَضِيَالله عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة**»(١).

وهذه الأدلة تشمل ما كان منحوتًا، وما لم يكن كذلك؛ ومما يدل على أن غير المنحوت داخل في التحريم حديث عائشة رَضِيَالله عَنْهَا، عند الشيخين أنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ، وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله** ». قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَالله عَنْهَا: فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ(٢).

وكذلك حديث علي رَضِيَالله عَنْهُ، عند مسلم أن النبي ﷺ قال له: «**لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»(٣).

مسألة(٤) : هل يدخل في التحريم ما كان مصورا بالآلات الحديثة؟

أكثر علمائنا المعاصرين على تحريم ذلك، وممن صرَّح بالتحريم الإمام الألباني، والإمام ابن باز، والإمام الوادعي، وغيرهم رحمة الله عليهم.

واستدلوا على ذلك بعموم الأدلة، ولأن التصوير بالآلة لا يمكن إلا بتدخل الإنسان في ذلك؛ فصار ذلك من فعل الإنسان، وصار هو المصور حقيقة.

وقد ذهب بعضهم إلى الجواز، واستدلوا بتعليلات وقياسات:

منها: أنهم قاسوها على المرآة، فقالوا: التصوير بالآلة، مثل ظهور الوجه والجسم على المرآة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦) عن أبي طلحة رَضِيَالله عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧) عن عائشة رَضِيَالله عَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم (٩٦٩).

وقالوا: المصور بالآلة ليس له عمل، وإنما العمل عمل الآلة، وهو بمثابة الناقل، وهذا قول لبعضهم.

وقد رد عليهم الشيخ محمد بن إبراهيم في الجزء الثاني من الفتاوى. وبين أن هناك فرقًا بين التصوير بالآلة والظهور بالمرآة من وجوه:

الوجه الأول: أن التصوير بالآلة، فيه استقرار وبقاء، وأما على المرآة فلا تبقى ولا تستقر.

الوجه الثاني: أن التصوير بالآلة عن عمل ومعالجة؛ بخلاف الظهور على المرآة فلا عمل فيه ولا معالجة.

الوجه الثالث: من حيث اللغة والعرف والعقل، قال: لا يأتي لغة ولا عرفًا ولا عقلًا أن من وقف أمام المرآة أنه صور. اهـ

وأما قولهم إن الآلة ليس فيها عمل فيقال:

إن المصور بالآلة يأتي بالآلة، ويضع الفِلم، أو الذاكرة فيها، ويوجه الآلة، ويلتقط الصورة، ويحمض الصورة، وهذه كلها أعمال، وربما عدّل في الصورة أيضًا، فأين الدعوى أنه ليس له عمل؟

وهذا القول مثل لو قال قائل إنه لا يحرم من الخمر إلا ما اعتصر بالأيدي فقط، أما المعتصر بالآلات فلا يحرم.

ويقال لهم: هذه تعليلات في مقابل النص، والتعليل في مقابل النص فاسد الاعتبار.

ويقال أيضًا: إن التصوير الفوتوغرافي أعظم مفسدة من التصوير باليد نظرًا لسهولته وكثرة انتشاره.

وقد ألف الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة اسمها الجواب المفيد في حكم التصوير أفتى بها بتحريم التصوير الفوتوغرافي، وتكلم عن هذه المسألة ابن إبراهيم في مجموع الفتاوى، وتكلم عنها الشيخ حمود التويجري في رسالتيه تحريم التصوير والرد على من أباحه، والأخرى إعلان النكير على المفتونين بالتصوير، وكذلك للإمام الألباني، والإمام الوادعي: كتابان متعلقان بتحريم صور ذوات الأرواح.

مسألة(٥) : تصوير غير ذوات الأرواح كالشجر والجبال ونحو ذلك:

عامة العلماء على جواز تصوير ما لا روح له من الشجر وغيره، واستدلوا على ذلك بما يلي:

١- ما أخرج أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حديث جبريل أنه قال للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مر برأس التمثال، فليقطع فيصير كهيئة الشجرة**»[1]. فأجاز كونه كالشجرة مما يدل على الجواز.

٢- قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم لرجل استفتاه في التصوير، فقال ابن عباس: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كل مصور في النار**»، ثم قال ابن عباس: إن كنت لا بد فاعلًا؛ فاصنع الشجر، وما لا نفس له[2].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي شرح مسلم (٢١١٠):

وَأَمَّا الشَّجَر وَنَحْوه مِمَّا لَا رُوح فِيهِ فَلَا تَحْرُم صَنْعَته، وَلَا التَّكَسُّب بِهِ، وَسَوَاء الشَّجَر الْمُثْمِر وَغَيْره، وَهَذَا مَذْهَب الْعُلَمَاء كَافَّة إِلَّا مُجَاهِدًا؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ الشَّجَر الْمُثْمِر مِنْ الْمَكْرُوه. قَالَ الْقَاضِي: لَمْ يَقُلْهُ أَحَد غَيْر مُجَاهِد.اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (٨٠٤٥)، وأبو داود (٤١٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بإسناد حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قلت: أثر مجاهد لم يثبت عنه؛ فقد أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٣١٩) من طريق ليث، وهو ابن أبي سليم، عن مجاهد به. وهذا إسنادٌ ضعيف؛ لأن ليثًا ضعيف مختلط.

مسألة (٦): صورة ذوات الأرواح الممتهنة.

أجاز جماعة من أهل العلم من صور ذوات الأرواح ما كان ممتهنًا بالوطء، أو الجلوس عليه، أو الاتكاء، وما أشبه ذلك.

واستدلوا على ذلك بحديث عائشة المتقدم في النمرقة[1]، فإن فيها تصاوير، فقطعت، فجعلت وسادة، أو وسادتين، وهذا مثال للاتكاء والاستناد.

وحديث جبريل عليه السلام وفيه: «**ومر بالستر فليقطع، وليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن**»[2] ويحتمل أنها أصلا قطعت، وفصل الرأس، ثم وضعت وسادة توطأ؛ فزوال المحظور أصلًا في القطع، وذهاب المعالم للصورة، والوسادة والوطء زيادة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في الفتح (٥٩٥٤):

واستدل بهذا الحديث - يعني حديث عائشة المتقدم في قطع النمرقة واتخاذ الوسائد منها- على جواز اتخاذ الصور إذا كانت لا ظل لها، وهي مع ذلك مما يوطأ ويداس أو يمتهن بالاستعمال كالمخاد والوسائد.

قال النووي: وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين، وهو قول الثوري ومالك وأبي حنيفة والشافعي، ولا فرق في ذلك بين ما له ظل، وما لا ظل له، فإن كان معلقا على حائط أو ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يعد ممتهنا؛ فهو حرام.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أحمد (٨٠٤٥)، وأبو داود (٤١٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بإسناد حسن.

قال الحافظ: وفيما نقله مؤاخذات: منها أن ابن العربي من المالكية نقل أن الصورة إذا كان لها ظل حرم بالإجماع سواء كانت مما يمتهن أم لا، وهذا الإجماع محله في غير لعب البنات كما سأذكره في (باب من صور صورة) وحكى القرطبي في المفهم في الصور التي لا تتخذ للإبقاء كالفخار قولين: أظهرهما المنع.

قلت: وهل يلتحق ما يصنع من الحلوى بالفخار، أو بلعب البنات؟ محل تأمل.

وصحح ابن العربي أن الصورة التي لا ظل لها إذا بقيت على هيئتها حرمت سواء كانت مما يمتهن أم لا، وإن قطع رأسها، أو فرقت هيئتها جاز، وهذا المذهب منقول عن الزهري، وقواه النووي، وقد يشهد له حديث النمرقة - يعني المذكور في الباب الذي بعده - وسيأتي ما فيه.

ومنها: أن إمام الحرمين نقل وجها أن الذي يرخص فيه مما لا ظل له ما كان على ستر أو وسادة، وأما ما على الجدار والسقف فيمنع، والمعنى فيه أنه بذلك يصير مرتفعًا؛ فيخرج عن هيئة الامتهان بخلاف الثوب؛ فإنه بصدد أن يمتهن، وتساعده عبارة مختصر المزني صورة ذات روح إن كانت منصوبة.

ونقل الرافعي عن الجمهور: أن الصورة إذا قطع رأسها ارتفع المانع. وقال المتولي في التتمة لا فرق.

ومنها: أن مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب، ولو كان معلقا على ما في خبر أبي طلحة رضي الله عنه، لكن إن ستر به الجدار منع عندهم.

قال النووي: وذهب بعض السلف إلى أن الممنوع ما كان له ظل، وأما ما لا ظل له؛ فلا بأس باتخاذه مطلقا، وهو مذهب باطل، فإن الستر الذي أنكره النبي صلى الله عليه وسلم كانت الصورة فيه بلا ظل بغير شك، ومع ذلك فأمر بنزعه.

قال الحافظ: المَذْهَبُ المَذْكُورُ نَقَلَهُ ابن أَبِي شَيْبَةَ عَنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِسَنَدٍ صَحِيح، وَلَفظه عَن ابن عَوْنٍ: قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى القَاسِمِ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي بَيْتِهِ فَرَأَيْتُ فِي بَيْتِهِ حَجَلَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ القُنْدُسِ وَالْعَنْقَاءِ؛ فَفِي إِطْلَاقِ كَوْنِهِ مَذْهَبًا بَاطِلًا نَظَرٌ؛ إِذْ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ تَمَسَّكَ فِي ذَلِكَ بِعُمُومِ قَوْلِهِ «**إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ**» فَإِنَّهُ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُعَلَّقًا أَوْ مَفْرُوشًا، وَكَأَنَّهُ جَعَلَ إِنْكَارِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ تَعْلِيقَ السِّتْرِ المَذْكُورِ مُرَكَّبًا مِنْ كَوْنِهِ مُصَوَّرًا، وَمِنْ كَوْنِهِ سَاتِرًا لِلْجِدَارِ.

وَيُؤَيِّدُهُ: مَا وَرَدَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ؛ فَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ البَابِ لَكِنْ قَالَ فَجَذَبَهُ حَتَّى هَتَكَهُ، وَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الحِجَارَةَ وَالطِّينَ**» قَالَ: فَقَطَعْنَا مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ. الحَدِيثَ.

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَرِهَ سَتْرَ الجِدَارِ بِالثَّوْبِ المُصَوَّرِ فَلَا يُسَاوِيهِ الثَّوْبُ المُمْتَهَنُ وَلَوْ كَانَتْ فِيهِ صُورَةٌ وَكَذَلِكَ الثَّوْبُ الَّذِي لَا يُسْتَرُ بِهِ الجِدَارُ.

وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَحَدُ فُقَهَاءِ المَدِينَةِ وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَهُوَ الَّذِي رَوَى حَدِيثَ النُّمْرُقَةِ؛ فَلَوْلَا أَنَّهُ فَهِمَ الرُّخْصَةَ فِي مِثْلِ الحَجَلَةِ مَا اسْتَجَازَ اسْتِعْمَالَهَا لَكِنَّ الجَمْعَ بَيْنَ الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَذْهَبٌ مَرْجُوحٌ، وَأَنَّ الَّذِي رُخِّصَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَا يُمْتَهَنُ لَا مَا كَانَ مَنْصُوبًا.

وَقد أخرج ابن أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ أَيُّوبَ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ كَانُوا يَقُولُونَ فِي التَّصَاوِيرِ فِي البُسُطِ وَالْوَسَائِدِ الَّتِي تُوطَأُ ذُلٌّ لَهَا.

وَمِنْ طَرِيقِ عَاصِمٍ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ كَانُوا يَكْرَهُونَ مَا نُصِبَ مِنَ التَّمَاثِيلِ نَصْبًا وَلَا يَرَوْنَ بَأْسًا بِمَا وطئته الأَقْدَام.

وَمن طَرِيق ابن سِيرِينَ وَسَالِمِ بْنِ عَبْدِ الله وَعِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَرَّقَهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَا بَأْس بِالصُّورَةِ إِذَا كَانَتْ تُوطَأُ.

وَمِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ أَنَّهُ كَانَ يَتَّكِئُ عَلَى المَرَافِقِ فِيهَا التَّمَاثِيلُ الطَّيْرُ وَالرِّجَالُ. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في الفتح (٥٩٥٧):

في شرحه لحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَابِ فَلَمْ يَدْخُل فَقُلْتُ أَتُوبُ إِلَى الله مِمَّا أَذْنَبْتُ قَالَ: مَا هَذِهِ النُّمْرُقَةُ؟ قُلْتُ: لِتَجْلِسَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا. قَالَ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ الصُّورَةُ**»

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ لَهَا ظِلٌّ أَوْ لَا، وَلَا بَيْنَ أَنْ تَكُونَ مَدْهُونَةً أَوْ مَنْقُوشَةً أَوْ مَنْقُورَةً أَوْ مَنْسُوجَةً، خِلَافًا لِمَنِ اسْتَثْنَى النَّسْجَ وَادَّعَى أَنَّهُ لَيْسَ بِتَصْوِيرٍ.

وَظَاهِرُ حَدِيثَيْ عَائِشَةَ هَذَا وَالَّذِي قبله التَّعَارُض؛ لِأَن الَّذِي قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ السِّتْرَ الَّذِي فِيهِ الصُّورَةُ بَعْدَ أَنْ قُطِعَ، وَعُمِلَتْ مِنْهُ الوِسَادَةُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ أَصْلًا.

وَقَدْ أَشَارَ المُصَنِّفُ إِلَى الجَمْعِ بَيْنَهُمَا: بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ اتِّخَاذِ مَا يُوطَأُ مِنَ الصُّوَرِ جَوَازُ القُعُودِ عَلَى الصُّورَةِ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتَعْمَلَ مِنَ الوِسَادَةِ مَا لَا صُورَةَ فِيهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَأَى التَّفْرِقَةَ بَيْنَ القُعُودِ وَالِاتِّكَاءِ وَهُوَ بَعِيدٌ.

وَيُحْتَمَلُ أَيْضًا أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ الحَدِيثَيْنِ بِأَنَّهَا لَمَّا قَطَعَتِ السِّتْرَ وَقَعَ القَطْعُ فِي وَسَطِ الصُّورَةِ مَثَلًا؛ فَخَرَجَتْ عَنْ هَيْئَتِهَا؛ فَلِهَذَا صَارَ يَرْتَفِقُ بِهَا.

وَسَلَكَ الدَّاوُدِيُّ فِي الجَمْعِ مَسْلَكًا آخَرَ: فَادَّعَى أَنَّ حَدِيثَ البَابِ نَاسِخٌ لِجَمِيعِ الأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى الرُّخْصَةِ وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ خَبَرٌ وَالْخَبَرُ لَا يَدْخُلُهُ النَّسْخُ فَيَكُونُ هُوَ النَّاسِخُ.

قُلْتُ: وَالنَّسْخُ لَا يَثْبُتُ بِالِاحْتِمَالِ، وَقَدْ أَمْكَنَ الجَمْعُ؛ فَلَا يُلْتَفَتُ لِدَعْوَى النَّسْخِ وَأَمَّا مَا احْتَجَّ بِهِ فَرده ابن التِّينِ بِأَنَّ الخَبَرَ إِذَا قَارَنَهُ الأَمْرُ جَازَ دُخُولُ النَّسْخِ فِيهِ.انتهى.

قال أبو عبد الله: يظهر والله أعلم هو تحريم الصور على الإطلاق، سواء كانت ممتهنة، أو غير ممتهنة؛ لحديث عائشة؛ فإنه صريح في إنكار النبي ﷺ عليها مع أنها قد أخبرت النبي ﷺ أنها اشترتها له؛ ليتوسدها ويقعد عليها، وعليه فيحمل حديث الوسادتين على أن القطع حصل على الرأس مما غير الصورة عن شكلها المعلوم.

مسألة(٧) : جاء في حديث ابن مسعود في الصحيحين أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون. ومثله حديث عائشة فيه : أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله. على ماذا يحمل قوله في الحديث : أشد الناس عذابا؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٥٩٥٠):

وَوَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٌ - يعني في حديث ابن مسعود- مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ: «إِنَّ مِنْ أَشد النَّاس» وَاخْتلفت نَسْخُهُ فَفِي بَعْضِهَا «الْمُصَوِّرِين» وَهِيَ لِلْأَكْثَرِ، وَفِي بَعْضِهَا: «الْمُصَوِّرُونَ». وَهِيَ لِأَحْمَدَ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ أَيْضًا.

وَوُجِّهَتْ بِأَنَّ (مِنْ) زَائِدَةٌ، وَاسْمُ إِنَّ (أَشد) ووجهها ابن مَالِكٍ عَلَى حَذْفِ ضَمِيرِ الشَّأْنِ، وَالتَّقْدِيرُ: إِنَّهُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ إِلَخْ.

وَقَدِ اسْتَشْكَلَ كَوْنُ الْمُصَوِّرِ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ فَإِنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمُصَوِّرُ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَأَجَابَ الطَّبَرِيُّ بِأَنَّ الْمُرَادَ هُنَا مَنْ يُصَوِّرُ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، وَهُوَ عَارِفٌ بِذَلِكَ

قَاصِدًا لَهُ؛ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِذَلِكَ؛ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُدْخَلَ مُدْخَلَ آلِ فِرْعَوْنَ. وَأَمَّا مَنْ لَا يَقْصِدُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ عَاصِيًا بِتَصْوِيرِهِ فَقَطْ.

وَأَجَابَ غَيْرُهُ بِأَنَّ الرِّوَايَةَ بِإِثْبَاتِ (مِنْ) ثَابِتَةٌ وَبِحَذْفِهَا مَحْمُولَةٌ عَلَيْهَا، وَإِذَا كَانَ مَنْ يَفْعَلُ التَّصْوِيرَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا كَانَ مُشْتَرِكًا مَعَ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ فِي الآيَةِ مَا يَقْتَضِي اخْتِصَاصَ آلِ فِرْعَوْنَ بِأَشَدِّ العَذَابِ، بَلْ هُمْ فِي العَذَابِ الأَشَدِّ؛ فَكَذَلِكَ غَيْرُهُمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي العَذَابِ الأَشَدِّ، وَقَوَّى الطَّحَاوِيُّ ذَلِكَ بِمَا أَخْرَجَهُ من وَجه آخر عَن ابن مَسْعُودٍ رَفَعَهُ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ المُمَثِّلِينَ**» وَكَذَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ[1].

وَأَخْرَجَ الطَّحَاوِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعًا: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ هَجَا رَجُلًا فَهَجَا القَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا**»[2] قَالَ الطَّحَاوِيُّ: فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ يَشْتَرِكُ مَعَ الآخَرِ فِي شِدَّةِ العَذَابِ.

وَقَالَ أَبُو الوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ فِي مُخْتَصَرِ مُشْكِلِ الطَّحَاوِيِّ مَا حَاصِلُهُ: إِنَّ الوَعِيدَ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ إِنْ وَرَدَ فِي حَقِّ كَافِرٍ؛ فَلَا إِشْكَالَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ مُشْتَرِكًا فِي ذَلِكَ مَعَ آلِ فِرْعَوْنَ، وَيَكُونُ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى عِظَمِ كُفْرِ المَذْكُورِ، وَإِنْ وَرَدَ فِي حَقِّ عَاصٍ فَيَكُونُ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ غَيْرِهِ مِنَ العُصَاةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ دَالًّا عَلَى عِظَمِ المَعْصِيَةِ المَذْكُورَةِ.

وَأَجَابَ القُرْطُبِيُّ فِي المُفْهِمِ بِأَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ أُضِيفَ إِلَيْهِمْ أَشَدُّ لَا يُرَادُ بِهِمْ كُلُّ النَّاسِ بَلْ بَعْضُهُمْ، وَهُمْ مَنْ يُشَارِكُ فِي المَعْنَى المُتَوَعَّدِ عَلَيْهِ بِالْعَذَابِ؛ فَفِرْعَوْنُ أَشَدُّ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨٦٨)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٦) من طريق عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن ابن مسعود به. وهذا إسناد حسن.

(٢) أخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٩)، وأخرجه إسحاق (١١٧٨)، وابن ماجه (٣٧٦١)، وابن حبان (٥٧٨٥) بإسناد صحيح

النَّاسِ الَّذِينَ ادَّعَوُا الإِلَهِيَّةَ عَذَابًا، وَمَنْ يُقْتَدَى بِهِ فِي ضَلَالَةِ كُفْرِهِ أَشَدُّ عَذَابًا مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ فِي ضَلَالَةِ فِسْقِهِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً ذَاتَ رُوحٍ لِلْعِبَادَةِ أَشَدُّ عَذَابًا مِمَّنْ يُصَوِّرُهَا لَا لِلْعِبَادَةِ.

وَاسْتُشْكِلَ ظَاهِرُ الحَدِيثِ أَيْضًا بِإِبْلِيسَ وَبِابْنِ آدَمَ الَّذِي سَنَّ القَتْلَ، وَأُجِيبَ: بِأَنَّهُ فِي إِبْلِيسَ وَاضِحٌ، وَيُجَابُ بِأَنَّ المُرَادَ بِالنَّاسِ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى آدَمَ.

وَأما فِي ابن آدَمَ فَأُجِيبَ بِأَنَّ الثَّابِتَ فِي حَقِّهِ أَنَّ عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ يَقْتُلُ ظُلْمًا وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي مِثْلِ تَعْذِيبِهِ مَنِ ابْتَدَأَ الزِّنَا مَثَلًا؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ يَزْنِي بَعْدَهُ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ ذَلِكَ، وَلَعَلَّ عَدَدَ الزُّنَاةِ أَكْثَرُ مِنَ القَاتِلِينَ.اهـ

٥٠ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ(١).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

مسألة (١): من توحيد الربوبية إفراد الله عز وجل بالملك.

دل حديث الباب على أن الله عز وجل هو المتفرد بالملك سبحانه وتعالى، ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]. وكذلك قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الجواب الكافي (٩٤/١):

حَقِيقَةُ الشِّرْكِ: هُوَ التَّشَبُّهُ بِالْخَالِقِ وَتَشْبِيهُ الْمَخْلُوقِ بِهِ، هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ فِي الْحَقِيقَةِ، لَا إِثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ، ﷺ. فَعَكَسَ الْأَمْرَ مَنْ نَكَسَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَأَعْمَى بَصِيرَتَهُ وَأَرْكَسَهُ بِكَسْبِهِ، وَجَعَلَ التَّوْحِيدَ تَشْبِيهًا وَالتَّشْبِيهَ تَعْظِيمًا وَطَاعَةً، فَالْمُشْرِكُ مُشَبِّهٌ لِلْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ فِي خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ.

فَإِنَّ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ التَّفَرُّدَ بِمِلْكِ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ تَعْلِيقَ الدُّعَاءِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ بِهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ عَلَّقَ ذَلِكَ بِمَخْلُوقٍ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِالْخَالِقِ وَجَعَلَ مَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ - شَبِيهًا بِمَنْ لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَأَزِمَّةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدَيْهِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، بَلْ إِذَا فَتَحَ لِعَبْدِهِ بَابَ رَحْمَتِهِ لَمْ يُمْسِكْهَا أَحَدٌ، وَإِنْ أَمْسَكَهَا عَنْهُ لَمْ يُرْسِلْهَا إِلَيْهِ أَحَدٌ.

فَمِنْ أَقْبَحِ التَّشْبِيهِ: تَشْبِيهُ هَذَا الْعَاجِزِ الْفَقِيرِ بِالذَّاتِ بِالْقَادِرِ الْغَنِيِّ بِالذَّاتِ...

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِذَا كَانَ الْمُصَوِّرُ الَّذِي يَصْنَعُ الصُّورَةَ بِيَدِهِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَشَبُّهِهِ بِاللَّهِ فِي مُجَرَّدِ الصُّورَةِ، فَمَا الظَّنُّ بِالتَّشَبُّهِ بِاللَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ؟

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ، يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دون آخره: «أحيوا ما خلقتم»، وآخره أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقوا ذَرَّةً، فَلْيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»[1]، فَنَبَّهَ بِالذَّرَّةِ وَالشَّعِيرَةِ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَكْبَرُ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ هَذَا حَالُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي صَنْعَةِ صُورَةٍ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي خَوَاصِّ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ؟ وَكَذَلِكَ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي الِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَلِكِ الْمُلُوكِ، وَحَاكِمِ الْحُكَّامِ، وَنَحْوِهِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ أَخْنَعَ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِشَاهَانْ شَاهْ - أَيْ مَلِكِ الْمُلُوكِ - لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ**» وَفِي لَفْظٍ: «**أَغِيظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ**».

فَهَذَا مَقْتُ اللهِ وَغَضَبُهُ عَلَى مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي الِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَاكِمُ الْحُكَّامِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَى الْحُكَّامِ كُلِّهِمْ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، لَا غَيْرُهُ.اهـ

مسألة(٢): تحريم التسمي بملك الأملاك، وما أشبهه من الأسماء المختصة بالله تعالى.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تحفة المودود (١/ ١١٤):

وَمن الْمحرم التَّسْمِيَة بِملك الْمُلُوك، وسلطان السلاطين، وشاهنشاه. فقد ثَبت فِي الصَّحِيحَيْنِ من حَدِيث أبي هُرَيْرَة عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: «**إِن أخنع اسْم عِنْد الله رجل تسمى ملك الْأَمْلَاك**» وَفِي رِوَايَة: «**أخنى**» بدل «**أخنع**» وَفِي رِوَايَة لمُسلم: «**أَغيظ رجل عِنْد الله يَوْم الْقِيَامَة وأخبثه رجل كَانَ يُسمى ملك الْأَمْلَاك لَا ملك إِلَّا الله**»

وَمعنى أخنع وأخنى: أوضع.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ بعض الْعلماء: وَفِي معنى ذَلِك كَرَاهِيَة التَّسْمِيَة بقاضي الْقَضَاة، وحاكم الْحُكَّام؛ فإن حَاكم الْحُكَّام فِي الْحَقِيقَة هُوَ الله، وَقد كَانَ جمَاعَة من أهل الدّين وَالْفضل يتورعون عَن إِطْلَاق لفظ: قَاضِي الْقُضَاة، وحاكم الْحُكَّام قِيَاسا على مَا يبغضه الله وَرَسُوله من التَّسْمِيَة بِملك الْأَمْلَاك، وَهَذَا مَحْض الْقيَاس.

وَكَذَلِكَ تحرم التَّسْمِيَة بِسَيِّد النَّاس، وَسيد الْكل، كَمَا يحرم سيد ولد آدم؛ فإن هَذَا لَيْسَ لأحد إِلَّا لرَسُول الله ﷺ وَحده؛ فَهُوَ سيد ولد آدم؛ فَلَا يحل لأحد أَن يُطلق على غَيره ذَلِك.انتهى.

﴿٥١﴾ وَعَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ، وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

مسألة (١) : من توحيد الربوبية إفراد الله عز وجل بالملك والرزق والتدبير.

دل حديث الباب على إفراد الله بالملك، والرزق، والتدبير، وذلك من قوله ﷺ: «**له الملك**»، وقوله: «**لا مانع لما أعطيت**»، وقوله: «**ولا معطي لما منعت**»، وقوله: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**».

ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]. والآيات في هذا الأمر كثيرة جدًّا.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مسألة(٢) : أثبت الله عز وجل للعبد ملكًا وتدبيرًا؛ فهل ينافي ذلك إفراده تعالى بالملك والتدبير؟

قال الإمام العثيمين رحمه الله كَمَا فِي مجموع فتاواه (١/٤):

توحيد الربوبية: وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك، والتدبير، وتفصيل ذلك:

أولًا: بالنسبة لإفراد الله تعالى بالخلق؛ فالله تعالى وحده هو الخالق لا خالق سواه قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. وقال تعالى مبينًا بطلان آلهة الكفار: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. فالله تعالى وحده هو الخالق، خلق كل شيء فقدره تقديرًا.

وخَلْقُهُ يشمل ما يقع من مفعولاته، وما يقع من مفعولات خلقه أيضًا، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله تعالى خالقٌ لأفعال العباد كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾.

ووجه ذلك: أن فعل العبد من صفاته، والعبد مخلوق لله، وخالق الشيء خالق لصفاته. **ووجه آخر**: أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة، وقدرة تامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل، وخالق السبب التام خالق للمسبب.

ثانيًا: إفراد الله تعالى بالملك، فالله تعالى وحده هو المالك، كما قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾. فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو الله سبحانه وتعالى وحده، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله عز وجل لغيره الملك كَمَا فِي قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾. وقوله ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾. إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن لغير الله

تعالى ملكًا لكن هذا الملك ليس كملك الله عز وجل، فهو ملك قاصر، وملك مقيد، ملك قاصر لا يشمل، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو، والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد، ثم هذا الملك مقيد بحيث لا يتصرف الإنسان فيما ملك؛ إلا على الوجه الذي أذن الله فيه، ولهذا نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾.

وهذا دليل على أن ملك الإنسان ملك قاصر وملك مقيد، بخلاف ملك الله سبحانه وتعالى فهو ملك عام شامل وملك مطلق يفعل الله سبحانه وتعالى ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ثالثًا: التدبير فالله عز وجل منفرد بالتدبير فهو الذي يدبر الخلق ويدبر السماوات والأرض كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء.

والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات كتدبير الإنسان أمواله وغلمانه وخدمه، وما أشبه ذلك هو تدبير ضيق محدود، ومقيد غير مطلق؛ فظهر بذلك صدق صحة قولنا: إن توحيد الربوبية: هو إفراد الله بالخلق والملك، والتدبير.

٥٢ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[١].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

مسألة(١) : من توحيد الربوبية إفراد الله عز وجل بالرزق والهداية والإضلال وغفران الذنوب وغير ذلك من أفعاله سبحانه وتعالى.

دل حديث الباب على إفراد الله عز وجل بالرزق والهداية والإضلال، وذلك في قوله: «**كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ**

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي»

ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [المدثر:٣١] وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٤١] .وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥﴾ [آل عمران:١٣٥].

وفي الصحيحين عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي قَالَ «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[١].

(١) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

مسألة (٢) : بماذا حرّف المبتدعة القدرية : الهداية والإضلال في الحديث والآيات وما هو الرد عليهم؟

حرّف المبتدعة الحديث، وقالوا: هداه. أي: حكم عليه بالهداية، أو سماه: مهتديًا، وأضله. أي: حكم عليه بالضلال، أو سماه: ضالًا.

وقد أجاب عليهم أهل السنة والجماعة رحمهم الله.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه الإبانة عن أصول الديانة (٢١٣/١):

ويقال لهم: ما معنى قول الله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾؟

فإن قالوا: معنى ذلك أنه يسميهم ضالين، ويحكم عليهم بالضلال. قيل لهم: أليس خاطب الله العرب بلغتهم فقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾؟ فلا بد من نعم.

يقال لهم: وإذا كان الله عز وجل أنزل القرآن بلسان العرب؛ فمن أين وجدتم في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلانا. أي: سماه ضالا ؟

فيقال: قالوا: وجدنا القائل يقول: إذا قال رجل لرجل ضال: قد ضللت.

قيل لهم: قد وجدنا لعمري القائل: ضلل فلان فلانا. أنه سماه ضالا. ولم نجدهم يقولون: أضل فلان فلانا بهذا المعنى.

فلما قال الله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ لم يجز أن يكون معنى ذلك الاسم، والحكم إذا لم يجز في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلانا. بأن سماه ضالا؛ بطل تأويلكم إذا كان خلاف لسان العرب.انتهى

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في شفاء العليل (ص٨٢):

والقدرية ترد هذا كله إلى المتشابه، وتجعله من متشابه القرآن، وتتأوله على غيره بما يقطع ببطلانه، وعدم إرادة المتكلم له، كقول بعضهم: المراد من ذلك تسمية الله العبد مهتديا وضالا. فجعلوا هداه وإضلاله: مجرد تسمية العبد بذلك.

وهذا مما يعلم قطعا أنه لا يصح حمل هذه الآيات عليه، وأنت إذا تأملتها وجدتها لا تحتمل ما ذكروه البتة، وليس في لغة أمة من الأمم، فضلا عن أفصح اللغات وأكملها: هداه بمعنى سماه مهتديا، وأضله سماه ضالا. وهل يصح أن يقال: علمه. إذا سماه عالما، وفهمه: إذا سماه فهما.

وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فهل فهم أحد غير القدرية المحرفة للقرآن من هذا (ليس عليك تسميتهم مهتدين ولكن الله يسمي من يشاء مهتديا).

وهل فهم أحد قط من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تسميه مهتديا ولكن الله يسميه بهذا الاسم.

وهل فهم أحد من قول الداعي: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ وقوله «اللهم اهدني من عندك» ونحوه: اللهم سمني مهتديا.

وهذا من جناية القدرية على القرآن ومعناه، نظير جناية إخوانهم من الجهمية على نصوص الصفات وتحريفها عن مواضعها، وفتحوا للزنادقة والملاحدة جناياتهم على نصوص المعاد وتأويلها بتأويلات إن لم تكن أقوى من تأويلاتهم لم تكن دونها وفتحوا للقرامطة والباطنية تأويل نصوص الأمر والنهي بنحو تأويلاتهم فتأويل التحريف الذي سلسلته هذه الطوائف أصل فساد الدنيا والدين وخراب العالم وسنفرد إن شاء الله كتابا نذكر فيه جناية المتأولين على الدنيا والدين.اهـ

أقسام الهداية:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٨/ ١٧١):

وَلِهَذَا قِيلَ: الْهُدَى أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: الهِدَايَةُ إِلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا؛ فَهَذَا مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الحَيَوَانِ النَّاطِقِ وَالْأَعْجَمِ؛ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ.

وَالثَّانِي: الْهُدَى بِمَعْنَى دُعَاءِ الخَلْقِ إِلَى مَا يَنْفَعُهُمْ، وَأَمْرِهِمْ بِذَلِكَ، وَهُوَ نَصْبُ الأَدِلَّةِ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالُ الكُتُبِ، فَهَذَا أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ الْمُكَلَّفِينَ سَوَاءٌ آمَنُوا أَوْ كَفَرُوا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فَهَذَا مَعَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ يُبَيِّنُ أَنَّ الهُدَى الَّذِي أَثْبَتَهُ هُوَ البَيَانُ وَالدُّعَاءُ؛ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ؛ وَالتَّعْلِيمُ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ لَيْسَ هُوَ الهُدَى الَّذِي نَفَاهُ وَهُوَ القِسْمُ الثَّالِثُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: الْهُدَى الَّذِي هُوَ جَعْلُ الْهُدَى فِي الْقُلُوبِ. وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ بَعْضُهُمْ بِالْإِلْهَامِ وَالْإِرْشَادِ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ خَلْقُ القُدْرَةِ عَلَى الإِيمَانِ؛ كَالتَّوْفِيقِ عِنْدَهُمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَهُوَ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الِاسْتِطَاعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مَعَ الفِعْلِ فَمَنْ قَالَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ جَعَلَ التَّوْفِيقَ وَالْهُدَى وَنَحْوَ ذَلِكَ خَلْقَ القُدْرَةِ عَلَى الطَّاعَةِ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُمَا اسْتِطَاعَتَانِ: **إِحْدَاهُمَا**: قَبْلَ الفِعْلِ وَهِيَ الِاسْتِطَاعَةُ الْمَشْرُوطَةُ فِي التَّكْلِيفِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: «**صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»[1].

(١) أخرجه البخاري (١١١٧)، عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَهَذِهِ الِاسْتِطَاعَةُ يَقْتَرِنُ بِهَا الفِعْلُ تَارَةً، وَالتَّرْكُ أُخْرَى وَهِيَ الِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي لَمْ تَعْرِفْ القَدَرِيَّةُ غَيْرَهَا كَمَا أَنَّ أُولَئِكَ المُخَالِفِينَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ لَمْ يَعْرِفُوا إِلَّا المُقَارَنَةَ.

وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ المُحَقِّقُونَ مِنْ أَئِمَّةِ الفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ وَغَيْرِهِمْ فَإِثْبَاتُ النَّوْعَيْنِ جَمِيعًا كَمَا قَدْ بَسَطْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ؛ فَإِنَّ الأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ وَالْعَقْلِيَّةَ تُثْبِتُ النَّوْعَيْنِ جَمِيعًا.

وَالثَّانِيَةُ: المُقَارِنَةُ لِلْفِعْلِ؛ وَهِيَ المُوجِبَةُ لَهُ، وَهِيَ المَنْفِيَّةُ عَمَّنْ لَمْ يَفْعَلْ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿**مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ** ﴿٢٠﴾﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا** ﴿١٠١﴾﴾ وَهَذَا الهُدَى الَّذِي يَكْثُرُ ذِكْرُهُ فِي القُرْآنِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿ **ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** ﴿٦﴾﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿**فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا**﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي تُنْكِرُ القَدَرِيَّةُ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الفَاعِلَ لَهُ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ العَبْدَ هُوَ الَّذِي يَهْدِي نَفْسَهُ. وَهَذَا الحَدِيث وَأَمْثَالُهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ؛ حَيْثُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُه فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**».

فَأَمَرَ العِبَادَ بِأَنْ يَسْأَلُوهُ الهِدَايَةَ كَمَا أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ فِي أُمِّ الكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ**﴾ وَعِنْدَ القَدَرِيَّةِ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِر مِنْ الهُدَى إِلَّا عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنْ: إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَنَصْبِ الأَدِلَّةِ وَإِزَاحَةِ العِلَّةِ، وَلَا مِزْيَةَ عِنْدَهُمْ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الكَافِرِ فِي هِدَايَةِالله تَعَالَى، وَلَا نِعْمَةَ لَهُ عَلَى المُؤْمِنِ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَى الكَافِرِ فِي بَابِ الهُدَى.

وَقَدْ بَيَّنَ الِاخْتِصَاص فِي هَذِهِ بَعْدَ عُمُوم الدَّعْوَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٢٥﴾﴾ فَقَدْ جَمَعَ الحَدِيثَ: تَنْزِيهُهُ عَنْ الظُّلْمِ الَّذِي

يُجَوِّزُهُ عَلَيْهِ بَعْضُ الْمُثْبِتَةِ وَبَيَانُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي عِبَادَهُ رَدًّا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ. فَأَخْبَرَ هُنَاكَ بِعَدْلِهِ الَّذِي يَذْكُرُهُ بَعْضُ الْمُثْبِتَةِ وَأَخْبَرَ هُنَا بِإِحْسَانِهِ وَقُدْرَتِهِ الَّذِي تُنْكِرُهُ الْقَدَرِيَّةُ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا قَصَدَهُ تَعْظِيمًا لَا يَعْرِفُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ.

وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ: الهُدَى فِي الآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فَقَوْلُهُ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ فِي الآيَةِ.

وَهَذَا الهُدَى ثَوَابُ الِاهْتِدَاءِ فِي الدُّنْيَا كَمَا أَنَّ ضَلَالَ الآخِرَةِ جَزَاءُ ضَلَالِ الدُّنْيَا؛ وَكَمَا أَنَّ قَصْدَ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا جَزَاؤُهُ الهُدَى إِلَى طَرِيقِ النَّارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾. وَقَالَ: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ وَقَالَ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ وَقَالَ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ﴾ الآيَةَ.

فَأَخْبَرَ أَنَّ الضَّالِّينَ فِي الدُّنْيَا يُحْشَرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا فَإِنَّ الجَزَاءَ أَبَدًا مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي**

الأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[١] وَقَالَ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[٢].

وَقَالَ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**»[٣]. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وَقَالَ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَلِهَذَا أَيْضًا يَجْزِي الرَّجُلَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنْ خَيْرِ الهُدَى بِمَا يَفْتَحُ عَلَيْهِ مِنْ هُدًى آخَرَ، وَلِهَذَا قِيلَ: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ؛ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ وَقَالَ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾. وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾. وَقَالَ: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ فَسَّرُوهُ بِالنَّصْرِ وَالنَّجَاةِ كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾. وَقَدْ قِيلَ: نُورٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وَعَدَ المُتَّقِينَ بِالْمَخَارِجِ مِنْ الضِّيقِ وَبِرِزْقِ المَنَافِعِ. وَمِنْ هَذَا البَابِ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟

---

(١) أخرجه أحمد (٦٤٩٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي إسناده أبو قابوس مولى عبد الله بن عمرو، وهو مجهول، وهو حديث صحيح بشواهده.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٨٥٣٣)، وأبو داود (٣٦٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بإسناد صحيح.

زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾.

وَبِإِزَاءِ ذَلِكَ أَنَّ الضَّلَالَ وَالْمَعَاصِيَ تَكُونُ بِسَبَبِ الذُّنُوبِ الْمُتَقَدِّمَةِ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ وَقَالَ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾. وَقَالَ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَعْمَهُونَ﴾. وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ.اهـ

مسألة (٣): هل الظلم ممتنع عن الله لذاته، أم تنزه عنه مع قدرته عليه عدلا منه سبحانه وتعالى؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٨/٥٠٥):

وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ وَغَيْرُهُمْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْ الظُّلْمِ لَكِنْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي مَعْنَى (الظُّلْمِ) الَّذِي يَجِبُ تَنْزِيهُ الرَّبِّ عَنْهُ؛ فَجَعَلَتْ الْقَدَرِيَّةُ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ (الظُّلْمَ) الَّذِي يُنَزَّهُ عَنْهُ الخَالِقُ مِنْ جِنْسِ (الظُّلْمِ) الَّذِي يُنْهَى عَنْهُ المَخْلُوقَ وَشَبَّهُوا اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ فَأَوْجَبُوا عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ مَا يَجِبُ عَلَى المَخْلُوقِ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ مُثْبِتَةِ القَدَرِ - مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ والمتأخرين مِنْ الجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ الكَلَامِ وَالْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الحَدِيثِ - الظُّلْمُ مِنْهُ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ فَكُلُّ مُمْكِنٍ يَدْخُلُ تَحْتَ القُدْرَةِ لَيْسَ فِعْلُهُ ظُلْمًا. وَقَالُوا: الظُّلْمُ التَّصَرُّفُ فِي مِلْكِ الغَيْرِ أَوْ الخُرُوجُ عَنْ طَاعَةِ مَنْ تَجِبُ طَاعَتُهُ وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّ اللهِ.

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَالنُّظَّارِ: بَلْ الظُّلْمُ هُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَبْخَسَ الْمُحْسِنَ شَيْئًا مِنْ حَسَنَاتِهِ، أَوْ يَحْمِلَ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِ

غَيْرِهِ، وَهَذَا مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي نَزَّهَ اللَّهُ نَفْسَهُ عَنْهُ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾. قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: الهَضْمُ: أَنْ يُهْضَمَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَالظُّلْمُ أَنْ يُزَادَ فِي سَيِّئَاتِهِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ وَقَالَ: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ وَفِي حَدِيثِ البِطَاقَةِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَحَسَّنَهُ، وَرَوَاهُ الحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يُجَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ البَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلَى. إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ البِطَاقَةُ**»(١) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ وَقَالَ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ﴾.

وَمِثْلُ هَذِهِ النُّصُوصِ كَثِيرَةٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَنْفِ بِهَا المُمْتَنِعَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الوُجُودَ كَالْجَمْعِ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَتَوَهَّمْ أَحَدٌ وُجُودَهُ، وَلَيْسَ فِي مُجَرَّدِ نَفْيِهِ مَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودُ الخِطَابِ؛ فَإِنَّ المُرَادَ بَيَانُ عَدْلِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا كَمَا

---

(١) أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والترمذي (٢٦٣٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، بإسناد صحيح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ بَلْ يُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ وَلَا يُعَاقِبُهُمْ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ وَقَالَ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنْ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الكُتُبَ**»[1] وَمِثْلُ هَذِهِ النُّصُوصِ كَثِيرَةٌ وَهِيَ تُبَيِّنُ أَنَّ الظُّلْمَ الَّذِي نَزَّهَ اللهُ نَفْسَهُ عَنْهُ لَيْسَ هُوَ مَا تَقُولُهُ القَدَرِيَّةُ وَلَا مَا تَقُولُهُ الجَبْرِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَى تَحْقِيقِ هَذَا المَقَامِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ وَبُيِّنَ فِيهَا حِكْمَةُ اللهِ وَعَدْلُهُ فَإِنَّ هَذَا المَقَامَ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ المَقَامَاتِ الَّتِي اضْطَرَبَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الأَوَّلِينَ والآخرين.اهـ

مسألة(٤) يستدل الجبرية على تفسيرهم الظلم بما ذكروه بقوله ﷺ: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم». فما تفسير الحديث؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل (ص١١٣):

وهذا الحديث حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه[2] وله شأن عظيم، وهو دال على أن من تكلم به أعرف الخلق بالله، وأعظمهم له توحيدًا، وأكثرهم له تعظيما، وفيه الشفاء التام في باب العدل والتوحيد؛ فإنه لا يزال يجول في نفوس كثير من

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم أيضًا (٢٧٦٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه، واللفظ له بنحوه.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، بإسناد صحيح.

الناس: كيف يجتمع القضاء والقدر، والأمر والنهي. وكيف يجتمع العدل والعقاب على المقضي المقدر الذي لا بد للعبد من فعله.

ثم سلك كل طائفة في هذا المقام واديا وطريقا:

فسلك الجبرية وادي الجبر، وطريق المشيئة المحضة الذي يرجح مثلا على مثل، من غير اعتبار علة ولا غاية ولا حكمة، قالوا: وكل ممكن عدل. والظلم هو الممتنع لذاته. فلو عذب أهل سماواته وأهل أرضه؛ لكان متصرفا في ملكه، والظلم تصرف القادر في غير ملكه، وذلك مستحيل عليه سبحانه. قالوا: ولما كان الأمر راجعا إلى محض المشيئة؛ لم تكن الأعمال سببا للنجاة؛ فكانت رحمته للعباد هي المستقلة بنجاتهم فكانت رحمته خيرا من أعمالهم.

وهؤلاء راعوا جانب الملك، وعطلوا جانب الحمد، والله سبحانه له الملك وله الحمد.

وسلكت القدرية وادي العدل والحكمة، ولم يوفوه حقه، وعطلوا جانب التوحيد، وحاروا في هذا الحديث، ولم يدروا ما وجهه، وربما قابله كثير منهم بالتكذيب، والرد له، وأن الرسول ﷺ لم يقل ذلك.

قالوا: وأي ظلم يكون أعظم من تعذيب من استنفد أوقات عمره كلها واستفرغ قواه في طاعته، وفعل ما يحبه، ولم يعصه طرفة عين، وكان يعمل بأمره دائما فكيف يقول الرسول ﷺ أن تعذيب هذا يكون عدلا لا ظلما. ولا يقال: إن حقه عليهم، وما ينبغي له أعظم من طاعاتهم؛ فلا تقع تلك الطاعات في مقابلة نعمه وحقوقه، فلو عذبهم لعذبهم بحقه عليهم؛ لأنهم إذا فعلوا مقدورهم من طاعته لم يكلفوا بغيره؛ فكيف يعذبون على ترك ما لا قدرة لهم عليه، وهل ذلك إلا بمنزلة تعذيبهم على كونهم لم يخلقوا السماوات والأرض ونحو ذلك مما لا يدخل تحت مقدورهم.

قالوا: فلا وجه لهذا الحديث إلا رده أو تأويله، وحمله على معنى يصح، وهو أنه لو أراد تعذيبهم؛ جعلهم أمة واحدة على الكفر؛ فلو عذبهم في هذه الحال؛ لكان غير ظالم لهم، وهو لم يقل لو عذبهم مع كونهم مطيعين له عابدين له؛ لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ثم أخبر أنه لو عمهم بالرحمة؛ لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم، ثم أخبر أنه لا يقبل من العبد عمل؛ حتى يؤمن بالقدر، والقدر هو علم الله بالكائنات وحكمه فيها.

ووقفت طائفة أخرى في وادي الحيرة بين القدر والأمر، والثواب والعقاب؛ فتارة: يغلب عليهم شهود القدر؛ فيغيبون به عن الأمر، وتارة يغلب عليهم شهود الأمر، فيغيبون عن القدر، وتارة يبقون في حيرة وعمى.

وهذا كله إنما سببه الأصول الفاسدة والقواعد الباطلة التي بنوا عليها، ولو جمعوا بين الملك والحمد، والربوبية والإلهية، والحكمة والقدرة، وأثبتوا له الكمال المطلق، ووصفوه بالقدرة التامة الشاملة، والمشيئة العامة النافذة، التي لا يوجد كائن إلا بعد وجودها، والحكمة البالغة التي ظهرت في كل موجود؛ لعلموا حقيقة الأمر، وزالت عنهم الحيرة، ودخلوا إلى الله سبحانه من باب أوسع من السماوات السبع، وعرفوا أنه لا يليق بكماله المقدس؛ إلا ما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله، وأن ما خالفه ظنون كاذبة، وأوهام باطلة، تولدت بين أفكار باطلة وآراء مظلمة، **فنقول وبالله التوفيق وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله:**

الرب تبارك اسمه، وتعالى جده ولا إله غيره، هو المنعم على الحقيقة بصنوف النعم التي لا يحصيها أهل سماواته وأرضه، فإيجادهم نعمة منه، وجعلهم أحياء ناطقين نعمة منه، وإعطاؤهم الأسماع والأبصار والعقول نعمة منه، وإدرار الأرزاق عليهم على اختلاف أنواعها وأصنافها نعمة منه، وتعريفهم نفسه بأسمائه وصفاته وأفعاله نعمة منه، وإجراء ذكره على ألسنتهم ومحبته ومعرفته على قلوبهم نعمة منه،

وحفظهم بعد إيجادهم نعمة منه، وقيامه بمصالحهم دقيقها وجليلها نعمة منه، وهدايتهم إلى أسباب مصالحهم ومعايشهم نعمة منه.

وذكر نعمه على سبيل التفصيل لا سبيل إليه ولا قدرة للبشر عليه، ويكفي أن النَّفَسَ من أدنى نعمه التي لا يكادون يعدونها، وهو أربعة وعشرون ألف نَفَس في كل يوم وليلة، فلله على العبد في النفس خاصة أربعة وعشرون ألف نعمة كل يوم وليلة، دع ما عدا ذلك من أصناف نعمه على العبد، ولكل نعمة من هذه النعم حق من الشكر يستدعيه ويقتضيه؛ فإذا وزعت طاعات العبد كلها على هذه النعم لم يخرج قسط كل نعمة منها إلا جزء يسير جدا، لا نسبة له إلى قدر تلك النعمة بوجهٍ من الوجوه.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**لن ينجو أحد منكم بعمله**» وفي لفظ: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»[1] فقد أخبر ﷺ: أنه لا ينجي أحدًا عملُه من الأولين، ولا من الآخرين؛ إلا أن يرحمه ربه سبحانه؛ فتكون رحمتُه خيرًا له من عمله؛ لأن رحمته تنجيه، وعمله لا ينجيه؛ فعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماواته وأرضه؛ لعذبهم ببعض حقه عليهم.

ومما يوضحه: أنه كلما كملت نعمة الله على العبد عظم حقه عليه، وكان ما يطالب به من الشكر أكثر مما يطالب من دونه؛ فيكون حق الله عليه أعظم، وأعماله لا تفي بحقه عليه، وهذا إنما يعرفه حق المعرفة من عرف الله، وعرف نفسه، هذا كله لو لم يحصل للعبد من الغفلة والإعراض والذنوب ما يكون في قبالة طاعاته؛ فكيف إذا حصل له من ذلك ما يوازي طاعاته، أو يزيد عليها؛ فإن من حق الله على عبده أن يعبده

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٦، و٢٨١٨) عن أبي هريرة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وانفرد به مسلم (٢٨١٧) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بألفاظ متقاربة.

لا يشرك به شيئا، وأن يذكره ولا ينساه، وأن يشكره ولا يكفره، وأن يرضى به ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا، وليس الرضا بذلك مجرد إطلاق هذا اللفظ، وحاله وإرادته تكذبه وتخالفه؛ فكيف يرضى به ربا من يسخط ما يقضيه له إذا لم يكن موافقا لإرادته وهواه؛ فيظل ساخطا به متبرما، يرضى وربه غضبان ويغضب وربه راض، فهذا إنما رضي من ربه حظا، لم يرض بالله ربا، وكيف يدعي الرضا بالإسلام دينا من ينبذ أصوله خلف ظهره إذا خالفت بدعته وهواه وفروعه وراءه إذا لم يوافق غرضه وشهوته، وكيف يصح الرضا بمحمد ﷺ رسولا من لم يحكمه على ظاهره وباطنه، ويتلق أصول دينه وفروعه من مشكاته وحده، وكيف يرضى به رسولا من يترك ما جاء به لقول غيره، ولا يترك قول غيره لقوله، ولا يحكمه ويحتج بقوله؛ إلا إذا وافق تقليده ومذهبه، فإذا خالفه لم يلتفت إلى قوله.

والمقصود أن من حقه سبحانه على كل أحد من عبيده أن يرضى به ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، وأن يكون حبه كله لله، وبغضه في الله، وقوله لله وتركه لله، وأن يذكره ولا ينساه، ويطيعه ولا يعصيه، ويشكره ولا يكفره، وإذا قام بذلك كله كانت نعم الله عليه أكثر من عمله، بل ذلك نفسه من نعم الله عليه حيث وفقه له ويسره وأعانه عليه، وجعله من أهله واختصه به على غيره؛ فهو يستدعي شكرا آخر عليه ولا سبيل له إلى القيام بما يجب لله من الشكر أبدا، فنعم الله تطالبه بالشكر وأعماله لا تقابلها وذنوبه وغفلته وتقصيره قد تستنفد عمله فديوان النعم وديوان الذنوب يستنفدان طاعاته كلها.

هذا وأعمال العبد مستحقة عليه بمقتضى كونه عبدا مملوكا مستعملا فيما يأمره به سيده، فنفسه مملوكة وأعماله مستحقة بموجب العبودية؛ فليس له شيء من أعماله كما أنه ليس له ذرة من نفسه، فلا هو مالك لنفسه ولا صفاته ولا أعماله ولا لما بيده

من المال في الحقيقة، بل كل ذلك مملوك عليه مستحق عليه لمالكه أعظم استحقاقا من سيد اشترى عبدا بخالص ماله، ثم قال: اعمل وأدِّ إليّ فليس لك في نفسك ولا في كسبك شيء، فلو عمل هذا العبد من الأعمال ما عمل، فإن ذلك كله مستحق عليه لسيده وحق من حقوقه عليه، فكيف بالمنعم المالك على الحقيقة الذي لا تعد نعمه وحقوقه على عبده، ولا يمكن أن تقابلها طاعاته بوجه، فلو عذبه سبحانه لعذبه وهو غير ظالم له، وإذا رحمه فرحمته خير له من أعماله، ولا تكون أعماله ثمنا لرحمته البتة فلولا فضل الله ورحمته ومغفرته ما هنأ أحدًا عيش البتة، ولا عرف خالقه، ولا ذكره ولا آمن به ولا أطاعه، فكما أن وجود العبد محض إيجاده وفضله ومنته عليه، وهو المحمود على إيجاده، فتوابع وجوده كلها كذلك ليس للعبد منها شيء كما ليس له في وجوده شيء فالحمد كله لله، والفضل كله له، والإنعام كله له، والحق له على جميع خلقه، ومن لم ينظر في حقه عليه وتقصيره وعجزه عن القيام به؛ فهو من أجهل الخلق بربه وبنفسه، ولا تنفعه طاعاته ولا يسمع دعاؤه.

والعبد يسير إلى الله سبحانه بين مشاهدة منته عليه ونعمه وحقوقه، وبين رؤية عيب نفسه وعمله وتفريطه، وإضاعته؛ فهو يعلم أن ربه لو عذبه أشد العذاب؛ لكان قد عدل فيه، وأن أقضيته كلها عدل فيه، وأن ما فيه من الخير فمجرد فضله ومنته وصدقته عليه، ولهذا كان في حديث سيد الاستغفار: «**أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي**»[1] فلا يرى نفسه إلا مقصرا مذنبا، ولا يرى ربه إلا محسنا متفضلا.

وقد قسم الله خلقه إلى قسمين لا ثالث لهما تائبين وظالمين فقال: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ وكذلك جعلهم قسمين معذبين وتائبين فمن لم يتب فهو

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦) عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

معذب ولا بد قال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وأمر جميع المؤمنين من أولهم إلى آخرهم بالتوبة ولا يستثنى من ذلك أحد وعلق فلاحهم بها قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وعدَّد سبحانه من جملة نعمه على خير خلقه وأكرمهم عليه وأطوعهم له وأخشاهم له: أن تاب عليه، وعلى خواص أتباعه فقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ ثم كرر توبته عليهم فقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وقدم توبته عليهم على توبة الثلاثة الذين خلفوا، وأخبر سبحانه أن الجنة التي وعدها أهلها في التوراة والإنجيل: أنها يدخلها التائبون فذكر عموم التائبين أولا، ثم خص النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار بها، ثم خص الثلاثة الذين خلفوا؛ فعلم بذلك احتياج جميع الخلق إلى توبته عليهم، ومغفرته لهم، وعفوه عنهم وقد قال تعالى لسيد ولد آدم وأحب خلقه إليه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ فهذا خبر منه وهو أصدق القائلين، أو دعاء لرسوله بعفوه عنه، وهو طلب من نفسه وكان ﷺ يقول في سجوده أقرب ما يكون من ربه: «**أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[(١)] وقال لأطوع نساء الأمة وأفضلهن، وخيرهن الصديقة بنت الصديق وقد قالت له: يا رسول الله لئن وافقت ليلة القدر، فما أدعو به؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»[(٢)] قال الترمذي حديث حسن صحيح، وهو سبحانه

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٣٨٤)، والترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهو حديث صحيح.

لمحبته للعفو والتوبة خلق خلقه على صفات وهيئات وأحوال تقتضي توبتهم إليه واستغفارهم وطلبهم عفوه ومغفرته.

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم**»(١).

والله تعالى يحب التوابين، والتوبة من أحب الطاعات إليه، ويكفي في محبتها شدة فرحه بها كَمَا فِي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، والله للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في الفلاة**»(٢) وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ: «**للهُ أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى المكان الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده؛ ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده**»(٣).

وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده من رجل حمل زاده ومزاده على بعير، ثم سار حتى كان بفلاة، فأدركته القائلة، فنزل فقال تحت شجرة فغلبته عينه وانسل بعيره، فاستيقظ فسعى شرفا، فلم ير شيئا، ثم سعى شرفا ثانيا، ثم سعى شرفا ثالثا، فلم ير شيئا، فأقبل حتى أتى إلى مكانه**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

الذي قال فيه، فبينا هو قاعد فيه؛ إذ جاء بعيره يمشي حتى وضع خطامه في يده»[1] فالله أشد فرحًا بتوبة العبد من هذا حين وجد بعيره؛ فتأمل محبته سبحانه لهذه الطاعة التي هي أصل الطاعات وأساسها.

ثم قال: وحقيقة الأمر: أن العبد فقير إلى الله من كل وجه وبكل اعتبار، فهو فقير إليه من جهة ربوبيته له وإحسانه إليه وقيامه بمصالحه وتدبيره له، وفقير إليه من جهة إلهيته، وكونه معبوده وإلهه ومحبوبه الأعظم الذي لا صلاح له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون أحب شيء إليه، فيكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله ووالده وولده ومن الخلق كلهم، وفقير إليه من جهة معافاته له من أنواع البلاء فإنه إن لم يعافه منها هلك ببعضها، وفقير إليه من جهة عفوه عنه ومغفرته له، فإن لم يعف عن العبد ويغفر له؛ فلا سبيل إلى النجاة فما نجى أحد إلا بعفو الله، ولا دخل الجنة إلا برحمة الله، وكثير من الناس ينظر إلى نفس ما يتاب منه فيراه نقصا، ولا ينظر إلى كمال الغاية الحاصلة بالتوبة، وأن العبد بعد التوبة النصوح خير منه قبل الذنب، ولا ينظر إلى كمال الربوبية، وتفرد الرب بالكمال وحده، وأن لوازم البشرية لا ينفك منها البشر، وأن التوبة غايةُ كل أحد من ولد آدم وكماله كما كانت هي غايته وكماله، فليس للعبد كمال بدون التوبة البتة، كما أنه ليس له انفكاك عن سببها، فإنه سبحانه هو المتفرد المستأثر بالغنى والحمد من كل وجه وبكل اعتبار، والعبد هو الفقير المحتاج إليه المضطر إليه بكل وجه وبكل اعتبار، فرحمته للعبد خير له من عمله؛ فإن عمله

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٥).

لا يستقل بنجاته ولا سعادته، ولو وكل إلى عمله لم ينج به البتة، فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ: «**إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم**»(١).

ومما يوضحه: أن شكره سبحانه مستحق عليهم بجهة ربوبيته لهم وكونهم عبيده ومماليكه، وذلك يوجب عليهم أن يعرفوه ويعظموه ويوحدوه ويتقربوا إليه تقرب العبد المحب الذي يتقلب في نعمه، ولا غناء به عنه طرفة عين؛ فهو يدأب في التقرب إليه بجهده ويستفرغ في ذلك وسعه وطاقته ولا يعدل به سواه في شيء من الأشياء ويؤثر رضا سيده على إرادته وهواه، بل لا هوى له ولا إرادة إلا فيما يريد سيده ويحبه وهذا يستلزم علوما وأعمالا وإرادات وعزائم لا يعارضها غيرها، ولا يبقى له معها التفات إلى غيره بوجه، ومعلوم أن ما يطبع عليه البشر لا يفي بذلك، وما يستحقه الرب تعالى لذاته وأنه أهل أن يعبد أعظم مما يستحقه لإحسانه، فهو المستحق لنهاية العبادة والخضوع والذل لذاته، ولإحسانه وإنعامه، وفي بعض الآثار: (لو لم أخلق جنة ولا نارا لكنت أهلا أن أعبد) ولهذا يقول أعبد خلقه له يوم القيامة، وهم الملائكة: (سبحانك ما عبدناك حق عبادتك) فمن كرمه وجوده ورحمته أن رضي من عباده بدون اليسير مما ينبغي أن يعبد به، ويستحقه لذاته وإحسانه؛ فلا نسبة للواقع منهم إلى ما يستحقه بوجه من الوجوه؛ فلا يسعهم إلا عفوه وتجاوزه، وهو سبحانه أعلم بعباده منهم بأنفسهم، فلو عذبهم لعذبهم بما يعلمه منهم، وإن لم يحيطوا به علما، ولو عذبهم قبل أن يرسل رسله إليهم على أعمالهم لم يكن ظالما لهم كما أنه سبحانه لم يظلمهم بمقته لهم قبل إرسال رسوله على كفرهم وشركهم وقبائحهم، فإنه سبحانه نظر إلى

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، بإسناد صحيح.

أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، ولكن أوجب على نفسه إذ كتب عليها الرحمة أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه برسالته.

وسر المسألة: أنه لما كان شكر المنعم على قدره، وعلى قدر نعمه، ولا يقوم بذلك أحد كان حقه سبحانه على كل أحد، وله المطالبة به، وإن لم يغفر له ويرحمه وإلا عذبه، فحاجتهم إلى مغفرته ورحمته وعفوه كحاجتهم إلى حفظه وكلاءته ورزقه؛ فإن لم يحفظهم هلكوا، وإن لم يرزقهم هلكوا، وإن لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا وخسروا ولهذا قال أبوهم آدم وأمهم حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ وهذا شأن ولده من بعده، وقد قال موسى كليمه سبحانه: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ وقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ وقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وقال: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ وقال خليله إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ وقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ وقال أول رسله إلى أهل الأرض: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وقال لأكرم خلقه عليه وأحبهم إليه: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ وقد تقدم حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في دعائه ﷺ: «رب أعني ولا تعن

علي» وفيه: «**رب تقبل توبتي واغسل حوبتي**»(١) الحديث، وقد أخبر سبحانه عن أعبد البشر داود أنه استغفر ربه وخرَّ راكعا وأناب، وقال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ وقال عن نبيه سليمان: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ وقال عن نبيه يونس أنه ناداه في الظلمات: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ وقال صديق الأمة وخيرها وأبرها وأتقاها لله بعد رسوله: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كبيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني أنك أنت الغفور الرحيم**»(٢) فاستفتح الخبر عن نفسه بأداة التوكيد التي تقتضي تقرير ما بعدها، ثم ثنى بالإخبار عن ظلمه لنفسه، ثم وصف ذلك الظلم بكونه ظلما كبيرا، ثم طلب من ربه أن يغفر له مغفرة من عنده، أي: لا يبلغها علمه، ولا سعيه، بل هي محض منته، وإحسانه وأكبر من عمله، فإذا كان هذا شأن من وزن بالأمة، فرجح بهم فكيف بمن دونه. انتهى.

وقال رحمه الله في كتابه طريق الهجرتين (ص٢٨٦):

وليس المراد به: لو عذبهم؛ لَتَصَرَّفَ في ملكه- والمتصرف في ملكه غير ظالم- كما يظنه كثير من الناس، فإن هذا يتضمن مدحًا، والحديث إنما سيق للمدح، وبيان عظم حق الله على عباده، وأنه لو عذبهم لعذبهم بحقه عليهم، ولم يكن بغير استحقاق، فإن حقه سبحانه عليهم أضعاف أضعاف ما أتوا.

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٩٧)، وأبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ولهذا قال بعده: ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أَعمالهم. يعني: أن رحمته لهم ليست ثمنًا لأعمالهم، ولا تبلغ أعمالهم رحمته؛ فرحمته لهم ليست على قدر أعمالهم، إذ أعمالهم لا تستقل باقتضاء الرحمة، وحقوق عبوديته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها، فلو عذبهم والحالة هذه؛ لكان تعذيبًا لحقه، وهو غير ظالم لهم فيه. ولا سيما فإن أعمالهم لا توازى القليل من نعمه عليهم، فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم، فإذا عذبهم على ترك شكرهم، وأداءِ حقه الذى ينبغي له سبحانه عذبهم، ولم يكن ظالمًا لهم.

فإن قيل: فهم إذا فعلوا مقدورهم من شكره وعبوديته؛ لم يكن ما عداه مما ينبغي له مقدورًا لهم. فكيف يحسن العذاب عليه؟ قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن المقدور للعبد لا يأْتي به كله، بل لا بد من فتور وإعراض وغفلة وتوان، وأيضًا ففي نفس قيامه بالعبودية لا يوفيها حقها الواجب لها من كمال المراقبة والإجلال والتعظيم والنصيحة التامة لله فيها، بحيث يبذل مقدوره كله في تحسينها وتكميلها ظاهرًا وباطنًا، فالتقصير لازم في حال الترك، وفي حال الفعل، ولهذا سأل الصديق النبي ﷺ، دعاءً يدعو به في صلاته، فقال له: «**قل: اللَّهم إني ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[(١)]، فأخبر عن ظلمه لنفسه مؤكدًا له بأن المقتضية ثبوت الخبر وتحققه، ثم أكده بالمصدر النافي للتجوز والاستعارة، ثم وصفه بالكثرة المقتضية لتعدده وتكثره، ثم قال: «**فاغفر لي مغفرة من عندك**»، أي لا ينالها عملي ولا سعيي بل عملي يقصر عنها، وإنما هي من فضلك وإحسانك، لا بكسبي ولا باستغفاري وتوبتي. ثم قال: «**وارحمني**» أي ليس معولي إلا على مجرد رحمتك، فإن رحمتني،

(١) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥) عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإلا فالهلاك لازم لي، فليتدبر اللبيب هذا الدعاء، وما فيه من المعارف والعبودية، وفي ضمنه: إنك لو عذبتني لعدلت في ولم تظلمني، وإني لا أنجو إلا برحمتك ومغفرتك.

ومن هذا قوله ﷺ: «**لن ينجي أحدًا منكم عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»(١)، فإذا كان عمل العبد لا يستقل بالنجاة، فلو لم ينجه الله؛ لم يكن قد بخسه شيئًا من حقه ولا ظلمه، فإنه ليس معه ما يقتضي نجاته، وعمله ليس وافيًا بشكر القليل من نعمه، فهل يكون ظالمًا له لو عذبه؟ وهل تكون رحمته له جزاءً لعمله، ويكون العمل ثمنًا لها مع تقصيره فيه وعدم توفيته ما ينبغي له من بذل النصيحة فيه، وكمال العبودية من الحياءِ والمراقبة، والمحبة والخشوع وحضور القلب بين يدي الله في العمل له؟.

ومن علم هذا علم السر في كون أعمال الطاعات تختم بالاستغفار، ففي صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثًا. وقال: «**اللَّهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»(٢)، قال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨]، فأخبر عن استغفارهم عقيب صلاة الليل. قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، فلما كان السحر جلسوا يستغفرون الله.

وأمر الله تعالى عباده بالاستغفار عقيب الإفاضة في الحج فقال: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وشرع رسول الله ﷺ للمتوضئ أن يختم وضوءَه بالتوحيد والاستغفار فيقول: «**أَشْهَدُ أَنَّ لا**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٦، و٢٨١٨) عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما، وانفرد به مسلم (٢٨١٧) عن جابر رضي الله عنه، بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١) عن ثوبان رضي الله عنه.

إِلَهَ إِلا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه، اللَّهمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِين وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِين»[١]، فهذا ونحوه مما يبين حقيقة الأمر، وأن كل أحد محتاج إلى مغفرة الله ورحمته، وأنه لا سبيل إلى النجاة بدون مغفرته ورحمته أصلًا.

الجواب الثاني: أنه لو فرض أن العبد يأْتي بمقدوره كله من الطاعة ظاهرًا وباطنًا، فالذي ينبغي لربه سبحانه فوق ذلك، وأضعاف أضعافه. فإذا عجز العبد عنه لم يستحق ما يترتب عليه من الجزاءِ. والذي أتى به لا يقابل أَقل النعم. فإذا حرم جزاءَ العمل الذي ينبغي للرب سبحانه من عبده؛ كان ذلك تعذيبًا له، ولم يكن الرب ظالمًا له في هذا الحرمان.

ولو كان عاجزًا عن أسبابه؛ فإنه لم يمنعه حقًا يستحقه عليه؛ فيكون ظالمًا بمنعه. فإذا أعطاه الثواب كان مجرد صدقة منه، وفضل تصدق بها عليه لا ينالها عمله، بل هي خير من عمله وأفضل وأكثر، ليست معوضة عليه. والله أعلم.اهـ

وقال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في كتابه العمل لا يوجب النجاة، كَمَا فِي مجموع رسائل ابن رجب (٤/٤٠٤):

فمن حقق معرفة هذه الأمور، عَرَفَ أنَّ العمل وإنْ عظم؛ فإنَّه لا يستقل بنجاة العبد، ولا يستحق به عَلَى الله دخول الجنة، ولا النجاة من النار.

وحينئذٍ فيفلس العبد من عمله، وييأس من الاتكال عليه، ومن النظر إِلَيْه وإن كثر العمل وحسن. فكيف بمن ليس له كثير عملٍ، وليس له عملٌ حسنٌ؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤) عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بدون زيادة: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» فهي في رواية الترمذي (٥٥)، وهي رواية ضعيفة مضطربة، كما بينت ذلك في كتابي "فتح العلام بدراسة أحاديث بلوغ المرام" تحت الحديث رقم (٥٤).

فإن هذا ينبغي أن يشغله الفكر في التقصير في عمله، ويشتغل بالتوبة من تقصيره والاستغفار منه.

فأما من حَسُن عمله وكثر، فإنه ينبغي له أن يشتغل بالشكر عليه؛ فإن ذلك من أعظم نعم الله عَلَى عبده، فيجب مقابلته بالشكر عليه، وبرؤية التقصير في القيام بشكره.

كما كان وهيب بن الورد إذا سُئل عن أجْر عمل من الأعمال، يَقُول: لا تسألوا عن أجرِهِ، ولكن سلوا عما يجب عَلَى من هدي له من الشكر عليه.

وكان أبو سليمان يقول: كيف يعجب عاقل بعمله؟ وإنَّما يُعد العمل نعمةً من نعم الله عز وجل، وإنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، إِنَّمَا يعجب بعمله القدرية.

يعني: الذين لا يرون أن أعمال العباد مخلوقةٌ لله عز وجل.

وما أحسن ما قَالَ أبو بكر النهشلي يوم مات داود الطائي، وقام ابن -السمَّاك بعد دفنه يثني عليه بصالح عمله ويبكي، والناس يبكونه ويصدقونه عَلَى مقالته، ويشهدون بما يثني به عليه، فقام أبو بكر النهشلي، فَقَالَ: اللهم اغفر له وارحمه، ولا تكله إِلَى عمله.

وفي سنن أبي داود عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**لو عَذَّب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم**»(١).

وفي صحيح الحاكم عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رجلًا جاء إِلَى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: واذُنوباه واذُنوباه. قالها مرتين أو ثلاثًا. فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قل: اللَّهم مغفرتُك أوسعُ لي من**

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بإسناد صحيح.

ذنوبي، ورحمتُكَ أرجى عندي من عملي». فقالها، ثم قَالَ: «عد» فعاد، ثم قَالَ: «عد» فعاد، فَقَالَ له: «قم؛ فقد غُفِرَ لك»(١).

ذنـوبي إن فكَّـرتُ فيهـا كثيـرةٌ ... ورحمـةُ ربي مِـنْ ذنـوبي أوسـعُ

ومـا طمـعي في صـالحٍ قـد عملتُـهُ ... ولكنـني في رحمـةِ اللهِ أطمـعُ

فَإِذَا تقرر هذا الأصل الشريف العظيم، وعُلم أنَّ العمل بنفسه لا يوجب النجاة من النار، ولا دخول الجنة، فضلًا عن أن يوجب بنفسه الوصولَ إِلَى أعلى ما في الجنة من منازل المقربين، والنظرَ إِلَى وجه ربِّ العالمين، وإنما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته.

فذلك يوجب عَلَى المؤمن أن يقطع نظره عن عمله بالكلية، وأن لا ينظر إلاَّ إِلَى فضل الله ومنّته عليه.

كما سُئل بعض العارفين: أي الأعمال أفضل؟ قَالَ: رؤية فضل الله عز وجل، وأنشد:

إنَّ المقـاديرَ إذا سـاعدتْ ... ألحَقَـت العـاجزَ بالحـازمِ

فيتعين حينئذٍ عَلَى العبد المؤمن الطالب للنجاة من النار ولدخول الجنة، وللقرب من مولاه، والنظر إِلَيْه في دار كرامته، أن يطلب ذلك بالأسباب الموصلة إِلَى رحمة الله وعفوه ومغفرته ورضاه ومحبته. فبها ينال ما عند الله من الكرامة. إذ الله سبحانه وتعالى قد جعل للوصول إِلَى ذلك أسبابًا من الأعمال التي جعلها موصلة

---

(١) ضعيف: أخرجه الحاكم (١٩٩٤)، ومن طريقه البيهقي في "شعب الإيمان" (٦٧٢٤) من طريق إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُنَيْنٍ، حَدَّثَنِي عبيد الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ... فذكره. وهذا إسنادٌ ضعيف؛ محمد بن جابر ضعفه ابن سعد كما في تهذيب التهذيب. وعبيد الله بن محمد بن جابر، وعبيد الله بن محمد بن حنين، كلاهما مجهول، لم يوقف لهما على تراجم. ووقع في رواية البيهقي (عبد الله) بن محمد بن جابر.

إليها، وليس ذلك موجودًا إلاَّ فيما شرعه الله لعباده عَلَى لسان رسوله، وأخبر عنه رسوله أنّه يقرِّب إِلَى الله ويوجب رضوانه ومغفرته، وأنه مما يحبُّه الله، أو أنّه من أحبِّ الأعمال إِلَى الله عز وجل، فقد قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فالواجب عَلَى العبد البحثُ عن خصالِ التقوى، وخصال الإحسان التي شرعها الله في كتابه، أو عَلَى لسان رسوله ﷺ، والتقرب بذلك إِلَى الله عز وجل فإنه لا طريق للعبد يوصله إِلَى رضى مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك.اهـ

قوله عز وجل في الحديث: كلكم جائع إلا من أطعمته.... كلكم عار إلا من كسوته.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٨/١٧٨ -):

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْته فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ وَكُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْته فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**» فَيَقْتَضِي أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: وُجُوبُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ فِي الرِّزْقِ الْمُتَضَمِّنِ جَلْبَ الْمَنْفَعَةِ كَالطَّعَامِ وَدَفْعَ الْمَضَرَّةِ كَاللِّبَاسِ وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ غَيْرُ اللهِ عَلَى الْإِطْعَامِ وَالْكُسْوَةِ قُدْرَةً مُطْلَقَةً.

وَإِنَّمَا الْقُدْرَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لِبَعْضِ الْعِبَادِ تَكُونُ عَلَى بَعْضِ أَسْبَابِ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ فَالْمَأْمُورُ بِهِ هُوَ الْمَقْدُورُ لِلْعِبَادِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ فَذَمَّ مَنْ يَتْرُكُ الْمَأْمُورَ بِهِ اكْتِفَاءً بِمَا يَجْرِي بِهِ الْقَدَرُ.

وَمِنْ هُنَا: يُعْرَفُ أَنَّ السَّبَبَ المَأْمُورَ بِهِ، أَوْ المُبَاحَ لَا يُنَافِي وُجُوبَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ فِي وُجُودِ السَّبَبِ؛ بَلْ الحَاجَةُ وَالْفَقْرُ إِلَى اللهِ ثَابِتَةٌ مَعَ فِعْلِ السَّبَبِ؛ إِذْ لَيْسَ فِي المَخْلُوقَاتِ مَا هُوَ وَحْدَهُ سَبَبٌ تَامٌّ لِحُصُولِ المَطْلُوبِ؛ وَلِهَذَا لَا يَجِبُ أَنْ تَقْتَرِنَ الحَوَادِثُ بِمَا قَدْ يُجْعَلُ سَبَبًا إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

فَمَنْ ظَنَّ الِاسْتِغْنَاءَ بِالسَّبَبِ عَنْ التَّوَكُّلِ؛ فَقَدْ تَرَكَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ التَّوَكُّلِ؛ وَأَخَلَّ بِوَاجِبِ التَّوْحِيدِ، وَلِهَذَا يُخْذَلُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ إِذَا اعْتَمَدُوا عَلَى الأَسْبَابِ. فَمَنْ رَجَا نَصْرًا، أَوْ رِزْقًا مِنْ غَيْرِ اللهِ خَذَلَهُ اللَّهُ كَمَا قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَا يَرْجُوَن عَبْدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَن إِلَّا ذَنْبَهُ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وَقَالَ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وَهَذَا كَمَا أَنَّ مَنْ أَخَذَ يَدْخُلُ فِي التَّوَكُّلِ تَارِكًا لِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ الأَسْبَابِ فَهُوَ أَيْضًا جَاهِلٌ ظَالِمٌ؛ عَاصٍ لِلَّهِ بِتَرْكِ مَا أَمَرَهُ؛ فَإِنَّ فِعْلَ المَأْمُورِ بِهِ عِبَادَةٌ لِلَّهِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ وَقَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ وَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ وَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ وَقَالَ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾. وَقَالَ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا

حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾.

فَلَيْسَ مَنْ فَعَلَ شَيْئًا أُمِرَ بِهِ وَتَرَكَ مَا أُمِرَ بِهِ مِنَ التَّوَكُّلِ بِأَعْظَمَ ذَنْبًا مِمَّنْ فَعَلَ تَوَكُّلًا أُمِرَ بِهِ وَتَرَكَ فِعْلَ مَا أُمِرَ بِهِ مِنَ السَّبَبِ؛ إِذْ كِلَاهُمَا مُخِلٌّ بِبَعْضِ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ وَهُمَا مَعَ اشْتِرَاكِهِمَا فِي جِنْسِ الذَّنْبِ فَقَدْ يَكُونُ هَذَا ألوم وَقَدْ يَكُونُ الآخَرَ مَعَ أَنَّ التَّوَكُّلَ فِي الحَقِيقَةِ مِنْ جُمْلَةِ الأَسْبَابِ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُد فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ. فَقَالَ المَقْضِيُّ عَلَيْهِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى العَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْك بِالْكَيْسِ، فَإِنْ غَلَبَك أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**»[1].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُك وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ فَإِنْ أَصَابَك شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْت لَكَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[2] فَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُك وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ**» أَمْرٌ بِالتَّسَبُّبِ المَأْمُورِ بِهِ وَهُوَ الحِرْصُ عَلَى المَنَافِعِ. وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ بِالتَّوَكُّلِ وَهُوَ الِاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ فَمَنْ اكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا فَقَدْ عَصَى أَحَدَ الأَمْرَيْنِ وَنَهَى عَنْ العَجْزِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الكَيْسِ. كَمَا قَالَ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ: «**إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى العَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْك بِالْكَيْسِ**» وَكَمَا فِي الحَدِيثِ الشَّامِيِّ: «**الكَيِّسُ مَنْ**

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٢٣٩٨٣)، وأبو داود (٣٦٢٧) من طريق خالد بن معدان، عن سيف، عن عوف بن مالك به. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لجهالة سيف الشامي، الراوي عن عوف رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»[(١)] فَالْعَاجِزُ فِي الحَدِيثِ مُقَابِلُ الكَيْسِ، وَمَنْ قَالَ: العَاجِزُ هُوَ مُقَابِلُ البَرِّ فَقَدْ حَرَّفَ الحَدِيثَ، وَلَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ. وَمِنْهُ الحَدِيثُ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى العَجْزِ وَالْكَيْسِ**»[(٢)]. وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ يَقُولُونَ: نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ فَإِذَا قَدِمُوا سَأَلُوا النَّاسَ؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[(٣)].

فَمَنْ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ التَّزَوُّدِ فَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّه وَأَحْسَنَ مِنْهُ إِلَى مَنْ يَكُونُ مُحْتَاجًا كَانَ مُطِيعًا لِلَّهِ فِي هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ بِخِلَافِ مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ مُلْتَفِتًا إِلَى أَزْوَادِ الحَجِيجِ كَلًّا عَلَى النَّاسِ؛ وَإِنْ كَانَ مَعَ هَذَا قَلْبُهُ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَى مُعَيَّنٍ فَهُوَ مُلْتَفِتٌ إِلَى الجُمْلَةِ لَكِنْ إِنْ كَانَ المُتَزَوِّدُ غَيْرَ قَائِمٍ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ التَّوَكُّلِ عَلَى الله وَمُوَاسَاةِ المُحْتَاجِ فَقَدْ يَكُونُ فِي تَرْكِهِ لِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ جِنْسِ هَذَا التَّارِكِ لِلتَّزَوُّدِ المَأْمُورِ بِهِ.اهـ

قوله عز وجل: وأنا أغفر الذنوب جميعًا.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله كَمَا فِي مَجْمُوع الْفَتَاوَى (١٨/١٨٥ -):

الْمَغْفِرَةُ العَامَّةُ لِجَمِيعِ الذُّنُوبِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: المَغْفِرَةُ لِمَنْ تَابَ كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ إلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ فَهَذَا السِّيَاقُ مَعَ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١٧١٢٣)، والترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٥٢٣).

سَبَبِ نُزُولِ الآيَةِ يُبَيِّنُ أَنَّ المَعْنَى لَا يَيْأَسُ مُذْنِبٌ مِنْ مَغْفِرَةِ اللهِ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ مَا كَانَتْ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ لِعَبْدِهِ التَّائِبِ.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذَا العُمُومِ الشِّرْكُ وَغَيْرُهُ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ ذَلِكَ لِمَنْ تَابَ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ وَقَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ وَقَالَ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وَهَذَا القَوْلُ الجَامِعُ بِالْمَغْفِرَةِ لِكُلِّ ذَنْبٍ لِلتَّائِبِ مِنْهُ - كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ القُرْآنُ وَالْحَدِيثُ - هُوَ الصَّوَابُ عِنْدَ جَمَاهِيرِ أَهْلِ العِلْمِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَثْنِي بَعْضَ الذُّنُوبِ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَنَّ تَوْبَةَ الدَّاعِيَةِ إِلَى البِدَعِ لَا تُقْبَلُ بَاطِنًا لِلْحَدِيثِ الإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي فِيهِ: «**فَكَيْفَ مَنْ أَضْلَلْتَ**»[1]. وَهَذَا غَلَطٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ أَنَّهُ يَتُوبُ عَلَى أَئِمَّةِ الكُفْرِ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ مِنْ أَئِمَّةِ البِدَعِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٩٩٠) حدثنا أبو أسامة، عن عوف، عن خالد الربعي، قال: كان في بني إسرائيل رجل، وكان مغمورا في العلم، وأنه ابتدع بدعة، فدعا الناس فاتبع، وأنه تذكر ذات ليلة، فقال: هب هؤلاء الناس لا يعلمون ما ابتدعت، أليس الله قد علم ما ابتدعت، قال: فبلغ من توبته أن حرق ترقوته، وجعل فيها سلسلة وربطها بسارية من سواري المسجد، قال: لا أنزعها حتى يتاب علي، قال: فأوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل، وكان لا يستنكر بالوحي: أن قل لفلان: لو أن ذنبك كان فيما بيني وبينك لغفرت لك، ولكن كيف بمن أضللت من عبادي، فدخل النار.

وهذا إسنادٌ صحيح إلى خالد بن ثابت الربعي، ولكنه قاله من قبل نفسه، ولم يسنده إلى النبي ﷺ.

وهذه قصة باطلة مخالفة لأدلة الشرع في قبول التوبة.

وأخرجه أحمد في "الزهد" (٥٠٦)، وابن وضاح في "البدع" (٧٠) من طريق عوف الأعرابي به.

وأخرجه من وجه آخر (٦٩) عن الحسن البصري بنحوه، وفي إسناده رجل مبهم، وأبان بن أبي=

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الكَرَمِ: عَذَّبُوا أَوْلِيَاءَهُ وَفَتَنُوهُمْ، ثُمَّ هُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ.

وَكَذَلِكَ تَوْبَةُ القَاتِلِ وَنَحْوِهِ وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ المُتَّفَقُ عَلَيْهِ فِي الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا يَدُلُّ عَلَى قَبُولِ تَوْبَتِهِ وَلَيْسَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يُنَافِي ذَلِكَ وَلَا نُصُوصَ الوَعِيدِ - فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ الكَبَائِرِ - بِمُنَافِيَةٍ لِنُصُوصِ قَبُولِ التَّوْبَةِ فَلَيْسَتْ آيَةُ الفُرْقَانِ بِمَنْسُوخَةٍ بِآيَةِ النِّسَاءِ؛ إِذْ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا؛ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ فِيهِ وَعِيدٌ فَإِنَّ لُحُوقَ الوَعِيدِ مَشْرُوطٌ بِعَدَمِ التَّوْبَةِ؛ إِذْ نُصُوصُ التَّوْبَةِ مُبَيِّنَةٌ لِتِلْكَ النُّصُوصِ كَالْوَعِيدِ فِي الشِّرْكِ وَأَكْلِ الرِّبَا وَأَكْلِ مَالِ اليَتِيمِ وَالسِّحْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الذُّنُوبِ.

وَمَنْ قَالَ مِنْ العُلَمَاءِ: تَوْبَتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ. فَحَقِيقَةُ قَوْلِهِ الَّتِي تُلَائِمُ أُصُولَ الشَّرِيعَةِ أَنْ يُرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ التَّوْبَةَ المُجَرَّدَةَ تُسْقِطُ حَقَّ اللهِ مِنْ العِقَابِ.

وَأَمَّا حَقُّ المَظْلُومِ فَلَا يَسْقُطُ بِمُجَرَّدِ التَّوْبَةِ وَهَذَا حَقٌّ. وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ القَاتِلِ وَسَائِرِ الظَّالِمِينَ. فَمَنْ تَابَ مِنْ ظُلْمٍ لَمْ يَسْقُطْ بِتَوْبَتِهِ حَقُّ المَظْلُومِ لَكِنْ مِنْ تَمَامِ تَوْبَتِهِ أَنْ يُعَوِّضَهُ بِمِثْلِ مَظْلِمَتِهِ. وَإِنْ لَمْ يُعَوِّضْهُ فِي الدُّنْيَا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ العِوَضِ فِي الآخِرَةِ فَيَنْبَغِي لِلظَّالِمِ التَّائِبِ أَنْ يَسْتَكْثِرَ مِنْ الحَسَنَاتِ حَتَّى إِذَا اسْتَوْفَى المَظْلُومُونَ حُقُوقَهُمْ لَمْ يَبْقَ مُفْلِسًا. وَمَعَ هَذَا فَإِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُعَوِّضَ المَظْلُومَ مِنْ عِنْدِهِ؛ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ كَمَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَغْفِرَ مَا دُونَ الشِّرْكِ لِمَنْ يَشَاءُ.

وَلِهَذَا فِي حَدِيثِ القِصَاصِ الَّذِي رَكِبَ فِيهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنيس شَهْرًا حَتَّى شَافَهَهُ بِهِ، وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَد وَغَيْرُهُ وَاسْتَشْهَدَ بِهِ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ؛ وَهُوَ مِنْ جِنْسِ حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ صِحَاحِهِ أَوْ حِسَانِهِ؛ قَالَ فِيهِ: «**إِذَا كَانَ يَوْمَ**

= عياش، وهو متروك.

القِيَامَةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ الخَلَائِقَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ؛ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِيَ وينفذهم البَصَرَ. ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قَرُبٍ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ، ولِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قِبَلَهُ مَظْلِمَةٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، ولِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ قِبَلَهُ مَظْلِمَةٌ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ»[1].

فَبَيَّنَ فِي الحَدِيثِ العَدْلَ وَالْقِصَاصَ بَيْنَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: **«أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ إِذَا عَبَرُوا الصِّرَاطَ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ**

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٨٥١)، وأحمد (٣/ ٤٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وفي «خلق أفعال العباد» (٤٦٣)، وفي «التاريخ الكبير» (٤/ ١/ ١٦٩ - ١٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٤) وفي «الآحاد» (٢٠٣٤)، والطحاوي في "المشكل" (٣٥٢٧)، والحاكم (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨ و ٤/ ٥٧٤ - ٥٧٥)، والبيهقي في "الأسماء" (ص ٩٩ - ١٠٠ و ٣٤٦ - ٣٤٧) وغيرهم من طرق عن القاسم بن عبد الواحد المكي، عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، عن جابر بن عبد الله به. وهذا إسناد ضعيفٌ؛ لضعف يسير في القاسم، وعبد الله بن محمد بن عقيل.

وللحديث طريق أخرى يتقوى بها:

أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٦) ومن طريقه ابن عساكر (٧٢/ ٢٨٦) عن الحسن بن جرير الصوري، ثنا عثمان بن سعيد الصيداوي، ثنا سليم (وقع في مطبوع الطبراني سليمان، والمثبت من تاريخ ابن عساكر) بن صالح، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن الحجاج بن دينار، عن محمد بن المنكدر عن جابر به نحوه.

وأخرجه تمام في «فوائده» (١٧٤٦)، ومن طريقه الحافظ في «التغليق» (٤/ ٣٥٦-٣٥٧) عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن زامل الأذرعي، ثنا أبو علي الحسن بن جرير الصوري به.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٢/ ٢٨٦) من طريق علي بن أحمد بن إسحاق البنداري، نا الحسن بن جرير الصوري (وقع في الاسم تصحيف، والصواب ما أثبته)، نا عثمان بن سعيد الصيداوي.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لجهالة حال عثمان بن سعيد، وسليم بن صالح العنسي. والحديث حسن بالطريق السابقة.

الجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ»[1] وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ لَمَّا قَالَ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ -وَالِاغْتِيَابُ مِنْ ظُلْمِ الأَعْرَاضِ- قَالَ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾. فَقَدْ نَبَّهَهُمْ عَلَى التَّوْبَةِ مِنَ الِاغْتِيَابِ، وَهُوَ مِنَ الظُّلْمِ.

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلِمَةٌ فِي دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ فَلْيَأْتِهِ فَلْيَسْتَحِلَّ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَيْسَ فِيهِ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ إِلَّا الحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ. فَإِنْ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ وَإِلَّا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ يُلْقَى فِي النَّارِ**»[2] أَوْ كَمَا قَالَ.

وَهَذَا فِيمَا عَلِمَهُ المَظْلُومُ مِنَ العِوَضِ فَأَمَّا إِذَا اغْتَابَهُ أَوْ قَذَفَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ، فَقَدْ قِيلَ: مِنْ شَرْطِ تَوْبَتِهِ إِعْلَامُهُ. وَقِيلَ: لَا يُشْتَرَطُ ذَلِكَ. وَهَذَا قَوْلُ الأَكْثَرِينَ، وَهُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَد. لَكِنَّ قَوْلَهُ مِثْلَ هَذَا أَنْ يَفْعَلَ مَعَ المَظْلُومِ حَسَنَاتٍ كَالدُّعَاءِ لَهُ وَالِاسْتِغْفَارِ وَعَمَلٍ صَالِحٍ يَهْدِي إِلَيْهِ يَقُومُ مَقَامَ اغْتِيَابِهِ وَقَذْفِهِ. قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: كَفَّارَةُ الغِيبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَبْته.

وَأَمَّا الذُّنُوبُ الَّتِي يُطْلِقُ الفُقَهَاءُ فِيهَا نَفْيَ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِثْلَ قَوْلِ أَكْثَرِهِمْ: لَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ الزِّنْدِيقِ وَهُوَ المُنَافِقُ، وَقَوْلُهُمْ: إِذَا تَابَ المُحَارِبُ قَبْلَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ تَسْقُطُ عَنْهُ حُدُودُ الله. وَكَذَلِكَ قَوْلُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَوْ أَكْثَرِهِمْ فِي سَائِرِ الجَرَائِمِ كَمَا هُوَ أَحَدُ قَوْلَيْ الشَّافِعِيِّ وَأَصَحُّ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَد. وَقَوْلُهُمْ فِي هَؤُلَاءِ: إِذَا تَابُوا بَعْدَ الرَّفْعِ إِلَى الإِمَامِ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُمْ. فَهَذَا إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ رَفْعَ العُقُوبَةِ المَشْرُوعَةِ عَنْهُمْ، أَيْ: لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ بِحَيْثُ يُخَلَّى بِلَا عُقُوبَةٍ، بَلْ يُعَاقَبُ: إِمَّا لِأَنَّ تَوْبَتَهُ غَيْرُ مَعْلُومَةِ الصِّحَّةِ، بَلْ يُظَنُّ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولم يخرجه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٩، و٦٥٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، بنحوه.

بِهِ الكَذِبُ فِيهَا، وَأَمَّا لِأَنَّ رَفْعَ العُقُوبَةِ بِذَلِكَ يُفْضِي إِلَى انْتِهَاكِ المَحَارِمِ، وَسَدِّ بَابِ العُقُوبَةِ عَلَى الجَرَائِمِ، وَلَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنَّ مَنْ تَابَ مِنْ هَؤُلَاءِ تَوْبَةً صَحِيحَةً فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ فِي البَاطِنِ؛ إِذْ لَيْسَ هَذَا قَوْلَ أَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الفُقَهَاءِ، بَلْ هَذِهِ التَّوْبَةُ لَا تُمْنَعُ إِلَّا إِذَا عَايَنَ أَمْرَ الآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ﴾ الآيَةَ.

قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: سَأَلْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا لِي: كُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَكُلُّ مَنْ تَابَ قَبْلَ المَوْتِ فَقَدْ تَابَ مِنْ قَرِيبٍ[١].

وَأَمَّا مَنْ تَابَ عِنْدَ مُعَايَنَةِ المَوْتِ فَهَذَا كَفِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ: أَنَا اللَّهُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ قَالَ الله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ بَيَّنَ بِهِ أَنَّ هَذِهِ التَّوْبَةَ لَيْسَتْ هِيَ التَّوْبَةُ المَقْبُولَةُ المَأْمُورُ بِهَا؛ فَإِنَّ اسْتِفْهَامَ الإِنْكَارِ: إِمَّا بِمَعْنَى النَّفْيِ إِذَا قَابَلَ الإِخْبَارَ وَإِمَّا بِمَعْنَى الذَّمِّ وَالنَّهْيِ إِذَا قَابَلَ الإِنْشَاءَ وَهَذَا مِنْ هَذَا.

---

(١) قال ابن المنذر في التفسير (١٤٠): حدثنا موسى، قال: حدثنا حميد، قال: حدثنا سفيان، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي العالية الرياحي، قال: اجتمع رأي رهط من أصحاب النبي ﷺ، أن كل ذنب أصابه ابن آدم فهي جهالة. وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثقات، وموسى هو ابن هارون الحمال، وحميد هو ابن مسعدة الباهلي.

وقال ابن جرير في تفسيره سورة النساء (٦/ ٥٠٧): حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ أَصْحَابَ، رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا يَقُولُونَ: «**كُلُّ ذَنْبٍ أَصَابَهُ عَبْدٌ فَهُوَ بِجَهَالَةٍ**»

وَمِثْلُهُ قَوْله تَعَالَى ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ الآيَةَ.

بَيَّنَ أَنَّ التَّوْبَةَ بَعْدَ رُؤْيَةِ البَأْسِ لَا تَنْفَعُ وَأَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ؛ كَفِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِ وَفِي الحَدِيثِ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»[(١)] وَرُوِيَ: «**مَا لَمْ يُعَايِنْ**»[(٢)]. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ ﷺ عَرَضَ عَلَى عَمِّهِ التَّوْحِيدَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ[(٣)]، وَقَدْ عَادَ يَهُودِيًّا كَانَ يَخْدِمُهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنْ النَّارِ**»[(٤)].

وَمِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ المَغْفِرَةَ العَامَّةَ فِي الزُّمَرِ هِيَ لِلتَّائِبِينَ أَنَّهُ قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ فَقَيَّدَ المَغْفِرَةَ بِمَا دُونَ الشِّرْكِ وَعَلَّقَهَا عَلَى المَشِيئَةِ، وَهُنَاكَ أَطْلَقَ وَعَمَّمَ، فَدَلَّ هَذَا التَّقْيِيدُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى أَنَّ هَذَا فِي حَقِّ غَيْرِ التَّائِبِ؛ وَلِهَذَا اسْتَدَلَّ أَهْلُ السُّنَّةِ بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى جَوَازِ المَغْفِرَةِ لِأَهْلِ الكَبَائِرِ فِي الجُمْلَةِ خِلَافًا لِمَنْ أَوْجَبَ نُفُوذَ الوَعِيدِ بِهِمْ مِنْ الخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَإِنْ كَانَ المُخَالِفُونَ لَهُمْ قَدْ أَسْرَفَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ المُرْجِئَةِ حَتَّى تَوَقَّفُوا فِي لُحُوقِ الوَعِيدِ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ كَمَا يُذْكَرُ عَنْ غَلَّاتِهِمْ أَنَّهُمْ نَفَوْهُ مُطْلَقًا وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ الغَالِي فِيهِ

---

(١) أخرجه أحمد (٦١٦٠)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وإسناده حسن.

(٢) أخرج أبو حاتم في "الزهد" (٥٤): حَدَّثَنَا ابْنُ صَخْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمُ بْنُ أَخْضَرَ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُدَيْرٍ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي تَوْبَةٍ مَا لَمْ يُعَايِنِ الْمَلَك. وهذا إسنادٌ حسن؛ رجاله ثقات، إلا ابن صخر، وهو أحمد بن عبد الله بن سهيل بن صخر الغداني، ترجمته في الجرح والتعديل: قال أبو حاتم: صدوق.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) عن المسيب بن حزن رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٥٦) عن أنس رضي الله عنه.

وَالْجَافِي عَنْهُ وَنُصُوصُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَعَ اتِّفَاقِ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا مُتَطَابِقَةٌ عَلَى أَنَّ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ مَنْ يُعَذَّبُ وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ.

النَّوْعُ الثَّانِي: مِنَ المَغْفِرَةِ العَامَّةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**» المَغْفِرَةُ بِمَعْنَى تَخْفِيفِ العَذَابِ؛ أَوْ بِمَعْنَى تَأْخِيرِهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، وَهَذَا عَامٌّ مُطْلَقًا؛ وَلِهَذَا شَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَبِي طَالِبٍ مَعَ مَوْتِهِ عَلَى الشِّرْكِ فَنُقِلَ مِنْ غَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ حَتَّى جُعِلَ فِي ضِحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ فِي قَدَمَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ. قَالَ: «**وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[1] وَعَلَى هَذَا المَعْنَى دَلَّ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.اهـ

قوله عز وجل في الحديث: «إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني».

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٨/١٩٢ -):

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**»؛ فَإِنَّهُ هُوَ بَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ فِيمَا يُحْسِنُ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ إِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ وَغُفْرَانِ الزَّلَّاتِ بِالْمُسْتَعِيضِ بِذَلِكَ مِنْهُمْ جَلْبَ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعَ مَضَرَّةٍ كَمَا هِيَ عَادَةُ المَخْلُوقِ الَّذِي يُعْطِي غَيْرَهُ نَفْعًا؛ لِيُكَافِئَهُ عَلَيْهِ بِنَفْعٍ أَوْ يَدْفَعَ عَنْهُ ضَرَرًا؛ لِيَتَّقِيَ بِذَلِكَ ضَرَرَهُ فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي**».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٣٨٨٥)، ومسلم (٢٠٩، و٢١٠) عن أبي سعيد الخدري، والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، وقوله: «**وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**» لم يقع في رواية أبي سعيد. وذكر النعلين، وقع في رواية مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢١٢).

فَلَسْتُ إذَا أَخُصُّكُمْ بِهِدَايَةِ المُسْتَهْدِي، وَكِفَايَةِ المُسْتَكْفِي، المُسْتَطْعِمِ وَالْمُسْتَكْسِي بِالَّذِي أَطْلُبُ أَنْ تَنْفَعُونِي، وَلَا أَنَا إذَا غَفَرْت خَطَايَاكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَتَّقِي بِذَلِكَ أَنْ تَضُرُّونِي؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي؛ إذْ هُمْ عَاجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ بَلْ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ الفِعْلِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ إلَّا بِتَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ؛ فَكَيْفَ بِمَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ؟

فَكَيْفَ بِالْغَنِيِّ الصَّمَدِ الَّذِي يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَحِقَّ مِنْ غَيْرِهِ نَفْعًا أَوْ ضُرًّا ؟ وَهَذَا الكَلَامُ كَمَا بُيِّنَ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ بِهِمْ مِنْ جَلْبِ المَنَافِعِ وَدَفْعِ المَضَارِّ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَبْلُغُوا أَنْ يَفْعَلُوا بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ فَكَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أَنَّ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ الطَّاعَاتِ وَمَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ السَّيِّئَاتِ فَإِنَّهُ لَا يَتَضَمَّنُ اسْتِجْلَابَ نَفْعِهِمْ كَأَمْرِ السَّيِّدِ لِعَبْدِهِ؛ أَوْ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ؛ وَالْأَمِيرِ لِرَعِيَّتِهِ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَلَا دَفْعِ مَضَرَّتِهِمْ: كَنَهْيِ هَؤُلَاءِ أَوْ غَيْرِهِمْ لِبَعْضِ النَّاسِ عَنْ مَضَرَّتِهِمْ. فَإِنَّ المَخْلُوقِينَ يَبْلُغُ بَعْضُهُمْ نَفْعَ بَعْضٍ وَمَضَرَّةَ بَعْضٍ وَكَانُوا فِي أَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ قَدْ يَكُونُونَ كَذَلِكَ. وَالْخَالِقُ سُبْحَانَهُ مُقَدَّسٌ عَنْ ذَلِكَ فَبَيَّنَ تَنْزِيهَهُ عَنْ لُحُوقِ نَفْعِهِمْ وَضُرِّهِمْ فِي إحْسَانِهِ إلَيْهِمْ بِمَا يَكُونُ مِنْ أَفْعَالِهِ بِهِمْ وَأَوَامِرِهِ لَهُمْ قَالَ قتادة: إنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْ العِبَادَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ لِحَاجَتِهِ إلَيْهِمْ، وَلَا نَهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ بُخْلًا بِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَمَرَهُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، وَنَهَاهُمْ عَمَّا فِيهِ فَسَادُهُمْ.

وَلِهَذَا ذَكَرَ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ بَعْدَ هَذَا فَذَكَرَ أَنَّ بِرَّهُمْ وَفُجُورَهُمْ الَّذِي هُوَ طَاعَتُهُمْ وَمَعْصِيَتُهُمْ لَا يَزِيدُ فِي مِلْكِهِ وَلَا يَنْقُصُ، وَأَنَّ إعْطَاءَهُ إيَّاهُمْ غَايَةُ مَا يَسْأَلُونَهُ نِسْبَتَهُ إلَى مَا عِنْدَهُ أَدْنَى نِسْبَةٍ وَهَذَا بِخِلَافِ المُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَزْدَادُ مِلْكُهُ بِطَاعَةِ الرَّعِيَّةِ وَيَنْقُصُ مِلْكُهُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَإِذَا أَعْطَى النَّاسَ مَا يَسْأَلُونَهُ أَنْفَدَ مَا عِنْدَهُ وَلَمْ يُغْنِهِمْ وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَبْلُغُونَ مَضَرَّتَهُ وَمَنْفَعَتَهُ وَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ إحْسَانٍ وَعَفْوٍ وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ لِرَجَاءِ المَنْفَعَةِ

وَخَوْفِ المَضَرَّةِ. فَقَالَ: «**يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**» إِذْ مُلْكُهُ هُوَ قُدْرَتُهُ عَلَى التَّصَرُّفِ. فَلَا تَزْدَادُ بِطَاعَتِهِمْ وَلَا تَنْقُصُ بِمَعْصِيَتِهِمْ كَمَا تَزْدَادُ قُدْرَةُ المُلُوكِ بِكَثْرَةِ المُطِيعِينَ لَهُمْ، وَتَنْقُصُ بِقِلَّةِ المُطِيعِينَ لَهُمْ؛ فَإِنَّ مُلْكَهُ مُتَعَلِّقٌ بِنَفْسِهِ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، وَهُوَ الَّذِي يُؤْتِي المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ المُلْك مِمَّنْ يَشَاءُ. وَالْمُلْكُ قَدْ يُرَادُ بِهِ القُدْرَةُ عَلَى التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ وَيُرَادُ بِهِ نَفْسُ التَّدْبِيرِ وَالتَّصَرُّفِ وَيُرَادُ بِهِ المَمْلُوكُ نَفْسُهُ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ التَّدْبِيرِ وَيُرَادُ بِهِ ذَلِكَ كُلُّهُ.

وَبِكُلِّ حَالٍ فَلَيْسَ بِرُّ الأَبْرَارِ وَفُجُورُ الفُجَّارِ مُوجِبًا لِزِيَادَةِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا نَقْصِهِ؛ بَلْ هُوَ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ فَلَوْ شَاءَ أَنْ يَخْلُقَ مَعَ فُجُورِ الفُجَّارِ مَا شَاءَ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ كَمَا يَمْنَعُ المُلُوكَ فُجُورُ رَعَايَاهُمْ الَّتِي تُعَارِضُ أَوَامِرَهُمْ عَمَّا يَخْتَارُونَهُ مِنْ ذَلِكَ. وَلَوْ شَاءَ أَنْ لَا يَخْلُقَ مَعَ بِرِّ الأَبْرَارِ شَيْئًا مِمَّا خَلَقَهُ لَمْ يَكُنْ بِرُّهُمْ مُحْوِجًا لَهُ إِلَى ذَلِكَ وَلَا مُعِينًا لَهُ كَمَا يَحْتَاجُ المُلُوكُ وَيَسْتَعِينُونَ بِكَثْرَةِ الرَّعَايَا المُطِيعِينَ.

ثُمَّ ذَكَرَ حَالَهُمْ فِي النَّوْعَيْنِ سُؤَالَ بِرِّهِ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ. اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا فِي الحَدِيثِ حَيْثُ ذَكَرَ الِاسْتِهْدَاءَ وَالِاسْتِطْعَامَ وَالِاسْتِكْسَاءَ وَذَكَرَ الغُفْرَانَ وَالْبِرَّ وَالْفُجُورَ فَقَالَ: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْت كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ**» وَالْخَيَّاطُ وَالْمَخِيطُ: مَا يُخَاطُ بِهِ إِذْ الفَعَّالُ وَالْمُفْعِل والمفعال مِنْ صِيَغِ الآلَاتِ الَّتِي يَفْعَلُ بِهَا كَالْمُسَعِّرِ والمخلاب وَالْمِنْشَارُ.

فَبَيَّنَ أَنَّ جَمِيعَ الخَلَائِقِ إِذَا سَأَلُوا وَهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَزَمَانٍ وَاحِدٍ فَأُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ لَمْ يَنْقُصْهُ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدَهُ إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المخيط وَهِيَ الإِبْرَةُ إِذَا غُمِسَ فِي البَحْرِ.

وَقَوْلُهُ: «لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدِي» فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِنْدَهُ أُمُورًا مَوْجُودَةً يُعْطِيهِمْ مِنْهَا مَا سَأَلُوهُ إِيَّاهُ وَعَلَى هَذَا فَيُقَالُ: لَفْظُ النَّقْصِ عَلَى حَالِهِ لِأَنَّ الإِعْطَاءَ مِنْ الكَثِيرِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا، فَلَا بُدَّ أَنْ يُنْقِصَهُ شَيْئًا مَا. وَمَنْ رَوَاهُ: «**لَمْ يَنْقُصْ مِنْ مُلْكِي**» يُحْمَلُ عَلَى مَا عِنْدَهُ كَمَا فِي هَذَا اللَّفْظِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ: «**مِمَّا عِنْدِي**» فِيهِ تَخْصِيصٌ لَيْسَ هُوَ فِي قَوْلِهِ: «**مِنْ مُلْكِي**».

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ لَفْظَ النَّقْصِ هُنَا كَلَفْظِ النَّقْصِ فِي حَدِيثِ مُوسَى وَالْخَضِرِ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ عَنْ أبي بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ: «**أَنَّ الخَضِرَ قَالَ لِمُوسَى لَمَّا وَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى قَارِبِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي البَحْرِ فَقَالَ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَمَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْ هَذَا البَحْرِ**»(١) وَمِنْ المَعْلُومِ أَنَّ نَفْسَ عِلْمِ اللهِ القَائِمِ بِنَفْسِهِ لَا يَزُولُ مِنْهُ شَيْءٌ بِتَعَلُّمِ العِبَادِ وَإِنَّمَا المَقْصُودُ أَنَّ نِسْبَةَ عِلْمِي وَعِلْمِكَ إِلَى عِلْمِ اللهِ كَنِسْبَةِ مَا عَلِقَ بِمِنْقَارِ العُصْفُورِ إِلَى البَحْرِ. وَمِنْ هَذَا البَابِ كَوْنُ العِلْمِ يُورَثُ كَقَوْلِهِ: «**العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**»(٢) وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ وَمِنْهُ تَوْرِيثُ الكِتَابِ أَيْضًا كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.اهـ

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، والدارمي (٣٦٨)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٤) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو حديث حسن.

٥٣ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

مسألة: الحديث تضمن التوسل بالإيمان بالربوبية وبالتوحيد لرفع الكرب:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد (٤/ ١٨٠):

فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ ﷺ عِلَاجِ الْكَرْبِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحَزَنِ:

أَخْرَجَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ**».

وَفِي جَامِعِ الترمذي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ «**كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»**».

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ الْأَمْرُ، رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ**»، وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ، قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**».

وَفِي سُنَنِ أَبِي داود عَنْ أَبِي بكرة، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

وَفِيهَا أَيْضًا عَنْ أسماء بنت عميس قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِيهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ، أَوْ فِي الْكَرْبِ: اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهَا تُقَالُ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَصَابَ عَبْدًا هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي. إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ حُزْنَهُ وَهَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**».

وَفِي الترمذي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا رَبَّهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ، كَلِمَةَ أَخِي يُونُسَ**».

وَفِي سُنَنِ أبي داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أبو أمامة، فَقَالَ: «**يَا أبا أمامة مَالِي أَرَاكَ فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟**» فَقَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى دَيْنَكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ**

بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي».

وَفِي سُنَنِ أبي داود عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**».

وَفِي الْمُسْنَدِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «**كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ**»، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ**﴾ [البقرة: ٤٥].

وَفِي السُّنَنِ: «**عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنِ النُّفُوسِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ**».

وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ وَغُمُومُهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**».

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «**أَنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ**». وَفِي الترمذي: «**أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ**».

هَذِهِ الْأَدْوِيَةُ تَتَضَمَّنُ خَمْسَةَ عَشَرَ نَوْعًا مِنَ الدَّوَاءِ، فَإِنْ لَمْ تَقْوَ عَلَى إِذْهَابِ دَاءِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ، فَهُوَ دَاءٌ قَدِ اسْتَحْكَمَ وَتَمَكَّنَتْ أَسْبَابُهُ، وَيَحْتَاجُ إِلَى اسْتِفْرَاغٍ كُلِّيٍّ.

الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ.

الثَّالِثُ: التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الِاعْتِقَادِيُّ.

الرَّابِعُ: تَنْزِيهُ الرَّبِّ تَعَالَى عَنْ أَنْ يَظْلِمَ عَبْدَهُ، أَوْ يَأْخُذَهُ بِلَا سَبَبٍ مِنَ الْعَبْدِ يُوجِبُ ذَلِكَ.

الْخَامِسُ: اعْتِرَافُ الْعَبْدِ بِأَنَّهُ هُوَ الظَّالِمُ.

السَّادِسُ: التَّوَسُّلُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى بِأَحَبِّ الْأَشْيَاءِ، وَهُوَ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ، وَمِنْ أَجْمَعِهَا لِمَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

السَّابِعُ: الِاسْتِعَانَةُ بِهِ وَحْدَهُ.

الثَّامِنُ: إِقْرَارُ الْعَبْدِ لَهُ بِالرَّجَاءِ.

التَّاسِعُ: تَحْقِيقُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالتَّفْوِيضِ إِلَيْهِ وَالِاعْتِرَافِ لَهُ بِأَنَّ نَاصِيَتَهُ فِي يَدِهِ، يَصْرِفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَأَنَّهُ مَاضٍ فِيهِ حُكْمُهُ عَدْلٌ فِيهِ قَضَاؤُهُ.

الْعَاشِرُ: أَنْ يَرْتَعَ قَلْبُهُ فِي رِيَاضِ الْقُرْآنِ، وَيَجْعَلَهُ لِقَلْبِهِ كَالرَّبِيعِ لِلْحَيَوَانِ، وَأَنْ يَسْتَضِيءَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَأَنْ يَتَسَلَّى بِهِ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ، وَيَتَعَزَّى بِهِ عَنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَيَسْتَشْفِي بِهِ مِنْ أَدْوَاءِ صَدْرِهِ، فَيَكُونَ جَلَاءَ حُزْنِهِ، وَشِفَاءَ هَمِّهِ وَغَمِّهِ.

الْحَادِيَ عَشَرَ: الِاسْتِغْفَارُ.

الثَّانِيَ عَشَرَ: التَّوْبَةُ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: الْجِهَادُ.

الرَّابِعَ عَشَرَ: الصَّلَاةُ.

الْخَامِسَ عَشَرَ: الْبَرَاءَةُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَتَفْوِيضُهُمَا إِلَى مَنْ هُمَا بِيَدِهِ.اهـ

٥٤ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الـجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٥٥ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤٥٢)، وَهُوَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ.

٥٦ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الـمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ، أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمُ (٨١٠).

٥٧ وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟». قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟». قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ، لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمُ.(٨١٠)

﴿٥٨﴾ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[١].

﴿٥٩﴾ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا فِي الحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ، فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ فِي دُعَائِهِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللهَ؟**» قَالَ: فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٢٤٥) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

مسائل العقيدة المستفادة من الأحاديث

مسألة(١) : أسماء الله عز وجل غير محصورة بعدد معلوم لنا.

دل حديث ابن مسعود وحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا اللذين في الباب على أن أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته غير محصورة، ولا معلومة لنا بعدد معين.

وأما حديث أبي هريرة الذي في الباب؛ فلا يستفاد منه حصر الأسماء الحسنى، وإنما الأسلوب المذكور من تقديم الجار والمجرور ليفيد اختصاص الحكم

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٩، و٣٥٠)، والنسائي في الكبرى (٧٦٦٦)، وهو كذلك عند أبي داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥).

المذكور في الحديث بإحصاء التسعة والتسعين، وهو قوله:«**من أحصاها دخل الجنة**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي شفاء العليل (ص٢٧٧):

وقوله: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» دليل على أن أسمائه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات، استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها غيره، وعلى هذا فقوله: «**إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة**» لا ينفي أن يكون له غيرها والكلام جملة واحدة أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة كما يقال لفلان مائة عبدا أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدها للجهاد، وهذا قول الجمهور وخالفهم ابن حزم فزعم أن أسمائه تنحصر في هذا العدد.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي بدائع الفوائد (١/١٨٨):

الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد؛ فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل كَمَا فِي الحديث الصحيح: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**».

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

قسم سمى به نفسه، فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه.

وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده.

وقسم استأثر به في علم غيبه؛ فلم يطلع عليه أحد من خلقه.

ولهذا قال استأثرت به أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل الله بها كتابه.

ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة؛ فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن. رواه البخاري ومسلم، وتلك المحامد تفي بأسمائه وصفاته.

ومنه قوله: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

وأما قوله: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**» رواه البخاري ومسلم فالكلام جملة واحدة، وقوله ومن أحصاها دخل الجنة صفة لا خبر مستقبل والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها.

وهذا كما تقول لفلان مائة مملوك، وقد أعدهم للجهاد؛ فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣٧٩/٦ -):

فَالْحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ ذَكَرَ ذَلِكَ -يعني: الأسماء الحسنى- هُوَ حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ رَوَى الأَسْمَاءَ الحُسْنَى فِي جَامِعِهِ مِنْ حَدِيثِ الوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَرَوَاهَا ابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ مِنْ طَرِيقِ مخلد بْنِ زِيَادٍ القطواني؛ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ هَاتَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ لَيْسَتَا مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا كُلُّ مِنْهُمَا مِنْ كَلَامِ بَعْضِ السَّلَفِ فَالْوَلِيدُ ذَكَرَهَا عَنْ بَعْضِ شُيُوخِهِ الشَّامِيِّينَ كَمَا جَاءَ مُفَسَّرًا فِي بَعْضِ طُرُقِ حَدِيثِهِ.

وَلِهَذَا اخْتَلَفَتْ أَعْيَانُهُمَا عَنْهُ؛ فَرُوِيَ عَنْهُ فِي إحْدَى الرِّوَايَاتِ مِنْ الأَسْمَاءِ بَدَلُ مَا يُذْكَرُ فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى؛ لِأَنَّ الَّذِينَ جَمَعُوهَا قَدْ كَانُوا يَذْكُرُونَ هَذَا تَارَةً وَهَذَا تَارَةً؛

وَاعْتَقَدُوا - هُمْ وَغَيْرُهُمْ - أَنَّ الأَسْمَاءَ الحُسْنَى الَّتِي مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ لَيْسَتْ شَيْئًا مُعَيَّنًا؛ بَلْ مَنْ أَحْصَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الله دَخَلَ الجَنَّةَ أَوْ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ مُعَيَّنَةً فَالِاسْمَانِ اللَّذَانِ يَتَّفِقُ مَعْنَاهُمَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا مَقَامَ صَاحِبِهِ كَالْأَحَدِ وَالْوَاحِدِ؛ فَإِنَّ فِي رِوَايَةِ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ الوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْهُ رَوَاهَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ (الأَحَدُ) بَدَلَ (الوَاحِدِ) و(المُعْطِي) بَدَلَ (المُغْنِي) وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ وَعِنْدَ الوَلِيدِ هَذِهِ الأَسْمَاءُ بَعْدَ أَنْ رَوَى الحَدِيثَ عَنْ خليد بْنِ دَعْلَجٍ، عَنْ قتادة، عَنْ ابْنِ سِيرِين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

ثُمَّ قَالَ هِشَامٌ: وَحَدَّثَنَا الوَلِيدُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ: كُلُّهَا فِي القُرْآنِ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾... مِثْلَ مَا سَاقَهَا التِّرْمِذِيُّ لَكِنَّ التِّرْمِذِيَّ رَوَاهَا عَنْ طَرِيقِ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ الوَلِيدِ عَنْ شُعَيْبٍ.

وَقَدْ رَوَاهَا ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَبَيْنَ مَا ذَكَرَهُ هُوَ وَالتِّرْمِذِي خِلَافٌ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يُبَيِّنُ لَك أَنَّهَا مِنْ المَوْصُولِ المُدْرَجِ فِي الحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ؛ وَلَيْسَتْ مِنْ كَلَامِهِ.

وَلِهَذَا جَمَعَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الجَمْعِ، وَاسْتَخْرَجُوهَا مِنْ القُرْآنِ مِنْهُمْ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَالْإِمَامُ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمْ؛ كَمَا قَدْ ذَكَرْت ذَلِكَ فِيمَا تَكَلَّمْت بِهِ قَدِيمًا عَلَى هَذَا؛ وَهَذَا كُلُّهُ يَقْتَضِي أَنَّهَا عِنْدَهُمْ مِمَّا يَقْبَلُ البَدَلَ.

فَإِنَّ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ المُسْلِمِينَ أَنَّ أَسْمَاءَ الله أَكْثَرُ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ. قَالُوا: - وَمِنْهُمْ الخطابي - قَوْلُهُ: «إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا» التَّقْيِيدُ بِالْعَدَدِ عَائِدٌ إلَى الأَسْمَاءِ المَوْصُوفَةِ بِأَنَّهَا هِيَ هَذِهِ الأَسْمَاءُ.

فَهَذِهِ الجُمْلَةُ وَهِيَ قَوْلُهُ: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**» صِفَةٌ لِلتِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ لَيْسَتْ جُمْلَةً مُبْتَدَأَةً، وَلَكِنَّ مَوْضِعَهَا النَّصْبُ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُبْتَدَأَةً، وَالْمَعْنَى لَا يَخْتَلِفُ

وَالتَّقْدِيرُ: أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً بِقَدْرِ هَذَا العَدَدِ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ كَمَا يَقُولُ القَائِلُ: إنَّ لِي مِائَةَ غُلَامٍ أَعْدَدْتهم لِلْعِتْقِ، وَأَلْفَ دِرْهَمٍ أَعْدَدْتهَا لِلْحَجِّ، فَالتَّقْيِيدُ بِالْعَدَدِ هُوَ فِي المَوْصُوفِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، لَا فِي أَصْلِ اسْتِحْقَاقِهِ لِذَلِكَ العَدَدِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إنَّ أَسْمَاءَ الله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ. قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَد فِي المُسْنَدِ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَك سَمَّيْت بِهِ نَفْسَك أَوْ أَنْزَلْته فِي كِتَابِك أَوْ عَلَّمْته أَحَدًا مَنْ خَلْقِك أَوْ اسْتَأْثَرْت بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَك**».

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً فَوْقَ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ يُحْصِيهَا بَعْضُ المُؤْمِنِينَ. وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ: «**إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ**» تَقْيِيدُهُ بِهَذَا العَدَدِ بِمَنْزِلَةِ قَوْله تَعَالَى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ فَلَمَّا اسْتَقَلُّوهُمْ قَالَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

فَأَنْ لَا يَعْلَمَ أَسْمَاءَهُ إلَّا هُوَ أَوْلَى؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا لَوْ كَانَ قَدْ قِيلَ مُنْفَرِدًا لَمْ يُفِدْ النَّفْيَ إلَّا بِمَفْهُومِ العَدَدِ الَّذِي هُوَ دُونَ مَفْهُومِ الصِّفَةِ وَالنِّزَاعُ فِيهِ مَشْهُورٌ، وَإِنْ كَانَ المُخْتَارُ عِنْدَنَا أَنَّ التَّخْصِيصَ بِالذِّكْرِ - بَعْدَ قِيَامِ المُقْتَضِي لِلْعُمُومِ - يُفِيدُ الِاخْتِصَاصَ بِالْحُكْمِ؛ فَإِنَّ العُدُولَ عَنْ وُجُوبِ التَّعْمِيمِ إلَى التَّخْصِيصِ إنْ لَمْ يَكُنْ لِلِاخْتِصَاصِ بِالْحُكْمِ، وَإِلَّا كَانَ تَرْكًا لِلْمُقْتَضَى بِلَا مُعَارِضٍ وَذَلِكَ مُمْتَنِعٌ. فَقَوْلُهُ: «**إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ**» قَدْ يَكُونُ لِلتَّحْصِيلِ بِهَذَا العَدَدِ فَوَائِدُ غَيْرُ الحَصْرِ.

و(مِنْهَا) ذَكَرَ أَنَّ إحْصَاءَهَا يُورِثُ الجَنَّةَ؛ فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذِهِ الجُمْلَةَ مُنْفَرِدَةً وَأَتْبَعَهَا بِهَذِهِ مُنْفَرِدَةً لَكَانَ حَسَنًا؛ فَكَيْفَ وَالْأَصْلُ فِي الكَلَامِ الِاتِّصَالُ، وَعَدَمُ الِانْفِصَالِ فَتَكُونُ الجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ صِفَةً؛ لَا ابْتِدَائِيَّةً.

فَهَذَا هُوَ الرَّاجِحُ فِي العَرَبِيَّةِ مَعَ مَا ذَكَرَ مِنْ الدَّلِيلِ. وَلِهَذَا قَالَ: «**إنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**» وَمَحَبَّتُهُ لِذَلِكَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْإِحْصَاءِ؛ أَيْ يُحِبُّ أَنْ يُحْصَى مِنْ أَسْمَائِهِ هَذَا العَدَدُ؛ وَإِذَا كَانَتْ أَسْمَاءُ الله أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ إحْصَاءُ تِسْعَةٍ

وَتِسْعِينَ اسْمًا يُورِثُ الجَنَّةَ مُطْلَقًا عَلَى سَبِيلِ البَدَلِ؛ فَهَذَا يُوَجِّهُ قَول هَؤُلَاءِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ يَجْعَلُهَا أَسْمَاءً مُعَيَّنَةً؛ ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَقُولُ: لَيْسَ إلَّا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا فَقَطْ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ وَطَائِفَةٍ.

وَالْأَكْثَرُونَ مِنْهُمْ يَقُولُونَ: وَإِنْ كَانَتْ أَسْمَاءُ اللهِ أَكْثَرَ؛ لَكِنَّ المَوْعُودَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَحْصَاهَا هِيَ مُعَيَّنَةٌ، وَبِكُلِّ حَالٍ: فَتَعْيِينُهَا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِحَدِيثِهِ؛ وَلَكِنْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ السَّلَفِ أَنْوَاعٌ: مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَمِنْهَا غَيْرُ ذَلِكَ.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٨/٩٦):

وَالْحَدِيثُ الَّذِي فِي عَدَدِ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى الَّذِي يُذْكَرُ فِيهِ المُنْتَقِمُ فَذُكِرَ فِي سِيَاقِهِ «**البَرُّ التَّوَّابُ المُنْتَقِمُ العَفُوُّ الرَّءُوفُ**» لَيْسَ هُوَ عِنْدَ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ بَلْ هَذَا ذَكَرَهُ الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ أَوْ عَنْ بَعْضِ شُيُوخِهِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الكُتُبِ المَشْهُورَةِ إلَّا التِّرْمِذِيُّ رَوَاهُ عَنْ طَرِيقِ الوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ بِسِيَاقٍ وَرَوَاهُ غَيْرُهُ بِاخْتِلَافٍ فِي الأَسْمَاءِ وَفِي تَرْتِيبِهَا: يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَسَائِرُ مَنْ رَوَى هَذَا الحَدِيثَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ عَنْ الأَعْرَجِ، ثُمَّ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ لَمْ يَذْكُرُوا أَعْيَانَ الأَسْمَاءِ؛ بَلْ ذَكَرُوا قَوْلَهُ ﷺ «**إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةٌ إلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**».

وَهَكَذَا أَخْرَجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا. وَلَكِنْ رُوِيَ عَدَدُ الأَسْمَاءِ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجه وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ يَعْلَمُ أَهْلُ الحَدِيثِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَ فِي عَدَدِ

الأَسْمَاءِ الحُسْنَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا هَذَانِ الحَدِيثَانِ كِلَاهُمَا مَرْوِيٌّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ.اهـ وانظر أيضًا (٢٢/ ٤٨١).

وقال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢٦٧٧):

وَاتَّفَقَ العُلَمَاء عَلَى أَنَّ هَذَا الحَدِيث لَيْسَ فِيهِ حَصْر لِأَسْمَائِهِ سُبْحَانه وَتَعَالَى، فَلَيْسَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاء غَيْر هَذِهِ التِّسْعَة وَالتِّسْعِينَ، وَإِنَّمَا مَقْصُود الحَدِيث أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَة وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة، فَالْمُرَاد الإِخْبَار عَنْ دُخُول الجَنَّة بِإِحْصَائِهَا لَا الإِخْبَار بِحَصْرِ الأَسْمَاء، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيث الآخَر: «**أَسْأَلك بِكُلِّ اِسْم سَمَّيْت بِهِ نَفْسك أَوْ اِسْتَأْثَرْت بِهِ فِي عِلْم الغَيْب عِنْدك**».اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٦٤٠٩):

واختلف العلماء في سرد الأسماء: هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة، فمشى كثير منهم على الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم، لأن كثيرًا من هذه الأسماء كذلك.

وذهب آخرون إلى أن التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه. ونقله عبد العزيز النخشبي عن كثير من العلماء، قال الحاكم بعد تخريج الحديث من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بسياق الأسماء الحسنى، والعلة فيه عندهما تفرد الوليد بن مسلم، قال: ولا أعلم خلافا عند أهل الحديث أن الوليد أوثق وأحفظ وأجل وأعلم من بشر بن شعيب، وعلي بن عياش وغيرهما من أصحاب شعيب، يشير إلى أن بشرًا وعليًا وأبا اليمان رووه عن شعيب بدون سياق الأسماء؛ فرواية أبي اليمان عند المصنف، ورواية علي عند النسائي، ورواية بشر عند البيهقي، وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج، قال البيهقي: يحتمل أن يكون التعيين

وقع من بعض الرواة في الطريقين معا، ولهذا وقع الاختلاف الشديد بينهما، ولهذا الاحتمال ترك الشيخان تخريج التعيين.

وقال الترمذي بعد أن أخرجه من طريق الوليد: هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان ولا نعرفه إلا من حديث صفوان وهو ثقة، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذه الطريق وقد روي بإسناد أخر عن أبي هريرة فيه ذكر الأسماء وليس له إسناد صحيح. انتهى. ولم ينفرد به صفوان فقد أخرجه البيهقي من طريق موسى بن أيوب النصيبي، وهو ثقة عن الوليد أيضا، وقد اختلف في سنده على الوليد فأخرجه عثمان الدارمي في النقض على المريسي عن هشام بن عمار، عن الوليد فقال: عن خليد بن دعلج، عن قتادة، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة فذكره بدون التعيين، قال الوليد وحدثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك وقال: كلها في القرآن هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم وسرد الأسماء.

وأخرجه أبو الشيخ ابن حبان من رواية أبي عامر القرشي، عن الوليد بن مسلم بسند آخر فقال: حدثنا زهير بن محمد، عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال زهير: فبلغنا أن غير واحد من أهل العلم قال: إن أولها أن تفتتح بلا إله إلا الله وسرد الأسماء.

وهذه الطريق: أخرجها ابن ماجه، وابن أبي عاصم، والحاكم من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد، لكن سرد الأسماء أولا.

فقال بعد قوله: «**من حفظها دخل الجنة**»: الله الواحد الصمد.. إلخ.

ثم قال بعد أن انتهى العد: قال زهير فبلغنا عن غير واحد من أهل العلم أن أولها يفتتح بلا إله إلا الله له الأسماء الحسنى. قلت: والوليد بن مسلم أوثق من عبد الملك

بن محمد الصنعاني، ورواية الوليد تشعر بأن التعيين مدرج، وقد تكرر في رواية الوليد عن زهير ثلاثة أسماء وهي (الأحد الصمد الهادي) ووقع بدلها في رواية عبد الملك (المقسط القادر الوالي) وعند الوليد أيضا: (الوالي الرشيد) وعند عبد الملك (الوالي الراشد) وعند الوليد (العادل المنير) وعند عبد الملك (الفاطر القاهر)، واتفقا في البقية.

وأما رواية الوليد عن شعيب، وهي أقرب الطرق إلى الصحة، وعليها عول غالب من شرح الأسماء الحسنى؛ فسياقها عند الترمذي:

(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيز، الْجَبَّار، المتكبر، الْخَالِق، الباريء، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيّ، الحميد، المحصي، المبديء، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ، الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ، وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ).

وَقَدْ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيِّ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ، فَخَالَفَ فِي عِدَّةِ أَسْمَاءَ فَقَالَ: (الْقَائِمُ، الدَّائِمُ) بَدَلَ (الْقَابِضُ، الباسط) و(الشديد) بدل (الرشيد) و(الأعلى، الْمُحِيطُ، مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ) بَدَلَ (الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْحَكِيم).

وَوَقع عِنْد ابن حِبَّانَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سُفْيَانَ عَنْ صَفْوَانَ: (الرافع) بدل (الْمَانِع) وَوَقع فِي صَحِيح ابن خُزَيْمَةَ فِي رِوَايَةِ صَفْوَانَ أَيْضًا مُخَالَفَةٌ فِي بعض الْأَسْمَاء: قَالَ (الْحَاكِم) بدل (الْحَكِيم) و(القريب) بدل (الرَّقِيب) وَ(الْمولى) بدل (الْوَالِي) و(الأحد) بدل (الْمُغنِي).

وَوَقع فِي رِوَايَة الْبَيْهَقِيّ، وابن مَنْدَهْ مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ أَيُّوبَ، عَنِ الْوَلِيدِ (الْمُغيثُ) بِالْمُعْجمَةِ وَالْمُثَلَّثَةِ بَدَلَ (الْمُقِيتُ) بِالْقَافِ وَالْمُثَنَّاةِ.

وَوَقَعَ بَيْنَ رِوَايَةِ زُهَيْرٍ وَصَفْوَانَ الْمُخَالَفَةُ فِي ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ اسْمًا فَلَيْسَ فِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ (الْفَتَّاحُ، الْقَهَّارُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْمُحْصِي، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْبَرُّ، الْمُنْتَقِمُ، الْمُغْنِي، النَّافِعُ، الصَّبُورُ، الْبَدِيعُ، الْغَفَّارُ، الْحَفِيظُ، الْكَبِيرُ، الْوَاسِعُ، الْأَحَدُ، مَالِكُ، الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) وَذَكَرَ بَدَلَهَا (الرَّبُّ، الْفَرْدُ، الْكَافِي، الْقَاهِرُ، الْمُبِينُ بِالْمُوَحَّدَةِ، الصَّادِقُ، الْجَمِيلُ، الْبَادِي، بِالدَّالِ، الْقَدِيمُ، الْبَارُّ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، الْوَفِيُّ، الْبُرْهَانُ، الشَّدِيدُ، الْوَاقِي بِالْقَافِ الْقَدِيرُ، الْحَافِظُ، الْعَادِلُ، الْمُعْطِي، الْعَالِمُ، الْأَحَدُ، الْأَبَدُ، الْوِتْرُ، ذُو الْقُوَّةِ).

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحُصِينِ اخْتِلَافٌ آخَرُ: فَسَقَطَ فِيهَا مِمَّا فِي رِوَايَةِ صَفْوَانَ مِنَ (الْقَهَّارُ) إِلَى تَمَام خَمْسَةَ عَشَرَ اسْمًا عَلَى الْوَلَاءِ، وَسَقَطَ مِنْهَا أَيْضًا: (الْقَوِيُّ، الْحَلِيمُ، الْمَاجِدُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، الْوَالِي، الرَّبُّ) فَوَقَعَ فِيهَا مِمَّا فِي رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ اسْمًا عَلَى الْوَلَاءِ.

وَفِيهَا: أَيْضًا (الْحَنَّانُ، الْمَنَّانُ، الْجَلِيلُ، الْكَفِيلُ، الْمُحِيطُ، الْقَادِرُ، الرَّفِيعُ، الشَّاكِرُ، الْأَكْرَمُ، الْفَاطِرُ، الْخَلَّاقُ، الْفَاتِحُ، الْمُثِيبُ بِالْمُثَلَّثَةِ ثُمَّ الْمُوَحَّدَةِ، الْعَلَّامُ، الْمَوْلَى، النَّصِيرُ، ذُو الطَّوْلِ، ذُو الْمَعَارِجِ، ذُو الْفَضْلِ، الْإِلَهُ، الْمُدَبِّرُ بِتَشْدِيدِ الْمُوَحَّدَةِ).

قَالَ الْحَاكِمُ: إِنَّمَا أَخْرَجْتُ رِوَايَةَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحُصَيْنِ شَاهِدًا لِرِوَايَةِ الْوَلِيدِ عَنْ شُعْبَةَ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ الَّتِي زَادَهَا عَلَى الْوَلِيدِ كُلُّهَا فِي الْقُرْآنِ كَذَا قَالَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنَ الْقُرْآنِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّكَلُّفِ لَا أَنَّ جَمِيعَهَا وَرَدَ فِيهِ بِصُورَةِ الْأَسْمَاءِ.

وَقَدْ قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ لَهُ لَا أَعْرِفُ أَحَدًا مِنَ الْعُلَمَاءِ عُنِيَ بِطَلَبِ أَسْمَاءٍ وَجَمْعِهَا سِوَى رَجُلٍ مِنْ حُفَّاظِ الْمَغْرِبِ يُقَالُ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حَزْمٍ فَإِنَّهُ قَالَ صَحَّ عِنْدِي قَرِيبٌ مِنْ ثَمَانِينَ اسْمًا يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا كِتَابُ اللهِ وَالصِّحَاحُ مِنَ الْأَخْبَارِ فَلْتُطْلَبِ الْبَقِيَّةُ مِنَ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ.

قَالَ الْغَزَالِيُّ: وَأَظُنُّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ الْحَدِيثَ يَعْنِي الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ أَوْ بَلَغَهُ فَاسْتَضْعَفَ إِسْنَادَهُ.

قُلْتُ: الثَّانِي هُوَ مُرَادُهُ فَإِنَّهُ ذَكَرَ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الْمُحَلَّى ثُمَّ قَالَ: وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي سَرْدِ الْأَسْمَاءِ ضَعِيفَةٌ لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا أَصْلًا وَجَمِيعُ مَا تَتَبَّعْتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ ثَمَانِيَةٌ وَسِتُّونَ اسْمًا فَإِنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى مَا وَرَدَ فِيهِ بِصُورَةِ الِاسْمِ لَا مَا يُؤْخَذُ مِنَ الِاشْتِقَاقِ كَالْبَاقِي مِنْ قَوْله تعالَى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ وَلَا مَا وَرَدَ مُضَافًا كَالْبَدِيعِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وَقَدِ اسْتَضْعَفَ الْحَدِيثَ أَيْضًا جَمَاعَةٌ، فَقَالَ الدَاوُدِيُّ: لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عين الْأَسْمَاء الْمَذْكُورَة وَقَالَ ابن الْعَرَبِيِّ: يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْأَسْمَاءُ تَكْمِلَةَ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مِنْ جَمْعِ بَعْضِ الرُّوَاةِ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ عِنْدِي.

وَإِذَا تَقَرَّرَ رُجْحَانُ أَنَّ سَرْدَ الْأَسْمَاءِ لَيْسَ مَرْفُوعًا فَقَدِ اعْتَنَى جَمَاعَةٌ بِتَتَبُّعِهَا مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِعَدَدٍ.اهـ المراد باختصار

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «من أحصاها دخل الجنة».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم (٢٦٧٧):

وَأَمَّا قَوْله ﷺ: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة**»، فَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَاد بِإِحْصَائِهَا، فَقَالَ الْبُخَارِيّ وَغَيْره مِنْ الْمُحَقِّقِينَ: مَعْنَاهُ: حَفِظَهَا، وَهَذَا هُوَ الأَظْهَر؛ لِأَنَّهُ جَاءَ مُفَسَّرًا فِي الرِّوَايَة الأُخْرَى (مَنْ حَفِظَهَا) وَقِيلَ: أَحْصَاهَا: عَدَّهَا فِي الدُّعَاء بِهَا، وَقِيلَ: أَطَاقَهَا أَيْ: أَحْسَن الْمُرَاعَاة لَهَا، وَالْمُحَافَظَة عَلَى مَا تَقْتَضِيه، وَصَدَّقَ بِمَعَانِيهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الْعَمَل بِهَا وَالطَّاعَة بِكُلِّ اِسْمهَا، وَالْإِيمَان بِهَا لَا يَقْتَضِي عَمَلًا، وَقَالَ بَعْضهمْ: الْمُرَاد حِفْظ الْقُرْآن وَتِلَاوَته كُلّه، لِأَنَّهُ مُسْتَوْفٍ لَهَا، وَهُوَ ضَعِيف وَالصَّحِيح الْأَوَّل.اهـ

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي بدائع الفوائد (١/١٦٤):

بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها. المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها. المرتبة الثالثة: دعاؤه بها. كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ٨٠] وهو مرتبتان: إحداهما دعاء ثناء وعبادة. والثاني: دعاء طلب ومسألة.

فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها، فلا يقال يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم.اهـ

مسألة(٢) : ما هو اسم الله الأعظم؟

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في فتح الباري (٦٤١٠):

وَإِذْ قَدْ جَرَى ذِكْرُ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ فِي هَذِهِ الْمَبَاحِثِ فَلْيَقَعِ الْإِلْمَامُ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَنْكَرَهُ قَوْمٌ كَأَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَجَمَاعَةٌ بَعْدَهُمَا كَأَبِي حَاتِمِ بْنِ حِبَّانَ وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ فَقَالُوا: لَا يَجُوزُ تَفْضِيلُ بَعْضُ الْأَسْمَاءِ عَلَى بَعْضٍ، وَنَسَبَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِمَالِكٍ لِكَرَاهِيَتِهِ أَنْ تُعَادَ سُورَةٌ أَوْ تُرَدَّدُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّ بَعْضَ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ فَيُؤْذِنُ ذَلِكَ بِاعْتِقَادِ نُقْصَانِ الْمَفْضُولِ عَنِ الْأَفْضَلِ، وَحَمَلُوا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْظَمِ الْعَظِيمُ، وَأَنَّ أَسْمَاءَ الله كُلَّهَا عَظِيمَةٌ.

وَعِبَارَةُ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ: اخْتَلَفَتِ الْآثَارُ فِي تَعْيِينِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ، وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ؛ إِذْ لَمْ يَرِدْ فِي خَبَرٍ مِنْهَا أَنَّهُ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى يَجُوزُ وَصْفُهُ بِكَوْنِهِ أَعْظَمَ فَيَرْجِعُ إِلَى مَعْنًى عَظِيمٍ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَالَ ابن حِبَّانَ: الْأَعْظَمِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَخْبَارِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهَا مَزِيدُ ثَوَابِ الدَّاعِي بِذَلِكَ كَمَا أُطْلِقَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، وَالْمُرَادُ بِهِ مَزِيدُ ثَوَابِ القارِيء.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالِاسْمِ الْأَعْظَمِ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله تَعَالَى دَعَا الْعَبْدُ بِهِ مُسْتَغْرِقًا بِحَيْثُ لَا يَكُونُ فِي فِكْرِهِ حَالَتَئِذٍ غَيْرُ الله تَعَالَى؛ فَإِنَّ مَنْ تَأَتَّى لَهُ ذَلِكَ اسْتُجِيبَ لَهُ وَنُقِلَ مَعْنَى هَذَا عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وَعَنِ الْجُنَيْدِ وَعَنْ غَيْرِهِمَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَثْبَتَهُ آخَرُونَ مُعَيَّنًا وَاضْطَرَبُوا فِي ذَلِكَ وَجُمْلَةُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَوْلًا:

الْأَوَّلُ: الِاسْمُ الْأَعْظَمُ (**هُوَ**) نَقَلَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكَشْفِ، وَاحْتَجَّ لَهُ بِأَنَّ مَنْ أَرَادَ أن يعبر عَن كَلَام مُعظم بِحَضْرَتِهِ لَمْ يَقُلْ لَهُ أَنْتَ قُلْتَ كَذَا وَإِنَّمَا يَقُولُ هُوَ يَقُولُ تَأَدُّبًا مَعَهُ.

الثَّانِي: (**اللَّهُ**) لِأَنَّهُ اسْمٌ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ، وَلِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَمِنْ ثَمَّ أُضِيفَتْ إِلَيْهِ.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في الدر المنظَّم في الاسم الاعظم كَمَا فِي الحاوي (١/ ٤٧٣):

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ: حَدَّثَنَا الحسن بن محمد بن الصباح، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أبي رجاء، حَدَّثَنِي رَجُلٌ عَنْ جابر بن زيد أَنَّهُ قَالَ: اسْمُ الله الْأَعْظَمُ هُوَ (اللَّهُ)، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّهُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الدُّعَاءِ: حَدَّثَنَا إسحاق بن إسماعيل، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ مسعر قَالَ: قَالَ الشَّعْبِيُّ: اسْمُ الله الْأَعْظَمُ: (يَا اللَّهُ).

قلت: الإسناد الأول ضعيف؛ لأن فيه رجلًا مبهمًا، والإسناد الثاني صحيح، وإسحاق بن إسماعيل هو الطالقاني، وهو ثقة.

الثَّالِثُ: (**اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**) وَلَعَلَّ مُسْتَنَدَهُ، مَا أخرجه ابن مَاجَهْ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعَلِّمَهَا الِاسْمَ الْأَعْظَمَ، فَلَمْ يَفْعَلْ، فَصَلَّتْ وَدَعَتْ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللَّهَ وَأَدْعُوكَ الرَّحْمَنَ وَأَدْعُوكَ الرَّحِيمَ وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا مَا**

عَلِمْتَ مِنْهَا، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ...» الْحَدِيثَ، وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا» قُلْتُ: وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ، وَفِي الِاسْتِدْلَالِ بِهِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في الدر المنظم في الاسم الأعظم كمَا فِي الحاوي (١/٤٧٣):

قُلْتُ: أَقْوَى مِنْهُ فِي الِاسْتِدْلَالِ مَا أَخْرَجَهُ الحاكم فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ عن ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فَقَالَ: «**هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله تَعَالَى، وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اسْمِ الله الْأَكْبَرِ إِلَّا كَمَا بَيْنَ سَوَادِ الْعَيْنِ وَبَيَاضِهَا مِنَ الْقُرْبِ**»، وَفِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ للديلمي، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا: «**اسْمُ الله الْأَعْظَمُ فِي سِتِّ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ**».

الرَّابِعُ: (**الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) لِمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اسْمُ الله الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ:** ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ **وَفَاتِحَةُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾» أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ وَحَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ.

الْخَامِسُ: (**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) أخرج ابن مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ: «**الِاسْمُ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَه**» قَالَ الْقَاسِمُ الرَّاوِي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: الْتَمَسْتُهُ مِنْهَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. وَقَوَّاهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُمَا يَدُلَّانِ مِنْ صِفَاتِ الْعَظَمَةِ بالربوبية مَالا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرِهِمَا كَدَلَالَتِهِمَا.

السَّادِسُ: (**الْحَنَّانُ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ**) وَرَدَ ذَلِكَ مَجْمُوعًا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْحَاكِمِ وَأَصْلُهُ عِنْدَ أَبِي دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَصَححهُ ابن حِبَّانَ.

السَّابِعُ: (**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ والإكرام**) أخرجه أَبُو يعلى من طَرِيق السّري بن يحيى، عَن رجل من طي، وَأَثْنى عَلَيْهِ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُرِيَنِي الِاسْمَ الْأَعْظَمَ؛ فَأُرِيتُهُ مَكْتُوبًا فِي الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاءِ.

الثَّامِنُ: (**ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**) أَخْرَجَ التِّرْمِذِي مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. فَقَالَ: «**قَدِ اسْتُجِيبَ لَكَ؛ فَسَلْ**» وَاحْتَجَّ لَهُ الْفَخْرُ بِأَنَّهُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْإِلَهِيَّةِ لِأَنَّ فِي الْجَلَالَ إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ السُّلُوبِ، وَفِي الْإِكْرَامِ إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ الْإِضَافَاتِ.

قال السيوطي رحمه الله في الدر المنظم في الاسم الأعظم كَمَا فِي الحاوي (١/ ٤٧٣):

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّمْلِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: الِاسْمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ: يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.اهـ

التَّاسِعُ: (**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وابن ماجه وابن حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ، وَهُوَ أَرْجَحُ مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ مِنْ جَمِيعِ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ.

الْعَاشِرُ: (**رَبِّ رَبِّ**) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ من حَدِيث أبي الدَّرْدَاء، وابن عَبَّاسٍ بِلَفْظِ «**اسْمُ الله الْأَكْبَرُ: رَبِّ رَبِّ**». وأخرج ابن أَبِي الدُّنْيَا، عَنْ عَائِشَةَ: «**إِذَا قَالَ الْعَبْدُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَبَّيْكَ عَبْدِي سَلْ تُعْطَ**» رَوَاهُ مَرْفُوعًا، وَمَوْقُوفًا.

الْحَادِيَ عَشَرَ: (**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ**) أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَفَعَهُ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**».

الثَّانِيَ عَشَرَ: نَقَلَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ أَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعَلِّمَهُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ فَرَأَى فِي النَّوْمِ هُوَ (**اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**).

الثَّالِثَ عَشَرَ: هُوَ (**مَخْفِيٌّ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى**)، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ الْمُتَقَدِّمُ لَمَّا دَعَتْ بِبَعْضِ الْأَسْمَاءِ، وَبِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، فَقَالَ لَهَا ﷺ: إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا.

الرَّابِعَ عشر: (**كلمة التَّوْحِيد**) نَقَله عِيَاض.

انظر: مَجْمُوع الْفَتَاوَى (١٨/ ٣١١)، التوحيد لابن منده (٢/ ٢١)، تفسير القرطبي (١/ ١٠٢).

مسألة (٢) : أسماء الله وصفاته ليست مخلوقة، ولم يزل الله عز وجل يتسمى بأسمائه ويتصف بصفاته أزلا.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي شفاء العليل (ص٢٧٦):

وقد دل الحديث على أن أسماء الله غير مخلوقة ، بل هو الذي تكلم بها، وسمى بها نفسه، ولهذا لم يقل (**بكل اسم خلقته لنفسك**)، ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها؛ فإن الله لا يقسم عليه بشيء من خلقه، فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم.

وأيضًا: فإن أسماءه مشتقة من صفاته، وصفاته قديمة به فأسماؤها غير مخلوقة.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله كَمَا فِي مَجْمُوع الْفَتَاوَى (١٨/٢٢٧):

وَأَمَّا كَوْنُ الْفَاعِلِ لَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ فِعْلًا بَعْدَ فِعْلٍ؛ فَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْفَاعِلِ؛ فَإِذَا كَانَ الْفَاعِلُ حَيًّا، وَقِيلَ: إنَّ الْحَيَاةَ مُسْتَلْزِمَةٌ الْفِعْلَ وَالْحَرَكَةَ. كَمَا قَالَ ذَلِكَ أَئِمَّةُ أَهْلِ

الْحَدِيثِ كَالْبُخَارِيِّ وَالدَّارِمِي وَغَيْرِهِمَا، وَأَنَّهُ -عز وجل- لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ، وَبِمَا شَاءَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ كَمَا قَالَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَد، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ: كَانَ كَوْنُهُ مُتَكَلِّمًا، أَوْ فَاعِلًا مِنْ لَوَازِمِ حَيَاتِهِ، وَحَيَاتُهُ لَازِمَةٌ لَهُ فَلَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا فَعَّالًا؛ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْحَيَّ يَتَكَلَّمُ، وَيَفْعَلُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ وُجُود كَلَامٍ بَعْدَ كَلَامٍ، وَفِعْلٍ بَعْدَ فِعْلٍ، فَالْفَاعِلُ يَتَقَدَّمُ عَلَى كُلِّ فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِهِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ.

وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ فِي وَقْتٍ مِنْ الْأَوْقَاتِ وَلَا قُدْرَةَ حَتَّى خلق لَهُ قُدْرَة، وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ قُدْرَةٌ هُوَ عَاجِزٌ، وَلَكِنْ نَقُولُ: لَمْ يَزَلْ اللَّهُ عَالِمًا قَادِرًا مَالِكًا لَا شِبْهَ لَهُ وَلَا كَيْفَ. فَلَيْسَ مَعَ الله شَيْءٌ مِنْ مَفْعُولَاتِهِ قَدِيمٌ مَعَهُ. لَا بَلْ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ لَهُ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ مُحْدَثٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَإِنْ قُدِّرَ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ خَالِقًا فَعَّالًا. وَإِذَا قِيلَ: إِنَّ الْخَلْقَ صِفَةُ كَمَالٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ أَمْكَنَ أَنْ تَكُونَ خالقيته دَائِمَةً، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ لَهُ مُحْدَثٌ مَسْبُوقٌ بِالْعَدَمِ، وَلَيْسَ مَعَ الله شَيْءٌ قَدِيمٌ؟

وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْكَمَالِ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُعَطَّلًا غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْفِعْلِ، ثُمَّ يَصِيرَ قَادِرًا وَالْفِعْلُ مُمْكِنًا لَهُ بِلَا سَبَبٍ.

وَأَمَّا جَعْلُ الْمَفْعُولِ الْمُعَيَّنِ مُقَارِنًا لَهُ أَزَلًا وَأَبَدًا؛ فَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ تَعْطِيلٌ لِخَلْقِهِ وَفِعْلِهِ فَإِنَّ كَوْنَ الْفَاعِلِ مُقَارِنًا لِمَفْعُولِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا مُخَالِفٌ لِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ.

فَهَؤُلَاءِ الْفَلَاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ وَإِنْ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ دَوَامَ الْفَاعِلِيَّةِ؛ فَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مُعَطِّلُونَ لِلْفَاعِلِيَّةِ، وَهِيَ الصِّفَةُ الَّتِي هِيَ أَظْهَرُ صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَلِهَذَا وَقَعَ الْإِخْبَارُ بِهَا فِي أَوَّلِ مَا أُنْزِلَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّ أَوَّلَهُ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

فَأَطْلَقَ الْخَلْقَ، ثُمَّ خَصَّ الْإِنْسَانَ، وَأَطْلَقَ التَّعْلِيمَ، ثُمَّ خَصَّ التَّعْلِيمَ بِالْقَلَمِ، وَالْخَلْقُ يَتَضَمَّنُ فِعْلَهُ، وَالتَّعْلِيمُ يَتَضَمَّنُ قَوْلَهُ، فَإِنَّهُ يُعَلِّمُ بِتَكْلِيمِهِ، وَتَكْلِيمُهُ بِالْإِيحَاءِ؛ وَبِالتَّكَلُّمِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَبِإِرْسَالِ رَسُولٍ يُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾.

وَهَؤُلَاءِ الْفَلَاسِفَةُ يَتَضَمَّنُ قَوْلُهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ: أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ وَلَمْ يُعَلِّمْ فَإِنَّ مَا يُثْبِتُونَهُ مِنْ الْخَلْقِ وَالتَّعْلِيمِ إِنَّمَا يَتَضَمَّنُ التَّعْطِيلَ؛ فَإِنَّهُ عَلَى قَوْلِهِمْ لَمْ يَزَلْ الْفَلَكُ مُقَارِنًا لَهُ أَزَلًا وَأَبَدًا؛ فَامْتَنَعَ حِينَئِذٍ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لَهُ؛ فَإِنَّ الْفَاعِلَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى فِعْلِهِ، وَعِنْدَهُمْ: أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ جُزْئِيَّاتِ الْعِلْمِ، وَالتَّعْلِيمُ فَرْعُ الْعِلْمِ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ الْجُزْئِيَّاتِ يَمْتَنِعُ أَنْ يُعَلِّمَهَا غَيْرَهُ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ فَهُوَ جُزْئِيٌّ لَا كُلِّيٌّ، كَذَا الْكُلِّيَّاتُ إِنَّمَا وُجُودُهَا فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ؛ فَإِذْ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ الْجُزْئِيَّاتِ؛ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ الْمَوْجُودَاتِ؛ فَامْتَنَعَ أَنْ يُعَلِّمَ غَيْرَهُ شَيْئًا مِنْ الْعِلْمِ بِالْمَوْجُودَاتِ الْمُعَيَّنَةِ.

وَمَنْ قَالَ مِنْهُمْ: لَا يَعْلَمُ لَا كُلِّيًّا وَلَا جُزْئِيًّا فَقَوْلُهُ أَقْبَحُ.

وَمَنْ قَالَ: يَعْلَمُ الْكُلِّيَّاتِ الثَّابِتَةَ دُونَ الْمُتَغَيِّرَةِ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ الْحَوَادِثِ، وَلَا يعلمها لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا يَقْتَضِي قَوْلُهُمْ: أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْهَا، فَعَلَى قَوْلِهِمْ لَا خَلْقَ وَلَا عِلْمَ.

وَهَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ مُقَدِّمِهِمْ أَرِسْطُو فَإِنَّهُ لَمْ يُثْبِتْ أَنَّ الرَّبَّ مُبْدِعٌ لِلْعَالَمِ وَلَا جَعَلَهُ عِلَّةً فَاعِلَةً بَلْ الَّذِي أَثْبَتَهُ أَنَّهُ عِلَّةٌ غائية، يَتَحَرَّكُ الْفَلَكُ لِتَشَبُّهِهِ بِهِ كَتَحْرِيكِ الْمَعْشُوقِ لِلْعَاشِقِ، وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ، فَعِنْدَهُ لَا خَلْقَ وَلَا عِلْمَ.

وَأَوَّلُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية (٨٧٨):

وَالآخَرُونَ أُولُو الْحَدِيْثِ كَأَحْمَدٍ ... ذَاكَ ابْنُ حَنْبَلٍ الرِّضَى الشَّيْبَانِي

قَدْ قَالَ إِنَّ اللهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ ... مُتَكَلِّمًا إِنْ شَاءَ ذُو إِحْسَانِ

جَعَلَ الْكَلَامَ صِفَاتِ فِعْلٍ قَائِمٍ ... بِالذَّاتِ لَمْ يُفْقَدْ مِنَ الرَّحْمَنِ

وَكَذَاكَ نَصَّ عَلَى دَوَامِ الفِعْلِ بِالْـ ... إِحْسَانِ أَيْضًا فِي مَكَانٍ ثَانِي

وَكَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ فَرَاجِعْ قَوْلَهُ ... لَمَّا أَجَابَ مَسَائِلَ الْقُرْآنِ

وَكَذَاكَ جَعْفَرٌ الْإِمَامُ الصَّادِقُ الْـ ... ـمَقْبُولُ عِنْدَ الْخَلْقِ ذُو الْعِرْفَانِ

قَدْ قَالَ لَمْ يَزَلِ الْمُهَيْمِنُ مُحْسِنًا ... بَرًّا جَوَادًا عِنْدَ كُلِّ أَوَانِ

وَكَذَا الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ فَإِنَّهُ ... قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْحَيْرَانِ

قَالَ الْحَيَاةُ مَعَ الفِعَالِ كِلَاهُمَا ... مُتَلَازِمَانِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

صَدَقَ الْإِمَامُ فَكُلُّ حَيٍّ فَهْوَ فَعَّا ... لٌ وَذَا فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ

إِلَّا إِذَا مَا كَانَ ثَمَّ مَوَانِعٌ ... مِنْ آفَةٍ أَوْ قَاسِرِ الْحَيَوَانِ

وَالرَّبُّ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ مَانِعٍ ... مَا شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ الدَّيَّانِ

وَمَشِيْئَةُ الرَّحْمَنِ لَازِمَةٌ لَهُ ... وَكَذَاكَ قُدْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

هَذَا وَقَدْ فَطَرَ الْإِلَهُ عِبَادَهُ ... أَنَّ الْمُهَيْمِنَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ

أَوَلَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوَحِّدٍ ... يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ

وَقَدِيْمَ الِاحْسَانِ الْكَثِيْرِ وَدَائِمَ الْـ ... ـجُودِ الْعَظِيْمِ وَصَاحِبَ الْغُفْرَانِ

مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةٌ ... فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصٍ ثَانِي

أَوَلَيْسَ فِعْلُ الرَّبِّ تَابِعَ وَصْفِهِ ... وَكَمَالِهِ أَفَذَاكَ ذُو حِدْثَانِ

وَكَمَالُهُ سَبَبُ الفِعَالِ وَخَلْقُهُ ... أَفْعَالُهُمْ سَبَبُ الْكَمَالِ الثَّانِي
أَوَ مَا فِعَالُ الرَّبِّ عَيْنَ كَمَالِهِ ... أَفَذَاكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الْمَنَّانِ
أَزَلًا إِلَى أَنْ صَارَ فِيْمَا لَمْ يَزَلْ ... مُتَمَكِنًا وَالفِعْلُ ذُو إِمْكَانِ
تَاللهِ قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ الْقَومِ إِذْ ... قَالُوا بِهَذَا الْقَولِ ذِي الْبُطْلَانِ
مَاذَا الَّذِي أَضْحَى لَهُ مُتَجَدِّدًا ... حَتَّى تَمَكَّنَ فَانْطِقُوا بِبَيَانِ
وَالرَّبُّ لَيْسَ مُعَطَّلًا عَنْ فِعْلِهِ ... بَلْ كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
وَالْأَمْرُ وَالتَّكْوِيْنُ وَصْفُ كَمَالِهِ ... مَا فَقْدُ ذَا وَوُجُودُهُ سِيَّانِ
وَتَخَلُّفُ التَّأْثِيْرِ بَعْدَ تَمَامِ مُو ... جِبِهِ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
واللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ ... وَمَشِيئَةٍ وَيَلِيهِمَا وَصْفَانِ
الْعِلْمُ مَعْ وَصْفِ الْحَيَاةِ وَهَذِهِ ... أَوْصَافُ ذَاتِ الْخَالِقِ الْمَنَّانِ
وَبِهَا تَمَامُ الْفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا ... فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
فَلِأَيِّ شَيءٍ قَدْ تَأَخَّرَ فِعْلُهُ ... مَعَ مُوجِبٍ قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ
مَا كَانَ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ الْفِعْلُ بَلْ ... مَا زَالَ فِعْلُ اللهِ ذَا إِمْكَانِ
وَاللهُ عَابَ الْمُشْرِكِيْنَ بِأَنَّهُمْ ... عَبَدُوا الْحِجَارَةَ فِي رِضَى الشَّيْطَانِ
وَنَعَى عَلَيْهِمْ كَوْنَهَا لَيْسَتْ بِخَا ... لِقَةٍ وَلَيْسَتْ ذَاتَ نُطْقِ بَيَانِ
فَأَبَانَ أَنَّ الفِعْلَ وَالتَّكْلِيْمَ مِنْ ... أَوْثَانِهِم لَا شَكَّ مَفْقُودَانِ
فَإِذَا هُمَا فُقِدَا فَمَا مَسْلُوبُهَا ... بِإِلَهِ حَقٍّ وَهْوَ ذُو بُطْلَانِ
وَاللهُ فَهْوَ إِلَهُ حَقٍّ دَائِمًا ... أَفَعَنْهُ ذَا الْوَصْفَانِ مَسْلُوبَانِ
أَزَلًا وَلَيْسَ لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ ... هَذَا الْمُحَالُ وَأَعْظَمُ الْبُطْلَانِ
إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَرْشِ حَقًّا لَمْ يَزَلْ ... أَبَدًا إِلَهَ الْحَقِّ ذَا سُلْطَانِ
فَكَذَاكَ أَيْضًا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا ... بَلْ فَاعِلًا مَا شَاءَ ذَا إِحْسَانِ

وَاللهِ مَا فِي الْعَقْلِ مَا يَقْضِي لِذَا ... بِالرَّدِّ وَالإِبْطَالِ وَالنُّكْرَانِ
بَلْ لَيْسَ فِي الْمَعْقُولِ غَيْرُ ثُبُوتِهِ ... لِلْخَالِقِ الْأَزَلِيِّ ذِي الْإِحْسَانِ
هَذَا وَمَا دُونَ الْمُهَيْمِنِ حَادِثٌ ... لَيْسَ الْقَدِيْمُ سِوَاهُ فِي الْأَكْوَانِ
وَاللهُ سَابِقُ كُلِّ شَيءٍ غَيْرِهِ ... مَا رَبُّنَا وَالْخَلْقُ مُقْتَرِنَانِ
وَاللهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيءٌ غَيْرُهُ ... سُبْحَانَهُ جَلَّ الْعَظِيْمُ الشَّانِ
لَسْنَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمُلْحِدُ الزْ ... زِنْدِيقُ صَاحِبُ مَنْطِقِ اليُونَانِ
بِدَوَامِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ وَالْ ... أَرْوَاحِ فِي أَزَلٍ وَلَيْسَ بِفَانِي
هَذِي مَقَالَاتُ الْمَلَاحِدةِ الْأُلَى ... كَفَرُوا بِخَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

مسألة (٣) : ما المراد بالتسلسل، وهل هو واقع؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل (ص١٥٦):

والتسلسل لفظ مجمل، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ناطق، ولا سنة متبعة، ليجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلى: واجب، وممتنع، وممكن:

كالتسلسل في المؤثر محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرين كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله لا إلى غاية.

والتسلسل الواجب ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم؛ أحدث لهم نعيما آخر، لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرق الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه؛ فإنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته؛ فإن كل حي فعال، والفرق بين الحي والميت

بالفعل. ولهذا قال غير واحد من السلف: الحي الفعال ، وقال عثمان بن سعيد: كل حي فعال.

ولم يكن ربنا سبحانه قط في وقت من الأوقات المحققة أو المقدرة معطلا عن كماله من الكلام، والإرادة، والفعل.

وأما التسلسل الممكن: فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما يتسلسل في طرف الأبد؛ فإنه إذا لم يزل حيا قادرا مريدا متكلما، وذلك من لوازم ذاته، فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه؛ فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته، تقدمًا لا أول له فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن.

قالوا: وكل قول سوى هذا فصريح العقل يرده، ويقضي ببطلانه، وكل من اعترف بأن الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل لزمه أحد الأمرين لا بد له منهما:

إما أن يقول: بأن الفعل لم يزل ممكنا. وإما أن يقول: لم يزل واقعا. وإلا تناقض تناقضا بينا حيث زعم أن الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل، والفعل محال ممتنع لذاته، لو أراده لم يمكن وجوده، بل فرض إرادته عنده محال، وهو مقدور له، وهذا قول ينقض بعضه بعضًا.

ثم قال رحمه الله:

فكلهم متفقون –يعني جميع المسلمين– على أن الله وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق موجود بعد عدمه، وليس معه غيره من المخلوقات يكون وجوده مساويا لوجوده؛ فما لزم بعد هذا من إثبات خلقه، وأمره وصفات كماله، ونعوت جلاله وكونه رب العالمين، وأن كماله المقدس من لوازم ذاته، فإنا به قائلون وله ملتزمون،

كما إنا ملتزمون لكل ما لزم من كونه حيا عليما قديرا سميعا بصيرا متكلما آمرا ناهيا فوق عرشه، بائن من خلقه، يراه المؤمنون بأبصارهم عيانا في الجنة، وفي عرصات القيامة ويكلمهم ويكلمونه، فإن هذا حق، ولازم الحق مثله، وما لم يلزم من إثبات ذلك من الباطل الذي تتخيله خفافيش العقول فنحن له منكرون، وعن القول به عادلون، وبالله التوفيق.اهـ

مسألة (٤) : هل الاسم غير المسمى، أم هو نفس المسمى؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٨٥/٦ - ٢٠٨):

فَصْلٌ: فِي (الِاسْمِ وَالْمُسَمَّى) هَلْ هُوَ هُوَ أَوْ غَيْرُهُ؟ أَوْ لَا يُقَالُ: هُوَ هُوَ. وَلَا يُقَالُ: هُوَ غَيْرُهُ ؟ أَوْ هُوَ لَهُ ؟ أَوْ يُفَصَّلُ فِي ذَلِكَ؟.

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ وَالنِّزَاعُ اشْتَهَرَ فِي ذَلِكَ بَعْدَ الْأَئِمَّةِ بَعْدَ أَحْمَد وَغَيْرِهِ، وَالَّذِي كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ (أَئِمَّةِ السُّنَّةِ) أَحْمَد وَغَيْرِهِ: الْإِنْكَارُ عَلَى (الْجَهْمِيَّةِ)، الَّذِينَ يَقُولُونَ: أَسْمَاءُ اللهِ مَخْلُوقَةٌ. فَيَقُولُونَ: الِاسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى، وَأَسْمَاءُ اللهِ غَيْرُهُ، وَمَا كَانَ غَيْرُهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ؛ وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ ذَمَّهُمْ السَّلَفُ، وَغَلَّظُوا فِيهِمْ الْقَوْلَ؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مِنْ كَلَامِهِ، وَكَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ بَلْ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ، وَهُوَ الْمُسَمِّي لِنَفْسِهِ بِمَا فِيهِ مِنْ الْأَسْمَاءِ.

و(الْجَهْمِيَّةُ) يَقُولُونَ: كَلَامُهُ مَخْلُوقٌ، وَأَسْمَاؤُهُ مَخْلُوقَةٌ؛ وَهُوَ نَفْسُهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِكَلَامٍ يَقُومُ بِذَاتِهِ، وَلَا سَمَّى نَفْسَهُ بِاسْمٍ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ؛ بَلْ قَدْ يَقُولُونَ: إنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ وَسَمَّى نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَلَقَهَا فِي غَيْرِهِ؛ لَا بِمَعْنَى أَنَّهُ نَفْسُهُ تَكَلَّمَ بِهَا الْكَلَامَ الْقَائِمَ بِهِ. فَالْقَوْلُ فِي أَسْمَائِهِ هُوَ نَوْعٌ مِنْ الْقَوْلِ فِي كَلَامِهِ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ المَعْرُوفَ عَنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ إِنْكَارُهُمْ عَلَى مَنْ قَالَ: أَسْمَاءُ اللهِ مَخْلُوقَةٌ، وَكَانَ الَّذِينَ يُطْلِقُونَ القَوْلَ بِأَنَّ الِاسْمَ غَيْرُ المُسَمَّى هَذَا مُرَادُهُمْ؛ فَلِهَذَا يُرْوَى عَنْ الشَّافِعِيِّ وَالْأَصْمَعِيِّ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهم قَالوا: إذَا سَمِعْت الرَّجُلَ يَقُولُ: الِاسْمُ غَيْرُ المُسَمَّى فَاشْهَدْ عَلَيْهِ بِالزَّنْدَقَةِ.

وَلَمْ يُعْرَفْ أَيْضًا عَنْ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: (الِاسْمُ هُوَ المُسَمَّى)؛ بَلْ هَذَا قَالَهُ كَثِيرٌ مِنْ المُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ بَعْدَ الأَئِمَّةِ، وَأَنْكَرَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ أَمْسَكَ عَنْ القَوْلِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا؛ إذْ كَانَ كُلٌّ مِنْ الإِطْلَاقَيْنِ بِدْعَةً كَمَا ذَكَرَهُ الخَلَّالُ عَنْ إبْرَاهِيمَ الحَرْبِيِّ وَغَيْرِهِ؛ وَكَمَا ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الطبري فِي الجُزْءِ الَّذِي سَمَّاهُ صَرِيحَ السُّنَّةِ ذَكَرَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ المَشْهُورِ فِي القُرْآنِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْقَدَرِ وَالصَّحَابَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَذَكَرَ أَنَّ (مَسْأَلَةَ اللَّفْظِ) لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ المُتَقَدِّمِينَ فِيهَا كَلَامٌ؛ كَمَا قَالَ: لَمْ نَجِدْ فِيهَا كَلَامًا عَنْ صَحَابِيٍّ مَضَى، وَلَا عَنْ تَابِعِيٍّ قَفَا؛ إلَّا عَمَّنْ فِي كَلَامِهِ الشِّفَاءُ وَالْغِنَاءُ، وَمَنْ يَقُومُ لَدَيْنَا مَقَامَ الأَئِمَّةِ الأُولَى: أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اللَّفْظِيَّةُ جهمية. وَيَقُولُ: مَنْ قَالَ لَفْظِيٌّ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جهمي، وَمَنْ قَالَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ.

وَذَكَرَ أَنَّ القَوْلَ فِي الِاسْمِ وَالْمُسَمَّى مِنْ الحَمَاقَاتِ المُبْتَدَعَةِ الَّتِي لَا يُعْرَفُ فِيهَا قَوْلٌ لِأَحَدٍ مِنْ الأَئِمَّةِ، وَأَنَّ حَسْبَ الإنْسَانِ أَنْ يَنْتَهِيَ إلَى قَوْله تَعَالَى ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ**﴾ وَهَذَا هُوَ **القَوْلُ بِأَنَّ الِاسْمَ لِلْمُسَمَّى**. وَهَذَا الإِطْلَاقُ اخْتِيَارُ أَكْثَرِ المُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ.

وَالَّذِينَ قَالُوا: (الِاسْمَ هُوَ المُسَمَّى) كَثِيرٌ مِنْ المُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ: مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ العَزِيزِ، وَأَبِي القَاسِمِ الطبري، واللالكائي، وَأَبِي مُحَمَّدٍ البغوي صَاحِبِ شَرْحِ

السُّنَّةِ وَغَيْرِهِمْ؛ وَهُوَ أَحَدُ قَوْلَيْ أَصْحَابِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، اخْتَارَهُ أَبُو بَكْرِ بْنِ فورك وَغَيْرُهُ.

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا: إنَّ (الِاسْمَ هُوَ المُسَمَّى) لَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ أَنَّ اللَّفْظَ المُؤَلَّفَ مِنْ الحُرُوفِ هُوَ نَفْسُ الشَّخْصِ المُسَمَّى بِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ.

وَلِهَذَا يُقَالُ: لَوْ كَانَ (الِاسْمُ هُوَ المُسَمَّى) لَكَانَ مَنْ قَالَ (نَارٌ) احْتَرَقَ لِسَانُهُ. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا مُرَادُهُمْ وَيُشَنِّعُ عَلَيْهِمْ وَهَذَا غَلَطٌ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: اللَّفْظُ هُوَ التَّسْمِيَةُ، وَالِاسْمُ لَيْسَ هُوَ اللَّفْظُ؛ بَلْ هُوَ المُرَادُ بِاللَّفْظِ؛ فَإِنَّك إذَا قُلْت: يَا زَيْدُ يَا عُمَرُ. فَلَيْسَ مُرَادُك دُعَاءَ اللَّفْظِ.

بَلْ مُرَادُك دُعَاءُ المُسَمَّى بِاللَّفْظِ، وَذَكَرْت الِاسْمَ؛ فَصَارَ المُرَادُ بِالِاسْمِ هُوَ المُسَمَّى. وَهَذَا لَا رَيْبَ فِيهِ إذَا أَخْبَرَ عَنْ الأَشْيَاءِ فَذُكِرَتْ أَسْمَاؤُهَا فَقِيلَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ فَلَيْسَ المُرَادُ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ هُوَ الرَّسُولُ وَهُوَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ. وَكَذَلِكَ إذَا قِيلَ: جَاءَ زَيْدٌ وَأَشْهَدُ عَلَى عَمْرو وَفُلَانٌ عَدْلٌ. وَنَحْوُ ذَلِكَ فَإِنَّمَا تُذْكَرُ الأَسْمَاءُ وَالْمُرَادُ بِهَا المُسَمَّيَاتُ وَهَذَا هُوَ مَقْصُودُ الكَلَامِ.

فَلَمَّا كَانَتْ أَسْمَاءُ الأَشْيَاءِ إذَا ذُكِرَتْ فِي الكَلَامِ المُؤَلَّفِ فَإِنَّمَا المَقْصُودُ هُوَ المُسَمَّيَاتُ: قَالَ هَؤُلَاءِ: (الِاسْمُ هُوَ المُسَمَّى)، وَجَعَلُوا اللَّفْظَ الَّذِي هُوَ الِاسْمُ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ التَّسْمِيَةُ.

ثم قال: قُلْت: لَوْ اقْتَصَرُوا عَلَى أَنَّ أَسْمَاءَ الشَّيْءِ إذَا ذُكِرَتْ فِي الكَلَامِ؛ فَالْمُرَادُ بِهَا المُسَمَّيَاتُ - كَمَا ذَكَرُوهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ وَنَحْوُ ذَلِكَ - لَكَانَ ذَلِكَ مَعْنًى وَاضِحًا لَا يُنَازِعُهُ فِيهِ مَنْ فَهِمَهُ، لَكِنْ لَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى ذَلِكَ.

وَلِهَذَا أَنْكَرَ قَوْلَهُمْ جُمْهُورُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَغَيْرِهِمْ؛ لِمَا فِي قَوْلِهِمْ مِنْ الأُمُورِ البَاطِلَةِ مِثْلُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ لَفْظَ اسْمٍ الَّذِي هُوَ (ا س م) مَعْنَاهُ ذَاتُ الشَّيْءِ وَنَفْسُهُ، وَأَنَّ الأَسْمَاءَ - الَّتِي هِيَ الأَسْمَاءُ - مِثْلُ زَيْدٍ وَعَمْرٍو هِيَ التَّسْمِيَاتُ؛ لَيْسَتْ هِيَ أَسْمَاءَ المُسَمَّيَاتِ وَكِلَاهُمَا بَاطِلٌ مُخَالِفٌ لِمَا يَعْلَمُهُ جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ وَلِمَا يَقُولُونَهُ. فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ زَيْدًا وَعَمْرًا وَنَحْوَ ذَلِكَ هِيَ أَسْمَاءُ النَّاسِ، وَالتَّسْمِيَةُ جَعْلُ الشَّيْءِ اسْمًا لِغَيْرِهِ هِيَ مَصْدَرُ سَمَّيْته تَسْمِيَةً إذَا جَعَلْت لَهُ اسْمًا و(الِاسْمُ) هُوَ القَوْلُ الدَّالُّ عَلَى المُسَمَّى لَيْسَ الِاسْمُ الَّذِي هُوَ لَفْظُ اسْمٍ هُوَ المُسَمَّى؛ بَلْ قَدْ يُرَادُ بِهِ المُسَمَّى؛ لِأَنَّهُ حُكْمٌ عَلَيْهِ وَدَلِيلٌ عَلَيْهِ.

وَأَيْضًا: فَهُمْ تَكَلَّفُوا هَذَا التَّكلفَ؛ لِيَقُولُوا: (إنَّ اسْمَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ) وَمُرَادُهُمْ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَهَذَا مِمَّا لَا تُنَازِعُ فِيهِ الجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ؛ فَإِنَّ أُولَئِكَ مَا قَالُوا الأَسْمَاءُ مَخْلُوقَةٌ إلَّا لَمَّا قَالَ هَؤُلَاءِ هِيَ التَّسْمِيَاتُ، فَوَافَقُوا الجَهْمِيَّةَ وَالْمُعْتَزِلَةَ فِي المَعْنَى وَوَافَقُوا أَهْلَ السُّنَّةِ فِي اللَّفْظِ. وَلَكِنْ أَرَادُوا بِهِ مَا لَمْ يَسْبِقْهُمْ أَحَدٌ إلَى القَوْلِ بِهِ مِنْ أَنَّ لَفْظَ اسْمٍ وَهُوَ (أَلِفٌ سِينٌ مِيمٌ) مَعْنَاهُ إذَا أُطْلِقَ هُوَ الذَّاتُ المُسَمَّاةُ؛ بَلْ مَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ هِيَ الأَقْوَالُ الَّتِي هِيَ أَسْمَاءُ الأَشْيَاءِ مِثْلُ زَيْدٍ وَعَمْرٍو وَعَالِمٍ وَجَاهِلٍ. فَلَفْظُ الِاسْمِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ هِيَ مُسَمَّاهُ. ثُمَّ قَدْ عُرِفَ أَنَّهُ إذَا أَطْلِقَ الِاسْمُ فِي الكَلَامِ المَنْظُومِ فَالْمُرَادُ بِهِ المُسَمَّى؛ فَلِهَذَا يُقَالُ: مَا اسْمُ هَذَا؟ فَيُقَالُ: زَيْدٌ. فَيُجَابُ بِاللَّفْظِ وَلَا يُقَالُ: مَا اسْمُ هَذَا فَيُقَالُ هُوَ هُوَ.

فَتَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا: (الِاسْمُ هُوَ المُسَمَّى) إنَّمَا يَسْلَمُ لَهُمْ أَنَّ أَسْمَاءَ الأَشْيَاءِ إذَا ذُكِرَتْ فِي الكَلَامِ أُرِيدَ بِهِ المُسَمَّى، وَهَذَا مِمَّا لَا يُنَازِعُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ العُقَلَاءِ؛ لَا أَنَّ لَفْظَ اسْمٍ. أَلِفٌ سِينٌ مِيمٌ يُرَادُ بِهِ الشَّخْصُ.



ثم قال: وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ (الِاسْمَ غَيْرُ المُسَمَّى) فَهُمْ إِذَا أَرَادُوا أَنَّ الأَسْمَاءَ الَّتِي هِيَ أَقْوَالٌ لَيْسَتْ نَفْسُهَا هِيَ المُسَمَّيَاتُ فَهَذَا أَيْضًا لَا يُنَازِعُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ العُقَلَاءِ. وَأَرْبَابِ القَوْلِ الأَوَّلِ لَا يُنَازِعُونَ فِي هَذَا؛ بَلْ عَبَّرُوا عَنْ الأَسْمَاءِ هُنَا بِالتَّسْمِيَاتِ وَهُمْ أَيْضًا لَا يُمْكِنُهُمْ النِّزَاعُ فِي أَنَّ الأَسْمَاءَ المَذْكُورَةَ فِي الكَلَامِ مِثْلُ قَوْلِهِ يَا آدَمَ يَا نُوحُ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّمَا أُرِيدَ بِهَا نِدَاءُ المُسَمِّينَ بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ.

وَإِذَا قِيلَ: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَالْمُرَادُ خَلَقَ المُسَمَّى بِهَذِهِ الأَلْفَاظِ؛ لَمْ يَقْصِدْ أَنَّهُ خَلَقَ لَفْظَ السَّمَاءِ وَلَفْظَ الأَرْضِ وَالنَّاسُ لَا يَفْهَمُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا المَعْنَى المُرَادَ بِهِ وَلَا يَخْطُرُ بِقَلْبِ أَحَدٍ إِرَادَةُ الأَلْفَاظِ؛ لِمَا قَدْ اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الأَلْفَاظَ وَالْأَسْمَاءَ يُرَادُ بِهَا المَعَانِي وَالْمُسَمَّيَاتُ؛ فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا فَهَذَا هُوَ المُرَادُ؛ لَكِنْ لَا يُعْلَمُ أَنَّهُ المُرَادُ إِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِالْأَلْفَاظِ وَالْأَسْمَاءِ المُبَيِّنَةِ لِلْمُرَادِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ. وَهَذَا مِنَ البَيَانِ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى بَنِي آدَمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ وَقَدْ عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَطْلَقُوا مِنْ الجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ أَنَّ الِاسْمَ غَيْرُ المُسَمَّى مَقْصُودُهُمْ أَنَّ أَسْمَاءَ الله غَيْرُهُ؛ وَمَا كَانَ غَيْرُهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

ثم قال: وَأَمَّا الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ (الِاسْمَ لِلْمُسَمَّى) كَمَا يَقُولُهُ أَكْثَرُ أَهْلِ السُّنَّةِ فَهَؤُلَاءِ وَافَقُوا الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْمَعْقُولَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وَقَالَ: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**» وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِي خَمْسَةَ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَد وَالْمَاحِي وَالْحَاشِرُ وَالْعَاقِبُ**» وَكِلَاهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: أَهُوَ المُسَمَّى أَمْ غَيْرُهُ ؟ فَصَّلُوا؛ فَقَالُوا: لَيْسَ هُوَ نَفْسَ المُسَمَّى وَلَكِنْ يُرَادُ بِهِ المُسَمَّى؛ وَإِذَا قِيلَ: إِنَّهُ غَيْرُهُ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُبَايِنًا لَهُ فَهَذَا

بَاطِلٌ؛ فَإِنَّ المَخْلُوقَ قَدْ يَتَكَلَّمُ بِأَسْمَاءِ نَفْسِهِ فَلَا تَكُونُ بَائِنَةً عَنْهُ فَكَيْفَ بِالْخَالِقِ وَأَسْمَاؤُهُ مِنْ كَلَامِهِ؛ وَلَيْسَ كَلَامُهُ بَائِنًا عَنْهُ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ الِاسْمُ نَفْسُهُ بَائِنًا مِثْلُ أَنْ يُسَمِّيَ الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِاسْمٍ أَوْ يَتَكَلَّمَ بِاسْمِهِ. فَهَذَا الِاسْمُ نَفْسُهُ لَيْسَ قَائِمًا بِالْمُسَمَّى؛ لَكِنَّ المَقْصُودَ بِهِ المُسَمَّى فَإِنَّ الِاسْمَ مَقْصُودُهُ إظْهَارُ المُسَمَّى وَبَيَانُهُ. وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ (السُّمُوِّ) وَهُوَ العُلُوُّ كَمَا قَالَ النُّحَاةُ البَصْرِيُّونَ، وَقَالَ النُّحَاةُ الكُوفِيُّونَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ (السِّمَةِ) وَهِيَ العَلَامَةُ وَهَذَا صَحِيحٌ فِي (الِاشْتِقَاقِ الأَوْسَطِ) وَهُوَ مَا يَتَّفِقُ فِيهِ حُرُوفُ اللَّفْظَيْنِ دُونَ تَرْتِيبِهِمَا فَإِنَّهُ فِي كِلَيْهِمَا (السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْوَاوُ) وَالْمَعْنَى صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ السِّمَةَ وَالسِّيمَا العَلَامَةُ.

وَمِنْهُ يُقَالُ: وَسَمْته أَسِمُهُ كَقَوْلِهِ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦﴾ وَمِنْهُ التَّوَسُّمُ كَقَوْلِهِ: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾ لَكِنَّ اشْتِقَاقَهُ مِنْ (السُّمُوِّ) هُوَ الِاشْتِقَاقُ الخَاصُّ الَّذِي يَتَّفِقُ فِيهِ اللَّفْظَانِ فِي الحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا، وَمَعْنَاهُ أَخَصُّ وَأَتَمُّ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي تَصْرِيفِهِ سَمَّيْت وَلَا يَقُولُونَ وَسَمْت وَفِي جَمْعِهِ أَسْمَاءٌ لَا أوسام وَفِي تَصْغِيرِهِ سمي لَا وسيم. وَيُقَالُ لِصَاحِبِهِ مُسَمَّى لَا يُقَالُ مَوْسُومٌ وَهَذَا المَعْنَى أَخَصُّ. فَإِنَّ العُلُوَّ مُقَارِنٌ لِلظُّهُورِ كُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَعْلَى كَانَ أَظْهَرَ وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْ العُلُوِّ وَالظُّهُورِ يَتَضَمَّنُ المَعْنَى الآخَرَ.اهـ

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في بدائع الفوائد (١/١٧):

لم يقل نحوي قط ولا عربي: إن الاسم هو المسمى. ويقولون: أجل مسمى. ولا يقولون: أجل اسم. ويقولون: مسمى هذا الاسم كذا. ولا يقول أحد: اسم هذا الاسم كذا: ويقولون: هذا الرجل مسمى بزيد. ولا يقولون: هذا الرجل اسم زيد ويقولون: بسم الله: ولا يقولون: بمسمى الله. وقال رسول الله ﷺ: «**لي خمسة أسماء**» رواه البخاري ومسلم. ولا يصح أن يقال: «**لي خمس مسميات**». «**وتسموا باسمي**»

رواه مسلم. ولا يصح أن يقال: «**تسموا بمسمياتي**» و«**لله تسعة وتسعون اسما**» رواه البخاري ومسلم وأحمد. ولا يصح أن يقال: «**تسعة وتسعون مسمى**» وإذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى، بقيت هاهنا: التسمية.

وهي التي اعتبرها من قال باتحاد الاسم والمسمى والتسمية، عبارة عن فعل المسمى، ووضعه: الاسم للمسمى، كما أن التحلية عبارة عن فعل المحلي، ووضعه الحلية على المحلى.

فهنا ثلاث حقائق (اسم ومسمى وتسمية) كحلية ومحلى وتحلية، وعلامة ومعلم وتعليم. ولا سبيل إلى جعل لفظين منها مترادفين على معنى واحد؛ لتباين حقائقهما وإذا جعلت الاسم هو المسمى، بطل واحد من هذه الحقائق الثلاثة، ولا بد.

فإن قيل: فحلوا لنا شُبَهَ من قال باتحادهما؛ ليتم الدليل؛ فإنكم أقمتم الدليل فعليكم الجواب عن المعارض:

فمنها: أن الله وحده هو الخالق، وما سواه مخلوق؛ فلو كانت أسماؤه غيره؛ لكانت مخلوقة، وللزم أن لا يكون له اسم في الأزل، ولا صفة؛ لأن أسماءه صفات، وهذا هو السؤال الأعظم الذي قاد متكلمي الإثبات إلى أن يقولوا: الاسم هو المسمى. فما عندكم في دفعه؟

والجواب: أن منشأ الغلط في هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين صحيح وباطل، فلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني، وتنزيل ألفاظها عليها ولا ريب أن الله تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منها، فلم يزل بأسمائه وصفاته، وهو إله واحد له الأسماء الحسنى، والصفات العلى وأسماؤه وصفاته داخلة في مسمى اسمه، وإن كان لا يطلق على الصفة أنها إله يخلق ويرزق؛ فليست صفاته وأسماؤه غيره، وليست هي نفس الإله.

وبلاء القوم من لفظة الغير؛ فإنه يراد بهما معنيين:

أحدهما: المغاير لتلك الذات المسماة بالله، وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار؛ فلا يكون إلا مخلوقا. ويراد به مغايرة الصفة للذات إذا خرجت عنها؛ فإذا قيل: علم الله، وكلام الله غيره، بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم، والكلام كان المعنى صحيحا، ولكن الإطلاق باطل، وإذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره كان باطلا لفظا ومعنى.

وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن، وقالوا: كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه، فالله تعالى اسم الذات الموصوفة بصفات الكمال، ومن تلك الصفات صفة الكلام، كما أن علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة، وإذا كان القرآن كلامه، وهو صفة من صفاته، فهو متضمن لأسمائه الحسنى.

فإذا كان القرآن غير مخلوق، ولا يقال: إنه غير الله. فكيف يقال: إن بعض ما تضمنه، وهو أسماؤه مخلوقة، وهي غيره فقد حصحص الحق بحمد الله وانحسم الإشكال، وأن أسماءه الحسنى التي في القرآن من كلامه، وكلامه غير مخلوق، ولا يقال: (هو غيره) ولا (هو هو).

وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون: أسماؤه تعالى غيره، وهي مخلوقة، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول: اسمه نفس ذاته لا غيره. وبالتفصيل تزول الشبه ويتبين الصواب والحمد لله.

حجة ثانية لهم قالوا: قال تبارك وتعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾، وهذه الحجة عليهم في الحقيقة؛ لأن النبي ﷺ امتثل هذا الأمر. وقال: (سبحان ربي الأعلى) (سبحان ربي العظيم)، ولو كان الأمر كما زعموا؛ لقال: (سبحان اسم ربي العظيم). ثم إن الأمة كلهم لا يجوز لأحد منهم أن يقول: عبدت

اسم ربي. ولا سجدت لاسم ربي. ولا ركعت لاسم ربي. ولا باسم ربي ارحمني، وهذا يدل على أن الأشياء متعلقة بالمسمى لا بالاسم.

وأما الجواب عن تعلق الذكر والتسبيح المأمور به بالاسم؛ فقد قيل فيه: إن التعظيم والتنزيه إذا وجب للمعظم؛ فقد تعظم ما هو من سببه ومتعلق به كما يقال سلام على الباب السامي والمجلس الكريم ونحوه.

وهذا جواب غير مرض؛ لوجهين:

أحدهما: أن رسول الله ﷺ لم يفهم هذا المعنى، وإنما قال: سبحان ربي فلم يعرج على ما ذكرتموه.

الثاني: أنه يلزمه أن يطلق على الاسم: التكبير والتحميد والتهليل وسائر ما يطلق على المسمى؛ فيقال: الحمد لاسم الله. ولا إله إلا اسم الله. ونحوه. وهذا مما لم يقله أحد.

بل الجواب الصحيح أن الذكر الحقيقي محله القلب لأنه ضد النسيان والتسبيح نوع من الذكر، فلو أطلق الذكر والتسبيح لما فهم منه إلا ذلك دون اللفظ باللسان والله تعالى أراد من عباده الأمرين جميعا، ولم يقبل الإيمان وعقد الإسلام إلا باقترانهما واجتماعهما فصار معنى الآيتين (سبح ربك بقلبك ولسانك) (واذكر ربك بقلبك ولسانك) فأقحم الاسم تنبيها على هذا المعنى حتى لا يخلو الذكر والتسبيح من اللفظ باللسان؛ لأن ذكر القلب متعلقه المسمى المدلول عليه بالاسم دون ما سواه، والذكر باللسان متعلقه اللفظ مع مدلوله؛ لأن اللفظ لا يراد لنفسه، فلا يتوهم أحد أن اللفظ هو المسبح دون ما يدل عليه من المعنى. وعبر لي شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه عن هذا المعنى بعبارة لطيفة وجيزة فقال: المعنى: (سبح ناطقا باسم ربك متكلما به). وكذا: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ المعنى: (سبح ربك ذاكرا اسمه) وهذه

الفائدة تساوي رحلة، لكن لمن يعرف قدرها، فالحمد لله المنان بفضله ونسأله تمام نعمته.

حجة ثالثة: قالوا قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ وإنما عبدوا مسمياتها.

والجواب: أنه كما قلتم إنما عبدوا المسميات، ولكن من أجل أنهم نحلوها أسماء باطلة، كاللات والعزى، وهي مجرد أسماء كاذبة باطلة، لا مسمى لها في الحقيقة، فإنهم سموها آلهة وعبدوها؛ لاعتقادهم حقيقة الإلهية لها، وليس لها من الألوهية إلا مجرد الأسماء، لا حقيقة المسمى، فما عبدوا إلا أسماء، لا حقائق لمسمياتها، وهذا كمن سمى: قشور البصل لحما، وأكلها، فيقال: ما أكلت من اللحم إلا اسمه، لا مسماه. وكمن سمى التراب خبزا، وأكله، يقال: ما أكلت إلا اسم الخبز، بل هذا النفي أبلغ في آلهتهم؛ فإنه لا حقيقة لإلهيتها بوجه. فتأمل هذه الفائدة الشريفة في كلامه تعالى.

فإن قيل: فما الفائدة في دخول الباء في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ ولم تدخل في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾؟

قيل: التسبيح يراد به التنزيه، والذكر المجرد دون معنى آخر، ويراد به ذلك مع الصلاة، وهو ذكر وتنزيه مع عمل، ولهذا تسمى الصلاة تسبيحا؛ فإذا أريد التسبيح المجرد؛ فلا معنى للباء؛ لأنه لا يتعدى بحرف جر، لا تقول: سبحت بالله وإذا أردت المقرون بالفعل، وهو الصلاة أدخلت الباء تنبيها على ذلك المراد كأنك قلت سبح مفتتحا باسم ربك، أو ناطقا باسم ربك، كما تقول صل مفتتحا، أو ناطقا باسمه، ولهذا السر والله أعلم دخلت اللام في قوله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والمراد التسبيح الذي هو السجود والخضوع والطاعة ولم يقل في موضع سبح الله ما

في السموات والأرض كما قال ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد ١٥] وتأمل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف ٢٠٦] فكيف قال: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ لما ذكر السجود باسمه الخاص فصار التسبيح ذكرهم له، وتنزيههم إياه.

حجة رابعة: قالوا قد قال الشاعر:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وكذلك قول الأعشى: (داع يناديه باسم الماء مبغوم).

وهذه حجة عليهم لا لهم:

أما قوله: (ثم اسم السلام عليكما) فالسلام هو الله تعالى، والسلام أيضا التحية فإن أراد الأول فلا إشكال فكأنه قال ثم اسم السلام عليكما أي بركة اسمه.

وإن أراد التحية فيكون المراد بالسلام المعنى المدلول، وباسمه لفظه الدال عليه. والمعنى ثم اسم هذا المسمى عليكما فيراد بالأول اللفظ وبالثاني المعنى كما تقول: زيد بطة ونحوه مما يراد بأحدهما اللفظ وبالآخر المدلول فيه، وفيه نكتة حسنة كأنه أراد ثم هذا اللفظ باق عليكما جار، لا ينقطع مني، بل أنا مراعيه دائما.

وقد أجاب السهيلي عن البيت بجواب آخر، وهذا حكاية لفظه: فقال لبيد: لم يرد إيقاع التسليم عليهم لحينه، وإنما أراد بعد الحول. ولو قال: السلام عليكما كان مسلما لوقته الذي نطق فيه بالبيت، فلذلك ذكر الاسم الذي هو عبارة عن اللفظ أي إنما اللفظ بالتسليم بعد الحول. ثم قال: فلو أن لبيدا قال: (إلى الحول ثم السلام عليكما) لكان مسلما لحينه، ولكنه أراد أن لا يوقع اللفظ بالتسليم والوداع إلا بعد الحول، وكذلك ذكر الاسم الذي هو بمعنى اللفظ بالتسليم؛ ليكون ما بعد الحول ظرفا له وهذا الجواب من أحد أعاجيبه وبدائعه رحمه الله.

وأما قوله: (باسم الماء) والماء المعروف هنا هو الحقيقة المشروبة، ولهذا عرفه تعريف الحقيقة الذهنية، والبيت لذي الرُّمَّة وصدره:

لا يَـنْعشُ الطَّـرفَ إلا مـا تخَوَّنَـه ....

ثم قال: (داع يناديه باسم الماء مبغوم) فظن الغالط: أنه أراد حكاية صوت الظبية، وأنها دعت ولدها بهذا الصوت وهو (ماما) وليس هذا مراده وإنما الشاعر ألغز لما وقع الاشتراك بين لفظ الماء المشروب، وصوتها به، فصار صوتها كأنه هو اللفظ المعبر عن الماء المشروب، فكأنها تصوت باسم هذا الماء المشروب، وهذا لأن صوتها (ماما) وهذا في غاية الوضوح.اهـ

مسألة (٥) : هل الصفات زائدة على الذات؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٦/٢٠٦):

وَقَدْ نَصَّ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ -كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ- عَلَى أَنَّ صِفَاتِهِ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّى أَسْمَائِهِ فَلَا يُقَالُ: إنَّ عِلْمَ اللهِ وَقُدْرَتَهُ زَائِدَةٌ عَلَيْهِ؛ لَكِنْ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ مَنْ قَالَ: إنَّهَا زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ.

وَهَذَا إذَا أُرِيدَ بِهِ أَنَّهَا زَائِدَةٌ عَلَى مَا أَثْبَتَهُ أَهْلُ النَّفْيِ مِنْ الذَّاتِ الْمُجَرَّدَةِ؛ فَهُوَ صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ أُولَئِكَ قَصَّرُوا فِي الإِثْبَاتِ، فَزَادَ هَذَا عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: الرَّبُّ لَهُ صِفَاتٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَا عَلِمْتُمُوهُ.

وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهَا زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ؛ فَهُوَ كَلَامٌ مُتَنَاقِضٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ؛ حَتَّى يُقَالَ: إنَّ الصِّفَاتِ زَائِدَةٌ عَلَيْهَا؛ بَلْ لَا يُمْكِنُ وُجُودُ الذَّاتِ إلَّا بِمَا بِهِ تَصِيرُ ذَاتًا مِنْ الصِّفَاتِ، وَلَا يُمْكِنُ وُجُودُ الصِّفَاتِ

إِلَّا بِمَا بِهِ تَصِيرُ صِفَات مِنْ الذَّاتِ، فَتَخَيُّلُ وُجُودِ أَحَدِهِمَا دُونَ الآخَرِ، ثُمَّ زِيَادَةِ الآخَرِ عَلَيْهِ تَخَيُّلٌ بَاطِلٌ.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله كَمَا فِي اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٢٦):

لفظ (الغير) قد يراد به المباين المنفصل، ولهذا لم يطلق السلف، وسائر الأئمة على القرآن وسائر صفات الله، أنها غيره، ولم يطلقوا عليه أنها ليست غيره؛ لأن لفظ (الغير) فيه إجمال، قد يراد به: المباين المنفصل؛ فلا يكون صفة الموصوف أو بعضه داخلا في لفظ: الغير.

وقد يراد به: ما يمكن تصوره، دون تصور ما هو غير له؛ فيكون غيرا بهذا الاصطلاح.

ولهذا تنازع أهل النظر في مسمى: (الغير) والنزاع في ذلك لفظي، ولكن بسبب ذلك حصلت في مسائل الصفات من الشبهات ما لا ينجلي إلا بمعرفة ما وقع في الألفاظ من الاشتراك والإبهامات، كما قد بُسط في غير هذا الموضع.

ولهذا يفرق بين قول القائل: (الصفات غير الذات)، وبين قوله: (صفات الله غير الله)، فإن الثاني باطل؛ لأن مسمى اسم (الله) يدخل فيه صفاته، بخلاف مسمى (الذات) فإنه لا يدخل فيه الصفات، ولهذا لا يقال: صفات الله زائدة عليه سبحانه، وإن قيل: الصفات زائدة على الذات؛ لأن المراد أنها هي زائدة على ما أثبته المثبتون من الذات المجردة، والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة، فليس اسم الله متناولا لذات مجردة عن الصفات أصلا، ولا يمكن وجود ذلك، ولهذا قال أحمد رحمه الله في مناظرته للجهمية: لا نقول: الله وعلمه، والله وقدرته، والله ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره: هو إله واحد.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي كتابه الجواب الصحيح (١٧/٥):

وَلَكِنْ يَجِبُ الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الصِّفَاتِ غَيْرُ الذَّاتِ، وَبَيْنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا غَيْرُ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اسْمَ (اللَّهِ) مُتَنَاوِلٌ لِذَاتِهِ الْمُتَّصِفَةِ بِصِفَاتِهِ. فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: دَعَوْتُ اللَّهَ وَعَبَدْتُ اللَّهَ؛ فَلَمْ يَدْعُ ذَاتًا مُجَرَّدَةً وَلَا صِفَاتٍ مُجَرَّدَةً، بَلْ دَعَا الذَّاتَ الْمُتَّصِفَةَ بِصِفَاتِهَا فَاسْمُهُ - تَعَالَى - يَتَنَاوَلُ ذَلِكَ. فَلَيْسَتْ صِفَاتُهُ خَارِجَةً عَنْ مُسَمَّى اسْمِهِ وَلَا زَائِدَةً عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ قِيلَ إِنَّهَا زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ الْمُجَرَّدَةِ. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهَا زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ الْمُتَّصِفَةِ بِصِفَاتِهَا الَّتِي تَدْخُلُ صِفَاتُهَا فِي مُسَمَّاهَا، فَقَدْ غَلِطَ وَلَكِنْ فِي الْأَذْهَانِ وَالْأَلْسِنَةِ زَلَقٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَثِيرًا.

فَإِذَا قِيلَ: الصِّفَاتُ مُغَايِرَةٌ لِلذَّاتِ، لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا مِنَ الْمَحْذُورِ مَا فِي قَوْلِنَا: إِنَّ صِفَاتِ الله غَيْرُ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اسْمَ الله يَتَنَاوَلُ صِفَاتِهِ.

فَإِذَا قِيلَ: إِنَّهَا غَيْرُهُ؛ فُهِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا مُبَايِنَةٌ لَهُ وَهَذَا بَاطِلٌ. وَلِهَذَا كَانَ النُّفَاةُ إِذَا نَاظَرُوا أَئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا نَاظَرُوا الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي مِحْنَتِهِ الْمَشْهُورَةِ فَقَالُوا لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الله، أَهُوَ اللَّهُ أَمْ غَيْرُ اللَّهِ؟ عَارَضَهُمْ بِالْعِلْمِ؛ وَقَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِلْمِ الله، أَهُوَ اللَّهُ أَمْ غَيْرُ اللَّهِ؟ . وَأَجَابَ - أَيْضًا - بِأَنَّ الرُّسُلَ لَمْ تَنْطِقْ بِوَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ، فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي كَلَامِ الله وَرَسُولِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقُلْ لِكَلَامِهِ: هُوَ أَنَا، وَلَا قَالَ: إِنَّهُ غَيْرِي! حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: إِذَا كَانَ قَدْ جَعَلَ كَلَامَهُ غَيْرَهُ وَسِوَاهُ فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَالِقٌ لِكُلِّ مَا سِوَاهُ! .

فَإِنْ كَانَ الِاحْتِجَاجُ بِالسَّمْعِ؛ فَلَا حُجَّةَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ الِاحْتِجَاجُ بِالْعَقْلِ؛ فَالْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْمَعَانِي لَا إِلَى الْعِبَارَاتِ. فَإِنْ أَرَادَ الْمُرِيدُ بِقَوْلِهِ: هَلْ كَلَامُهُ وَعِلْمُهُ غَيْرُهُ، أَنَّهُ مُبَايِنٌ لَهُ. فَلَيْسَ هُوَ غَيْرًا لَهُ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ. وَإِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ نَفْسَ الْكَلَامِ وَالْعِلْمِ

لَيْسَ هُوَ الْعَالِمَ الْمُتَكَلِّمَ؛ فَهُوَ غَيْرٌ لَهُ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ. وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ مُجْمَلًا لَمْ يَجُزْ إِطْلَاقُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُفْهِمُ الْمَعْنَى الْفَاسِدَ.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣/٣٣٥):

وَالصِّفَةُ وَالْوَصْفُ تَارَةً يُرَادُ بِهِ الكَلَامُ الَّذِي يُوصَفُ بِهِ الْمَوْصُوفُ؛ كَقَوْلِ الصَّحَابِيِّ فِي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أُحِبُّهَا لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَتَارَةً يُرَادُ بِهِ الْمَعَانِي الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الكَلَامُ: كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ.

وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَغَيْرُهُمْ تُنْكِرُ هَذِهِ وَتَقُولُ: إِنَّمَا الصِّفَاتُ مُجَرَّدُ العِبَارَةِ الَّتِي يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ الْمَوْصُوفِ.

والْكُلَّابِيَةُ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ الصفاتية قَدْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْوَصْفِ فَيَجْعَلُونَ الوَصْفَ هُوَ القَوْلَ؛ وَالصِّفَةَ المَعْنَى القَائِمَ بِالْمَوْصُوفِ.

وَأَمَّا جَمَاهِيرُ النَّاسِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ لَفْظِ الصِّفَةِ وَالْوَصْفِ مَصْدَرٌ فِي الأَصْلِ؛ كَالْوَعْدِ وَالْعِدَةِ؛ وَالْوَزْنِ وَالزِّنَةِ؛ وَأَنَّهُ يُرَادُ بِهِ تَارَةً هَذَا؛ وَتَارَةً هَذَا.

وَلَمَّا كَانَ أُولَئِكَ الجَهْمِيَّة يَنْفُونَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَصْفٌ قَائِمٌ بِهِ: عِلْمٌ أَوْ قُدْرَةٌ؛ أَوْ إِرَادَةٌ أَوْ كَلَامٌ - وَقَدْ أَثْبَتَهَا الْمُسْلِمُونَ - صَارُوا يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ أَثْبَتُوا صِفَاتٍ زَائِدَةً عَلَى الذَّاتِ. وَقَدْ صَارَ طَائِفَةٌ مِنْ مُنَاظِرِيهِمْ الصفاتية يُوَافِقُونَهُمْ عَلَى هَذَا الإِطْلَاقِ وَيَقُولُونَ: الصِّفَاتُ زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ الَّتِي وَصَفُوا فَيُشْعِرُونَ النَّاسَ أَنَّ هُنَاكَ ذَاتًا مُتَمَيِّزَةً عَنْ الصِّفَاتِ، وَأَنَّ لَهَا صِفَاتٍ مُتَمَيِّزَةً عَنْ الذَّاتِ. وَيُشَنِّعُ نفاة الصِّفَاتِ بِشَنَاعَاتِ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا فَسَادَهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الذَّاتَ المَوْصُوفَةَ لَا تَنْفَكُّ عَنْ الصِّفَاتِ أَصْلًا، وَلَا يُمْكِنُ وُجُودُ ذَاتٍ خَالِيَةٍ عَنْ الصِّفَاتِ. فَدَعْوَى الْمُدَّعِي وُجُودُ حَيٍّ عَلِيمٍ قَدِيرٍ بَصِيرٍ بِلَا حَيَاةٍ وَلَا عِلْمٍ وَلَا قُدْرَةٍ؛ كَدَعْوَى قُدْرَةٍ وَعِلْمٍ وَحَيَاةٍ لَا يَكُونُ الْمَوْصُوفُ بِهَا حَيًّا عَلِيمًا قَدِيرًا،

بَلْ دَعْوَى شَيْءٍ مَوْجُودٍ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ قَدِيمٍ أَوْ مُحْدَثٍ عَرِيَ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ مُمْتَنِعٌ فِي صَرِيحِ العَقْلِ. وَلَكِنَّ الجَهْمِيَّة الْمُعْتَزِلَةَ وَغَيْرَهُمْ؛ لَمَّا أَثْبَتُوا ذَاتًا مُجَرَّدَةً عَنْ الصِّفَاتِ صَارَ مُنَاظِرُهُمْ يَقُولُ: أَنَا أُثْبِتُ الصِّفَاتِ زَائِدَةً عَلَى مَا أَثْبَتُّمُوهُ مِنْ الذَّاتِ؛ أَيْ لَا أَقْتَصِرُ عَلَى مُجَرَّدِ إثْبَاتِ ذَاتٍ بِلَا صِفَاتٍ. وَلَمْ يَعْنِ بِذَلِكَ أَنَّهُ فِي الخَارِجِ ذَاتٌ ثَابِتَةٌ بِنَفْسِهَا؛ وَلَا مَعَ ذَلِكَ صِفَاتٌ هِيَ زَائِدَةٌ عَلَى هَذِهِ الذَّاتِ مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ الذَّاتِ، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: الصِّفَاتُ غَيْرُ الذَّاتِ. كَمَا يَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ؛ والكَرَّامِيَة؛ ثُمَّ الْمُعْتَزِلَةُ تَنْفِيهَا: والكَرَّامِيَة تُثْبِتُهَا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الصِّفَةُ لَا هِيَ المَوْصُوفُ وَلَا هِيَ غَيْرُهُ. كَمَا يَقُولُهُ طَوَائِفُ مِنْ الصفاتية كَأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ كَمَا قَالَتْ الأَئِمَّةُ: لَا نَقُولُ الصِّفَةُ هِيَ المَوْصُوفُ؛ وَلَا نَقُولُ: هِيَ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّا لَا نَقُولُ: لَا هِيَ هُوَ؛ وَلَا هِيَ غَيْرُهُ؛ فَإِنَّ لَفْظَ الغَيْرِ فِيهِ إجْمَالٌ قَدْ يُرَادُ بِهِ المُبَايِنُ لِلشَّيْءِ أَوْ مَا قَارَنَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ وَمَا قَارَبَهُ بِوُجُودِ أَوْ زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ؛ وَيُرَادُ بِالْغَيْرِ: أَنَّ مَا جَازَ العِلْمُ بِأَحَدِهِمَا مَعَ عَدَمِ العِلْمِ بِالْآخَرِ.

وَعَلَى الأَوَّلِ فَلَيْسَتْ الصِّفَةُ غَيْرَ المَوْصُوفِ، وَلَا بَعْضُ الجُمْلَةِ غَيْرَهَا. وَعَلَى الثَّانِي فَالصِّفَةُ غَيْرُ المَوْصُوفِ وَبَعْضُ الجُمْلَةِ غَيْرُهَا.

فَامْتَنَعَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ إطْلَاقِ لَفْظِ الغَيْرِ عَلَى الصِّفَةِ نَفْيًا أَوْ إثْبَاتًا؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الإِجْمَالِ وَالتَّلْبِيسِ؛ حَيْثُ صَارَ الجهمي يَقُولُ: القُرْآنُ هُوَ اللَّهُ أَوْ غَيْرُ الله،

فَتَارَةً يُعَارِضُونَهُ بِعِلْمِهِ فَيَقُولُونَ: عِلْمُ الله هُوَ الله أَوْ غَيْرُهُ؛ إنْ كَانَ مِمَّنْ يُثْبِتُ العِلْمَ؛ أَوْ لَا يُمْكِنُهُ نَفْيُهُ.

وَتَارَةً يُحِلُّونَ الشُّبْهَةَ وَيُثْبِتُونَ خَطَأَ الإِطْلَاقَيْنِ: النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ لِمَا فِيهِ مِنْ التَّلْبِيسِ بَلْ يَسْتَفْصِلُ السَّائِلُ فَيُقَالُ لَهُ: إنْ أَرَدْت بِالْغَيْرِ مَا يُبَايِنُ المَوْصُوفَ فَالصِّفَةُ لَا تُبَايِنُهُ؛ فَلَيْسَتْ غَيْرَهُ. وَإِنْ أَرَدْت بِالْغَيْرِ مَا يُمْكِنُ فَهْمُ المَوْصُوفِ عَلَى سَبِيلِ

الإِجْمَالِ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ فَهُوَ غَيْرُ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ وَاَللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ.اهـ

هل يطلق على نفس الله الذات؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣/٣٣٤):

فَإِنَّ لَفْظَ (الذَّاتِ) فِي لُغَتِهِمْ لَمْ يَكُنْ كَلَفْظِ الذَّاتِ فِي اصْطِلَاحِ الْمُتَأَخِّرِينَ، بَلْ يُرَادُ بِهِ مَا يُضَافُ إلَى اللهِ كَمَا قَالَ خبيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وَمِنْهُ الحَدِيثُ: «**لَمْ يَكْذِبْ إبْرَاهِيمُ إلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ كُلُّهَا فِي ذَاتِ اللَّهِ**». وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ وَنَحْوُ ذَلِكَ. فَإِنَّ ذَاتَ تَأْنِيثُ (ذُو)، وَهُوَ يُسْتَعْمَلُ مُضَافًا يُتَوَصَّلُ بِهِ إلَى الوَصْفِ بِالْأَجْنَاسِ؛ فَإِذَا كَانَ المَوْصُوفُ مُذَكَّرًا قِيلَ: ذُو كَذَا، وَإِنْ كَانَ مُؤَنَّثًا قِيلَ: ذَاتُ كَذَا كَمَا يُقَالُ ذَاتُ سِوَارٍ.

فَإِنْ قِيلَ: (أُصِيبَ فُلَانٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ) فَالْمَعْنَى فِي جِهَتِهِ وَوُجْهَتِهِ: أَيْ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَأَحَبَّهُ؛ وَلِأَجْلِهِ. ثُمَّ إنَّ الصِّفَاتِ لَمَّا كَانَتْ مُضَافَةً إلَى النَّفْسِ، فَيُقَالُ فِي النَّفْسِ أَيْضًا إنَّهَا ذَاتُ عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ وَكَلَامٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ حَذَفُوا الإِضَافَةَ وَعَرَّفُوهَا فَقَالُوا: الذَّاتُ المَوْصُوفَةُ. أَيْ: النَّفْسُ المَوْصُوفَةُ.

فَإِذَا قَالَ هَؤُلَاءِ المُؤَكِّدُونَ: (الذَّاتُ) فَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِهِ النَّفْسَ الحَقِيقِيَّةَ؛ الَّتِي لَهَا وَصْفٌ وَلَهَا صِفَاتٌ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٦/٩٨):

وَلَفْظُ (ذَاتٍ) تَأْنِيثُ ذُو وَذَلِكَ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِيمَا كَانَ مُضَافًا إِلَى غَيْرِهِ فَهُمْ يَقُولُونَ: فُلَانٌ ذُو عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ وَنَفْسٌ ذَاتُ عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ. وَحَيْثُ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَوْ لُغَةِ الْعَرَبِ لَفْظُ (ذُو) وَلَفْظُ (ذَاتُ) لَمْ يَجِئْ إِلَّا مَقْرُونًا بِالْإِضَافَةِ كَقَوْلِهِ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾. وَقَوْلِ خَبِيبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ). وَعَرَّفُوهُ؛ فَقَالُوا: (الذَّاتُ)، وَهِيَ لَفْظٌ مُوَلَّدٌ لَيْسَ مِنْ لَفْظِ العَرَبِ العَرْبَاءِ، وَلِهَذَا أَنْكَرَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ؛ كَأَبِي الفَتْحِ بْنِ بُرْهَانَ وَابْنِ الدَّهَّانِ وَغَيْرِهِمَا. وَقَالُوا: لَيْسَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ عَرَبِيَّةً وَرَدَّ عَلَيْهِمْ آخَرُونَ كَالْقَاضِي وَابْنِ عَقِيلٍ وَغَيْرِهِمَا.

وَفَصْلُ الخِطَابِ: أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ العَرَبِيَّةِ العَرْبَاءِ، بَلْ مِنْ المُوَلَّدَةِ كَلَفْظِ المَوْجُودِ، وَلَفْظِ المَاهِيَّةِ، وَالْكَيْفِيَّةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا اللَّفْظُ يَقْتَضِي وُجُودَ صِفَاتٍ تُضَافُ الذَّاتُ إِلَيْهَا؛ فَيُقَالُ: ذَاتُ عِلْمٍ، وَذَاتُ قُدْرَةٍ، وَذَاتُ كَلَامٍ.

وَالْمَعْنَى كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ وُجُودُ شَيْءٍ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ فِي الخَارِجِ لَا يَتَّصِفُ بِصِفَةٍ ثُبُوتِيَّةٍ أَصْلًا؛ بَلْ فَرْضُ هَذَا فِي الخَارِجِ كَفَرْضِ عَرَضٍ يَقُومُ بِنَفْسِهِ لَا بِغَيْرِهِ. فَفَرْضُ عَرَضٍ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ لَا صِفَةَ لَهُ كَفَرْضِ صِفَةٍ لَا تَقُومُ بِغَيْرِهَا، وَكِلَاهُمَا مُمْتَنِعٌ، فَمَا هُوَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ؛ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ صِفَةٍ، وَمَا كَانَ صِفَةً؛ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ مُتَّصِفٍ بِهِ.اهـ

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في بدائع الفوائد (٢/٦):

وأما الذات فقد استهوى أكثر الناس، ولا سيما المتكلمين القول فيها أنها في معنى النفس والحقيقة.

ويقولون: ذات الباري هي نفسه، ويعبرون بها عن وجوده، وحقيقته، ويحتجون في إطلاق ذلك بقوله في قصة إبراهيم «**ثلاث كذبات، كلهن في ذات الله**». رواه البخاري ومسلم. وقول خبيب: (وذلك في ذات الإله) قال: وليست هذه اللفظة إذا

استقريتها في اللغة والشريعة كما زعموا، ولو كان كذلك لجاز أن يقال: عند ذات الله واحذر ذات الله كما قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران/ ٢٨] وذلك غير مسموع، ولا يقال إلا بحرف (في) الجارة، وحرف (في) للوعاء، وهو معنى مستحيل على نفس الباري تعالى، إذا قلت جاهدت في الله تعالى، وأحببتك في الله تعالى محال أن يكون هذا اللفظ حقيقة لما يدل عليه هذا الحرف من معنى الوعاء، وإنما هو على حذف المضاف، أي في مرضاة الله وطاعته، فيكون الحرف على بابه، كأنك قلت هذا محبوب في الأعمال التي فيها مرضاة الله وطاعته، وأما أن تدع اللفظ على ظاهرة فمحال.

وإذا ثبت هذا فقوله (في ذات الله) أو (في ذات الإله) إنما يريد في الديانة والشريعة التي هي (ذات الإله) فذات وصف للديانة، وكذلك هي في الأصل موضوعها نعت لمؤنث، ألا ترى أن فيها تاء التأنيث، وإذا كان الأمر كذلك فقد صارت عبارة عما تشرف بالإضافة إلى الله تعالى عز وجل، لا عن نفسه سبحانه وهذا هو المفهوم من كلام العرب ألا ترى قول النابغة الذبياني: (مَجَلَّتُهم ذات الإله ودينهم...)

وأصل لفظة (ذات) هو تأنيث (ذو) بمعنى صاحب فذات كذا: صاحبة كذا في الأصل، ولهذا لا يقال ذات الشيء إلا لما له صفات ونعوت تضاف إليه فكأنه يقول: صاحبة هذه الصفات والنعوت.

ولهذا أنكر جماعة من النحاة منهم ابن برهان وغيره على الأصوليين قولهم: الذات. وقالوا: لا مدخل للألف واللام هنا، كما لا يقال الذو في ذو، وهذا إنكار صحيح، والاعتذار عنهم أن لفظة الذات في اصطلاحهم قد صارت عبارة عن الشيء نفسه، وحقيقته وعينه، فلما استعملوها استعمال النفس والحقيقة عرفوها باللام وجردوها.

وهذا كجنب الشيء إذا قالوا هذا في جنب الله لا يريدون إلا فيما ينسب إليه من سبيله ومرضاته وطاعته لا يريدون غير هذا البتة.

فلما اصطلح المتكلمون على إطلاق الذات على النفس والحقيقة؛ ظن من ظن أن هذا هو المراد من قوله «**ثلاث كذبات في ذات الله**» وقوله: (وذلك في ذات الإله) فغلط واستحق التغليط بل الذات هنا كالجنب في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] ألا ترى أنه لا يحسن أن يقال ههنا: فرطت في نفس الله وحقيقته، ويحسن أن يقال: فرط في ذات الله. كما يقال: فعل كذا في ذات الله، وقتل في ذات الله تعالى، وصبر في ذات الله؛ فتأمل ذلك فإنه من المباحث العزيزة الغريبة التي يثنى على مثلها الخناصر والله الموفق المعين.اهـ باختصار

قال أبو عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: تبين مما سبق أن الذات في اللغة العربية هي تأنيث ذو، وأنها لا تستعمل إلا مضافة، وأما استعمالها بمعنى حقيقة الشيء وذاته؛ فهو اصطلاح متأخر، ولا مخالفة فيه للأدلة الشرعية؛ فيصح إطلاق الذات على الله، ولكن على سبيل الإخبار، وليس على سبيل الوصف، والله أعلم.

مسألة: هل النفس صفة أم هي الذات الإلهية المقدسة؟

قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: «**سميت به نفسك**» يدل على أن النفس ليست مجرد صفة؛ بل تطلق على الذات المقدسة بجميع صفاتها.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ **كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٩/٢٩٢ -):**

وَيُرَادُ بِنَفْسِ الشَّيْءِ ذَاتُهُ وَعَيْنُهُ كَمَا يُقَالُ رَأَيْت زَيْدًا نَفْسَهُ وَعَيْنَهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ وَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ لِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ:

«لَقَدْ قُلْت بَعْدَك أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ لَوْ وُزِنَّ بِمَا قلتيه لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ» وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الإِلَهِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْته فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْته فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ».

فَهَذِهِ المَوَاضِعُ المُرَادُ فِيهَا بِلَفْظِ النَّفْسِ عِنْدَ جُمْهُورِ العُلَمَاءِ: اللهُ نَفْسُهُ الَّتِي هِيَ ذَاتُهُ المُتَّصِفَةُ بِصِفَاتِهِ، لَيْسَ المُرَادُ بِهَا ذَاتًا مُنْفَكَّةً عَنْ الصِّفَاتِ، وَلَا المُرَادُ بِهَا صِفَةً لِلذَّاتِ وَطَائِفَةٌ مِنْ النَّاسِ يَجْعَلُونَهَا مِنْ بَابِ الصِّفَاتِ، كَمَا يَظُنُّ طَائِفَةٌ أَنَّهَا الذَّاتُ المُجَرَّدَةُ عَنْ الصِّفَاتِ وَكِلَا القَوْلَيْنِ خَطَأٌ.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٤/١٩٦):

ونفسه هي ذاته المقدسة.اهـ

قلت: وقد وقع في كلام الإمام ابن خزيمة الاحتمال بأنه جعلها صفة، ولكن يظهر أنه لم يرد ذلك، وإنما مذهبه ما ذكره شيخ الإسلام من أن النفس هو الذات المقدسة، وذلك يظهر عند التأمل في كلامه.

قال رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي بداية كتابه التوحيد:

فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا: ذكر نفسه جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه، وعز أن يكون عدما لا نفس له.اهـ

فقوله رَحِمَهُ اللهُ: (وعز أن يكون عدما لا نفس له) فيه إشارة إلى أنه فسر النفس بالذات.

﴿٦٠﴾ وَعَنْ سُلَيْمِ بْنِ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ. أخرجه أبو داود (٣٩٩١) بإسنادٍ صحيح.

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات أسماء الله وصفاته.

دل حديث الباب على إثبات صفات الله عز وجل كما تليق بجلاله؛ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد (١/٢٦):

فَنَحْنُ - وَجَمِيْعُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الحِجَازِ وَتِهَامَةَ وَاليَمَنِ وَالعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ - مَذْهَبُنَا: أَنَّا نُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ، نُقِرُّ بِذَلِكَ بِأَلْسِنَتِنَا، وَنُصَدِّقُ ذَلِكَ بِقُلُوْبِنَا؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ نُشَبِّهَ وَجْهَ خَالِقِنَا بِوَجْهِ أَحَدٍ مِنَ المَخْلُوْقِيْنَ، عَزَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يُشَبَّهَ بِالمَخْلُوْقِيْنَ، وَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ مَقَالَةِ المُعَطِّلِيْنَ، وَعَزَّ عَنْ أَنْ يَكُوْنَ عَدَمًا كَمَا قَالَهُ المُبْطِلُوْنَ، لأَنَّ مَا لَا صِفَةَ لَهُ عَدَمٌ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُوْلُ الجَهْمِيُّوْنَ الَّذِيْنَ يُنْكِرُوْنَ صِفَاتِ خَالِقِنَا الَّذِيْ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيْلِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله كَمَا فِي الإبانة (٣/٩١)ط/الراية:

اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ تَصْدِيقَ الْآثَارِ الصَّحِيحَةِ، وَتَلَقِّيَهَا بِالْقَبُولِ، وَتَرْكَ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا بِالْقِيَاسِ وَمُوَاضَعَةِ الْقَوْلِ بِالْآرَاءِ

وَالْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ، وَالْمُؤْمِنَ هُوَ الْمُصَدِّقُ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥].

فَمِنْ عَلَامَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصِفُوا اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِمَّا نَقَلَتْهُ الْعُلَمَاءُ، وَرَوَاهُ الثِّقَاتُ مِنْ أَهْلِ النَّقْلِ، الَّذِينَ هُمُ الْحُجَّةُ فِيمَا رَوَوْهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالسُّنَنِ وَالْآثَارِ، وَلَا يُقَالُ فِيمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: كَيْفَ؟ وَلَا؟ لِمَ؟ بَلْ يَتَّبِعُونَ وَلَا يَبْتَدِعُونَ، وَيُسَلِّمُونَ، وَلَا يُعَارِضُونَ، وَيَتَيَقَّنُونَ وَلَا يَشْكُونَ، وَلَا يَرْتَابُونَ.اهـ

وقال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي التمهيد (١٤٥/٧):

أهل السنة مجمعون عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ بِهَا، وَحَمْلِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَحُدُّونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً.

وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ كُلُّهَا، وَالْخَوَارِجُ فَكُلُّهُمْ يُنْكِرُهَا، وَلَا يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَا مُشَبِّهٌ، وَهُمْ عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَهَا نَافُونَ لِلْمَعْبُودِ، وَالْحَقُّ فِيمَا قَالَهُ الْقَائِلُونَ بِمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ الله، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ، وَهُمْ أَئِمَّةُ الْجَمَاعَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.اهـ

قال الإمام الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٤٠٩/٢):

وَالدَّلِيل عَلَى أَن الْفرْقَة النَّاجِية هُم أهل السّنة وَالْجَمَاعَة: أَن أحدا لَا يشك أَن الْفرْقَة النَّاجِية هِيَ المتمسكة بدين الله، وَدين الله الَّذِي نزل بِهِ كتاب الله وبينته سنة رَسُول الله ﷺ، وهم الْقَائِلُونَ: إِن الله وَاحِد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وَلَا يُشَارِكهُ شَيْء من الموجودات بِوَجْه من الْوُجُوه، لِأَنَّهُ لَو شَارِكهُ وَاحِد

فِي ذَلِكَ لَكَانَ مثلا لَهُ فِي الْوَجْه الَّذِي شَاركهُ فِيهِ، فَلَا يُسمى إِلَّا بِمَا سمى بِهِ نَفسه فِي كِتَابه، أَو سَمَّاهُ بِهِ رَسُوله ﷺ، وأجمعت عَلَيْهِ الْأمة، أَو أجمعت الْأمة عَلَى تَسْمِيَته بِهِ، وَلَا يُوصف إِلَّا بِمَا وصف بِهِ نَفسه، أَو وَصفه بِهِ رَسُوله ﷺ، أَو أجمع عَلَيْهِ الْمُسلمُونَ. فَمن وَصفه بِغَيْر ذَلِكَ فَهُوَ ضال.اهـ

قال الإمام أبو محمد البربهاري كَمَا فِي سير إعلام النبلاء (١٥/ ٩١):

احذرْ صِغار المُحدَثَاتِ مِنَ الأُمُور، فَإِنَّ صِغارَ البِدَع، تعُودُ كِبارًا، فَالكَلاَمُ فِي الرَّبِّ - عَزَّ وَجَلَّ - مُحدَثٌ وَبِدْعَة وَضَلاَلَة، فَلاَ نتكلَّم فِيْهِ إِلاَّ بِمَا وَصفَ بِهِ نَفْسَه، وَلاَ نَقُوْلُ فِي صِفَاته: لِمَ؟ وَلاَ كَيْفَ؟ وَالقُرْآن كَلاَمُ اللهِ، وَتنزِيْلُه وَنورُه لَيْسَ مخلوقًا، وَالمِرَاءُ فِيْهِ كُفْر.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله فِي العقيدة الواسطية كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣/ ١٢٩ -):

وَمِنْ الإِيمَانِ بِاَللَّهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ الله وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ وَلَا كُفُوَ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ.اهـ

وقال رحمه الله كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣/ ٣ -٤):

وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ الله مِنْ الصِّفَاتِ، مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

وَكَذَلِكَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ مَعَ إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ الحَادٍ: لَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي آيَاتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ الآيَةَ.

فَطَرِيقَتُهُمْ تَتَضَمَّنُ إثْبَاتَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَعَ نَفْيِ مُمَاثَلَةِ المَخْلُوقَاتِ: إثْبَاتًا بِلَا تَشْبِيهٍ، وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. فَفِي قَوْلِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رَدٌّ لِلتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. رَدٌّ لِلْإِلْحَادِ وَالتَّعْطِيلِ.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٦٥/٣):

عَدَلْت عَنْ لَفْظِ (التَّأْوِيلِ) إلَى لَفْظِ (التَّحْرِيفِ)؛ لِأَنَّ التَّحْرِيفَ اسْمٌ جَاءَ القُرْآنُ بِذَمِّهِ، وَأَنَا تَحَرَّيْت فِي هَذِهِ العَقِيدَةِ اتِّبَاعَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَنَفَيْت مَا ذَمَّهُ اللَّهُ مِنْ التَّحْرِيفِ، وَلَمْ أَذْكُرْ فِيهَا لَفْظَ (التَّأْوِيلِ) بِنَفْيٍ وَلَا إثْبَاتٍ؛ لِأَنَّهُ لَفْظٌ لَهُ عِدَّةُ مَعَانٍ كَمَا بَيَّنْته فِي مَوْضِعِهِ مِنْ القَوَاعِدِ.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٩٥/٥):

وَمَذْهَبُ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ؛ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ صِفَاتِ الله تَعَالَى الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ؛ وَلَا يَجُوزُ تَمْثِيلُهَا بِصِفَاتِ المَخْلُوقِينَ؛ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كمَا فِي مختصر الصواعق (ص ٧):

تنازع الناس في كثير من الأحكام، ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/٢٦):

ثُمَّ الْقَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا البَابِ: أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ لَا يَتَجَاوَزُ القُرْآنَ وَالْحَدِيثَ.

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَد: لَا يُوصَفُ اللهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ لَا يَتَجَاوَزُ القُرْآنَ وَالْحَدِيثَ. وَمَذْهَبُ السَّلَفِ: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ كمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٤/٦ -٧):

فَمَذْهَبُ السَّلَفِ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَنَفْيُ الكَيْفِيَّةِ عَنْهَا. لِأَنَّ الكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنْ الكَلَامِ فِي الذَّاتِ، وَإِثْبَاتُ الذَّاتِ إِثْبَاتُ وُجُودٍ؛ لَا إِثْبَاتُ كَيْفِيَّةٍ، فَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ. وَعَلَى هَذَا مَضَى السَّلَفُ كُلُّهُمْ.اهـ

قال أبو عبد الله غفر الله له ورحمه:

ونحن نعتقد في أسماء الله وصفاته، ما زبره هؤلاء الأئمة، وما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، ومن بعدهم، وهو أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ.

وأخرج الإمام ابن بطة (١٢١) واللالكائي (٣/ ٣٩٨) والذهبي في العلو (٣٢٢)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١١٤) من طرق عن يَحْيَى بْنِ آدَمَ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ

عُيَيْنَةَ، قَالَ: سُئِلَ ربيعةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، قَالَ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنَ اللهِ تَعَالَى الرِّسَالَةُ، وَعَلَى النَّبِيِّ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ.

وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله رجال الشيخين.

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦) بإسناد صحيح، عن عبد الله بن وهب، قال: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدَ الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: ٥] كَيْفَ اسْتِوَاؤُهُ؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَالِكٌ وَأَخَذَتْهُ الرُّحَضَاءُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: ٥] كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ، وَكَيْفٌ عَنْهُ مَرْفُوعٌ، وَأَنْتَ رَجُلُ سُوءٍ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، أَخْرِجُوهُ. قَالَ: فَأُخْرِجَ الرَّجُلُ.

وأخرج البيهقي في الاعتقاد (ص١١٦)، وفي الأسماء والصفات (٨٦٧) والذهبي في العلو (٣٤٤)، من طريق يحيى بن يحيى، قال: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: ٥] فَكَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ، ثُمَّ قَالَ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا. فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ﵀ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٤/٤):

وَهَذَا الجَوَابُ مِنْ مَالِكٍ - ﵀ - فِي الِاسْتِوَاءِ شَافٍ كَافٍ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ. مِثْلَ النُّزُولِ وَالْمَجِيءِ وَالْيَدِ وَالْوَجْهِ وَغَيْرِهَا. فَيُقَالُ فِي مِثْلِ النُّزُولِ: النُّزُولُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ. وَهَكَذَا يُقَالُ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ إِذْ هِيَ بِمَثَابَةِ الِاسْتِوَاءِ الْوَارِدِ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه مدارج السالكين (٢/٨٥):

قَالَ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ:

(الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: إِجْرَاءُ الْخَبَرِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَهُوَ أَنْ تَبْقَى أَعْلَامُ تَوْحِيدِ الْعَامَّةِ الْخَبَرِيَّةِ عَلَى ظَوَاهِرِهَا. وَلَا يَتَحَمَّلُ الْبَحْثُ عَنْهَا تَعَسُّفًا. وَلَا يَتَكَلَّفُ لَهَا تَأْوِيلًا. وَلَا يَتَجَاوَزُ ظَوَاهِرَهَا تَمْثِيلًا. وَلَا يَدَّعِي عَلَيْهَا إِدْرَاكًا أَوْ تَوَهُّمًا).

يُشِيرُ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللهُ وَقَدَّسَ رُوحَهُ - بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ حِفْظَ حُرْمَةِ نُصُوصِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِإِجْرَاءِ أَخْبَارِهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا. وَهُوَ اعْتِقَادُ مَفْهُومِهَا الْمُتَبَادِرِ إِلَى أَذْهَانِ الْعَامَّةِ. وَلَا يَعْنِي بِالْعَامَّةِ الْجُهَّالَ، بَلْ عَامَّةَ الْأُمَّةِ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ مَالِكٌ، حَتَّى عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ، ثُمَّ قَالَ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ.

فَفَرَّقَ بَيْنَ الْمَعْنَى الْمَعْلُومِ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، وَبَيْنَ الْكَيْفِ الَّذِي لَا يَعْقِلُهُ الْبَشَرُ. وَهَذَا الْجَوَابُ مِنْ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَافٍ، عَامٌّ فِي جَمِيعِ مَسَائِلِ الصِّفَاتِ.

فَمَنْ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦] كَيْفَ يَسْمَعُ وَيَرَى؟ أُجِيبَ بِهَذَا الْجَوَابِ بِعَيْنِهِ. فَقِيلَ لَهُ: السَّمْعُ وَالْبَصَرُ مَعْلُومٌ. وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ.

وَكَذَلِكَ مَنْ سَأَلَ عَنِ الْعِلْمِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالنُّزُولِ، وَالْغَضَبِ، وَالرِّضَا، وَالرَّحْمَةِ، وَالضَّحِكِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَمَعَانِيهَا كُلُّهَا مَفْهُومَةٌ. وَأَمَّا كَيْفِيَّتُهَا فَغَيْرُ مَعْقُولَةٍ؛ إِذْ تَعَقُّلُ الْكَيْفِيَّةِ فَرْعُ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ الذَّاتِ وَكُنْهِهَا. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ مَعْقُولٍ لِلْبَشَرِ، فَكَيْفَ يُعْقَلُ لَهُمْ كَيْفِيَّةُ الصِّفَاتِ؟

وَالْعِصْمَةُ النَّافِعَةُ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ. وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

بَلْ تُثْبَتُ لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ، وَتُنْفَى عَنْهُ مُشَابَهَةُ الْمَخْلُوقَاتِ. فَيَكُونُ إِثْبَاتُكَ مُنَزَّهًا عَنِ التَّشْبِيهِ. وَنَفْيُكَ مُنَزَّهًا عَنِ التَّعْطِيلِ.

فَمَنْ نَفَى حَقِيقَةَ الِاسْتِوَاءِ فَهُوَ مُعَطِّلٌ. وَمَنْ شَبَّهَهُ بِاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ فَهُوَ مُمَثِّلٌ. وَمَنْ قَالَ: اسْتِوَاءٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. فَهُوَ الْمُوَحِّدُ الْمُنَزِّهُ.

وَهَكَذَا الْكَلَامُ فِي السَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْيَدِ، وَالْوَجْهِ، وَالرِّضَا، وَالْغَضَبِ، وَالنُّزُولِ، وَالضَّحِكِ، وَسَائِرِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ.

وَالْمُنْحَرِفُونَ فِي هَذَا الْبَابِ قَدْ أَشَارَ الشَّيْخُ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: (لَا يَتَحَمَّلُ الْبَحْثُ عَنْهَا تَعَسُّفًا)؛ أَيْ لَا يَتَكَلَّفُ التَّعَسُّفَ عَنِ الْبَحْثِ عَنْ كَيْفِيَّاتِهَا. وَالتَّعَسُّفُ سُلُوكُ غَيْرِ الطَّرِيقِ. يُقَالُ: رَكِبَ فُلَانٌ التَّعَاسِيفَ فِي سَيْرِهِ. إِذَا كَانَ يَسِيرُ يَمِينًا وَشِمَالًا، جَائِرًا عَنِ الطَّرِيقِ.

(وَلَا يَتَكَلَّفُ لَهَا تَأْوِيلًا). أَرَادَ بِالتَّأْوِيلِ هَاهُنَا التَّأْوِيلَ الِاصْطِلَاحِيَّ. وَهُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَعَنِ الْمَعْنَى الرَّاجِحِ إِلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ.

وَقَدْ حَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِجْمَاعَ السَّلَفِ عَلَى تَرْكِهِ. وَمِمَّنْ حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ، وَأَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ فِي رِسَالَتِهِ النِّظَامِيَّةِ، بِخِلَافِ مَا سَلَكَهُ فِي شَامِلِهِ وَ إِرْشَادِهِ وَمِمَّنْ حَكَاهُ سَعْدُ بْنُ عَلِيٍّ الزَّنْجَانِيُّ. وَقَبْلَ هَؤُلَاءِ خَلَائِقُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ.

(وَلَا يَتَجَاوَزُ ظَاهِرَهَا تَمْثِيلًا). أَيْ لَا يُمَثِّلُهَا بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَفِي قَوْلِهِ: (لَا يَتَجَاوَزُ ظَاهِرَهَا)، إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ. وَهِيَ أَنَّ ظَوَاهِرَهَا لَا تَقْتَضِي التَّمْثِيلَ، كَمَا تَظُنُّهُ الْمُعَطِّلَةُ النُّفَاةُ، وَأَنَّ التَّمْثِيلَ تَجَاوُزٌ لِظَوَاهِرِهَا إِلَى مَا لَا تَقْتَضِيهِ، كَمَا

أَنَّ تَأْوِيلَهَا تَكَلُّفٌ، وَحَمْلٌ لَهَا عَلَى مَا لَا تَقْتَضِيهِ. فَهِيَ لَا تَقْتَضِي ظَوَاهِرُهَا تَمْثِيلًا، وَلَا تَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا، بَلْ إِجْرَاءً عَلَى ظَوَاهِرِهَا بِلَا تَأْوِيلٍ وَلَا تَمْثِيلٍ. فَهَذِهِ طَرِيقَةُ السَّالِكِينَ بِهَا سَوَاءَ السَّبِيلِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (وَلَا يَدَّعِي عَلَيْهَا إِدْرَاكًا)؛ أَيْ لَا يَدَّعِي عَلَيْهَا اسْتِدْرَاكًا وَلَا فَهْمًا، وَلَا مَعْنًى غَيْرَ فَهْمِ الْعَامَّةِ، كَمَا يَدَّعِيهِ أَرْبَابُ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ، الْمَذْمُومِ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ.

وَقَوْلُهُ: (وَلَا تَوَهُّمًا)؛ أَيْ لَا يَعْدِلُ عَنْ ظَوَاهِرِهَا إِلَى التَّوَهُّمِ.

وَالتَّوَهُّمُ نَوْعَانِ: تَوَهُّمُ كَيْفِيَّةٍ. لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُهَا، أَوْ تَوَهُّمُ مَعْنًى غَيْرَ مَا تَقْتَضِيهِ ظَوَاهِرُهَا. وَكِلَاهُمَا تَوَهُّمٌ بَاطِلٌ. وَهُمَا تَوَهُّمُ تَشْبِيهٍ وَتَمْثِيلٍ، أَوْ تَحْرِيفٍ وَتَعْطِيلٍ.

وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ يُبَيِّنُ مَرْتَبَتَهُ مِنَ السُّنَّةِ، وَمِقْدَارَهُ فِي الْعِلْمِ، وَأَنَّهُ بَرِيءٌ مِمَّا رَمَاهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ الْجَهْمِيَّةُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي رَمْيِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ بِذَلِكَ، كَرَمْيِ الرَّافِضَةِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ نَوَاصِبُ، وَالْمُعْتَزِلَةِ بِأَنَّهُمْ نَوَابِتُ حَشَوِيَّةٌ.

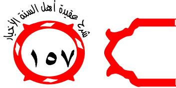
وَذَلِكَ مِيرَاثٌ مِنْ أَعْدَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَمْيِهِ وَرَمْيِ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم بِأَنَّهُمْ صَبَأَةٌ. قَدِ ابْتَدَعُوا دِينًا مُحْدَثًا. وَمِيرَاثٌ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ مِنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. بِتَلْقِيبِ أَهْلِ الْبَاطِلِ لَهُمْ بِالْأَلْقَابِ الْمَذْمُومَةِ.

وَقَدَّسَ اللَّهُ رُوحَ الشَّافِعِيِّ حَيْثُ يَقُولُ، وَقَدْ نُسِبَ إِلَى الرَّفْضِ:

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ شَيْخِنَا أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، حَيْثُ يَقُولُ:

إِنْ كَانَ نَصْبًا حُبُّ صَحْبِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي نَاصِبِي



وَعَفَا اللَّهُ عَنِ الثَّالِثِ، حَيْثُ يَقُولُ:

فَـإِنْ كَانَ تَجْسِـيمًا ثُبُـوتُ صِـفَاتِهِ ... وَتَنْزِيهُهَـا عَـنْ كُلِّ تَأْوِيـلِ مُفْـتَرِي

فَـإِنِّي - بِحَمْـدِ اللهِ رَبِّي - مُجَسِّـمٌ ... هَلُمُّوا شُهُودًا وَامْلَئُوا كُلَّ مَحْضَرِ. اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله في الفتوى الحموية (١/٢٩٩):

روى أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

فقد حكى الأوزاعي ـ وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين، الذين هم مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق ـ حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله فوق العرش، وبصفاته السمعية.

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال: سُئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث، فقالا: أَمِرُّوها كما جاءت.

وروى أيضًا عن الوليد بن مسلم، قال: سألتُ مالكَ بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت. وفي رواية: فقالوا: أمِرَّها كما جاءت بلا كيف.

فقولهم: (أمِرُّوها كما جاءت) ردٌّ على المعطلة، وقولهم: (بلا كيف) رد على الممثلة. والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون هم أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين.

وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أمر جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك.اهـ

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في العلو (٣٥٩):

أخبرنَا يحيى بن أبي مَنْصُور فِي كِتَابه، أَنبأَنَا عبد الْقَادِر بن عبد الله، أَنبأَنَا مَسْعُود بن الْحسن، أَنبأَنَا عبد الْوَهَّاب بن مَنْدَه، أَنبأَنَا أبي، أَنبأَنَا أَحْمد بن مُحَمَّد بن زِيَاد، حَدثنَا عَبَّاس الدوري، سَمِعت يحيى بن معِين، يَقُول: شهِدت زَكَرِيَّاء بن عدي، سَأَلَ وكيعًا فَقَالَ: يَا أَبَا سُفْيَان هَذِه الْأَحَادِيث مثل حَدِيث «**الْكُرْسِيّ مَوضِع الْقَدَمَيْنِ**» وَنَحْو هَذَا فَقَالَ: كَانَ إِسْمَاعِيل بن أبي خَالِد وَالثَّوْري ومسعر يروون هَذِه الْأَحَادِيث، لَا يفسرون مِنْهَا شَيْئا.

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص١٥٠):

والمراد بقوله (لا يفسرون منها شيئا) لا يتأولونها، ولا يخرجون معناها عن ظاهرها.

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في العلو (٤٢٩):

أخبرنَا أَبُو الْفِدَاء بن الْفراء أَنبأَنَا ابْن قدامَة أَنبأَنَا مُحَمَّد بن عبد الْبَاقِي أَنبأَنَا ابْن خيرون وَأَبُو الْحسن بن أَيُّوب قَالَا أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيِّ بْنُ شَاذَانَ أَنبأَنَا ابْن زِيَاد الْقطَّان حَدثنَا مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل التِّرْمِذِيّ سَمِعت نعيم بن حَمَّاد يَقُول من شبه الله بخلقه فقد كفر وَمن أنكر مَا وصف بِهِ نَفسه فقد كفر وَلَيْسَ مَا وصف الله بِهِ نَفسه وَلَا رَسُوله تَشْبِيها.

قال الذهبي: نعيم بن حَمَّاد من أوعية الْعلم أَخذ فِي محنة خلق الْقُرْآن، فسجن حَتَّى مَاتَ فِي الْقَيْد رَحِمَهُ اللهُ فِي سنة تسع وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ، وَله ثَمَانُون سنة حدث عَنهُ البُخَارِيّ

وأخرجه أيضًا في السير (١٠/ ٦١٠) من طرق عن أبي علي به.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ **:** قلت: هَذَا الكَلاَمُ حَقٌّ، نَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ التَّشْبِيْهِ، وَمِنْ إِنْكَارِ أَحَادِيْثِ الصِّفَاتِ، فَمَا يُنْكِرُ الثَّابِتَ مِنْهَا مَنْ فَقُهَ، وَإِنَّمَا بَعْدَ الإِيْمَانِ بِهَا هُنَا مَقَامَانِ مَذْمُوْمَانِ: تَأْوِيْلُهَا وَصَرْفُهَا عَنْ مَوْضُوْعِ الخِطَابِ، فَمَا أَوَّلَهَا السَّلَفُ، وَلاَ حَرَّفُوا أَلْفَاظَهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا، بَلْ آمَنُوا بِهَا، وَأَمَرُّوْهَا كَمَا جَاءتْ.

المَقَامُ الثَّانِي: المُبَالَغَةُ فِي إِثْبَاتِهَا، وَتَصَوُّرُهَا مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ البَشَرِ، وَتَشَكُّلُهَا فِي الذِّهْنِ، فَهَذَا جَهْلٌ وَضَلاَلٌ، وَإِنَّمَا الصِّفَةُ تَابِعَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، فَإِذَا كَانَ المَوْصُوفُ - عَزَّ وَجَلَّ- لَمْ نَرَهُ، وَلاَ أَخْبَرَنَا أَحَدٌ أَنَّهُ عَايَنَهُ مَعَ قَولِهِ لَنَا فِي تَنْزِيْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّوْرَى: ١١]، فَكَيْفَ بَقِيَ لأَذْهَانِنَا مَجَالٌ فِي إِثْبَاتِ كَيْفِيَّةِ البَارِئِ -تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ- فَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ المُقَدَّسَةُ، نُقِرُّ بِهَا وَنَعْتَقِدُ أَنَّهَا حَقٌّ، وَلاَ نُمَثِّلُهَا أَصْلاً وَلاَ نَتَشَكَّلُهَا.اهـ

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ **في السير (١٣/٢٩٩):**

وَمَا أَحسَنَ قَوْلَ نُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ، الَّذِي سَمِعنَاهُ بِأَصَحِّ إِسْنَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ التِّرْمِذِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُوْلُ: مَنْ شَبَّهَ اللهُ بِخَلْقِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَلاَ رَسُوْلَهُ تَشْبِيْهًا.

قُلْتُ: أَرَادَ أَنَّ الصِّفَاتِ تَابِعَةٌ لِلمَوْصُوْفِ، فَإِذَا كَانَ المَوْصُوْفُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّوْرَى: ١١]، فِي ذَاتِهِ المُقَدَّسَةِ، فَكَذَلِكَ صِفَاتِهِ لاَ مِثْلَ لَهَا، إِذْ لاَ فَرْقَ بَيْنَ القَوْلِ فِي الذَّاتِ وَالقَوْلِ فِي الصِّفَاتِ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.اهـ

وقال الإمام اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٢٦/٣):

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ، قَالَا: ثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّامٍ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ: «**ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ**»، وَ«**الْكُرْسِيُّ مَوْضِعَ الْقَدَمَيْنِ**»، وَ«**إِنَّ جَهَنَّمَ لَتَمْتَلِئُ فَيَضَعُ رَبُّكَ قَدَمَهُ فِيهَا**»، وَأَشْبَاهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ؟

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ عِنْدَنَا حَقٌّ يَرْوِيهَا الثِّقَاتُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ إِلَّا أَنَّا إِذَا سُئِلْنَا عَنْ تَفْسِيرِهَا؛ قُلْنَا: مَا أَدْرَكْنَا أَحَدًا يُفَسِّرُ مِنْهَا شَيْئًا، وَنَحْنُ لَا نُفَسِّرُ مِنْهَا شَيْئًا نُصَدِّقُ بِهَا، وَنَسْكُتُ.اهـ

قال الإمام الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة (٤٤٦/١):

وَقَالَ أَئِمَّة أَصْحَاب الحَدِيث فِي أَخْبَار الصِّفَات: أمروها كَمَا جَاءَت. وَفِي رِوَايَة الْمروزِي عَن أَحْمَد: أَحَادِيث الصِّفَات تمر كَمَا جَاءَت. قَالَ أهل السّنة: مَا جَاءَ عَن الرَّسُول ﷺ فِي الصِّفَات بأسانيد صِحَاح فَهُوَ حق.

وَقَالَ أَحْمد فِي رِوَايَة حَنْبَل: يضْحك اللَّه وَلَا نعلم كَيفَ ذَلِك إِلَّا بِتَصْدِيق الرَّسُول ﷺ، وَقد نَص أَحْمد عَلَى القَوْل بِظَاهِر الْأَخْبَار من غير تَشْبِيه وَلَا تَأْوِيل.

وَذكر الدَّارَقُطْنِيّ فِي أَخْبَار الصِّفَات بِإِسْنَادِه عَن يَحْيَى بْن معِين، قَالَ: شهِدت زَكَرِيَّاء بْن عدي سأل وكيعا عَن أَحَادِيث الصِّفَات، فَقَالَ: أدركنا إِسماعيل بْن أبي خَالِد وسُفْيَان ومسعرًا يحدثُونَ هَذِه الْأَحَادِيث، وَلَا يفسرون شَيْئا.

وَقَالَ أَحْمد بْن نصر: سَأَلت سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَن حَدِيث النَّبِي ﷺ: «**إِن اللَّه يضع السَّمَوَات عَلَى إِصبع**» وَحَدِيث «**إِن قلب ابْن آدم بَين إِصبعين من أَصَابِع الرَّحْمَن**».

وَحَدِيث «**إِن اللَّه يعجب ويضحك**» فَقَالَ سُفْيَان: هِيَ كَمَا جَاءَت نقر بهَا، ونحدث بِلَا كَيفَ.

وَذكر أَبُو بكر الْخلال فِي كتاب السّنة بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْأَوْزَاعِيّ قَالَ: سُئِلَ مَكْحُول وَالزهْرِيّ عَن تَفْسِير هَذِه الْأَحَادِيث فَقَالَا: أمروها كَمَا جَاءَت.

وَقَالَ الْوَلِيد بْن مُسلم: سَأَلت الْأَوْزَاعِيّ ومالكا وسُفْيَان وليثا عَن هَذِه الْأَحَادِيث الَّتِي فِيهَا الصّفة فَقَالُوا: أمروها بِلَا كَيفَ.

وَقَالَ أَبُو عبيد: هَذِه أَحَادِيث صِحَاح حملهَا أَصْحَاب الحَدِيث وَالْفُقَهَاء بَعضهم عَن بعض، وَهِي عندنَا حق لَا شكّ فِيهِ، وَلَكِن إِذَا قيل: كَيفَ وضع قدمه فِيهَا؟ وَكَيف ضحك؟ .

قُلْنَا: لَا نفسر هَذَا، وَلَا سمعنَا أحدا يُفَسِّرهَا.

قَالَ أهل الْعلم من أهل السّنة: هَذِه الْأَحَادِيث مِمَّا لَا يدْرك حَقِيقَة علمه بالفكر والروية. قَالُوا: وَأول من خرج هَذِه الْأَحَادِيث وَجمعهَا من الْبَصرِيين: حَمَّاد بْن سَلمَة. فَقيل لَهُ فِي ذَلِك: فَقَالَ: إِنه وَالله مَا دعتني نَفسِي إِلَى إِخراج ذَلِك، إِلا أَنِّي رَأَيْت الْعلم يخرج فَأَحْبَبْت إِحياءه.

وَقَالَ الفضيل بْن عِيَاض: إِذَا قَالَ لَك الجهمي: أَنا كَافِر بِرَبّ ينزل، فَقل لَهُ: أَنا مُؤمن بِرَبّ يفعل مَا يَشَاء.

وَقَالَ شريك: إِنما جَاءَنَا بِهَذِهِ الْأَحَادِيث من جَاءَنَا بالسنن عَن رَسُول الله ﷺ: الصَّلَاة وَالصِّيَام وَالزَّكَاة وَالْحج، وَإِنَّمَا عرفنَا اللَّه بِهَذِهِ الْأَحَادِيث.اه

وقال الإمام الدارقطني رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الصفات (ص٧٠):

حدَّثنا محمد بن مخلد، ثنا عيسى بن إسحاق بن موسى الأنصاري أبو العباس، قال: سمعت أبي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوع الفَتَاوَى (٥/٥٠):

وَرَوَى أَبُو القَاسِمِ اللالكائي الحَافِظُ الطبري؛ صَاحِبُ أَبِي حَامِدٍ الإسفرائيني فِي كِتَابِهِ المَشْهُورِ فِي أُصُولِ السُّنَّةِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ قَالَ: اتَّفَقَ الفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ - مِنْ المَشْرِقِ إلَى المَغْرِبِ - عَلَى الإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ؛ الَّتِي جَاءَ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي صِفَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ: مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ؛ وَلَا وَصْفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ؛ فَمَنْ فَسَّرَ اليَوْمَ شَيْئًا مِنْهَا فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا؛ وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ سَكَتُوا؛ فَمَنْ قَالَ: بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ لَا شَيْءَ.

مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ أَخَذَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَطَبَقَتِهِمَا مِنْ العُلَمَاءِ. وَقَدْ حَكَى هَذَا الإِجْمَاعَ وَأَخْبَرَ أَنَّ الجَهْمِيَّةَ تَصِفُهُ بِالْأُمُورِ السَّلْبِيَّةِ غَالِبًا أَوْ دَائِمًا. وَقَوْلُهُ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ: أَرَادَ بِهِ تَفْسِيرَ الجَهْمِيَّةِ المُعَطِّلَةِ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا تَفْسِيرَ الصِّفَاتِ بِخِلَافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنْ الأثبات.

وَرَوَى اللالكائي وَالْبَيْهَقِي بِإِسْنَادِهِمَا عَنْ عَبْدِ الله بْنِ المُبَارَكِ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إنِّي أَكْرَهُ الصِّفَةَ -عَنَى صِفَةَ الرَّبِّ- فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْنُ المُبَارَكِ: وَأَنَا أَشَدُّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِذَلِكَ، وَلَكِنْ إذَا نَطَقَ الكِتَابُ بِشَيْءٍ قُلْنَا بِهِ وَإِذَا جَاءَتْ الآثَارُ بِشَيْءٍ جَسَرْنَا عَلَيْهِ وَنَحْوُ هَذَا. أَرَادَ ابْنُ المُبَارَكِ: أَنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَبْتَدِئَ بِوَصْفِ الله مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِنَا حَتَّى يَجِيءَ بِهِ الكِتَابُ وَالْآثَارُ.

وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَد وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ صِحَاحٍ عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: بِمَاذَا نَعْرِفُ رَبَّنَا ؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الجَهْمِيَّة إنَّهُ هَهُنَا فِي الأَرْضِ – وَهَكَذَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَد وَغَيْرُهُ.

وَرُوِيَ بِإِسْنَادِ صَحِيحٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ الإِمَامِ سَمِعْت حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ الجَهْمِيَّة. فَقَالَ: إنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّة عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ الضبعي – إمَام أَهْلِ البَصْرَةِ عِلْمًا وَدِينًا مِنْ شُيُوخِ الإِمَامِ أَحْمَد – أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَهُ الجَهْمِيَّة فَقَالَ: أَشَرُّ قَوْلًا مِنْ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَقَدْ أَجْمَعَ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الأَدْيَانِ مَعَ المُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَلَى العَرْشِ وَهُمْ قَالُوا: لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَة إمَامُ الأَئِمَّةِ: مَنْ لَمْ يَقُلْ: إنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَجَبَ أَنْ يُسْتَتَابَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقَهُ ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ لِئَلَّا يَتَأَذَّى بِرِيحِهِ أَهْلُ القِبْلَةِ، وَلَا أَهْلُ الذِّمَّةِ ذَكَرَهُ عَنْهُ الحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.اهـ

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني في الحجة (١/١٠٧):

فَصْلٌ: فِي تَفْسِيرِ أَسْمَاءِ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْلِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَوَّلُ فَرْضٍ فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ مَعْرِفَتُهُ، فَإِذَا عَرَفَهُ النَّاسُ عَبَدُوهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾. فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَ الله وَتَفْسِيرَهَا فَيُعَظِّمُوا اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ.اهـ

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله في الإبانة (٢٥٢)ط/الراية:

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرٍ، ثنا عَبْدُ الله بْنُ أَحْمَدَ بْنِ غِيَاثٍ، ثنا حَنْبَلٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله، يَقُولُ: نَعْبُدُ اللَّهَ بِصِفَاتِهِ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، قَدْ أَجْمَلَ الصِّفَةَ لِنَفْسِهِ، وَلَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، فَنَقُولُ كَمَا قَالَ وَنَصِفُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ،

وَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ شَنَاعَةً شُنِّعَتْ، وَلَا نُزِيلُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ كَلَامٍ، وَنُزُولٍ وَخُلُوِّهِ بِعَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَضْعِ كَنَفِهِ عَلَيْهِ، هَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَالتَّحْدِيدُ فِي هَذَا بِدْعَةٌ، وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ بِأَمْرِهِ، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا عَالِمًا، غَفُورًا، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، عَالِمَ الْغُيُوبِ، فَهَذِهِ صِفَاتُ الله وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، لَا تُدْفَعُ، وَلَا تُرَدُّ، وَقَالَ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[الحشر: ٢٣]، هَذِهِ صِفَاتُ الله وَأَسْمَاؤُهُ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ بِلَا حَدٍّ، وَقَالَ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] كَيْفَ شَاءَ؛ الْمَشِيئَةُ إِلَيْهِ وَالِاسْتِطَاعَةُ. وَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ بِلَا حَدٍّ وَلَا تَقْدِيرٍ.

قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله: وَالْمُشَبِّهَةُ مَا يَقُولُونَ؟ قَالَ: بَصَرٌ كَبَصَرِي، وَيَدٌ كَيَدِي، وَقَدَمٌ كَقَدَمِي، فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ وَهَذَا كَلَامُ سُوءٍ، وَالْكَلَامُ فِي هَذَا لَا أُحِبُّهُ، وَأَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الزَّلَلِ، وَالِارْتِيَابِ، وَالشَّكِّ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ، ثنا الصَّيْدَلَانِيُّ، ثنا الْمَرُّوذِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عَنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، قَالَ: (نُمِرُّهَا كَمَا جَاءَتْ).اهـ

قال الإمام أبو نعيم الأصبهاني في عقيدته المشهورة عنه كمَا فِي درء التعارض (٦/٢٥٢):

طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، فما اعتقدوه؛ اعتقدناه:

فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي ﷺ في العرش، واستواء الله عليه، يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن الله بائن عن خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سماواته من دون أرضه.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله في درء التعارض (٦/٢٥٢):

قال الشيخ أبو أحمد الكرخي الإمام المشهور في أثناء المائة الرابعة في العقيدة التي ذكر أنها اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهي العقيدة التي كتبها للخليفة القادر بالله، وقرأها على الناس، وجمع الناس عليها، وأقرتها طوائف أهل السنة – إلى أن قال:-

وهذه العقيدة مشهورة وفيها: (كان ربنا وحده ولا شيء معه، ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء بقدرته، وخلق العرش لا لحاجته إليه، فاستوى عليه استواء استقرار، كيف شاء وأراد، لا استقرار راحة كما يستريح الخلق، وهو يدبر السماوات والأرض، ويدبر ما فيهما، ومن في البر والبحر، لا مدبر غيره، ولا حافظ سواه، يرزقهم ويمرضهم، ويعافيهم ويميتهم، والخلق كلهم عاجزون: الملائكة والنبيون والمرسلون وسائر الخلق أجمعين، وهو القادر بقدرة، والعالم بعلم أزلي غير مستفاد، وهو السميع بسمع، والبصير ببصر، تعرف صفتهما من نفسه، لا يبلغ كنهها أحد من خلقه، متكلم بكلام يخرج منه، لا بآلة مخلوق كآلة المخلوقين لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه ﷺ، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصف بها نبيه فهي صفة حقيقية لا صفة مجاز.

قال: وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة يعني في أصول الدين – وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، فقالوا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا ومصرا وشاما ويمنا؛ فكان من مذاهبهم أن

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته...إلى أن قالا: (وأن الله على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، بلا كيف أحاط بكل شيء علما).اهـ وانظر: مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٣/ ٢٢٢).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/ ٥٨):

وَكَلَامُ الأَئِمَّةِ فِي هَذَا البَابِ أَطْوَلُ وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَسَعَ هَذِهِ الفُتْيَا عُشْرَهُ. وَكَذَلِكَ كَلَامُ النَّاقِلِينَ لِمَذْهَبِهِمْ. مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الخطابي فِي رِسَالَتِهِ المَشْهُورَةِ فِي الغنية عَنْ الكَلَامِ وَأَهْلِهِ قَالَ: فَأَمَّا مَا سَأَلْت عَنْهُ مِنْ الصِّفَاتِ وَمَا جَاءَ مِنْهَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ إثْبَاتُهَا وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا وَنَفْيُ الكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ عَنْهَا، وَقَدْ نَفَاهَا قَوْمٌ فَأَبْطَلُوا مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ وَحَقَّقَهَا قَوْمٌ مِنْ المُثْبِتِينَ فَخَرَجُوا فِي ذَلِكَ إلَى ضَرْبٍ مِنْ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ، وَإِنَّمَا القَصْدُ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ المُسْتَقِيمَةِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ، وَدِينُ الله تَعَالَى بَيْنَ الغَالِي فِيهِ، وَالْجَافِي وَالمُقَصِّرِ عَنْهُ.

وَالْأَصْلُ فِي هَذَا: أَنَّ الكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَلَى الكَلَامِ فِي الذَّاتِ وَيُحْتَذَى فِي ذَلِكَ حَذْوُهُ وَمِثَالُهُ. فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ إثْبَاتَ البَارِي سُبْحَانَهُ إنَّمَا هُوَ إثْبَاتُ وُجُودٍ لَا إثْبَاتَ كَيْفِيَّةٍ فَكَذَلِكَ إثْبَاتُ صِفَاتِهِ إنَّمَا هُوَ إثْبَاتُ وُجُودٍ لَا إثْبَاتَ تَحْدِيدٍ وَتَكْيِيفٍ.

فَإِذَا قُلْنَا يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ وَمَا أَشْبَهَهَا؛ فَإِنَّمَا هِيَ صِفَاتٌ أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ؛ وَلَسْنَا نَقُولُ: إنَّ مَعْنَى اليَدِ القُوَّةُ أَوْ النِّعْمَةُ، وَلَا مَعْنَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ العِلْمُ؛ وَلَا نَقُولُ إنَّهَا جَوَارِحُ، وَلَا نُشَبِّهُهَا بِالْأَيْدِي وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصارِ الَّتِي هِيَ جَوَارِحُ وَأَدَوَاتٌ لِلْفِعْلِ وَنَقُولُ: إنَّ القَوْلَ إنَّمَا وَجَبَ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ التَّوْقِيفَ وَرَدَ بِهَا؛ وَوَجَبَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ عَنْهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ وَعَلَى هَذَا جَرَى قَوْلُ السَّلَفِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ. هَذَا كُلُّهُ كَلَامُ الخطابي.

وَهَكَذَا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيبُ الحَافِظُ فِي رِسَالَةٍ لَهُ أَخْبَرَ فِيهَا أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ عَلَى ذَلِكَ. وَهَذَا الكَلَامُ الَّذِي ذَكَرَهُ الخطابي قَدْ نَقَلَ نَحْوًا مِنْهُ مِنْ العُلَمَاءِ مَنْ لَا يُحْصَى عَدَدُهُمْ، مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ الإِسْمَاعِيلِيِّ، وَالْإِمَامِ يَحْيَى بْنِ عَمَّارٍ السجزي، وَشَيْخِ الإِسْلَامِ أَبِي إسْمَاعِيلَ الهروي صَاحِبِ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ و ذَمِّ الكَلَامِ وَهُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ، وَشَيْخِ الإِسْلَامِ أَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِيِّ، وَأَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ البَرِّ النمري إمَامِ المَغْرِبِ، وَغَيْرِهِمْ.

تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية، والذاتية إلى معنوية وخبرية (عينية):

قال الإمام العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في القواعد المثلى (ص٢٥):

الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية. وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة.

ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كَمَا فِي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى؛ فإنها تابعة لحكمته.

وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠﴾.اهـ

وقال الإمام العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في شرح الواسطية كمَا فِي مجموع فتاواه (٨/٦٢):

فالصفات الذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، وهي نوعان: معنوية وخبرية:

فالمعنوية، مثل: الحياة، والعلم، القدرة، والحكمة.. وما أشبه ذلك، وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر.

والخبرية، مثل: اليدين، والوجه، والعينين.. وما أشبه ذلك مما مسمى نظيره أبعاض وأجزاء لنا.

فالله تعالى لم يزل له يدان ووجه وعينان، لم يحدث له شيء من ذلك بعد أن لم يكن، ولن ينفك عن شيء منه، كما أن الله لم يزل حيًّا ولا يزال حيًّا، لم يزل عالمًا ولا يزال عالمًا، ولم يزل قادرًا ولا يزال قادرًا... وهكذا، يعنى ليس حياته تتجدد، ولا قدرته تتجدد، ولا سمعه يتجدد بل هو موصوف بهذا أزلًا وأبدًا، وتجدد المسموع لا يستلزم تجدد السمع، فأنا مثلًا عندما أسمع الأذان الآن فهذا ليس معناه أنه حدث لي سمع جديد عند سماع الأذان بل هو منذ خلقه الله فيَّ لكن المسموع يتجدد وهذا لا أثر له في الصفة.

واصطلح العلماء رحمهم الله على أن يسموها الصفات الذاتية، قالوا: لأنها ملازمة للذات، لا تنفك عنها.

والصفات الفعلية هي الصفات المتعلقة بمشيئته، وهي نوعان:

صفات لها سبب معلوم، مثل: الرضى، فالله عز وجل إذا وجد سبب الرضى، رضي، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧] .

وصفات ليس لها سبب معلوم؛ مثل: النزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر.

ومن الصفات ما هو صفة ذاتية وفعلية باعتبارين؛ فالكلام صفة فعلية باعتبار آحاده لكن باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا لكنه يتكلم بما شاء متى شاء، كما سيأتي في بحث الكلام إن شاء الله تعالى.

اصطلح العلماء رحمهم الله أن يسموا هذه الصفات الصفات الفعلية؛ لأنها من فعله سبحانه وتعالى.

ولها أدلة كثيرة من القرآن، مثل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] ، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] ، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[التوبة: ٤٦] ، ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠] .

وليس في إثباتها لله تعالى نقص بوجه من الوجوه، بل هذا من كماله أن يكون فاعلًا لما يريد.

وأولئك القوم المحرفون يقولون: إثباتها من النقص! ولهذا ينكرون جميع الصفات الفعلية، يقولون: لا يجيء ولا يرضى، ولا يسخط ولا يكره ولا يحب. ينكرون كل هذه، بدعوى أن هذه حادثة والحادث لا يقوم إلا بحادث وهذا باطل؛

لأنه في مقابلة النص، وهو باطل بنفسه؛ فإنه لا يلزم من حدوث الفعل حدوث الفاعل.اهـ

قال أبو عبد الله غفر الله له: وما ذكره الإمام العثيمين رحمه الله، هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وأطلق شيخ الإسلام رحمه الله على الخبرية (عينية) كَمَا فِي بيان تلبيس الجهمية (١/ ٧٦)، (١/ ١٠٦) مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٦/ ١٠٩)، وأرى أن هذا الإطلاق أفضل من تسميتها (خبرية)، لأن جميع الصفات: (المعنوية والعينية) كلها لا تثبت إلا بالأدلة الشرعية.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله كَمَا فِي بيان تلبيس الجهمية (٣٢٩/١):

إن الصحابة والتابعين وسائر سلف الأمة وأئمتها، وأئمة أهل الحديث والفقهاء، والصوفية، والمتكلمة الصفاتية من الكلابية والكرامية والأشعرية، وغيرهم من طوائف المتكلمين من المرجئة والشيعة وغيرهم على إثبات هذه الصفات الخبرية.

لكن من هؤلاء الصفاتية من يجعل تلك الصفات الخبرية، صفات معنوية أيضًا، قائمة بالموصوف مثل هذه، وإنما يفرق بينهما، لافتراق الطريق التي بها عُلِمَتْ، فتلك عُلِمَتْ مع الخبر الصادق بالعقل، وهذه لم تُعْرَف إلا بالخبر.

وأما السلف والأئمة وأهل الحديث، وأئمة الفقهاء والصوفية، وطوائف من أهل الكلام، فلا يقولون: إن هذه من جنس تلك، ولا يسمونها أيضًا صفات خبرية؛ لأن من الصفات المعنوية ما لا يُعْلَم إلا بالخبر أيضًا، فليس هذا مميزًا لها عندهم، ومنهم من يقول: هذه معلومة بالعقل أيضًا.

وعلى القولين سواء كانت صفات عينية أو معنوية: فيقال من المعلوم أن الموجودات في حقنا، إما أجسام كالوجه واليد، وإما أعراض كالعلم والقدرة، فإذا

كان أهل الإثبات متفقين على أن العلم والقدرة كلاهما ثابت لله، على خلاف ما هو ثابت للمخلوق، وإن لم يكن في ذلك نفيًا لحقيقته، ولا تمثيلًا له بالمخلوق، فكذلك إذا قالوا في هذه الصفات: إنا نثبتها على خلاف ما هو ثابت للخلق، أو لا فرق بين ثبوت ما هو عرض فينا، مع كونه غير مماثل للأعراض، وبين ما هو جسم فينا مع كونه غير مماثل للأجسام؛ بل يقال: من المعلوم المتفق عليه بين المسلمين، أن الله حي عالم قادر مع كونه ليس من الأحياء العالمين القادرين، بل لا خلاف بين أهل الإثبات أنه موجود، مع كونه ليس مثل سائر الموجودات؛ بل العقل الصريح يقتضي وجود موجود واجب قديم. ويقتضي بأنه ليس مماثلًا للموجود المحدث الممكن، وإلا للزم أن يجوز على الواجب، ما يجوز على المحدث، فبأوائل العقل يعلم أن من الموجود وجودًا واجبًا، وأنه ليس مثل الموجود الممكن، فالذي يثبتونه في جميع الصفات المعلومة، هو من جنس ما يثبتونه في الذات، وذلك أمر بَيِّن بأدنى تأمل، معلوم بالعقل الصريح؛ فليس المحكي عنهم في ذلك إلا ما اتفق العقلاء على نظيره، وما هو ثابت معلوم بصريح العقل.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ في كتابه درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٥٣):

فإن كلام الصحابة في إثبات الصفات لله تعالى أكثر وأعظم من أن يمكن سطره هنا، بل كلام الصحابة في إثبات الصفات العينية الخبرية التي تسميها نفاة الصفات تجسيمًا، أكثر من أن يمكن سطره هنا، وكلامهم وكلام التابعين صريح في أنهم لم يكونوا يثبتون ذاتًا مجردة عن الصفات.اهـ

ما الفرق بين التعطيل والتحريف؟

التحريف: هو التغيير، وإمالة الشيء عن وجهه. يقال: انحرف عن كذا إذا مال، وهو نوعان:

النوع الأول: تحريف اللفظ المستلزم لتحريف المعنى، وهو العدول به عن جهته إلى غيرها، إما بزيادة كلمة، أو حرف، أو نقصانه، أو تغيير حركة، كقول أهل الضلال في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] أي استولى فزادوا في الآية حرفا. وكقولهم في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ١٦٤] أي: أمر ربك. فزادوا كلمة، وكقولهم في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] بنصب لفظ الجلالة فغيّروا الحركة الإعرابية من الرفع إلى النصب.

النوع الثاني: تحريف المعنى، وهو العدول به عن وجهه، وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر، كقول المبتدعة: إن معنى الرحمة إرادة الإنعام، وإن معنى الغضب إرادة الانتقام.

والتعطيل لغة: الإخلاء، يقال: عطله أي أخلاه، والمراد به هنا: نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى.

والفرق بين التحريف والتعطيل: أن التحريف: هو نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص، واستبداله بمعنى آخر غير صحيح.

والتعطيل: هو نفي المعنى الصحيح، ولو لم يعطه معنى آخر غير صحيح، وكل محرف معطل، وليس كل معطل محرفا.

ما الفرق بين التكييف والتمثيل؟

التكييف: هو تعيين كيفية الصفة، يقال: كيّف الشيء. إذا جعل له كيفية معلومة، فتكييف صفات الله تعالى هو تعيين كيفيتها، والهيئة التي تكون عليها، وهذا لا يمكن للبشر لأنه مما استأثر الله تعالى بعلمه؛ فلا سبيل إلى الوصول إليه- لأن الصفة تابعة للذات- فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك صفته سبحانه لا تعلم كيفيتها. والتكييف يحصل، ولو تخيل الكيفية في ذهنه.

والتمثيل: هو إثبات المثل لله في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، كأن يقال: إن صفات الله مثل صفات المخلوقين كقولهم: يد الله كأيدينا وسمعه كسمعنا- تعالى الله عما يقول الظالمون علوّا كبيرا- فالله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فلا يقال في صفاته أنها مثل صفاتنا، أو شبه صفاتنا أو كصفاتنا، كما لا يقال: إن ذات الله مثل أو شبه ذواتنا.

فالمؤمن الموحد يثبت الصفات كلها على الوجه اللائق بعظمة الله وكبريائه. والمعطل ينفيها، أو ينفي بعضها، والمشبه الممثل يثبتها على وجه لا يليق بالله وإنما يليق بالمخلوق. فكل ممثل مكيف، وليس كل مكيف ممثلاً.

بيان أن نفي التمثيل أولى من نفي التشبيه.

قال الإمام العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (١/١١٢):

أيهما أولى: أنعبر بالتشبيه، أو نعبر بالتمثيل؟

نقول: بالتمثيل أولى.

أولا: لأن القرآن عبر به: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] .. وما أشبه ذلك، وكل ما عبر به القرآن، فهو أولى

من غيره، لأننا لا نجد أفضل من القرآن، ولا أدل على المعنى المراد من القرآن، والله أعلم بما يريده من كلامه، فتكون موافقة القرآن هي الصواب، فنعبر بنفي التمثيل. وهكذا في كل مكان، فإن موافقة النص في اللفظ أولى من ذكر لفظ مرادف أو مقارب.

ثانيًا: أن التشبيه عند بعض الناس يعني إثبات الصفات، ولهذا يسمون أهل السنة: مشبهة، فإن قلنا: من غير تشبيه. وهذا الرجل لا يفهم من التشبيه إلا إثبات الصفات، صار كأننا نقول له: من غير إثبات صفات! فصار معنى التشبيه يوهم معنى فاسدًا؛ فلهذا كان العدول عنه أولى.

ثالثًا: أن نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح، لأن ما من شيئين من الأعيان أو من الصفات، إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه، والاشتراك نوع تشابه، فلو نفيت التشبيه مطلقًا، لكنت نفيت كل ما يشترك فيه الخالق والمخلوق في شيء ما.

مثلًا: الوجود، يشترك في أصله الخالق والمخلوق، هذا نوع اشتراك ونوع تشابه، لكن فرق بين الوجودين، وجود الخالق واجب، ووجود المخلوق ممكن.

وكذلك السمع، فيه اشتراك، الإنسان له سمع، والخالق له سمع، لكن بينهما فرق، لكن أصل وجود السمع مشترك.

فإذا قلنا: من غير تشبيه. ونفينا مطلق التشبيه، صار في هذا إشكال.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي الصفدية (١/٩٩):

والمقصود هنا التنبيه على مجامع الأقوال ومنشأ الضلال حيث أخذوا لفظ (التشبيه) بمعنى مشترك مجمل؛ فأرادوا نفيه بكل معنى من المعاني، ومن المعلوم أنه ما من موجودين، إلا وبينهما قدر يتفقان فيه، وإن كان المعنى الكلي المشترك وجوده في الأذهان، لا في الأعيان؛ فلا بد أن يكون بين أفراد الاسم العام الكلي نوع



من المشابهة باعتبار اتفاقهما في ذلك المعنى العام، وهذا موضع غلط فيه كثير من الناس في أحكام الأمور الكلية التي تشتبه فيها أعيانها:

منهم من يجعل الكلي ثابتًا في الخارج كليا، ومنهم من يقول: أفراده لم تتفق إلا في مجرد اللفظ، وهي مسألة الأحوال التي اضطرب فيها كثير من الناس.

والتحقيق: أنه لا بد من تشابه في الخارج، ومعنى كلي عام في الذهن من غير أن يكون في الخارج.

فيقال لهؤلاء: التشبيه الممتنع إنما هو مشابهة الخالق للمخلوق في شيء من خصائص المخلوق، أو أن يماثله في شيء من صفات الخالق؛ فإن الرب تعالى منزه عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق، أو أن يكون له مماثل في شيء من صفات كماله، وكذلك يمتنع أن يشاركه غيره في شيء من أموره بوجه من الوجوه، بل يمتنع أن يشترك مخلوقان في شيء موجود في الخارج، بل كل موجود في الخارج؛ فإنه مختص بذاته، وصفاته القائمة به لا يشاركه غيره فيها البتة.

وإذا قيل: هذان يشتركان في كذا. كان حقيقته أن هذا يشابه هذا في ذلك المعنى كما إذا قيل هذا الإنسان يشارك هذا في الإنسانية، أو يشارك هذا الحيوان في الحيوانية فمعناه: أنهما يتشابهان في ذلك المعنى، وإلا فنفس الإنسانية التي لزيد لا يشاركه فيها غيره، وإنما يشتركان في نوع الإنسانية المطلقة، لا في الإنسانية القائمة به.

والإنسانية المشتركة المطلقة هي في الأذهان، لا تكون في الأعيان مشتركة مطلقة فما هو موجود في الخارج، لا اشتراك فيه، وما وقع فيه الاشتراك هو الكلي المطلق الذي لا يكون كليا مطلقا إلا في الذهن؛ فإذا كان المخلوق لا يشاركه غيره فيما له من ذاته وصفاته وأفعاله، فالخالق أولى أن لا يشاركه غيره في شيء مما هو له تعالى، لكن

المخلوق قد يماثل المخلوق، ويكافئه ويساميه، والله سبحانه وتعالى ليس له كفؤ ولا مثيل، ولا سمي.

وليس مطلق الموافقة في بعض الأسماء والصفات الموجبة نوعا من المشابهة؛ تكون مقتضية للتماثل والتكافؤ، بل ذلك لازم لكل موجودين؛ فإنهما لا بد أن يتفقا في بعض الأسماء والصفات، ويشتبها من هذا الوجه، فمن نفى ما لا بد منه كان معطلا.

ومن جعل شيئا من صفات الله مماثلا لشيء من صفات المخلوقين كان ممثلا، والحق هو نفي التمثيل، ونفي التعطيل؛ فلا بد من إثبات صفات الكمال المستلزمة نفى التعطيل، ولا بد من إثبات اختصاصه بما له على وجه ينفي التمثيل، ولكن طائفة من الناس يجعلون التمثيل والتشبيه واحدًا، ويقولون: يمتنع أن يكون الشيء يشبه غيره من وجه ويخالفه من وجه، بل عندهم كل مختلفين كالسواد والبياض؛ فإنهما لم يشتبها من وجه، وكل مشتبهين كالأجسام عندهم يقولون بتماثلها؛ فإنها مماثلة عندهم من كل وجه، لا اختلاف بينهما إلا في أمور عارضة لها.

وهؤلاء يقولون كل من أثبت ما يستلزم التجسيم في اصطلاحهم فهو مشبه ممثل وهذه طريقة كثير من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية ومن وافقهم كالقاضي أبي يعلى في المعتمد وغيره وأما جمهور الناس فيقولون أن الشيء قد يشبه غيره من وجه دون وجه وهذا القول هو المنقول عن السلف والأئمة كالإمام أحمد وغيره ولهذا ينكر هؤلاء على من ينفي مشابهة الموجود للموجود من كل وجه ويقولون ما من موجودين إلا وأحدهما يشبه الآخر من بعض الوجوه.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٥/ ٣٥٠):

وَلَوْلَا أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى مُشْتَرَكٍ كُلِّيٍّ: يَقْتَضِي مِنْ الْمُوَاطَأَةِ وَالْمُوَافَقَةِ وَالْمُشَابَهَةِ[1] مَا بِهِ تُفْهَمُ، وَتُثْبَتُ هَذِهِ الْمَعَانِي لِلَّهِ؛ لَمْ نَكُنْ قَدْ عَرَفْنَا عَنْ اللهِ شَيْئًا، وَلَا صَارَ فِي قُلُوبِنَا إيمَانٌ بِهِ، وَلَا عِلْمٌ، وَلَا مَعْرِفَةٌ، وَلَا مَحَبَّةٌ، وَلَا إرَادَةٌ لِعِبَادَتِهِ، وَدُعَائِهِ وَسُؤَالِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَتَعْظِيمِهِ.

فَإِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمُورِ لَا تَكُونُ إلَّا مَعَ الْعِلْمِ، وَلَا يُمْكِنُ الْعِلْمُ إلَّا بِإِثْبَاتِ تِلْكَ الْمَعَانِي الَّتِي فِيهَا مِنْ الْمُوَافَقَةِ وَالْمُوَاطَأَةِ مَا بِهِ حَصَلَ لَنَا مَا حَصَلَ مِنْ الْعِلْمِ لِمَا غَابَ عَنْ شُهُودِنَا.

وَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ الشَّرِيفَةَ وَالْقَوَاعِدَ الْجَلِيلَةَ النَّافِعَةَ؛ حَصَلَ لَهُ مِنْ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، وَانْجَابَ عَنْهُ مِنْ الشُّبَهِ وَالضَّلَالِ وَالْحَيْرَةِ مِمَّا يَصِيرُ بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أَفْضَلِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، وَمِنْ سَادَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الْقَوْلَ فِي بَعْضِ (صِفَاتِ اللَّهِ)

---

(١) الأسماء المتواطئة، المراد بها: وَهِيَ أَسْمَاءُ الْأَجْنَاسِ اللُّغَوِيَّةِ، وَهُوَ الِاسْمُ الْمُطْلَقُ عَلَى الشَّيْءِ، وَعَلَى كُلِّ مَا أَشْبَهَهُ، سَوَاءٌ كَانَ اسْمَ عَيْنٍ، أَوْ اسْمَ صِفَةٍ جَامِدًا أَوْ مُشْتَقًّا، وَسَوَاءٌ كَانَ جِنْسًا مَنْطِقِيًّا أَوْ فِقْهِيًّا أَوْ لَمْ يَكُنْ. بَلْ اسْمُ الْجِنْسِ فِي اللُّغَةِ، يَدْخُلُ فِيهِ الْأَجْنَاسُ، وَالْأَصْنَافُ، وَالْأَنْوَاعُ وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَكُلُّهَا أَسْمَاءٌ مُتَوَاطِئَةٌ وَأَعْيَانُ مُسَمَّيَاتِهَا فِي الْخَارِجِ مُتَمَيِّزَةٌ.اهـ من "مجموع الفتاوى" (٣/ ١٩١).

والمعنى من ذلك: ما اتفق في اللفظ، واتفق في المعنى، واختلفت الأعيان، كلفظ (الإنسان)، و(الرجل)، و(العالم)، و(الكتاب). و(الرسول)، و(القاضي)، وما أشبه ذلك.

والأسماء المشتركة: هي الأسماء المشتركة في اللفظ، والمختلفة في المعنى، كلفظ: (العين).

وقال شيخ الإسلام (٢٠/ ٤٢٧): الْأَسْمَاءُ الْمُتَّفِقَةُ اللَّفْظُ قَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَّفِقًا، وَهِيَ الْمُتَوَاطِئَةُ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَبَايِنًا، وَهِيَ الْمُشْتَرَكَةُ اشْتِرَاكًا لَفْظِيًّا، كَلَفْظِ سُهَيْلٍ الْمَقُولِ عَلَى الْكَوْكَبِ وَعَلَى الرَّجُلِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَّفِقًا مِنْ وَجْهٍ، مُخْتَلِفًا مِنْ وَجْهٍ، فَهَذَا قِسْمٌ ثَالِثٌ، لَيْسَ هُوَ كَالْمُشْتَرَكِ اشْتِرَاكًا لَفْظِيًّا، وَلَا هُوَ كَالْمُتَّفِقَةِ الْمُتَوَاطِئَةِ؛ فَيَكُونُ بَيْنَهَا اتِّفَاقٌ هُوَ اشْتِرَاكٌ مَعْنَوِيٌّ مِنْ وَجْهٍ، وَافْتِرَاقٌ هُوَ اخْتِلَافٌ مَعْنَوِيٌّ مِنْ وَجْهٍ، وَلَكِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ إلَّا إذَا خُصَّ، كُلُّ لَفْظٍ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُخْتَصِّ.

كَالْقَوْلِ فِي سَائِرِهَا، وَأَنَّ الْقَوْلَ فِي صِفَاتِهِ كَالْقَوْلِ فِي (ذَاتِهِ)، وَأَنَّ مَنْ أَثْبَتَ صِفَةً دُونَ صِفَةٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مَعَ مُشَارَكَةِ أَحَدِهِمَا الْأُخْرَى فِيمَا بِهِ نَفَاهَا؛ كَانَ مُتَنَاقِضًا.

فَمَنْ نَفَى النُّزُولَ وَالِاسْتِوَاءَ أَوْ الرِّضَى وَالْغَضَبَ أَوْ الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ أَوْ اسْمَ الْعَلِيمِ أَوْ الْقَدِيرِ أَوْ اسْمَ الْمَوْجُودِ فِرَارًا بِزَعْمِهِ مِنْ تَشْبِيه وتَرْكِيبٍ وَتَجْسِيمٍ؛ فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ فِيمَا أَثْبَتَهُ نَظِيرُ مَا أَلْزَمَهُ لِغَيْرِهِ؛ فِيمَا نَفَاهُ هُوَ وَأَثْبَتَ الْمُثْبِتُ.

فَكُلُّ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى نَفْيِ النُّزُولِ وَالِاسْتِوَاءِ وَالرِّضَى وَالْغَضَبِ: يُمْكِنُ مُنَازِعَهُ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِنَظِيرِهِ عَلَى نَفْيِ الْإِرَادَةِ؛ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ.

وَكُلُّ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى نَفْيِ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ: يُمْكِنُ مُنَازِعَهُ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِنَظِيرِهِ عَلَى نَفْيِ الْعَلِيمِ وَالْقَدِيرِ وَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ.

وَكُلُّ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى نَفْيِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ: يُمْكِنُ مُنَازِعَهُ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى نَفْيِ الْمَوْجُودِ وَالْوَاجِبِ.

وَمِنْ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَوْجُودٍ قَدِيمٍ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ؛ فَإِنَّ الْمَوْجُودَ: إمَّا مُمْكِنٌ وَمُحْدَثٌ؛ وَإِمَّا وَاجِبٌ وَقَدِيمٌ. وَالْمُمْكِنُ الْمُحْدَثُ لَا يُوجَدُ إلَّا بِوَاجِبٍ قَدِيمٍ.

فَإِذَا كَانَ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْمَوْجُودِ الْوَاجِبِ الْقَدِيمِ، وَنَفْيُ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْمَوْجُودِ مُطْلَقًا؛ عُلِمَ أَنَّ مَنْ عَطَّلَ شَيْئًا مِنْ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ بِمِثْلِ هَذَا الدَّلِيلِ كَانَ قَوْلُهُ مُسْتَلْزِمًا تَعْطِيلَ الْمَوْجُودِ الْمَشْهُودِ.اهـ

الكلام على معنى الكاف في قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

قال الإمام العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (١/٢٠٨):

واعلم أن النحاة خاضوا خوضًا كثيرًا في قوله: ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾، حيث قالوا: الكاف داخلة على (المثل)، وظاهره أن لله مثلًا ليس له مثل، لأنه لم يقل: ليس كهو، بل قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾، فهذا ظاهرها من حيث المعنى، لكان ظاهر القرآن كفرًا، وهذا مستحيل، ولهذا اختلفت عبارات النحويين في تخريج هذه الآية على أقوال:

القول الأول: الكاف زائدة، وأن تقدير الكلام: ليس مثله شيء، وهذا القول مريح، وزيادة الحروف في النفي كثيرة، كَمَا فِي قوله: تعالى ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ [فاطر: ١١]، فيقولون: إن زيادة الحروف في اللغة العربية للتوكيد أمر مطرد.

والقول الثاني: قالوا العكس، قالوا: إن الزائد (مثل)، ويكون التقدير: ليس كهو شيء، لكن هذا ضعيف، يضعفه أن الزيادة في الأسماء في اللغة العربية قليلة جدًا أو نادرة، بخلاف الحروف، فإذا كنا لا بد أن نقول بالزيادة، فليكن الزائد الحرف، وهي الكاف.

والقول الثالث: أن (مثل) بمعنى: صفة، والمعنى: (ليس كصفته شيء)، وقالوا: إن المثل، والشبه، والشبه في اللغة العربية بمعنى واحد، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[محمد: ١٥]، أي: صفة الجنة، وهذا ليس ببعيد من الصواب.

القول الرابع: أنه ليس في الآية زيادة، لكن إذا قلت: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، لزم من ذلك نفي المثل، وإذا كان ليس للمثل مثل، صار الموجود واحدًا، وعلى هذا، فلا حاجة إلى أن نقدر شيئًا. قالوا: وهذا قد وجد في اللغة العربية، مثل قوله:

ليس كمثل الفتى زهير.

والحقيقة أن هذه البحوث لو لم تعرض لكم، لكان معنى الآية واضحًا، ومعناها: أن الله ليس له مثيل، لكن هذا وجد في الكتب، والراجح: أن نقول، إن الكاف زائدة لكن المعنى الأخير لمن تمكن من تصوره أجود.اهـ

قال أبو عبد الله ﵀: بل المعنى الأول هو الأجود، والأرجح، فالكاف زائدة من حيث الأعراب، وأما من حيث المعنى؛ فلا زيادة في كلام الله، بل هي صلة، وتوكيد.

مسألة: ما ورد عن بعض الأئمةكالإمام أحمد وابن قدامة: أن صفات الله تثبت بلا معنى، ما المراد به؟

قال ابن قدامة ﵀ في كتابه تحريم النظر في كتب الكلام (ص٣٩):

وَقَالَ حنبل: سَأَلت أَبَا عبد الله أَحْمد بن مُحَمَّد بن حَنْبَل ﵁ عَن هَذِه الْأَحَادِيث، الَّتِي تروي أَن الله تبَارك وَتَعَالَى يرى، وَأَنه ينزل إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا، وَأَنه يضع قدمه وَمَا أشبه ذَلِك.

فَقَالَ أَبُو عبد الله ﵁: نؤمن بهَا ونصدق بهَا، وَلَا نرد مِنْهَا شَيْئا إِذا كَانَت بأسانيد صِحَاح، وَلَا نرد على الرَّسُول ﷺ قَوْله.

ونعلم أَن مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول ﷺ حق، وَلَا يُوصف الله تَعَالَى بِأَكْثَر مِمَّا وصف بِهِ نَفسه، بِلَا حد، وَلَا غَايَة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

فَنَقُول كَمَا قَالَ، وَنصفه كَمَا وصف نَفسه، لَا نتعدى ذَلِك، وَلَا نزيل عَنهُ صفة من صِفَاته لشناعة شنعت.

نؤمن بِهَذِهِ الْأَحَادِيث ونقرها، ونمرها كَمَا جَاءَت بِلَا كَيفَ وَلَا معنى، على مَا وصف بِهِ نَفسه تبَارك وَتَعَالَى، وَهُوَ كَمَا وصف نَفسه سميع بَصِير، بِلَا حد وَلَا تَقْدِير، صِفَاته مِنْهُ وَله.

لَا نتعدى الْقُرْآن والْحَدِيث وَالْخَبَر، وَلَا نعلم كَيفَ ذَاك إِلَّا بِتَصْدِيق الرَّسُول ﷺ وتثبيت الْقُرْآن.

وَقَالَ أَبُو عبد الله: حَدثنَا وَكِيع يَوْمًا بِحَدِيث من هَذِه الْأَحَادِيث فاقشعر زَكَرِيَّاء بن عدي، فَقَالَ وَكِيع، وَغَضب: أدركنا الْأَعْمَش وسُفْيَان يحدثُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيث وَلَا يُنْكِرُونَهَا.

وَهَذَا مِمَّا لَا نعلم فِيهِ بَين سلفنا رَحِمهم الله اخْتِلَافا، وَالْمُنكر لَهُ إِمَّا جَاهِل أَو متجاهل، قَلِيل الدّين وَالْحيَاء، لَا يخَاف من الله تَعَالَى إِذا كذب، وَلَا يستحيي من النَّاس إِذا كذب.

وَنحن على طَرِيقَة سلفنا وجادة أَئِمَّتنَا وَسنة نَبينَا ﷺ، مَا أحدثنا قولا، وَلَا زِدْنَا زِيَادَة، بل آمنا بِمَا جَاءَ، وأمررناه كَمَا جَاءَ، وَقُلْنَا بِمَا قَالُوا، وسكتنا عَمَّا سكتوا عَنهُ، وسلكنا حَيْثُ سلكوا.اهـ

ونحوه في الإبانة لابن بطة:

قال أبو عبد الله: ونحن نؤمن بالأحاديث في هذا، ونقرها ونمرها كما جاءت بلا كيف ولا معنى، إلا على ما وصف به نفسه تعالى.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٧/ ٣٦٣):

ـ وهو ينقل عن بعض الحنابلة أنهم ـ ظَنُّوا أَنَّ مُرَادَهُ. أَنَّا لَا نَعْرِفُ مَعْنَاهَا. قال: وَكَلَامُ أَحْمَد صَرِيحٌ بِخِلَافِ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَقَدْ بَيَّنَ أَنَّهُ إنَّمَا يُنْكِرُ تَأْوِيلَاتِ الجَهْمِيَّة وَنَحْوِهِمْ؛ الَّذِينَ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ وَصَنَّفَ كِتَابَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى

الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ فِيمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَتَأَوَّلَتْهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ مُرَادِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

وَهُمْ إِذَا تَأَوَّلُوهُ يَقُولُونَ: مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ كَذَا، وَالْمُكَيِّفُونَ يُثْبِتُونَ كَيْفِيَّةً. يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ عَلِمُوا كَيْفِيَّةَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ.

فَنَفَى أَحْمَد قَوْلَ هَؤُلَاءِ وَقَوْلَ هَؤُلَاءِ: قَوْلَ الْمُكَيِّفَةِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الكَيْفِيَّةَ، وَقَوْلَ الْمُحَرِّفَةِ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ مَعْنَاهُ كَذَا وَكَذَا.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي الصواعق المرسلة (٣/٩٢٤):

وَأَمَّا تَأْوِيلُ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَهُوَ نَفْسُ الْحَقِيقَةِ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهَا، ذَلِكَ فِي حَقِّ اللهِ هُوَ كُنْهُ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ، وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ وَرَبِيعَةُ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّا لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ تَفْسِيرَهُ وَمَعْنَاهُ.

وَقَدْ فَسَّرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ الْآيَاتِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا الْجَهْمِيَّةُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَقَالَ: إِنَّهُمْ تَأَوَّلُوهَا عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهَا، وَبَيَّنَ مَعْنَاهَا، وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ، وَعَلِمُوا الْمُرَادَ بِآيَاتِ الصِّفَاتِ كَمَا عَلِمُوا الْمُرَادَ مِنْ آيَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا الْكَيْفِيَّةَ، كَمَا عَلِمُوا مَعَانِيَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا حَقِيقَةَ كُنْهِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ.

فَمَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، بِهَذَا الْمَعْنَى، فَهُوَ حَقٌّ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ تَفْسِيرُهُ وَبَيَانُ الْمُرَادِ مِنْهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ غَلَطٌ،

وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَجُمْهُورُ الْأُمَّةِ عَلَى خِلَافِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا(١).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مَا فِي كِتَابِ اللهِ آيَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ(٢). وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَا أَرَادَ بِهَا.

وَقَالَ مَسْرُوقٌ: مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّ عِلْمَنَا قَصرَ عَنْهُ(٣). وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا وَفِي كِتَابِ اللهِ بَيَانُهَا.

والمقصود أن من ادعى معارضة العقل للسمع لا بد له أن يسلك أحد هذه المسالك الأربعة الباطلة وأسلمها هذا المسلك الرابع وقد علمت بطلانه وإنما كان أقل بطلانا لأنه لا يتضمن الخبر الكاذب على الله ورسوله؛ فإن صاحبه يقول لا أفهم من هذه النصوص شيئا، ولا أعرف المراد بها، وأصحاب تلك المسالك تتضمن أقوالهم تكذيب الله ورسوله، أو الإخبار عن النصوص بالتكذيب وبالله التوفيق.اهـ

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٥٩)، وابن جرير (١/ ٨٥)، والدارمي (١١٦) من طرق عن مُحَمَّد بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا». وهذا إسناد حسن؛ إن سلم من تدليس ابن إسحاق؛ فقد عنعن.

ولكن أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٥٩) من وجه آخر، فقال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ ، عَن شِبْلٍ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَن مُجَاهِدٍ ، قَالَ : عَرَضْت الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ. وهذا إسناد صحيح. وشبل هو ابن عباد المكي القارىء، وهو ثقة.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٠٢)، ومسلم برقم (٢٤٦٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص٩٦): حَدَّثَنِي أَبُو نُعَيْم، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ، عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، قَالَ: «مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ عِلْمُنَا قَصَّرَ عَنْهُ». وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله رجال الشيخين.

وأخرجه الخطيب في الفقية والمتفقه (١/ ١٩٧) من طريق علي بن عبد العزيز البغوي، عن أبي نعيم به.

وفي كتاب لقاءات الباب المفتوح للإمام العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نصه:

السؤال: ما معنى قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث النزول، وأحاديث الرؤية وغيرها: نؤمن بها، ونصدق بها بلا كيف ولا معنى ، ولا نرد شيئًا منها؟

الجواب: أما قوله: (بلا كيف)، أي: لا نكيفه، لا نقول: ينزل على صفة كذا وكذا؛ لأن الكيف مجهول.

وأما قوله: (ولا معنى)، فقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مراده بذلك: معنى أهل التأويل الذين يؤولونها، أي: أننا لا نأتي لها بمعنى يخالف ظاهرها، وهذا حق، يعني: ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مراد الإمام أحمد صحيح بلا شك؛ لأن الإمام أحمد كغيره من أهل السنة يؤمنون بالمعاني التي تدل عليها هذه الكلمات.اهـ

قلت: ويدل على ذلك ما اشتهر عن الإمام أحمد من إنكاره على المفوضة، وتبديعهم، وكذلك ما اشتهر عنه من إثبات معاني الصفات، ونفي معرفة الكيفية.

ومن إثبات الإمام أحمد للمعاني ما رواه عبدوس بن مالك العطار، عن أحمد أنه قال: ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها؛ لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يقال: لم ولا كيف، إنما هو التصديق والإيمان بها.

ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله؛ فقد كُفِي ذلك، وأُحكِم له فعليه بالإيمان به والتسليم له مثل حديث الصادق المصدوق، وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها. أخرجه اللالكائي (٣١٧) وإسناده صحيح.

كيفية دلالة النصوص على الصفات.

نثبت صفات الله عز وجل من كتاب ربنا، ومن سنة نبينا ﷺ، وقد دلت النصوص على صفاته جل وعلا من عدة أوجه:

فتارة بذكر الاسم المشتمل على الصفة، كالسميع، البصير، العليم، القدير، العزيز، الحكيم.

وتارة بذكر المصدر، وهو الوصف الذي اشتقت منه تلك الصفة، كقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾. [الذاريات: ٥٨]. وقوله ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤]. وقوله ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[ص:٨٢]. وقوله في الحديث الصحيح: «**حجابه النور لو كشفه؛ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» وقوله في دعاء الاستخارة: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك**» وقوله: «**أسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق**» وقول عائشة: «**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات**» ونحوه.

وتارة يكون بذكر حكم تلك الصفة كقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة:١]. و﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦]، وقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات:٢٣]. وقوله ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧] ونظائر ذلك. انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٣٢١-٣٢٣).

أيهما أشر التأويل أم التعطيل؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة (١/٢٩٦):

التأويل شر من التعطيل فإنه يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص وإساءة الظن بها؛ فإن المعطل والمؤول قد اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصفات، وامتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص، وانتهاكه لحرمتها، وإساءة الظن بها، ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال، **فجمعوا بين أربعة محاذير:**

الأول: اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله المحال الباطل ففهموا التشبيه أولا ثم انتقلوا عنه إلى:

المحذور الثاني: وهو التعطيل فعطلوا حقائقها بناء منهم على ذلك الفهم الذي يليق بهم، ولا يليق بالرب جل جلاله.

المحذور الثالث: نسبة المتكلم الكامل العلم، الكامل البيان التام النصح إلى ضد البيان والهدى والإرشاد، وإن المتحيرين المتهوكين أجادوا العبارة في هذا الباب وعبروا بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص، ولا ريب عند كل عاقل أن ذلك يتضمن أنهم كانوا أعلم منه أو أفصح أو أنصح للناس.

المحذور الرابع: تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها.انتهى المراد.

فصل في ذكر بعض القواعد المهمة في الأسماء والصفات

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (١/ ١٥٩):

فائدة جليلة:

ما يجري صفةً أو خبرًا على الرب تبارك وتعالى أقسامٌ:

أحدها: ما يرجعُ إلى نفس الذات؟ كقولك: ذات، وموجود، وشيء.

الثاني: ما يرجعُ إلى صفاتٍ معنويةٍ، كالعليم، والقدير، والسميع.

الثالث: ما يرجعُ إلى أفعاله؛ نحو: الخالق، والرزاق.

الرابع: ما يرجعُ إلى التنزيه المحض. ولابد من تضمنه ثبوتًا؛ إذ لا كمال في العدم المحض؟ كالقدوس السلام.

الخامس: ولم يذكره أكثرُ الناس، وهو الاسم الدال على جملة أوصافٍ عديدةٍ لا تختصُ بصفةٍ معينةٍ، بل هو دالٌ على معانٍ، لا على معنى مفردٍ؛ نحو: (المجيد، العظيم الصمد)، فإنَّ المجيد من اتصف بصفاتٍ متعددةٍ من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا، فإنَّه موضوعٌ للسعة، والكثرة، والزيادة، ومنه قولهم: (استمجد المَرْخُ والعَفارُ)[1]، و(أمجد الناقة علفًا)، ومنه ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ صفة للعرش؛ لسعته وعظمه وشرفه.

---

(١) قال الأزهري في "تهذيب اللغة" (١٠/ ٦٨٣): ومن أمثال العرب: في كل الشجر نار، واستمجد المَرْخُ والعَفارُ؛ أي: استكثرا من النار فصلحا للاقتداح بهما.اهـ والمَرْخُ: شجر سريع الوري، والعَفارُ: شجر يتخذ منه الزِّناد.

وتأمل كيف جاء هذا الاسمُ مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه ﷺ؛ لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء، وكثرته، ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه؛ كما تقول: (اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)، ولا يحسن (إنك أنت السميع البصير)، فهو راجعٌ إلى المتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه.

ومنه الحديث الذي في المسند و الترمذي: «**أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام**»[1] ومنه: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان بديعُ السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**»[2].

فهذا سؤالٌ له، وتوسلٌ إليه بحمده، وأنه الذي لا إله إلا هو المنان، فهو توسلٌ إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعًا عند المسئول، وهذا بابٌ عظيمُ من أبواب التوحيد أشرنا إليه إشارةً، وقد فتح لمن بصره الله.

ولنرجع إلى المقصود، وهو وصفه تعالى بالاسم المتضمن لصفاتٍ عديدةٍ، فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال، وكذلك الصمد، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو السيد الذي كمل في سؤدده[3]. وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده. وقال عكرمة: الذي ليس فوقه أحد.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٥٩٦) عن ربيعة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٥٧٠، و) وأبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، وابن ماجه (٣٨٥٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث صحيح، له عدد من الطرق، بعضها حسن لذاته.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم في تفسير سورة الإخلاص، وأبو الشيخ في "العظمة" (٩٦) من طريق أبي صَالِحٍ، قَالَ: ثني مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢] يَقُولُ: «**السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدَدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ عَظُمَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهُ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي**=

وكذلك قال الزجاج: الذى ينتهي إليه السؤدد؛ فقد صمد له كل شيء.

وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أنَّ الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم، وأمورهم، واشتقاقه يدل على هذا، فإنَّه من الجمع والقصد، فهو الذي اجتمع القصد نحوه، واجتمعت فيه صفات السؤدد، وهذا أصله في اللغة كما قال:

أَلاَ بَكَّرَ النـاعِي بِخَـيْرَيْ بَـنِي أُسَـدْ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّـمَدْ

والعرب تسمي أشرافها بالصمد؛ لاجتماع قصد القاصدين إليه، واجتماع صفات السيادة فيه.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدرٌ زائدٌ على مفرديهما؛ نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة، والأسماء المزدوجة في القرآن.

فإنَّ الغني صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغني مع الحمد كمال آخر، فله ثناءٌ من غناه، وثناءٌ من حمده، وثناءٌ من اجتماعهما.

وكذلك العفو القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنَّه من أشرف المعارف.

وأما صفات السلب المحض؛ فلا تدخل في أوصافه تعالى؛ إلا أن تكون متضمنةً لثبوتٍ؛ كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية، والإلهية، والسلام المتضمن لبراءته من كل نقص يضاد كماله، وكذلك الإخبار عنه بالسلوب، إنما هو لتضمنها ثبوتًا كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾؛ فإنَّه متضمنٌ لكمال حياته وقيوميته، وكذلك قوله

= جَبَرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ صِفَتُهُ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ».

تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ متضمنٌ لكمال قدرته، وكذلك قوله: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ﴾ متضمنٌ لكمال علمه، وكذلك قوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾﴾ متضمنٌ لكمال صمديته وغناه، وكذلك قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤] متضمنٌ لتفرده بكماله، وأنه لا نظير له، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ متضمنٌ لعظمته، وأنَّه جلَّ عن أن يُدرك بحيث يحاط به، وهذا مطردٌ في كلِّ ما وصف به نفسه من السلوب.

ويجب أن تعلم هنا أمور:

أحدها: أنَّ ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته؟ كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنَّه يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثاني: أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص؛ لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد، والفاعل، والصانع، فإنَّ هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه؛ ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفعَّالُ لما يريد؛ فإنَّ الإرادة والفعل والصنع منقسمةٌ؛ ولهذا إنَّما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلًا وخبرًا.

الثالث: أنَّه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يشتق له منه اسمٌ مطلقٌ كما غلط فيه بعضُ المتأخرين؛ فجعل من أسمائه الحسنى: المضل الفاتن الماكر، تعالى الله عن قوله، فإنَّ هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعالٌ مخصوصةٌ معينةٌ؛ فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة، واللَّه أعلم.

الرابع: أنَّ أسماءَه الحسنى هي أعلامٌ وأوصافٌ، والوصفُ بها لا يُنافي العَلَمِيَة، بخلاف أوصاف العباد؛ فإنَّها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركةٌ؛ فنافتها العلميةُ المختصةُ بخلاف أوصافه تعالى.

الخامس: أنَّ الاسم من أسمائه. له دلالات:

- دلالة على الذات والصفة بالمطابقة.
- ودلالة على أحدهما بالتضمن.
- ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم.

السادس: أنَّ أسماءَه الحسنى لها اعتباران:

- اعتبار من حيث الذاتُ.
- واعتبار من حيث الصفاتُ.

فهي بالاعتبار الأول مترادفةٌ، وبالاعتبار الثاني متباينةٌ.

السابع: أنّ ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفيٌ، وما يطلق عليه في باب الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيًا؛ كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه.

فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه: هل هي توقيفيةٌ، أو يجوز أن يطلق عليه منها بعضُ ما لم يرد به السمع.

الثامن: أنَّ الاسم إذا أطلق عليه جاز أنْ يشتق منه المصدر، والفعل فيخبر به عنه فعلًا ومصدرًا؛ نحو: السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك؛ نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ٢٣﴾، هذا إنْ كان الفعل متعديًا، فإنْ كان لازمًا لم يخبر عنه به نحو: الحي، بل يطلق عليه الاسم والمصدر، دون الفعل، فلا يقال: حيي.

التاسع: أن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماءُ المخلوقين صادرةٌ عن أفعالهم، فالرب تبارك وتعالى فِعاله عن كماله، والمخلوق كماله عن فعاله، فاشتقت له الأسماء بعد أنْ كمل بالفعل، فالرب لم يزل كاملًا فحصلت أفعاله عن كماله؟ لأَنَّه كاملٌ بذاته وصفاته، فأفعاله صادرةٌ عن كماله؛ كَمُلَ ففعل، والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به.

العاشر: إحصاءُ الأسماء الحسنى والعلمُ بها أصلٌ للعلم بكل معلوم، فإنَّ المعلومات سواه إمَّا أن تكون خلقًا له تعالى أو أمرًا، إمَّا علمٌ بما كونه، أو علمٌ بما شرعه. ومصدرُ الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمرُ كلُّه مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كلُّه حسنٌ، لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كلُّه مصلحةٌ وحكمةٌ ورحمةٌ ولطفٌ وإحسانٌ، إذ مصدرهُ أسماؤه الحسنى، وفعله كلُّه لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنى؛ فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلًا ولا سدى ولا عبثًا، وكما أَنَّ كل موجودٍ سواه؛ فبإيجاده فوجود من سواه تابعٌ لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلمُ به أصلٌ للعلم بكل ما سواه.

فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصلٌ لسائر العلوم؛ فمن أحصى أسماءَه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميعَ العلوم، إذ إحصاءُ أسمائه أصلٌ لإحصاء كلِّ معلوم؛ لأنَّ المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطةٌ بها.

وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى؛ ولهذا لا تجد فيها خللًا ولا تفاوتًا؛ لأنَّ الخلل الواقع فيما يأمرُ في العبد أو يفعله؛ إمَّا أنْ يكون لجهله به، أو

لعدم حكمته. وأمَّا الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خللٌ ولا تفاوتٌ ولا تناقضٌ.

الحادي عشر: أنَّ أسماءه كلَّها حسنى، ليس فيها اسمٌ غير ذلك أصلًا، وقد تقدم أنَّ من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل؛ نحو الخالق والرازق والمحيي والمميت، وهذا يدل على أنَّ أفعاله كلَّها خيراتٌ محضةٌ لا شر فيها؛ لأنَّه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلُّها حسنى، وهذا باطلٌ، فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته، ولا يلحق ذاته، فلا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يضاف إليه فعلًا ولا وصفًا، وإنَّما يدخل في مفعولاته.

وفرقٌ بين الفعل والمفعول، فالشر قائمٌ بمفعوله المباين له، لا بفعله الذي هو فعله، فتأمل هذا؛ فإنه خفي على كثير من المتكلمين، وزلت فيه أقدامٌ وضلت فيه أفهامٌ، وهدى اللَّه أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الثاني عشر: في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاءُ ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهمُ معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناءٍ وعبادةٍ. والثاني: دعاء طلب ومسألة.

فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلًا إليه بذلك الاسم.

ومن تأمل أدعية الرسل، ولاسيما خاتمهم وإمامهم -صلوات الله وسلامه عليهم- وجدها مطابقةً لهذا.

وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله، فإنَّها ليست بعبارةٍ سديدةٍ، وهي منتزعةٌ من قول الفلاسفة: الفلسفة التشبه بالإله على قدر الطاقة، وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن بَرَّجان، وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال.

فمراتبها أربعة: أشدها إنكارًا عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال: التخلق، وأحسن منها عبارة من قال التعبد، وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن.

الثالث عشر: اختلف النُظَّار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد؛ كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك ونحوها، فقالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقةٌ في العبد مجازٌ في الرب. وهذا قول غلاة الجهمية، وهو أخبث الأقوال وأشدها فسادًا.

الثاني: مقابلُهُ، وهو أَنَّها حقيقةٌ في الرب مجازٌ في العبد، وهذا قول أبي العباس الناشئ.

الثالث: أَنَّها حقيقة فيهما، وهذا قول أهل السنة، وهو الصواب.

واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به.

وليس هذا موضع التعرض لمأخذ هذه الأقوال وإبطال باطلها وتصحيح صحيحها، فإِنَّ الغرض الإشارةُ إلى أمورٍ ينبغي معرفتها في هذا الباب، ولو كان المقصود بسطها لاستدعت سفرين أو أكثر.

الرابع عشر: أن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاثُ اعتباراتٍ:

- اعتبارٌ من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد.

- الاعتبار الثاني: اعتباره مضافا إلى الرب مختصًا به.

- الثالث: اعتباره مضافًا إلى العبد مقيدًا به.

فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتًا للرب والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله وللعبد منه ما يليق به.

وهذا كاسم السميع الذي يلزمه إدراك المسموعات والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم والقدير وسائر الأسماء، فإِنَّ شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها.

فما لزم هذه الأسماء لذاتها؛ فإثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه، بل يثبت له على وجه لا يماثِلُ فيه خَلْقَهُ، ولا يشابِهُهُم.

فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه وجحد صفات كماله.

ومن أثبته له على وجهٍ يماثل فيه خلقه؛ فقد شبهه بخلقه، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر.

ومن أثبته له على وجهٍ لا يماثل فيه خلقه، بل كما يليق بجلاله وعظمته؛ فقد برئ من فرث التشبيه، ودم التعطيل، وهذا طريق أهل السنة.

وما لزم الصفةَ لإضافتها إلى العبد؛ وجب نفيه عن الله، كما يلزمُ حياة العبد من النومِ والسِنةِ والحاجةِ إلى الغذاءِ ونحو ذلك، وكذلك ما يلزمُ إرادته من حركة نفسه في

جلب ما ينتفع به، ودفع ما يتضرر به، وكذلك ما يلزمُ علوه من احتياجه إلى ما هو عالٍ عليه وكونه محمولًا به مفتقرًا إليه محاطًا به. كلُّ هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى.

وما لزم صفة من جهة اختصاصهِ تعالى بها؛ فإنَّه لا يَثْبُتُ للمخلوق بوجه كعلمه الذي يلزمه القِدَمُ والوجوبُ والإحاطةُ بكل معلومٍ، وقدرتهِ، وإرادتهِ، وسائر صفاته. فإنَّ ما يختصُ به منها لا يمكنُ إثباتُهُ للمخلوق.

فإذا أحطتَ بهذه القاعدة خُبرًا وعَقَلْتَها كما ينبغي خلصتَ من الآفتين اللتين هما أصل بلاءِ المتكلمين: آفةِ التعطيل وآفةِ التشبيه، فإنَّك إذا وفيت هذا المقامَ حقه من التصور أثبت لله الأسماء الحسنى والصفاتِ العلى حقيقةً؛ فخلصت من التعطيل، ونفيت عنها خصائص المخلوقين ومشابهتهم؛ فخلصت من التشبيه، فتدبر هذا الموضع واجعله آخيَّتَكَ[1] التي ترجعُ إليها في هذا الباب، والله الموفق للصواب.

الخامس عشر: أنَّ الصفة متى قامت بموصوفٍ لزمها أمورٌ أربعةٌ: أمران لفظيان، وأمران معنويان.

فاللفظيان: **ثبوتي وسلبي**، **فالثبوتي:** أنْ يشتق للموصوف منها اسمٌ. **والسلبي:** أنْ يمتنع الاشتقاق لغيره.

والمعنويان: **ثبوتي وسلبي**؛ **فالثبوتي:** أنْ يعود حكمها إلى الموصوف، ويخبر بها عنه. **والسلبي:** أنْ لا يعود حكمها إلى غيره، ولا يكون خبرًا عنه.

وهي قاعدةٌ عظيمةٌ في معرفة الأسماء والصفات، فلنذكر من ذلك مثالًا واحدًا وهو صفةُ الكلام. فإنَّها إذا قامت بمحل كان هو المتكلم دون من لم تقم به، وأُخبر عنه بها وعاد حكمها إليه دون غيره، فيقال: قال، وأمر، ونهى، ونادى، وناجى، وأخبر،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

وخاطب، وتكلم، وكلم، ونحو ذلك، وامتنعت هذه الأحكامُ لغيره؛ فيستدل بهذه الأحكام والأسماء على قيام الصفة به، وسلبها عن غيره على عدم قيامها به، وهذا هو أصل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية وهو من أصح الأصول طردًا وعكسًا.

السادس عشر: أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصرٍ، ولا تحد بعددٍ، فإنَّ للَّه تعالى أسماءً وصفاتٍ استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، كَمَا فِي الحديث الصحيح: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**».

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

- قسم سمى به نفسه؛ فأظهره لمن شاء من ملائكته، أو غيرهم ولم ينزل به كتابه.
- وقسم أنزل به كتابه، فتعرف به إلى عباده.
- وقسم استأثر به في علم غيبه؛ فلم يُطلع عليه أحدًا من خلقه؛ ولهذا قال: «**استأثرت به**» أي: انفردت بعلمه، وليس المرادُ انفرادَهُ بالتسمي به؛ لأنَّ هذا الانفراد ثابتٌ في الأسماء التي أنزل بها كتابه.

ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «**فيفتح عليَّ من محامده بما لا أحسنه الآن**»، وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته. ومنه. قوله ﷺ «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».

وأما قوله ﷺ: «**إنَّ للَّه تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**» فالكلام جملةٌ واحدةٌ، وقوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» صفة لا خبرٌ مستقلٌ.

والمعنى له أسماءٌ متعددةٌ من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أنَّ يكون له أسماءٌ غيرها، وهذا كما تقول: لفلان مائةُ مملوكٍ قد أعدهم للجهاد؛ فلا

ينفي هذا أنْ يكون له مماليكُ سواهم معدين لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه.

السابع عشر: إنَّ أسماءَه تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا، ومقترنًا بغيره، وهو غالب الأسماء؛ كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم، وهذا يسوغ أنْ يدعا به مفردًا ومقترنًا بغيره، فتقول: يا عزيز يا حليم، يا غفور يا رحيم، وأنْ يفرد كل اسم. وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه به يسوغ لك الإفرادُ والجمعُ.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقرونًا بمقابله؛ كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله؛ فإنَّه مقرونٌ بالمعطي والنافع والعفو.

فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنَّه يراد به أنَّه المنفردُ بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاءً ومنعًا، ونفعًا وضرًا، وعفوًا وانتقامًا. وأمَّا أنْ يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ.

فهذه الأسماءُ المزدوجةُ تجري الأسماءُ منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصلُ بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد؛ ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه. فلو قلت: يا مذل يا ضار يا مانع وأخبرت بذلك لم تكن مثنيًا عليه، ولا حامدًا له حتى تذكر مقابلها.

الثامن عشر: أنَّ الصفات ثلاثةُ أنواع: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالًا ولا نقصًا، وإن كانت القسمةُ التقديرية تقتضي قسمًا رابعًا وهو ما يكون كمالًا ونقصًا باعتبارين.

والرب تعالى منزهٌ عن الأقسام الثلاثة، وموصوفٌ بالقسم الأول، وصفاتُهُ كلُّها صفاتُ كمالٍ محضٍ فهو موصوفُ من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله.

وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملُها، فليس في الأسماء أحسنُ منها، ولا يقوم غيرُها مقامها، ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرًا بمرادفٍ محضٍ، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم.

وإذا عرفت هذا فله سبحانه من كلِّ صفةٍ كمالٍ، أحسنُ اسمٍ وأكملُهُ وأتمُهُ معنى وأبعدُه وأنزهُه عن شائبة عيبٍ أو نقصٍ، فله من صفة الإدراكات: العليم الخبير، دون العاقل الفقيه، والسميع البصير، دون السامع والباصر والناظر، ومن صفات الإحسان: البر الرحيم الودود، دون الرقيق والشفوق ونحوهما، وكذلك العلي العظيم، دون الرفيع[1] الشريف، وكذلك الكريم دون السخي، والخالق الباريء المصور، دون الفاعل الصانع المشكل، والغفور العفو، دون الصفوح الساتر.

وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها، وما لا يقوم غيرُهُ مقامه.

فتأمل ذلك؛ فأسماؤه أحسن الأسماء، كما أنَّ صفاته أكمل الصفات؛ فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره، كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون.

التاسع عشر: إنَّ من أسمائه الحسنى ما يكون دالًا على عدة صفات، ويكون ذلك الاسمُ متناولًا لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها كما تقدم بيانه؛ كاسمه (العظيم، والمجيد، والصمد)؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره: الصمد: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم

---

(١) ورد هذا الاسم مضافًا، كما في قوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ [غافر: ١٥].

الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده، وهو الله سبحانه. هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفوًا أحد، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار. هذا لفظه.

وهذا مما خفي على كثيرٍ ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى ففسر الاسم بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم، فمن لم يحط بهذا علمًا بخس الاسم الأعظم حقه، وهضمه معناه، فتدبره.

العشرون: وهي الجامعةُ لما تقدم من الوجوه، وهو معرفة الإلحاد في أسمائه حتى لا يقع فيه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها. وهو مأخوذٌ من الميل كما يدل عليه مادته(ل ح د) فمنه: اللحد، وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه: الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل. قال ابن السكيت: الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه. ومنه: الملتحد، وهو مفتعل من ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: من تعدل إليه، وتهرب إليه، وتلتجئ إليه، وتبتهل إليه؛ فتميل إليه عن غيره. تقول العرب: التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه.

إذا عرفت هذا فالإلحاد في أسمائه أنواعٌ:

أحدها: أنْ يسمى الأصنام بها؛ كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا. وهذا إلحاد حقيقة فإنَّهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو علةً فاعلةً بالطبع، ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص؛ كقول أخبث اليهود: إنَّه فقير، وقولهم: إنَّه استراح بعد أنْ خلق خلقه. وقولهم: يد الله مغلولة. وأمثال ذلك مما هو إلحادٌ في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنَّها ألفاظٌ مجردةٌ لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا وشرعًا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإنَّ أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها؛ فكلاهما ملحدٌ في أسمائه.

ثم الجهمية وفروخُهُم متفاوتون في هذا الإلحاد؛ فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب. وكل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله؛ فقد ألحد في ذلك؛ فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوًا كبيرًا، فهذا الإلحاد في مقابله إلحاد المعطلة فإنَّ أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه.

وبرَّأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله؛ فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه، ﷺ، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظًا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات

ونفوا عنه مشابهة المخلوقات؛ فكان إثباتهم بريًا من التشبيه، وتنزيههم خليًا من التعطيل، لا كمن شبه حتى كأنَّه يعبد صنمًا أو عطل حتى كأنَّه لا يعبد إلا عدمًا.

وأهل السنة وسط في النحل، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾.

فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره، ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته، ومتابعة رسوله إنه قريبٌ مجيبٌ.

فهده عشرون فائدةً مضافةً إلى القاعدة التي بدأنا بها في أقسام ما يوصفُ به الربُ تبارك وتعالى، فعليك بمعرفتها ومراعاتها ثم اشرح الأسماء الحسنى إنْ وجدت قلبًا عاقلًا ولسانًا قائلًا ومحلًا قابلًا، وإلا فالسكوت أولى بك فجَنَابُ الربوبية أجلُّ وأعزُّ مما يخطر بالبال أو يعبر عنه المقال: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ حتى ينتهي العلم إلى من أحاط بكل شيء علمًا.

وعسى الله أنْ يعين بفضله على تعليق شرح الأسماء الحسنى[1] مراعيًا فيه أحكام هذه القواعد بريئًا من الإلحاد في أسمائه وتعطيل صفاته فهو المانُ بفضله، واللَّه ذو الفضل العظيم. انتهى

هل يسمَّى الله عز وجل بما لم يرد في الكتاب والسنة تسميته به ، ومعناه صحيح؟

وَالنَّاسُ مُتَنَازِعُونَ: هَلْ يُسَمَّى اللَّهُ بِمَا صَحَّ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ وَالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بِإِطْلَاقِهِ نَصٌّ وَلَا إجْمَاعٌ، أَمْ لَا يُطْلَقُ إلَّا مَا أَطْلَقَ نَصٌّ أَوْ إجْمَاعٌ عَلَى قَوْلَيْنِ

(١) وقد صنع ذلك ابن القيم رحمه الله، فقد ذكر ابن رجب وغيره ضمن مؤلفات ابن القيم كتاب "شرح الأسماء الحسنى" نسأل الله أن ييسر بطبعه ونشره.

مَشْهُورَيْنِ. وَعَامَّةُ النُّظَّارِ يُطْلِقُونَ مَا لَا نَصَّ فِي إِطْلَاقِهِ، وَلَا إِجْمَاعَ كَلَفْظِ الْقَدِيمِ وَالذَّاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي يُدْعَى بِهَا، وَبَيْنَ مَا يُخْبَرُ بِهِ عَنْهُ لِلْحَاجَةِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يُدْعَى بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كَمَا قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾

وَأَمَّا إِذَا احْتِيجَ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْهُ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ هُوَ بِقَدِيمِ وَلَا مَوْجُودٍ وَلَا ذَاتٍ قَائِمَةٍ بِنَفْسِهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَقِيلَ فِي تَحْقِيقِ الْإِثْبَاتِ: بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ قَدِيمٌ مَوْجُودٌ وَهُوَ ذَاتٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا. وَقِيلَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ. فَقِيلَ: بَلْ هُوَ شَيْءٌ؛ فَهَذَا سَائِغٌ.

وَإِنْ كَانَ لَا يُدْعَى بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَدْحِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: يَا شَيْءُ إِذْ كَانَ هَذَا لَفْظًا يَعُمُّ كُلَّ مَوْجُودٍ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ (ذَاتٌ وَمَوْجُودٌ) وَنَحْوُ ذَلِكَ.

إِلَّا إِذَا سَمَّى بِالْمَوْجُودِ الَّذِي يَجِدُهُ مَنْ طَلَبَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ فَهَذَا أَخَصُّ مِنَ الْمَوْجُودِ الَّذِي يَعُمُّ الْخَالِقَ وَالْمَخْلُوقَ.اهـ

ما ضابط الإخبار عن الله عز وجل؟

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مجموع الفتاوى (٦/١٤٢):

وَأَمَّا الإِخْبَارُ عَنْهُ: فَلَا يَكُونُ بِاسْمِ سَيِّئٍ؛ لَكِنْ قَدْ يَكُونُ بِاسْمِ حَسَنٍ أَوْ بِاسْمِ لَيْسَ بِسَيِّئٍ، وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْ بِحُسْنِهِ. مِثْلَ اسْمِ: شَيْءٍ وَذَاتٍ وَمَوْجُودٍ؛ إِذَا أُرِيدَ بِهِ الثَّابِتُ وَأَمَّا إِذَا أُرِيدَ بِهِ الْمَوْجُودُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فَهُوَ مِنْ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى، وَكَذَلِكَ المُرِيدُ وَالْمُتَكَلِّمُ؛ فَإِنَّ الإِرَادَةَ وَالْكَلَامَ تَنْقَسِمُ إِلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ؛ فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى، بِخِلَافِ الحَكِيمِ وَالرَّحِيمِ وَالصَّادِقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَحْمُودًا.

وَهَكَذَا كَمَا فِي حَقِّ الرَّسُولِ حَيْثُ قَالَ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: (يَا رَسُولَ الله، يَا نَبِيَّ اللَّهِ) كَمَا خَاطَبَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ لَا يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، يَا أَحْمَد، يَا أَبَا القَاسِمِ، وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ فِي الإِخْبَارِ -كَالْأَذَانِ وَنَحْوِهِ-: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ وَقَالَ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُخَاطِبْ مُحَمَّدًا إِلَّا بِنَعْتِ التَّشْرِيفِ: كَالرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ وَالْمُزَّمِّلِ وَالْمُدَّثِّرِ؛ وَخَاطَبَ سَائِرَ الأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ، مَعَ أَنَّهُ فِي مَقَامِ الإِخْبَارِ عَنْهُ قَدْ يَذْكُرُ اسْمَهُ.

فَقَدْ فَرَّقَ سُبْحَانَهُ بَيْنَ حَالَتَيْ الخِطَابِ والإخبار فِي حَقِّ الرَّسُولِ، وَأَمَرَنَا بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا فِي حَقِّهِ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ المُعْتَادُ فِي عُقُولِ النَّاسِ إِذَا خَاطَبُوا الأَكَابِرَ مِنْ الأُمَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ وَالرُّؤَسَاءِ لَمْ يُخَاطِبُوهُمْ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَّا بِاسْمِ حَسَنٍ؛ وَإِنْ كَانَ فِي حَالِ الخَبَرِ عَنْ أَحَدِهِمْ يُقَالُ: هُوَ إِنْسَانٌ وَحَيَوَانٌ نَاطِقٌ وَجِسْمٌ وَمُحْدَثٌ وَمَخْلُوقٌ وَمَرْبُوبٌ وَمَصْنُوعٌ وَابْنُ أُنْثَى وَيَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ.

لَكِنَّ كُلَّ مَا يُذْكَرُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فِي حَالِ الإِخْبَارِ عَنْهُ: يُدْعَى بِهِ فِي حَالِ مُنَاجَاتِهِ وَمُخَاطَبَتِهِ؛ وَإِنْ كَانَتْ أَسْمَاءُ المَخْلُوقِ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى نَقْصِهِ، وَحُدُوثِهِ وَأَسْمَاءُ الله لَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى نَقْصٍ وَلَا حُدُوثٍ؛ بَلْ فِيهَا الأَحْسَنُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الكَمَالِ وَهِيَ الَّتِي يُدْعَى بِهَا؛ وَإِنْ كَانَ إِذَا أُخْبِرَ عَنْهُ يُخْبَرُ بِاسْمِ حَسَنٍ أَوْ بِاسْمِ لَا يَنْفِي الحَسَنَ وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَسَنًا.

وَأَمَّا فِي الأَسْمَاءِ المَأْثُورَةِ؛ فَمَا مِنْ اسْمٍ إِلَّا وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى حَسَنٍ؛ فَيَنْبَغِي تَدَبُّرُ هَذَا لِلدُّعَاءِ وَلِلْخَبَرِ المَأْثُورِ، وَغَيْرِ المَأْثُورِ الَّذِي قِيلَ لِضَرُورَةِ حُدُوثِ المُخَالِفِينَ

- لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَالْخَبَرِ وَبَيْنَ المَأْثُورِ الَّذِي يُقَالُ - أَوْ تَعْرِيفِهِمْ لِمَا لَمْ يَكُونُوا بِهِ عَارِفِينَ وَحِينَئِذٍ؛ فَلَيْسَ كُلُّ اسْمٍ ذُكِرَ فِي مَقَامٍ يُذْكَرُ فِي مَقَامٍ بَلْ يَجِبُ التَّفْرِيقُ.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩٨):

فالفرق بين مقام المخاطبة، ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل، وبه يظهر الفرق بين ما يدعى الله به من الأسماء الحسنى، وبين ما يخبر به عنه وجل مما هو حق ثابت، لإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال، ونفي ما تنزه عنه عز وجل من العيوب والنقائص، فإنه الملك القدوس السلام، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] مع قوله: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، ولا يقال في الدعاء: يا شيء.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٩/ ٣٠٠):

وَالنَّاسُ مُتَنَازِعُونَ: هَلْ يُسَمَّى اللَّهُ بِمَا صَحَّ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ وَالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بِإِطْلَاقِهِ نَصٌّ وَلَا إجْمَاعٌ أَمْ لَا يُطْلَقُ إلَّا مَا أَطْلَقَ نَصٌّ أَوْ إجْمَاعٌ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ.

وَعَامَّةُ النُّظَّارِ يُطْلِقُونَ مَا لَا نَصَّ فِي إطْلَاقِهِ وَلَا إجْمَاعَ كَلَفْظِ الْقَدِيمِ وَالذَّاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي يُدْعَى بِهَا، وَبَيْنَ مَا يُخْبَرُ بِهِ عَنْهُ لِلْحَاجَةِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ إنَّمَا يُدْعَى بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، كَمَا قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾.

وَأَمَّا إِذَا احْتِيجَ إِلَى الإِخْبَارِ عَنْهُ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ هُوَ بِقَدِيمٍ وَلَا مَوْجُودٍ وَلَا ذَاتٍ قَائِمَةٍ بِنَفْسِهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَقِيلَ فِي تَحْقِيقِ الإِثْبَاتِ: بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ قَدِيمٌ مَوْجُودٌ وَهُوَ ذَاتٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا. وَقِيلَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ. فَقِيلَ: بَلْ هُوَ شَيْءٌ.

فَهَذَا سَائِغٌ وَإِنْ كَانَ لَا يُدْعَى بِمِثْلِ هَذِهِ الأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى المَدْحِ كَقَوْلِ القَائِلِ: يَا شَيْءُ؛ إِذْ كَانَ هَذَا لَفْظًا يَعُمُّ كُلَّ مَوْجُودٍ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ: (ذَاتٌ وَمَوْجُودٌ) وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ إِلَّا إِذَا سَمَّى بِالْمَوْجُودِ الَّذِي يَجِدُهُ مَنْ طَلَبَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ فَهَذَا أَخَصُّ مِنْ المَوْجُودِ الَّذِي يَعُمُّ الخَالِقَ وَالْمَخْلُوقَ.اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الصحيح (٧/٥):

وذلك أن المسلمين في أسماء الله تعالى على طريقتين؛ فكثير منهم يقول: إن أسماءه سمعية شرعية؛ فلا يسمى إلا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة؛ فإن هذه عبادة والعبادات مبناها على التوفيق والاتباع.

ومنهم من يقول: ما صح معناه في اللغة، وكان معناه ثابتا له لم يحرم تسميته به فإن الشارع لم يحرم علينا ذلك؛ فيكون عفوا.

والصواب القول الثالث: وهو أن يفرق بين أن يدعى بالأسماء، أو يخبر بها عنه فإذا دعي لم يدع إلا بالأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

وأما الإخبار عنه، فهو بحسب الحاجة، فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلى أن تترجم أسماؤه بغير العربية، أو يعبر عنه باسم له معنى صحيح؛ لم يكن ذلك محرما.اهـ

قال أبو عبد الله: وقد جاء في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ الإخبار عن الله بما ليس من أسمائه، وصفاته:

فمن ذلك قوله جل وعلا: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، ومن ذلك قوله ﷺ: «**لا شيء أغير من الله تعالى**» متفق عليه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ**» أخرجه مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وفي كلام أهل العلم من السلف والأئمة الشيء الكثير مما يخبر به عن الله مما ثبت معناه، ولم يثبت بلفظه.

قاعدة متعلقة بما يكون من الأسماء الحسنى، وما لا يكون من الأسماء الحسنى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل (١/ ١٣١):

فهنا ألفاظ، وهي فاعل وعامل ومكتسب وكاسب وصانع ومحدث وجاعل ومؤثر ومنشئ وموجد وخالق وبارئ ومصور وقادر ومريد، **وهذه الألفاظ ثلاثة أقسام:**

قسم لم يطلق إلا على الرب سبحانه، كالبارئ والبديع والمبدع.

وقسم لا يطلق إلا على العبد كالكاسب والمكتسب.

وقسم وقع إطلاقه على الرب والعبد، كاسم صانع وفاعل وعامل ومنشئ ومريد وقادر.

وأما الخالق والمصور؛ فإن استعملا مطلقين غير مقيدين؛ لم يطلقا إلا على الرب، كقوله الخالق البارئ المصور.

وإن استعملا مقيدين أطلقا على العبد، كما يقال لمن قدر شيئا في نفسه: إنه خلقه قال الشاعر:

ولأنــــت تفـــــري مــــا خلقــــت　　　وبعـض القـوم يخلـق ثـم لا يفـري

أي لك قدرة تمضي، وتنفذ بها ما قدرته في نفسك، وغيرك يقدر أشياء، وهو عاجز عن انفاذها وإمضائها، وبهذا الاعتبار صح إطلاق خالق على العبد في قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ أي أحسن المصورين والمقدرين، والعرب تقول: قدرت الأديم، وخلقته. إذا قسته؛ لتقطع منه مزاده أو قربه ونحوها.

قال مجاهد: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين. وقال الليث: رجل خالق أي صانع. وهن الخالقات للنساء. وقال مقاتل: يقول تعالى هو أحسن خلقا من الذين يخلقون التماثيل، وغيرها التي لا يتحرك منها شيء.

وأما البارئ فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه؛ فإنه الذي برأ الخليقة وأوجدها بعد عدمها، والعبد لا تتعلق قدرته بذلك؛ إذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى وبراه، وتغييرها من حال إلى حال على وجه مخصوص لا تتعداه قدرته، وليس من هذا بريت القلم؛ لأنه معتل لا مهموز، ولا برأت من المرض؛ لأنه فعل لازم غير متعد.

وكذلك مبدع الشيء وبديعه، لا يصح إطلاقه إلا على الرب، كقوله بديع السماوات والأرض. والإبداع إيجاد المبدَع على غير مثال سبق. والعبد يسمى مبتدعًا؛ لكونه أحدث قولا لم تمض به سنة، ثم يقال لمن اتبعه عليه مبتدع أيضا.

وأما لفظ (الموجد)؛ فلم يقع في أسمائه سبحانه، وإن كان هو الموجد على الحقيقة، ووقع في أسمائه الواجد وهو بمعنى الغنى الذي له الوجد.

ثم قال: وكذلك لفظ (المؤثر) لم يرد إطلاقه في أسماء الرب، وقد وقع اطلاق الأثر والتأثر! على فعل العبد قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما أثروا من خير أو شر؛ فسمى ذلك آثارا لحصوله بتأثيرهم.

ومن العجب: أن المتكلمين يمتنعون من اطلاق التأثير والمؤثر على من أُطلق عليه في القرآن والسنة كما قال النبي ﷺ لبني سلمة: «**دياركم تكتب آثاركم**» أي الزموا دياركم.

ويخصونه بمن لم يقع اطلاقه عليه في كتاب ولا سنة، وإن استعمل في حقه الإيثار والاستئثار، كما قال أخوة يوسف: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ وفي الأثر: «**إذا استأثر الله بشيء فَالْهُ عَنْهُ**»(١)، وقال الناظم:

استأثر الله بالثناء وبالحمد ... وولى الملامة الرجلا

ولما كان التأثير تفعيلا من أثرت في كذا تأثيرًا، فأنا مؤثر لم يمتنع اطلاقه على العبد. قال في الصحاح: التأثير إبقاء الأثر في الشيء.

وأما لفظ (الصانع) فلم يرد في أسماء الرب سبحانه، ولا يمكن ورودها؛ فإن الصانع من صنع شيئا، عدلًا كان أو ظلمًا، سفهًا أو حكمة، جائزًا أو غير جائز.

وما انقسم مسماه إلى مدح وذم؛ لم يجئ اسمه (المطلق) في الأسماء الحسنى كالفاعل، والعامل والصانع، والمريد، والمتكلم؛ لانقسام معاني هذه الأسماء إلى محمود ومذموم بخلاف العالم والقادر والحي والسميع والبصير، وقد سمي النبي ﷺ العبد صانعا.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/ ١٥٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي إسناده عبد الله بن جعفر المديني، وهو ضعيف.

قال البخاري: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ عَنْ رِبْعِي بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ**»(١).

وقد أطلق سبحانه على فعله اسم الصنع، فقال: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، وهو منصوب على المصدر؛ لأن قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ يدل على الصنعة، وقيل: هو نصب على المفعولية. أي: انظروا صنع الله. فعلى الأول: يكون صنع الله مصدرًا بمعنى الفعل، وعلى الثاني يكون بمعنى المصنوع المفعول؛ فإنه الذي يمكن وقوع النظر والرؤية عليه.

وأما (الإنشاء) فإنما وقع إطلاقه عليه سبحانه فعلا كقوله ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ وقوله: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ وقوله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ وهو كثير، ولم يرد لفظ (المنشئ).

وأما العبد فيطلق عليه الإنشاء باعتبار آخر وهو شروعه في الفعل وابتداؤه له يقول أنشأ يحدثنا، وأنشأ السير، فهو منشئ لذلك وهذا انشاء، وأنشأ مقيد، وإنشاء الرب إنشاء مطلق، وهذه اللفظة تدور على معنى الابتداء، أنشأه الله أي ابتدأ خلقه وأنشأ يفعل كذا ابتداء وفلان ينشئ الأحاديث أي يبتدئ وضعها والناشئ أول ما ينشأ من السحاب. قال الجوهري: وناشئة الليل أول ساعاته. قلت: هذا قد قاله غير واحد من السلف: إن ناشئة الليل أوله التي منها ينشأ الليل.

والصحيح أنها لا تختص بالساعة الأولى، بل هي ساعاته ناشئة بعد ناشئة كلما انقضت ساعة نشأت بعدها أخرى. وقال أبو عبيدة: ناشئة الليل ساعاته وآناؤه ناشئة بعد ناشئة. قال الزجاج: ناشئة الليل كلما نشأ منه أي حدث منه؛ فهو ناشئة.

---

(١) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٣٥٧)، وإسناده صحيح.

قال ابن قتيبة: هي آناء الليل وساعاته مأخوذة من نشأت تنشأ نشأ أي ابتدأت وأقبلت شيئا بعد شيء وأنشأها الله فنشأت. والمعنى: أن ساعات الليل الناشئة.

ثم قال: والمقصود أن الإنشاء ابتداء سواء تقدمه مثله كالنشأة الثانية أو لم يتقدمه كالنشأة الأولى.

وأما (الجعل) فقد أطلق على الله سبحانه بمعنيين أحدهما الإيجاد والخلق. والثاني التصيير؛ فالأول يتعدى إلى مفعول كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ والثاني أكثر ما يتعدى إلى مفعولين كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ وأطلق على العبد بالمعنى الثاني خاصة كقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ وغالب ما يستعمل في حق العبد في جعل التسمية والاعتقاد حيث لا يكون له صنع في المجعول كقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ وهذا يتعدى إلى واحد وهو جعل اعتقاد وتسمية.

وأما (الفعل والعمل) فإطلاقه على العبد كثير ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وأطلقه على نفسه فعلا واسما فالأول كقوله: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ والثاني كقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وقوله: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ في موضعين من كتابه: أحدهما قوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ والثاني قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ فتأمل قوله ﴿كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ في هذين الموضعين المتضمن للصنع العجيب الخارج عن العادة كيف تجده كالدليل على ما أخبر به، وأنه لا يستعصي على الفاعل حقيقة. أي: شأننا الفعل، كما لا يخفى الجهر والإسرار بالقول على من شأنه العلم والخبرة، ولا تصعب المغفرة

على من شأنه أن يغفر الذنوب، ولا الرزق على من شأنه أن يرزق العباد، وقد وقع الزجاج على هذا المعنى بعينه فقال ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ قادرين على فعل ما نشاء.اهـ

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مدراج السالكين (٤١٥/٣):

وأما (الواجد) في أسمائه سبحانه، فهو بمعنى ذو الوجد والغنى، وهو ضد الفاقد، وهو كالموسع ذي السعة.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: ذوو سعة وقدرة وملك كما قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ ودخل في أسمائه سبحانه (الواجد) دون الموجد، فإن الموجد صفة فعل، وهو معطي الوجود كالمحيي معطي الحياة، وهذا الفعل لم يجيء إطلاقه في أفعال الله في الكتاب ولا في السنة؛ فلا يعرف إطلاق: (أوجد الله كذا وكذا)، وإنما الذي جاء خلقه، وبرأه، وصوره، وأعطاه خلقه، ونحو ذلك.

فلما لم يكن يستعمل فعله لم يجيء اسم الفاعل منه في أسمائه الحسنى، فإن الفعل أوسع من الاسم. ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالا لم يتسم منها بأسماء الفاعل، كأراد وشاء، وأحدث، ولم يسم بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسم نفسه بالصانع، والفاعل، والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسمًا، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف؛ فسماه: (الماكر والمخادع والفاتن والكائد)، ونحو ذلك. وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛ فإنه يخبر عنه بأنه شيء، وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد، ولا يسمى بذلك.

فأما (الواجد) فلم تجيء تسميته به إلا في حديث تعداد الأسماء الحسنى، والصحيح أنه ليس من كلام النبي ﷺ، ومعناه صحيح؛ فإنه ذو الوجد والغنى؛ فهو أولى بأن يسمى به من الموجود، ومن الموجد.

أما الموجود فإنه منقسم إلى كامل وناقص، وخير وشر، وما كان مسماه منقسمًا؛ لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى، كالشيء والمعلوم، ولذلك لم يسم بالمريد، ولا بالمتكلم، وإن كان له الإرادة والكلام لانقسام مسمى المريد والمتكلم.

وأما الموجد؛ فقد سمى نفسه بأكمل أنواعه، وهو (الخالق البارئ المصور) فالموجد: (كالمحدث والفاعل والصانع)

وهذا من دقيق فقه الأسماء الحسنى فتأمله، وبالله التوفيق.اهـ

أقسام الناس المنحرفين عن طريقة السلف في صفات الله ونصوص الكتاب والسنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي الفتوى الحموية (ص٢٧٧):

وأما المنحرفون عن طريقهم -يعني: طريقة السلف- فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف.

فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، إنما هو تخييل للحقائق؛ لينتفع به الجمهور، لا أنه بَيَّنَ به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق. **ثم هم على قسمين**:

منهم من يقول: إن الرسول ﷺ لم يعلم الحقائق على ما هي عليه. ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر

من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة، وباطنية الصوفية.

ومن منهم من يقول: بل الرسول عَلِمَها لكن لم يُبيِّنها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فَهْمَ ما يناقضها، لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد. فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال: فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.

وأما أهل التأويل: فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول ﷺ أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دَلَّهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم، وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته، وهذا قول المتكلمة، والمعتزلة، ومن دخل معهم في شيء من ذلك.

والذين قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا -الفتوى الحموية- هم هؤلاء، إذ كان نفور الناس عن الأَوَّلين مشهورًا، بخلاف هؤلاء، فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا، ولكن أولئك

الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد نظير ما ادعوه في نصوص الصفات، فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمنا الشُّبَه المانعة منه.

وأهل السنة يقولون لهؤلاء: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد.

ويقولون لهم: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات، فإنه لم ينكر شيئًا منها أحد من العرب.

فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، وكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به.

وأيضًا: فقد عُلم أنه ﷺ قد ذمَّ أهل الكتاب على ما حرَّفوه وبدَّلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما حرف وبدل لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبًا منهم وتصديقًا؟، ولم يَعِبْهُم قط بما تعيب النفاةُ لأهل الإثبات، مثل: لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك، بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة:٦٤].

وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾[آل عمران:١٨١]، وقولهم: استراح لما خلق السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق:٣٨]، والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كَمَا فِي القرآن. فإذا جاز أن نتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان، فتأويل المعاد الذي

انفرد به أحدهما أولى، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أنه باطل فالأول أولى بالبطلان.

وأما الصنف الثالث: وهم أهل التجهيل: فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف. يقولون: إن الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداءً، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه.

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، فإنه وقف كثير من السلف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهو وقف صحيح لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعمله، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى، هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.

فإن التأويل يراد به ثلاث معان:

فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك.

فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلًا على اصطلاح هؤلاء، وظنوا أن مراد الله بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلًا مخالف لمدلولها لا يعلمه إلا الله، أو يعلمه المتأولون.

ثم كثير من هؤلاء يقولون: تجرى على ظاهرها، فظاهرها مراد. مع قولهم: إن لها تأويلًا بهذا المعنى، لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

والمعنى الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام، سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ كما نقل ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة وغيرهم.

وكلا القولين حق باعتبار، كما قد بسطناه في مواضع أُخَر، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا، وكلاهما حق.

والمعنى الثالث: أن التأويل: هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠] . وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] .

وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله.

فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول) فالاستواء معلوم يعلم معناه وتفسيره، ويترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وهذا كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧]، وقال النبي ﷺ: «**يقول الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عَيْن رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَر على قَلْب بَشَر**»(١).

وكذلك عِلْم الساعة، ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة (٤١٨/٢):

الفصل الثامن عشر: في انقسام الناس في نصوص الوحي إلى **أصحاب تأويل، وأصحاب تخييل، وأصحاب تجهيل، وأصحاب تمثيل، وأصحاب سواء السبيل:**

هذه خمسة أصناف انقسم الناس إليها في هذا الباب بحسب اعتقادهم ما أريد بالنصوص

الصنف الأول: أصحاب التأويل: وهم أشد الأصناف اضطرابا؛ إذ لم يثبت لهم قدم في الفرق بين ما يُتأول، وما لا يُتأول، ولا ضابط مطرد منعكس، تجب مراعاته وتمنع مخالفته، بخلاف سائر الفرق؛ فإنهم جروا على ضابط واحد، وإن كان فيهم من هو أشد خطأ من أصحاب التأويل، كما سنذكره:

الصنف الثاني: أصحاب التخييل: وهم الذين اعتقدوا أن الرسل لم تفصح للخلق بالحقائق؛ إذ ليس في قواهم إدراكها، وإنما خيلت لهم، وأبرزت المعقول في صورة المحسوس.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم برقم (٢٨٢٥) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

قالوا: ولو دعت الرسل أممهم إلى الإقرار برب، لا داخل العالم ولا خارجه، ولا محايثا له، ولا مباينا له، ولا متصلا به، ولا منفصلا عنه، ولا فوقه، ولا تحته، ولا عن يمينه، ولا عن يساره؛ لنفرت عقولهم من ذلك، ولم تصدق بإمكان وجود هذا الموجود؛ فضلا عن وجوب وجوده.

وكذلك لو أخبروهم بحقيقة كلامه، وأنه فيض فاض من المبدأ الأول على العقل الفعال، ثم فاض من ذلك العقل على النفس الناطقة الزكية المستعدة؛ لم يفهموا ذلك.

ولو أخبروهم عن المعاد الروحاني بما هو عليه؛ لم يفهموه، فقربوا لهم الحقائق المعقولة في إبرازها في الصور المحسوسة، وضربوا لهم الأمثال بقيام الأجساد من القبور في يوم العرض والنشور، ومصيرها إلى جنة فيها أكل وشرب، ولحم وخمر وجوار حسان، أو نار فيها أنواع العذاب؛ تفهيما للذة الروحانية بهذه الصورة، والألم الروحاني بهذه الصورة.

وهكذا فعلوا في وجود الرب وصفاته وأفعاله، ضربوا لهم الأمثال بموجود عظيم جدًا أكبر من كل موجود، وله سرير عظيم، وهو مستو فوق سريره يسمع ويبصر ويتكلم ويأمر وينهى ويرضى ويغضب ويأتي ويجيء وينزل، وله يدان ووجه، ويفعل بمشيئته وإرادته، وإذا تكلم العباد سمع كلامهم، وإذا تحركوا رأى حركاتهم، وإذا هجس في قلب أحد منهم هاجس علمه، وأنه ينزل كل ليلة إليهم إلى سمائهم هذه، فيقول: من يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له. إلى غير ذلك مما نطقت به الكتب الإلهية.

قالوا: ولا يحل لأحد أن يتأول ذلك على خلاف ظاهره للجمهور؛ لأنه يفسد ما وضعت له الشرائع والكتب الإلهية.

وأما الخاصة؛ فهم يعلمون أن هذه أمثال مضروبة لأمور عقلية تعجز عن إدراكها عقول الجمهور؛ فتأويلها جناية على الشريعة والحكمة. وإقرارها إقرار للشريعة والحكمة. قالوا: وعقول الجمهور بالنسبة إلى هذه الحقائق أضعف من عقول الصبيان بالنسبة إلى ما يدركه عقلاء الرجال، وأهل الحكمة منهم والحكيم إذا أراد أن يخوف الصغير، أو يبسط أمله خوفه ورجَّاه بما يناسب فهمه وطبعه.

وحقيقة الأمر: عند هذه الطائفة أن الذي أخبرت به الرسل عن الله وصفاته وأفعاله، وعن اليوم الآخر، لا حقيقة له يطابق ما أخبروا به، ولكنه أمثال وتخييل وتفهيم بضرب الأمثال، وقد ساعدهم أرباب التأويل على هذا المقصد في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته، وصرحوا في ذلك بمعنى ما صرح به هؤلاء في باب المعاد وحشر الأجساد، بل نقلوا كلماتهم بعينها إلى نصوص الاستواء والفوقية ونصوص الصفات الخبرية، لكن هؤلاء أوجبوا أو سوغوا تأويلها بما يخرجها عن حقائقها وظواهرها، وظنوا أن الرسل قصدت ذلك من المخاطبين تعريضا لهم إلى الثواب الجزيل ببذل الجهد في تأويلها، أو استخراج معان تليق بها، وحملها عليها وأولئك حرموا التأويل، ورأوه عائدًا على ما قصدته الأنبياء بالإبطال، والطائفتان متفقتان على انتفاء حقائقها المفهومة منها في نفس الأمر.

والصنف الثالث: أصحاب التجهيل: الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرؤها ألفاظًا، لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلا لا يعلمه إلا الله، وهي عندنا بمنزلة: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١] و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى:١]، و﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف:١].

فلو ورد علينا منها ما ورد؛ لم نعتقد فيه تمثيلا، ولا تشبيها، ولم نعرف معناه وننكر على من تأوله، ونكل علمه إلى الله، وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف، وأنهم لم يكونوا

يعرفون حقائق الأسماء والصفات، ولا يفهمون معنى قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]. وقوله ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، وأمثال ذلك من نصوص الصفات. وبنوا هذا المذهب على أصلين:

أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه.

والثاني: أن للمتشابه تأويلًا، لا يعلمه إلا الله.

فنتج من هذين الأصلين استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنهم كانوا يقرؤون: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] و﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦]. ويروون «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا**» ولا يعرفون معنى ذلك، ولا ما أريد به، ولازم قولهم: أن الرسول ﷺ كان يتكلم بذلك، ولا يعلم معناه، ثم تناقضوا أقبح تناقض، فقالوا: تجري على ظواهرها، وتأويلها مما يخالف الظواهر باطل، ومع ذلك؛ فلها تأويل لا يعلمه إلا الله؛ فكيف يثبتون لها تأويلا، ويقولون: تجرى على ظواهرها، ويقولون: الظاهر منها غير مراد، والرب منفرد بعلم تأويلها، وهل في التناقض أقبح من هذا.

وهؤلاء غلطوا في المتشابه، وفي جعل هذه النصوص من المتشابه، وفي كون المتشابه لا يعلم معناه إلا الله، فأخطأوا في المقدمات الثلاث، واضطرهم إلى هذا التخلص من تأويلات المبطلين، وتحريفات المعطلين، وسدوا على نفوسهم الباب، وقالوا: لا نرضى بالخطأ، ولا وصول لنا إلى الصواب، فهؤلاء تركوا التدبر المأمور به، والتذكر والعقل لمعاني النصوص الذي هو أساس الإيمان، وعمود اليقين، وأعرضوا عنه بقلوبهم، وتعبدوا بالألفاظ المجردة، التي أنزلت في ذلك، وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبد بها، دون تعقل معانيها، وتدبرها والتفكر فيها.

فأولئك جعلوها عرضة للتأويل والتحريف، كما جعلها أصحاب التخييل أمثالا، لا حقيقة لها، وقابلهم:

الصنف الرابع: وهم أصحاب التشبيه والتمثيل؛ ففهموا منها مثل ما للمخلوقين، وظنوا أن لا حقيقة لها سوى ذلك، وقالوا: محال أن يخاطبنا الله سبحانه بما لا نعقله، ثم يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة:٧٣]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]. ونظائر ذلك وهؤلاء هم المشبهة

فهذه الفرق لا تزال تبدع بعضهم بعضا، وتضلله وتجهله، وقد تصادمت كما ترى، فهم كزمرة من العميان، تلاقوا فتصادموا، كما قال أعمى البصر والبصيرة منهم:

ونظيري في العلم مثلي أعمى ... فترانا في حندس نتصادم

وهدى الله **أصحاب سواء السبيل** للطريقة المثلى، فلم يتلوثوا بشيء من أوضار هذه الفرق وأدناسها، وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، خرج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين، والمجهلين والمشبهين، كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين.

وقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تشبيه، ولا تمثيل، بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل، ولا نؤول، ولا نمثل، ولا نجهل، ولا نقول: ليس لله يدان ولا وجه ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا قدرة ولا استوى على عرشه، ولا نقول له يدان كأيدي المخلوق، ووجه كوجوههم وسمع وبصر وحياة وقدرة واستوى كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم، بل نقول: له ذات حقيقة ليست كالذوات، وله صفات حقيقة لا مجازا ليست كصفات المخلوقين، وكذلك قولنا في

وجهه تبارك وتعالى ويديه وسمعه وبصره وكلامه واستوائه، ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها، كما لم يمنع ذلك من أثبت لله شيئا من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها؛ فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر؛ أثبتهما حقيقة، وفهم معناهما؛ فهكذا سائر صفاته المقدسة، يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها؛ فإن الله سبحانه لم يكلف عباده بذلك، ولا أراده منهم، ولم يجعل لهم إليه سبيلا، بل كثير من مخلوقاته، أو أكثرها لم يجعل لهم سبيلا إلى معرفة كنهه وكيفيته، وهذه أرواحهم التي هي أدنى إليهم من كل دان، قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها، وجعل لهم السبيل إلى معرفتها، والتمييز بينها، وبين أرواح البهائم، وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة، وما في الجنة والنار فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان، وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كيفيته وكنهه فلا يشك المسلمون أن في الجنة أنهارًا من خمر وأنهارًا من عسل وأنهارًا من لبن، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته؛ إذ كانوا لا يعرفون في الدنيا الخمر إلا ما اعتصر من الأعناب، والعسل إلا ما قذفت به النحل في بيوتها، واللبن إلا ما خرج من الضروع، والحرير إلا ما خرج من فم دود القز.

وقد فهموا معاني ذلك في الجنة من غير أن يكون مماثلا لما في الدنيا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء[1].

---

(١) **صحيح**: رواه وكيع في "نسخته عن الأعمش"، رقم (١)، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به. وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثقات.

وأخرجه هناد في "الزهد" رقم (٣، و٨) عن وكيع، عن الأعمش به.

وأخرجه ابن جرير في تفسير [البقرة: ٢٥]، وابن أبي حاتم في "تفسيره" [البقرة: ٢٥]، (٢٦١)، وأبو نعيم في "صفة الجنة" رقم (١٢٤)، والبيهقي في "البعث والنشور" رقم (٣٣٢) من طرق عن الأعمش به.

ولفظه عندهم جميعًا: «لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ، مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ»

ولم يمنعهم عدم النظير في الدنيا من فهم ما أخبروا به من ذلك؛ فهكذا الأسماء والصفات لم يمنعهم انتفاء نظيرها في الدنيا ومثالها من فهم حقائقها ومعانيها، بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها، وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها، وهذا هو المثل الأعلى الذي أثبته سبحانه لنفسه في ثلاثة مواضع من القرآن:

أحدها: قوله ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠].

الثاني: قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٧].

الثالث: قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]اهـ

بيان طريقة الجهمية في الأسماء والصفات.

الجهمية: منسوبون إلى جهم بن صفوان (ت١٢٨هـ)، وهو أول من شهر القول بنفي الصفات؛ فنسبت الفرقة إليه.

وقد أخذ الجهم طريقته من شيخه الجعد بن درهم، وهو أول من أظهر القول بنفي صفات الله عز وجل.

ويقال: إن الجعد بن درهم أخذ مقالته من بيان بن سمعان، وبيان أخذها من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وطالوت أخذها من خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ.

وقد قتل الجعدَ بن درهم خالدُ بن عبد الله القسري، وكان عاملًا لبني أمية على الكوفة، وضحى به في يوم الأضحى[1].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٢/ ٣٥٠):

فَأَنْكَرَتْ الجَهْمِيَّةُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ أَوْ يَقُولُ أَوْ يُحِبُّ أَوْ يُبْغِضُ، وَأَنْكَرُوا سَائِرِ صِفَاتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ، فَأَنْكَرُوا بَعْضَ حَقِيقَةِ الرِّسَالَةِ الَّتِي هِيَ كَلَامُ الله وَأَنْكَرُوا بَعْضَ مَا فِي الرِّسَالَةِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ.

وَأَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ ذَلِكَ فِي الإِسْلَامِ - وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَوْجُودًا قَبْلَ الإِسْلَامِ فِي أُمَمٍ أُخْرَى - الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ شَيْخُ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، وَكَانَ عَلَى مَا قِيلَ مِنْ أَهْلِ حَرَّانَ، وَكَانَ فِيهِمْ أَئِمَّةُ الفَلَاسِفَةِ، وَمِنْهُمْ تَعَلَّمَ أَبُو نَصْرٍ الفَارَابِيُّ كَثِيرًا مِمَّا تَعَلَّمَ مِنْ الفَلْسَفَةِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنُ يُوسُفَ البَغْدَادِيُّ، فَضَحَّى بِالْجَعْدِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الله

---

(١) اشتهرت هذه القصة في السِّيَر والتواريخ، وأما من حيث الأسانيد فلها إسنادان لا يثبتان:

أحدهما: ما رواه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٣)، و"التاريخ" (١/ ٦٤)، والدارمي في "الرد على الجهمية" (ص١٧، ١٨٢)، و"الرد على المريسي" (ص١١٨)، والخلال في "السنة" (١٦٩٠)، والآجري في "الشريعة" (٦٩٤) (٢٠٧٢)، واللالكائي (٥١٢)، والبيهقي في "الكبرى" (١٠/ ٢٥-٢٠٦)، وفي "الأسماء والصفات" (٥٦٣)، والخطيب في "التاريخ" (١٢/ ٤٢٥)، كلهم من طريق: القاسم بن محمد المعمري، عن عبدالرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جده، قال: شهدت خالد بن عبدالله القسري...، فذكر القصة. وهذا إسناد ضعيف؛ فإنَّ عبدالرحمن مجهول لا يعرف، وكذلك أبوه محمد بن حبيب مجهول أيضًا كما في "الميزان"، وجده حبيب بن أبي حبيب هو الجرمي البصري، فيه لين.

الثاني: أخرجه ابن أبي حاتم كما في "العلو للعلي العظيم" (٣٣٠) ط/ الوطن، عن عيسى بن أبي عمران الرملي، نا أيوب بن سويد، عن السري بن يحيى، قال: خطبنا خالد القسري...، فذكره. وهذا إسناد شديد الضعف؛ فإن عيسى الرملي قال فيه أبو حاتم: غير صدوق. وأيوب بن سويد الرملي قال ابن معين فيه: ليس بشيء، يسرق الأحاديث. وقال النسائي: ليس بثقة. وضعفه آخرون.

القَسْرِيُّ بِوَاسِطِ عَلَى عَهْدِ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ، وَهُمْ بَقَايَا التَّابِعِينَ فِي وَقْتِهِ: مِثْلُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ الَّذِينَ حَمِدُوهُ عَلَى مَا فَعَلَ، وَشَكَرُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ؛ فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ؛ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الجَعْدُ عُلُوًّا كَبِيرًا - ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣٠٢/٢٠):

وَأَمَّا الجَهْمِيَّةُ، فَإِنَّمَا حَدَثُوا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ التَّابِعِينَ بَعْدَ مَوْتِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ أَنْذَرَ بِهِمْ، وَكَانَ ظُهُورُ جَهْمٍ بِخُرَاسَانَ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ، وَقَدْ قَتَلَ المُسْلِمُونَ شَيْخَهُمْ الجَعْدَ بْنَ دِرْهَمٍ قَبْلَ ذَلِكَ ضَحَّى بِهِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ القَسْرِيُّ، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ عُلُوًّا كَبِيرًا ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ذَلِكَ بَلَغَ الحَسَنَ البَصْرِيَّ وَأَمْثَالَهُ مِنْ التَّابِعِينَ فَشَكَرُوا ذَلِكَ.اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي "بيان تلبيس الجهمية" (٢٧٧/١):

فأما الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبدالله القسري على رؤوس الخلائق، وماله يومئذ نكير، وذلك سنة نيف وعشرين ومائة.

وأما الجهم وكان بمرو، فكتب هشام بن عبد الملك إلى واليه على خراسان نصر بن سيار يأمره بقتله، فكتب إلى سلم بن أحوز، وكان على مرو فضرب عنقه بين نظارة أهل العلم، وهم يحمدون ذلك.اهـ

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية (١٣/١٤٧):

قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ وَغَيْرُهُ: وَقَدْ أَخَذَ بِدْعَتَهُ عَنْ بَيَانِ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهَا بَيَانٌ عَنْ طَالُوتَ ابْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ، عَنْ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ السَّاحِرِ لَعَنَهُ اللهُ، وَأَخَذَ عَنِ الْجَعْدِ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ الْخَزَرِيُّ. وَقِيلَ: التِّرْمِذِيُّ. وَقَدْ أَقَامَ بِبَلْخَ وَكَانَ يُصَلِّي مَعَ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ فِي مَسْجِدِهِ وَيَتَنَاظَرَانِ، حَتَّى نُفِيَ إِلَى تِرْمِذَ، ثُمَّ قُتِلَ الْجَهْمُ بِأَصْبَهَانَ وَقِيلَ: بِمَرْوَ. قَتَلَهُ نَائِبُهَا سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَجَزَاهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَأَخَذَ بِشْرُ الْمَرِيسِيُّ عَنِ الْجَهْمِ وَأَخَذَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ، عَنْ بِشْرٍ.

وَأَمَّا الْجَعْدُ لَعَنَهُ اللهُ، فَإِنَّهُ أَقَامَ بِدِمَشْقَ حَتَّى أَظْهَرَ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَتَطَلَّبَهُ بَنُو أُمَيَّةَ فَهَرَبَ مِنْهُمْ، فَسَكَنَ الْكُوفَةَ، فَلَقِيَهُ بِهَا الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، فَتَقَلَّدَ هَذَا الْقَوْلَ، لَعَنَهُمَا اللهُ، ثُمَّ قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى بِالْكُوفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ خَالِدًا خَطَبَ النَّاسَ.

فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ تِلْكَ: أَيُّهَا النَّاسُ، ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ عُلُوًّا كَبِيرًا. ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ بِيَدِهِ، أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَبَّلَ مِنْهُ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَقَدْ كَانَ هِشَامٌ طَلَبَهُ بِدِمَشْقَ حِينَ أَظْهَرَ مَا أَظْهَرَ، ثُمَّ إِنَّهُ هَرَبَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَى نَائِبِهِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَقَتَلَهُ كَمَا ذَكَرْنَا.

وَقَدْ رَوَى قِصَّتَهُ مَعَ خَالِدٍ الْبُخَارِيُّ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي السُّنَّةِ كَالطَّبَرَانِيِّ، وَابْنِ أَبِي عَاصِمٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ وَذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي التَّارِيخِ. وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ وَأَنَّهُ كَانَ كُلَّمَا رَاحَ إِلَى وَهْبٍ يَغْتَسِلُ وَيَقُولُ: أَجْمَعُ لِلْعَقْلِ. وَكَانَ يَسْأَلُ وَهْبًا عَنْ صِفَاتِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ

لَهُ وَهْبٌ يَوْمًا: وَيْلَكَ يَا جَعْدُ أَقْصِرِ الْمَسْأَلَةَ، إِنِّي لَأَظُنُّكَ مِنَ الْهَالِكِينَ، لَوْ لَمْ يُخْبِرْنَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّ لَهُ يَدًا مَا قُلْنَا ذَلِكَ، وَأَنَّ لَهُ عَيْنًا مَا قُلْنَا ذَلِكَ. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْجَعْدُ أَنْ صُلِبَ، ثُمَّ قُتِلَ(١).اهـ

والجهمية ينفون صفات الله عز وجل، ويدعون أن الأسماء تطلق على الله عز وجل إطلاقا مجازيًا، ولا حقيقة لمعانيها.

قال الآلوسي رحمه الله في "جلاء العينين" (ص١٥١):

وحكى بعضهم أن جهم بن صفوان الترمذي كان يدعو الناس إلى مذهبه الباطل، وهو أن الله تعالى عالم لا علم له، قادر لا قدرة له، وكذا في سائر الصفات، وكان جلس يومًا يدعو الناس لمذهبه، وحوله أقوام كثيرة، فجاء أعرابي ووقف حتى سمع مقالته، فأرشده الله تعالى إلى بطلان هذا المذهب فأنشأ يقول:

ألا إن جهمًا كافرٌ بَانَ كفرُه ... ومن قال يومًا قول جهم فقد كفر
لقد جُنَّ جهمٌ إذ يسمي إلهه ... سميعًا بلا سمع بصيرًا بلا بصر
عليمًا بلا علمٍ رضيًا بلا رضا ... لطيفًا بلا لطف خبيرًا بلا خبر
أيرضيك أن لو قال يا جهمُ قائلٌ ... أبوك امرؤ حر خطير بلا خطر
مليح بلا ملح بهي بلا بها ... طويل بلا طول يخالفه القصر
حليم بلا حلم وفي بلا وفا ... فبالعقل موصوف وبالجهل مشتهر

---

(١) وانظر "مجموع الفتاوى" (٨/ ١٤٢، ٢٣٨، ٣٥٧)، (١٠/ ٦٦، ٦٩٧)، (١٢/ ٥٠٣)، (١٣/ ١٧٣)، (٥/ ٢٠)، "بيان تلبيس الجهمية" (٢/ ٤٨٧-)، "شرح السنة للبغوي" (١/ ١٨٦)، "الصواعق المرسلة" (٣/ ١٠٧١)، "البداية والنهاية" (١٢/ ٧٢٤) (١٣/ ١٤٨، ٢١٧)، "شرح الطحاوية" (٢/ ٧٩٤)، "الكامل" لابن الأثير (٧/ ٧٥).

جواد بلا جود قوي بلا قوى | كبير بلا كبر صغير بلا صغر
أمدحا تراه أم هجاء وسبة | وهزأ كفاك الله يا أحمق البشر
فإنك شيطان بعثت لأمة | تصيرهم عما قريب إلى سقر

فألهمه الله عز وجل حقيقة مذهب أهل السنة، ورجع كثير من الناس ببركة أبياته، وكان عبدالله بن المبارك يقول: إن الله تعالى بعث الأعرابي رحمة لأولئك - انتهى.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٢٠٦):

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ جَهْمٌ وَشِيعَتُهُ كَذَلِكَ دَعَوُا النَّاسَ إِلَى الْمُتَشَابِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا بِكَلَامِهِمْ بَشَرًا كَثِيرًا، وَكَانَ فِيمَا بَلَغَنَا أَنَّ الْجَهْمَ عَدُوُّ الله كَانَ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَكَانَ صَاحِبَ خُصُومَاتٍ وَشَرٍّ وَكَلَامٍ، وَكَانَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ فِي الله تَعَالَى، فَلَقِيَ أُنَاسًا مِنَ الْكُفَّارِ، يُقَالُ لَهُمُ: السُّمَنِيَّةُ. فَعَرَفُوا الْجَهْمَ فَقَالُوا لَهُ: نُكَلِّمُكَ فَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُنَا عَلَيْكَ؛ دَخَلْتَ فِي دِينِنَا، وَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُكَ عَلَيْنَا؛ دَخَلْنَا فِي دِينِكَ، وَكَانَ فِيمَا كَلَّمُوا جَهْمًا قَالُوا: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ لَكَ إِلَهًا؟ قَالَ الْجَهْمُ: نَعَمْ. قَالُوا لَهُ: فَهَلْ رَأَتْ عَيْنُكَ إِلَهَكَ؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: فَهَلْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: فَهَلْ شَمَمْتَ لَهُ رَائِحَةً؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: فَهَلْ وَجَدْتَ لَهُ حِسًّا؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: فَهَلْ وَجَدْتَ لَهُ مِجَسًّا؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: فَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ إِلَهٌ؟.

قَالَ: فَتَحَيَّرَ الْجَهْمُ فَلَمْ يَدْرِ مَنْ يَعْبُدُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ أَنَّهُ اسْتَدْرَكَ حُجَّةً مِنْ جِنْسِ حُجَجِ زَنَادِقَةِ النَّصَارَى (لَعَنَهُمُ اللَّهُ) وَذَلِكَ أَنَّ زَنَادِقَةَ النَّصَارَى لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَزْعُمُونَ أَنَّ الرُّوحَ الَّذِي فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ رُوحُ الله مِنْ ذَاتِ اللَّهِ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ أَمْرًا دَخَلَ فِي بَعْضِ خَلْقِهِ فَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِهِ؛ فَيَأْمُرُ بِمَا يَشَاءُ، وَيَنْهَى عَمَّا يَشَاءُ، وَهُوَ رُوحٌ غَائِبٌ عَنِ الْأَبْصَارِ.

فَاسْتَدْرَكَ الْجَهْمُ حَجَّةً مِثْلَ هَذِهِ الْحِجَّةِ؛ فَقَالَ لِلسُّمَنِيِّ: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ فِيكَ رُوحًا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَ رُوحَكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ فَهَلْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتَ لَهُ مِجَسًّا أَوْ حِسًّا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَكَذَلِكَ اللَّهُ لَا يُرَى لَهُ وَجْهٌ، وَلَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ، وَلَا يُشَمُّ لَهُ رَائِحَةٌ، وَهُوَ غَائِبٌ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَلَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، وَوَجَدَ ثَلَاثَ آيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فَبَنَى أَصْلَ كَلَامِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، وَتَأَوَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَكَذَّبَ أَحَادِيثَ النَّبِيِّ ﷺ فَزَعَمَ أَنَّ مَنْ وَصَفَ اللَّهَ تَعَالَى بِشَيْءٍ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابٍ أَوْ حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ كَافِرًا أَوْ كَانَ مِنَ الْمُشَبِّهَةِ.

فَأَضَلَّ بَشَرًا كَثِيرًا وَتَبِعَهُ عَلَى قَوْلِهِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، وَأَصْحَابِ فُلَانٍ، وَوَضَعَ دِينَ الْجَهْمِيَّةِ، فَإِذَا سَأَلَهُمُ النَّاسُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] مَا تَفْسِيرُهُ؟ يَقُولُونَ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَهُوَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ كَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ، لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا هُوَ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، وَلَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يُكَلِّمُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدٌ لَا فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُوصَفُ، وَلَا يُعْرَفُ بِصِفَةٍ، وَلَا يُعْقَلُ، وَلَا لَهُ غَايَةٌ وَلَا مُنْتَهًى، وَلَا يُدْرَكُ بِعَقْلٍ، وَهُوَ وَجْهٌ كُلُّهُ، وَهُوَ عِلْمٌ كُلُّهُ، وَهُوَ سَمْعٌ كُلُّهُ، وَهُوَ بَصَرٌ كُلُّهُ، وَهُوَ نُورٌ كُلُّهُ، وَهُوَ قُدْرَةٌ كُلُّهُ، لَا يُوصَفُ بِوَصْفَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَلَيْسَ بِمَعْلُومٍ وَلَا مَعْقُولٍ، وَكُلُّ مَا يَخْطُرُ بِقَلْبِكَ أَنَّهُ شَيْءٌ تَعْرِفُهُ، فَهُوَ عَلَى خِلَافِهِ؛ فَقُلْنَا لَهُمْ فَمَنْ تَعْبُدُونَ؟

قَالُوا: نَعْبُدُ مَنْ يُدَبِّرُ أَمْرَ هَذَا الْخَلْقِ. قُلْنَا: فَالَّذِي يُدَبِّرُ أَمْرَ هَذَا الْخَلْقِ مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ بِصِفَةٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قُلْنَا: قَدْ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّكُمْ لَا تُثْبِتُونَ شَيْئًا إِنَّمَا تَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الشُّنْعَةَ بِمَا تُظْهِرُونَ.

ثُمَّ قُلْنَا لَهُمْ: هَذَا الَّذِي يُدَبِّرُ هُوَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى؟ قَالُوا: لَمْ يُكَلِّمْ وَلَا يَتَكَلَّمُ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِجَارِحَةٍ وَالْجَوَارِحُ مَنْفِيَّةٌ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِذَا سَمِعَ الْجَاهِلُ قَوْلَهُمْ ظَنَّ أَنَّهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ كَلَامَهُمْ إِنَّمَا يَعُودُ إِلَى ضَلَالَةٍ وَكُفْرٍ فَلَعَنَهُمُ اللهُ، قَالَ الْخَلَّالُ: كَتَبْتُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ خَطِّ عَبْدِ اللهِ وَكَتَبَهُ عَبْدُ اللهِ مِنْ خَطِّ أَبِيهِ.اهـ

بيان طريقة المعتزلة في الأسماء والصفات:

المعتزلة فرقة كلامية ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول؛ ويرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري؛ لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة ليس كافرا، ولا مؤمنا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن، وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل، وتبعهما أنصارهما؛ قيل لهم: معتزلة، أو معتزلون. وهذه الفرقة تعتد بالعقل، وتغلو فيه، وتقدمه على النقل.

ولهذه الفرقة مدرستان رئيسيتان: إحداهما بالبصرة، ومن أشهر رجالها: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، والجاحظ.

والأخرى ببغداد، ومن أشهر رجالها: بشر بن المعتمر، وأبو موسى المردار، وثمامة بن أشرس، وأحمد بن أبي دؤاد.

وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم وهي: (العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). ولهم في هذه الأصول معان عندهم خالفوا فيها موجب الشريعة، وجمهور المسلمين[١].

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح الطحاوية (ص٥٢١):

وَقِيلَ: إِنَّ وَاصِلَ بْنَ عَطَاءٍ (ت١٣١) هُوَ الَّذِي وَضَعَ أُصُولَ مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَتَابَعَهُ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ (ت١٤٤) تِلْمِيذُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ صَنَّفَ لَهُمْ أَبُو الهُذَيْلِ كِتَابَيْنِ، وَبَيَّنَ مَذْهَبَهُمْ، وَبَنَى مَذْهَبَهُمْ عَلَى الأُصُولِ الخَمْسَةِ، الَّتِي سَمَّوْهَا: العَدْلَ، وَالتَّوْحِيدَ، وَإِنْفَاذَ الوَعِيدِ، وَالْمَنْزِلَةَ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ ! وَلَبَّسُوا فِيهَا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ، إِذْ شَأْنُ البِدَعِ هَذَا، اشْتِمَالُهَا عَلَى حَقٍّ وَبَاطِلٍ.

وَهُمْ مُشَبِّهَةُ الأَفْعَالِ؛ لِأَنَّهُمْ قَاسُوا أَفْعَالَ الله تَعَالَى عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ، وَجَعَلُوا مَا يَحْسُنُ مِنَ العِبَادِ يَحْسُنُ مِنْهُ، وَمَا يَقْبُحُ مِنَ العِبَادِ يَقْبُحُ مِنْهُ! وَقَالُوا: يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَلَا يَجُوزَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، بِمُقْتَضَى ذَلِكَ القِيَاسِ الفَاسِدِ !! فَإِنَّ السَّيِّدَ مِنْ بَنِي آدَمَ لَوْ رَأَى عَبِيدَهُ تَزْنِي بِإِمَائِهِ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ لَعُدَّ إِمَّا مُسْتَحْسِنًا لِلْقَبِيحِ، وَإِمَّا عَاجِزًا، فَكَيْفَ يَصِحُّ قِيَاسُ أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ ؟! وَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا المَعْنَى مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ.

فَأَمَّا (العَدْلُ)، فَسَتَرُوا تَحْتَهُ نَفْيَ القَدَرِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ الشَّرَّ وَلَا يَقْضِي بِهِ، إِذْ لَوْ خَلَقَهُ ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهِ يَكُونُ ذَلِكَ جَوْرًا !! وَاللَّهُ تَعَالَى عَادِلٌ لَا يَجُورُ.

---

(١) "الفرق بين الفرق" (ص ١٧-٢٠)، "التبصير في أصول الدين" (ص ٣٧)، "الملل والنحل" (ص٤٦- ٤٩).

وَيلْزَمُهُمْ عَلَى هَذَا الأَصْلِ الفَاسِدِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُهُ، فَيُرِيدُ الشَّيْءَ وَلَا يَكُونُ، وَلَازِمُهُ وَصْفُهُ بِالْعَجْزِ ! تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَأَمَّا (التَّوْحِيدُ) فَسَتَرُوا تَحْتَهُ القَوْلَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، إِذْ لَوْ كَانَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ لَزِمَ تَعَدُّدُ القُدَمَاءِ !! وَيلْزَمُهُمْ عَلَى هَذَا القَوْلِ الفَاسِدِ أَنَّ عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ وَسَائِرَ صِفَاتِهِ مَخْلُوقَةٌ، أَوِ التَّنَاقُضُ !.

وَأَمَّا (الوَعِيدُ)، فَقَالُوا: إِذَا أَوْعَدَ بَعْضَ عَبِيدِهِ وَعِيدًا؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ وَيُخْلِفَ وَعِيدَهُ، لِأَنَّهُ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ، فَلَا يَعْفُو عَمَّنْ يَشَاءُ، وَلَا يَغْفِرُ لِمَنْ يُرِيدُ، عِنْدَهُمْ !!.

وَأَمَّا (المَنْزِلَةُ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ)، فَعِنْدَهُمْ أَنَّ مَنِ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً يَخْرُجُ مِنَ الإِيمَانِ وَلَا يَدْخُلُ فِي الكُفْرِ !!.

وَأَمَّا (الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ)، فَهُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا: عَلَيْنَا أَنْ نَأْمُرَ غَيْرَنَا بِمَا أُمِرْنَا بِهِ، وَأَنْ نُلْزِمَهُ بِمَا يَلْزَمُنَا، وَذَلِكَ هُوَ الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ، وَضَمَّنُوهُ أَنَّهُ يَجُوزُ الخُرُوجُ عَلَى الأَئِمَّةِ بِالْقِتَالِ إِذَا جَارُوا !!.اهـ

ويقولون: إن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته، وينفون الصفات القديمة أصلا ويقولون: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة، وينفون أن تكون صفات قديمة، ومعان قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية[1].

(١) وانظر «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٤٣-).

بيان طريقة الأشاعرة في الأسماء والصفات:

الأشعرية: ينسب هذا المذهب إلى أبي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ إِسْمَاعِيْلَ بن أَبِي بِشْرٍ إِسْحَاقَ بنِ سَالِمِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُوْسَى ابنِ أَمِيْرِ البَصْرَةِ بِلاَلِ بنِ أَبِي بُرْدَةَ ابنِ صَاحِبِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَبِي مُوْسَى عَبْدِ اللهِ بنِ قَيْس بن حَضَّارٍ الأَشْعَرِيُّ، اليَمَانِيُّ، البَصْرِيُّ. ولد سنة ستين ومئتين من الهجرة النبوية، وتوفي في عام (٣٢٤هـ)

أخذ عن أبي علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب -زوج أمه- مذهب الاعتزال وَلَمَّا بَرَعَ فِي مَعْرِفَةِ الاعتزَال، كرِهه وَتبرَّأَ مِنْهُ، وَصَعدَ لِلنَّاسِ، فتَابَ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْهُ، ثُمَّ أَخذ يُردُّ عَلَى المُعْتَزِلَة، وَيهتِك عِوَارَهُم.

ثم سلك طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب (ت٢٤٣هـ)، ونسج على مذهبه في الصفات.

فمال إليه جماعة وعولوا على رأيه وجادلوا فيه. وانتشر مذهب أبي الحسن الأشعري، وحملوا الناس على التزامه فانتشر في أمصار الإسلام.

عقيدة الأشاعرة في الصفات: نفيها إلا سبعا يثبتونها بالعقل. وأشهر علماء الأشاعرة: الباقلاني والجويني والرازي.

وقد رجع أبو الحسن الأشعري عن هذا المذهب، وقال بقول أهل السنة والجماعة في مسائل أصول الدين، وأثبت ذلك في كتابيه: **"مقالات الإسلامين"** و **"الإبانة عن أصول الديانة"**.

وقال الذهبي رحمه الله: قُلْتُ: رَأَيْتُ لأَبِي الحَسَن أَرْبَعَة توَالِيف فِي الأُصُوْل يذكرُ فِيْهَا قوَاعدَ مَذْهَبِ السَّلَف فِي الصِّفَات، وَقَالَ فِيْهَا: تُمَرُّ كَمَا جاءت. ثُمَّ قَالَ: وَبِذَلِكَ أَقُول، وَبِهِ أَدين، وَلاَ تُؤوَّل.

قلت: قد صرح في كتابه الإبانة بمذهبه، فقال: فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافعة والمرجئة؛ فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟!.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم.

وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئا، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى، ودين الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك

قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد.

وأن له سبحانه وجها بلا كيف كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ وأن له سبحانه يدين بلا كيف كما قال سبحانه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ من [ص:٧٥] وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وأن له سبحانه عينين بلا كيف كما قال سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا، وأن لله علما كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾.

ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج.

ونثبت أن لله قوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾اهـ. وانظر بقية كلامه رحمه الله.

ومن العجيب أن الذين اتبعوه في أقواله القديمة لم يزالوا مصرين على هذه الأقوال حتى بعد رجوع إمامهم رحمه الله عنها. وعلى ذلك فأقوال الأشعرية ليست هي الأقوال التي يُنسب إليها أبو الحسن الأشعري رحمه الله، وإنما هم في الحقيقة (كلابية).

والذي اشتهر في المذهب الأشعري إثبات سبع صفات يدعون أن العقل دل عليها وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، والإرادة.

وهي مجموعة في قول الناظم:

حي علـــيم قـــدير والـــكلام له ... إرداة وكـــذاك الســـمع والبـــصر

وقول الآخر:

حي مريـــد قـــادر عـــلام ... له الســـمع والبـــصر والـــكلام

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣٢/١٢):

وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْكَلَامِ الْقِيَاسِيِّ مِنْ الصفاتية فَارَقُوا أُولَئِكَ الْمُبْتَدِعَةَ الْمُعَطِّلَةَ الصَّابِئَةَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَأَثْبَتُوا الصِّفَاتِ الَّتِي قَدْ يُسْتَدَلُّ بِالْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ عَلَيْهَا كَالصِّفَاتِ السَّبْعِ، وَهِيَ: الْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ.

وَلَهُمْ نِزَاعٌ فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ، هَلْ هُوَ مِنْ الصِّفَاتِ الْعَقْلِيَّةِ أَوْ الصِّفَاتِ النَّبَوِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ السَّمْعِيَّةِ، وَلَهُمْ اخْتِلَافٌ فِي الْبَقَاءِ وَالْقِدَمِ، وَفِي الْإِدْرَاكِ الَّذِي هُوَ إدْرَاكُ الْمَشْمُومَاتِ وَالْمَذُوقَاتِ وَالْمَلْمُوسَاتِ، وَلَهُمْ أَيْضًا اخْتِلَافٌ فِي الصِّفَاتِ السَّمْعِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ، فَأَكْثَرُ مُتَقَدِّمِيهِمْ أَوْ كُلُّهُمْ يُثْبِتُهَا وَكَثِيرٌ مِنْ مُتَأَخِّرِيهِمْ لَا يُثْبِتُهَا وَأَمَّا مَا لَا يَرِدُ إلَّا فِي الْحَدِيثِ فَأَكْثَرُهُمْ لَا يُثْبِتُهَا.

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَصْرِفُ النُّصُوصَ عَنْ دَلَالَتِهَا؛ لِأَجْلِ مَا عَارَضَهَا مِنْ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ عِنْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَوِّضُ مَعْنَاهَا.اهـ

قال أبو عبد الله: وليس إثباتهم لهذه الصفات إثباتًا حقًا على طريقة أهل السنة من كل وجه؛ بل ابتدعوا في تفسير هذه الصفات التي أثبتوها، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

بعض أئمة الأشاعرة المتقدمين كانوا يثبتون صفاتًا أخرى كما بين ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ وغيره.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٤٧/٤):

بَلْ أَئِمَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ فِي الْجُمْلَةِ. وَإِنْ كَانَ لَهُمْ فِيهَا طُرُقٌ كَأَبِي سَعِيدِ بْنِ كُلَّابٍ، وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، وَأَئِمَّةِ أَصْحَابِهِ: كَأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُجَاهِدٍ، وَأَبِي الْحَسَنِ البَاهِلِيِّ، وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ البَاقِلَانِي، وَأَبِي إِسْحَاقَ

الإسفراييني، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ فورك، وَأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ اللَّبَّانِ، وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ شاذان، وَأَبِي القَاسِمِ القشيري، وَأَبِي بَكْرٍ البيهقي وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ.

فَمَا مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ يُثْبِتُ مِنْ الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَعِمَادُ المَذْهَبِ عَنْهُمْ: إِثْبَاتُ كُلِّ صِفَةٍ فِي القُرْآنِ. وَأَمَّا الصِّفَاتُ الَّتِي فِي الحَدِيثِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُثْبِتُهَا وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُثْبِتُهَا.

بيان طريقة الماتريدية في الأسماء والصفات:

الماتريدية: فرقة مبتدعة تُنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي الماتريدي، [٣٣٣هـ] منسوب إلى (ماتريد)، وهي محلة قرب سمرقند فيما وراء النهر، ولد بها، ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ مولده، بل لم يذكر من ترجم له كثيرًا عن حياته، أو كيف نشأ وتعلم، أو بمن تأثر.

وهذه الفرقة هي شقيقة الأشعرية؛ فكلا الفرقتين اعتقاداتهم متقاربة؛ إلا في أشياء يسيرة؛ وكلا الفرقتين بضعة من الكلابية.

وعقيدة الماتريدية في الأسماء والصفات كعقيدة الأشعرية في كثير منها؛ إلا أنهم أضافوا صفة ثامنة، وهي: (صفة التكوين)، وهم كذلك لا يثبتون هذه الصفة على المعنى الحق الذي يثبته أهل السنة والجماعة، ولهم في تفسيرها معنى باطل.

مخالفة الأشاعرة لأهل السنة في تفسير الصفات التي أثبتوها:

أولا: صفة الكلام: قالوا: هو كلام نفساني بدون حرف، ولا صوت، أزلي قائم بالذات، يلهم الله جبريل أن يفهم مراد الله؛ فيعبر عنه جبريل عليه السلام، فاللفظ من جبريل، والمعنى من الله. تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، وسيأتي إن شاء الله بيان بطلان مذهبهم عند كلامنا على صفة الكلام لله عز وجل.

ثانيًا: صفة العلم: يثبت الأشاعرة العلم القديم، وقالوا: علمه عز وجل قديم لازم لذاته، متعلق بكل ما سيكون. وهذا يثبته أهل السنة والجماعة؛ إلا أن أهل السنة والجماعة يثبتون علمًا آخر عند الفعل، ينبني عليه الثواب والعقاب، وهو علمه به موجودًا، وأن الله يعلم الشيء كائنا بعد وجوده مع علمه السابق به قبل وجوده، وهذا هو الذي دل عليه القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ وقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت: ٣، ١١] وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، وغيرها.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الرد على المنطقيين (ص٤٦٤):

وعامة من يستشكل الآيات الواردة في هذا المعنى، كقوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ و﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾، ويتوهم أن هذا ينفي علمه السابق بأن سيكون، وهذا جهل؛ فإن القرآن قد أخبر بأنه يعلم ما سيكون في غير موضع، بل أبلغ من ذلك أنه قدر مقادير الخلائق كلها، وكتب ذلك قبل أن يخلقها، فقد علم ما سيخلقه علما مفصلا، وكتب ذلك، وأخبر بما أخبر به من ذلك قبل أن يكون، وقد أخبر بعلمه المتقدم على وجوده، ثم لما خلقه علمه كائنا مع علمه الذي تقدم أنه سيكون، فهذا هو الكمال، وبذلك جاء القرآن في غير موضع، بل وإثبات رؤية الرب له بعد وجوده، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾ [التوبة: ١٠٥]، فأخبر أنه سيرى أعمالهم.

وقد دل الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة، ودلائل العقل على أنه سميع بصير، والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم، فإذا خلق الأشياء رآها سبحانه، وإذا دعاه عباده سمع دعاءهم، وسمع نجواهم، كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ أي تشتكي إليه، وهو يسمع التحاور، والتحاور تراجع الكلام بينها، وبين الرسول.

قالت عائشة: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، لقد كانت المجادلة تشتكي إلى النبي ﷺ في جانب البيت وإنه ليخفي علي بعض كلامها. فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ وكما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد أن يكون في بضعة عشر موضعًا في القرآن مع إخباره في مواضع أكثر من ذلك أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد أخبر في القران من المستقبلات التي لم تكن بعد بما شاء الله، بل أخبر بذلك نبيه وغير نبيه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٖ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ بل هو سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لو كان كيف كان يكون. كقوله ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ بل وقد يعلم بعض عباده بما شاء أن يعلمه من هذا وهذا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٖ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ وقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ

مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ وغير ذلك من المواضع.

روى عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي لنرى[١]. وروي لنميز[٢].

وهكذا قال عامة المفسرين: إلا لنرى ونميز. وكذلك قال جماعة من أهل العلم، قالوا: لنعلمه موجودًا واقعًا بعد أن كان قد علم أنه سيكون.

ولفظ بعضهم: قال: العلم على منزلتين: علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به بعد وجوده. والحكم للعلم به بعد وجوده؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب. قال: فمعنى قوله ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب، ولا ريب أنه كان عالما سبحانه بأنه سيكون، لكن لم يكن المعلوم قد وجد، وهذا كقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي بما لم يوجد، فإنه لو وجد لعلمه، فعلمه بأنه موجود ووجوده متلازمان يلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر، ومن انتفائه انتفاؤه.اهـ

---

(١) وذكره ابن كثير أيضًا في تفسيره سورة البقرة (آية: ١٤٥) بدون إسناد.

(٢) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة (آية: ١٤٥) من طريق أبي صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وما جَعلنا القبلةَ التي كنت عليها إلا لنعلم من يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾، قال ابن عباس: لنميّز أهلَ اليقين من أهل الشرك والريبة. وهذا الإسناد فيه أبو صالح كاتب الليث، فيه ضعف، وعلي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس؛ فهو منقطع، وقد احتج بهذا الإسناد بعض الأئمة بحجة أن ابن أبي طلحة أخذ التفسير عن تلامذة ابن عباس الثقات.

ثالثًا: صفة الإرادة: يثبت الأشاعرة هذه الصفة، ويفسرونها بأنها: قديمة أزلية واحدة، وإنما يتجدد تعلقها بالمراد.

وهذا يثبته أهل السنة والجماعة، إلا أن أهل السنة يثبتون إرادة أخرى عند الفعل، ولا تتنافى هذه الإرادة التي عند الفعل مع الإرادة السابقة، ويقولون: لم يزل الله مريدًا بإرادات متعاقبة. فنوع الإرادة قديم، وأما إرادة الشيء المعين؛ فإنما يريده في وقته، وهو سبحانه يقدر الأشياء ويكتبها، ثم بعد ذلك يخلقها. فهو إذا قدرها علم ما سيفعله، وأراد فعله في الوقت المستقبل، لكن لم يرد فعله في تلك الحال؛ فإذا جاء وقته أراد فعله، فالأول عزم، والثاني قصد.

وهل يجوز وصفه بالعزم فيه قولان: أحدهما: المنع. كقول القاضي أبي بكر والقاضي أبي يعلى. والثاني: الجواز، وهو أصح. فقد قرأ جماعة من السلف ﴿**فَإِذَا عَزَمْتُ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ**﴾ بالضم. وفي الحديث الصحيح من حديث أم سلمة: «**ثم عزم الله لي**»[(١)]. وسواء سمي (عزمًا) أو لم يسم؛ فهو سبحانه إذا قدرها علم أنه سيفعلها في وقتها، وأراد أن يفعلها في وقتها. فإذا جاء الوقت؛ فلا بد من إرادة الفعل المعين، ونفس الفعل، ولا بد من علمه بما يفعله.

ثم الكلام في علمه بما يفعله: هل هو العلم المتقدم بما سيفعله، وعلمه بأن قد فعله هل هو الأول، فيه قولان معروفان. والعقل والقرآن يدل على أنه قدر زائد كما قال ﴿**لِنَعْلَمَ**﴾ في بضعة عشر موضعا. وقال ابن عباس: إلا لنرى. وحينئذ فإرادة المعين تترجح لعلمه بما في المعين من المعنى المرجح لإرادته. فالإرادة تتبع العلم[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١٨) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) انظر: مَجْمُوع الْفَتَاوَى (١٦/ ٣٠٣).

والدليل على ثبوت الإرادة التي عند الفعل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥]، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١]. وغيرها من الآيات، والآيات العامة في صفة الإرادة تشمل الإرادتين.

رابعًا: صفة القدرة: وقد فسروها بمثل ما قالوه في الإرادة، ومذهب أهل السنة إثبات قدرة عند الفعل، وبها وجد الفعل، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذاريات:٤٧]، وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤]. وقال عز وجل ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٢٩].

ولما كانت الشبهة الرئيسة للأشاعرة في نفي الصفات الاختيارية عن الله عز وجل هي شبهة حلول الحوادث بذات الله عز وجل، ورأوا أن العقل بزعمهم يدل على ثبوت سبع صفات فقط، وجدوا أن هذه الصفات- ما عدا صفة الحياة - يلزم من إثباتها حلول الحوادث بذات الله عز وجل فادعوا بأنهم وجدوا الحل لهذه المعضلة، بأن قالوا بأزلية هذه الصفات، وأنها لا زمة لذات الله عز وجل أزلا وأبدا، ولا يتجدد لله عند وجود هذه المخلوقات نعت ولا صفة، وإنما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم، وبين القدرة والمقدور، وهكذا في بقية الصفات.

ويقال لهم:

ما من شك في وجود المفعولات، فيلزم أحد أمرين، إما أن يقال: هي قديمة أزلية؛ لأن الموجب لها وجود القدرة والإرادة، وهما صفتان أزليتان، ولا شك في صلاحيتهما للإيجاد أزلًا، وإما أن يقال إنه قد حدث تخصيص في وقت معين لإحداث الفعل، وهو أمر لازم -وهم يسلمون به- ولكنهم يقولون إن الذي حدث هو التعلق، ولكن ما زال الإشكال باقيًا: وهو هل هذا التعلق أمر وجودي أو عدمي؟

- فإن كان الأول؛ فقد أثبتوا فعلًا اختياريًا، ولابد وإن سموه تمويها بحلول الحوادث، وإن كان الثاني؛ فإن العدم ليس بشيء فضلًا عن أن يُوجد شيئًا، ولهذا السبب اضطربوا في معنى التعلق، فمنهم من أثبته أمرًا وجوديًا، ومنهم من عده من النسب والإضافات، وأن الموجب لذلك الذات!!.

خامسًا وسادسًا: صفتي السمع والبصر: يفسر الأشاعرة هاتين الصفتين، بقولهم في كل صفة: هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بجميع الموجودات. ففسروا الصفتين بمعنى العلم والإدراك، وجعلوهما بمعنى واحد.

ومذهب أهل السنة والجماعة: إثبات كونه سميعًا بصيرًا، وأنه ليس هو مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات، وما في الكتاب والسنة من وصفه بأنه سميع بصير، فيه إثبات صفتين تليقان بكمال الله وجلاله، ولا يجوز أن يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى؛ لأن الله فرّق بين العلم، وبين السمع والبصر، وفرّق بين السمع والبصر، وهو لا يفرق بين علم وعلم؛ لتنوع المعلومات قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وفي موضع آخر: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ ذكر سمعه لأقوالهم وعلمه؛ ليتناول باطن أحوالهم.

وقال لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ وفي السنن عن النبيّ ﷺ أنه قرأ على المنبر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾، ووضع إبهامه على أذنه، وسبابته على عينه[1]، ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق، فلو كان السمع والبصر: العلم لم يصح ذلك[2].

تلخيص لشيخ الإسلام في اعتقادات الفرق في الأسماء والصفات:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٦/ ٥١):

أَمَّا بَابُ الصِّفَاتِ وَالتَّوْحِيدِ: فَالنَّفْيُ فِيهِ فِي الجُمْلَةِ قَوْلُ الفَلَاسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الجَهْمِيَّة، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الفَلَاسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ نَوْعُ فَرْقٍ.

وَكَذَلِكَ بَيْنَ البَغْدَادِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ -يعني: من المعتزلة- اخْتِلَافٌ فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ هَلْ هُوَ عِلْمٌ أَوْ إدْرَاكٌ غَيْرُ العِلْمِ؟ وَفِي الإِرَادَةِ.

وَهَذَا المَذْهَبُ الَّذِي يُسَمِّيهِ السَّلَفُ: قَوْلَ جَهْمٍ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَهُ فِي الإِسْلَامِ، وَقَدْ بَيَّنْت إسْنَادَهُ فِيهِ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ؛ أَنَّهُ مُتَلَقًّى مِنْ الصَّابِئَةِ الفَلَاسِفَةِ وَالْمُشْرِكِينَ البراهمة وَالْيَهُودِ السَّحَرَةِ.

وَالْإِثْبَاتُ فِي الجُمْلَةِ مَذْهَبُ (الصفاتية) مِنْ الكُلَّابِيَة وَالْأَشْعَرِيَّةِ والكَرَّامِيَة وَأَهْلِ الحَدِيثِ وَجُمْهُورِ الصُّوفِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ وَأَكْثَرِ المَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ إلَّا الشَّاذَّ مِنْهُمْ وَكَثِيرٍ مِنْ الحَنَفِيَّةِ أَوْ أَكْثَرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ السَّالمية؛ لَكِنَّ الزِّيَادَةَ فِي الإِثْبَاتِ إلَى حَدِّ التَّشْبِيهِ هُوَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسنادٍ صحيحٍ.

(٢) انظر: "شرح العقيدة الأصفهانية" (ص١٢٢) لشيخ الإسلام.

قَوْلُ الغَالِيَةِ مِنْ الرَّافِضَةِ، وَمِنْ جُهَّالِ أَهْلِ الحَدِيثِ، وَبَعْضِ المُنْحَرِفِينَ. وَبَيْنَ نَفْيِ الجَهْمِيَّةِ، وَإِثْبَاتِ المُشَبِّهَةِ مَرَاتِبُ.

(فَالْأَشْعَرِيَّةُ) وَافَقَ بَعْضُهُمْ فِي الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةِ، وَجُمْهُورُهُمْ وَافَقَهُمْ فِي الصِّفَاتِ الحديثية؛ وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ القُرْآنِيَّةِ فَلَهُمْ قَوْلَانِ: فَالْأَشْعَرِيُّ والْبَاقِلَانِي وَقُدَمَاؤُهُمْ يُثْبِتُونَهَا، وَبَعْضُهُمْ يُقِرُّ بِبَعْضِهَا؛ وَفِيهِمْ تَجَهُّمٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ الأَشْعَرِيَّ شَرِبَ كَلَامَ الجبائي شَيْخِ المُعْتَزِلَةِ، وَنِسْبَتُهُ فِي الكَلَامِ إِلَيْهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا عِنْدَ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ؛ وَابْنُ البَاقِلَانِي أَكْثَرُ إِثْبَاتًا بَعْدَ الأَشْعَرِيِّ فِي الإِبَانَةِ .

وَبَعْدَ ابْنِ البَاقِلَانِي ابْنُ فورك؛ فَإِنَّهُ أَثْبَتَ بَعْضَ مَا فِي القُرْآنِ.

وأَمَّا الجُوَيْنِي وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَتَهُ: فَمَالُوا إِلَى مَذْهَبِ المُعْتَزِلَةِ؛ فَإِنَّ أَبَا المَعَالِي كَانَ كَثِيرَ المُطَالَعَةِ لِكُتُبِ أَبِي هَاشِمٍ قَلِيلَ المَعْرِفَةِ بِالْآثَارِ فَأَثَّرَ فِيهِ مَجْمُوعُ الأَمْرَيْنِ.

والقشيري تِلْمِيذُ ابْنِ فورك؛ فَلِهَذَا تغلظ مَذْهَبُ الأَشْعَرِيِّ مِنْ حِينَئِذٍ، وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَنْبَلِيَّةِ تَنَافُرٌ بَعْدَ أَنْ كَانُوا متوالفين أَوْ مُتَسَالِمِينَ.

وأَمَّا الحَنْبَلِيَّةُ فَأَبُو عَبْدِ الله بْنُ حَامِدٍ قَوِيٌّ فِي الإِثْبَاتِ جَادٌّ فِيهِ يَنْزِعُ لِمَسَائِلِ الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةِ؛ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ صَاحِبُهُ القَاضِي أَبُو يَعْلَى؛ لَكِنَّهُ أَلْيَنُ مِنْهُ وَأَبْعَدُ عَنْ الزِّيَادَةِ فِي الإِثْبَاتِ.

وَأَمَّا أَبُو عَبْدِ الله بْنُ بَطَّةَ فَطَرِيقَتُهُ طَرِيقَةُ المُحَدِّثِينَ المَحْضَةِ كَأَبِي بَكْرٍ الآجري فِي الشَّرِيعَةِ واللالكائي فِي السُّنَنِ وَالْخَلَّالُ مِثْلُهُ قَرِيبٌ مِنْهُ وَإِلَى طَرِيقَتِهِ يَمِيلُ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَمُتَأَخِّرُو المُحَدِّثِينَ.

وَأَمَّا التَّمِيمِيُّونَ كَأَبِي الحَسَنِ، وَابْنِهِ أَبِي الفَضْلِ، وَابْنِ ابنه رِزْقِ الله فَهُمْ أَبْعَدُ عَنْ الإِثْبَاتِ، وَأَقْرَبُ إِلَى مُوَافَقَةِ غَيْرِهِمْ وَأَلْيَنُ لَهُمْ؛ وَلِهَذَا تَتْبَعُهُمْ الصُّوفِيَّةُ، وَيَمِيلُ إِلَيْهِمْ

فُضَلَاءُ الأَشْعَرِيَّةِ: كالْبَاقِلَانِي وَالْبَيْهَقِي؛ فَإِنَّ عَقِيدَةَ أَحْمَد الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو الفَضْلِ هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا البيهقي مَعَ أَنَّ القَوْمَ مَاشُونَ عَلَى السُّنَّةِ.

وَأَمَّا ابْنُ عَقِيلٍ فَإِذَا انْحَرَفَ وَقَعَ فِي كَلَامِهِ مَادَّةٌ قَوِيَّةٌ مُعْتَزِلِيَّةٌ فِي الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ وَكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ الأَشْعَرِيُّ أَحْسَنَ قَوْلًا مِنْهُ، وَأَقْرَبَ إِلَى السُّنَّةِ.

فَإِنَّ الأَشْعَرِيَّ مَا كَانَ يَنْتَسِبُ إِلَّا إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الحَدِيثِ، وَإِمَامُهُمْ عنده أَحْمَد بْنُ حَنْبَل، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ العَزِيزِ وَغَيْرُهُ فِي مُنَاظَرَاتِهِ: مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ عِنْدَهُ مِنْ مُتَكَلِّمِي أَهْلِ الحَدِيثِ، لَمْ يَجْعَلْهُ مُبَايِنًا لَهُمْ؛ وَكَانُوا قَدِيمًا مُتَقَارِبِينَ إِلَّا أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ مَا قَدْ يُنْكِرُونَهُ عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ الكَلَامِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ البِدْعَةِ؛ مَعَ أَنَّهُ فِي أَصْلِ مَقَالَتِهِ لَيْسَ عَلَى السُّنَّةِ المَحْضَةِ، بَلْ هُوَ مُقَصِّرٌ عَنْهَا تَقْصِيرًا مَعْرُوفًا.

و(الأَشْعَرِيَّةُ) فِيمَا يُثْبِتُونَهُ مِنْ السُّنَّةِ فَرْعٌ عَلَى الحَنْبَلِيَّةِ كَمَا أَنَّ مُتَكَلِّمَةَ الحَنْبَلِيَّةِ - فِيمَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنْ القِيَاسِ العَقْلِيِّ - فَرْعٌ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّمَا وَقَعَتْ الفُرْقَةُ بِسَبَبِ فِتْنَةِ القشيري.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ (الأَشْعَرِيَّةَ) الخراسانيين كَانُوا قَدْ انْحَرَفُوا إِلَى التَّعْطِيلِ. وَكَثِيرٌ مِنْ الحَنْبَلِيَّةِ زَادُوا فِي الإِثْبَاتِ. وَصَنَّفَ القَاضِي أَبُو يَعْلَى كِتَابَهُ فِي إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ رَدَّ فِيهِ عَلَى ابْنِ فورك شَيْخِ القشيري، وَكَانَ الخَلِيفَةُ وَغَيْرُهُ مَائِلِينَ إِلَيْهِ؛ فَلَمَّا صَارَ للقشيرية دَوْلَةٌ بِسَبَبِ السَّلَاجِقَةِ جَرَتْ تِلْكَ الفِتْنَةُ وَأَكْثَرُ الحَقِّ فِيهَا كَانَ مَعَ الفرائية مَعَ نَوْعٍ مِنْ البَاطِلِ، وَكَانَ مَعَ القشيرية فِيهَا نَوْعٌ مِنْ الحَقِّ مَعَ كَثِيرٍ مِنْ البَاطِلِ.

فَابْنُ عَقِيلٍ إِنَّمَا وَقَعَ فِي كَلَامِهِ المَادَّةُ المُعْتَزِلِيَّةُ بِسَبَبِ شَيْخِهِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ الوَلِيدِ وَأَبِي القَاسِمِ بْنِ التَّبَّانِ المعتزليين؛ وَلِهَذَا لَهُ فِي كِتَابِهِ إِثْبَاتِ التَّنْزِيهِ وَفِي غَيْرِهِ كَلَامٌ يُضَاهِي كَلَامَ المريسي وَنَحْوِهِ، لَكِنْ لَهُ فِي الإِثْبَاتِ كَلَامٌ كَثِيرٌ حَسَنٌ، وَعَلَيْهِ اسْتَقَرَّ

أَمْرُهُ فِي كِتَابِ الإِرْشَادِ مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَزِيدُ فِي الإِثْبَاتِ، لَكِنْ مَعَ هَذَا فَمَذْهَبُهُ فِي الصِّفَاتِ قَرِيبٌ مِنْ مَذْهَبِ قُدَمَاءِ الأَشْعَرِيَّةِ والْكُلَّابِيَة فِي أَنَّهُ يُقِرُّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ القُرْآنُ وَالْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ وَيَتَأَوَّلُ غَيْرَهُ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ بَعْضُ الحَنْبَلِيَّةِ أَنَا أُثْبِتُ مُتَوَسِّطًا بَيْنَ تَعْطِيلِ ابْنِ عَقِيلٍ وَتَشْبِيهِ ابْنِ حَامِدٍ.

وَالْغَزَالِيُّ فِي كَلَامِهِ مَادَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ كَبِيرَةٌ بِسَبَبِ كَلَامِ ابْنِ سِينَا فِي الشفا وَغَيْرِهِ؛ وَرَسَائِلِ إِخْوَانِ الصَّفَا، وَكَلَامِ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ.

وَأَمَّا المَادَّةُ المُعْتَزِلِيَّةُ فِي كَلَامِهِ فَقَلِيلَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ كَمَا أَنَّ المَادَّةَ الفَلْسَفِيَّةَ فِي كَلَامِ ابْنِ عَقِيلٍ قَلِيلَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَكَلَامُهُ فِي الإِحْيَاءِ غَالِبُهُ جَيِّدٌ لَكِنَّ فِيهِ مَوَادَّ فَاسِدَةً: مَادَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ، وَمَادَّةٌ كَلَامِيَّةٌ، وَمَادَّةٌ مِنْ تُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ؛ وَمَادَّةٌ مِنْ الأَحَادِيثِ المَوْضُوعَةِ.

وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَقِيلٍ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ مِنْ جِهَةِ تَنَاقُضِ المَقَالَاتِ فِي الصِّفَاتِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكْفُرُ فِي أَحَدِ الصِّفَاتِ بِالْمَقَالَةِ الَّتِي يَنْصُرُهَا فِي المُصَنَّفِ الآخَرِ؛ وَإِذَا صَنَّفَ عَلَى طَرِيقَةِ طَائِفَةٍ غَلَبَ عَلَيْهِ مَذْهَبُهَا.

وَأَمَّا ابْنُ الخَطِيبِ فَكَثِيرُ الِاضْطِرَابِ جِدًّا لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ وَإِنَّمَا هُوَ بَحْثٌ وَجَدَلٌ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يَطْلُبُ، وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَطْلُوبِهِ؛ بِخِلَافِ أَبِي حَامِدٍ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَسْتَقِرُّ.اهـ

أعظم شبه المبتدعة في رد نصوص الصفات

أولها: زعمهم أن إثبات الصفات يقتضي التجسيم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص١٣٩):

وَاعْلَمْ أَنَّ لَفْظَ الْجِسْمِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ الْوَحْيُ إِثْبَاتًا؛ فَيَكُونُ لَهُ الْإِثْبَاتُ، وَلَا نَفْيًا فَيَكُونُ لَهُ النَّفْيُ، فَمَنْ أَطْلَقَهُ نَفْيًا أَوْ إِثْبَاتًا سُئِلَ عَمَّا أَرَادَ بِهِ.

فَإِنْ قَالَ: أَرَدْتُ بِالْجِسْمِ مَعْنَاهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، وَهُوَ الْبَدَنُ الْكَثِيفُ الَّذِي لَا يُسَمَّى فِي اللُّغَةِ جِسْمٌ سِوَاهُ، فَلَا يُقَالُ لِلْهَوَى جِسْمٌ لُغَةً، وَلَا لِلنَّارِ وَلَا لِلْمَاءِ، فَهَذِهِ اللُّغَةُ وَكُتُبُهَا بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَهَذَا الْمَعْنَى مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ عَقْلًا وَسَمْعًا.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِهِ الْمُرَكَّبَ مِنَ الْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ، وَالْمُرَكَّبَ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمُفْرَدَةِ، فَهَذَا مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ قَطْعًا، وَالصَّوَابُ نَفْيُهُ عَنِ الْمُمْكِنَاتِ أَيْضًا، فَلَيْسَ الْمَخْلُوقُ مُرَكَّبًا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ هَذَا.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يُوصَفُ بِالصِّفَاتِ، وَيُرَى بِالْأَبْصَارِ، وَيَتَكَلَّمُ وَيُكَلِّمُ وَيَسْمَعُ وَيُبْصِرُ، وَيَرْضَى وَيَغْضَبُ، فَهَذِهِ الْمَعَانِي ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِهَا، فَلَا نَنْفِيهَا عَنْهُ بِتَسْمِيَتِكُمْ لِلْمَوْصُوفِ بِهَا جِسْمًا، كَمَا أَنَّا لَا نَسُبُّ الصَّحَابَةَ لِأَجْلِ تَسْمِيَةِ الرَّوَافِضِ لِمَنْ يُحِبُّهُمْ وَيُوَالِيهِمْ نَوَاصِبَ، وَلَا نَنْفِي قَدَرَ الرَّبِّ وَنُكَذِّبُ بِهِ لِأَجْلِ تَسْمِيَةِ الْقَدَرِيَّةِ لِمَنْ أَثْبَتَهُ جَبْرِيًّا، وَلَا نرد مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ عَنِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ لِتَسْمِيَةِ أَعْدَاءِ الْحَدِيثِ لَنَا حَشْوِيَّةً، وَلَا نَجْحَدُ صِفَاتِ خَالِقِنَا، وَعُلُوَّهُ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ لِتَسْمِيَةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ لِمَنْ أَثْبَتَ ذَلِكَ مُجَسِّمًا مُشَبِّهًا.

فَإِنْ كَانَ تَجْسِيمًا ثُبُوتُ اسْتِوَائِهِ ... عَلَى عَرْشِهِ إِنِّي إِذًا لَمُجَسِّمُ

وَإِنْ كَانَ تَشْبِيهًا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ ... فَمِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ لَا أَتَكَتَّمُ
وَإِنْ كَانَ تَنْزِيهًا جُحُودُ اسْتِوَائِهِ ... وَأَوْصَافِهِ أَوْ كَوْنِهِ يَتَكَلَّمُ
فَعَنْ ذَلِكَ التَّنْزِيهِ نَزَّهْتُ رَبَّنَا ... بِتَوْفِيقِهِ وَاللهُ أَعْلَى وَأَعْظَمُ

وَرَحْمَةُ الله عَلَى الشَّافِعِيِّ حَيْثُ فَتَحَ لِلنَّاسِ هَذَا الْبَابَ فِي قَوْلِهِ:

يَا رَاكِبًا قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... وَاهْتِفْ بِقَاعِدِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ
إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

وَهَذَا كُلُّهُ كَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ الْأَوَّلِ:

وَعَيَّرَنِي الْوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا ... وَذَلِكَ ذَنْبٌ لَسْتُ مِنْهُ أَتُوبُ

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يُشَارُ إِلَيْهِ إِشَارَةً حِسِّيَّةً؛ فَقَدْ أَشَارَ أَعْرَفُ الْخَلْقِ بِهِ بِأُصْبُعِهِ رَافِعًا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ بِمَشْهَدِ الْجَمْعِ الْأَعْظَمِ مُسْتَشْهِدًا لَهُ، لَا لِلْقِبْلَةِ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يُقَالُ: أَيْنَ هُوَ؟ فَقَدْ سَأَلَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ بِأَيْنَ، مُنَبِّهًا عَلَى عُلُوِّهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَسَمِعَ السُّؤَالَ بِأَيْنَ، وَأَجَابَ عَنْهُ، وَلَمْ يَقُلْ: هَذَا السُّؤَالُ إِنَّمَا يَكُونُ عَنِ الْجِسْمِ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يَلْحَقُهُ مِنْ، وَإِلَى، فَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِهِ، وَعَرَجَ بِرَسُولِهِ إِلَيْهِ، وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَعَبْدُهُ الْمَسِيحُ رُفِعَ إِلَيْهِ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يَتَمَيَّزُ مِنْهُ أَمْرٌ غَيْرُ أَمْرٍ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، جَمِيعًا، مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحَيَاةِ، وَهَذِهِ صِفَاتٌ مُتَمَيِّزَةٌ مُتَغَايِرَةٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا صِفَةٌ وَاحِدَةٌ فَهُوَ بِالْمَجَانِينِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِالْعُقَلَاءِ، وَقَدْ قَالَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**»[1]

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) عن عائشة رضي الله عنها.

وَالْمُسْتَعَاذُ بِهِ غَيْرُ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ، وَأَمَّا اسْتِعَاذَتُهُ ﷺ بِهِ مِنْهُ فَبِاعْتِبَارَيْنِ مُخْتَلِفِينَ، فَإِنَّ الصِّفَةَ الْمُسْتَعَاذَ بِهَا وَالصِّفَةَ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهَا صِفَتَانِ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ وَرَبٍّ وَاحِدٍ، فَالْمُسْتَعِيذُ بِإِحْدَى الصِّفَتَيْنِ مِنَ الْأُخْرَى مُسْتَعِيذًا بِالْمَوْصُوفِ بِهِمَا مِنْهُ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يَكُونُ فَوْقَ غَيْرِهِ، وَمُسْتَوِيًا عَلَى غَيْرِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عِبَادِهِ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ.

كَذَلِكَ إِنْ أَرَدْتُمْ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّرْكِيبِ هَذِهِ الْمَعَانِيَ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْوَحْيُ وَالْعَقْلُ، فَنَفْيُكُمْ لَهَا بِهَذِهِ الْأَلْقَابِ الْمُنْكَرَةِ خَطَأٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَجِنَايَةٌ عَلَى أَلْفَاظِ الْوَحْيِ:

أَمَّا الْخَطَأُ اللَّفْظِيُّ فَتَسْمِيَتُكُمُ الْمَوْصُوفَ بِذَلِكَ جِسْمًا مُرَكَّبًا مُؤَلَّفًا مُشَبَّهًا بِغَيْرِهِ، وَتَسْمِيَتُكُمْ هَذِهِ الصِّفَاتِ تَرْكِيبًا وَتَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا، فَكَذَبْتُمْ عَلَى الْقُرْآنِ وَعَلَى الرَّسُولِ وَعَلَى اللُّغَةِ، وَوَضَعْتُمْ لِصِفَاتِهِ أَلْفَاظًا مِنْكُمْ بُدِئَتْ وَإِلَيْكُمْ تَعُودُ.

وَأَمَّا خَطَؤُكُمْ فِي الْمَعْنَى، فَنَفْيُكُمْ وَتَعْطِيلُكُمْ لِصِفَاتِ كَمَالِهِ بِوَاسِطَةِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ وَالْأَلْقَابِ، فَنَفَيْتُمُ الْمَعْنَى الْحَقَّ وَسَمَّيْتُمُوهُ بِالِاسْمِ الْمُنْكَرِ، وَكُنْتُمْ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَمِعَ أَنَّ الْعَسَلَ شِفَاءٌ، وَلَمْ يَرَهُ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: مَائِعٌ رَقِيقٌ أَصْفَرُ يُشْبِهُ الْعَذِرَةَ، تَتَقَيَّؤُهُ الزَّنَابِيرُ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْعَسَلَ يَنْفِرُ عَنْهُ بِهَذَا التَّعْرِيفِ، وَمَنْ عَرَفَهُ وَذَاقَهُ لَمْ يَزِدْهُ هَذَا التَّعْرِيفُ عِنْدَهُ إِلَّا مَحَبَّةً لَهُ وَرَغْبَةً فِيهِ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

تَقُولُ هَذَا جِنَاءُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ ذَا قَيْءُ الزَّنَابِيرِ

مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ... وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

وَأَشَدُّ مَا جَادَلَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ فِي التَّنْفِيرِ عَنْهُ سُوءُ التَّعْبِيرِ عَمَّا جَاءَ بِهِ، وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ الْقَبِيحَةِ لَهُ، وَالتَّعْبِيرُ عَنْ تِلْكَ الْمَعَانِي الَّتِي أَحْسَنَ مِنْهَا بِأَلْفَاظٍ مُنْكَرَةٍ أَلْقَوْهَا

فِي مَسَامِعِ الْمُغْتَرِّينَ الْمَخْدُوعِينَ، فَوَصَلَتْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فَنَفَرَتْ عَنْهُ، وَأَكْثَرُ الْعُقُولِ كَمَا عُهِدت تَقْبَلُ الْقَوْلَ بِعِبَارَةٍ وَتَرُدُّهُ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٦/٣٣):

وقد سئل رحمه الله عمن يقول: إن إثبات الصفات يقتضي التجسيم.

فقال رحمه الله: ظَهَرَتْ مَقَالَةُ الجَهْمِيَّةِ النُّفَاةِ -نفاة الصِّفَاتِ-.

وقَالُوا: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ، وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ (الصِّفَاتِ) الَّتِي هِيَ العِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ أَعْرَاضٌ وَمَعَانٍ تَقُومُ بِغَيْرِهَا، وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ إلَّا بِجِسْمِ، وَاَللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمِ؛ لِأَنَّ الأَجْسَامَ لَا تَخْلُو مِنْ الأَعْرَاضِ الحَادِثَةِ، وَمَا لَا يَخْلُو مِنْ الحَوَادِثِ، فَهُوَ مُحْدَثٌ.

قَالُوا: وَبِهَذَا اسْتَدْلَلْنَا عَلَى حُدُوثِ الأَجْسَامِ؛ فَإِنْ بَطَلَ هَذَا بَطَلَ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى حُدُوثِ الأَجْسَامِ فَيَبْطُلُ الدَّلِيلُ عَلَى حُدُوثِ العَالَمِ فَيَبْطُلُ الدَّلِيلُ عَلَى إثْبَاتِ الصِّفَاتِ. قَالُوا: وَإِذَا كَانَتْ الأَعْرَاضُ الَّتِي هِيَ الصِّفَاتُ لَا تَقُومُ إلَّا بِجِسْمِ، وَالْجِسْمُ مُرَكَّبٌ مِنْ أَجْزَائِهِ، وَالْمُرَكَّبُ مُفْتَقِرٌ إلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَكُونُ غَنِيًّا عَنْ غَيْرِهِ وَاجِبَ الوُجُودِ بِنَفْسِهِ، وَاَللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ غَيْرِهِ وَاجِبُ الوُجُودِ بِنَفْسِهِ.

قَالُوا: وَلِأَنَّ الجِسْمَ مَحْدُودٌ مُتَنَاهٍ؛ فَلَوْ كَانَ لَهُ صِفَاتٌ لَكَانَ مَحْدُودًا مُتَنَاهِيًا؛ وَذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُخَصِّصٌ خَصَّصَهُ بِقَدْرِ دُونَ قَدْرٍ، وَمَا افْتَقَرَ إلَى مُخَصِّصٍ؛ لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا قَدِيمًا وَاجِبَ الوُجُودِ بِنَفْسِهِ. قَالُوا: وَلِأَنَّهُ لَوْ قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ لَكَانَ جِسْمًا، وَلَوْ كَانَ جِسْمًا لَكَانَ مُمَاثِلًا لِسَائِرِ الأَجْسَامِ؛ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهَا وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الله تَعَالَى.

وَزَادَ الجَهْمُ فِي ذَلِكَ هُوَ وَالْغُلَاةُ - مِنْ القَرَامِطَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ - نَحوَ ذَلِكَ فَقَالُوا: وَلَيْسَ لَهُ اسْمٌ كَالشَّيْءِ وَالْحَيِّ وَالْعَلِيمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إذَا كَانَ لَهُ اسْمٌ مِنْ هَذِهِ

الأَسْمَاءِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِمَعْنَى الِاسْمِ كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ؛ فَإِنَّ صِدْقَ الْمُشْتَقِّ مُسْتَلْزِمٌ لِصِدْقِ الْمُشْتَقِّ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ يَقْتَضِي قِيَامَ الصِّفَاتِ بِهِ وَذَلِكَ مُحَالٌ؛ وَلِأَنَّهُ إذَا سُمِّيَ بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ فَهِيَ مِمَّا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ. وَاَللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ مُشَابَهَةِ الغَيْرِ.

وَزَادَ آخَرُونَ بِالْغُلُوِّ فَقَالُوا: لَا يُسَمَّى بِإِثْبَاتِ وَلَا نَفْيٍ وَلَا يُقَالُ: مَوْجُودٌ وَلَا لَا مَوْجُودٌ، وَلَا حَيٌّ وَلَا لَا حَيٌّ؛ لِأَنَّ فِي الإِثْبَاتِ تَشْبِيهًا لَهُ بِالْمَوْجُودَاتِ وَفِي النَّفْيِ تَشَبُّهًا لَهُ بِالْمَعْدُومَاتِ وَكُلُّ ذَلِكَ تَشْبِيهٌ.

فَلَمَّا ظَهَرَ هَؤُلَاءِ الجَهْمِيَّة أَنْكَرَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ مَقَالَتَهُمْ وَرَدُّوهَا وَقَابَلُوهَا بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ الإِنْكَارِ الشَّرْعِيِّ وَكَانَتْ خَفِيَّةً إلَى أَنْ ظَهَرَتْ وَقَوِيَتْ شَوْكَةُ الجَهْمِيَّة فِي أَوَاخِرِ المِائَةِ الأُولَى، وَأَوَائِلِ الثَّانِيَةِ، فِي دَوْلَةِ أَوْلَادِ الرَّشِيدِ، فَامْتَحَنُوا النَّاسَ المِحْنَةَ المَشْهُورَةَ الَّتِي دَعَوْا النَّاسَ فِيهَا إلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ وَلَوَازِمِ ذَلِكَ: مِثْلَ إنْكَارِ الرُّؤْيَةِ وَالصِّفَاتِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ القُرْآنَ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الأَعْرَاضِ.

فَلَوْ قَامَ بِذَاتِ الله لَقَامَتْ بِهِ الأَعْرَاضُ فَيَلْزَمُ التَّشْبِيهُ وَالتَّجْسِيمُ. وَحَدَثَ مَعَ الجَهْمِيَّة قَوْمٌ شَبَّهُوا اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ؛ فَجَعَلُوا صِفَاتِهِ مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ، فَأَنْكَرَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ عَلَى الجَهْمِيَّة المُعَطِّلَةِ، وَعَلَى المُشَبِّهَةِ المُمَثِّلَةِ، وَكَانَ إمَامُ المُعْتَزِلَةِ أَبُو الهذيل العَلَّافُ وَنَحْوُهُ مِنْ نفاة الصِّفَاتِ، قَالُوا: يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جِسْمًا وَاَللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ.

قَالَ هَؤُلَاءِ: بَلْ هُوَ جِسْمٌ، وَالْجِسْمُ هُوَ القَائِمُ بِنَفْسِهِ أَوْ المَوْجُودُ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ المَقَالَاتِ وَطَعَنُوا فِي أَدِلَّةِ نفاة الجِسْمِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ لَا يَتَّسِعُ لَهُ الجَوَابُ هُنَا.

ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ قَالَ: هُوَ جِسْمٌ كَالْأَجْسَامِ وَمِنْهُمْ مَنْ وَصَفَهُ بِخَصَائِصِ المَخْلُوقَاتِ وَحُكِيَ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ الطَّائِفَتَيْنِ مَقَالَاتٌ شَنِيعَةٌ. وَجَاءَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ كُلَّابٍ فَقَالَ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ: هُوَ المَوْصُوفُ بِالصِّفَاتِ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ الصِّفَاتُ أَعْرَاضًا؛

إِذْ هِيَ قَدِيمَةٌ بَاقِيَةٌ لَا تَعْرِضُ وَلَا تَزُولُ، وَلَكِنْ لَا يُوصَفُ بِالْأَفْعَالِ الْقَائِمَةِ بِهِ كَالْحَرَكَاتِ؛ لِأَنَّهَا تَعْرِضُ وَتَزُولُ.

فَقَالَ ابْنُ كَرَّامٍ وَأَتْبَاعُهُ: لَكِنَّهُ مَوْصُوفٌ بِالصِّفَاتِ وَإِنْ قِيلَ إِنَّهَا أَعْرَاضٌ وَمَوْصُوفٌ بِالْأَفْعَالِ الْقَائِمَةِ بِنَفْسِهِ وَإِنْ كَانَتْ حَادِثَةً.

وَلَمَّا قِيلَ لَهُمْ: هَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جِسْمًا. قَالُوا: نَعَمْ هُوَ جِسْمٌ لا كَالْأَجْسَامِ. وَلَيْسَ ذَلِكَ مُمْتَنِعًا دَائِمًا وَإِنَّمَا الْمُمْتَنِعُ أَنْ يُشَابِهَ الْمَخْلُوقَاتِ فِيمَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: أَطْلَقَ لَفْظَ الْجِسْمِ لَا مَعْنَاهُ.

وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ النُّظَّارِ بُحُوثٌ طَوِيلَةٌ مُسْتَوْفَاةٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَأَمَّا السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ؛ فَلَمْ يَدْخُلُوا مَعَ طَائِفَةٍ مِنْ الطَّوَائِفِ فِيمَا ابْتَدَعُوهُ مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ، بَلْ اعْتَصَمُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَرَأَوْا ذَلِكَ هُوَ الْمُوَافِقُ لِصَرِيحِ الْعَقْلِ فَجَعَلُوا كُلَّ لَفْظٍ جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ حَقًّا يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تُعْرَفْ حَقِيقَةُ مَعْنَاهُ، وَكُلُّ لَفْظٍ أَحْدَثَهُ النَّاسُ فَأَثْبَتَهُ قَوْمٌ وَنَفَاهُ آخَرُونَ؛ فَلَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نُطْلِقَ إِثْبَاتَهُ، وَلَا نَفْيَهُ حَتَّى نَفْهَمَ مُرَادَ الْمُتَكَلِّمِ.

فَإِنْ كَانَ مُرَادُهُ حَقًّا مُوَافِقًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ: مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ قُلْنَا بِهِ؛ وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا مُخَالِفًا لِمَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ مَنَعْنَا الْقَوْلَ بِهِ، وَرَأَوْا أَنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْقُرْآنُ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُوَافِقَةُ لِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ وَصَحِيحِ الْمَنْقُولِ، وَهِيَ طَرِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ. وَأَنَّ الرُّسُلَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ جَاءُوا بِنَفْيٍ مُجْمَلٍ وَإِثْبَاتٍ مُفَصَّلٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَطَرِيقَةُ الرُّسُلِ هِيَ مَا جَاءَ بِهَا الْقُرْآنُ وَاللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ يُثْبِتُ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ وَيَنْفِي عَنْهُ - عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ - التَّشْبِيهَ وَالتَّمْثِيلَ.

فَهُوَ فِي الْقُرْآنِ يُخْبِرُ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَأَنَّهُ غَفُورٌ وَدُودٌ، وَأَنَّهُ تَعَالَى - عَلَى عِظَمِ ذَاتِهِ - يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَرْضَى عَنْهُمْ وَيَغْضَبُ عَلَى الْكُفَّارِ، وَيَسْخَطُ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَنَّهُ تَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا؛ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

وَيَقُولُ فِي النَّفْيِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ فَيُثْبِتُ الصِّفَاتِ، وَيَنْفِي مُمَاثَلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَلَمَّا كَانَتْ طَرِيقَةُ السَّلَفِ: أَنْ يَصِفُوا اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ رُبَّمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

وَمُخَالِفُو الرُّسُلِ يَصِفُونَهُ بِالْأُمُورِ السَّلْبِيَّةِ: لَيْسَ كَذَا لَيْسَ كَذَا.فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: فَأَثْبِتُوهُ. قَالُوا: هُوَ وُجُودٌ مُطْلَقٌ، أَوْ ذَاتٌ بِلَا صِفَاتٍ. وَقَدْ عُلِمَ بِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ أَنَّ الْمُطْلَقَ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي الْأَذْهَانِ؛ لَا فِي الْأَعْيَانِ وَأَنَّ الْمُطْلَقَ لَا بِشَرْطٍ لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ مُطْلَقًا، لَا يُوجَدُ إِلَّا مُعَيَّنًا، وَلَا يَكُونُ لِلرَّبِّ عِنْدَهُمْ حَقِيقَةٌ مُغَايِرَةٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ إِمَّا أَنْ يُعَطِّلُوهُ أَوْ يَجْعَلُوهُ وُجُودَ الْمَخْلُوقَاتِ أَوْ جُزْأَهَا أَوْ وَصْفَهَا، وَالْأَلْفَاظُ الْمُجْمَلَةُ يَكُفُّونَ عَنْ مَعْنَاهَا.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: فَبِهَذَا التَّفْصِيلِ يَزُولُ الِاشْتِبَاهُ وَالتَّضْلِيلُ وَإِلَّا فَكُلُّ مَنْ نَفَى شَيْئًا مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ سَمَّى مَنْ أَثْبَتَ ذَلِكَ مُجَسِّمًا قَائِلًا بِالتَّحَيُّزِ وَالْجِهَةِ.

فَالْمُعْتَزِلَةُ وَنَحْوُهُمْ يُسَمَّوْنَ الصفاتية - الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيٌّ بِحَيَاةٍ عَلِيمٌ بِعِلْمٍ قَدِيرٌ بِقُدْرَةٍ سَمِيعٌ بِسَمْعٍ بَصِيرٌ بِبَصَرٍ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ يُسَمُّونَهُمْ - مُجَسِّمَةً مُشَبِّهَةً حَشْوِيَّةً.

و(الصفاتية) هُمْ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ وَجَمِيعُ الطَّوَائِفِ الْمُثْبِتَةِ لِلصِّفَاتِ: كالْكُلَّابِيَة والكَرَّامِيَة وَالْأَشْعَرِيَّةِ والسالمية وَغَيْرِهِمْ مِنْ طَوَائِفِ الأُمَّةِ.

قَالَتْ نفاة الصِّفَاتِ مَنْ الجَهْمِيَّة وَالْمُعْتَزِلَةِ وطَائِفَةٌ مِنْ الفَلَاسِفَةِ لِهَؤُلَاءِ: إذَا أَثْبَتُّمْ لَهُ حَيَاةً وَقُدْرَةً وَكَلَامًا فَهَذِهِ أَعْرَاضٌ، وَالْأَعْرَاضُ لَا تَقُومُ إلَّا بِجِسْمِ، وَإِذَا قُلْتُمْ: يُرَى فَالرُّؤْيَةُ لَا تَكُونُ إلَّا لِمُعَايَنٍ فِي جِهَةٍ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ.

فَإِذَا قَالَتْ الأَشْعَرِيَّةُ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ: نَحْنُ نُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَلَا نُسَمِّيهَا أَعْرَاضًا؛ لِأَنَّ العَرَضَ مَا يَعْرِضُ لِمَحَلِّهِ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ بَاقِيَةٌ لَا تَزُولُ.

قَالَتْ لَهُمْ النُّفَاةِ: هَذَا نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ؛ فَإِنَّ العَرَضَ عِنْدَكُمْ يَنْقَسِمُ إلَى لَازِمٍ لِمَحَلِّهِ لَا يُفَارِقُهُ - مَا دَامَ المَحَلُّ مَوْجُودًا - وَإِلَى مَا يَجُوزُ أَنْ يُفَارِقَ مَحَلَّهُ فَالْأَوَّلُ كَالتَّحَيُّزِ لِلْجِسْمِ، بَلْ وكالحيوانية والناطقية لِلْإِنْسَانِ؛ فَإِنَّهُ مَا دَامَ إنْسَانًا لَا تُفَارِقُهُ هَذِهِ الصِّفَةُ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إنَّ العَرَضَ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ فَهَذَا شَيْءٌ انْفَرَدْتُم بِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ العُقَلَاءِ: وَكَابَرْتُمْ بِهِ الحِسَّ لِتَنْجُوَا بالمغاليط عَنْ هَذِهِ الإِلْزَامَاتِ المُفْحِمَةِ، ثُمَّ إنَّكُمْ تَقُولُونَ بِتَجَدُّدِ أَمْثَالِهِ، فَهَذَا هُوَ مَعْنَى بَقَاءِ العَرَضِ.

وَهَذَا كَمَا قُلْتُمْ إنَّهُ يُرَى بِلَا مُوَاجَهَةٍ وَلَا مُدَابَرَةٍ، وَلَا يَتَوَجَّهُ إلَيْهِ الرَّائِي بِجِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ، فَهَذَا أَيْضًا مِمَّا انْفَرَدْتُم بِهِ عَنْ العُقَلَاءِ وَكَابَرْتُم بِهِ الحِسَّ وَالْعَقْلَ.

قَالَتْ لَهُمْ النُّفَاةِ: فَأَثْبَتُّمْ مَا يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ وَالتَّشْبِيهَ وَالْحَشْوَ أَوْ نَفَيْتُمْ التَّلَازُمَ فَخَالَفْتُمْ صَرِيحَ العَقْلِ وَالضَّرُورَةِ.

وَلِهَذَا صَارَ حُذَّاقُكُمْ إِلَى أَنَّكُمْ فِي الحَقِيقَةِ مُوَافِقُونَ لَنَا عَلَى نَفْيِ رُؤْيَةِ الله تَعَالَى وَلَكِنْ أَظْهَرْتُمْ إِثْبَاتَهَا لِكَوْنِهِ المَشْهُورَ عِنْدَ (الحَشْوِيَّةِ) المَشْهُورِينَ بِالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ لِيُقَالَ: إِنَّكُمْ مِنْهُمْ أَوْ أَثْبَتُّمْ ذَلِكَ تَنَاقُضًا مِنْكُمْ؛ فَأَنْتُمْ دَائِرُونَ بَيْنَ المُنَاقَضَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ.

فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِمَّنْ يُوَافِقُ نفاة الصِّفَاتِ، وَيُثْبِتُ أَسْمَاءَ الله الحُسْنَى - كَمَا تَفْعَلُ المُعْتَزِلَةُ، وَهُمْ أَئِمَّةُ الكَلَامِ - سَمَّاهُ نفاة أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى مُشَبِّهًا حَشْوِيًّا مُجَسِّمًا: كَمَا فَعَلَتْ القَرَامِطَةُ الحَاكِمِيَّةُ البَاطِنِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ، وَقَالُوا: إِذَا قُلْتُمْ إِنَّهُ مَوْجُودٌ عَلِيمٌ حَيٌّ قَدِيرٌ، فَهَذَا هُوَ القَوْلُ بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالْحَشْوِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُشَابَهَةٌ لِغَيْرِهِ مِنْ المَخْلُوقَاتِ، وَلِأَنَّهُ لَا يُعْقَلُ مَوْجُودٌ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ إِلَّا جِسْمًا، وَلِأَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ تَسْتَلْزِمُ الصِّفَاتِ. وَالصِّفَاتُ تَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ.

فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِمَّنْ يَنْفِي الأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ - كَمَا تَفْعَلُهُ غُلَاةُ الجَهْمِيَّة وَالْقَرَامِطَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ - فَلَا بُدَّ لَهُ أَنْ يُثْبتَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ. وَحِينَئِذٍ فَتَقُولُ لَهُ النُّفَاةِ: أَنْتَ مُجَسِّمٌ مُشَبِّهٌ حَشْوِيٌّ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَوْجُودًا؛ فَقَدْ شَارَكَهُ غَيْرُهُ فِي مَعْنَى الوُجُودِ، وَهُوَ التَّشْبِيهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْقَلُ مَوْجُودٌ إِلَّا جِسْمٌ أَوْ قَائِمٌ بِجِسْمٍ؛ فَحِينَئِذٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: لَا مَوْجُودَ وَلَا مَعْدُومَ، وَلَا حَيَّ وَلَا مَيِّتَ، أَوْ لَا مَوْجُود وَلَا لَا مَوْجُودَ، وَلَا حَيَّ وَلَا لَا حَيَّ؛ فَيَلْزَمُ نَفْيُ النَّقِيضَيْنِ جَمِيعًا، وَمَا هُوَ فِي مَعْنَى النَّقِيضَيْنِ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الأُمُورِ البَاطِلَةِ فِي بَدِيهَةِ العَقْلِ مَعَ أَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِمْ تَشْبِيهُهُ بِالْمُمْتَنِعَاتِ؛ لِأَنَّ مَا لَيْسَ بِمَوْجُودِ وَلَا مَعْدُومٍ، لَا يَكُونُ لَهُ حَقِيقَةً أَصْلًا - لَا مَوْجُودَةً وَلَا مَعْدُومَةً -، بَلْ هُوَ أَمْرٌ مُقَدَّرٌ فِي الأَذْهَانِ لَا يَتَحَقَّقُ فِي الأَعْيَانِ، هَذَا مَعَ مَا التَزَمَهُ مِنْ الكُفْرِ الصَّرِيحِ.

وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ نَفَى الوُجُودَ الوَاجِبَ القَدِيمَ بِالْكُلِّيَّةِ؛ لَكَانَ مَعَ الكُفْرِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ كُفْرٍ قَدْ كَابَرَ القَضَايَا الضَّرُورِيَّةَ؛ فَإِنَّا نَشْهَدُ المَوْجُودَاتِ، وَنَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ إِمَّا

قَدِيمٌ وَإِمَّا مُحْدَثٌ، وَإِمَّا وَاجِبٌ مَوْجُودٌ بِنَفْسِهِ وَإِمَّا مُمْكِنٌ بِنَفْسِهِ مَوْجُودٌ بِغَيْرِهِ. وَكُلُّ مُحْدَثٍ وَمُمْكِنٍ بِنَفْسِهِ مَوْجُودٌ بِغَيْرِهِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَدِيمٍ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ فَالْوُجُودُ بِالضَّرُورَةِ يَسْتَلْزِمُ إثْبَاتَ مَوْجُودٍ قَدِيمٍ. وَمِنْ الْوُجُودِ مَا هُوَ مُمْكِنٌ مُحْدَثٌ: كَمَا نَشْهَدُهُ فِي الْمُحْدَثَاتِ مِنْ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ.

فَإِذَا عُلِمَ بِضَرُورَةِ الْعُقُولِ أَنَّ الْوُجُودَ فِيهِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ قَدِيمٌ وَاجِبٌ بِنَفْسِهِ، وَفِيهِ مَا هُوَ مُحْدَثٌ مَوْجُودٌ مُمْكِنٌ بِنَفْسِهِ، فَهَذَانِ الْمَوْجُودَانِ اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ، وَامْتَازَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنْ الْآخَرِ بِخُصُوصِ وُجُودِهِ فَمَنْ لَمْ يُثْبِتْ مَا بَيْنَ الْمَوْجُودَيْنِ مِنْ الِاتِّفَاقِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ الِافْتِرَاقِ وَإِلَّا لَزِمَهُ أَنْ تَكُونَ الْمَوْجُودَاتُ كُلُّهَا قَدِيمَةً وَاجِبَةً بِأَنْفُسِهَا أَوْ مُحْدَثَةً مُمْكِنَةً مُفْتَقِرَةً إلَى غَيْرِهَا وَكِلَاهُمَا مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالِاضْطِرَارِ.

فَتَعَيَّنَ إثْبَاتُ الِاتِّفَاقِ مِنْ وَجْهٍ، وَالِامْتِيَازُ مِنْ وَجْهٍ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مَا امْتَازَ بِهِ الْخَالِقُ الْمَوْجُودُ عَنْ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ أَعْظَمُ مِمَّا تَمْتَازُ بِهِ سَائِرُ الْمَوْجُودَاتِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ (الْمَلِكُ) و(الْبَعُوضُ) قَدْ اشْتَرَكَا فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ، وَالْحَيِّ مَعَ تَفَاوُتِ مَا بَيْنَهُمَا، فَالْخَالِقُ سُبْحَانَهُ أَوْلَى بِمُبَايَنَتِهِ لِلْمَخْلُوقَاتِ؛ وَإِنْ حَصَلَتْ الْمُوَافَقَةُ فِي بَعْضِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. اهـ المراد.

وقال الإمام العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (١/١٧٧):

ما هذا الجسم الذي تنفرون الناس عن إثبات صفات الله من أجله؟!

أتريدون بالجسم الشيء المكون من أشياء مفتقر بعضها إلى بعض، لا يمكن أن يقوم إلا باجتماع هذه الأجزاء؟! فإن أردتم هذا، فنحن لا نقره، ونقول: إن الله ليس بجسم بهذا المعنى، ومن قال: إن إثبات علوه يستلزم هذا الجسم، فقوله مجرد دعوى ويكفينا أن نقول: لا قبول.

أما إن أردتم بالجسم الذات القائمة بنفسها المتصفة بما يليق بها، فنحن نثبت ذلك، ونقول: إن لله تعالى ذاتًا، وهو قائم بنفسه، متصف بصفات الكمال، وهذا هو الذي يعلم به كل إنسان.اهـ

ثانيها: زعمهم أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه بالمخلوقين.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/٥٨):

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الخطابي فِي رِسَالَتِهِ المَشْهُورَةِ فِي «الغنية عَنْ الكَلَامِ وَأَهْلِهِ»: فَأَمَّا مَا سَأَلْت عَنْهُ مِنْ الصِّفَاتِ، وَمَا جَاءَ مِنْهَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ إثْبَاتُهَا وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا وَنَفْيُ الكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ عَنْهَا، وَقَدْ نَفَاهَا قَوْمٌ فَأَبْطَلُوا مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ وَحَقَّقَهَا قَوْمٌ مِنْ المُثْبِتِينَ؛ فَخَرَجُوا فِي ذَلِكَ إلَى ضَرْبٍ مِنْ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ، وَإِنَّمَا القَصْدُ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ المُسْتَقِيمَةِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ، وَدِينُ الله تَعَالَى بَيْنَ الغَالِي فِيهِ، وَالْجَافِي وَالمُقَصِّرِ عَنْهُ.

وَالْأَصْلُ فِي هَذَا: أَنَّ الكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَلَى الكَلَامِ فِي الذَّاتِ، وَيُحْتَذَى فِي ذَلِكَ حَذْوُهُ وَمِثَالُهُ. فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ إثْبَاتَ البَارِي سُبْحَانَهُ، إنَّمَا هُوَ إثْبَاتُ وُجُودٍ لَا إثْبَاتَ كَيْفِيَّةٍ، فَكَذَلِكَ إثْبَاتُ صِفَاتِهِ، إنَّمَا هُوَ إثْبَاتُ وُجُودٍ لَا إثْبَاتَ تَحْدِيدٍ وَتَكْيِيفٍ.

فَإِذَا قُلْنَا: يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ وَمَا أَشْبَهَهَا؛ فَإِنَّمَا هِيَ صِفَاتٌ أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ؛ وَلَسْنَا نَقُولُ: إنَّ مَعْنَى اليَدِ القُوَّةُ أَوْ النِّعْمَةُ، وَلَا مَعْنَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ العِلْمُ؛ وَلَا نَقُولُ إنَّهَا جَوَارِحُ، وَلَا نُشَبِّهُهَا بِالْأَيْدِي وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ الَّتِي هِيَ جَوَارِحُ وَأَدَوَاتٌ لِلْفِعْلِ وَنَقُولُ: إنَّ القَوْلَ إنَّمَا وَجَبَ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ التَّوْقِيفَ وَرَدَ بِهَا؛ وَوَجَبَ نَفْيُ

التَّشْبِيهِ عَنْهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ وَعَلَى هَذَا جَرَى قَوْلُ السَّلَفِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ. هَذَا كُلُّهُ كَلَامُ الخطابي.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في منهاج السنة النبوية (٢/ ١١٠):

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ. وَلَكِنَّ لَفْظَ (التَّشْبِيهِ) فِي كَلَامِ هَؤُلَاءِ النُّفَاةِ الْمُعَطِّلَةِ لَفْظٌ مُجْمَلٌ:

فَإِنْ أَرَادَ بِلَفْظِ التَّشْبِيهِ مَا نَفَاهُ الْقُرْآنُ، وَدَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ، فَهَذَا حَقٌّ، فَإِنَّ خَصَائِصَ الرَّبِّ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

وَمَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، يُثْبِتُونَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ مُمَاثَلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ، يُثْبِتُونَ لَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ ضُرُوبَ الْأَمْثَالِ، يُنَزِّهُونَهُ عَنِ النَّقْصِ وَالتَّعْطِيلِ، وَعَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، إِثْبَاتٌ بِلَا تَشْبِيهٍ، وَتَنْزِيهٌ بِلَا تَعْطِيلٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: ١١] رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ. وَمَنْ جَعَلَ صِفَاتِ الْخَالِقِ مِثْلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ الْمُشَبِّهُ الْمُبْطِلُ الْمَذْمُومُ.

وَإِنْ أَرَادَ بِالتَّشْبِيهِ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ لِلَّهِ شَيْءٌ مِنَ الصِّفَاتِ، فَلَا يُقَالُ: لَهُ عِلْمٌ وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا حَيَاةٌ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ مَوْصُوفٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ؛ فَلَزِمَهُ أَنْ لَا يُقَالَ لَهُ: حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَكَذَلِكَ فِي كَلَامِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَرُؤْيَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهُمْ يُوَافِقُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ، وَالْمَخْلُوقُ يُقَالُ لَهُ: مَوْجُودٌ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَلَا يُقَالُ: هَذَا تَشْبِيهٌ يَجِبُ نَفْيُهُ.

وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَصَرِيحُ الْعَقْلِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُخَالِفَ فِيهِ عَاقِلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ، وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ بِأَسْمَاءٍ، وَكَذَلِكَ سَمَّى صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ، وَسَمَّى بَعْضَهَا صِفَاتِ خَلْقِهِ، وَلَيْسَ الْمُسَمَّى كَالْمُسَمَّى.

فَسَمَّى نَفْسَهُ حَيًّا عَلِيمًا قَدِيرًا، رَءُوفًا رَحِيمًا، عَزِيزًا حَكِيمًا، سَمِيعًا بَصِيرًا، مَلِكًا مُؤْمِنًا، جَبَّارًا مُتَكَبِّرًا، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٥٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشُّورَى: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٢٥]، وَقَالَ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٢٨، ٢٤٠]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الْحَجِّ: ٦٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟﴾ [النِّسَاءِ: ٥٨]، وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الْحَشْرِ: ٢٣].

وَقَدْ سَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ حَيًّا، فَقَالَ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الرُّومِ: ١٩]. وَبَعْضَهُمْ عَلِيمًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٢٨]، وَبَعْضَهُمْ حَلِيمًا بِقَوْلِهِ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافَّاتِ: ١٠١]، وَبَعْضَهُمْ رَءُوفًا رَحِيمًا بِقَوْلِهِ: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٢٨]، وَبَعْضَهُمْ سَمِيعًا بَصِيرًا بِقَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الْإِنْسَانِ: ٢]، وَبَعْضَهُمْ عَزِيزًا بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وَبَعْضَهُمْ مَلِكًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الْكَهْفِ: ٧٩]، وَبَعْضَهُمْ مُؤْمِنًا بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السَّجْدَةِ: ١٨]، وَبَعْضَهُمْ جَبَّارًا مُتَكَبِّرًا بِقَوْلِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غَافِرٍ: ٣٥].

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُمَاثِلُ الْحَيُّ الْحَيَّ، وَلَا الْعَلِيمُ الْعَلِيمَ، وَلَا الْعَزِيزُ الْعَزِيزَ، وَلَا الرَّءُوفُ الرَّءُوفَ، وَلَا الرَّحِيمُ الرَّحِيمَ، وَلَا الْمَلِكُ الْمَلِكَ، وَلَا الْجَبَّارُ الْجَبَّارَ، وَلَا الْمُتَكَبِّرُ الْمُتَكَبِّرَ.

وَقَالَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النِّسَاءِ: ١٦٦]، وَقَالَ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ١١]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٥٨]، وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَتْ: ١٥].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله - ﷺ - يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - يُسَمِّيهِ - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ**»(١).

وَفِي حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ الَّذِي رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ،**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٢).

وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»(١).

فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ وَرَسُولُهُ صِفَاتِ الله تَعَالَى عِلْمًا وَقُدْرَةً وَقُوَّةً، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الرُّوم: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾ [يُوسُفَ: ٦٨]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ، وَلَا الْقُوَّةُ كَالْقُوَّةِ، وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ.

وَهَذَا لَازِمٌ لِجَمِيعِ الْعُقَلَاءِ، فَإِنَّ مَنْ نَفَى بَعْضَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ كَالرِّضَا وَالْغَضَبِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْبُغْضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ.

قِيلَ لَهُ: فَأَنْتَ تُثْبِتُ لَهُ الْإِرَادَةَ وَالْكَلَامَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ، مَعَ أَنَّ مَا تُثْبِتُهُ لَيْسَ مِثْلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَقُلْ فِيمَا أَثْبَتَّهُ مِثْلَ قَوْلِكَ فِيمَا نَفَيْتَهُ، وَأَثْبَتَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُثْبِتُ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ.

قِيلَ لَهُ: فَأَنْتَ تُثْبِتُ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى مِثْلَ: حَيٍّ وَعَلِيمٍ وَقَدِيرٍ، وَالْعَبْدُ يُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَلَيْسَ مَا تُثْبِتُ لِلرَّبِّ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مُمَاثِلًا لِمَا تُثْبِتُ لِلْعَبْدِ، فَقُلْ فِي صِفَاتِهِ نَظِيرَ قَوْلِكَ ذَلِكَ فِي مُسَمَّى أَسْمَائِهِ.

فَإِنْ قَالَ: وَأَنَا لَا أُثْبِتُ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، بَلْ أَقُولُ هِيَ مَجَازٌ، أَوْ هِيَ أَسْمَاءٌ لِبَعْضِ مُبْتَدَعَاتِهِ، كَقَوْلِ غُلَاةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْمُتَفَلْسِفَةِ.

قِيلَ لَهُ: فَلَا بُدَّ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّهُ حَقٌّ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَالْجِسْمُ مَوْجُودٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ هُوَ مُمَاثِلًا لَهُ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي (٣/ ٥٤-٥٥)، وهو حديث صحيح.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُثْبِتُ شَيْئًا، بَلْ أُنْكِرُ وُجُودَ الْوَاجِبِ.

قِيلَ لَهُ: مَعْلُومٌ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ أَنَّ الْمَوْجُودَ إِمَّا وَاجِبٌ بِنَفْسِهِ، وَإِمَّا غَيْرُ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ، وَإِمَّا قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ، وَإِمَّا حَادِثٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَإِمَّا مَخْلُوقٌ مُفْتَقِرٌ إِلَى خَالِقٍ، وَإِمَّا غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَا مُفْتَقِرٍ إِلَى خَالِقٍ، وَإِمَّا فَقِيرٌ إِلَى مَا سِوَاهُ، وَإِمَّا غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ.

وَغَيْرُ الْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ، وَالْحَادِثُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِقَدِيمٍ، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِخَالِقٍ، وَالْفَقِيرُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِغَنِيٍّ عَنْهُ، فَقَدْ لَزِمَ عَلَى تَقْدِيرِ النَّقِيضَيْنِ وُجُودُ مَوْجُودٍ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ خَالِقٍ غَنِيٍّ عَمَّا سِوَاهُ، وَمَا سِوَاهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

وَقَدْ عُلِمَ بِالْحِسِّ وَالضَّرُورَةِ وُجُودُ مَوْجُودٍ حَادِثٍ كَائِنٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَالْحَادِثُ لَا يَكُونُ وَاجِبًا بِنَفْسِهِ، وَلَا قَدِيمًا أَزَلِيًّا، وَلَا خَالِقًا لِمَا سِوَاهُ، وَلَا غَنِيًّا عَمَّا سِوَاهُ، فَثَبَتَ بِالضَّرُورَةِ وُجُودُ مَوْجُودَيْنِ: أَحَدُهُمَا غَنِيٌّ وَالْآخَرُ فَقِيرٌ، وَأَحَدُهُمَا خَالِقٌ وَالْآخَرُ مَخْلُوقٌ، وَهُمَا مُتَّفِقَانِ فِي كَوْنِ كُلٍّ مِنْهُمَا شَيْئًا مَوْجُودًا ثَابِتًا.

فَعُلِمَ بِهَذِهِ الْبَرَاهِينِ الْبَيِّنَةِ اتِّفَاقُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، وَاخْتِلَافُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، فَمَنْ نَفَى مَا اتَّفَقَا فِيهِ كَانَ مُعَطِّلًا قَائِلًا لِلْبَاطِلِ، وَمَنْ جَعَلَهُمَا مُتَمَاثِلَيْنِ كَانَ مُشَبِّهًا قَائِلًا لِلْبَاطِلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمَا وَإِنِ اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى مَا اتَّفَقَا فِيهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى مُخْتَصٌّ بِوُجُودِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسَائِرِ صِفَاتِهِ، وَالْعَبْدُ لَا يَشْرَكُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَالْعَبْدُ أَيْضًا مُخْتَصٌّ بِوُجُودِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ مُشَارَكَةِ الْعَبْدِ فِي خَصَائِصِهِ، وَإِذَا اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَهَذَا الْمُشْتَرَكُ مُطْلَقٌ كُلِّيٌّ يُوجَدُ فِي الْأَذْهَانِ، لَا فِي الْأَعْيَانِ، وَالْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ مُخْتَصٌّ لَا اشْتِرَاكَ فِيهِ.اهـ

ثالثها: زعمهم أن إثبات الصفات يقتضي التركيب:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص١٤١):

وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ الْفِرْعَوْنِيُّ: لَوْ كَانَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبٌّ أَوْ عَلَى الْعَرْشِ إِلَهٌ لَكَانَ مُرَكَّبًا، قِيلَ لَهُ: لَفْظُ الْمُرَكَّبِ فِي اللُّغَةِ هُوَ الَّذِي رَكَّبَهُ غَيْرُهُ فِي مَحَلِّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار: ٨]، وَقَوْلُهُمْ: رَكَّبَ الْخَشَبَةَ وَالْبَابَ، وَمَا يُرَكَّبُ مِنْ أَخْلَاطٍ وَأَجْزَاءٍ، بِحَيْثُ كَانَتْ أَجْزَاؤُهُ مُفَرَّقَةً، فَاجْتَمَعَتْ وَرُكِّبَت حَتَّى صَارَ شَيْئًا وَاحِدًا، كَقَوْلِهِمْ رَكَّبْتُ الدَّوَاءَ مِنْ كَذَا وَكَذَا.

وَإِنْ أَرَدْتُم بِقَوْلِكُمْ: لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ مُرَكَّبًا هَذَا التَّرْكِيبَ الْمَعْهُودَ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ مُتَفَرِّقًا فَاجْتَمَعَ، فَهُوَ كَذِبٌ وَفِرْيَةٌ وَبَهْتٌ عَلَى اللهِ وَعَلَى الشَّرْعِ وَعَلَى الْعَقْلِ.

وَإِنْ أَرَدْتُم أَنَّهُ لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ؛ لَكَانَ عَالِيًا عَلَى خَلْقِهِ بَائِنًا مِنْهُمْ مُسْتَوِيًا عَلَى عَرْشِهِ لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، فَهَذَا الْمَعْنَى حَقٌّ.

فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَنَفَيْتَ الشَّيْءَ بِتَغْيِيرِ الْعِبَارَةِ بِقَوْلِكَ وَقَلْبِهَا إِلَى عِبَارَةٍ أُخْرَى، وَهَذَا شَأْنُكُمْ فِي أَكْثَرِ مَطَالِبِكُمْ.

وَإِنْ أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ: كَانَ مُرَكَّبًا أَنَّهُ يَتَمَيَّزُ مِنْهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ وَصَفْتَهُ أَنْتَ بِصِفَاتٍ يَتَمَيَّزُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَهَلْ كَانَ عِنْدَكَ هَذَا تَرْكِيبًا؟

فَإِنْ قُلْتَ: هَذَا لا يُقَالُ لِي، وَإِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ، فَأَمَّا أَنَا فَلَا أُثْبِتُ لَهُ صِفَةً وَاحِدَةً فِرَارًا مِنَ التَّرْكِيبِ، قِيلَ لَكَ: الْعَقْلُ لَمْ يَدُلَّ عَلَى نَفْيِ الْمَعْنَى الَّذِي سَمَّيْتَهُ أَنْتَ مُرَكَّبًا، وهبك سميته تركيبًا، وَقَدْ دَلَّ الْوَحْيُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ عَلَى ثُبُوتِهِ، أَفَتَنْفِيهِ لِمُجَرَّدِ تَسْمِيَتِكَ الْبَاطِلَةِ؟ فَإِنَّ التَّرْكِيبَ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ خَمْسَةُ مَعَانٍ:

تَرْكِيبُ الذَّاتِ مِنَ الْوُجُودِ وَالْمَاهِيَّةِ عِنْدَ مَنْ يَجْعَلُ وُجُودَهَا زَائِدًا عَلَى مَاهِيَّتِهَا، فَإِذَا نَفَيْتَ هَذَا التَّرْكِيبَ جَعَلْتَهُ وُجُودًا مُطْلَقًا، إِنَّمَا هُوَ فِي الْأَذْهَانِ لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْأَعْيَانِ.

الثَّانِي: تَرْكِيبُ الْمَاهِيَّةِ مِنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، فَإِذَا نَفَيْتَ هَذَا التَّرْكِيبَ جَعَلْتَهُ ذَاتًا مُجَرَّدَةً عَنْ كُلِّ وَصْفٍ، لَا يُبْصِرُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْلَمُ وَلَا يَقْدِرُ وَلَا يُرِيدُ وَلَا حَيَاةَ لَهُ وَلَا مَشِيئَةَ وَلَا وَصْفَةَ أَصْلًا، فَكُلُّ ذَاتٍ فِي الْمَخْلُوقَاتِ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ الذَّاتِ، فَاسْتَفَدْتَ بِهَذَا التَّرْكِيبِ كُفْرَكَ بِاللَّهِ وَجَحْدَكَ لِذَاتِهِ وَلِصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

الثَّالِثُ: تَرْكِيبُ الْمَاهِيَّةِ الْجِسْمِيَّةِ مِنَ الْهُيُولَى وَالصُّورَةِ كَمَا يَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ.

الرَّابِعُ: التَّرْكِيبُ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْفَرْدَةِ كَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ.

الْخَامِسُ: تَرْكِيبُ الْمَاهِيَّةِ مِنْ أَجْزَاءٍ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً فَاجْتَمَعَتْ وَتَرَكَّبَتْ.

فَإِنْ أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ: لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكَانَ مُرَكَّبًا، كَمَا يَدَّعِيهِ الْفَلَاسِفَةُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ، قِيلَ لَكَ: جُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْأَجْسَادَ الْمُحْدَثَةَ الْمَخْلُوقَةَ لَيْسَتْ مُرَكَّبَةً، لَا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ هَذَا، فَلَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ جِسْمٌ مَخْلُوقٌ أَوْ حَدَثٌ لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، فَكَيْفَ يَلْزَمُ ذَلِكَ فِي حَقِّ خَالِقِ الْفَرْدِ وَالْمُرَكَّبِ، الَّذِي يَجْمَعُ الْمُتَفَرِّقَ وَيُفَرِّقُ الْمُجْتَمِعَ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ فَيُرَكِّبُهَا كَمَا يَشَاءُ، وَالْعَقْلُ لَمَّا دَلَّ عَلَى إِثْبَاتِ إِلَهٍ وَاحِدٍ وَرَبٍّ وَاحِدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَدُلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الرَّبَّ الْوَاحِدَ لَا اسْمَ لَهُ وَلَا صِفَةَ، وَلَا وَجْهَ، وَلَا يَدَيْنِ، وَلَا هُوَ فَوْقَ خَلْقِهِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَنْزِلُ مِنْهُ شَيْءٌ، فَدَعْوَى ذَلِكَ عَلَى الْعَقْلِ كَذِبٌ صَرِيحٌ عَلَى الْوَحْيِ.اهـ

رابعها: زعمهم أن إثبات الصفات يقتضي أن له جوارح:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٣١):

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى -يعني من النفاة-: مَا لَمْ يَكُنْ ظَاهِرُهُ جَوَارِحَ وَأَبْعَاضًا، كَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْكَلَامِ لَا يَتَأَوَّلُ، وَمَا كَانَ ظَاهِرُهُ جَوَارِحَ وَأَبْعَاضًا كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْقَدَمِ؛ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ تَأْوِيلُهُ؛ لِاسْتِلْزَامِ إِثْبَاتِهِ التَّرْكِيبَ وَالتَّجْسِيمَ.

قَالَ الْمُثْبِتُونَ: جَوَابُنَا لَكُمْ هُوَ عَيْنُ الَّذِي تُجِيبُونَ بِهِ خُصُومَكُمْ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ نُفَاةِ الصِّفَاتِ، فَهُمْ قَالُوا لَكُمْ: لَوْ قَامَ بِهِ سُبْحَانَهُ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحَيَاةِ؛ لَكَانَ مَحَلًّا لِلْأَعْرَاضِ، وَلَزِمَ التَّرْكِيبَ، وَالتَّجْسِيمَ وَالِانْقِسَامَ، كَمَا قُلْتُمْ: لَوْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ وَيَدٌ وَإِصْبَعٌ؛ لَزِمَ التَّرْكِيبَ وَالِانْقِسَامَ، وَحِينَئِذٍ فَمَا هُوَ جَوَابُكُمْ لِهَؤُلَاءِ نُجِيبُكُمْ بِهِ؟

فَإِنْ قُلْتُمْ: نَحْنُ نُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهٍ لَا تَكُونُ أَعْرَاضًا، وَلَا نُسَمِّيهَا أَعْرَاضًا؛ فَلَا يَسْتَلْزِمُ تَرْكِيبًا، وَلَا تَجْسِيمًا.

قِيلَ لَكُمْ: وَنَحْنُ نُثْبِتُ الصِّفَاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَنَفَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ عَنْهُ عَلَى وَجْهٍ لَا يَسْتَلْزِمُ الْأَبْعَاضَ وَالْجَوَارِحَ، وَلَا يُسَمَّى الْمُتَّصِفُ بِهَا مُرَكَّبًا، وَلَا جِسْمًا، وَلَا مُنْقَسِمًا.

فَإِنْ قُلْتُمْ: هَذَا لَا يُعْقَلُ مِنْهَا إِلَّا الْأَجْزَاءُ وَالْأَبْعَاضُ، قُلْنَا لَكُمْ: وَتِلْكَ لَا يُعْقَلُ مِنْهَا إِلَّا الْأَعْرَاضُ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: الْعَرَضُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ، وَصِفَاتُ الرَّبِّ تَعَالَى بَاقِيَةٌ دَائِمًا أَبَدِيَّةٌ فَلَيْسَتْ أَعْرَاضًا، قُلْنَا: وَكَذَلِكَ الْأَبْعَاضُ هِيَ مَا جَازَ مُفَارَقَتُهَا وَانْفِصَالُهَا، وَذَلِكَ فِي حَقِّ الرَّبِّ

تَعَالَى مُحَالٌ، فَلَيْسَتْ أَبْعَاضًا وَلَا جَوَارِحَ، فَمُفَارَقَةُ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْمَوْصُوفِ بِهَا مُسْتَحِيلٌ مُطْلَقًا فِي النَّوْعَيْنِ، وَالْمَخْلُوقُ يَجُوزُ أَنْ تُفَارِقَهُ أَبْعَاضُهُ وَأَعْرَاضُهُ.اهـ

خامسها: زعمهم أن إثبات الصفات يقتضي أنه تحله الحوادث:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله في كتابه درء تعارض العقل والنقل (٢/١٢):

وإذا قالوا: (لا تحله الحوادث) أوهموا الناس أن مرادهم أنه لا يكون محلًا للتغيرات والاستحالات، ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين، فتحيلهم وتفسدهم، وهذا معنى صحيح، ولكن مقصودهم بذلك: أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه، ولا له كلام، ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه لا يقدر على استواء، أو نزول، أو إتيان، أو مجيء، وأن المخلوقات التي خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلًا، بل عين المخلوقات هي الفعل، ليس هناك فعل ومفعول، وخلق ومخلوق، بل المخلوق عين الخلق، والمفعول عين الفعل، ونحو ذلك.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله في درء تعارض العقل والنقل (٢/٢٣٩):

ولا ريب أن أهل السنة والحديث لا يطلقون عليه سبحانه وتعالى: أنه محل للحوادث، ولا محل للأعراض، ونحو ذلك من الألفاظ المبتدعة التي يفهم منها معنى باطل، فإن الناس يفهمون من هذا أن يحدث في ذاته ما سمونه هم حادثًا كالعيوب والآفات، والله منزه عن ذلك سبحانه وتعالى، وإذا قيل: فلان ولي على الأحداث، أو تنازع أهل القبلة في أهل الأحداث، فالمراد بذلك: الأفعال المحرمة كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وقطع الطريق، والله أجل وأعظم من أن يخطر بقلوب المؤمنين قيام القبائح به.اهـ

سادسها: زعمهم أن إثبات الصفات يقتضي أنه سبحانه أركان وأعضاء وأجزاء وأبعاض وأدوات:

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح الطحاوية (١/٢٦٠):

النَّاسَ فِي إِطْلَاقِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: فَطَائِفَةٌ تَنْفِيهَا، وَطَائِفَةٌ تُثْبِتُهَا، وَطَائِفَةٌ تُفَصِّلُ، وَهُمُ الْمُتَّبِعُونَ لِلسَّلَفِ، فَلَا يُطْلِقُونَ نَفْيَهَا وَلَا إِثْبَاتَهَا إِلَّا إِذَا بُيِّنَ مَا أُثْبِتَ بِهَا فَهُوَ ثَابِتٌ، وَمَا نُفِيَ بِهَا فَهُوَ مَنْفِيٌّ. لِأَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ قَدْ صَارَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ فِي اصْطِلَاحِهِمْ فِيهَا إِجْمَالٌ وَإِبْهَامٌ، كَغَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الِاصْطِلَاحِيَّةِ، فَلَيْسَ كُلُّهُمْ يَسْتَعْمِلُهَا فِي نَفْسِ مَعْنَاهَا اللُّغَوِيِّ. وَلِهَذَا كَانَ النُّفَاةُ يَنْفُونَ بِهَا حَقًّا وَبَاطِلًا، وَيَذْكُرُونَ عَنْ مُثْبِتِيهَا مَا لَا يَقُولُونَ بِهِ، وَبَعْضُ الْمُثْبِتِينَ لَهَا يُدْخِلُ فِيهَا مَعْنًى بَاطِلًا، مُخَالِفًا لِقَوْلِ السَّلَفِ، وَلِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالْمِيزَانُ. وَلَمْ يَرِدْ نَصٌّ مِنَ الْكِتَابِ وَلَا مِنَ السُّنَّةِ بِنَفْيِهَا وَلَا إِثْبَاتِهَا، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَصِفَ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا لَمْ يَصِفْ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ نَفْيًا وَلَا إِثْبَاتًا، وَإِنَّمَا نَحْنُ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ.

فَالْوَاجِبُ أَنْ يُنْظَرَ فِي هَذَا الْبَابِ، أَعْنِي بَابَ الصِّفَاتِ، فَمَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَثْبَتْنَاهُ، وَمَا نَفَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ نَفَيْنَاهُ. وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي وَرَدَ بِهَا النَّصُّ يُعْتَصَمُ بِهَا فِي الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ، فَنُثْبِتُ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي. وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ الَّتِي لَمْ يَرِدْ نَفْيُهَا وَلَا إِثْبَاتُهَا فَلَا تُطْلَقُ حَتَّى يُنْظَرَ فِي مَقْصُودِ قَائِلِهَا: فَإِنْ كَانَ مَعْنًى صَحِيحًا قُبِلَ، لَكِنْ يَنْبَغِي التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِأَلْفَاظِ النُّصُوصِ، دُونَ الْأَلْفَاظِ الْمُجْمَلَةِ، إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ، مَعَ قَرَائِنَ تُبَيِّنُ الْمُرَادَ وَالْحَاجَةَ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ مَعَ مَنْ لَا يَتِمُّ الْمَقْصُودُ مَعَهُ إِنْ لَمْ يُخَاطَبْ بِهَا، وَنَحْوُ ذَلِكَ.اهـ

سابعها: زعمهم أن إثبات الصفات يقتضي أنه سبحانه يتحرك وينتقل:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٤٧٢):

أَمَّا الَّذِينَ نَفَوُا الْحَرَكَةَ وَالِانْتِقَالَ، فَإِنْ نَفَوْا مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِ فَقَدْ أَصَابُوا وَلَكِنْ أَخْطَئُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّ ذَلِكَ لَازِمُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، فَأَصَابُوا فِي نَفْيِ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِينَ، وَأَخْطَئُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ لَازِمُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَفِي نَفْيِهِمْ لِلَازِمِ الَّذِي يَسْتَحِيلُ اتِّصَافُ الْمَخْلُوقِ بِنَظِيرِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا تَقَدَّمَ أَنَّ الصِّفَةَ يَلْزَمُهَا لَوَازِمُ لِنَفْسِهَا وَذَاتِهَا، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ هَذِهِ اللَّوَازِمِ عَنْهَا، لَا فِي حَقِّ الرَّبِّ، وَلَا فِي حَقِّ الْعَبْدِ، وَيَلْزَمُهَا لَوَازِمُ مِنْ جِهَةِ اخْتِصَاصِهَا بِالْعَبْدِ، فَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ تِلْكَ اللَّوَازِمِ لِلرَّبِّ، وَيَلْزَمُهَا لَوَازِمُ مِنْ حَيْثُ اخْتِصَاصِهَا بِالرَّبِّ؛ فَلَا يَجُوزُ سَلْبُهَا عَنْهُ، وَلَا إِثْبَاتُهَا لِلْعَبْدِ، فَعَلَيْكَ بِمُرَاعَاةِ هَذَا الْأَصْلِ، وَالِاعْتِصَامِ بِهِ فِي كُلِّ مَا يُطْلَقُ عَلَى الرَّبِّ تَعَالَى، وَعَلَى الْعَبْدِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ أَمْسَكُوا عَنِ الْأَمْرَيْنِ وَقَالُوا: لَا نَقُولُ يَتَحَرَّكُ وَيَنْتَقِلُ، وَلَا نَنْفِي ذَلِكَ عَنْهُ، فَهُمْ أَسْعَدُ بِالصَّوَابِ وَالِاتِّبَاعِ، فَإِنَّهُمْ نَطَقُوا بِمَا نَطَقَ بِهِ النَّصُّ، وَسَكَتُوا عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ.

وَتَظْهَرُ صِحَّةُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ظُهُورًا تَامًّا فِيمَا إِذَا كَانَتِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي سَكَتَ النَّصُّ عَنْهَا مُجْمَلَةً مُحْتَمِلَةً لِمَعْنَيَيْنِ: صَحِيحٌ وَفَاسِدٌ، كَلَفْظِ الْحَرَكَةِ، وَالِانْتِقَالِ، وَالْجِسْمِ، وَالْحَيِّزِ، وَالْجِهَةِ، وَالْأَعْرَاضِ، وَالْحَوَادِثِ، وَالْعِلَّةِ، وَالتَّغَيُّرِ، وَالتَّرْكِيبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَحْتَهَا حَقٌّ وَبَاطِلٌ، فَهَذِهِ لَا تُقْبَلُ مُطْلَقًا، وَلَا تُرَدُّ مُطْلَقًا، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُثْبِتْ لِنَفْسِهِ هَذِهِ الْمُسَمَّيَاتِ، وَلَمْ يَنْفِهَا عَنْهُ، فَمَنْ أَثْبَتَهَا مُطْلَقًا فَقَدْ أَخْطَأَ وَمَنْ نَفَاهَا مُطْلَقًا فَقَدَ أَخْطَأَ، فَإِنَّ مَعَانِيهَا مُنْقَسِمَةٌ إِلَى مَا يَمْتَنِعُ إِثْبَاتُهُ لِلَّهِ، وَمَا يَجِبُ إِثْبَاتُهُ لَهُ، فَإِنَّ الِانْتِقَالَ يُرَادُ بِهِ انْتِقَالُ الْجِسْمِ وَالْعَرَضِ مِنْ مَكَانٍ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ إِلَى

مَكَانٍ آخَرَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يُمْتَنَعُ إِثْبَاتُهُ لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ الْحَرَكَةُ إِذَا أُرِيدَ بِهَا هَذَا الْمَعْنَى امْتَنَعَ إِثْبَاتُهَا لِلَّهِ تَعَالَى.

وَيُرَادُ بِالْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ حَرَكَةُ الْفَاعِلِ مِنْ كَوْنِهِ غَيْرَ فَاعِلٍ إِلَى كَوْنِهِ فَاعِلًا، وَانْتِقَالِهِ أَيْضًا مِنْ كَوْنِهِ غَيْرَ فَاعِلٍ إِلَى كَوْنِهِ فَاعِلًا.

فَهَذَا الْمَعْنَى حَقٌّ فِي نَفْسِهِ لَا يُعْقَلُ كَوْنُ الْفَاعِلِ فاعلًا إِلَّا بِهِ، فَنَفْيُهُ عَنِ الْفَاعِلِ نَفْيٌ لِحَقِيقَةِ الْفِعْلِ وَتَعْطِيلٌ لَهُ.

وَقَدْ يُرَادُ بِالْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ فِعْلٌ يَقُومُ بِذَاتِ الْفَاعِلِ يَتَعَلَّقُ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَصَدَ لَهُ، وَأَرَادَ إِيقَاعَ الْفِعْلِ بِنَفْسِهِ فِيهِ، وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَنْزِلُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَيَأْتِي فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَيَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَيَنْزِلُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَيَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَنْزِلُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهَذِهِ أَفْعَالٌ يَفْعَلُهَا بِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْأَمْكِنَةِ، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُهَا عَنْهُ بِنَفْيِ الْحَرَكَةِ وَالنَّقْلَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ لَوَازِمِ أَفْعَالِهِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ، فَمَا كَانَ مِنْ لَوَازِمِ أَفْعَالِهِ لَمْ يَجُزْ نَفْيُهُ عَنْهُ، وَمَا كَانَ مِنْ خَصَائِصِ الْخَلْقِ لَمْ يَجُزْ إِثْبَاتُهُ لَهُ، وَحَرَكَةُ الْحَيِّ مَنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ إِلَّا بِالْحَرَكَةِ وَالشُّعُورِ، فَكُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ بِالْإِرَادَةِ وَلَهُ شُعُورٌ، فَنَفْيُ الْحَرَكَةِ عَنْهُ كَنَفْيِ الشُّعُورِ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْحَيَاةِ.اهـ

ثامنها: زعمهم أن إثبات الصفات يقتضي أنه سبحانه تأتي عليه الأعراض، والله منزه عن الأعراض:

قال ابن منظور رحمه الله في لسان العرب (١٦٩/٧):

العَرَضُ: مِنْ أَحْداثِ الدَّهْرِ مِنَ الْمَوْتِ وَالْمَرَضِ وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ قَالَ الأَصمعي: العَرَضُ الأَمر يَعْرِضُ لِلرَّجُلِ يُبْتَلَى بِهِ؛ قَالَ اللِّحْيَانِيُّ: والعَرَضُ مَا عَرَضَ للإِنسان مِنْ أَمر يَحْبِسهُ مِنْ مَرَضٍ أَو لُصُوصٍ. والعَرَضُ: مَا يَعْرِضُ للإِنسان مِنْ الْهُمُوم والأَشغال. يُقَالُ: عَرَضَ لِي يَعْرِضُ وعَرِضَ يَعْرَضُ لُغَتَانِ. والعارِضةُ: وَاحِدَةُ العَوارِضِ، وَهِيَ الحاجاتُ. والعَرَضُ والعارِضُ: الآفةُ تَعْرِضُ فِي الشَّيْءِ، وجَمْعُ العَرَضِ أَعْراضٌ، وعَرَضَ لَهُ الشكُّ ونحوُه مِنْ ذَلِكَ. وشُبْهةٌ عارِضةٌ: معترضةٌ فِي الْفُؤَادِ.

والعَرَضُ فِي الْفَلْسَفَةِ: مَا يُوجَدُ فِي حَامِلِهِ وَيَزُولُ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ فَسَادِ حَامِلِهِ، وَمِنْهُ مَا لَا يَزُولُ عَنْهُ، فالزَّائِل مِنْهُ كأُدْمَةِ الشُّحُوبِ، وَصُفْرَةِ اللَّوْنِ وَحَرَكَةِ الْمُتَحَرِّكِ، وغيرُ الزَّائِلِ كسَواد القارِ والغُرابِ وتَعَرَّضَ الشيءُ: دخَلَه فَسادٌ، وتَعَرَّضَ الحُبّ كَذَلِكَ[1].

وقال الفيومي الحموي في المصباح المنير (٤٠٢/٢):

وَالْعَرَضُ فِي اصْطِلاحِ الْمُتَكَلِّمِينَ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَلَا يُوجَدُ إلَّا فِي مَحَلٍّ يَقُومُ بِهِ وَهُوَ خِلَافُ الْجَوْهَرِ وَذَلِكَ نَحْوُ حُمْرَةِ الْخَجَلِ وَصُفْرَةِ الْوَجَلِ.

وقال الراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن (ص٥٦٠):

والعَرَضُ: ما لا يكون له ثباتٌ، ومنه استعار المتكلّمون العَرَضَ لما لا ثبات له إلّا بالجوهر كاللّون والطّعم.اهـ

(١) انظر «لسان العرب» (٧/ ١٦٩).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٩/٣٠٠):

وَلَفْظُ (الْعَرَضِ) فِي اللُّغَةِ لَهُ مَعْنًى، وَهُوَ مَا يَعْرِضُ وَيَزُولُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ وَعِنْدَ أَهْلِ الِاصْطِلَاحِ الْكَلَامِيِّ: قَدْ يُرَادُ بِالْعَرَضِ مَا يَقُومُ بِغَيْرِهِ مُطْلَقًا، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا يَقُومُ بِالْجِسْمِ مِنْ الصِّفَاتِ، وَيُرَادُ بِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الِاصْطِلَاحِ أُمُورٌ أُخْرَى.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ، وَعَامَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إثْبَاتُ صِفَاتِ اللهِ، وَأَنَّ لَهُ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَحَيَاةً وَكَلَامًا، وَيُسَمُّونَ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هِيَ صِفَاتٌ، وَلَيْسَتْ أَعْرَاضًا؛ لِأَنَّ الْعَرَضَ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ وَهَذِهِ بَاقِيَةٌ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ تُسَمَّى أَعْرَاضًا؛ لِأَنَّ الْعَرَضَ قَدْ يَبْقَى. وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: إنَّ كُلَّ عَرَضٍ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ قَوْلٌ ضَعِيفٌ. وَإِذَا كَانَتْ الصِّفَاتُ الْبَاقِيَةُ تُسَمَّى أَعْرَاضًا؛ جَازَ أَنْ تُسَمَّى هَذِهِ أَعْرَاضًا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَنَا لَا أُطْلِقُ ذَلِكَ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْإِطْلَاقَ مُسْتَنَدُهُ الشَّرْعُ.اهـ

قلت: وهذا الأخير هو الصحيح؛ فلا يطلق على الصفات (أعراض).

وقال الإمام السفاريني في كتابه لوائح الأنوار السنية (١/٢٦٣):

ولفظ (الأعراض) لغة يفهم منه ما يعرض للإنسان من الأمراض ونحوها.

وكذلك نفي الحوادث والمحدثات قد يفهم منه ما يحدثه الناس من الأفعال المذمومة، والبدع التي ليست مشروعة، أو ما يحدث بالإنسان من نحو الأمراض.

واللَّه تعالى يجب تنزيهه، عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص، ولكن لم يكن مقصود المعتزلة بقولهم: منزه عن الأعراض والحوادث إلا نفي صفاته الذاتية وأفعاله الاختيارية؛ فعندهم لا يقوم به علم ولا قدرة ولا مشيئة ولا رحمة ولا حب

ولا رضا ولا فرح ولا خلق ولا إحسان ولا عدل ولا إتيان ولا مجيء ولا تجلي ولا نزول ولا استواء، ولا غير ذلك من صفات ذاته وأفعاله.

وجمهور المسلمين يخالفهم في ذلك، ومن الطوائف من ينازعهم في الصفات دون الأفعال، ومنهم من ينازعهم في بعض الصفات دون بعض، ومن الناس من ينازعهم في الفعل القديم، فيقول: فعله تعالى قديم، وإن كان المفعول محدثًا.

وقد علمت أن مذهب السلف إثبات الصفات الذاتية والفعلية والخبرية له.اهـ

قال أبو عبد الله غفر الله له:

ومراد المتكلمين من قولهم: (إن الله منزه عن الأعراض): نفي الصفات الفعلية، التي هي متعلقة بمشيئته سبحانه وتعالى.

ويجاب عنهم بأن لفظ (الأعراض) لم يرد في الكتاب، ولا في السنة، لا نفيًا ولا إثباتًا، ولم يرد كذلك عن سلف الأمة.

وطريقة أهل السنة المعهودة في مثل هذه الألفاظ المجملة التوقف في اللفظ، فلا نثبت الأعراض، ولا ننفيها.

أما معناها فيستفصل عن مرادهم في ذلك ويقال لهم:

إن أردتم بالأعراض ما يقتضي نقصا في حق الله تعالى كوصفه بالحزن، والندم، والمرض، والخوف، وسائر النقائص، فإن المعنى صحيح، والله منزه عن ذلك؛ لأنه نقص.

وإن أردتم نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الصفات كالغضب، والفرح، والرضا، ونحوها بحجة أنها أعراض - فإن ذلك باطل مردود، ولا يلزم من إثباتها أي لازم.

ثم إن صفات الله جل وعلا ليست كلها فعلية عارضة لسبب، بل إن بعضها فالصفات الذاتية كاليد، والوجه، والقدم، والساق، وهكذا العلم والحكمة والعزة والقدرة، لازمة للذات لا تنفك عنها.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٤٧٣):

وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ: لَوْ قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ لَقَامَتْ بِهِ الْأَعْرَاضُ، وقِيَامُ الْأَعْرَاضِ بِهِ يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ جِسْمًا، فَقَالَتِ الصِّفَاتِيَّةُ: قَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى قِيَامِ الصِّفَاتِ بِهِ، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُهَا عَنْهُ بِتَسْمِيَتِهَا أَعْرَاضًا، فَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْأَعْرَاضِ الصِّفَاتِ فَإِثْبَاتُ الصِّفَاتِ حَقٌّ، وَإِنْ أَرَدْتُم بِهِ مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمَخْلُوقِ فَلَا يَلْزَمُ ذَلِكَ مِنْ إِثْبَاتِهَا لِلرَّبِّ تَعَالَى.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: لَوْ كَانَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ يَصْعَدُ إِلَيْهِ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ لَكَانَ جِسْمًا وَجَوَابُهُمْ بِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ وَالْفِطْرَةِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُهُ بِتَسْمِيَتِهِ تَجْسِيمًا، فَإِنْ كَانَ التَّجْسِيمُ اللَّازِمُ مِنْ ذَلِكَ كَوْنَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ، فَهَذَا اللَّازِمُ حَقٌّ فَسَمُّوهَا مَا شِئْتُمْ، وَإِنْ كَانَ الْمُدَّعَى لُزُومُ تَرْكِيبِهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْفَرْدَةِ وَالْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ أَوْ كَوْنُهُ مُمَاثِلًا لِلْأَجْسَامِ الْمَخْلُوقَةِ فَدَعْوَى هَذِهِ الْمُلَازَمَةِ كَذِبٌ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُنْفَى عَنِ اللهِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَالْفِطْرَةُ بِأَلْفَاظٍ مُجْمَلَةٍ تَنْقَسِمُ مَعَانِيهَا إِلَى حَقٍّ وَبَاطِلٍ.اهـ

تاسعًا: زعمهم: إن إثبات الصفات يقتضي إثبات الحدود والغايات لله تعالى، والله منزهٌ عن ذلك:

(الحد)، و(الغاية) أيضًا من الألفاظ المجملة، التي تحتمل حقًّا وباطلًا، ولذلك تجد من أئمة السنة من أثبتها، وأراد به المعنى الحق، ومنهم من نفاها، وأراد به المعنى الباطل.

قال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على المريسي (١/٢٢٣):

بَابُ الْحَدِّ وَالْعَرْشِ:

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَادَّعَى الْمُعَارِضُ أَيْضًا أَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ حَدٌّ وَلَا غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ. وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي بنى عَلَيْهِ جهم ضَلَالَاتِهِ، وَاشْتَقَّ مِنْهَا أُغْلُوطَاتِهِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ لَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّهُ سَبَقَ جَهْمًا إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِمَّنْ يُحَاوِرُهُ: قَدْ عَلِمْتُ مُرَادَكَ بِهَا أَيُّهَا الأعجمي: تعني أَن الله لَا شَيْءٌ، لأَنَّ الخلقَ كُلهم عَلِمُوا أَنَّه لَيسَ شَيء يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّيْءِ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ وَغَايَةٌ وَصِفَةٌ، وَأَنَّ لَا شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ وَلَا غَايَةٌ وَلَا صِفَةٌ، فَالشَّيْءُ أَبَدًا مَوْصُوفٌ لَا مَحَالَةَ وَلَا شَيْءٌ يُوصَفُ بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ وَقَوْلُكَ: لَا حَدَّ لَهُ يَعْنِي أَنَّهُ لَا شَيْءٌ.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَاللَّهُ تَعَالَى لَهُ حَدٌّ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيره، وَلَا يجوز لأحد أَن يتَوَهَّم لحده فِي نَفْسِهِ، وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالْحَدِّ، ويكل علم ذَلِك إِلَى الله أَيْضًا حَدٌّ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ فَهَذَانِ حَدَّانِ اثْنَانِ.

وَسُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: بِمَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ. قِيلَ: بِحَدٍّ؟ قَالَ: بِحَدّ. حدّثنَاهُ الْحَسَنُ بْنُ الصَّالِحِ الْبَزَّارُ، عَنْ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ.

فَمَنِ ادَّعى أَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ حَدٌّ فَقَدْ رَدَّ الْقُرْآنَ، وَادَّعى أَنَّهُ لَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ حَدَّ مَكَانَهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ فَهَذَا كُلُّهُ، وَمَا أَشْبَهَهُ شَوَاهِدُ وَدَلَائِل على الْحَد. وَمَنْ لَا يَعْتَرِفُ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ بِتَنْزِيلِ الله وَجَحَدَ آيَاتِ اللَّهِ.

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَقَالَ لِلْأَمَةِ: «**أَيْنَ اللَّهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. فَقَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(١).

فَقَوْلُ رَسُولِ الله ﷺ: «**إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَوْ لَمْ تُؤْمِنْ بِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ؛ لم تكن مُؤْمنَة، وَأَنه لا يجوز فِي الرَّقَبَة؛ إِلَّا مَنْ يُحِدُّ اللَّهَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُوله.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رحمه الله في كتابه درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٧٠):

وروى إسحاق، قال: قال عمي: نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء، وكما شاء، بلا حد، ولا صفة يبلغها واصف، أو يحده أحد، فصفات الله له ومنه، وهو كما وصف نفسه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ بحد ولا غاية ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] هو عالم الغيب والشهادة، وعلام الغيوب، ولا يدركه وصف واصف، وهو كما وصف نفسه، وليس من الله من شيء محدود، ولا يبلغ علم قدرته أحد، غلب الأشياء كلها بعلمه وقدرته وسلطانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وكان الله قبل أن يكون شيء، والله هو الأول وهو الآخر، ولا يبلغ أحد حد صفاته.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

قال حرب: وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلًا حدثهم، قال: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى: «إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا»، و «إن الله يرى» و «إن الله يضع قدمه» وما أشبه هذه الأحاديث، فقال أبو عبد الله: نؤمن بها، ونصدق بها، ولا كيف ولا معنى - أي لا نكيفها، ولا نحرفها بالتأويل، فنقول: معناها كذا - ولا نرد منها شيئًا، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، إذا كان بأسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ليس كمثله شيء.

وقال حنبل في موضع آخر عن أحمد.

قال: ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف به نفسه، قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه، فحد لنفسه صفة، ليس يشبهه شيء.

فنعبد الله بصفاته غير محدودة، ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه.

قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته. وصفاته منه وله، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك.

ولا تبلغه صفة الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام ونزول، وخلوه بعبده يوم القيامة، ووضعه كنفه عليه - هذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه: سميع، بصير، لم يزل متكلمًا عالمًا غفورًا، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب.

فهذه صفات وصف الله بها نفسه، لا تدفع ولا ترد، وهو على العرش بلا حد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، كيف شاء، المشيئة إليه عز وجل،

والاستطالة له، ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء، وهو كما وصف نفسه سميع بصير بلا حد، ولا تقدير، وقول إبراهيم لأبيه، ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾ [مريم: ٤٢] فنثبت أن الله سميع بصير، صفاته منه، لا نتعدى القرآن والحديث، والخبر بضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ، وبتثبيت القرآن، لا يصفه الواصفون، ولا يحده أحد، تعالى الله عما تقوله الجهمية والمشبهة.

قلت له: والمشبهة ما يقولون؟ قال: من قال بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، فقد شبه الله بخلقه، وهذا يحده، وهذا كلام سوء، وهذا مَحْدُودٌ، والكلام في هذا لا أحبه.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد) نفى به إحاطة علم الخلق به، وأن يحدوه أو يصفون على ما هو عليه، إلا بما أخبر عن نفسه، ليبين أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته، كما قال الشافعي في خطبة الرسالة: (الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه).

ولهذا قال أحمد: (لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية) فنفى أن يدرك له حد أو غاية، وهذا أصح القولين في تفسير الإدراك.

وما في الكلام من نفي تحديد الخلق، وتقديرهم لربهم، وبلوغهم صفته لا ينافي ما نص عليه أحمد وغيره من الأئمة، كما ذكره الخلال أيضًا، قال: حدثنا أبو بكر المروزي، قال: سمعت أبا عبد الله - لما قيل له: روى علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك، أنه قيل له: كيف نعرف الله عز وجل؟ قال: على العرش بحد - قال: قد بلغني ذلك عنه، وأعجبه، ثم قال أبو عبد الله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي

ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] ثم قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

قال الخلال: وأنبأنا محمد بن علي الوراق، حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثني محمد بن إبراهيم القيسي، قال: قلت لأحمد بن حنبل: يحكى عن ابن المبارك - وقيل له: كيف تعرف ربنا؟ - قال: في السماء السابعة على عرشه بحد، فقال أحمد: هكذا هو عندنا.

وأخبرني حرب بن إسماعيل قال: قلت لإسحاق - يعني ابن راهويه -: هو على العرش بحد؟ قال: نعم بحد.

وذكر عن ابن المبارك قال: هو على عرشه بائن من خلقه بحد.

قال: وأخبرنا المروزي قال: قال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة، وفي قعور البحار ورؤوس الآكام، وبطون الأودية، وفي كل موضع، كما يعلم علم ما في السماوات السبع، وما دون العرش، أحاط بكل شيء علمًا، فلا تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه، فلا تعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره.

فهذا مثاله مما نقل عن الأئمة، كما قد بسط في غير هذا الموضع، وبينوا أن ما أثبتوه له من الحد لا يعلمه غيره، كما قال مالك وربيعة وغيرهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، فبين أن كيفية استوائه مجهولة للعباد، فلم ينفوا ثبوت ذلك في نفس الأمر، ولكن نفوا علم الخلق به، وكذلك مثل هذا في كلام عبد العزيز بن عبد الله بن الماجشون وغير واحد من السلف، والأئمة ينفون علم الخلق بقدره وكيفيته.اهـ

قال أبو عبد الله غفر الله له: فمن أثبت الحد من الأئمة أراد إثبات أن صفات الله لها كيفية تليق بجلاله، وصفاته معقولة المعنى، وعلوه على عرشه، علو حقيقي يليق بجلاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومن نفى الحد من الأئمة، أراد نفي معرفة كيفية الصفات، فنعلم صفات الله، ولا نحيط بها علمًا.

تنبيه: إطلاق (الغاية) بمعنى إطلاق (الحد)، والقول فيه، كالقول في (الحد).

كلام مفيد للإمام ابن القيم فيه تلخيص لما سبق:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص١٣٧):

وَمِنَ الْعَجَبِ يعني: -من المعطلة- أَنَّهُمْ سَمَّوْا تَوْحِيدَ الرُّسُلِ شِرْكًا وَتَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا، مَعَ أَنَّهُ غَايَةُ الْكَمَالِ، وَسَمَّوْا تَعْطِيلَهُمْ وَإِلْحَادَهُمْ وَبَغْيَهُمْ تَوْحِيدًا، وَهُوَ غَايَةُ النَّقْصِ، وَنَسَبُوا أَتْبَاعَ الرُّسُلِ إِلَى تَنْقِيصِ الرَّبِّ، وَقَدْ سَلَبُوهُ كُلَّ كَمَالٍ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا لَهُ الْكَمَالَ، وقَدْ نَزَّهُوهُ عَنْهُ، فَهَذَا تَوْحِيدُ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعَطِّلَةِ.

وَأَمَّا تَوْحِيدُ الرُّسُلِ فَهُوَ إِثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ وَإِثْبَاتُ كَوْنِهِ فَاعِلًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ، وَأَنَّ لَهُ فِعْلًا حَقِيقَةً، وَأَنَّهُ وَحْدُهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَيُخَافَ وَيُرْجَى وَيُتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِغَايَةِ الْحُبِّ بِغَايَةِ الذُّلِّ، وَلَيْسَ لِخَلْقِهِ مِنْ دُونِهِ وَكِيْلٌ، وَلَا وَلِيٌّ، وَلَا شَفِيعٌ، وَلَا وَاسِطَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي رَفْعِ حَوَائِجِهِمْ إِلَيْهِ، وَفِي تَفْرِيجِ كُرُبَاتِهِمْ وَإِجَابَةِ دَعَوَاتِهِمْ.

وبَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَاسِطَةٌ فِي تَبْلِيغِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَإِخْبَارِهِ، فَلَا يَعْرِفُونَ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَيُبْغِضُهُ وَيُسْخِطُهُ، وَلَا حَقَائِقَ أَسْمَائِهِ وَتَفْصِيلَ مَا يَجِبُ لَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، وَيُوصَفُ بِهِ

إِلَّا مِنْ جِهَةِ هَذِهِ الْوَاسِطَةِ، فَجَاءَ هَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةُ فَعَكَسُوا الْأَمْرَ وَقَلَبُوا الْحَقَائِقَ؛ فَنَفَوْا كَوْنَ الرُّسُلِ وَسَائِطَ فِي ذَلِكَ وَقَالُوا: يَكْفِي تَوَسُّطُ الْعَقْلِ، وَنَفَوْا حَقَائِقَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَقَالُوا: هَذَا التَّوْحِيدُ.

وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نُنَزِّهُ اللَّهَ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَبْعَاضِ وَالْحُدُودِ وَالْجِهَاتِ، وَحُلُولِ الْحَوَادِثِ، فَيَسْمَعُ الْغِرُّ الْمَخْدُوعُ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ فَيَتَوَهَّمُ مِنْهَا أَنَّهُمْ يُنَزِّهُونَ اللَّهَ عَمَّا يُفْهَمُ مِنْ مَعَانِيهِمَا عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَالنَّقَائِصِ وَالْحَاجَةِ، فَلَا يَشُكُّ أَنَّهُمْ يُمَجِّدُونَهُ وَيُعَظِّمُونَهُ، وَيَكْشِفُ النَّافِذُ الْبَصِيرُ مَا تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فَيَرَى تَحْتَهَا الْإِلْحَادَ وَتَكْذِيبَ الرُّسُلِ، وَتَعْطِيلَ الرَّبِّ تَعَالَى عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ كَمَالِهِ.

فَتَنْزِيهُهُمْ عَنِ الْأَعْرَاضِ هُوَ جحد صِفَاتِهِ كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَحَيَاتِهِ، وَعِلْمِهِ وكلامه، وَإِرَادَتِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ أَعْرَاضٌ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ، فَلَوْ كَانَ مُتَّصِفًا بِهَا لَكَانَ جِسْمٌ وَكَانَتْ أَعْرَاضًا لَهُ وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ.

وَأَمَّا الْأَغْرَاضُ فَهِيَ الْغَايَةُ وَالْحِكْمَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا يَخْلُقُ وَيَفْعَلُ، وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى، وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَهِيَ الْغَايَاتُ الْمَحْمُودَةُ الْمَطْلُوبَةُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَفِعْلِهِ، فَيُسَمُّونَهَا أَغْرَاضًا وَعِلَلًا يُنَزِّهُونَهُ عَنْهَا.

وَأَمَّا الْأَبْعَاضُ فَمُرَادُهُمْ بِتَنْزِيهِهِ عَنْهَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَا يَدَانِ؟ وَلَا يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبْعَاضٌ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَبْعَاضِ.

وَأَمَّا الْحُدُودُ وَالْجِهَاتُ، فَمُرَادُهُمْ بِتَنْزِيهِهِ عَنْهَا أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبٌّ، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ إِلَهٌ، وَلَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ إِلَى فَوْقٍ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ، وَلَا يَنْزِلُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ، وَلَا رَفَعَ

الْمَسِيحَ إِلَيْهِ، وَلَا عَرَجَ بِرَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَزِمَ إِثْبَاتُ الْحُدُودِ وَالْجِهَاتِ لَهُ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ.

وَأَمَّا حُلُولُ الْحَوَادِثِ فَيُرِيدُونَ بِهِ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَلَا يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَجِيءُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَ أَنْ كَانَ رَاضِيًا، وَلَا يَرْضَى بَعْدَ أَنْ كَانَ غَضْبَانَ، وَلَا يَقُومُ بِهِ فِعْلٌ الْبَتَّةَ، وَلَا أَمْرٌ مُجَدَّدٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا يُرِيدُ شَيْئًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُرِيدًا لَهُ، فَلَا لَهُ كُنْ حَقِيقَةً، وَلَا اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًا، وَلَا يَغْضَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يُنَادِي عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُنَادِيًا، وَلَا يَقُولُ لِلْمُصَلِّي إِذَا قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] قَالَ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا حَوَادِثُ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ حُلُولِ الْحَوَادِثِ.

وَقَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: نَحْنُ نُثْبِتُ قَدِيمًا وَاحِدًا، وَمُثْبِتُو الصِّفَاتِ يُثْبِتُونَ عِدَّةَ قُدَمَاءَ، قَالَ: وَالنَّصَارَى أَثْبَتُوا ثَلَاثَةَ قُدَمَاءَ مَعَ اللهِ تَعَالَى فَكَفَّرَهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ أَثْبَتَ سَبْعَةَ قُدَمَاءَ أَوْ أَكْثَرَ؟

فَانْظُرْ إِلَى هَذَا التَّدْلِيسِ وَالتَّلْبِيسِ الَّذِي يُوهِمُ السَّامِعَ: أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا قُدَمَاءَ مَعَ اللهِ تَعَالَى وإِنَّمَا أَثْبَتُوا قَدِيمًا وَاحِدًا بِصِفَاتِهِ، وَصِفَاتُهُ دَاخِلَةٌ فِي اسْمِهِ، كَمَا أَنَّهُمْ إِنَّمَا أَثْبَتُوا إِلَهًا وَاحِدًا، وَلَمْ يَجْعَلُوا كُلَّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ إِلَهًا، بَلْ هُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَهَذَا بِعَيْنِهِ مُتَلَقًّى مِنْ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى الْمُكَذِّبِينَ لِرَسُولِهِ حَيْثُ قَالُوا: يَدْعُو مُحَمَّدٌ إِلَى إِلَهٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا اللَّهُ يَا سَمِيعُ يَا بَصِيرُ، فَيَدْعُو آلِهَةً

مُتَعَدِّدَةً، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

فَأَيُّ اسْمٍ دَعَوْتُمُوهُ بِهِ فَإِنَّمَا دَعَوْتُمُ الْمُسَمَّى بِذَلِكَ الِاسْمِ، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى الْمُشْتَقَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ، وَلِهَذَا كَانَتْ حُسْنَى، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَتْ كَمَا يَقُولُ الْجَاحِدُونَ لِكَمَالِهِ: أَسْمَاءٌ مَحْضَةٌ فَارِغَةٌ مِنَ الْمَعَانِي، لَيْسَ لَهَا حَقَائِقُ لَمْ تَكُنْ حُسْنَى، وَلَوْ كَانَتْ أَسْمَاءُ الْمَوْصُوفِينَ بِالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ أَحْسَنَ مِنْهَا، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى تَوْحِيدِ الذَّاتِ وَكَثْرَةِ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ.اهـ

تناقض المبتدعة في تأويلهم بعض الصفات بحجة التجسيم والتركيب، وإثباتهم بعض الصفات:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٢٩):

لَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ وَسَمَّى نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَفْعَالٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ وَيَكْرَهُ وَيَمْقُتُ وَيَرْضَى وَيَغْضَبُ وَيَسْخَطُ وَيَجِيءُ وَيَأْتِي إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَأَنَّهُ الْمُسْتَوِي عَلَى عَرْشِهِ، وَأَنَّ لَهُ عِلْمًا وَحَيَاةً وَقُدْرَةً وَإِرَادَةً وَسَمْعًا وَبَصَرًا وَوَجْهًا وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ وَأَنَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعْرُجُ إِلَيْهِ وَتَتَنَزَّلُ بِالْأَمْرِ مِنْ عِنْدِهِ وَأَنَّهُ قَرِيبٌ وَأَنَّهُ مَعَ الْمُحْسِنِينَ وَمَعَ الصَّابِرِينَ وَمَعَ الْمُتَّقِينَ وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، وَوَصَفَهُ رَسُولُهُ بِأَنَّهُ يَفْرَحُ وَيَضْحَكُ وَأَنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَيُقَالُ لِلْمُتَأَوِّلِ: تَتَأَوَّلُ هَذَا كُلَّهُ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ، أَمْ تُفَسِّرُ الْجَمِيعَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ، أَمْ تُفَرِّقُ بَيْنَ بَعْضِ ذَلِكَ وَبَعْضِهِ، فَإِنْ تَأَوَّلْتَ الْجَمِيعَ وَحَمَلْتَهُ عَلَى خِلَافِ حَقِيقَتِهِ كَانَ ذَلِكَ عِنَادًا ظَاهِرًا وَكُفْرًا صُرَاحًا وَجَحْدًا لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الدَّهْرِيَّةِ

الَّذِينَ لَا يُثْبِتُونَ لِلْعَالَمِ صَانِعًا، فَإِنْ قُلْتَ: أُثْبِتُ لِلْعَالَمِ صَانِعًا وَلَكِنْ لَا أَصِفُهُ بِصِفَةٍ تَقَعُ عَلَى خَلْقِهِ وَحَيْثُ وُصِفَ بِمَا يَقَعُ عَلَى الْمَخْلُوقِ تَأَوَّلْتُهُ.

قِيلَ لَهُ: فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ هَلْ تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ ثَابِتَةٍ هِيَ حَقٌّ فِي نَفْسِهَا أَوْ لَا تَدُلُّ؟ فَإِنْ نَفَيْتَ دَلَالَتَهَا عَلَى مَعْنًى ثَابِتٍ كَانَ ذَلِكَ غَايَةَ التَّعْطِيلِ، وَإِنْ أَثْبَتَّ دَلَالَتَهَا عَلَى مَعْنًى هِيَ حَقٌّ فِي نَفْسِهَا ثَابِتٌ.

قِيلَ لَكَ: فَمَا الَّذِي سَوَّغَ لَكَ تَأْوِيلَ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَا أَثْبَتَّهَا وَنَفَيْتَهَا مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ أَوِ الْعَقْلِ وَدِلَالَةِ النُّصُوصِ أَنَّ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَعِلْمًا وَقُدْرَةً وَإِرَادَةً وَحَيَاةً وَكَلَامًا كَدَلَالَتِهَا عَلَى أَنَّ لَهُ مَحَبَّةً وَرَحْمَةً وَغَضَبًا وَرِضًا وَفَرَحًا وَضَحِكًا وَوَجْهًا وَيَدَيْنِ، فَدِلَالَةُ النُّصُوصِ عَلَى ذَلِكَ سَوَاءٌ، فَلِمَ نَفَيْتَ حَقِيقَةَ رَحْمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ وَفَرَحِهِ وَضَحِكِهِ، وَأَوَّلْتَهَا نَفْسَ الْإِرَادَةِ؟

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ إِثْبَاتَ الْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَشْبِيهًا وَتَجْسِيمًا، وَإِثْبَاتَ حَقَائِقِ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ فَإِنَّهَا لَا تُعْقَلُ إِلَّا فِي الْأَجْسَامِ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ رِقَّةٌ تَعْتَرِي طَبِيعَةَ الْحَيَوَانِ، وَالْمَحَبَّةَ مَيْلُ النَّفْسِ لِجَلْبِ مَا يَنْفَعُهَا، وَالْغَضَبَ غِلٌّ بِالْقَلْبِ لِوُرُودِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ.

قِيلَ لَكَ: وَكَذَلِكَ الْإِرَادَةُ هِيَ مَيْلُ النَّفْسِ إِلَى جَلْبِ مَا يَنْفَعُهَا وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهَا، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا أَثْبَتَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَعْرَاضٌ قَائِمَةٌ بِالْأَجْسَامِ فِي الشَّاهِدِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ انْطِبَاعُ صُورَةِ الْمَعْلُومِ فِي نَفْسِ الْعَالِمِ، أَوْ صِفَةٌ عَرَضِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِهِ، وَكَذَلِكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْحَيَاةُ أَعْرَاضٌ قَائِمَةٌ بِالْمَوْصُوفِ، فَكَيْفَ لَزِمَ التَّشْبِيهُ وَالتَّجْسِيمُ مِنْ إِثْبَاتِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ إِثْبَاتِ هَذِهِ؟

فَإِنْ قُلْتَ: أَنَا أُثْبِتُهَا عَلَى وَجْهٍ لَا يُمَاثِلُ صِفَاتِنَا وَلَا يُشْبِهُهَا.

قِيلَ لَكَ: فَهَلَّا أَثْبَتَّ الْجَمِيعَ عَلَى وَجْهٍ لَا يُمَاثِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؟

فَإِنْ قُلْتَ: هَذَا لَا يُعْقَلُ.

قِيلَ لَكَ: فَكَيْفَ عَقَلْتَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَحَيَاةً وَإِرَادَةً وَمَشِيئَةً، لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؟

فَإِنْ قُلْتَ: أَنَا أُفَرِّقُ بَيْنَ مَا يُتَأَوَّلُ وَمَا لَا يُتَأَوَّلُ بِأَنَّ مَا دَلَّ الْعَقْلُ عَلَى ثُبُوتِهِ يَمْتَنِعُ تَأْوِيلُهُ كَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ وَالْقُدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَمَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ يَجِبُ أَوْ يَسُوغُ تَأْوِيلُهُ كَالْيَدِ وَالْوَجْهِ وَالضَّحِكِ وَالْفَرَحِ وَالْغَضَبِ وَالرِّضَى، فَإِنَّ الْفِعْلَ الْمُحْكَمَ دَلَّ عَلَى الْإِرَادَةِ فَيَمْتَنِعُ مُخَالَفَةُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ صَرِيحُ الْعَقْلِ.

قِيلَ لَكَ: وَكَذَلِكَ الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ وَكَشْفُ الضُّرِّ وَتَفْرِيجُ الْكُرُبَاتِ دَلَّ عَلَى الرَّحْمَةِ كَدِلَالَةِ التَّخْصِيصِ عَلَى الْإِرَادَةِ سَوَاءٌ، وَالتَّخْصِيصُ بِالْكَرَامَةِ وَالِاصْطِفَاءِ وَالِاخْتِيَارِ دَالٌّ عَلَى الْمَحَبَّةِ كَدِلَالَةِ مَا ذَكَرْتَ عَلَى الْإِرَادَةِ، وَالْإِهَانَةُ وَالطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ وَالْحِرْمَانُ دَالٌّ عَلَى الْمَقْتِ وَالْبُغْضِ كَدِلَالَةِ ضِدِّهِ عَلَى الرِّضَى وَالْحُبِّ، وَالْعُقُوبَةُ وَالْبَطْشُ وَالِانْتِقَامُ دَالٌّ عَلَى الْغَضَبِ كَدِلَالَةِ ضِدِّهِ عَلَى الرِّضَى.

وَنَقُولُ ثَانِيًا: هَبْ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي نَفَيْتَهَا فَإِنَّهُ لَا يَنْفِيهَا، وَالسَّمْعُ دَلِيلٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ، بَلِ الطُّمَأْنِينَةُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ أَعْظَمُ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ إِلَى مُجَرَّدِ الْعَقْلِ، فَمَا الَّذِي يُسَوِّغُ لَكَ نَفْيَ مَدْلُولِهِ؟

وَيُقَالُ ثَالِثًا: إِنْ كَانَ ظَاهِرُ النُّصُوصِ يَقْتَضِي تَشْبِيهًا وَتَجْسِيمًا فَهُوَ يَقْتَضِيهِ فِي الْجَمِيعِ، فَأَوِّلِ الْجَمِيعَ، وَإِنْ كَانَ لَا يَقْتَضِي ذَلِكَ لَمْ يَجُزْ تَأْوِيلُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ بَعْضَهَا يَقْتَضِيهِ وَبَعْضَهَا لَا يَقْتَضِيهِ طُولِبْتَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

وَلَمَّا تَفَطَّنَ بَعْضُهُمْ لِتَعَذُّرِ الْفِرَاقِ قَالَ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ كَصِفَاتِ السَّمْعِ لَا يَتَأَوَّلُ، وَمَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ فَإِنَّهُ يَتَأَوَّلُ، وَهَذَا كَمَا تَرَاهُ مِنْ أَفْسَدِ الْفُرُوقِ، فَإِنَّ

مَضْمُونَهُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ أَثْبَتَ مَا يَدُلُّ رَأْيُ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ، وَهَذَا قَدْحٌ فِي الْإِجْمَاعِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْعَقِدُ عَلَى بَاطِلٍ.

ثُمَّ يُقَالُ: إِنْ كَانَ الْإِجْمَاعُ دَلَّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ وَظَاهِرُهَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ بَطَلَ نَفْيُكُمْ لِذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَنْعَقِدْ عَلَيْهَا بَطَلَ التَّفْرِيقُ بِهِ.

ثُمَّ يُقَالُ: خُصُومُكُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ لَمْ تُجْمِعْ عَلَى ثُبُوتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ قَبْلَهُمْ، قِيلَ: صَدَقْتُمْ وَاللَّهِ، وَالَّذِينَ أَجْمَعُوا قَبْلَهُمْ عَلَى إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَجْمَعُوا عَلَى إِثْبَاتِ سَائِرِ الصِّفَاتِ وَلَمْ يَخُصُّوهَا بِسَبْعٍ، بَلْ تَخْصِيصُهَا بِالسَّبْعِ خِلَافُ قَوْلِ السَّلَفِ، وَقَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، فَالنَّاسُ كَانُوا طَائِفَتَيْنِ: سَلَفِيَّةٍ وَجَهْمِيَّةٍ، فَحَدَثَتِ الطَّائِفَةُ السَّبْعِيَّةُ وَاشْتَقَّتْ قَوْلًا بَيْنَ قَوْلَيْنِ، فَلَا لِلسَّلَفِ اتَّبَعُوا وَلَا مَعَ الْجَهْمِيَّةِ بَقُوا.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: مَا لَمْ يَكُنْ ظَاهِرُهُ جَوَارِحَ وَأَبْعَاضًا، كَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْكَلَامِ لَا يَتَأَوَّلُ، وَمَا كَانَ ظَاهِرُهُ جَوَارِحَ وَأَبْعَاضًا كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْقَدَمِ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ تَأْوِيلُهُ لِاسْتِلْزَامِ إِثْبَاتِهِ التَّرْكِيبَ وَالتَّجْسِيمَ.

قَالَ الْمُثْبِتُونَ: جَوَابُنَا لَكُمْ هُوَ عَيْنُ الَّذِي تُجِيبُونَ بِهِ خُصُومَكُمْ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ نُفَاةِ الصِّفَاتِ، فَهُمْ قَالُوا لَكُمْ: لَوْ قَامَ بِهِ سُبْحَانَهُ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحَيَاةِ لَكَانَ مَحَلًّا لِلْأَعْرَاضِ وَلَزِمَ التَّرْكِيبَ وَالتَّجْسِيمَ وَالِانْقِسَامَ، كَمَا قُلْتُمْ: لَوْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ وَيَدٌ وَإِصْبَعٌ لَزِمَ التَّرْكِيبَ وَالِانْقِسَامَ وَحِينَئِذٍ فَمَا هُوَ جَوَابُكُمْ لِهَؤُلَاءِ نُجِيبُكُمْ بِهِ؟

فَإِنْ قُلْتُمْ: نَحْنُ نُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى وَجْهٍ لَا تَكُونُ أَعْرَاضًا وَلَا نُسَمِّيهَا أَعْرَاضًا فَلَا يَسْتَلْزِمُ تَرْكِيبًا وَلَا تَجْسِيمًا.

قِيلَ لَكُمْ: وَنَحْنُ نُثْبِتُ الصِّفَاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَنَفَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ عَنْهُ عَلَى وَجْهٍ لَا يَسْتَلْزِمُ الْأَبْعَاضَ وَالْجَوَارِحَ وَلَا يُسَمَّى الْمُتَّصِفُ بِهَا مُرَكَّبًا وَلَا جِسْمًا وَلَا مُنْقَسِمًا.

فَإِنْ قُلْتُمْ: هَذَا لَا يُعْقَلُ مِنْهَا إِلَّا الْأَجْزَاءُ وَالْأَبْعَاضُ.

قُلْنَا لَكُمْ: وَتِلْكَ لَا يُعْقَلُ مِنْهَا إِلَّا الْأَعْرَاضُ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: الْعَرَضُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ(١)، وَصِفَاتُ الرَّبِّ تَعَالَى بَاقِيَةٌ دَائِمًا أَبَدِيَّةٌ فَلَيْسَتْ أَعْرَاضًا، قُلْنَا: وَكَذَلِكَ الْأَبْعَاضُ هِيَ مَا جَازَ مُفَارَقَتُهَا وَانْفِصَالُهَا، وَذَلِكَ فِي حَقِّ الرَّبِّ تَعَالَى مُحَالٌ، فَلَيْسَتْ أَبْعَاضًا وَلَا جَوَارِحَ، فَمُفَارَقَةُ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْمَوْصُوفِ بِهَا مُسْتَحِيلٌ مُطْلَقًا فِي نَوْعَيْنِ، وَالْمَخْلُوقُ يَجُوزُ أَنْ تُفَارِقَهُ أَبْعَاضُهُ وَأَعْرَاضُهُ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنْ كَانَ الْوَجْهُ عَيْنَ الْيَدِ وَعَيْنُ السَّاقِ وَالْإِصْبَعِ فَهُوَ مُحَالٌ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ يَلْزَمُ التَّمَيُّزُ وَيَلْزَمُ التَّرْكِيبُ.

---

(١)العرض عندهم: هو ما يعرض ويزول ولا يبقى زمانين، ومن أجل هذا فإن ابن كلاب والأشعري والماتريدي التزموا نفي الصفات الفعلية التي سموها الحوادث، وأما أصول الصفات فهي عندهم ثابتة على خلاف بينهم؛ لكونها لا تسمى أعراضاً، لأن حد العرض عندهم ما يعرض ويزول.

وهذا كله تكلف وتحكم على لغة المنطق، إذ بأي عقل وبأي نظام وبأي منطق وبأي قانون لزم أن العرض هو ما يزول ولا يبقى زمنين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «التسعينية» (٣/ ٩٤٨):

ومعلوم أن قولهم العرض ما لا يبقى زمانين: هو دعوى وتحكم، فإن الصفات في المخلوق لا تبقى -أيضًا- زمانين عندهم؛ فتسمية الشيء صفة أو عرضًا، لا يوجب الفرق، لكنهم ادعوا أن صفة المخلوق لا تبقى زمانين، وصفة الخالق تبقى، فيمكنهم أن يقولوا: بالمخلوق لا يبقى، والقائم بالخالق باق، هذا إن صح قولهم: إن الصفات التي هي الأعراض لا تبقى، وأكثر العقلاء يخالفونهم في ذلك.اهـ

قُلْنَا لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ السَّمْعُ هُوَ عَيْنُ الْبَصَرِ، وَهُمَا نَفْسُ الْعِلْمِ، وَهِيَ نَفْسُ الْحَيَاةِ وَالْقُدْرَةِ فَهُوَ مُحَالٌ، وَإِنْ تَمَيَّزَ لَزِمَ التَّرْكِيبُ، فَمَا هُوَ جَوَابُكُمْ؟ فَالْجَوَابُ مُشْتَرَكٌ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: نَحْنُ نَعْقِلُ صِفَاتٍ لَيْسَتْ أَعْرَاضًا تَقُومُ بِغَيْرِ جِسْمٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الشَّاهِدِ نَظِيرٌ، وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ الْفَرْقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَكِنْ فَرْقٌ غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَإِنَّ أَحَدَهُمَا يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ وَالتَّرْكِيبَ وَالْآخَرَ لَا يَسْتَلْزِمُهُ.

وَلَمَّا أَخَذَ هَذَا الْإِلْزَامُ بِخِنَاقِ الْجَهْمِيَّةِ قَالُوا: الْبَابُ كُلُّهُ عِنْدَنَا وَاحِدٌ وَنَحْنُ نَنْفِي الْجَمِيعَ.

فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ وَاحِدٍ مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا هَذَا النَّفْيُ وَالتَّعْطِيلُ، وَإِمَّا أَنْ تَصِفُوا اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ وَتَتَبَّعُوا فِي ذَلِكَ سَبِيلَ السَّلَفِ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِهَذَا الشَّأْنِ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، وَأَشَدُّ تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَتَنْزِيهًا لَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، فَإِنَّ الْمَعَانِيَ الْمَفْهُومَةَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا تُرَدُّ بِالشُّبُهَاتِ فَيَكُونُ رَدُّهَا مِنْ بَابِ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُتْرَكُ تَدَبُّرُهَا وَمَعْرِفَتُهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ مُشَابَهَةً لِلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ، بَلْ هِيَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى أَشْرَفِ الْمَعَانِي وَأَجَلِّهَا، قَائِمَةٌ حَقَائِقُهَا فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ، إِثْبَاتًا بِلَا تَشْبِيهٍ، وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ، كَمَا قَالَتْ حَقَائِقُ سَائِرِ صِفَاتِ الْكَمَالِ فِي قُلُوبِهِمْ كَذَلِكَ، فَكَانَ الْبَابُ عِنْدَهُمْ بَابًا وَاحِدًا، وَعَلِمُوا أَنَّ الصِّفَاتِ حُكْمُهَا حُكْمُ الذَّاتِ، فَكَمَا ذَاتُهُ لَا تُشْبِهُ الذَّوَاتِ فَكَذَا صِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُ الصِّفَاتِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: التَّشْبِيهُ أَنْ تَقُولَ: يَدٌ كَيَدٍ أَوْ وَجْهٌ كَوَجْهٍ، فَأَمَّا إِثْبَاتُ يَدٍ لَيْسَتْ كَالْأَيْدِي، وَوَجْهٍ لَيْسَ كَالْوُجُوهِ؛ فَهُوَ إِثْبَاتُ ذَاتٍ لَيْسَتْ كَالذَّوَاتِ، وَحَيَاةٍ لَيْسَتْ كَغَيْرِهَا مِنَ الْحَيَاةِ، وَسَمْعٍ وَبَصَرٍ لَيْسَ كَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ، وَلَيْسَ إِلَّا هَذَا الْمَسْلَكُ،

وَمَسْلَكُ التَّعْطِيلِ الْمَحْضِ وَالتَّنَاقُضِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ لِصَاحِبِهِ قَدَمٌ فِي النَّفْيِ وَلَا فِي الْإِثْبَاتِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ تَتَأَوَّلُ كُلَّ مَا يُخَالِفُ نِحْلَتَهَا وَأَصْلَهَا، فَالْعِيَارُ عِنْدَهُمْ فِيمَا يُتَأَوَّلُ وَمَا لَا يُتَأَوَّلُ هُوَ الْمَذْهَبُ الَّذِي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ، مَا وَافَقَهَا أَقَرُّوهُ وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهُ وَمَا خَالَفَهَا تَأَوَّلُوهُ.اهـ

يلزم المحرفين المتأولين في المعنى الذي أثبتوه نظير ما فروا منه:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٣٣):

فَصْلٌ: فِي إِلْزَامِهِمْ فِي الْمَعْنَى الَّذِي جَعَلُوهُ تَأَوُّلًا نَظِيرَ مَا فَرُّوا مِنْهُ

وَهُوَ فَصْلٌ بَدِيعٌ يُعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُتَأَوِّلِينَ لَمْ يَسْتَفِيدُوا بِتَأْوِيلِهِمْ إِلَّا تَعْطِيلَ حَقَائِقِ النُّصُوصِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَتَخَلَّصُوا مِمَّا ظَنُّوهُ مَحْذُورًا بَلْ هُوَ لَازِمٌ لَهُمْ فِيمَا فَرُّوا إِلَيْهِ كَلُزُومِهِ فِيمَا فَرُّوا مِنْهُ، بَلْ قَدْ يَنْفُونَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مَحْذُورًا، كَحَالِ الَّذِينَ تَأَوَّلُوا نُصُوصَ الْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ وَالِاسْتِوَاءِ فِرَارًا مِنَ التَّحَيُّزِ وَالْحَصْرِ، ثُمَّ قَالُوا: هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ، فَنَزَّهُوهُ عَنِ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَمُبَايَنَتِهِ لِخَلْقِهِ وَجَعَلُوهُ فِي أَجْوَافِ الْبُيُوتِ وَالْآبَارِ وَالْأَوَانِي وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا.

وَلَمَّا عَلِمَ مُتَأَخِّرُو الْجَهْمِيَّةِ فَسَادَ ذَلِكَ قَالُوا: لَيْسَ وَرَاءَ الْعَالَمِ وَلَا فَوْقَ الْعَرْشِ إِلَّا الْعَدَمُ الْمَحْضُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ رَبٌّ يُعْبَدُ وَلَا إِلَهٌ يُصَلَّى لَهُ وَيُسْجَدُ، وَلَا هُوَ أَيْضًا فِي الْعَالَمِ، فَجَعَلُوا نِسْبَتَهُ إِلَى الْعَرْشِ كَنِسْبَتِهِ إِلَى أَخَسِّ مَكَانٍ.

فَإِذَا تَأَوَّلَ الْمُتَأَوِّلُ الْمَحَبَّةَ وَالرَّحْمَةَ وَالرِّضَى وَالْغَضَبَ بِالْإِرَادَةِ، قِيلَ لَهُ: يَلْزَمُكَ فِي الْإِرَادَةِ مَا لَزِمَكَ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ، وَإِذَا تَأَوَّلَ الْوَجْهَ بِالذَّاتِ لَزِمَهُ فِي الذَّاتِ مَا يَلْزَمُهُ فِي الْوَجْهِ، فَإِنَّ لَفْظَ الذَّاتِ يَقَعُ عَلَى الْقَدِيمِ وَالْمُحْدَثِ، وَإِذَا تَأَوَّلَ



لَفْظَ الْيَدِ بِالْقُدْرَةِ، يُوصَفُ بِهَا الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ، وَإِذَا تَأَوَّلَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ بِالْعِلْمِ لَزِمَهُ مَا فَرَّ مِنْهُ فِي الْعِلْمِ، وَإِذَا تَأَوَّلَ الْفَوْقِيَّةَ بِفَوْقِيَّةِ الْقَهْرِ لَزِمَهُ فِيهَا مَا فَرَّ مِنْهُ مِنْ فَوْقِيَّةِ الذَّاتِ، فَإِنَّ الْقَاهِرَ مَنِ اتَّصَفَ بِالْقُوَّةِ وَالْغَلَبَةِ، وَلَا يُعْقَلُ هَذَا إِلَّا جِسْمًا، فَإِنْ أَثْبَتَهُ الْعَقْلُ غَيْرَ جِسْمٍ لَمْ يَعْجِزْ عَنْ إِثْبَاتِ فَوْقِيَّةِ الذَّاتِ لِغَيْرِ جِسْمٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَأَوَّلَ الْإِصْبَعَ بِالْقُدْرَةِ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ أَيْضًا صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِالْمَوْصُوفِ وَعَرَضٌ مِنْ أَعْرَاضِهِ، فَفَرَّ مِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَأَوَّلَ الضَّحِكَ بِالرِّضَى بِالْإِرَادَةِ إِنَّمَا فَرَّ مِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ، فَهَلَّا أَقَرَّ النُّصُوصَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْتَهِكْ حُرْمَتَهَا؟ فَإِنَّ الْمُتَأَوِّلَ إِمَّا أَنْ يَذْكُرَ مَعْنًى ثُبُوتِيًّا أَوْ يَتَأَوَّلَ اللَّفْظَ بِمَا هُوَ عَدَمٌ مَحْضٌ، فَإِنْ تَأَوَّلَهُ بِمَعْنًى ثُبُوتِيٍّ كَائِنٍ لَزِمَهُ فِيهِ نَظِيرُ مَا فَرَّ مِنْهُ.اهـ

فهارس الأحاديث والآثار

فهارس الفوائد

فهرس المحتويات

شرح عقيدة
أهل السنة الأخيار

بدراسة أحاديث المختار من أحاديث سيد الأبرار

ـ في المعتقد الصحيح ـ

القسم الثاني من الجزء الثاني

تأليف

أبي عبدالله محمد بن علي بن حزام

الفضلي البعداني

للمبتدعة مسالك في رد نصوص الكتاب والسنة

أولها: التأويل:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوع الْفَتَاوَى (١٣/ ٢٨٨):

فَإِنَّ (التَّأْوِيلَ) فِي عُرْفِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ الْمُتَفَقِّهَةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُحَدِّثَةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ وَنَحْوِهِمْ، هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ الْمَعْنَى الرَّاجِحِ إلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ؛ لِدَلِيلِ يَقْتَرِنُ بِهِ، وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي يَتَكَلَّمُونَ عَلَيْهِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَمَسَائِلِ الْخِلَافِ.

فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ: هَذَا الْحَدِيثُ، أَوْ هَذَا النَّصُّ مُؤَوَّلٌ، أَوْ هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى كَذَا.

قَالَ الْآخَرُ: هَذَا نَوْعُ تَأْوِيلٍ، وَالتَّأْوِيلُ يَحْتَاجُ إلَى دَلِيلٍ. وَالْمُتَأَوِّلُ عَلَيْهِ وَظِيفَتَانِ: بَيَانُ احْتِمَالِ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي ادَّعَاهُ، وَبَيَانُ الدَّلِيلِ الْمُوجِبِ لِلصَّرْفِ إلَيْهِ عَنْ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ.

وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي يَتَنَازَعُونَ فِيهِ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ إذَا صَنَّفَ بَعْضُهُمْ فِي إبْطَالِ التَّأْوِيلِ أَوْ ذَمِّ التَّأْوِيلِ أَوْ قَالَ بَعْضُهُمْ آيَاتُ الصِّفَاتِ لَا تُؤَوَّلُ.

وَقَالَ الْآخَرُ: بَلْ يَجِبُ تَأْوِيلُهَا. وَقَالَ الثَّالِثُ: بَلْ التَّأْوِيلُ جَائِزٌ يُفْعَلُ عِنْدَ الْمَصْلَحَةِ، وَيُتْرَكُ عِنْدَ الْمَصْلَحَةِ، أَوْ يَصْلُحُ لِلْعُلَمَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمَقَالَاتِ وَالتَّنَازُعِ.

وَأَمَّا (التَّأْوِيلُ) فِي لَفْظِ السَّلَفِ فَلَهُ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَفْسِيرُ الْكَلَامِ وَبَيَانُ مَعْنَاهُ سَوَاءٌ وَافَقَ ظَاهِرَهُ أَوْ خَالَفَهُ؛ فَيَكُونُ التَّأْوِيلُ وَالتَّفْسِيرُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ مُتَقَارِبًا أَوْ مُتَرَادِفًا وَهَذَا - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - هُوَ الَّذِي عَنَاهُ مُجَاهِدٌ أَنَّ

العُلَمَاءَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطبري يَقُولُ فِي تَفْسِيرِهِ: القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ كَذَا وَكَذَا. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي هَذِهِ الآيَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَمُرَادُهُ التَّفْسِيرُ.

والمَعْنَى الثَّانِي فِي لَفْظِ السَّلَفِ - وَهُوَ الثَّالِثُ مِنْ مُسَمَّى التَّأْوِيلِ مُطْلَقًا -: هُوَ نَفْسُ المُرَادِ بِالْكَلَامِ؛ فَإِنَّ الكَلَامَ إنْ كَانَ طَلَبًا كَانَ تَأْوِيلُهُ نَفْسَ الفِعْلِ المَطْلُوبِ، وَإِنْ كَانَ خَبَرًا كَانَ تَأْوِيلُهُ نَفْسَ الشَّيْءِ المُخْبَرِ بِهِ.

وَبَيْنَ هَذَا المَعْنَى وَالَّذِي قَبْلَهُ بَوْنٌ؛ فَإِنَّ الَّذِي قَبْلَهُ يَكُونُ التَّأْوِيلُ فِيهِ مِنْ بَابِ العِلْمِ وَالْكَلَامِ كَالتَّفْسِيرِ وَالشَّرْحِ وَالْإِيضَاحِ، وَيَكُونُ وُجُودُ التَّأْوِيلِ فِي القَلْبِ وَاللِّسَانِ لَهُ الوُجُودُ الذِّهْنِيُّ وَاللَّفْظِيُّ وَالرَّسْمِيُّ.

وَأَمَّا هَذَا فَالتَّأْوِيلُ فِيهِ نَفْسُ الأُمُورِ المَوْجُودَةِ فِي الخَارِجِ سَوَاءٌ كَانَتْ مَاضِيَةً أَوْ مُسْتَقْبَلَةً. فَإِذَا قِيلَ: طَلَعَتْ الشَّمْسُ فَتَأْوِيلُ هَذَا نَفْسُ طُلُوعِهَا.

وَيَكُونُ (التَّأْوِيلُ) مِنْ بَابِ الوُجُودِ العَيْنِيِّ الخَارِجِيِّ؛ فَتَأْوِيلُ الكَلَامِ هُوَ الحَقَائِقُ الثَّابِتَةُ فِي الخَارِجِ بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتِهَا وَشُؤُونِهَا وَأَحْوَالِهَا، وَتِلْكَ الحَقَائِقُ لَا تُعْرَفُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِمُجَرَّدِ الكَلَامِ وَالْإِخْبَارِ إلَّا أَنْ يَكُونَ المُسْتَمِعُ قَدْ تَصَوَّرَهَا أَوْ تَصَوَّرَ نَظِيرَهَا بِغَيْرِ كَلَامٍ وَإِخْبَارٍ؛ لَكِنْ يَعْرِفُ مِنْ صِفَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا قَدْرَ مَا أَفْهَمَهُ المُخَاطِبُ: إمَّا بِضَرْبِ المَثَلِ، وَإِمَّا بِالتَّقْرِيبِ، وَإِمَّا بِالْقَدْرِ المُشْتَرَكِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا، وَإِمَّا بِغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهَذَا الوَضْعُ وَالْعُرْفُ الثَّالِثُ هُوَ لُغَةُ القُرْآنِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا. وَقَدْ قَدَّمْنَا التَّبْيِينَ فِي ذَلِكَ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيُوسُفَ: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ

فتيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ وَقَوْلُ الْمَلَأِ: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ وَقَوْلُ يُوسُفَ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ مِصْرَ ﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾. فَتَأْوِيلُ الأَحَادِيثِ الَّتِي هِيَ رُؤْيَا الْمَنَامِ هِيَ نَفْسُ مَدْلُولِهَا الَّتِي تُؤَوَّلُ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ يُوسُفُ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ وَالْعَالِمُ بِتَأْوِيلِهَا: الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ. كَمَا قَالَ يُوسُفُ: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ أَيْ فِي الْمَنَامِ ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ أَيْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا التَّأْوِيلُ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ قَالُوا: أَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمَصِيرًا. فَالتَّأْوِيلُ هُنَا تَأْوِيلُ فِعْلِهِمْ الَّذِي هُوَ الرَّدُّ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَالتَّأْوِيلُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ تَأْوِيلُ أَحَادِيثِ الرُّؤْيَا. وَالتَّأْوِيلُ فِي الأَعْرَافِ وَيُونُسَ تَأْوِيلُ القُرْآنِ وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ. وَقَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْعَالِمِ: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

فَالتَّأْوِيلُ هُنَا تَأْوِيلُ الأَفْعَالِ الَّتِي فَعَلَهَا العَالِمُ مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهَا وَمِنْ قَتْلِ الغُلَامِ وَمِنْ إِقَامَةِ الجِدَارِ فَهُوَ تَأْوِيلُ عَمَلٍ لَا تَأْوِيلُ قَوْلٍ.

وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ مَصْدَرُ أَوَّلَهُ يُؤَوِّلُهُ تَأْوِيلًا مِثْلَ حَوَّلَ تَحْوِيلًا وَعَوَّلَ تَعْوِيلًا. وَأَوَّلَ يُؤَوِّلُ تُعَدِّيهِ آلَ يَئُولُ أَوْلًا مِثْلَ حَالَ يَحُولُ حَوْلًا. وَقَوْلُهُمْ: آلَ يَئُولُ أَيْ عَادَ إلَى كَذَا وَرَجَعَ إلَيْهِ وَمِنْهُ (الْمَآلُ) وَهُوَ مَا يَئُولُ إلَيْهِ الشَّيْءُ وَيُشَارِكُهُ فِي الِاشْتِقَاقِ الْأَكْبَرِ (الْمَوْئِلُ) فَإِنَّهُ مِنْ وَأَلَ وَهَذَا مِنْ أَوِلَ. وَالْمَوْئِلُ الْمَرْجِعُ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص١٣٢):

وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَ السَّلَفِ بِقَوْلِهِمْ: لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ إِلَّا الله، فَالتَّأْوِيلُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وَقَوْلِ يُوسُفَ: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، وَقَوْلِ يَعْقُوبَ: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥]، وَقَالَ يُوسُفُ: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف: ٣٧]، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ الطَّلَبِيِّ هُوَ نَفْسُ فِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَتَرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ كَمَا قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: السُّنَّةُ تَأْوِيلُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم برقم (٤٨٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَهُوَ نَفْسُ الْحَقِيقَةِ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهَا، ذَلِكَ فِي حَقِّ اللهِ هُوَ كُنْهُ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ، وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ وَرَبِيعَةُ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّا لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ تَفْسِيرَهُ وَمَعْنَاهُ.

وَقَدْ فَسَّرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ الْآيَاتِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا الْجَهْمِيَّةُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَقَالَ: إِنَّهُمْ تَأَوَّلُوهَا عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهَا، وَبَيَّنَ مَعْنَاهَا، وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ، وَعَلِمُوا الْمُرَادَ بِآيَاتِ الصِّفَاتِ كَمَا عَلِمُوا الْمُرَادَ مِنْ آيَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا الْكَيْفِيَّةَ، كَمَا عَلِمُوا مَعَانِيَ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا حَقِيقَةَ كُنْهِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ.

فَمَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، بِهَذَا الْمَعْنَى، فَهُوَ حَقٌّ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ تَفْسِيرُهُ وَبَيَانُ الْمُرَادِ مِنْهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ فَهُوَ غَلَطٌ، وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَجُمْهُورُ الْأُمَّةِ عَلَى خِلَافِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٥٩)، وابن جرير (١/ ٨٥)، والدارمي (١١٦) من طرق عن مُحَمَّد بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا». وهذا إسناد حسن؛ إن سلم من تدليس ابن إسحاق؛ فقد عنعن.

ولكن أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٥٩) من وجه آخر، فقال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ ، عَن شِبْلٍ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَن مُجَاهِدٍ ، قَالَ : عَرَضْت الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلاثَ عَرْضَاتٍ. وهذا إسناد

وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ: مَا فِي كِتَابِ الله آيَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ(١). وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا أَنْزَلَ اللهُ آيَةً إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَا أَرَادَ بِهَا.

وَقَالَ مَسْرُوقٌ: مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّ عِلْمَنَا قَصَرَ عَنْهُ(٢). وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا وَفِي كِتَابِ الله بَيَانُهَا.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي "مختصر الصواعق" (ص٤٦):

لَمَّا كَانَ الْأَصْلُ فِي اللَّفْظِ هُوَ الْحَقِيقَةُ، وَالظَّاهِرُ كَانَ الْعُدُولُ بِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ مُخْرِجًا لَهُ عَنِ الْأَصْلِ، فَاحْتَاجَ مُدَّعِي ذَلِكَ إِلَى دَلِيلٍ يُسَوِّغُ لَهُ إِخْرَاجَهُ عَنْ أَصْلِهِ؛ فَعَلَيْهِ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ لَا تَتِمُّ دَعْوَاهُ إِلَّا بِهَا:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: بَيَانُ احْتِمَالِ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي تَأَوَّلَهُ فِي ذَلِكَ التَّرْكِيبِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ وَإِلَّا كَانَ كَاذِبًا عَلَى اللُّغَةِ، فَإِنَّ اللَّفْظَ قَدْ لَا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ الْمَعْنَى لُغَةً، وَإِنِ احْتَمَلَهُ فَقَدْ لَا يَحْتَمِلُهُ فِي ذَلِكَ التَّرْكِيبِ الْخَاصِّ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ لَا يُبَالِي إِذَا تَهَيَّأَ لَهُ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى بِأَيِّ طَرِيقٍ أَمْكَنَهُ أَنْ يَدَّعِي حَمْلَه عَلَيهِ إِذْ مَقْصُودُه دَفْعُ الصَّائِلِ. فَبِأَيِّ طَرِيقٍ تَهَيَّأَ لَهُ دَفْعُهُ؛ دَفَعَهُ، فَإِنَّ النُّصُوصَ قَدْ صَالَتْ عَلَى قَوَاعِدِهِ الْبَاطِلَةِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ كَلَامَ الله وَرَسُولِهِ عَلَى كُلِّ مَا سَاغَ فِي اللُّغَةِ وَالِاصْطِلَاحِ لِبَعْضِ الشُّعَرَاءِ أَوِ الْخُطَبَاءِ وَالْكُتَّابِ وَالْعَامَّةِ إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٠٢)، ومسلم برقم (٢٤٦٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص٩٦): حَدَّثَنِي أَبُو نُعَيْمٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ، عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، قَالَ: «مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ عِلْمُنَا قَصَّرَ عَنْهُ». وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله رجال الشيخين.

وأخرجه الخطيب في الفقية والمتفقه (١/ ١٩٧) من طريق علي بن عبد العزيز البغوي، عن أبي نعيم به.

مُخَالِفٍ لِمَا عُلِمَ مِنْ وَصْفِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَأَسْمَائِهِ وَمَا تَضَافَرَتْ بِهِ صِفَاتُهُ لِنَفْسِهِ وَصِفَاتِ رَسُولِهِ، وَكَانَتْ إِرَادَةُ ذَلِكَ الْمَعْنَى بِذَلِكَ اللَّفْظِ مِمَّا يَجُوزُ وَيَصْلُحُ لِنِسْبَتِهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى لَا سِيَّمَا، وَالْمُتَأَوِّلُ يُخْبِرُ عَنْ مُرَادِ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّ تَأْوِيلَ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ بِمَا يُوَافِقُ ظَاهِرَهُ أَوْ يُخَالِفُهُ إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ لِمُرَادِهِ.

فَإِذَا عُلِمَ أن الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يُرِدْ هَذَا الْمَعْنَى، وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يُرِيدَهُ وَأَنَّ فِي صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ مَا يَمْنَعُ مِنْ إِرَادَتِهِ، اسْتَحَالَ الْحُكْمُ عَلَيْهِ إِرَادَتَهُ.

فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ، وَمَنْ أَحَاطَ بِهِ فَعَرَفَهُ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا يَدَّعِيهِ الْمُحَرِّفُونَ من التَّأْوِيلَاتِ، مِمَّا يُعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يُرِدْهُ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الَّذِي تَأَوَّلَهُ الْمُتَأَوِّلُ مِمَّا يَسُوغُ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِيهِ فِي تِلْكَ اللُّغَةِ الَّتِي وَقَعَ بِهَا التَّخَاطُبُ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِمَّا يَجُوزُ نِسْبَتُهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَلَّا يَعُودَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ بِالْإِبْطَالِ وَالتَّعْطِيلِ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَهُ قَرَائِنُ تَحْتَفُّ بِهِ تُبَيِّنُ أَنَّهُ مُرَادٌ بِاللَّفْظِ، وَإِلَّا كَانَتْ دَعْوَى إِرَادَتِهِ كَذِبًا عَلَى الْمُتَكَلِّمِ.

فَعَلَى الْمُتَأَوِّلِ أَنْ يُبَيِّنَ احْتِمَالَ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ **أَوَّلًا**.

وَيُبَيِّنَ تَعْيِينَ الْمَعْنَى **ثَانِيًا**، فَإِنَّهُ إِذَا أُخرِجَ عَنْ حَقِيقَتِهِ قَدْ يَكُونُ لَهُ عِدَّةُ مَعَانٍ، فَتَعْيِينُ ذَلِكَ المعنى يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ.

الثالث: إِقَامَةُ الدَّلِيلِ الصَّارِفِ لِلَّفْظِ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَظَاهِرِهِ، فَإِنَّ دَلِيلَ الْمُدَّعِي لِلْحَقِيقَةِ وَالظَّاهِرُ قَائِمٌ فَلَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ صَارِفٍ يَكُونُ أَقْوَى مِنْهُ.

الرابعُ: الْجَوَابُ عَنِ الْمُعَارِضِ، فَإِنَّ مُدَّعِي الْحَقِيقَةِ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عِنْدَهُ عَلَى إِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ: أَمَّا السَّمْعِيُّ فَلَا يُمْكِنُكَ الْمُكَابَرَةُ أَنَّهُ مَعَهُ، وَأَمَّا الْعَقْلِيُّ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

عَامٌّ، وَخَاصٌّ، فَالْعَامُّ: الدَّلِيلُ الدَّالُّ عَلَى كَمَالِ عِلْمِ الْمُتَكَلِّمِ، وَكَمَالِ بَيَانِهِ وَكَمَالِ نُصْحِهِ.

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ أَقْوَى مِنَ الشُّبَهِ الْخَيَالِيَّةِ الَّتِي يَسْتَدِلُّ بِهَا النُّفَاةُ بِكَثِيرٍ، فَإِنْ جَازَ مُخَالَفَةُ هَذَا الدَّلِيلِ الْقَاطِعِ فَمُخَالَفَةُ تِلْكَ الشُّبَهِ الْخَيَالِيَّةِ أَوْلَى بِالْجَوَازِ، وَإِنْ لَمْ يَجُزْ مُخَالَفَةُ تِلْكَ الشُّبَهِ، فَامْتِنَاعُ مُخَالَفَةِ الدَّلِيلِ الْقَاطِعِ أَوْلَى.

وَأَمَّا الْخَاصُّ فَكُلُّ صِفَةٍ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى بِهَا نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ فَهِيَ صِفَةُ كَمَالٍ قَطْعًا، فَلَا يَجُوزُ تَعْطِيلُ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَتَأْوِيلُهَا بِمَا يُبْطِلُ حَقَائِقَهَا.

فَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ الَّذِي دَلَّ عَلَى ثُبُوتِ الْحَيَاةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، دَلَّ نَظِيرُهُ عَلَى ثُبُوتِ الْحِكْمَةِ وَالرِّضَى وَالرَّحْمَةِ وَالْغَضَبِ وَالْفَرَحِ وَالضَّحِكِ، وَالَّذِي دَلَّ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ بِمَشِيئَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ دَلَّ عَلَى قِيَامِ أَفْعَالِهِ بِهِ، وَذَلِكَ عَيْنُ الْكَمَالِ، وَكُلُّ صِفَةٍ دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَهِيَ صِفَةُ كَمَالٍ، وَالْعَقْلُ جَازِمٌ بِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ للهِ تَعَالَى، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ أَوْ يَصِفَهُ رَسُولُهُ بِصِفَةٍ تُوهِمُ نَقْصًا، وَهَذَا دَلِيلٌ أَيْضًا أَقْوَى مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ لِلنُّفَاةِ.

يُوَضِّحُهُ أَنَّ أَدِلَّةَ مُبَايَنَةِ الرَّبِّ لِخَلْقِهِ وَعُلُوِّهِ عَلَى جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ أَدِلَّةٌ عَقْلِيَّةٌ فِطْرِيَّةٌ تُوجِبُ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ بِمَدْلُولِهَا.

وَأَمَّا السَّمْعِيَّةُ فَتُقَارِبُ أَلْفَ دَلِيلٍ، فَعَلَى الْمُتَأَوِّلِ أَنْ يُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهَيْهَاتَ لَهُ بِجَوَابٍ صَحِيحٍ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ، فَنَحْنُ نُطَالِبُهُ بِجَوَابٍ صَحِيحٍ عَنْ دَلِيلٍ وَاحِدٍ وَهُوَ: أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ وُجُودٌ خَارِجٌ عَنِ الذِّهْنِ ثَابِتٌ فِي الْأَعْيَانِ، أَوْ لَا؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وُجُودٌ خَارِجِيٌّ كَانَ خَيَالًا قَائِمًا بِالذِّهْنِ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَهَذَا حَقِيقَةُ

قَوْلِ الْمُعَطِّلَةِ وَإِنْ تَسَتَّرُوا بِزُخْرُفٍ مِنَ الْقَوْلِ، وَإِنْ كَانَ وُجُودُهُ خَارِجَ الذِّهْنِ فَهُوَ مُبَايِنٌ لَهُ، إذ هُوَ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، إِذْ لَوْ كَانَ قَائِمًا بِهِ لَكَانَ عَرَضًا مِنْ أَعْرَاضِهِ.

وَحِينَئِذٍ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ هَذَا الْعَالَمُ، أَوْ غَيْرَهُ، فَإِنْ كَانَ هَذَا الْعَالَمَ فَهَذَا تَصْرِيحٌ بِقَوْلِ أَصْحَابِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْعَالَمِ إِلَهٌ مُبَايِنٌ لَهُ، مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، وَهَذَا أَكْفَرُ أَقْوَالِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

فَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ، أَوْ قَائِمًا بِالْعَالَمِ؟ فَإِنْ كَانَ قَائِمًا بِالْعَالَمِ فَهُوَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَائِهِ أَوْ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَلَيْسَ هَذَا بِقَيُّومِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَإِنْ كَانَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْعَالَمَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، فَذَاتَانِ قَائِمَتَانِ بِأَنْفُسِهِمَا لَيْسَتْ إِحْدَاهُمَا دَاخِلَةً فِي الْأُخْرَى، وَلَا خَارِجَةً عَنْهَا وَلَا مُتَّصِلَةً بِهَا وَلَا مُنْفَصِلَةً عَنْهَا وَلَا مُحَايِثَةً وَلَا مُبَايِنَةً وَلَا فَوْقَهَا وَلَا تَحْتَهَا وَلَا خَلْفَهَا وَلَا أَمَامَهَا وَلَا عَنْ يَمِينِهَا وَلَا عَنْ شِمَالِهَا، كَلَامٌ لَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ مُنْصِفٍ، وَالْبَدِيهَةُ الضَّرُورِيَّةُ حَاكِمَةٌ بِاسْتِحَالَةِ هَذَا، بَلْ بِاسْتِحَالَةِ تَصَوُّرِهِ؛ فَضْلًا عَنِ التَّصْدِيقِ بِهِ.

قَالُوا: فَنَحْنُ نُطَالِبُكُمْ بِجَوَابٍ صَحِيحٍ عَنْ هَذَا الدَّلِيلِ الْوَاحِدِ مِنْ جُمْلَةِ أَلْفِ دَلِيلٍ، وَنَعْلَمُ قَبْلَ الْمُطَالَبَةِ أَنَّ كُلَّ الْجَهْمِيِّينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَوِ اجْتَمَعُوا لَمَا أَجَابُوا عَنْهُ بِغَيْرِ الْمُكَابَرَةِ وَالتَّشْنِيعِ عَلَى أَهْلِ الْإِثْبَاتِ بِالتَّجْسِيمِ وَالسَّبِّ، هَذِهِ وَظِيفَةُ كُلِّ مُبْطِلٍ قَامَتْ عَلَيْهِ حُجَّةُ الله تَعَالَى.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في "الكافية الشافية":

١) وَعَلَيْكُمُ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعٌ	وَاللهِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِنَّ يَدَانِ
٢) مِنْهَا دَلِيلٌ صَارِفٌ لِلَّفْظِ عَنْ	مَوْضُوعِهِ الأَصْلِيِّ بِالْبُرْهَانِ
٣) إِذْ مُدَّعِي نَفْسِ الحَقِيْقَةِ مُدَّعٍ	لِلْأَصْلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بُرْهَانِ

٤) فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيْلُ الصَّرْفِ يَا ... هَيْهَـــــاتَ طُـــــولِبْتُمْ بِـــــأَمْرٍ ثَـــــانِي

٥) وَهُوَ احْتِمَـالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي ... قُلْـــــتُمْ هُـــــوَ الْـــــمَقْصُودُ بِالتِّبْيَـــــانِ

٦) فَــإِذَا أَتَيْــتُمْ ذَاكَ طُــولِبْتُمْ بِأَمْـــ ... ـــرٍ ثَالِــثٍ مِــنْ بَعْــدِ هَــذَا الثَّــانِي

٧) إِذْ قُلْـتُمُ إِنَّ الْـــمُرَادَ كَــذَا فَمَـــا ... ذَا دَلَّكُــــــمْ أَتَخَـــــرُّصُ الكُهَّـــــانِ

٨) هَبْ أَنَّهُ لَـمْ يَقْصِدِ الْـمَوضُوعَ لَـــ ... ـــكِنْ قَــدْ يَكُــونُ القَصْــدُ مَعْنًــى ثَــانِي[1]

٩) وَكَــذَا نُطَــالِبُكُمْ بِــأَمْرٍ رَابِــعٍ ... وَاللهِ لَـــــيْسَ لَكُــــمْ بِـــــذَا إِمْكَـــــانِ

١٠) وَهُوَ الجَوَابُ عَنِ الـمُعَارِضِ إِذْ بِـهِ ... دَعْـــــوَى تَـــــتِمُّ سَـــــلِيْمَةَ الأَرْكَـــــانِ

١١) لَكِـنَّ ذَا عَـيْنُ الـمُحَالِ وَلَـوْ يُسَـا ... عِـــــدُكُمْ عَلَيْـــــهِ رَبُّ كُـــــلِّ لِسَـــــانِ

١٢) فَأَدِلَّــةُ الإِثْبَــاتِ حَقًّــا لَا يَقُــو ... مُ لَهَـــــا الجِبَـــــالُ وَسَـــــائِرُ الأَكْـــــوَانِ

١٣) تَنْزِيْــلُ رَبِّ الْعَالَــمِيْنَ وَوَحْيُــهُ ... مَـــــعَ فِطْـــــرَةِ الـــــرَّحْمَنِ وَالبُرْهَـــــانِ

١٤) أَنَّــى يُعارِضُــها كُنَاسَــةُ هَـذِهِ الْـــ ... أَذْهَـــــانِ بالشُّـــــبُهَاتِ وَالْهَـــــذَيَانِ

١٥) وَجَعَــاجِعٌ وَفَرَاقِــعٌ مَــا تَحْتَهَــا ... إِلَّا السَّرَـــــــابُ لِـــــوَارِدٍ ظَمْـــــآنِ[2]

---

(١) منقول من ”الكافية“ (١٨٣٦-١٨٤٣).

(٢) منقول من □الكافية□ (١٨٨٤-١٨٩٠).

ثانيها: قول المبتدعة: إِذَا تَعَارَضَ العَقْلُ وَالنَّقْلُ وَجَبَ تَقْدِيمُ العَقْلِ:

للإمام وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتاب كبير مفيد في هذه المسألة، اسمه "درء تعارض العقل والنقل" لم يؤلف مثله فيما نعلم في دفع شبهات علم الكلام، فرحمه الله، ورفع درجته في عليين، وجمعنا به في جنات النعيم.

وقد ادعى أهل الكلام أنه يقع التعارض بين العقل والنقل، وبنوا عليه أنه إِذَا تَعَارَضَ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَجَبَ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا وَلَا إِبْطَالُهُمَا.

قالوا: وَلَا يُقَدَّمُ النَّقْلُ، لِأَنَّ الْعَقْلَ أَصْلُ النَّقْلِ، فَلَوْ قَدَّمْنَا عَلَيْهِ النَّقْلَ لَبَطَلَ الْعَقْلُ، وَهُوَ أَصْلُ النَّقْلِ، فَلَزِمَ بُطْلَانُ النَّقْلِ، فَيَلْزَمُ مِنْ تَقْدِيمِ النَّقْلِ بُطْلَانُ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، فَتَعَيَّنَ الْقِسْمُ الرَّابِعُ، وَهُوَ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ.

وَهَذَا الكَلَامُ قَد جَعَلَه الرازيُّ وَأَتبَاعُهُ قَانُونًا كليًّا فيما يُستدلُ بِهِ مِن كُتبِ الله تعَالَى وَكَلامِ أَنبِيَائِهِ عَليهمُ السَّلامُ، وَمَا لا يُستدل بِه، وَلهذا رَدُّوا الِاستدلالَ بِما جَاءتْ بِهِ الأَنبياءُ والمرسلون في صِفاتِ الله تعالى، وَغيرِ ذلك من الأُمورِ التي أَنبأَوا بِها، وَظَنَّ هَؤلاءُ أَنَّ العَقلَ يُعَارِضُهَا، وَقد يضمُّ بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين.

وهذا القانون الذي وضعوه سبقهم إليه طائفة، منهم أبو حامد، وجعله قانونًا في جواب المسائل التي سئل عنها في نصوص أشكلت على السائل.

وهذا الكلام حوله مناقشات:

فأولًا: قولهم: إنه يقع التعارض بين العقل والنقل:

فهذا كلام باطل، فالعقل الصريح، لا يخالف النقل الصحيح إطلاقًا؛ فإذا وجد ما فيه تعارض مستيقن، فذلك ناتج إما من العقل الذي لم يفهم الأدلة فهمًا صحيحًا، أو يكون النقل ضعيفًا.

قال الإمام ابن القيم رحمه اللّه في كتابه "الصواعق" (٢/٦٧٩):

وقد تدبر أنصار الله ورسوله وسنته هذا؛ فما وجدوا بحمد الله العقل الصريح يفارق النقل الصحيح أصلا، بل هو خادمه وصاحبه والشاهد له، وما وجدوا العقل المعارض له إلا من أفسد العقول، وأسخفها وأشدها منافاة لصريح العقل وصحيحه، ويجب على المسلم، الذي لله ولكتابه وقار وعظمة في قلبه أن يعتقد هذا، وإن لم يظهر له تفصيله، فإذا ظهر له تفصيله؛ كان نورا على نور؛ فإن الله سبحانه أقام الحجة على الخلق بكتابه ورسوله؛ فلا يمكن أن يكون فيهما ما يظهر منه خلاف الحق ولا ما يخالف العقل، ولا يمكن أن يحيل الرسول ﷺ الناس في الهدى والعلم وصفاته وأفعاله على ما يناقض كلامه من عقلياتهم، وهذا واضح ولله الحمد.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه اللّه في كتابه الصواعق (٣/٨٢٩):

إِنَّ مَا عُلِمَ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ الَّذِي لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ الْعُقَلَاءُ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُعَارِضَهُ الشَّرْعُ الْبَتَّةَ، وَمَنْ تَأَمَّلَ ذَلِكَ فِيمَا تَنَازَعَ الْعُقَلَاءُ فِيهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْكِبَارِ وَجَدَ مَا خَالَفَ النُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ شُبَهَاتٍ فَاسِدَةً يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ بُطْلَانُهَا، بَلْ يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ ثُبُوتُ نَقِيضِهَا، فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ فِي مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ وَمَسَائِلِ الْقَدَرِ وَالنُّبُوَّاتِ وَالْمَعَادِ، تَجِدْ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ صَرِيحُ الْعَقْلِ لَمْ يُخَالِفْهُ سمعٌ قط، بَل السمعُ الذي يُخَالِفُه إمَّا أَنْ يَكُونَ حَدِيثًا مَوضُوعا أو لا تكون دلالَتُه مخالفة لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ قَطْعًا

أَنَّ الرُّسُلَ لَا يُخْبِرُونَ بِمُحَالَاتِ الْعُقُولِ وَإِنْ أَخْبَرُوا بمحارات الْعُقُولِ، فَلَا يُخْبِرُونَ بِمَا يُحِيلُهُ الْعَقْلُ، وإن أخبروا بما يَحَارُ فيه العقلُ ولا يستقلُ بِمعرفتِه، وَمَنْ تَأَمَّلَ أَدِلَّةَ نُفَاةَ الصِّفات والأفعالِ والقدرِ والحكمةِ والمعادِ وأعطاها حقها مِنَ النَّظرِ العقلي علم بالعقلِ فسادَها، وثبوتَ نَقِيضَها، ولله الحمد.اهـ

ثانيًا: قولهم: (وَلَا يُقَدَّمُ النَّقْلُ، لِأَنَّ الْعَقْلَ أَصْلُ النَّقْلِ) إلى آخره:

هذا الكلام معارض، وغير صحيح.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتابه "درء تعارض العقل والنقل" (١/ ١٧٠):

يعارض دليلهم بنظير ما قالوه، فيقال: إذا تعارض العقل والنقل؛ وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين؛ جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع للنقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل علي صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا النقل؛ لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، وإذا أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضًا للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبًا عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه.

وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل علي صدق السمع وصحته وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون هذه الدلالة باطلة؛ لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلًا صحيحًا، وإذا لم يكن دليلًا صحيحًا لم يجز أن يتبع بحال؛ فضلا عن أن يقدم، فصار تقديم العقل علي النقل قدحًا في العقل بانتفاء لوازمه ومدلوله، وإذا كان تقديمه علي النقل يستلزم القدح فيه، والقدح فيه يمنع دلالته، والقدح في دلالته

يقدح في معارضته، كان تقديمه عند المعارضة مبطلًا للمعارضة، فامتنع تقديمه علي النقل، وهو المطلوب.اهـ

ثم أيضًا إحالة الناس إلى تقديم العقل؛ إحالة إلى أمر مضطرب غير ثابت، فعقول الناس تختلف، وكل يدعي أن ما هو عليه هو الذي يوافق العقل.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي "مختصر الصواعق" (ص١٠٦):

إِنَّ أَرْبَابَ هَذَا الْقَانُونِ الَّذِينَ مَنَعُوا اسْتِفَادَةَ الْيَقِينِ مِنْ كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ مُضْطَرِبِينَ فِي الْعَقْلِ الَّذِي يُعَارِضُ النَّقْلَ أَشَدَّ الِاضْطِرَابِ.

فَالْفَلَاسِفَةُ مَعَ شِدَّةِ اعْتِنَائِهِمْ بِالْمَعْقُولَاتِ أَشَدُّ النَّاسِ اضْطِرَابًا فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ طَوَائِفِ أَهْلِ الْمِلَلِ، وَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ فَلْيَقِفْ عَلَى مَقَالَاتِهِمْ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ، كَالْمَقَالَاتِ الْكُبْرَى لِلْأَشْعَرِيِّ، وَالْآرَاءِ وَالدِّيَانَاتِ لِلنُّوبَخْتِيِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَمَّا الْمُتَكَلِّمُونَ فَاضْطِرَابُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أَشَدِّ اضْطِرَابٍ.

فَتَأَمَّلِ اضْطِرَابَ فِرَقِ الشِّيعَةِ وَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَطَوَائِفِ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّ صَرِيحَ الْعَقْلِ مَعَهُ، وَأَنَّ مُخَالِفَهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ صَرِيحِ الْعَقْلِ، وَنَحْنُ نُصَدِّقُ جَمِيعَهُمْ، وَنُبْطِلُ عَقْلَ كُلِّ فِرَقِهِمْ بِعَقْلِ الْأُخْرَى، ثُمَّ نَقُولُ لِلْجَمِيعِ: بِعَقْلِ مَنْ مِنْكُمْ يُوزَنُ كَلَامُ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، فَمَا وَافَقَهُ قُبِلَ وَأُقِرَّ عَلَيْهِ، وَمَا خَالَفَهُ رُدَّ، أو أُوِّلَ أَوْ فُوِّضَ؟

أَعَقْلُ أَرِسْطُو وَشِيعَتِهِ، أَمْ عَقْلُ أَفَلَاطُونَ أَمْ فِيثَاغُورْسَ، أَمْ بُقْرَاطَ، أَمِ الْفَارَابِيِّ، أَمِ ابْنِ سِينَا، أَمْ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا، أَمْ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ، أَمْ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، أَمِ النَّظَّامِ، أَوِ الْعَلَّافِ، أَمِ الْجُبَّائِيِّ، أَمْ بِشْرٍ الْمِرِّيسِيِّ، أَمِ الْإِسْكَافِيِّ؟ .

أَمْ تُوصُونَ بِعُقُولِ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ هَذَّبُوا الْعَقْلِيَّاتِ، وَمَحَّضُوا زُبْدَتَهَا وَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يرضوا بِعُقُولِ سَائِرِ مَنْ تَقَدَّمَ؟

فَهَذَا أَفْضَلُهُمْ عِنْدَكُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الرَّازِيُّ، فَبِأَيِّ مَعْقُولَاتِهِ تَزِنُونَ نُصُوصَ الْوَحْيِ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ اضْطِرَابَهُ فِيهَا فِي كُتُبِهِ أَشَدَّ اضْطِرَابٍ وَلَا يَثْبُتُ عَلَى قَوْلٍ؟

أَمْ تَرْضَوْنَ عُقُولَ الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، أَمْ عُقُولَ الِاتِّحَادِيَّةِ؟ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ وَأَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ يَدَّعِي أَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ مَعَهُ، وَأَنَّ مُخَالِفِيهِ خَرَجُوا عَنْ صَحِيحِ الْمَعْقُولِ.

وَهَذِهِ عُقُولُهُمْ تُنَادِي عَلَيْهِمْ، وَلَوْلَا الْإِطَالَةُ لَعَرَضْنَاهَا عَلَى السَّامِعِ عَقْلًا عَقْلًا، وَهَذِهِ الْعُقُولُ إِنَّمَا تُفِيدُ الرَّيْبَ وَالشَّكَّ وَالْحَيْرَةَ وَالْجَهْلَ الْمُرَكَّبَ.

فَإِذَا تَعَارَضَ النَّقْلُ وَهَذِهِ الْعُقُولُ أُخِذَ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَرُمِيَ بِهَذِهِ الْعُقُولِ تَحْتَ الْأَقْدَامِ، وَحُطَّتْ حَيْثُ حَطَّهَا اللهُ وَحطَّ أَصْحَابَهَا.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي "مختصر الصواعق" (ص١١٥):

إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ تَمَّمَ الدِّينَ بِنَبِيِّهِ ﷺ وَكَمَّلَهُ بِهِ، وَلَمْ يُحْوِجْهُ هُوَ وَلَا أُمَّتَهُ إِلَى عَقْلٍ وَلَا نَقْلٍ سِوَاهُ وَلَا رَأْيٍ وَلَا مَنَامٍ وَلَا كَشْفٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وَأَنْكَرَ عَلَى مَنْ لَمْ يَكْتَفِ بِالْوَحْيِ فَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] ذَكَرَ هَذَا جَوَابًا لِطَلَبِهِمْ آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَكْفِيهِمْ مِنْ كُلِّ آيَةٍ، فَلَوْ كَانَ مَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَعَنْ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُنَاقِضُ الْعَقْلَ؛ لَمْ يَكُنْ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِهِ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كَافِيًا.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ تَمَّمَ الدِّينَ وَأَكْمَلَهُ بِنَبِيِّهِ ﷺ وَمَا بَعَثَهُ بِهِ فَلَمْ يُحْوِجْ أُمَّتَهُ إِلَى سِوَاهُ، فَلَوْ عَارَضَهُ الْعَقْلُ، وَكَانَ أَوْلَى بِالتَّقْدِيمِ مِنْهُ؛ لَمْ يَكُنْ كَافِيًا لِلْأُمَّةِ وَلَا تَامًّا فِي نَفْسِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّا لَا نُؤْمِنُ حَتَّى نُحَكِّمَ رَسُولَهُ فِي جَمِيعِ مَا شَجَرَ بَيْنَنَا وَتَتَّسِعَ صُدُورُنَا لِحُكْمِهِ، فَلَا يَبْقَى فِيهَا حَرَجٌ، وَنُسَلِّمَ لِحُكْمِهِ تَسْلِيمًا؛ فَلَا نُعَارِضُهُ بِعَقْلٍ وَلَا رَأْيٍ، فَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ عَلَى نَفْيِ الْإِيمَانِ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ الْعَقْلَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَقَدْ شَهِدُوا هُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِمَعْنَاهُ وَإِنْ آمَنُوا بِلَفْظِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] وَهَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ حُكْمَ جَمِيعِ مَا تَنَازَعْنَا فِيهِ مَرْدُودٌ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الْحَاكِمُ فِيهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، فَلَوْ قُدِّمَ حُكْمُ الْعَقْلِ عَلَى حُكْمِهِ؛ لَمْ يَكُنْ هُوَ الْحَاكِمَ بِكِتَابِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] فَأَمَرَ بِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ وَحْدَهُ، وَنَهَى عَمَّا خَالَفَهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّ كِتَابَهُ بَيِّنَةٌ وَهُدًى وَشِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ وَنُورٌ مُفَصَّلًا وَبُرْهَانًا وَحُجَّةً وَبَيَانًا، فَلَوْ كَانَ فِي الْعَقْلِ مَا يُعَارِضُهُ وَيَجِبُ تَقْدِيمُهُ عَلَى الْقُرْآنِ؛ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ لِلْعَقْلِ دُونَهُ.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي "مختصر الصواعق" (ص١٢٠):

وَقَدِ اصْطَفَى اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَنْبِيَاءَ، أَنْبَأَهُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ بِمَا يَشَاءُ، وَأَطْلَعَهُمْ مِنْهَا عَلَى مَا لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ غَيْرَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا - إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَصْطَفِي مَنْ يُطْلِعُهُ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ عَلَى مَا لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، وَكَذَلِكَ سُمِّيَ (نَبِيًّا) مِنَ الْإِنْبَاءِ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ، لِأَنَّهُ مُخْبَرٌ مِنْ جِهَةِ اللهِ وَمُخْبِرٌ عَنْهُ فَهُوَ مُنَبَّأٌ، وَمُنْبِئٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ بِدُونِ خَبَرِهِمْ بَلْ وَلَا أَكْثَرُهُ، وَلِهَذَا كَانَ أَكْمَلُ الْأُمَمِ عِلْمًا أَتْبَاعَ الرُّسُلِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُمْ أَحْذَقَ مِنْهُمْ فِي عِلْمِ النُّجُومِ وَالْهَنْدَسَةِ، وَعِلْمِ الْكَمِّ الْمُتَّصِلِ وَالْمُنْفَصِلِ، وَعِلْمِ النَّبْضِ وَالْقَارُورَةِ وَالْأَبْوَالِ وَمَعْرِفَةِ قِوَامِهَا، وَنَحْوِهَا مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي لَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِهَا وَآثَرُوهَا عَلَى عُلُومِ الرُّسُلِ، وَهِيَ كَمَا قَالَ الْوَاقِفُ عَلَى نِهَايَتِهَا: (ظُنُونٌ كَاذِبَةٌ، وَإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)، وَهِيَ عُلُومٌ غَيْرُ نَافِعَةٍ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَإِنْ نَفَعَتْ فَنَفْعُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ كَنَفْعِ الْعَيْشِ الْعَاجِلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ وَدَوَامِهَا.

فَلَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ طَلَبًا وَخَبَرًا، فَهُوَ الْعِلْمُ الْمُزَكِّي لِلنُّفُوسِ الْمُكَمِّلُ لِلْفِطَرِ الْمُصَحِّحُ لِلْعُقُولِ الَّذِي خَصَّهُ اللهُ بِاسْمِ الْعِلْمِ، وَسَمَّى مَا عَارَضَهُ ظَنًّا لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا وَخَرْصًا وَكَذِبًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] وَشَهِدَ لِأَهْلِهِ أَنَّهُمْ

أُولُو الْعِلْمِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] وَالْمُرَادُ بِهِمْ أُولُو الْعِلْمِ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِمْ أُولِي الْعِلْمِ بِالْمَنْطِقِ وَالْفَلْسَفَةِ وَفُرُوعِهَا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فَالْعِلْمُ الَّذِي أَمَرَهُ بِاسْتِزَادَتِهِ هُوَ عِلْمُ الْوَحْيِ لَا عِلْمُ الْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] أَيْ أَنْزَلَهُ، وَفِيهِ عِلْمُهُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ الْبَشَرُ، فَالْبَاءُ لِلْمُصَاحَبَةِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾ [هود: ١٤] أَيْ أُنْزِلَ، وَفِيهِ عِلْمُ اللهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْبَرَاهِينِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ مَنْ جَاءَ بِهِ.

وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَعْنَى: أَنْزَلَهُ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ حَقًّا؛ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ وَبُرْهَانٌ عَلَى صِحَّةِ الدَّعْوَةِ، فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْمَعْنَى أَنْزَلَهُ مُتَضَمِّنًا لِعِلْمِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ إِلَّا مَنْ أَطْلَعَهُ اللهُ، وَأَعْلَمَهُ بِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

وَقَالَ فِيمَا عَارَضَهُ مِنَ الشُّبَهِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَرْبَابُهَا: قَوَاطِعُ عَقْلِيَّةٌ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦] وَقَالَ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمَعَادَ بِعَقْلِهِ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] وَالظَّنُّ الَّذِي أَثْبَتَهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُعَارِضِينَ نُصُوصَ

الْوَحْيِ بِعُقُولِهِمْ لَيْسَ هُوَ الِاعْتِقَادُ الرَّاجِحَ، بَلْ هُوَ كَذِبُ الْحَدِيثِ، وَقَالَ: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ - الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١٠ - ١١] .

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُعَارِضِينَ لِنُصُوصِ الْأَنْبِيَاءِ بِعُقُولِهِمْ؛ رَأَيْتَ كُلَّهُ خَرْصًا، وَعَلِمْتَ أَنَّهُمْ هُمُ الْخَرَّاصُونَ، وَأَنَّ الْعِلْمَ فِي الْحَقِيقَةِ مَا نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَهُوَ الَّذِي أَقَامَ اللهُ بِهِ حُجَّتَهُ، وَهَدَى بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَأَتْبَاعَهُمْ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فَهَذِهِ النِّعْمَةُ وَالتَّزْكِيَةُ إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ عَرَفَ زَعْمَ أَنَّ ذَلِكَ مُخَالِفٌ لِصَرِيحِ الْعَقْلِ، وَأَنَّ الْعُقُولَ مُقَدَّمَةٌ عَلَيْهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.اهـ

ثالثها: قول المبتدعة: إن نصوص الصفات إنما هي من باب المجاز:

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى" (٦/ ٣٦٠):

وهو يحكي عن نصيحته لشخص وقع في تحريف الصفات بحجة المجاز، فقال رحمه الله:

قُلْتُ لَهُ: إِذَا وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ بِصِفَةٍ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ - الَّذِينَ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ - فَصَرْفُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَحَقِيقَتِهَا الْمَفْهُومَةِ مِنْهَا إِلَى بَاطِنٍ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ، وَمَجَازٍ يُنَافِي الْحَقِيقَةَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: أَنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ مُسْتَعْمَلٌ بِالْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَكَلَامَ السَّلَفِ جَاءَ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِشَيْءٍ مِنْهُ خِلَافُ لِسَانِ الْعَرَبِ أَوْ خِلَافُ الْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَجَازِيُّ مَا يُرَادُ بِهِ اللَّفْظُ وَإِلَّا فَيُمْكِنُ كُلُّ مُبْطِلٍ أَنْ يُفَسِّرَ أَيَّ لَفْظٍ بِأَيِّ مَعْنًى سَنَحَ لَهُ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فِي اللُّغَةِ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَعَهُ دَلِيلٌ يُوجِبُ صَرْفَ اللَّفْظِ عَنْ حَقِيقَتِهِ إِلَى مَجَازِهِ وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنًى بِطَرِيقِ الْحَقِيقَةِ، وَفِي مَعْنًى بِطَرِيقِ الْمَجَازِ لَمْ يَجُزْ حَمْلُهُ عَلَى الْمَجَازِيِّ بِغَيْرِ دَلِيلٍ يُوجِبُ الصَّرْفَ بِإِجْمَاعِ الْعُقَلَاءِ، ثُمَّ إِنْ ادَّعَى وُجُوبَ صَرْفِهِ عَنْ الْحَقِيقَةِ؛ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ قَاطِعٍ عَقْلِيٍّ، أَوْ سَمْعِيٍّ يُوجِبُ الصَّرْفَ.

وَإِنْ ادَّعَى ظُهُورَ صَرْفِهِ عَنْ الْحَقِيقَةِ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ مُرَجِّحٍ لِلْحَمْلِ عَلَى الْمَجَازِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَسْلَمَ ذَلِكَ الدَّلِيلُ - الصَّارِفُ - عَنْ مُعَارِضٍ؛ وَإِلَّا فَإِذَا قَامَ دَلِيلٌ قُرْآنِيٌّ أَوْ إِيمَانِيٌّ يُبَيِّنُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ مُرَادَةٌ امْتَنَعَ تَرْكُهَا، ثُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا الدَّلِيلُ نَصًّا قَاطِعًا لَمْ يُلْتَفَتْ إِلَى نَقِيضِهِ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا فَلَا بُدَّ مِنْ التَّرْجِيحِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ، وَأَرَادَ بِهِ خِلَافَ ظَاهِرِهِ وَضِدَّ حَقِيقَتِهِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ حَقِيقَتَهُ، وَأَنَّهُ أَرَادَ مَجَازَهُ سَوَاءٌ عَيَّنَهُ أَوْ لَمْ يُعَيِّنْهُ لَا سِيَّمَا فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي أُرِيدَ مِنْهُمْ فِيهِ الِاعْتِقَادُ وَالْعِلْمُ؛ دُونَ عَمَلِ الْجَوَارِحِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الْقُرْآنَ نُورًا وَهُدًى وَبَيَانًا لِلنَّاسِ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ؛ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ، وَلِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَلِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.

ثُمَّ هَذَا الرَّسُولُ الْأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ بُعِثَ بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ، وَأَبْيَنِ الْأَلْسِنَةِ وَالْعِبَارَاتِ، ثُمَّ الْأُمَّةُ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ كَانُوا أَعْمَقَ النَّاسِ عِلْمًا، وَأَنْصَحَهُمْ لِلْأُمَّةِ، وَأَبْيَنَهُمْ لِلسُّنَّةِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ هُوَ وَهَؤُلَاءِ بِكَلَامٍ يُرِيدُونَ بِهِ خِلَافَ ظَاهِرِهِ إِلَّا وَقَدْ نَصَبَ دَلِيلًا يَمْنَعُ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَقْلِيًّا ظَاهِرًا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ بِعَقْلِهِ أَنَّ الْمُرَادَ أُوتِيَتْ مِنْ جِنْسِ مَا يُؤْتَاهُ مِثْلُهَا. وَكَذَلِكَ: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يَعْلَمُ الْمُسْتَمِعُ أَنَّ الْخَالِقَ لَا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْعُمُومِ. أَوْ سَمْعِيًّا ظَاهِرًا مِثْلُ الدَّلَالَاتِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي تَصْرِفُ بَعْضَ الظَّوَاهِرِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحِيلَهُمْ عَلَى دَلِيلٍ خَفِيٍّ لَا يَسْتَنْبِطُهُ إِلَّا أَفْرَادُ النَّاسِ سَوَاءٌ كَانَ سَمْعِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْهُ مَعْنًى وَأَعَادَهُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً؛ وَخَاطَبَ بِهِ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ وَفِيهِمْ الذَّكِيُّ وَالْبَلِيدُ وَالْفَقِيهُ وَغَيْرُ الْفَقِيهِ، وَقَدْ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ الْخِطَابَ وَيَعْقِلُوهُ وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ وَيَعْتَقِدُوا مُوجَبَهُ، ثُمَّ أَوْجَبَ أَنْ لَا يَعْتَقِدُوا بِهَذَا الْخِطَابِ شَيْئًا مِنْ ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ دَلِيلًا خَفِيًّا، يَسْتَنْبِطُهُ أَفْرَادُ النَّاسِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ ظَاهِرَهُ؛ كَانَ هَذَا تَدْلِيسًا، وَتَلْبِيسًا، وَكَانَ نَقِيضَ الْبَيَانِ، وَضِدَّ الْهُدَى، وَهُوَ بِالْأَلْغَازِ، وَالْأَحَاجِيِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْهُدَى وَالْبَيَانِ.

فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ دَلَالَةُ ذَلِكَ الْخِطَابِ عَلَى ظَاهِرِهِ أَقْوَى بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ دَلَالَةِ ذَلِكَ الدَّلِيلِ الْخَفِيِّ عَلَى أَنَّ الظَّاهِرَ غَيْرُ مُرَادٍ أَمْ كَيْفَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْخَفِيُّ شُبْهَةً لَيْسَ لَهَا حَقِيقَةٌ؟. فَسَلَّمَ لِي ذَلِكَ الرَّجُلُ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ.

وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَلَى صِفَةٍ مِنْ الصِّفَاتِ، وَنَجْعَلُ الْكَلَامَ فِيهَا أُنْمُوذَجًا يُحْتَذَى عَلَيْهِ وَنُعَبِّرُ بِصِفَةِ (الْيَدِ):

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ وَقَالَ تَعالَى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ وَقَالَ ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَقَالَ تَعالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾.

وَقَدْ تَوَاتَرَ فِي السُّنَّةِ مَجِيءُ (الْيَدِ) فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ. فَالْمَفْهُومُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ: أَنَّ للهَّ تَعالَى يَدَيْنِ مُخْتَصَّتَيْنِ بِهِ ذَاتِيَّتَيْنِ لَهُ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ؛ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ دُونَ الْمَلَائِكَةِ وَإِبْلِيسَ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقْبِضُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَأَنَّ ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وَمَعْنَى بَسْطِهِمَا بَذْلُ الْجُودِ وَسَعَةُ الْعَطَاءِ؛ لِأَنَّ الْإِعْطَاءَ وَالْجُودَ فِي الْغَالِبِ يَكُونُ بِبَسْطِ الْيَدِ وَمَدِّهَا؛ وَتَرْكُهُ يَكُونُ ضَمًّا لِلْيَدِ إِلَى الْعُنُقِ صَارَ مِنْ الْحَقَائِقِ الْعُرْفِيَّةِ إِذَا قِيلَ هُوَ مَبْسُوطُ الْيَدِ فُهِمَ مِنْهُ يَدٌ حَقِيقَةً وَكَانَ ظَاهِرُهُ الْجُودَ وَالْبُخْلَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ وَيَقُولُونَ: فُلَانٌ جَعْدُ الْبَنَانِ وَسَبْطُ الْبَنَانِ.

قلت له: فَالْقَائِلُ؛ إِنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ يَدٌ مِنْ جِنْسِ أَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ: وَأَنَّ يَدَهُ لَيْسَتْ جَارِحَةً فَهَذَا حَقٌّ. وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ يَدٌ زَائِدَةٌ عَلَى الصِّفَاتِ السَّبْعِ؛ فَهُوَ مُبْطِلٌ.

فَيَحْتَاجُ إِلَى تِلْكَ الْمَقَامَاتِ الْأَرْبَعَةِ.

أَمَّا (الْأَوَّلُ) فَيَقُولُ: إِنَّ الْيَدَ تَكُونُ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ، وَالْعَطِيَّةِ تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِاسْمِ سَبَبِهِ، كَمَا يُسَمَّى الْمَطَرُ وَالنَّبَاتُ سَمَاءً، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: لِفُلَانٍ عِنْدَهُ أَيَادٍ.

وَقَوْلُ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا فَقَدَ النَّبِيَّ ﷺ:

يَا رَبِّ رُدَّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا ... اردده ربي وَاصْطَنِعْ عِنْدِي يَدًا

وَقَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ: لَوْلَا يَدٌ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ.

وَقَدْ تَكُونُ الْيَدُ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِاسْمِ مُسَبِّبِهِ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ هِيَ تُحَرِّكُ الْيَدَ يَقُولُونَ: فُلَانٌ لَهُ يَدٌ فِي كَذَا وَكَذَا. وَمِنْهُ قَوْلُ زِيَادٍ لِمُعَاوِيَةَ:

إِنِّي قَدْ أَمْسَكْتُ الْعِرَاقَ بِإِحْدَى يَدَيَّ، وَيَدِي الْأُخْرَى فَارِغَةٌ. يُرِيدُ: نِصْفُ قُدْرَتِي ضَبْطُ أَمْرِ الْعِرَاقِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وَالنِّكَاحُ كَلَامٌ يُقَالُ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ مُقْتَدِرٌ عَلَيْهِ. وَقَدْ يَجْعَلُونَ إِضَافَةَ الْفِعْلِ إِلَيْهَا إِضَافَةَ الْفِعْلِ إِلَى الشَّخْصِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ الْأَفْعَالِ لَمَّا كَانَتْ بِالْيَدِ جُعِلَ ذِكْرُ الْيَدِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ فُعِلَ بِنَفْسِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أَيْ: بِمَا قَدَّمْتُمْ؛ فَإِنَّ بَعْضَ مَا قَدَّمُوهُ كَلَامٌ تَكَلَّمُوا بِهِ. وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: يَدَاكَ أَوْكَتَا، وَفُوكَ نَفَخَ. تَوْبِيخًا لِكُلِّ مَنْ جَرَّ عَلَى نَفْسِهِ جَرِيرَةً؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَا قِيلَ هَذَا لِمَنْ فَعَلَ بِيَدَيْهِ وَفَمِهِ.

قلت له: وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ لُغَةَ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ فِي هَذَا كُلِّهِ. والمتأولون لِلصِّفَاتِ الَّذِينَ حَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَأَلْحَدُوا فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ تَأَوَّلُوا قَوْلَهُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وَقَوْلَهُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ عَلَى هَذَا كُلِّهِ فَقَالُوا: إِنَّ الْمُرَادَ نِعْمَتُهُ أَيْ: نِعْمَةُ الدُّنْيَا وَنِعْمَةُ الْآخِرَةِ، وَقَالُوا: بِقُدْرَتِهِ. وَقَالُوا: اللَّفْظُ كِنَايَةٌ عَنْ نَفْسِ الْجُودِ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ يَدٌ حَقِيقَةً؛ بَلْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ قَدْ صَارَتْ حَقِيقَةً فِي الْعَطَاءِ وَالْجُودِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أَيْ: خَلَقْته أَنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ يَدٌ حَقِيقِيَّةٌ.

قُلْت لَهُ: فَهَذِهِ تَأْوِيلَاتُهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْت لَهُ: فَنَنْظُرُ فِيمَا قَدَّمْنَا:

الْمَقَامُ الْأَوَّلُ: أَنَّ لَفْظَ (الْيَدَيْنِ) بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي النِّعْمَةِ وَلَا فِي الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ لُغَةِ الْقَوْمِ اسْتِعْمَالَ الْوَاحِدِ فِي الْجَمْعِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ وَلَفْظُ الْجَمْعِ فِي الْوَاحِدِ كَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ﴾ وَلَفْظُ الْجَمْعِ فِي الِاثْنَيْنِ كَقَوْلِهِ: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

أَمَّا اسْتِعْمَالُ لَفْظِ الْوَاحِدِ فِي الِاثْنَيْنِ، أَوْ الِاثْنَيْنِ فِي الْوَاحِدِ؛ فَلَا أَصْلَ لَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ عَدَدٌ، وَهِيَ نُصُوصٌ فِي مَعْنَاهَا لَا يُتَجَوَّزُ بِهَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: عِنْدِي رَجُلٌ وَيَعْنِي رَجُلَيْنِ، وَلَا عِنْدِي رَجُلَانِ وَيَعْنِي بِهِ الْجِنْسَ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْوَاحِدِ يَدُلُّ عَلَى الْجِنْسِ، وَالْجِنْسُ فِيهِ شِيَاعٌ. وَكَذَلِكَ اسْمُ الْجَمْعِ فِيهِ مَعْنَى الْجِنْسِ، وَالْجِنْسُ يَحْصُلُ بِحُصُولِ الْوَاحِدِ.

فَقَوْلُهُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْقُدْرَةُ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ صِفَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعَبَّرَ بِالِاثْنَيْنِ عَنْ الْوَاحِدِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ النِّعْمَةُ؛ لِأَنَّ نِعَمَ اللهِ لَا تُحْصَى؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَى بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (لِمَا خَلَقْت أَنَا) لِأَنَّهُمْ إذَا أَرَادُوا ذَلِكَ أَضَافُوا الْفِعْلَ إلَى الْيَدِ فتَكُونُ إضَافَتُهُ إلَى الْيَدِ إضَافَةً لَهُ إلَى الْفِعْلِ كَقَوْلِهِ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾.

أَمَّا إذَا أَضَافَ الْفِعْلَ إلَى الْفَاعِلِ، وَعَدَّى الْفِعْلَ إلَى الْيَدِ بِحَرْفِ الْبَاءِ كَقَوْلِهِ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فَإِنَّهُ نَصٌّ فِي أَنَّهُ فَعَلَ الْفِعْلَ بِيَدَيْهِ، وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ لِمَنْ تَكَلَّمَ أَوْ مَشَى: أَنْ يُقَالَ: فَعَلْت هَذَا بِيَدَيْك. وَيُقَالُ: هَذَا فَعَلَتْهُ يَدَاك. لِأَنَّ مُجَرَّدَ قَوْلِهِ: فَعَلْت كَافٍ فِي الْإِضَافَةِ إلَى الْفَاعِلِ؛ فَلَوْ لَمْ يُرِدْ أَنَّهُ فَعَلَهُ بِالْيَدِ حَقِيقَةً، كَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً مَحْضَةً مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ، وَلَسْت تَجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَلَا الْعَجَمِ - إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - أَنَّ فَصِيحًا يَقُولُ: فَعَلْت هَذَا بِيَدَيَّ أَوْ فُلَانٌ فَعَلَ هَذَا بِيَدَيْهِ إلَّا وَيَكُونُ فَعَلَهُ بِيَدَيْهِ حَقِيقَةً. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَا يَدَ لَهُ، أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ يَدٌ وَالْفِعْلُ وَقَعَ بِغَيْرِهَا.

وَبِهَذَا الْفَرْقِ الْمُحَقَّقِ تَتَبَيَّنُ مَوَاضِعُ الْمَجَازِ، وَمَوَاضِعُ الْحَقِيقَةِ؛ وَيَتَبَيَّنُ أَنَّ الْآيَاتِ لَا تَقْبَلُ الْمَجَازَ أَلْبَتَّةَ مِنْ جِهَةِ نَفْسِ اللُّغَةِ.

قَالَ لِي: فَقَدْ أَوْقَعُوا الِاثْنَيْنِ مَوْقِعَ الْوَاحِدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ وَإِنَّمَا هُوَ خِطَابٌ لِلْوَاحِدِ.

قُلْت لَهُ: هَذَا مَمْنُوعٌ؛ بَلْ قَوْلُهُ: ﴿أَلْقِيَا﴾ قَدْ قِيلَ تَثْنِيَةُ الْفَاعِلِ لِتَثْنِيَةِ الْفِعْلِ وَالْمَعْنَى أَلْقِ أَلْقِ. وَقَدْ قِيلَ: إنَّهُ خِطَابٌ لِلسَّائِقِ وَالشَّهِيدِ. وَمَنْ قَالَ: إنَّهُ خِطَابٌ لِلْوَاحِدِ قَالَ: إنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ مَعَهُ اثْنَانِ: أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَيَقُولُ: خَلِيلَيَّ خَلِيلَيَّ ثُمَّ إنَّهُ يُوقِعُ هَذَا الْخِطَابَ وَإِنْ لَمْ يَكُونَا مَوْجُودَيْنِ كَأَنَّهُ يُخَاطِبُ مَوْجُودَيْنِ؛

فَقَوْلُهُ: ﴿أَلْقِيَا﴾ عِنْدَ هَذَا الْقَائِلِ إِنَّمَا هُوَ خِطَابٌ لِاثْنَيْنِ يُقَدَّرُ وُجُودُهُمَا فَلَا حُجَّةَ فِيهِ أَلْبَتَّةَ.

الْمَقَامُ الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ: هَبْ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ بِالْيَدِ حَقِيقَةَ الْيَدِ، وَأَنْ يَعْنِيَ بِهَا الْقُدْرَةَ أَوْ النِّعْمَةَ أَوْ يَجْعَلَ ذِكْرَهَا كِنَايَةً عَنْ الْفِعْلِ؛ لَكِنْ مَا الْمُوجِبُ لِصَرْفِهَا عَنْ الْحَقِيقَةِ؟.

فَإِنْ قُلْت: لِأَنَّ الْيَدَ هِيَ الْجَارِحَةُ، وَذَلِكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ.

قُلْت لَك: هَذَا وَنَحْوُهُ يُوجِبُ امْتِنَاعَ وَصْفِهِ بِأَنَّ لَهُ يَدًا مِنْ جِنْسِ أَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذَا لَا رَيْبَ فِيهِ؛ لَكِنْ لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ (يَدٌ) تُنَاسِبُ ذَاتَهُ تَسْتَحِقُّ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَا تَسْتَحِقُّ الذَّاتُ؟

قلت: فَإِذَا كَانَ هَذَا مُمْكِنًا، وَهُوَ حَقِيقَةُ اللَّفْظِ؛ فَلِمَ يُصْرَفُ عَنْهُ اللَّفْظُ إلَى مَجَازِهِ؟ وَكُلُّ مَا يَذْكُرُهُ الْخَصْمُ مِنْ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ وَصْفِهِ بِمَا يُسَمَّى بِهِ - وَصَحَّتْ الدَّلَالَةُ - سُلِّمَ لَهُ أَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ الْمَخْلُوقُ مُنْتَفٍ عَنْهُ، وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ اللَّفْظِ وَظَاهِرُهُ (يَدٌ) يَسْتَحِقُّهَا الْخَالِقُ، كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، بَلْ كَالذَّاتِ وَالْوُجُودِ.

الْمَقَامُ الثَّالِثُ: قُلْت لَهُ: بَلَغَك أَنَّ فِي كِتَابِ اللهِ أَوْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: أَنَّهُمْ قَالُوا: الْمُرَادُ بِالْيَدِ خِلَافُ ظَاهِرِهِ، أَوْ الظَّاهِرُ غَيْرُ مُرَادٍ، أَوْ هَلْ فِي كِتَابِ اللهِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ وَصْفِهِ بِالْيَدِ دَلَالَةً ظَاهِرَةً؛ بَلْ أَوْ دَلَالَةً خَفِيَّةً؟ فَإِنَّ أَقْصَى مَا يَذْكُرُهُ الْمُتَكَلِّفُ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، وَهَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إنَّمَا يَدْلُلْنَ عَلَى انْتِفَاءِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ.

أَمَّا انْتِفَاءُ يَدٍ تَلِيقُ بِجَلَالِهِ فَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ. وَكَذَلِكَ هَلْ فِي الْعَقْلِ مَا يَدُلُّ دَلَالَةً ظَاهِرَةً عَلَى أَنَّ الْبَارِيَ لَا (يَدَ) لَهُ أَلْبَتَّةَ؟ لَا (يَدًا) تَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَلَا (يَدًا) تُنَاسِبُ الْمُحْدَثَاتِ، وَهَلْ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَصْلًا؛ وَلَوْ بِوَجْهٍ خَفِيٍّ؟ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ، وَلَا فِي الْعَقْلِ مَا يَنْفِي حَقِيقَةَ الْيَدِ أَلْبَتَّةَ. وَإِنْ فُرِضَ مَا يُنَافِيهَا فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْوُجُوهِ الْخَفِيَّةِ - عِنْدَ مَنْ يَدَّعِيهِ - وَإِلَّا فَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ شُبْهَةٌ فَاسِدَةٌ.

فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُمْلَأَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ ذِكْرِ الْيَدِ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ بِيَدِهِ وَأَنَّ ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وَأَنَّ الْمُلْكَ بِيَدِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ مَا لَا يُحْصَى ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأُولِي الْأَمْرِ: لَا يُبَيِّنُونَ لِلنَّاسِ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَا يُرَادُ بِهِ حَقِيقَتُهُ، وَلَا ظَاهِرُهُ حَتَّى يَنْشَأَ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ بَعْدَ انْقِرَاضِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ؛ فَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَيَتْبَعَهُ عَلَيْهِ بِشْرُ بْنُ غِيَاثٍ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ كُلِّ مَغْمُوصٍ عَلَيْهِ بِالنِّفَاقِ.

وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُعَلِّمَنَا نَبِيُّنَا ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ[1] وَيَقُولَ: «**مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ حَدَّثْتُكُمْ بِهِ وَلَا مِنْ شَيْءٍ يُبْعِدُكُمْ عَنْ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ حَدَّثْتُكُمْ بِهِ**»[2] «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»[1]،

---

(١) يشير رحمه الله إلى ما أخرجه مسلم برقم (٢٦٢) عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ «**لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ**».

(٢) **صحيح**: أخرجه معمر في الجامع كما في المصنف (١١/ ١٢٥)، عن عمران صاحب له عن النبي ﷺ به. وهذا إسناد ضعيف؛ عمران مجهول، وهو مرسل.

وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢٧)، وهناد في الزهد (١/ ٢٨١/ ٤٩٤) والبغوي (١٤/ ٣٠٣ - ٣٠٥/ ٤١١١ و٤١١٣) والحاكم (٢/ ٤) وابن أبي الدنيا في القناعة كما في الفتح (١/ ٢٦) من طرق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. بلفظ: «**أَيُّهَا النَّاسُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ**=

ثُمَّ يَتْرُكَ الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِ، وَسُنَّتَهُ الْغَرَّاءَ مَمْلُوءَةً مِمَّا يَزْعُمُ الْخَصْمُ أَنَّ ظَاهِرَهُ تَشْبِيهٌ وَتَجْسِيمٌ، وَأَنَّ اعْتِقَادَ ظَاهِرِهِ ضَلَالٌ، وَهُوَ لَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ، وَلَا يُوَضِّحُهُ، وَكَيْفَ يَجُوزُ لِلسَّلَفِ أَنْ يَقُولُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ. مَعَ أَنَّ مَعْنَاهَا الْمَجَازِيَّ هُوَ الْمُرَادُ، وَهُوَ شَيْءٌ لَا يَفْهَمُهُ الْعَرَبُ، حَتَّى يَكُونَ أَبْنَاءُ الْفُرْسِ وَالرُّومِ أَعْلَمُ بِلُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؟.

= **مِنَ النَّارِ، إِلا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ»** وبعض أسانيده صحيحة.

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٧)، والحاكم (١/ ٩٦) من طرق عن مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**...». الحديث. وهذا إسناد حسن؛ رجاله ثقات، وعبد الرحمن بن عمرو هو ابن عبسة السلمي، وهو مشهور روى عنه جماعة؛ فهو حسن الحديث.

وأخرجه ابن ماجه (٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٧) والبزار (٤١٤١)، من طرق عن مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ سُمَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَفْطَسُ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرَشِيِّ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «**آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**»

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: صَدَقَ وَاللهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَرَكَنَا وَاللهِ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**».

وهذا إسنادٌ حسن، رجاله ثقات؛ إلا محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع؛ فإنه حسن الحديث.

وله طرق أخرى وشواهد، والحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

الْمَقَامُ الرَّابِعُ: قُلْت لَهُ: أَنَا أَذْكُرُ لَك مِنْ الْأَدِلَّةِ الْجَلِيَّةِ الْقَاطِعَةِ وَالظَّاهِرَةِ مَا يُبَيِّنُ لَك أَنَّ للهِ (يَدَيْنِ) حَقِيقَةً. فَمِنْ ذَلِكَ تَفْضِيلُهُ لِآدَمَ: يَسْتَوْجِبُ سُجُودَ الْمَلَائِكَةِ وَامْتِنَاعَهُمْ عَنْ التَّكَبُّرِ عَلَيْهِ؛ فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُ خَلَقَهُ بِقُدْرَتِهِ أَوْ بِنِعْمَتِهِ أَوْ مُجَرَّدِ إضَافَةِ خَلْقِهِ إلَيْهِ لَشَارَكَهُ فِي ذَلِكَ إبْلِيسُ وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ.

قَالَ لِي: فَقَدْ يُضَافُ الشَّيْءُ إلَى اللهِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ كَقَوْلِهِ: ﴿نَاقَةُ اللهِ﴾ وَبَيْتُ اللهِ.

قُلْت لَهُ: لَا تَكُونُ الْإِضَافَةُ تَشْرِيفًا؛ حَتَّى يَكُونَ فِي الْمُضَافِ مَعْنًى أَفْرَدَهُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ؛ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاقَةِ وَالْبَيْتِ مِنْ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مَا تَمْتَازُ بِهِ عَلَى جَمِيعِ النُّوقِ وَالْبُيُوتِ لَمَا اسْتَحَقَّا هَذِهِ الْإِضَافَةَ، وَالْأَمْرُ هُنَا كَذَلِكَ فَإِضَافَةُ خَلْقِ آدَمَ إلَيْهِ أَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ؛ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ أَنَّهُ قَدْ فَعَلَهُ بِيَدَيْهِ، وَخَلَقَ هَؤُلَاءِ بِقَوْلِهِ: كُنْ فَيَكُونُ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ إذَا قَالُوا: بِيَدِهِ الْمُلْكُ أَوْ عَمِلَتْهُ يَدَاك فَهُمَا شَيْئَانِ: (أَحَدُهُمَا) إثْبَاتُ الْيَدِ وَ (الثَّانِي) إضَافَةُ الْمُلْكِ وَالْعَمَلِ إلَيْهَا. وَ(الثَّانِي) يَقَعُ فِيهِ التَّجَوُّزُ كَثِيرًا.

أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُمْ لَا يُطْلِقُونَ هَذَا الْكَلَامَ إلَّا لِجِنْسِ لَهُ (يَدٌ) حَقِيقَةً وَلَا يَقُولُونَ: (يَدُ) الْهَوَى وَلَا (يَدُ) الْمَاءِ فَهَبْ أَنَّ قَوْلَهُ: بِيَدِهِ الْمُلْكُ. قَدْ عُلِمَ مِنْهُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقُدْرَتِهِ لَكِنْ لَا يُتَجَوَّزُ بِذَلِكَ إلَّا لِمَنْ لَهُ يَدٌ حَقِيقَةً.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ قَوْله تَعَالَى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ مِنْ وَجْهَيْنِ:

(أَحَدُهُمَا): أَنَّهُ هُنَا أَضَافَ الْفِعْلَ إلَيْهِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ، وَهُنَاكَ أَضَافَ الْفِعْلَ إلَى الْأَيْدِي.

(الثَّانِي): أَنَّ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَضَعُونَ اسْمَ الْجَمْعِ مَوْضِعَ التَّثْنِيَةِ إِذَا أُمِنَ اللَّبْسُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أَيْ: يَدَيْهِمَا. وَقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أَيْ: قَلْبَاكُمَا فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾.

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَكَثِيرَةٌ جِدًّا مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ «**الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ وَالْقِسْطُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ؛ وَالْبُخَارِيُّ فِيمَا أَظُنُّ.

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يتكفؤها الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَتَكَفَّأُ أَحَدُكُمْ بِيَدِهِ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ**»[3].

وَفِي "الصَّحِيحِ" أَيْضًا عَنْ ابْنِ عُمَرَ يَحْكِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَأْخُذُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ** سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدَيْهِ - وَجَعَلَ يَقْبِضُ يَدَيْهِ وَيَبْسُطُهُمَا - وَيَقُولُ: «**أَنَا الرَّحْمَنُ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٩)، ومسلم برقم (٩٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٠)، ومسلم برقم (٢٧٩٢) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَتَّى نَظَرْت إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّك أَسْفَلَ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي أَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ الله ﷺ؟»(١)

وَفِي "الصَّحِيحِ" أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**»(٢) وَمَا يُوَافِقُ هَذَا مِنْ حَدِيثِ الْحَبْرِ.

وَفِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ: «**إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَالَ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْت قَالَ: اخْتَرْت يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَة ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَم وَذُرِّيَّتُهُ**»(٣).

وَفِي "الصَّحِيحِ": «**أَنَّهُ لَمَّا تَحَاجَّ آدَمَ وَمُوسَى، قَالَ آدَمَ: يَا مُوسَى اصْطَفَاك اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَك التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ؛ وَقَدْ قَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمَ الَّذِي خَلَقَك اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيك مِنْ رُوحِهِ**»(٤).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ «**قَالَ سُبْحَانَهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي؛ لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْت بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْت لَهُ: كُنْ فَكَانَ**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٨٨) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨١٢)، ومسلم برقم (٢٧٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد حسن.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم برقم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) **ضعيف منكر**: أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٤٥٨٤)، من طريق إبراهيمُ بن عبد الله بن خالد المِصِّيصي، ثنا حَجَّاج بن محمَّد، ثنا أبو غسَّان محمَّد بن مُطَرِّف، عن صفوان بن سليم، عن عَطاء بن يَسار، عن عبد الله بن عَمرو، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إِنَّ المَلائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فيهَا ويَشْرَبُونَ ويَلْبَسُونَ، ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، ولاَ نَأْكُلُ ولاَ نَشْرَبُ ولاَ نَلْهُو، وكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَاجْعَلْ لَنَا الآخِرَةَ. قال: لاَ أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قلتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ**». =

= وأخرجه في ''الأوسط'' (٦/ ١٩٦) (٦١٧٣) من طريق طلحة بن زيد، عن صفوان بن سليم به.

قال الهيثمي في ''المجمع'' (١/ ٢٥٤): وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي، وهو كذاب متروك، وفي سند الأوسط طلحة بن زيد، وهو كذاب أيضاً.

قلت: وقد روي موقوفًا على عبد الله بن عمرو بن العاص.

أخرجه الدارمي في ''الرد على المريسي'' (١/ ٢٥٦ -٢٥٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ صَالِحٍ، حَدثنِي اللَّيْث، حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: «**لَقَدْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، مِنَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَمِنَّا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَمِنَّا الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ اللهَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا نسأم وَلَا نفتر، خلقت بَنِي آدَمَ فَجَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَجَعَلْتَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ فَكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ فَقَالَ: لن أفعل، ثمَّ عادو فاجتهدوا الْمَسْأَلَة، فَقَالُوا مثل ذَلِك، فَقَالَ: لن أفعل، ثمَّ عادو فاجتهدوا الْمَسْأَلَة بِمثل ذَلِك، فَقَالَ: لَنْ أَجْعَلَ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قلت لَهُ: كن فَكَانَ؟**».

وذكره الذهبي كما في ''العلو'' (ص ٨٢) عن الدارمي، وقال: إسناده صالح.

قلت: في إسناده عبد الله بن صالح، وهو كاتب الليث، فيه ضعف يسير. وقد خولف هشام بن سعد؛ فقد رواه مَعْمَرٌ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ﴾ [الإسراء: ٧٠] ، قَالَ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيُنَعَّمُونَ ، فَلَمْ تُعْطِنَا ذَلِكَ فَأَعْطِنَا فِي الْآخِرَةِ ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ».

أخرجه عبد الرزاق في ''تفسيره'' (١٥٩٢) عن معمر به.

وهذا أصح، أعني أنه من قول زيد بن أسلم؛ فيكون الوصل وهمًا إما من عبد الله بن صالح، أو من هشام بن سعد.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في ''السنة'' (٢/ ٤٦٩، رقم ١٠٦٥)، والبيهقي في ''الأسماء والصفات'' (٢/ ١٢١ رقم ٦٨٨)، وفي ''شعب الإيمان'' (١/ ١٧٢ رقم ١٤٩) حدثنا الهيثم بن خارجة، نا عثمان بن علاق، وهو عثمان بن حصن بن علاق، قال: سمعت عروة بن رويم يقول: أخبرني الأنصاري: أن النبي ﷺ قال ... فذكره بنحوه.

والأنصاري هذا لا يُدرى من هو، وعروة بن رويم ليس له سماع من أحد من الصحابة، فهو=

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي السُّنَنِ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ فَقَالَ: خَلَقْت هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى، فَقَالَ: خَلَقْت هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»(١).

= مرسل.

وقد جاء مصرحا به عند البيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٨٩)، حيث أورده من طريق جنيد بن حكيم، عن هشام بن عمار، عن عبد ربه بن صالح القرشي قال: سمعت عروة بن رويم يحدث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فذكره مرفوعا بنحوه.

إلا أن رواية عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله الأنصاري مرسلة.

ثم أيضًا جنيد بن حكيم فيه ضعف، قال فيه الدارقطني: ليس بالقوي. وقد خالفه أبو زرعة الإمام فرواه عن هشام بن عمار بإسناده... كما رواه الجماعة، وقال فيه عن الأنصاري، بدون تسمية جابر. أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٨٨).

وقد أخرجه ابن عساكر (٥٢/ ١٣٩) وسمى الأنصاري أنسًا، فأخرجه من طريق أبي بكر محمد بن أيوب الداراني حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق، قال سمعت عروة بن رويم اللخمي يقول: حدثني أنس بن مالك.

وهذا إسناد ضعيف؛ أبو بكر محمد بن أيوب الداراني، والحسن بن علي بن خلف الصيدلاني، لم يؤثر توثيقهما عن معتبر، فهما مجهولا الحال.

وقد تصحف في تفسير ابن كثير في تفسير الآية المتقدمة (الداراني) إلى (الرازي) وهو كذاب، ولم يفطن لذلك محقق الأسماء والصفات (٦٨٩)، وإنما هو الداراني.

(١) أخرجه مالك (٢/ ٨٩٨) ومن طريقه أحمد (٣١١)، وأبو داود (٤٧٠٣) ، والترمذي (٣٠٧٥)، والنسائي في "الكبرى" (١١١٩٠)، وغيرهم من طريق عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن مسلم بن يسار الجهني، أن عمر بن الخطاب... فذكره.

وهذا إسناد ضعيف؛ مسلم بن يسار الجهني مجهول، لم يؤثر توثيقه عن معتبر، ولم يسمع من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث له شواهد يصح بها عن ابن عباس، وعن أبي الدرداء، وعن رجل من الصحابة، وعن=

فَذَكَرْت لَهُ هَذِهِ الْأَحَادِيث وَغَيْرَهَا؛ ثُمَّ قُلْت لَهُ: هَلْ تَقْبَلُ هَذِهِ الْأَحَادِيث تَأْوِيلًا؛ أَمْ هِيَ نُصُوصٌ قَاطِعَةٌ؟ وَهَذِهِ أَحَادِيثُ تَلَقَّتْهَا الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ وَنَقَلَتْهَا مِنْ بَحْرٍ غَزِيرٍ. فَأَظْهَرَ الرَّجُلُ التَّوْبَةَ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ.

فَهَذَا الَّذِي أَشَرْت إلَيْهِ - أَحْسَنَ اللهُ إلَيْك - أَنْ أَكْتُبَهُ. وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ. ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ وَ ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله كمَا فِي مختصر الصواعق (ص٣٩١):

مُدَّعِي الْمَجَازِ الْمُعَيَّنِ يَلْزَمُهُ أُمُورٌ:

أَحَدُهَا: إقَامَةُ الدَّلِيلِ الصَّارِفِ عَنِ الْحَقِيقَةِ، إِذْ مُدَّعِيهَا مَعَهُ الْأَصْلُ وَالظَّاهِرُ وَمُخَالِفُهَا مُخَالِفٌ لَهُمَا جَمِيعًا.

ثَانِيهَا: بَيَانُ احْتِمَالِ اللَّفْظِ لِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمَجَازِ لُغَةً وَإِلَّا كَانَ مُنْشِئًا مِنْ عِنْدِهِ وَضْعًا جَدِيدًا.

ثَالِثُهَا: احْتِمَالُ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي هَذَا السِّيَاقِ الْمُعَيَّنِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَا احْتَمَلَهُ اللَّفْظُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ يَحْتَمِلُهُ هَذَا السِّيَاقُ الْخَاصُّ، وَهَذَا مَوْضِعٌ غَلِطَ فِيهِ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَلَمْ يُبَيِّنْ أَوْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ بِأَصْلِ اللُّغَةِ وَإِنْ لَمْ يَحْتَمِلْهُ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ الْخَاصِّ وَبَيْنَ مَا يَحْتَمِلُهُ فِيهِ.

= غيرهم رضي الله عنهم. انظرها في مسند أحمد (٢٢٧٠، و١٧٥٩٣، و٢٧٤٨٨،) وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٣٠٧٦).

رَابِعُهَا: بَيَانُ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَجَازِ الَّذِي عَيَّنَهُ بِأَنَّهُ الْمُرَادُ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ غَيْرِ قَرِينَةٍ فِي اللَّفْظِ تَدُلُّ عَلَيْهِ أَلْبَتَّةَ، وَإِذَا طُولِبُوا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ تَبَيَّنَ عَجْزُهُمْ.اهـ

قال أبو عبد اللّه غفر اللّه له: ما تقدم ذكره من كلام الإمامين رحمهما الله كلام مفيد، وهو مبني على التنزل في قبول التقسيم المذكور.

وننبه على أن التقسيم المذكور عليه بعض المآخذ، أعني تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللّٰهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٧/ ٨٧):

تَقْسِيمُ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى مَعَانِيهَا إِلَى حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ وَتَقْسِيمُ دَلَالَتِهَا أَوْ الْمَعَانِي الْمَدْلُولِ عَلَيْهَا إِنْ اُسْتُعْمِلَ لَفْظُ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ فِي الْمَدْلُولِ أَوْ فِي الدَّلَالَةِ؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ قَدْ يَقَعُ فِي كَلَامِ الْمُتَأَخِّرِينَ. وَلَكِنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ وَالْمَجَازَ مِنْ عَوَارِضِ الْأَلْفَاظِ وَبِكُلِّ حَالٍ فَهَذَا التَّقْسِيمُ هُوَ اصْطِلَاحٌ حَادِثٌ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ، وَلَا التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ الْمَشْهُورِينَ فِي الْعِلْمِ، كَمَالِكِ وَالثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِي وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ، بَلْ وَلَا تَكَلَّمَ بِهِ أَئِمَّةُ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ كَالْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ وَأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَنَحْوِهِمْ.

وَأَوَّلُ مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِلَفْظِ (الْمَجَازِ) أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى فِي كِتَابِهِ. وَلَكِنْ لَمْ يَعْنِ بِالْمَجَازِ مَا هُوَ قَسِيمُ الْحَقِيقَةِ. وَإِنَّمَا عَنَى بِمَجَازِ الْآيَةِ مَا يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ الْآيَةِ؛ وَلِهَذَا مَنْ قَالَ مِنْ الْأُصُولِيِّينَ - كَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ وَأَمْثَالِهِ - إنَّمَا تُعْرَفُ الْحَقِيقَةُ مِنْ الْمَجَازِ بِطُرُقِ مِنْهَا: نَصُّ أَهْلِ اللُّغَةِ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ يَقُولُوا: هَذَا حَقِيقَةٌ وَهَذَا مَجَازٌ.

فَقَدْ تَكَلَّمَ بِلَا عِلْمٍ، فَإِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ قَالُوا هَذَا، وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ وَلَا مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَعُلَمَائِهَا.

وَإِنَّمَا هَذَا اصْطِلَاحٌ حَادِثٌ، وَالْغَالِبُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُوجَدْ هَذَا فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ السَّلَفِ.

وَهَذَا الشَّافِعِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَرَّدَ الْكَلَامَ فِي (أُصُولِ الْفِقْهِ)، لَمْ يُقَسِّمْ هَذَا التَّقْسِيمَ وَلَا تَكَلَّمَ بِلَفْظِ (الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ).

وَكَذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ لَهُ فِي الْمَسَائِلِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ كَلَامٌ مَعْرُوفٌ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ وَغَيْرِهِ؛ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِلَفْظِ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ. وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَئِمَّةِ لَمْ يُوجَدْ لَفْظُ الْمَجَازِ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا فِي كَلَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ؛ فَإِنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّا، وَنَحْنُ) وَنَحْوُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ: هَذَا مِنْ مَجَازِ اللُّغَةِ يَقُولُ الرَّجُلُ: إِنَّا سَنُعْطِيك. إِنَّا سَنَفْعَلُ؛ فَذَكَرَ أَنَّ هَذَا مَجَازُ اللُّغَةِ.

وَبِهَذَا احْتَجَّ عَلَى مَذْهَبِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ قَالَ: إِنَّ فِي (الْقُرْآنِ) مَجَازًا كَالْقَاضِي أَبِي يَعْلَى وَابْنِ عَقِيلٍ وَأَبِي الْخَطَّابِ وَغَيْرِهِمْ.

وَآخَرُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنَعُوا أَنْ يَكُونَ فِي الْقُرْآنِ مَجَازٌ كَأَبِي الْحَسَنِ الخرزي، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ حَامِدٍ. وَأَبِي الْفَضْلِ التَّمِيمِيِّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ، وَكَذَلِكَ مَنَعَ أَنْ يَكُونَ فِي الْقُرْآنِ مَجَازٌ مُحَمَّدُ بْنُ خويز منداد، وَغَيْرُهُ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ.

وَمَنَعَ مِنْهُ دَاوُد بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ وَمُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ البلوطي، وَصَنَّفَ فِيهِ مُصَنَّفًا. وَحَكَى بَعْضُ النَّاسِ عَنْ أَحْمَد فِي ذَلِكَ رِوَايَتَيْنِ.

وَأَمَّا سَائِرُ الْأَئِمَّةِ فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا مِنْ قُدَمَاءِ أَصْحَابِ أَحْمَد: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ مَجَازًا لَا مَالِكٌ وَلَا الشَّافِعِيُّ وَلَا أَبُو حَنِيفَةَ.

فَإِنَّ تَقْسِيمَ الْأَلْفَاظِ إِلَى حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ. إِنَّمَا اُشْتُهِرَ فِي الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَظَهَرَتْ أَوَائِلُهُ فِي الْمِائَةِ الثَّالِثَةِ وَمَا عَلِمْته مَوْجُودًا فِي الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ اللَّهُمَّ إلَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَوَاخِرِهَا.

وَالَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ أَحْمَد وَغَيْرُهُ نَطَقُوا بِهَذَا التَّقْسِيمِ. قَالُوا: إنَّ مَعْنَى قَوْلِ أَحْمَد: مِنْ مَجَازِ اللُّغَةِ. أَيْ: مِمَّا يَجُوزُ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَقُولَ الْوَاحِدُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَهُ أَعْوَانٌ: نَحْنُ فَعَلْنَا كَذَا وَنَفْعَلُ كَذَا وَنَحْوَ ذَلِكَ.

قَالُوا: وَلَمْ يُرِدْ أَحْمَد بِذَلِكَ أَنَّ اللَّفْظَ اُسْتُعْمِلَ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ. وَقَدْ أَنْكَرَ طَائِفَةٌ أَنْ يَكُونَ فِي اللُّغَةِ مَجَازٌ لَا فِي الْقُرْآنِ وَلَا غَيْرِهِ كَأَبِي إسْحَاقَ الإسفراييني.

وَقَالَ الْمُنَازِعُونَ لَهُ: النِّزَاعُ مَعَهُ لَفْظِيٌّ فَإِنَّهُ إذَا سَلَّمَ أَنَّ فِي اللُّغَةِ لَفْظًا مُسْتَعْمَلًا فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهُ إلَّا بِقَرِينَةِ؛ فَهَذَا هُوَ الْمَجَازُ وَإِنْ لَمْ يُسَمِّهِ مَجَازًا.

فَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُهُ: إنَّ الَّذِينَ قَسَّمُوا اللَّفْظَ: حَقِيقَةً وَمَجَازًا قَالُوا: (الْحَقِيقَةُ) هُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا وُضِعَ لَهُ.

وَ(الْمَجَازُ) هُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ، كَلَفْظِ الْأَسَدِ وَالْحِمَارِ إذَا أُرِيدَ بِهِمَا الْبَهِيمَةُ، أَوْ أُرِيدَ بِهِمَا الشُّجَاعُ وَالْبَلِيدُ.

وَهَذَا التَّقْسِيمُ وَالتَّحْدِيدُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ قَدْ وُضِعَ أَوَّلًا لِمَعْنَى، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي مَوْضُوعِهِ وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَوْضُوعِهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ التَّقْسِيمِ أَنَّ كُلَّ مَجَازٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ حَقِيقَةٍ وَلَيْسَ لِكُلِّ حَقِيقَةٍ مَجَازٌ؟

فَاعْتَرَضَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ مُتَأَخِّرِيهِمْ، وَقَالَ: اللَّفْظُ الْمَوْضُوعُ قَبْلَ الِاسْتِعْمَالِ لَا حَقِيقَةٌ وَلَا مَجَازٌ؛ فَإِذَا اُسْتُعْمِلَ فِي غَيْرِ مَوْضُوعِهِ؛ فَهُوَ مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَصِحُّ لَوْ عُلِمَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْعَرَبِيَّةَ وُضِعَتْ أَوَّلًا لِمَعَانٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اُسْتُعْمِلَتْ فِيهَا؛ فَيَكُونُ لَهَا وَضْعٌ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ.

وَهَذَا إِنَّمَا صَحَّ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَجْعَلُ اللُّغَاتِ اصْطِلَاحِيَّةً فَيَدَّعِي أَنَّ قَوْمًا مِنْ الْعُقَلَاءِ اجْتَمَعُوا، وَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يُسَمُّوا هَذَا بِكَذَا وَهَذَا بِكَذَا، وَيَجْعَلَ هَذَا عَامًّا فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ لَا نَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَالَهُ قَبْلَ أَبِي هَاشِمِ بْنِ الجبائي؛ فَإِنَّهُ وَأَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ كِلَاهُمَا قَرَأَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الجبائي لَكِنَّ الْأَشْعَرِيَّ رَجَعَ عَنْ مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَخَالَفَهُمْ فِي الْقَدَرِ وَالْوَعِيدِ وَفِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ وَفِي صِفَاتِ الله تَعَالَى وَبَيَّنَ مِنْ تَنَاقُضِهِمْ وَفَسَادِ قَوْلِهِمْ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُ.

فَتَنَازَعَ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو هَاشِمٍ فِي مَبْدَأِ اللُّغَاتِ؛ فَقَالَ أَبُو هَاشِمٍ: هِيَ اصْطِلَاحِيَّةٌ وَقَالَ الْأَشْعَرِيُّ: هِيَ تَوْقِيفِيَّةٌ. ثُمَّ خَاضَ النَّاسُ بَعْدَهُمَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؛ فَقَالَ آخَرُونَ: بَعْضُهَا تَوْقِيفِيٌّ وَبَعْضُهَا اصْطِلَاحِيٌّ. وَقَالَ فَرِيقٌ رَابِعٌ بِالْوَقْفِ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يَنْقُلَ عَنْ الْعَرَبِ، بَلْ وَلَا عَنْ أُمَّةٍ مِنْ الْأُمَمِ أَنَّهُ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ فَوَضَعُوا جَمِيعَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي اللُّغَةِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلُوهَا بَعْدَ الْوَضْعِ.

وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ الْمَنْقُولُ بِالتَّوَاتُرِ اسْتِعْمَالُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فِيمَا عَنَوْهُ بِهَا مِنْ الْمَعَانِي؛ فَإِنْ ادَّعَى مُدَّعٍ أَنَّهُ يَعْلَمُ وَضْعًا يَتَقَدَّمُ ذَلِكَ؛ فَهُوَ مُبْطِلٌ؛ فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَنْقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ.

وَلَا يُقَالُ: نَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ بِالدَّلِيلِ؛ فَإِنَّهُ إنْ لَمْ يَكُنْ اصْطِلَاحٌ مُتَقَدِّمٌ لَمْ يُمْكِنْ الِاسْتِعْمَالُ. قِيلَ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ بَلْ نَحْنُ نَجِدُ أَنَّ اللهَ يُلْهِمُ الْحَيَوَانَ مِنْ الْأَصْوَاتِ

مَا بِهِ يَعْرِفُ بَعْضُهَا مُرَادَ بَعْضٍ، وَقَدْ سُمِّيَ ذَلِكَ مَنْطِقًا، وَقَوْلًا فِي قَوْلِ سُلَيْمَانَ: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾.

وَكَذَلِكَ الْآدَمِيُّونَ؛ فَالْمَوْلُودُ إذَا ظَهَرَ مِنْهُ التَّمْيِيزُ سَمِعَ أَبَوَيْهِ أَوْ مَنْ يُرَبِّيهِ يَنْطِقُ بِاللَّفْظِ، وَيُشِيرُ إلَى الْمَعْنَى، فَصَارَ يَفْهَمُ أَنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ يُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى أَيْ: أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ ذَلِكَ الْمَعْنَى ثُمَّ هَذَا يَسْمَعُ لَفْظًا بَعْدَ لَفْظٍ حَتَّى يَعْرِفَ لُغَةَ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَشَأَ بَيْنَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا قَدْ اصْطَلَحُوا مَعَهُ عَلَى وَضْعٍ مُتَقَدِّمٍ؛ بَلْ وَلَا أَوْقَفُوهُ عَلَى مَعَانِي الْأَسْمَاءِ، وَإِنْ كَانَ أَحْيَانًا قَدْ يَسْأَلُ عَنْ مُسَمَّى بَعْضِ الْأَشْيَاءِ فَيُوقَفُ عَلَيْهَا كَمَا يُتَرْجَمُ لِلرَّجُلِ اللُّغَةُ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا فَيُوقَفُ عَلَى مَعَانِي أَلْفَاظِهَا، وَإِنْ بَاشَرَ أَهْلُهَا مُدَّةً عَلِمَ ذَلِكَ بِدُونِ تَوْقِيفٍ مِنْ أَحَدِهِمْ.

نَعَمْ قَدْ يَضَعُ النَّاسُ الِاسْمَ لِمَا يَحْدُثُ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَنْ قَبْلهمْ يَعْرِفُهُ فَيُسَمِّيهِ كَمَا يُولَدُ لِأَحَدِهِمْ وَلَدٌ فَيُسَمِّيهِ اسْمًا إمَّا مَنْقُولًا وَإِمَّا مُرْتَجَلًا وَقَدْ يَكُونُ الْمُسَمَّى وَاحِدًا لَمْ يَصْطَلِحْ مَعَ غَيْرِهِ وَقَدْ يَسْتَوُونَ فِيمَا يُسَمُّونَهُ.

وَكَذَلِكَ قَدْ يَحْدُثُ لِلرَّجُلِ آلَةٌ مِنْ صِنَاعَةٍ أَوْ يُصَنِّفُ كِتَابًا أَوْ يَبْنِي مَدِينَةً وَنَحْوَ ذَلِكَ فَيُسَمِّي ذَلِكَ بِاسْمِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ الْأَجْنَاسِ الْمَعْرُوفَةِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ اسْمٌ فِي اللُّغَةِ الْعَامَّةِ.

وَقَدْ قَالَ الله: ﴿الرَّحْمَنِ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾. و ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ . وَقَالَ: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُلْهِمُ الْإِنْسَانَ الْمَنْطِقَ كَمَا يُلْهِمُ غَيْرَهُ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ إِذَا كَانَ قَدْ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَعَرَضَ الْمُسَمَّيَاتِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ؛ فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُعَلِّمْ آدَمَ جَمِيعَ اللُّغَاتِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا جَمِيعُ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ تِلْكَ اللُّغَاتِ اتَّصَلَتْ إِلَى أَوْلَادِهِ؛ فَلَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِهَا؛ فَإِنَّ دَعْوَى هَذَا كَذِبٌ ظَاهِرٌ؛ فَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا يُنْقَلُ عَنْهُ بَنُوهُ، وَقَدْ أَغْرَقَ اللهُ عَامَ الطُّوفَانِ جَمِيعَ ذُرِّيَّتِهِ إِلَّا مَنْ فِي السَّفِينَةِ وَأَهْلُ السَّفِينَةِ انْقَطَعَتْ ذُرِّيَّتُهُمْ إِلَّا أَوْلَادَ نُوحٍ، وَلَمْ يَكُونُوا يَتَكَلَّمُونَ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَتْ بِهِ الْأُمَمُ بَعْدَهُمْ.

فَإِنَّ (اللُّغَةَ الْوَاحِدَةَ) كَالْفَارِسِيَّةِ، وَالْعَرَبِيَّةِ، وَالرُّومِيَّةِ، وَالتُّرْكِيَّةِ فِيهَا مِنَ الِاخْتِلَافِ وَالْأَنْوَاعِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ.

وَالْعَرَبُ أَنْفُسُهُمْ لِكُلِّ قَوْمٍ لُغَاتٌ لَا يَفْهَمُهَا غَيْرُهُمْ؛ فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يُنْقَلَ هَذَا جَمِيعُهُ عَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا فِي السَّفِينَةِ، وَأُولَئِكَ جَمِيعُهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَسْلٌ، وَإِنَّمَا النَّسْلُ لِنُوحٍ وَجَمِيعُ النَّاسِ مِنْ أَوْلَادِهِ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ: (سَامُ وحام ويافث)، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾. فَلَمْ يَجْعَلْ بَاقِيًا إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ، وَكَمَا رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «**أَنَّ أَوْلَادَهُ ثَلَاثَةٌ**»[1]. رَوَاهُ أَحْمَد وَغَيْرُهُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الثَّلَاثَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْطِقُوا بِهَذَا كُلِّهِ، وَيَمْتَنِعُ نَقْلُ ذَلِكَ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ هَذِهِ اللُّغَةَ لَا يَعْرِفُونَ هَذِهِ، وَإِذَا كَانَ النَّاقِلُ ثَلَاثَةً؛ فَهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَوْلَادَهُمْ، وَأَوْلَادُهُمْ عَلِمُوا أَوْلَادَهُمْ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَاتَّصَلَتْ.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٢٠١١٤) من طريق الحسن عن سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. والحسن لم يسمع من جندب إلا حديث العقيقة.

وَنَحْنُ نَجِدُ بَنِي الْأَبِ الْوَاحِدِ يَتَكَلَّمُ كُلُّ قَبِيلَةٍ مِنْهُمْ بِلُغَةٍ لَا تَعْرِفُهَا الْأُخْرَى وَالْأَبُ وَاحِدٌ، لَا يُقَالُ: إِنَّهُ عَلَّمَ أَحَدَ ابْنَيْهِ لُغَةً وَابْنَهُ الْآخَرَ لُغَةً؛ فَإِنَّ الْأَبَ قَدْ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَّا ابْنَانِ وَاللُّغَاتُ فِي أَوْلَادِهِ أَضْعَافُ ذَلِكَ.

وَالَّذِي أَجْرَى اللهُ عَلَيْهِ عَادَةَ بَنِي آدَمَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ لُغَتَهُمْ الَّتِي يُخَاطِبُونَهُمْ بِهَا أَوْ يُخَاطِبُهُمْ بِهَا غَيْرُهُمْ، فَأَمَّا لُغَاتٌ لَمْ يَخْلُقْ اللهُ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهَا فَلَا يُعَلِّمُونَهَا أَوْلَادَهُمْ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ يُوجَدُ بَنُو آدَمَ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْفَاظٍ مَا سَمِعُوهَا قَطُّ مِنْ غَيْرِهِمْ.

ثم قال رحمه الله:

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ اللُّغَاتِ لَيْسَتْ مُتَلَقَّاةً عَنْ آدَمَ؛ أَنَّ أَكْثَرَ اللُّغَاتِ نَاقِصَةٌ عَنْ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ أَسْمَاءٌ خَاصَّةٌ، لِلْأَوْلَادِ، وَالْبُيُوتِ، وَالْأَصْوَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُضَافُ إلَى الْحَيَوَانِ؛ بَلْ إنَّمَا يَسْتَعْمِلُونَ فِي ذَلِكَ الْإِضَافَةَ.

فَلَوْ كَانَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَّمَهَا الْجَمِيعَ لَعَلَّمَهَا مُتَنَاسِبَةً، وَأَيْضًا فَكُلُّ أُمَّةٍ لَيْسَ لَهَا كِتَابٌ لَيْسَ فِي لُغَتِهَا أَيَّامُ الْأُسْبُوعِ، وَإِنَّمَا يُوجَدُ فِي لُغَتِهَا اسْمُ الْيَوْمِ وَالشَّهْرِ وَالسَّنَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ عُرِفَ بِالْحِسِّ وَالْعَقْلِ؛ فَوَضَعَتْ لَهُ الْأُمَمُ الْأَسْمَاءَ؛ لِأَنَّ التَّعْبِيرَ يَتْبَعُ التَّصَوُّرَ، وَأَمَّا الْأُسْبُوعُ فَلَمْ يُعْرَفْ إلَّا بِالسَّمْعِ، لَمْ يُعْرَفْ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ إلَّا بِأَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ شُرِعَ لَهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي الْأُسْبُوعِ يَوْمًا يَعْبُدُونَ اللهَ فِيهِ وَيَحْفَظُونَ بِهِ الْأُسْبُوعَ الْأَوَّلَ الَّذِي بَدَأَ اللهُ فِيهِ خَلْقَ هَذَا الْعَالَمِ؛ فَفِي لُغَةِ الْعَرَبِ والعِبْرانِيِّينَ، وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُمْ، أَيَّامُ الْأُسْبُوعِ؛ بِخِلَافِ التُّرْكِ وَنَحْوِهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي لُغَتِهِمْ أَيَّامُ الْأُسْبُوعِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا ذَلِكَ فَلَمْ يُعَبِّرُوا عَنْهُ.

فَعُلِمَ أَنَّ اللهَّ أَلْهَمَ النَّوْعَ الْإِنْسَانِيَّ أَنْ يُعَبِّرَ عَمَّا يُرِيدُهُ، وَيَتَصَوَّرُهُ بِلَفْظِهِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ أَبُوهُمْ آدَمَ، وَهُمْ عَلِمُوا كَمَا عَلِمَ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ اللُّغَاتُ.

وَقَدْ أَوْحَى اللهَّ إِلَى مُوسَى بالعبرانية، وَإِلَى مُحَمَّدٍ بِالْعَرَبِيَّةِ؛ وَالْجَمِيعُ كَلَامُ الله، وَقَدْ بَيَّنَ اللهَّ بِذَلِكَ مَا أَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ اللُّغَةُ لَيْسَتْ الْأُخْرَى، مَعَ أَنَّ الْعِبْرَانِيَّةَ مِنْ أَقْرَبِ اللُّغَاتِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى إِنَّهَا أَقْرَبُ إِلَيْهَا مِنْ لُغَةِ بَعْضِ الْعَجَمِ إِلَى بَعْضٍ.

فَبِالْجُمْلَةِ نَحْنُ لَيْسَ غَرَضُنَا إقَامَةَ الدَّلِيلِ عَلَى عَدَمِ ذَلِكَ؛ بَلْ يَكْفِينَا أَنْ يُقَالَ: هَذَا غَيْرُ مَعْلُومٍ وُجُودُهُ، بَلْ الْإِلْهَامُ كَافٍ فِي النُّطْقِ بِاللُّغَاتِ مِنْ غَيْرِ مُوَاضَعَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ؛ وَإِذَا سُمِّيَ هَذَا تَوْقِيفًا؛ فَلْيُسَمَّ تَوْقِيفًا وَحِينَئِذٍ فَمَنْ ادَّعَى وَضْعًا مُتَقَدِّمًا عَلَى اسْتِعْمَالِ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ؛ فَقَدْ قَالَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. وَإِنَّمَا الْمَعْلُومُ بِلَا رَيْبٍ هُوَ الِاسْتِعْمَالُ.

ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: تَتَمَيَّزُ الْحَقِيقَةُ مِنْ الْمَجَازِ بِالِاكْتِفَاءِ بِاللَّفْظِ؛ فَإِذَا دَلَّ اللَّفْظُ بِمُجَرَّدِهِ فَهُوَ حَقِيقَةٌ.

وَإِذَا لَمْ يَدُلَّ إلَّا مَعَ الْقَرِينَةِ؛ فَهُوَ مَجَازٌ وَهَذَا أَمْرٌ مُتَعَلِّقٌ بِاسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي الْمَعْنَى لَا بِوَضْعٍ مُتَقَدِّمٍ.

ثُمَّ يُقَالُ (ثَانِيًا): هَذَا التَّقْسِيمُ لَا حَقِيقَةَ لَهُ؛ وَلَيْسَ لِمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا حَدٌّ صَحِيحٌ يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا فَعُلِمَ أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ بَاطِلٌ، وَهُوَ تَقْسِيمُ مَنْ لَمْ يَتَصَوَّرْ مَا يَقُولُ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِلَا عِلْمٍ؛ فَهُمْ مُبْتَدِعَةٌ فِي الشَّرْعِ، مُخَالِفُونَ لِلْعَقْلِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: (الْحَقِيقَةُ): اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا وُضِعَ لَهُ. وَ(الْمَجَازُ): هُوَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ؛ فَاحْتَاجُوا إلَى إثْبَاتِ الْوَضْعِ السَّابِقِ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ وَهَذَا يَتَعَذَّرُ.

ثُمَّ يُقَسِّمُونَ الْحَقِيقَةَ إِلَى لُغَوِيَّةٍ وَعُرْفِيَّةٍ وَأَكْثَرُهُمْ يُقَسِّمُهَا إِلَى ثَلَاثٍ: لُغَوِيَّةٍ وَشَرْعِيَّةٍ وَعُرْفِيَّةٍ.

فَالْحَقِيقَةُ الْعُرْفِيَّةُ: هِيَ مَا صَارَ اللَّفْظُ دَالًّا فِيهَا عَلَى الْمَعْنَى بِالْعُرْفِ لَا بِاللُّغَةِ وَذَلِكَ الْمَعْنَى يَكُونُ تَارَةً أَعَمَّ مِنْ اللُّغَوِيِّ، وَتَارَةً أَخَصَّ، وَتَارَةً يَكُونُ مُبَايِنًا لَهُ، لَكِنْ بَيْنَهُمَا عَلَاقَةٌ اُسْتُعْمِلَ لِأَجْلِهَا.

فَالْأَوَّلُ: مِثْلُ لَفْظِ (الرَّقَبَةِ) وَ(الرَّأْسِ) وَنَحْوِهِمَا كَانَ يُسْتَعْمَلُ فِي الْعُضْوِ الْمَخْصُوصِ، ثُمَّ صَارَ يُسْتَعْمَلُ فِي جَمِيعِ الْبَدَنِ.

وَالثَّانِي: مِثْلُ لَفْظِ (الدَّابَّةِ) وَنَحْوِهَا كَانَ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مَا دَبَّ ثُمَّ صَارَ يُسْتَعْمَلُ فِي عُرْفِ بَعْضِ النَّاسِ فِي ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ، وَفِي عُرْفِ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْفَرَسِ، وَفِي عُرْفِ بَعْضِهِمْ فِي الْحِمَارِ.

وَالثَّالِثُ: مِثْلُ لَفْظِ (الْغَائِطِ) وَ(الظَّعِينَةِ) وَ(الرَّاوِيَةِ) وَ(الْمَزَادَةِ)؛ فَإِنَّ الْغَائِطَ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ مِنْ الْأَرْضِ، فَلَمَّا كَانُوا يَنْتَابُونَهُ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ سَمَّوْا مَا يَخْرُجُ مِنْ الْإِنْسَانِ بِاسْمِ مَحَلِّهِ، وَالظَّعِينَةُ اسْمُ الدَّابَّةِ، ثُمَّ سَمَّوْا الْمَرْأَةَ الَّتِي تَرْكَبُهَا بِاسْمِهَا وَنَظَائِرَ ذَلِكَ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْعُرْفِيَّةَ لَمْ تَصِرْ حَقِيقَةً لِجَمَاعَةٍ تَوَاطَئُوا عَلَى نَقْلِهَا، وَلَكِنْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ، وَأَرَادَ بِهَا ذَلِكَ الْمَعْنَى الْعُرْفِيَّ، ثُمَّ شَاعَ الِاسْتِعْمَالُ فَصَارَتْ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً بِهَذَا الِاسْتِعْمَالِ.

وَلِهَذَا زَادَ مَنْ زَادَ مِنْهُمْ فِي حَدِّ الْحَقِيقَةِ فِي اللُّغَةِ الَّتِي بِهَا التَّخَاطُبُ، ثُمَّ هُمْ يَعْلَمُونَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ قَدْ يَغْلِبُ الِاسْتِعْمَالُ عَلَى بَعْضِ الْأَلْفَاظِ؛ فَيَصِيرُ الْمَعْنَى الْعُرْفِيُّ أَشْهَرَ فِيهِ وَلَا يَدُلُّ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ إِلَّا عَلَيْهِ فَتَصِيرُ الْحَقِيقَةُ الْعُرْفِيَّةُ نَاسِخَةً لِلْحَقِيقَةِ

اللُّغَوِيَّةِ. وَاللَّفْظُ مُسْتَعْمَلٌ فِي هَذَا الِاسْتِعْمَالِ الْحَادِثِ لِلْعُرْفِيِّ وَهُوَ حَقِيقَةٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِمَا اُسْتُعْمِلَ فِيهِ ذَلِكَ تَقَدُّمُ وَضْعٍ، فَعُلِمَ أَنَّ تَفْسِيرَ الْحَقِيقَةِ بِهَذَا لَا يَصِحُّ.

وَإِنْ قَالُوا: نَعْنِي بِمَا وُضِعَ لَهُ مَا اُسْتُعْمِلَتْ فِيهِ أَوَّلًا؛ فَيُقَالُ: مِنْ أَيْنَ يُعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الَّتِي كَانَتْ الْعَرَبُ تَتَخَاطَبُ بِهَا عِنْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَقَبْلَهُ لَمْ تُسْتَعْمَلْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَعْنَى شَيْءٍ آخَرَ.

وَإِذَا لَمْ يَعْلَمُوا هَذَا النَّفْيَ؛ فَلَا يُعْلَمُ أَنَّهَا حَقِيقَةٌ وَهَذَا خِلَافُ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ. وَأَيْضًا فَيَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ لَا يُقْطَعَ بِشَيْءٍ مِنْ الْأَلْفَاظِ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ وَهَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ.

ثم قال رحمه الله:

وَأَمَّا مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ؛ بِأَنَّ الْحَقِيقَةَ مَا يُفِيدُ الْمَعْنَى مُجَرَّدًا عَنْ الْقَرَائِنِ، وَالْمَجَازَ مَا لَا يُفِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى إلَّا مَعَ قَرِينَةٍ.

أَوْ قَالَ: (الْحَقِيقَةُ): مَا يُفِيدُهُ اللَّفْظُ الْمُطْلَقُ. وَ(الْمَجَازُ): مَا لَا يُفِيدُ إلَّا مَعَ التَّقْيِيدِ.

أَوْ قَالَ: (الْحَقِيقَةُ) هِيَ الْمَعْنَى الَّذِي يَسْبِقُ إلَى الذِّهْنِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ. وَ(الْمَجَازُ) مَا لَا يَسْبِقُ إلَى الذِّهْنِ.

أَوْ قَالَ: (الْمَجَازُ) مَا صَحَّ نَفْيُهُ وَ (الْحَقِيقَةُ) مَا لَا يَصِحُّ نَفْيُهَا.

فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَا تَعْنِي بِالتَّجْرِيدِ عَنْ الْقَرَائِنِ وَالِاقْتِرَانِ بِالْقَرَائِنِ؟ إنْ عُنِيَ بِذَلِكَ الْقَرَائِنُ اللَّفْظِيَّةُ مِثْلُ كَوْنِ الِاسْمِ يُسْتَعْمَلُ مَقْرُونًا بِالْإِضَافَةِ أَوْ لَامِ التَّعْرِيفِ وَيُقَيَّدُ بِكَوْنِهِ فَاعِلًا وَمَفْعُولًا وَمُبْتَدَأً وَخَبَرًا؛ فَلَا يُوجَدُ قَطُّ فِي الْكَلَامِ الْمُؤَلَّفِ اسْمٌ إلَّا مُقَيَّدًا.

وَكَذَلِكَ الْفِعْلُ إِنْ عُنِيَ بِتَقْيِيدِهِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَاعِلٍ، وَقَدْ يُقَيَّدُ بِالْمَفْعُولِ بِهِ وَظَرْفَيْ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْمَفْعُولِ لَهُ وَمَعَهُ وَالْحَالِ فَالْفِعْلُ لَا يُسْتَعْمَلُ قَطُّ إِلَّا مُقَيَّدًا وَأَمَّا الْحَرْفُ فَأَبْلَغُ؛ فَإِنَّ الْحَرْفَ أُتِيَ بِهِ لِمَعْنَى فِي غَيْرِهِ.

فَفِي الْجُمْلَةِ: لَا يُوجَدُ قَطُّ فِي كَلَامٍ تَامٍّ اسْمٌ وَلَا فِعْلٌ وَلَا حَرْفٌ إِلَّا مُقَيَّدًا بِقُيُودٍ تُزِيلُ عَنْهُ الْإِطْلَاقَ.

فَإِنْ كَانَتْ الْقَرِينَةُ مِمَّا يَمْنَعُ الْإِطْلَاقَ عَنْ كُلِّ قَيْدٍ فَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ جَمِيعُ النَّاسِ لَفْظٌ مُطْلَقٌ عَنْ كُلِّ قَيْدٍ سَوَاءٌ كَانَتْ الْجُمْلَةُ اسْمِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً، وَلِهَذَا كَانَ لَفْظُ (الْكَلَامِ) وَ (الْكَلِمَةِ) فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، بَلْ وَفِي لُغَةِ غَيْرِهِمْ لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الْمُقَيَّدِ. وَهُوَ الْجُمْلَةُ التَّامَّةُ اسْمِيَّةً كَانَتْ أَوْ فِعْلِيَّةً أَوْ نِدَائِيَّةً إِنْ قِيلَ إِنَّهَا قِسْمٌ ثَالِثٌ.

فَأَمَّا مُجَرَّدُ الِاسْمِ أَوْ الْفِعْلِ أَوْ الْحَرْفِ الَّذِي جَاءَ لِمَعْنَى لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ فَهَذَا لَا يُسَمَّى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَطُّ كَلِمَةً، وَإِنَّمَا تَسْمِيَةُ هَذَا كَلِمَةً اصْطِلَاحٌ نَحْوِيٌّ، كَمَا سَمَّوْا بَعْضَ الْأَلْفَاظِ فِعْلًا، وَقَسَّمُوهُ إِلَى فِعْلٍ مَاضٍ وَمُضَارِعٍ وَأَمْرٍ.

وَالْعَرَبُ لَمْ تُسَمِّ قَطُّ اللَّفْظَ فِعْلًا؛ بَلْ النُّحَاةُ اصْطَلَحُوا عَلَى هَذَا فَسَمَّوْا اللَّفْظَ بِاسْمِ مَدْلُولِهِ فَاللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى حُدُوثِ فِعْلٍ فِي زَمَنٍ مَاضٍ سَمَّوْهُ فِعْلًا مَاضِيًا وَكَذَلِكَ سَائِرُهَا.

وَكَذَلِكَ حَيْثُ وُجِدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَلْ وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ لَفْظُ كَلِمَةٍ؛ فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْمُفِيدُ الَّتِي تُسَمِّيهَا النُّحَاةُ جُمْلَةً تَامَّةً، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. وقَوْله تَعَالَى ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾. وقَوْله تَعَالَى ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾. وَقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَهَا

كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾. وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾. وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ» وَقَوْلِهِ: «**كَلِمَتَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»[1]. وَقَوْلِهِ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[2]. وَقَوْلِهِ: «**لَقَدْ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْته مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[3].

وَإِذَا كَانَ كُلُّ اسْمٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ حَرْفٍ يُوجَدُ فِي الْكَلَامِ؛ فَإِنَّهُ مُقَيَّدٌ لَا مُطْلَقٌ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَالَ لِلَفْظِ الْحَقِيقَةِ مَا دَلَّ مَعَ الْإِطْلَاقِ، وَالتَّجَرُّدِ عَنْ كُلِّ قَرِينَةٍ تُقَارِنُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: أُرِيدَ بَعْضُ الْقَرَائِنِ دُونَ بَعْضٍ قِيلَ لَهُ: اُذْكُرْ الْفَصْلَ بَيْنَ الْقَرِينَةِ الَّتِي يَكُونُ مَعَهَا حَقِيقَةٌ، وَالْقَرِينَةَ الَّتِي يَكُونُ مَعَهَا مَجَازٌ، وَلَنْ تَجِدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا تَقْدِرُ بِهِ عَلَى تَقْسِيمٍ صَحِيحٍ مَعْقُولٍ.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (٢/٦):

وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا عُلِمَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْعَرَبِيَّةَ وُضِعَتْ أَوَّلًا لِمَعَانٍ ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِيهَا، ثُمَّ وُضِعَ لِمَعَانٍ أُخَرَ بَعْدَ الْوَضْعِ الْأَوَّلِ وَالِاسْتِعْمَالِ بَعْدَهُ وَالْوَضْعِ الثَّانِي

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٥٦٣)، ومسلم برقم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٩٨٥)، وأحمد (١٥٨٥٢)، والترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦) عن جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَالِاسْتِعْمَالِ بَعْدَهُ، وَلَا تَتِمُّ لَكُمْ دَعْوَى الْمَجَازِ إِلَّا بِهَذِهِ الْمَقَامَاتِ الْأَرْبَعِ، وَلَيْسَ مَعَكُمْ وَلَا مَعَ غَيْرِكُمْ سِوَى اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي الْمَعْنَى.

وَأَمَّا إِنَّهُمْ وَضَعُوهُ لِمَعْنًى ثُمَّ اسْتَعْمَلُوهُ فِيهِ وَضَعُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَعْنًى آخَرَ غَيْرِ مَعْنَاهُ الْأَوَّلِ ثُمَّ اسْتَعْمَلُوهُ فِيهِ، فَدَعْوَى ذَلِكَ قَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ، وَهُوَ حَرَامٌ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، فَمَنْ يُمْكِنُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ أَنْ يُثْبِتَ ذَلِكَ، وَهَذَا لَوْ أَمْكَنَ الْعِلْمُ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَّا الْوَحْيَ وَخَبَرَ الصَّادِقِ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ صِدْقُهُ.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٢٨٨):

هَذَا إِنَّمَا يُمْكِنُ دَعْوَاهُ إِذَا ثَبَتَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعُقَلَاءِ اجْتَمَعُوا وَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يُسَمُّوا هَذَا بِكَذَا وَهَذَا بِكَذَا، ثُمَّ اسْتَعْمَلُوا تِلْكَ الْأَلْفَاظَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا وَتَوَاطَئُوا عَلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوا تِلْكَ الْأَلْفَاظَ بِعَيْنِهَا فِي مَعَانٍ أُخَرَ غَيْرِ الْمَعَانِي الْأُوَلِ، لِعَلَاقَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا، وَقَالُوا: هَذِهِ الْأَلْفَاظُ حَقِيقَةٌ تِلْكَ الْمَعَانِي مَجَازٌ فِي هَذِهِ وَهَذِهِ، وَلَا نَعْرِفُ أَحَدًا مِنَ الْعُقَلَاءِ قَالَهُ قَبْلَ أَبِي هَاشِمٍ الْجُبَائِيِّ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللُّغَاتِ اصْطِلَاحِيَّةٌ، وَأَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ اصْطَلَحُوا عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا مُجَاهَرَةٌ بِالْكَذِبِ، وَقَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ، وَالَّذِي يَعْرِفُهُ النَّاسُ اسْتِعْمَالُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فِي مَعَانِيهَا الْمَفْهُومَةِ مِنْهَا.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٢٨٨):

فَرَّقْتُمْ أَيْضًا بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَجَازَ مَا يَتَبَادَرُ غَيْرُهُ إِلَى الذِّهْنِ، فَالْمَدْلُولُ إِنْ تَبَادَرَ إِلَى الذِّهْنِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ كَانَ حَقِيقَةً، وَكَانَ غَيْرُ الْمُتَبَادِرِ مَجَازًا، فَإِنَّ الْأَسَدَ إِذَا أُطْلِقَ تَبَادَرَ مِنْهُ الْحَيَوَانُ الْمُفْتَرِسُ دُونَ الرَّجُلِ الشُّجَاعِ، فَهَذَا الْفَرْقُ مَبْنِيٌّ عَلَى دَعْوَى بَاطِلَةٍ وَهُوَ تَجْرِيدُ اللَّفْظِ عَنِ الْقَرَائِنِ بِالْكُلِّيَّةِ وَالنُّطْقِ بِهِ وَحْدَهُ، وَحِينَئِذٍ فَيَتَبَادَرُ مِنْهُ الْحَقِيقَةُ عِنْدَ

التَّجَرُّدِ، وَهَذَا الْفَرْضُ هُوَ الَّذِي أَوْقَعَكُمْ فِي الْوَهْمِ، فَإِنَّ اللَّفْظَ بِدُونِ الْقَيْدِ وَالتَّرْكِيبِ بِمَنْزِلَةِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي يُنْعَقُ بِهَا لَا تُفِيدُ فَائِدَةً، وَإِنَّمَا يُفِيدُ تَرْكِيبُهُ مَعَ غَيْرِهِ تَرْكِيبًا إِسْنَادِيًّا يَصِحُّ السُّكُوتُ عَلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ فَإِنَّهُ يَتَبَادَرُ مِنْهُ عِنْدَ كُلِّ تَرْكِيبٍ بِحَسْبِ مَا قُيِّدَ بِهِ، فَيَتَبَادَرُ مِنْهُ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ مَا لَا يَتَبَادَرُ مِنْهُ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ الْأَخِيرِ.

فَإِذَا قُلْتَ: هَذَا الثَّوْبُ خِطْتُهُ لَكَ بِيَدِي، تَبَادَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْيَدَ آلَةُ الْخِيَاطَةِ لَا غَيْرُ، وَإِذَا قُلْتَ: لَكَ عِنْدِي يَدُ اللهِ يَجْزِيكَ بِهَا، تَبَادَرَ مِنْ هَذَا النِّعْمَةُ وَالْإِحْسَانُ، وَلَمَّا كَانَ أَصْلُهُ الْإِعْطَاءَ وَهُوَ بِالْيَدِ عَبَّرَ عَنْهُ بِهَا، لِأَنَّهَا آلَةٌ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ، وَهَذَا التَّرْكِيبِ، فَمَا الَّذِي صَيَّرَهَا حَقِيقَةً فِي هَذَا، مَجَازًا فِي الْآخَرِ؟ .

فَإِنْ قُلْتَ: لِأَنَّا إِذَا أَطْلَقْنَا لَفْظَةَ يَدٍ تَبَادَرَ مِنْهَا الْعُضْوُ الْمَخْصُوصُ، قِيلَ: لَفْظَةُ يَدٍ بِمَنْزِلَةِ صَوْتٍ يُنْعَقُ بِهِ لَا يُفِيدُ شَيْئًا الْبَتَّةَ حَتَّى تُقَيِّدَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ، وَمَعَ التَّقْيِيدِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ لَا يَتَبَادَرُ سِوَاهُ، فَتَكُونُ الْحَقِيقَةُ حَيْثُ اسْتُعْمِلَتْ فِي مَعْنًى يَتَبَادَرُ إِلَى الْفَهْمِ، كَذَلِكَ أَسَدٌ لَا تُفِيدُ شَيْئًا وَلَا يُعْلَمُ مُرَادُ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ حَتَّى إِذَا قَالَ زَيْدٌ أَسَدٌ، أَوْ رَأَيْتُ أَسَدًا يُصَلِّي، أَوْ فُلَانٌ افْتَرَسَهُ الْأَسَدُ فَأَكَلَهُ، أَوِ الْأَسَدُ مَلِكُ الْوُحُوشِ وَنَحْوُ ذَلِكَ، عُلِمَ الْمُرَادُ بِهِ مِنْ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ، وَتَبَادَرَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ إِلَى ذِهْنِ السَّامِعِ بِحَسَبِ ذَلِكَ التَّقْيِيدِ وَالتَّرْكِيبِ، فَلَا يَتَبَادَرُ مِنْ قَوْلِكَ: رَأَيْتُ أَسَدًا يُصَلِّي، إِلَّا رَجُلًا شُجَاعًا، فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً.

إلى أن قال رحمه الله:

وَلَكِنْ نَقُولُ: اللَّفْظُ الْوَاحِدُ تَخْتَلِفُ دَلَالَتُهُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ، وَيَكُونُ حَقِيقَةً فِي الْمُطْلَقِ وَالْمُقَيِّدِ، مِثَالُهُ لَفْظُ الْعَمَلِ، إِنَّهُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ إِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْهُ عَمَلُ الْجَوَارِحِ،

فَإِذَا قُيِّدَ بِعَمَلِ الْقَلْبِ كَانَتْ دَلَالَتُهُ عَلَيْهِ أَيْضًا حَقِيقَةً، فاخْتَلَفَتْ دَلَالَتُهُ بِالْإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ كَوْنِهِ حَقِيقَةً.

وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْإِيمَانِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَدْخُلُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[1] فَإِذَا قُرِنَ بِالْأَعْمَالِ كَانَتْ دَلَالَتُهُ عَلَى التَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ.

وَكَقَوْلِهِ: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥] فَاخْتَلَفَتْ دَلَالَتُهُ بِالْإِطْلَاقِ وَالتَّقَيُّدِ، وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ يَدْخُلُ فِيهِ الْآخَرُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، فَإِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا لَمْ يَدْخُلْ مُسَمَّى أَحَدِهِمَا فِي مُسَمَّى الْآخَرِ.

وَكَذَلِكَ لَفْظُ التَّقْوَى وَالْقَوْلِ السَّدِيدِ إِذَا أُطْلِقَ لَفْظُ التَّقْوَى تَنَاوَلَ تَقْوَى الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ وَاللِّسَانِ فَإِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا تَقَيَّدَتْ دَلَالَتُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وَكَذَلِكَ لَفْظُ التَّقْوَى عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَدْخُلُ فِيهِ الصَّبْرُ، فَإِذَا قُرِنَ بِالصَّبْرِ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٢٥] وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] وَنَظَائِرُ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ.

وَأَخَصُّ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ لَا يُسْتَعْمَلُ؛ إِلَّا مُقَيَّدًا كَالرَّأْسِ وَالْجَوَارِحِ وَالْيَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَسْتَعْمِلْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ مُطْلَقَةً بَلْ لَا تَنْطِقُ بِهَا إِلَّا مُقَيَّدَةً كَرَأْسِ الْإِنْسَانِ، وَرَأْسِ الطَّائِرِ، وَرَأْسِ الدَّابَّةِ، وَرَأْسِ الْمَاءِ، وَرَأْسِ الْأَمْرِ، وَرَأْسِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولفظ البخاري: «**بضع وستون**»

الْمَالِ، وَرَأْسِ الْقَوْمِ، فَهَاهُنَا الْمُضَافُ وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ جَمِيعًا حَقِيقَةٌ، وَهُمَا مَوْضُوعَانِ، وَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الرَّأْسِ لِلْإِنْسَانِ، وَأَنَّهُ نُقِلَ مِنْهُ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ غَلِطَ أَقْبَحَ غَلَطٍ، وَقَالَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَلَوْ عَارَضَهُ آخَرُ بِضِدِّ مَا قَالَهُ كَانَ قَوْلُهُ مِنْ جِنْسِ قَوْلِهِ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، فَالْمُقيدُ مَوْضِعُ النِّزَاعِ، وَالْمُطْلَقُ غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ وَلَا يُفِيدُ فَتَأَمَّلْهُ.

وَكَذَلِكَ الْجَنَاحُ لِجَنَاحِ الطَّائِرِ حَقِيقَةٌ، وَجَنَاحُ السَّفَرِ حَقِيقَةٌ فِيهِ، وَجَنَاحُ الذُّلِّ حَقِيقَةٌ فِيهِ، فَإِنْ قِيلَ: لَيْسَ لِلذُّلِّ جَنَاحٌ، قُلْنَا: لَيْسَ لَهُ جَنَاحُ رِيشٍ، وَلَهُ جَنَاحٌ مَعْنَوِيٌّ يُنَاسِبُهُ، كَمَا أَنَّ الْأَمْرَ وَالْمَالَ وَالْمَاءَ لَيْسَ لَهُ رَأْسُ الْحَيَوَانِ وَلَهَا رَأْسٌ بِحَسَبِهَا، وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَلْفَاظِ الْمُضَافَةِ كَالْيَدِ وَالْعَيْنِ وَغَيْرِهِمَا.

فَيَدُ الْبَعُوضَةِ حَقِيقَةٌ وَيَدُ الْفِيلِ حَقِيقَةٌ وَلَيْسَتْ مَجَازًا فِي أَحَدِ الْمَوْضِعَيْنِ حَقِيقَةً فِي الْآخَرِ، وَلَيْسَتِ الْيَدُ مُشْتَرِكَةً بَيْنَهُمَا اشْتِرَاكًا لَفْظِيًّا، وَكَذَلِكَ إِرَادَةُ الْبَعُوضِ وَحَيَاتُهَا وَقُوَّتُهَا حَقِيقَةٌ، وَإِرَادَةُ الْمَلِكِ وَقُوَّتُهُ وَحَيَاتُهُ حَقِيقَةٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ بَيْنَ الْأَسَدِ وَالرَّجُلِ الشُّجَاعِ وَبَيْنَ الْبَلِيدِ وَالْحِمَارِ أَعْظَمُ مِنَ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ الَّذِي بَيْنَ الْبَعُوضَةِ وَالْفِيلِ وَبَيْنَ الْبَعُوضَةِ وَالْمَلِكِ، فَإِذَا جَعَلْتُمُ اللَّفْظَ حَقِيقَةً هُنَاكَ لِاعْتِبَارِ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ فَهَلَّا جَعَلْتُمُوهُ حَقِيقَةً بِاعْتِبَارِ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ فِيمَا هُوَ أَظْهَرُ وَأَبْيَنُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَنَاقُضِكُمْ وَتَفْرِيقِكُمْ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ وَسَلْبِكُمُ الْحَقِيقَةَ عَمَّا هُوَ أَوْلَى بِهَا.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (٤/ ٢٠٤):

تجرد اللفظ عن جميع القرائن الدالة على مراد المتكلم ممتنع في الخارج، وإنما يقدره الذهن ويفرضه، وإلا فلا يمكن استعماله إلا مقيدا بالمسند، والمسند إليه، ومتعلقاتها

وأخواتها الدالة على مراد المتكلم؛ فإن كان كل مقيد مجازًا؛ استحال أن يكون في الخارج لفظ حقيقة.

وإن كان بعض المقيدات مجازًا، وبعضها حقيقة؛ فلا بد من ضابط للقيود التي تجعل اللفظ مجازا، والقيود التي لا تخرجه عن حقيقته، ولن يجد مدعوا المجاز إلى ضابط مستقيم سبيلا البتة فمن كان لديه شيء فليذكره.

ثم قال رحمه الله:

ومن ادعى صرف لفظ عن ظاهره إلى مجازه؛ لم يتم له ذلك إلا بعد أربع مقامات:

أحدها: بيان امتناع إرادة الحقيقة.

الثاني: بيان صلاحية اللفظ لذلك المعنى الذي عينه، وإلا كان مفتريا على اللغة.

الثالث: بيان تعيين ذلك المحمل؛ إن كان له عدة مجازات.

الرابع: الجواب عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة.اهـ

وخلاصة ما تقدم: أن ألفاظ اللغة العربية كثير منها يفهم معناها من السياق، وهو حقيقة في كل سياق، وتصييرها حقيقةً في موضع ومجازًا في موضع تحكم بلا دليل، وقول على الله بلا علم.

وجعل اللفظ موضوعًا لأحد المعاني قبل الآخر، واصطلح عليه قبل الآخر أيضًا تحكم بلا دليل، وقول بلا علم.

رابعها: قول المبتدعة: إن أحاديث الصفات لا تفيد اليقين؛ فلا تثبت بها صفات الله عز وجل:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٥٣٠):

قَالَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ: لَا يُحْتَجُّ بِكَلَامِ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

وقَالُوا: الْأَخْبَارُ قِسْمَانِ: مُتَوَاتِرٌ وَآحَادٌ، فَالْمُتَوَاتِرُ، وَإِنْ كَانَ قَطْعِيَّ السَّنَدِ لَكِنَّهُ غَيْرُ قَطْعِيِّ الدَّلَالَةِ، فَإِنَّ الدَّلَالَةَ اللَّفْظِيَّةَ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ، وَبِهَذَا قَدَحُوا فِي دَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الصِّفَاتِ. وَالْآحَادِ لَا تُفِيدُ الْعِلْمَ.

فَسَدُّوا عَلَى الْقُلُوبِ مَعْرِفَةَ الرَّبِّ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَحَالُوا النَّاسَ عَلَى قَضَايَا وَهْمِيَّةٍ، وَمُقَدِّمَاتٍ خَيَالِيَّةٍ، سَمَّوْهَا قَوَاطِعَ عَقْلِيَّةً، وَبَرَاهِينَ نَقْلِيَّةً، وَهِيَ فِي التَّحْقِيقِ ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩] .

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّهُمْ قَدَّمُوهَا عَلَى نُصُوصِ الْوَحْيِ، وَعَزَلُوا لِأَجْلِهَا النُّصُوصَ.

قال رحمه الله:

فَنَقُولُ هَذِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ فِي هَذَا الْبَابِ يُوَافِقُهَا الْقُرْآنُ، وَيَدُلُّ عَلَى مِثْلِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، فَهِيَ مَعَ الْقُرْآنِ بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ، وَالْحَدِيثِ مَعَ الْحَدِيثِ الْمُتَّفِقَيْنِ.

فَلَمَّا كَانَتِ الشَّهَادَةُ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَالْقُرْآنَ يَخْرُجَانِ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ فَنَحْنُ نُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ شَهَادَةً عَلَى الْقَطْعِ وَالْبَتِّ، إِذْ شَهِدَ خُصُومُنَا شَهَادَةَ الزُّورِ أَنَّهَا تُخَالِفُ الْعَقْلَ، وَمَا يَضُرُّهَا أَنْ تُخَالِفَ تِلْكَ الْعُقُولَ الْمَنْكُوسَةَ، إِذَا وَافَقَتِ الْكِتَابَ

وَفِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ عِبَادَهُ عَلَيْهَا، وَالْعُقُولَ الْمُؤَيَّدَةَ بِنُورِ الْوَحْيِ، وَكَذَلِكَ شَهَادَةُ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ بِمُوَافَقَةِ الْقُرْآنِ لِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى.

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُقَرِّرُ نُصُوصَ الْقُرْآنِ وَتَكْشِفُ مَعَانِيهَا كَشْفًا مُفَصَّلًا، وَتُقَرِّبُ الْمُرَادَ وَتَدْفَعُ عَنْهُ الِاحْتِمَالَاتِ، وَتُفَسِّرُ الْمُجْمَلَ مِنْهُ وَتُبَيِّنُهُ وَتُوَضِّحُهُ لِتَقُومَ حُجَّةُ اللهِ بِهِ، وَيُعْلَمَ أَنَّ الرَّسُولَ بَيَّنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ بَلَّغَ أَلْفَاظَهُ وَمَعَانِيهِ بَلَاغًا مُبِينًا حَصَلَ بِهِ الْعِلْمُ الْيَقِينِيُّ، بَلَاغًا أَقَامَ الْحُجَّةَ، وَقَطَعَ الْمَعْذِرَةَ وَأَوْجَبَ الْعِلْمَ، وَبَيَّنَهُ أَحْسَنَ الْبَيَانِ وَأَوْضَحَهُ.

وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ وَأَتْبَاعُهُمْ يَذْكُرُونَ الْآيَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ، ثُمَّ يُتْبِعُونَهَا بِالْأَحَادِيثِ الْمُوَافِقَةِ لَهَا، كَمَا فَعَلَ الْبُخَارِيُّ وَمَنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ فِي السُّنَّةِ، فَإِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ، وَغَيْرَهُمَا يَحْتَجُّونَ عَلَى صِحَّةِ مَا تَضَمَّنَتْهُ أَحَادِيثُ النُّزُولِ وَالرُّؤْيَةِ وَالتَّكْلِيمِ وَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ بِمَا فِي الْقُرْآنِ، وَيُثْبِتُونَ اتِّفَاقَ دَلَالَةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَيْهَا، وَأَنَّهُمَا مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ مَنْ لَهُ أَدْنَى مَعْرِفَةٍ وَإِيمَانٍ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى مَعَانِي الْقُرْآنِ بِمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ يُتْبِعُونَ ذَلِكَ بِمَا قَالَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ أَئِمَّةُ الْهُدَى.

وَهَلْ يَخْفَى عَلَى ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ أَنَّ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ خَيْرٌ مِمَّا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ أَئِمَّةِ الضَّلَالِ وَشُيُوخِ التَّجَهُّمِ وَالِاعْتِزَالِ، كَالْمَرِيسِيِّ وَالْجُبَّائِيِّ وَالنَّظَّامِ وَالْعَلَّافِ وَأَضْرَابِهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ الَّذِينَ أَحْدَثُوا فِي الْإِسْلَامِ ضَلَالَاتٍ وَبِدَعًا، وَفَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا، وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ.

فَإِذَا لَمْ يَجُزْ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِإِثْبَاتِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ، وَحُصُولُ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ بِسُنَنِ رَسُولِ الله ﷺ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ، وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ، أَفَيَجُوزُ أَنْ يُرْجَعَ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ إِلَى تَحْرِيفَاتِ جَهْمٍ وَشِيعَتِهِ، وَتَأْوِيلَاتِ الْعَلَّافِ وَالنَّظَّامِ وَالْجُبَّائِيِّ وَالْمَرِيسِيِّ. وَعَبْدِ الْجَبَّارِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ كُلِّ أَعْمَى أَعْجَمِيِّ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، بَعِيدٍ عَنِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، مَغْمُورٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؟ .

فَإِذَا كَانَتْ أَخْبَارُ رَسُولِ الله ﷺ لَا تُفِيدُ عِلْمًا فَجَمِيعُ مَا يَذْكُرُهُ هَؤُلَاءِ مِنَ اللُّغَةِ وَالشِّعْرِ الَّذِي يُحَرِّفُونَ بِهِ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَوْلَى وَأَحْرَى أَنْ لَا يُفِيدَ عِلْمًا وَلَا ظَنًّا.

قال رحمه اللّٰه:

النَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لِأَصْحَابِهِ الْقُرْآنَ لَفْظَهُ وَمَعْنَاهُ، فَبَلَّغَهُمْ مَعَانِيهِ كَمَا بَلَّغَهُمْ أَلْفَاظَهُ، وَلَا يَحْصُلُ الْبَيَانُ وَالْبَلَاغُ الْمَقْصُودُ إِلَّا بِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وَقَالَ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨] وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: ٣] أَيْ بُيِّنَتْ وَأُزِيلَ عَنْهَا الْإِجْمَالُ، فَلَوْ كَانَتْ آيَاتُهُ مُجْمَلَةً؛ لَمْ تَكُنْ قَدْ فُصِّلَتْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤] وَهَذَا يَتَضَمَّنُ بَلَاغَ الْمَعْنَى وَأَنَّهُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْبَيَانِ.

فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يُبَلِّغِ الْأُمَّةَ مَعَانِيَ كَلَامِهِ وَكَلَامِ رَبِّهِ بَلَاغًا مُبِينًا، بَلْ بَلَّغَهُمْ أَلْفَاظَهُ، وَأَحَالَهُمْ فِي فَهْمِ مَعَانِيهِ عَلَى مَا يَذْكُرُوهُ هَؤُلَاءِ، لَمْ يَكُنْ قَدْ شَهِدَ لَهُ بِالْبَلَاغِ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ حَتَّى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُصَرِّحُ بِهِ وَيَقُولُ: إِنَّ الْمَصْلَحَةَ كَانَتْ فِي كِتْمَانِ مَعَانِي

هَذِهِ الْأَلْفَاظِ، وَعَدَمِ تَبْلِيغِهَا لِلْأُمَّةِ، إِمَّا لِمَصْلَحَةِ الْجُمْهُورِ، وَلِكَوْنِهِمْ لَا يَفْهَمُونَ الْمَعَانِيَ إِلَّا فِي قَوَالِبِ الْحِسِّيَاتِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ، وَإِمَّا لِيَنَالَ الْكَادِحُونَ ثَوَابَ كَدْحِهِمْ فِي اسْتِنْبَاطِ مَعَانِيهَا وَاسْتِخْرَاجِ تَأْوِيلَاتِهَا مِنْ وَحْشِيِّ اللُّغَاتِ وَغَرَائِبِ الْأَشْعَارِ، وَيَغُوصُونَ بِأَفْكَارِهِمُ الدَّقِيقَةِ عَلَى صَرْفِهَا عَنْ حَقَائِقِهَا مَا أَمْكَنَهُمْ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِمَا يَشْهَدُ اللهُ بِهِ وَشَهِدَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَخِيَارُ الْقُرُونِ أَنَّهُ بَلَّغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ الْقَاطِعَ لِلْعُذْرِ الْمُقِيمَ لِلْحُجَّةِ، الْمُوجِبَ لِلْعِلْمِ وَالْيَقِينِ لَفْظًا وَمَعْنًى وَالْجَزْمُ بِتَبْلِيغِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَالْجَزْمِ بِتَبْلِيغِهِ الْأَلْفَاظَ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ إِنَّمَا يَحْفَظُهَا خَوَاصُّ أُمَّتِهِ، وَأَمَّا الْمَعَانِي الَّتِي بَلَّغَهَا فَإِنَّهُ يَشْتَرِكُ فِي الْعِلْمِ بِهَا الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ.

واللهُ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الْحِكْمَةَ كَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَامْتَنَّ بِذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحِكْمَةُ هِيَ السُّنَّةُ كَمَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَهُوَ كَمَا قَالُوا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] فَنَوَّعَ الْمَتْلُوَّ إِلَى نَوْعَيْنِ: آيَاتٌ وَهِيَ الْقُرْآنُ، وَحِكْمَةٌ وَهِيَ السُّنَّةُ، وَالْمُرَادُ بِالسُّنَّةِ مَا أُخِذَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِوَى الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنَّهُ مِثْلُ الْقُرْآنِ وَأَكْثَرُ**»[1].

قَالَ الْبُخَارِيُّ: سَمِعْتُ الْحُمَيْدِيَّ يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلشَّافِعِيِّ: مَا تَقُولُ أَنْتَ؟

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤) بإسناد صحيح.

فَقَالَ: سُبْحَانَ الله تَرَانِي فِي كَنِيسَةٍ، تَرَانِي فِي بَيْعَةٍ، تَرَى عَلَى وَسَطِي زُنَّارًا، أَقُولُ قَضَى رَسُولُ الله ﷺ كَذَا وَكَذَا، وَأَنْتَ تَقُولُ لِي مَا تَقُولُ أَنْتَ؟[1].

وَقَالَ الْمُزَنِيُّ وَحَرْمَلَةُ عَنِ الشَّافِعِيِّ: إِذَا وَجَدْتُمْ سُنَّةَ رَسُولِ الله ﷺ؛ فَاتَّبِعُوهَا وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى أَحَدٍ[2].

وَقَالَ الرَّبِيعُ عَنِ الشَّافِعِيِّ: لَيْسَ لِأَحَدٍ قَوْلٌ مَعَ سُنَّةٍ سَنَّهَا رَسُولُ الله ﷺ قَالَ الرَّبِيعُ: وَسَمِعْتُهُ رَوَى حَدِيثًا؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَأْخُذُ بِهَذَا يَا أَبَا عَبْدِ الله؟ فَقَالَ: مَتَى رَوَيْتُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ صَحِيحًا فَلَمْ آخُذْ بِهِ فَأُشْهِدُكُمْ أَنَّ عَقْلِي قَدْ ذَهَبَ[3].

وَتَذَاكَرَ الشَّافِعِيُّ وَإِسْحَاقُ بِمَكَّةَ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَاضِرٌ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ» فَقَالَ إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ عَنِ الْحَسَنِ (ح) وَأَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ وَعَبْدَةُ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا يَرَيَانِهِ يَعْنِي بَيْعَ رِبَاعِ مَكَّةَ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ لِبَعْضِ مَنْ عَرَفَهُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: إِسْحَاقُ بن إِبْرَاهِيمُ الْحَنْظَلِيُّ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: أَنْتَ الَّذِي يَزْعُمُ أَهْلُ خُرَاسَانَ أَنَّكَ فَقِيهُهُمْ، مَا أَحْوَجَنِي أَنْ يَكُونَ غَيْرُكَ فِي مَوْضِعِكَ، فَكُنْتُ آمُرُ بِفَرْكِ أُذُنَيْهِ، أَقُولُ قَالَ رَسُولُ الله

---

(١) أخرجه الهروي في كتابه "ذم الكلام وأهله" (٣/ ١٣) بإسنادين صحيحين.

(٢) أخرجه الهروي في كتابه "ذم الكلام وأهله" (٣٨٥)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٠٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٦)، وهو صحيح إليه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في "آداب الشّافعي ومناقبه" (ص٥٠، و٥١، و٦٩) والهروي في كتابه "ذم الكلام وأهله" (٣/ ١٧) (٣٩٠)، والصابوني في "عقيدة السلف" (ص ١٨٩) والبيهقي في "المدخل" (٢٤٩)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (٩/ ١٠٦) والذهبي في "العلو" (٢٠٢). بإسنادٍ صحيحٍ.

ﷺ وَتَقُولُ أَنْتَ: عَطَاءٌ وَطَاوُسٌ وَمَنْصُورٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَالْحَسَنِ، وَهَلْ لِأَحَدٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ قَوْلٌ[1].

وَرَوَيْنَا عَنِ الرَّبِيعِ عَنِ الشَّافِعِيِّ[2] قَالَ: لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَنْسُبُهُ عَامَّةً إِلَى عِلْمٍ أَوْ يَنْسُبُ نَفْسَهُ إِلَى عِلْمٍ يُخَالِفُ فِي أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ اتِّبَاعَ أَثَرِ رَسُولِهِ وَالتَّسْلِيمَ لِحُكْمِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ إِلَّا اتِّبَاعَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ قَوْلٌ بِكُلِّ حَالٍ إِلَّا بِكِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَأَنَّ مَا سِوَاهُمَا تَبَعٌ لَهُمَا، وَإِنَّمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْنَا وَعَلَى مَنْ قَبْلَنَا وَبَعْدَنَا قَبُولَ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِيهِ أَحَدٌ أَنَّهُ فَرْضٌ وَوَاجِبٌ قَبُولُ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدِ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ حُبَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرْضٌ بَلْ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ إِلَّا بِكَوْنِهِ أَحَبَّ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ، وَاتَّفَقُوا أَنَّ حُبَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ آثَارِهِ وَالتَّسْلِيمِ لِمَا جَاءَ بِهِ وَالْعَمَلِ عَلَى سُنَّتِهِ وَتَرْكِ مَا خَالَفَ قَوْلَهُ لِقَوْلِهِ، وَهَاتَانِ مُقَدِّمَتَانِ بُرْهَانِيَّتَانِ لَا يَحْتَاجَانِ إِلَى تَقْرِيرٍ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] قَالَ: نَزَلَتْ فِي عُلَمَاءِ السُّوءِ الَّذِينَ يُفْتُونَ النَّاسَ بِآرَائِهِمْ وَيَكْفِي فِي هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وَفَرْضُ تَحْكِيمِهِ لَمْ يَسْقُطْ بِمَوْتِهِ، بَلْ ثَابِتٌ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ ثَابِتًا فِي حَيَاتِهِ وَلَيْسَ تَحْكِيمُهُ مُخْتَصًّا بِالْعَمَلِيَّاتِ دُونَ الْعِلْمِيَّاتِ كَمَا يَقُولُهُ أَهْلُ الزَّيْغِ وَالْإِلْحَادِ.

---

(١) أخرجه الهروي في كتابه "ذم الكلام وأهله" (٣٩٢)، والبيهقي في "معرفة السنن والآثار" (٨/ ٢١٢)، بإسنادٍ صحيحٍ.

(٢) أخرجه الهروي في كتابه "ذم الكلام وأهله" (٣٩٩)، بإسنادٍ صحيحٍ.

وَقَدِ افْتَتَحَ سُبْحَانَهُ هَذَا الْخَبَرَ بِالْقَسَمِ الْمُؤَكَّدِ بِالنَّفْيِ قَبْلَهُ وَأَقْسَمَ عَلَى انْتِفَاءِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ حَتَّى يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ ﷺ فِي جَمِيعِ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ مِنْ دَقِيقِ الدِّينِ وَجَلِيلِهِ وَفُرُوعِهِ وَأُصُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ مِنْهُمْ بِهَذَا التَّحْكِيمِ حَتَّى يَنْتَفِيَ الْحَرَجُ، وَهُوَ الضِيقُ مِمَّا حَكَمَ بِهِ فَتَنْشَرِحَ صُدُورُهُمْ لِقَبُولِ حُكْمِهِ انْشِرَاحًا لَا يَبْقَى مَعَهُ حَرَجٌ ثُمَّ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا أَيْ يَنْقَادُوا انْقِيَادًا لِحُكْمِهِ.

وَاللهُ يَشْهَدُ وَرَسُولُهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ أَنَّ مَنْ قَالَ أَدِلَّةُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ، وَأَنَّ أَحَادِيثَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَخْبَارُ آحَادٍ لَا تُفِيدُ الْعِلْمَ بِمَعْزِلٍ عَنْ هَذَا التَّحْكِيمِ، وَهُوَ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] الْآيَةَ.

وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الرَّدَّ إِلَيْهِ هُوَ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَالرُّجُوعُ إِلَى سُنَّتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَاتَّفَقُوا أَنَّ فَرْضَ هَذَا الرَّدِّ لَمْ يَسْقُطْ بِمَوْتِهِ، فَإِنْ كَانَ مُتَوَاتِرُ أَخْبَارِهِ وَآحَادِهَا لَا تُفِيدُ عِلْمًا، وَلَا يَقِينًا لَمْ يَكُنْ لِلرَّدِّ إِلَيْهِ وَجْهٌ.

وَلَمَّا أَصَّلَ أَهْلُ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ هَذَا الْأَصْلَ رَدُّوا مَا تَنَازَعَ فِيهِ النَّاسُ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِلَى مَنْطِقِ الْيُونَانِ، وَخَيَالَاتِ الْأَذْهَانِ، وَوَحْيِ الشَّيْطَانِ، وَرَأْيِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَهَؤُلَاءِ يَتَنَاوَلُهُمْ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

وَالطَّاغُوتُ اسْمٌ لِكُلِّ مَا تَعَدَّى حَدَّهُ وَتَجَاوَزَ طَوْرَهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الَّذِي يَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ أَهْلُ الزَّيْغِ حَدُّهُ أَنْ يَكُونَ مَحْكُومًا عَلَيْهِ لَا حَاكِمًا.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ حَالِ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَاكِمِينَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

فَجَعَلَ الْإِعْرَاضَ عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَالِالْتِفَاتَ إِلَى غَيْرِهِ هُوَ حَقِيقَةَ النِّفَاقِ كَمَا أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ هُوَ تَحْكِيمُهُ وَارْتِفَاعُ الْحَرَجِ عَنِ الصُّدُودِ بِحُكْمِهِ وَالتَّسْلِيمُ لِمَا حَكَمَ بِهِ رِضًى وَاخْتِيَارًا وَمَحَبَّةً، فَهَذَا حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ، وَذَلِكَ الْإِعْرَاضُ حَقِيقَةُ النِّفَاقِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ عُقُوبَةِ الْمُعْرِضِينَ عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ الرَّاضِينَ بِحُكْمِ الْغَيْرِ مِنْ خَلْقِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢] فَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الْإِعْرَاضَ عَنِ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ سَبَبٌ لِأَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وَقَالَ فِي الْمُتَوَلِّينَ عَنْ حُكْمِهِ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ يَعْلَى بْنِ حَكِيمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ كَذَا وَكَذَا، فَغَضِبَ سَعِيدٌ، وَقَالَ: لَا أَرَاكَ تُعَرِّضُ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْكَ(١).

---

(١) أخرجه الدارمي (٦٣١) أخبرنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة به. وإسناده صحيح. ولم أجد الأثر عند أبي داود، وأبو داود لا يروي عن حماد مباشرة.

فَإِذَا كَانَ هَذَا إِنْكَارُهُمْ عَلَى مَنْ عَارَضَ سُنَّةَ رَسُولِ الله ﷺ بِالْقُرْآنِ فَمَاذَا تَرَاهُمْ قَائِلِينَ لِمَنْ عَارَضَهَا بِآرَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمَنْطِقِ الْمُتَفَلْسِفِينَ وَأَقْيِسَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَخَيَالَاتِ الْمُتَصَوِّفِينَ، وَسِيَاسَاتِ الْمُعْتَدِينَ؟

وَلله بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ حَيْثُ يَقُولُ: ثَلَاثٌ لَا يُقْبَلُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ: الشِّرْكُ، وَالْكُفْرُ، وَالرَّأْيُ، قُلْتُ: يَا أَبَا عُمَرَ، وَمَا الرَّأْيُ؟ قَالَ: يَتْرُكُ سُنَّةَ الله وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُ بِالرَّأْيِ.انتهى بانتقاءٍ من كلامه رحمه الله.

قال أبو عبد اللّه غفر اللّه له:

وهذا التقسيم من أصله، تقسيم الأحاديث إلى متواتر وآحاد تقسيم مبتدع؛ لم يكن في عهد الصحابة والتابعين، والقرون المفضلة، ولكن هو تقسيم اصطلاحي أخذ به عامة العلماء، وقد وجد في كلام بعض المتقدمين لفظ التواتر، يقولون: قد تواتر هذا الحديث.

وكما تقدم معنا أن هذه التقسيمات الاصطلاحية يُعمل بها ما لم تُخالف نصًّا شرعيًّا، ويتجنب مقاصد الشر التي لأهل البدع فيها، ومن ذلك قولهم: (إن الآحاد يفيد الظن) فيُخالفون في ذلك، ويقال: الأحاديث الثابتة، عن النبي ﷺ متواترها وآحادها كلها تفيد العلم، سواء أفادت العلم الضروري، أو النظري.

ولهم مدخل شرٍّ آخر، وهو: أن الآحاد لا يُحتج به في العقائد. وهذا باطل.

قال الإمام ابن القيم كمَا فِي مختصر الصواعق (ص٥٥١):

خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه...، فتارة يُجزم بكذبه؛ لقيام دليل كذبه، وتارة يُظن كذبه إذا كان دليل كذبه ظنيًّا، وتارة يتوقف فيه، فلا يُترجح صدقه، ولا

كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح صدقه، ولا يُجزم به، وتارة يُجزم بصدقه جزمًا لا يبقى معه شك، فليس خبر كل واحد يفيد العلم ولا الظن، ولا يجوز أن يُنفى عن خبر الواحد مطلقًا أنه يحصل العلم؛ فلا وجه لإقامة الدليل على أن خبر الواحد لا يفيد العلم؛ وإلا اجتمع النقيضان، بل نقول: خبر الواحد يفيد العلم في مواضع.

ثم قال رحمه الله:

فهذا الذي اعتمده نفاة العلم عن أخبار رسول الله ﷺ خرقوا به إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة، وإجماع التابعين، وإجماع أئمة الإسلام، ووافقوا به الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، والخوارج، الذين انتهكوا هذه الحرمة، وتبعهم بعض الأصوليين والفقهاء، وإلا فلا يُعرف لهم سلفٌ من الأئمة بذلك، بل صرح الأئمة بخلاف قولهم، فممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم: مالك، والشافعي، وأصحاب أبي حنيفة، وداود بن علي وأصحابه، كأبي محمد بن حزم، ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي... .اهـ

ثم نقل عن شيخ الإسلام رحمه الله: أنه ذكر أن مما يفيد العلم أيضًا إخبار شخصين، مما يدل على أن خبر الواحد، أو الاثنين قد يفيد العلم، وقد يفيد الظن، فمما يفيد العلم مع أنه خبر الواحد والاثنين ما ذكره شيخ الإسلام.

قال: كإخبار شخصين عن قصة يُعلم أنهما لم يتواطآ عليها، ويبعد في العادة الاتفاق على الكذب فيها، والخطأ وغير ذلك.

ثم قال ابن القيم رحمه الله:

قلت: أخبار الآحاد الموجبة للعلم لا تنحصر، بل يجد المُخْبَر علمًا لا يشك فيه بكثير منها، كما إذا أخبر من لم يجرب عليه كذبًا قط بخبر أنه شاهده؛ فإنه يجزم به جزمًا ضروريًّا، أو يقارب الضرورة، وكذا إذا أخبر بخبر عليه في الإخبار به ضرر فأخبر به تدينًا وخشية لله تعالى، كما إذا جاء بنفسه اختيارًا وأخبر عن نفسه بحد ارتكبه يطلب تطهيره منه بالحد، أو أقر بنفسه بحق ادُّعِي به عليه، حيث لا بينة، ولا يمين يُطلب منه، ولا مخافة تلحقه في الإنكار، أو أخبر المفتي بأمر فعله؛ ليحصل به المخرج منه، أو أخبر الطبيب بألم يطلب زواله إلى أضعاف ذلك من الأخبار التي يقطع السامع بصدق المُخبِر بها.

قال رحمه الله: فكيف ينشرح صدرًا، وينطلق لسانًا من يقول بأن خبر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود إذا قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول كذا، وكذا. أنها لا تفيد علمًا البتة، سبحانك هذا بهتان عظيم! ونحن نشهد بالله أن هؤلاء كانوا إذا خبروا عن رسول الله ﷺ بخبر جُزِم بصدقهم، ونشهد بالله أنهم كانوا إذا خبروا سواهم من الصحابة والتابعين جُزم بصدقهم، بل نشهد بالله أن سالمًا، ونافعًا، وسعيد بن المسيب، وأمثالهم بهذه المنزلة، بل مالك، والأوزاعي، والليث نحوهم كذلك؛ فلا يقع عندنا، ولا عند من عرف القوم الشك والاحتمال فيما يقول فيه مالك: سمعت نافعًا، يقول: سمعت ابن عمر، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول. ونحن قاطعون بخطأ منازعينا في ذلك.اهـ

والخلاصة: أن خبر الواحد كلٌّ بحسبه، بحسب القرائن، بحسب المتكلم، قد يفيد العلم، وقد يفيد غيره، وبالنسبة للأخبار النبوية كل ما ثبت فهو صحيح؛ وهو يفيد العلم.

والقول بأن الآحاد لا يفيد العلم، وإنما يفيد الظن فقط، هو مذهب جماعة من الأشاعرة، والمعتزلة، وتبعهم على ذلك جماعة من العلماء من أهل السنة.

وقد رد شيخ الإسلام، وابن القيم رحمة الله عليهما، هذا القول بكلام كثير بينا فيه أن خبر الآحاد ليس بصحيح أنه إنما يفيد الظن، بل يفيد العلم، وأن أخبار النبي ﷺ الثابتة كلها تفيد العلم.

وابن القيم رحمه الله له تحقيق طويل لهذه المسألة كَمَا فِي "مختصر الصواعق المرسلة" نقل هذا القول عن جمهور العلماء من المحدثين، كالإمام أحمد، ومالك، والشافعي، وغيرهم، نقل نقولات عنهم تدل على أنهم يقولون بهذا القول، بأنه يفيد العلم.

ومعنى يفيد العلم: أن ما ثبت عن النبي ﷺ، ولم يُضعف؛ فهو مما يفيد العلم، فنعلم يقينًا أن النبي ﷺ قاله، ونبني عليه الأحكام الشرعية.

ومعنى يفيد غلبة الظن: أنه يغلب على ظننا أن النبي ﷺ قاله.

وبعض العلماء من أهل السنة الذين قالوا: لا يفيد إلا الظن. قالوا: قد يفيد العلم بالقرائن، أي: إننا نتيقن أن النبي ﷺ قاله بقرائن أخرى، كأن يكون الحديث في الصحيحين وقد تُلقي الصحيحان بالقبول، أو قد يكون رواه أئمة حُفاظ مثل: مالك، عن نافع، عن ابن عمر؛ فهذه قرينة تفيد العلم أيضًا، أو قد يكون استفاض

من عدة طُرق، كخمس طرق، أو ست طرق جعلتنا نقول: هذا الحديث مع كونه من الآحاد فهو يفيد العلم.

وسموه علمًا نظريًّا، هو العلم الذي نتج عن نظر واستدلال، فقالوا: هذه القرائن هي الأدلة التي جعلتنا نجزم بالعلم، بعكس المتواتر الذي رواه جمع كثير يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب؛ فهو يفيد العلم ضرورة. فسموه علمًا ضروريًّا؛ لأنه لا يحتاج إلى نظر واستدلال.

والصحيح أن أخبار الآحاد الثابتة عن النبي ﷺ التي لم يعلها الحفاظ، ولم ينتقدها أحد كلها تفيد العلم، وليست القرائن محصورة بالقرائن التي ذكرها الحافظ في "نزهة النظر" وهي التي أشرنا إليها من كونه إما أن يكون في الصحيحين، أو يكون مسلسلًا بالحفاظ، أو يستفيض من عدة طرق.

هناك قرينة أعظم من ذلك كله، وهي قول الله عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩]، فالله عز وجل وعد بحفظ دينه؛ فكون الحديث يصلنا من ذلك الزمن إلى يومنا هذا، ولم يتكلم عليه أحد من الحفاظ قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل؛ فهذه من أكبر القرائن على أن هذا الحديث يفيد العلم.

مع أننا لا نقول: إن خبر الواحد يفيد العلم؛ لأن أصل خبر الواحد أنه يفيد الظن، فلو جاء إليك شخص وأخبرك بخبر، فأنت يغلب على ظنك أنه صادق، ولا ينفي عدم صحة الخبر؛ لاحتمال أن يكون أخطأ، واحتمال أنه حصلت له معصية الكذب، مع أن الظاهر عليه العدالة.

فمع وجود هذه الاحتمالات تجعل عندك غلبة ظن بصحة هذا الخبر؛ ولذلك النبي ﷺ قال كَمَا فِي "الصحيحين" عن أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «**إنما أقضي بنحو ما أسمع؛ فمن قضيت له بحق أخيه؛ فإنما أقطع له قطعة من النار؛ فليحملها أو يذرها**»(١)، دل على أن الأصل أن خبر الواحد، أو خبر الآحاد إنما يفيد غلبة الظن، ولكن معنا قرينة عظيمة وهي حفظ الدين ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩].

إذن أحاديث النبي ﷺ الثابتة كلها، التي ثبتت بالأسانيد الصحيحة، ولم يعلها الحفاظ، ولم يتكلموا عليها، تفيد العلم.

وحديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...**» له طريق واحدة، رواه عمر عن النبي ﷺ، وعنه علقمة، وعنه محمد بن إبراهيم، وعنه يحيى بن سعيد، ومع ذلك نجزم بأن النبي ﷺ قال ذلك؛ لصحة الحديث، وأحاديث كثيرة جاءت من طريق واحدة، ولم يتكلم عليها الحفاظ؛ فنجزم بصحتها، ومن حيث العمل أيضًا يُعمل بها بلا شك، سواء كان ذلك في الأحكام، أو في العقائد؛ خلافًا للمعتزلة الذين قالوا: يعمل بها في الأحكام، وأما العقيدة فلا يُبنى عليها حكم. وهذا قول باطل.

والأشاعرة الذين جعلوها تفيد الظن هم مع ذلك يقولون: يستدل بها حتى في العقائد، والقول بأنه لا يعمل بها في العقائد قول مبتدع. فخالفوا المعتزلة في ذلك، وهذا القول قول مبتدع كما قالوا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣).

وقد رد العلماء على المعتزلة، وأكثروا من ذلك، فالنبي ﷺ هو آحاد، وجاء بالرسالة كلها، ودعا الناس إلى التوحيد، وبعث رسله إلى الناس آحادًا، بعث معاذ بن جبل، وأبا موسى إلى اليمن، وبعث علي بن أبي طالب إلى اليمن في جهة أخرى، وبعث أبا عبيدة إلى نجران، وبعث ناسًا إلى أماكن متعددة وكانوا آحادًا.

ومع ذلك دعوا إلى العقيدة والتوحيد كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال لمعاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**إنك تأتي قوما من أهل الكتابِ؛ فادْعهم إلى شهادة أن لا إله إلا اللهُ، وأنِّي رسولُ الله؛ فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنَّ اللهَ افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ؛ فإنْ هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنَّ اللهَ افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائِهِمْ فتُرَدُّ في فقرائِهِمْ؛ فإن هم أطاعوا لذلك فإيَّاكَ وكرائِمَ أموالِهِمْ، واتَّقِ دعوة المظلوم؛ فإنَّهُ ليس بينها وبين اللهِ حجابٌ**»، وقبلت هذه الشرائع التي أُرسل بها معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، مع أنه واحد.

وكذلك الذي مر بأهل قباء وهم يصلون إلى بيت المقدس، قال: أشهد بالله لقد نزل على النبي ﷺ قرآن وأُمر أن يستقبل الكعبة، فداروا كما هم أثناء الصلاة.

فيُعمل بأخبار الآحاد بلا شك، ومن ردها فهو مبتدع، وهذا التقسيم عبارة عن سُلَّم لرد الأحاديث، وتقديم هوى العقول على النقول.اهـ

خامسها: قول المبتدعة: إن آيات وأحاديث الصفات لا يعقل معانيها:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي درء تعارض العقل والنقل (١/٢٠٤ -):

وأما علي قول أكابرهم: إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة لا يعلمه إلا الله، وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها ـ فعلي قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه، وكذلك نصوص المثبتين للقدر عند طائفة، والنصوص المثبتة للأمر والنهي والوعد والوعيد عند طائفة، والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة.

ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدًى وبيانًا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه، ـ وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقًا لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهي، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر ـ لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين.

وعلي هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به.

فيبقي هذا الكلام سدًا لباب الهدي والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدي والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون: فضلًا عن أن يبينوا

مرادهم. فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد.

فإن قيل: أنتم تعلمون أن كثيرًا من السلف رأوا أن الوقف عند قوله ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران: ٦]، بل كثير من الناس يقول: هذا هو قول السلف، ونقلوا هذا القول عن أبي بن كعب[١]، وابن مسعود[٢]، وعائشة[٣]، وابن عباس[٤]، وعروة بن الزبير وغير واحد من السلف والخلف، وإن كان القول الآخر ـ وهو أن السلف

---

(١) ذكره البغوي وابن الجوزي في التفسير بدون إسناد.

(٢) ذكره ابن الجوزي في التفسير بدون إسناد.

(٣) **صحيح**: قال ابن جرير الطبري في تفسير سورة آل عمران الآية (رقم ٨): حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا خالد بن نزار، عن نافع، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قوله: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾، قالت: كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه، ولم يعلموا تأويله. إسناده حسن رجاله ثقات؛ إلا خالد بن نزار؛ فإنه حسن الحديث.

وأخرجه ابن المنذر في تفسير سورة آل عمران الآية (رقم ٨):

حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيُّ أَبُو سُلَيْمَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَرَأَتْ عَائِشَةُ هَؤُلاءِ الآيَاتِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إِلَى قوله: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قالت: آمنوا بمحكمة، ومتشابهة، وَلا يعلمونه. وهذا إسناد صحيح، وموسى هو ابن هارون.

(٤) **صحيح**: قال ابن جرير الطبري في تفسير سورة آل عمران الآية (رقم ٨): حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: كان ابن عباس يقول: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ويقول الراسخون في العلم آمنا به. إسناده صحيح، رجاله ثقات.

يعلمون تأويله ـ منقولًا عن ابن عباس أيضًا[1]، وهو قول مجاهد، ومحمد بن جعفر، وابن إسحاق، وابن قتيبة، وغيرهم، وما ذكرتموه قدح في أولئك السلف وأتباعهم.

قيل: ليس الأمر كذلك، فإن أولئك السلف الذين قالوا: لا يعلم تأويله إلا الله كانوا يتكلمون بلغتهم المعروفة بينهم، ولم يكن لفظ التأويل عندهم يراد به معني التأويل الاصطلاحي الخاص، وهو صرف اللفظ عن المعني المدلول عليه المفهوم منه إلي معني يخالف ذلك، فإن تسمية هذا المعني وحده تأويلا إنما هو اصطلاح طائفة من المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين وغيرهم، ليس هو عرف السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم، لاسيما ومن يقول، إن لفظ التأويل هذا معناه يقول: إنه يحمل اللفظ علي المعني المرجوح؛ لدليل يقترن به، وهؤلاء يقولون: هذا المعني المرجوح لا يعلمه أحد من الخلق، والمعني الراجح لم يرده الله.

وإنما كان لفظ التأويل في عرف السلف يراد به ما أراده الله بلفظ التأويل في مثل قوله تعالي ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد

---

(١) **صحيح**: قال ابن جرير الطبري في تفسير سورة آل عمران الآية (رقم ٨): حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله.

إسناده صحيح، رجاله ثقات، وعيسى هو ابن ميمون الجرشي، وأبو عاصم هو الضحاك بن مخلد، ومحمد بن عمرو هو ابن عباد بن جبلة.

وقال ابن المنذر في تفسير سورة آل عمران الآية (رقم ٨):

حَدَّثَنَا عَلانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ﴾، يَعْنِي: تَأْوِيلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ﴾ قَالَ: جَزَاءَهُ، وَثَوَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وهو صحيح عنه بمجموع الطريقين.

جاءت رسل ربنا بالحق﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال تعالى ﴿ذلك خير وأحسن تأويلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال يوسف ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقال يعقوب له ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ [يوسف: ٦]، ﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله﴾ [يوسف: ٤٥]، وقال يوسف ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾ [يوسف: ٣٧] .

فتأويل الكلام الطلبي: الأمر والنهي، وهو نفس فعل المأمور به، وترك المنهي عنه، كما قال سفيان بن عيينة: السنة تأويل الأمر والنهي. وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**»[1]، يتأول القرآن، وقيل لعروة بن الزبير: فما بال عائشة كانت تصلي في السفر أربعًا؟ قال: تأولت كما تأول عثمان[2]، ونظائره متعددة.

وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر؛ فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، وذلك في حق الله: هو كنه ذاته، وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف يقولون: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن علمنا تفسيره ومعناه.

---

(١) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩٠)، ومسلم (٦٨٥).

ولهذا رد أحمد بن حنبل علي الجهمية والزنادقة فيما طعنوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه علي غير تأويله، فرد علي من حمله علي غير ما أريد به، وفسر هو جميع الآيات المتشابهة، وبين المراد بها.

وكذلك الصحابة والتابعون فسروا جميع القرآن، وكانوا يقولون: إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به، وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وكذلك لا يعلمون كيفية الغيب، فإن ما أعده الله لأوليائه من النعيم لا عين رأته، ولا أذن سمعته، ولا خطر علي قلب بشر، فذاك الذي أخبر به لا يعلمه إلا الله، فمن قال من السلف إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله بهذا المعني، فهذا حق.

وأما من قال: إن التأويل الذي هو تفسيره، وبيان المراد به لا يعلمه إلا الله، فهذا ينازعه فيه عامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله، وقالوا: إنهم يعلمون معناه.

كما قال مجاهد: عرضت المصحف علي ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها[١].

وقال ابن مسعود: ما في كتاب الله آية، إلا وأنا أعلم فيم أنزلت[٢].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٥٩)، وابن جرير (١/ ٨٥)، والدارمي (١١٦) من طرق عن مُحَمَّد بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا». وهذا إسناد حسن؛ إن سلم من تدليس ابن إسحاق؛ فقد عنعن.

ولكن أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٥٩) من وجه آخر، فقال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ ، عَن شِبْلٍ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَن مُجَاهِدٍ ، قَالَ : عَرَضْت الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلاثَ عَرْضَاتٍ. وهذا إسناد صحيح. وشبل هو ابن شبل بن عباد المكي القارىء، وهو ثقة.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٠٢)، ومسلم برقم (٢٤٦٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الحسن البصري: ما أنزل الله آية، إلا وهو يحب أن يعلم ما أراد بها.

ولهذا كانوا يجعلون القرآن يحيط بكل ما يطلب من علم الدين، كما قال مسروق: ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه[1].

وقال الشعبي: ما ابتدع قوم بدعة إلا في كتاب الله بيانها.

وأمثال ذلك من الآثار الكثيرة المذكورة بالأسانيد الثابتة، مما ليس هذا موضع بسطه.اهـ

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص٩٦): حَدَّثَنِي أَبُو نُعَيْمٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ، عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، قَالَ: «مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ عِلْمُنَا قَصَّرَ عَنْهُ». وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله رجال الشيخين.

وأخرجه الخطيب في الفقية والمتفقه (١/ ١٩٧) من طريق علي بن عبد العزيز البغوي، عن أبي نعيم به.

ذِكْرُ بَعْضِ الأَحَادِيْثِ الوارِدَةِ فِي الصِّفَاتِ

٦١) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَ السَمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائة عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَبَيْنَ الماء مسيرة خمسمائة عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الـمَاءِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ».

أَخْرَجَهُ البيهقي في الأسماء والصفات (٨٥١) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة الاستواء لله عز وجل:

قوله ﷺ «وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ العَرْشِ» فيه دليل على صفة استواء الله على العرش.

ويدل على هذه الصفة قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ طَه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ: فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ الفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾.

وهذه الصفة (الاستواء على العرش) صفة تليق بجلال الله، لا تماثل صفات الله المخلوقين، ولا تقتضي حاجة الله عز وجل إلى العرش، بل العرش وسائر المخلوقات لا تقوم إلا بإقامة الله الحي القيوم لها، قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾؛ فليس في إثبات هذه الصفة حاجته سبحانه أو افتقاره إلى عرشه، فهو الغني عما سواه، وكلٌ إليه محتاج فقير. والله أعلم.

قال الإمام أبو نصر السجزي رحمه الله في كتاب الابانة كمَا فِي السير (١٧/٦٥٦):

وأئمتنا كسفيان، ومالك، والحمادين، وابن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش، وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كمَا فِي مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٢/١٨٨):

وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُكَفِّرُونَ مَنْ يَقُولُ: إنَّ السَّمَوَاتِ تُقِلُّهُ أَوْ تُظِلُّهُ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ احْتِيَاجِهِ إلَى مَخْلُوقَاتِهِ فَمَنْ قَالَ: إنَّهُ فِي اسْتِوَائِهِ عَلَى العَرْشِ مُحْتَاجٌ إلَى العَرْشِ كَاحْتِيَاجِ الْمَحْمُولِ إلَى حَامِلِهِ فَإِنَّهُ كَافِرٌ ؟ لِأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ العَالَمِينَ حَيٌّ قَيُّومٌ هُوَ الْغَنِيُّ الْمُطْلَقُ، وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إلَيْهِ مَعَ أَنَّ أَصْلَ الِاسْتِوَاءِ عَلَى العَرْشِ: ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّةِ السُّنَّةِ، بَلْ هُوَ ثَابِتٌ فِي كُلِّ كِتَابٍ أُنْزِلَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ.اهـ

وأهل السنة يثبتون هذه الصفة بدون تكييف لها؛ فإنه لا يعلم أحد كيفية صفات الله سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾.

قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/١١٦):

قَالَ أهل السّنة: خلق الله السَّمَوَات وَالْأَرْض، وَكَانَ عَرْشه عَلَى المَاء مخلوقا قبل خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض. ثمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْش بعد خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض عَلَى مَا ورد بِهِ النَّص.

وَلَيْسَ مَعْنَاهُ المماسة، بل هُوَ مستو عَلَى عَرْشه بِلَا كَيفَ، كَمَا أخبر عَن نَفسه.

وَزعم هَؤُلَاءِ: أَنه لَا يجوز الْإِشَارَة إِلَى الله سُبْحَانَهُ بالرؤوس والأصابع إِلَى فَوق، فَإِن ذَلِك يُوجب التَّحْدِيد.

وَقد أجمع الْمُسلمُونَ أَن الله هُوَ الْعلي الْأَعْلَى، ونطق بذلك الْقُرْآن فِي قَوْله: ﴿سَبِّحِ اسْم رَبك الْأَعْلَى﴾

وَزَعَمُوا: أَن ذَلِك بِمَعْنى علو الْغَلَبَة لَا علو الذَّات. وَعند الْمُسلمين أَن الله عز وَجل علو الْغَلَبَة. والعلو من سَائِر وُجُوه الْعُلُوّ لِأَن الْعُلُوّ صفة مدح، فَثَبت أَن لله تَعَالَى علو الذَّات، وعلو الصِّفَات، وعلو الْقَهْر وَالْغَلَبَة.

وَفِي مَنعهم الْإِشَارَة إِلَى الله سُبْحَانَهُ من جِهَة الفوق خلاف مِنْهُم لسَائِر الْملَل. لِأَن جَمَاهِير الْمُسلمين، وَسَائِر الْملَل قد وَقع مِنْهُم الْإِجْمَاع عَلَى الْإِشَارَة إِلَى الله جلّ ثَنَاؤُهُ من جِهَة الفوق فِي الدُّعَاء، وَالسُّؤَال. فاتفاقهم بأجمعهم عَلَى ذَلِك حجَّة. وَلم يستجز أحد الْإِشَارَة إِلَيْهِ من جِهَة الْأَسْفَل، وَلَا من سَائِر الْجِهَات سوى جِهَة الفوق.

وَقَالَ الله تعال: ﴿يخَافُونَ رَبهم من فَوْقهم﴾. وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يرفعهُ﴾ . وَقَالَ: ﴿تعرج الْمَلَائِكَة وَالروح إِلَيْهِ﴾، وَأخْبر عَن فِرْعَوْن

أَنه قَالَ: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَات فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ فَكَانَ فِرْعَوْن قد فهم عَن مُوسَى أَنه يثبت إِلَهًا فَوق السَّمَاء حَتَّى رام بصرحه أَن يطلع إِلَيْهِ، وأتهم مُوسَى بِالْكَذِبِ فِي ذَلِكَ. والجهمية لَا تعلم أَن الله فَوْقه بِوُجُود ذَاته، فهم أعجز فهما من فِرْعَوْن.

وَقد صَحَّ عَن النَّبِي - ﷺ - أَنه سَأَلَ الْجَارِيَة الَّتِي أَرَادَ مَوْلَاهَا عتقهَا. أَيْن الله؟ قَالَت: فِي السَّمَاء، وأشارت برأسها. وَقَالَ: من أنا؟ فَقَالَت: أَنْت رَسُول الله. فَقَالَ: اعتقها فَإِنَّهَا مُؤمنَة[1].

فَحكم النَّبِي - ﷺ - بإيمانها حِين قَالَت: إِن الله فِي السَّمَاء وتحكم الْجَهْمِية بِكفْر من يَقُول ذَلِكَ.اهـ

وأخرج ابن بطة (١٢١) واللالكائي (٣/ ٣٩٨) والذهبي في العلو (٣٢٢)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١١٤) من طرق عن يحيى بن آدم، عن ابن عيينة قال: سئل ربيعة عن قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق.

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦) بإسناد صحيح عن عبد الله بن وهب، قال: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل، فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرحضاء، ثم رفع

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رأسه فقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه. قال: فأخرج الرجل.

وأخرج البيهقي في الاعتقاد (ص١١٦)، وفي الأسماء والصفات (٨٦٧) والذهبي في العلو (٣٤٤) وغيرهم، من طريق يحيى بن يحيى، قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا. فأمر به أن يخرج.اهـ

ومعنى الاستواء عند أهل السنة والجماعة: العلو والارتفاع على العرش.

وقد عبر العلماء على هذا المعنى بأربع عبارات: العلو، والارتفاع، والصعود، والاستقرار.

قال ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي النونية:

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ *** قَدْ حُصِّلَتْ للفَارِسِ الطَّعَّانِ

وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ *** تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ *** وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي

يَخْتَارُ هَذَا القَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ *** أَدْرَى مِنَ الجَهْمِيِّ بِالقُرْآنِ

تفسير الاستواء على العرش بالاستقرار:

أنكر بعض العلماء تفسير الاستواء بـ(الاستقرار)، وقالوا: إن الاستقرار يتضمن معنى زائدًا على مجرد العلو والارتفاع.

وممن ذكر ذلك الإمام الألباني رحمه الله كَمَا فِي "مقدمة مختصر العلو"، ونقله عن الإمام الذهبي رحمه الله. انظر مختصر العلو (ص١٠، ٦٢، ٢٠٢).

قلت: والأئمة الذين فسروا الاستواء بالاستقرار؛ لم يقصدوا إثبات معنى زائد على العلو والارتفاع.

وقد فسره بهذا التفسير جمع من الأئمة كَمَا فِي كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم رحمه الله (ص٢٠٨، و٣٠١):

قال ابن عبد البر: والاستواءُ: الاستقرارُ في العلو، وبهذا خاطبنا الله تعالى في كتابه فقال: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

قال الإمام محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه:

قال في تفسيره - الذي هو شجًى في حلوق الجهمية والمعطلة - في سورة الأعراف- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد.

قال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول كَمَا فِي بيان تلبيس الجهمية (٦/٤٠١):

فإن قيل: فقد منعتم من التأويل، وعددتموه من الأباطيل، فما قولكم في تأويل السلف، وما وجهه نحو ما يروى عن ابن عباس في معنى (اسْتَوَى) أي (استقر) وما رويتم عن سفيان في قوله تعالى (وَهُوَ مَعَكُمْ) قال: علمه.

فالجواب: قلنا لعلتين لا ثالث لهما على أن الجواب عن السؤال أن يقال: إن كان السلف صحابيًّا فتأويله مقبول متبع؛ لأنه شاهد الوحي والتنزيل، وعرف التفسير والتأويل وابن عباس من علماء الصحابة، وكانوا يرجعون إليه في علم التأويل، وقد دعا له رسول الله ﷺ بمعرفة التأويل، وكان رديفًا له، فقال: «**اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين**».

وإذا تقرر أن تأويل الصحابة مقبول؛ فتأويل ابن عباس أولى بالاتباع والقبول فإنه البحر العباب، وبالتأويل أعلم الأصحاب، فإذا صح عنه تأويل الاستواء بالاستقرار وضعنا له الحد بالإيمان والتصديق، وعرفنا من الاستقرار ما عرفناه من الاستواء، وقلنا: إنه ليس باستقرار يتعقب تعبًا واضطرابًا، بل هو كيف شاء، وكما يشاء، والكيف فيه مجهول، والإيمان به واجب، كما نقول في الاستواء سواءً.

فأما إذا لم يكن السلف صحابيًّا نظرنا في تأويله فإن تابعه عليه الأئمة المشهورون من نقله الحديث والسنة ووافقه الثقات الأثبات تابعناه وقبلناه ووافقناه؛ فإنه وإن لم يكن إجماعًا حقيقة إلا أن فيه مشابهة الإجماع؛ إذ هو سبيل المؤمنين، وتوافق المتفقين الذين لا يجتمعون على الضلالة، ولأن الأئمة لو لم يعلموا أن ذلك عن الرسول والصحابة لم يتابعوه عليه، فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة؛ فغير مقبول وإن صدر ذلك التأويل عن إمام معروف غير مجهول.اهـ

قال أبو عبد الله غفر الله له: الأثر عن ابن عباس واهي، أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٧٣): من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس... فذكره. ومحمد بن مروان السدي، ومحمد بن السائب الكلبي

كلاهما متروك. وأبو صالح باذام ضعيف، وقال ابن حبان: لم يسمع من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إنكار المعطلة لصفة الاستواء:

وقد أنكر المبتدعة من الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والأشاعرة هذه الصفة من صفات مولانا جل وعلا، وقالوا: استوى بمعنى: استولى. واستدلوا بقول الأخطل:

قد استوى بشر على العراق *** من غير سيف أو دم مهراق

وقد ردّ عليهم أهل السنة في تحريفهم هذا بأجوبة:

١) قال ابن الأعرابي: لا تعرف العرب ذلك يعني أنَّ استوى بمعنى استولى.

٢) أنَّ تفسير استوى بـاستولى يلزم منه أن يكون لله مضاد، ثم استولى عليه بقهر منه، وهذا مُنْتَفٍ عن الله.

٣) أن ملك الله ليس خاصًّا بالعرش، بل على جميع ملكه.

٤) أن الاستيلاء يأتي بعد عجز، وعدم تمكن وقدرة، وعدم سيطرة، والله لم يزل ولا يزال هو المسيطر والمهيمن الغالب القاهر.

٥) قيل: إن البيت محرف وصوابه: (بشر قد استولى على العراق)[1].

---

(١) انظر: "مختصر الصواعق" (ص٣٠٦-٣٢٢)، "مجموع الفتاوى" (١٦/ ٤٠٣)، "الفتح" (١٣/ ٤١٧).

معاني الاستواء في القرآن:

قال ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص١٥ -١٦):

إن الاستواء المعدَّى بأداة (على) ليس له إلا معنى واحد. وأما الاستواء المطلق فله عدة معان فإن العرب تقول: استوى كذا. انتهى وكمل، ومنه قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾[القصص:١٤]، وتقول: استوى وكذا إذا ساواه، نحو قولهم: استوى الماء والخشبة، واستوى الليل والنهار، ونقول: استوى إلى كذا. إذا قصد إليه علوا وارتفاعًا، نحو استوى إلى السطح والجبل، واستوى على كذا: أي ارتفع عليه وعلا عليه. ولا تعرفُ العرب غيرَ هذا.اهـ

قال ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي "النونية":

تَرْكِيْبُهُ مَعَ حَرْفِ الاسْتِعْلَاءِ نَصْـ *** صٌ فِي العُلُوِّ بِوَضْعِ كُلِّ لِسَانِ

فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعْ (إِلَى) فَالْقَصْدُ مَعْ *** مَعْنَى العُلُوِّ لِوَضْعِهِ بِبَيَانِ

وَإِلَى السَّمَـاءِ قَدِ اسْتَوَى فَمُقَيَّدٌ *** بِتَمَـامِ صَنْعَتِهَا مَعَ الإِتْقَانِ

لَكِنْ ﴿عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ هُوَ مُطْلَقٌ *** مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تَمَّ بِالأَرْكَانِ

لَكِنَّمَـا الجَهْمِيُّ يَقْصُرُ فَهْمُهُ *** عَنْ ذَا فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الـمَنَّانِ

فَإِذَا اقْتَضَى وَاوَ الـمَعِيَّةِ كَانَ مَعْـ *** ـنَاهُ اسْتِوَاه مُقَدَّمٌ وَالثَّانِي

فَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعْـ *** ـنَاهُ الكَمَـالَ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانِ.

٦٢) وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ الحَكَمِ السُّلَمِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رسول الله ﷺ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلاَ أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**». فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ «**مَنْ أَنَا؟**». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله. قَالَ «**اعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[١].

٦٣) وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَلاَ تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؛ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**»[٢]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فِي ضِمْنِ حَدِيْثٍ طَوِيْلٍ.

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة العلو لربنا جل وعلا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/١٢):

فَهَذَا كِتَابُ الله مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ عَامَّةُ كَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ثُمَّ كَلَامُ سَائِرِ الأَئِمَّةِ: مَمْلُوءٌ بِمَا هُوَ إِمَّا نَصٌّ وَإِمَّا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ العَلِيُّ الأَعْلَى وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّهُ فَوْقَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

العَرْشِ وَأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ: مِثْلُ قَوْله تَعَالَى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ ﴿تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ يُحْصَى إِلَّا بِكُلْفَةٍ.

وَفِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ مَا لَا يُحْصَى إِلَّا بِالْكُلْفَةِ مِثْلَ قِصَّةِ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ وَنُزُولِ المَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَصُعُودِهَا إِلَيْهِ؛ وَقَوْلِهِ فِي المَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: فَيَخْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ إِلَى رَبِّهِمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ. وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الخَوَارِجِ: «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**».

وَفِي حَدِيثِ الرُّقْيَةِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَغَيْرُهُ «**رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ**» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَوْ اشْتَكَى أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ: رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**» وَذَكَرَهُ[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي (١٠٨١٠) من طريق زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء. =

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الأَوْعَالِ «**وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**» رَوَاهُ أَحْمَد وَأَبُو دَاوُد وَغَيْرُهُمَا[1].

وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ لِلْجَارِيَةِ: «**أَيْنَ اللهُ ؟ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ: مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[2].

وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ مَوْضُوعٍ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»[3].

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ قَبْضِ الرُّوحِ «**حَتَّى يَعْرُجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ تَعَالَى**»[4].

وَقَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ الَّذِي أَنْشَدَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَقَرَّهُ عَلَيْهِ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ** وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَا

وَأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ ** وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا[1].

= وهذا إسنادٌ ضعيفٌ منكر؛ في إسناده محمد بن زيادة الأنصاري، وهو منكر الحديث. كما قال البخاري، والنسائي، و أبو حاتم.

وأخرجه أحمد (٢٣٩٥٧)، من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف، يرويه عن أشياخ له عن فضالة، وهم مبهمون.

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣) من طريق سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ عبد الله بن عميرة مجهول. والأحنف بن قيس لم يسمع من العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣١٩٤)، ومسلم برقم (٢٧٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٨٧٦٩)، وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد صحيح.

=(١) **ضعيف**. أصل ذكر هذه الأبيات أن ابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر عنه أنه واقع جاريته، فغارت امرأته، وفي بعض الطرق أنها أخذت شفرة، فجاحدها أنه حصل منه شيء، فقالت: اقرأ علي قرآنا. -تعني أنه لا يقرأ وهو جنب- فقرأ هذه الأبيات، موهمًا لها أنه قرأ قرآنا، فقالت: آمنت بالله، وكذبت البصر. أو نحو ذلك.

أخرج هذه القصة محمد بن العباس اليزيدي في "أماليه" (٥٧)، ومن طريقه ابن عساكر (٢٨/ ١١٢)، والذهبي في "السير" (١/ ٢٣٧-)، عن محمد بن حرب، عن محمد بن عباد، عن عبدالعزيز بن أخي الماجشون، قال: بلغنا أنه كانت لعبدالله بن رواحة...، فذكر القصة. وهذا إسناد معضل؛ لأن عبدالعزيز الماجشون من أتباع التابعين.

وأخرجها أبو الطاهر المخلص في "فوائده"، ومن طريقه ابن عساكر (٢٨/ ١١٤)، والسُّبْكي في "الطبقات" (١/ ٢٦٤)، من طريق الزبير بن بكار، حدثني موسى بن جعفر بن أبي كثير، حدثني عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، عن الثقة...، وذكر نحوها. وما زالت القصة ضعيفة، فمع انقطاعها فيها رجل مبهم.

وللقصة طريق أخرى: أخرجها ابن أبي الدنيا في كتابه "العيال" رقم (٥٧٢) كما في "الموسوعة" (٨/ ١٢٨)، ومن طريقه ابن عساكر (٢٨/ ١١٤) بإسناد حسن عن يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهاد...، فذكر القصة. وهذا معضل؛ فإنَّ ابن الهاد لم يسمع من أحد من الصحابة، فكيف بروايته لقصة حدثت في عهد النبي ﷺ قبل استشهاد عبدالله بن رواحة؟!!.

ولها طريق أخرى عند ابن عساكر (٢٨/ ١١٥) من طريق الهيثم بن عدي...، فذكر القصة. وإسناده تالف؛ فالهيثم بن عدي من أتباع التابعين، وهو مع ذلك كذبه ابن معين، وقال أبو حاتم: متروك الحديث. انظر "الجرح والتعديل" (٩/ ٨٥).

وأخرجها الدارمي في "الرد على الجهمية" (٢١-٢٢): حدثنا سعيد بن أبي مريم، أنبأنا يحيى بن أيوب، حدثني عمارة بن غزية، عن قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب...، فذكر القصة مرسلة.

وجاءت القصة من وجه آخر بذكر أبيات أخرى وهي:

شهـدت بـإذن الله أن مـحـمدًا ... رسول الذي فوق السماوات من علُ

أخرجها ابن أبي شيبة (٨/ ٥٠٩)، وابن أبي الدنيا في "العيال" (٥٧٣)، ومن طريقه ابن عساكر (٢٨/ ١١٣)، من طريق أسامة بن زيد الليثي، عن نافع، وذكر القصة، وهذا مرسل.

وجاءت القصة من وجه آخر بذكر أبيات أخرى، وهي:

وفينا رسـول الله يتلـو كتابـــه ... كمـا لاح مشهور من الفجر ساطــع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنــا ... بـــه موقنات أن ما قــال واقـــع

يبيت يجافي جنبه عن فراشـــه ... إذا استثقلت بالـمشركين الـمضاجع =

وَقَوْلُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ الَّذِي أَنْشَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ شِعْرِهِ فَاسْتَحْسَنَهُ، وَقَالَ: آمَنَ شِعْرُهُ، وَكَفَرَ قَلْبُهُ حَيْثُ قَالَ:

مَجِّدُوا اللهَ فَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ * * رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا

بِالْبِنَاءِ الأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ * * وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا

= وهذه الأبيات ثابتة بدون ذكر القصة كما في "البخاري" (١١٥٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والقصة بهذه الأبيات أخرجها الدارقطني (١/ ١٢٠)، وابن عساكر (٢٨/ ١١٦)، من طريق زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة مولى ابن عباس، فذكر القصة، وهو مع إرساله فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف.

وأخرجها ابن أبي الدنيا في "العيال" (٥٧١)، عن محمد بن بكار، عن حفص بن عمر، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن الشعبي مرسلًا.

والخلاصة: أنَّ الأبيات التي ذكرها المؤلف رحمه الله لا تثبت؛ لأن الأسانيد إليها شديدة الضعف، وهل تثبت القصة بالمراسيل الأربعة الأخيرة؟ أعني مرسل قدامة، ونافع، والشعبي، وعكرمة. هذا هو أحسن ما ورد في الباب، ولكن قد وجد اختلاف في ذكر الأبيات بين مرسل نافع والمرسلين الآخرين، فهذا يجعل في القلب شيئًا من ثبوتها، مع أنه يبعد أن المرأة العربية لا تميز بين الشعر، والقرآن، ويبعد أيضًا أن عبدالله بن رواحة يقرأ شعرًا موهمًا أنه قرآن.

ومن هذا البحث تعلم أن قول ابن عبد البر في "الاستيعاب": رويناها من وجوه صحاح.اهـ غير صحيح؛ ولذلك تعقبه الذهبي بقوله: روي من وجوه مرسلة. ثم ذكر مرسل قدامة الحاطبي.

تنبيه: من قوَّى القصة المتقدمة من العلماء؛ فإنهم يقولون: إن عبدالله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما عرَّض بالنفي تعريضًا، ولم يخبرها أنه سيقرأ قرآنًا، وإنما طلبت هي ذلك، فأوهمها بالقراءة. وبالله التوفيق.

تنبيه آخر: ليس في جميع هذه الطرق ذكر النبي ﷺ، وإقراره وضحكه، وإنما جاء ذلك في طريق الماجشون، والشعبي، وعكرمة، والهيثم بن عدي، دون بقية الطرق.

شَرْجَعًا مَا يَنَالُهُ بَصَرُ العَيْـ ** ـنِ تُرَى دُونَهُ المَلَائِكُ صُوَرًا[(١)]

وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الَّذِي فِي المُسْنَدِ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[(٢)].

---

(١) ذكره ابن قتيبة في "الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة" (ص٤٨)، وابن قدامة في "إثبات صفة العلو" (ص١٤٧)، والذهبي في "العلو" (٨٥)، وقال: إسناده منقطع.

قال ابن كثير رحمه الله في "السيرة النبوية" (ص١٣٩) وَرُوِيَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُنْشِدُ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ... فذكره.

(٢) **الراجح وقفه على سلمان، والمرفوع ضعيف**. أخرجه أبوداود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والحاكم (١/ ٤٩٧)، وأخرجه أيضًا أحمد (٥/ ٤٣٨)، وغيرهم كلهم من طريق جعفر بن ميمون الأنماطي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان به.

وجعفر بن ميمون ضعيف. وتابعه على روايته مرفوعًا يحيى بن ميمون العطار أبو المعلى عند الخطيب (٨/ ٣١٧)، والبغوي (١٣٨٥)، ويحيى بن ميمون ثقة.

وخالفهم يزيد بن أبي صالح الدباغ، فرواه عن أبي عثمان، عن سلمان موقوفًا:

أخرجه وكيع في "الزهد" (٥٠٤) وكذلك رواه موقوفًا سليمان التيمي أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٨)، وكذلك في "الزهد" (ص١٥١)، وكذا ابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٠)، (١٣/ ٣٣٩)، وقد رواه عن سليمان التيمي موقوفًا يزيد بن هارون ويحيى بن سعيد القطان ومعاذ بن معاذ وشذ محمد بن الزبرقان فرواه عن سليمان التيمي بإسناده مرفوعًا، أخرجه الطبراني (٦١٣٠)، وابن حبان (٨٨٠)، [ويتنبه على أنه ليس في رواية التيمي «**حيي كريم**»].

ورواه موقوفًا أيضًا ثابت وحميد وسعيد الجريري. أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (١٥٦) بإسناد صحيح عن حماد بن سلمة، عن ثابت وحميد وسعيد الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان أنه قال: أجد في التوراة: إن الله حيي كريم... فذكره بنحوه.

فتبين أن رواية الوقف أرجح، فقد اجتمع عليها خمسة من الثقات، وأما رواية الرفع فهي من رواية ضعيف وثقة، وأخرى شاذة غير محفوظة، وبالله التوفيق، وقد أشار الترمذي إلى الرواية الموقوفة عقب الحديث، وكأنه يرجحها، والله أعلم.

وجاء هذا الحديث عن أنس عند عبدالرزاق (٣٢٥٠)، (١٩٦٤٨)، وفي إسناده أبان بن أبي=

وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ»[1] إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ مِمَّا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ الْمُتَوَاتِرَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي تُورِثُ عِلْمًا يَقِينًا مِنْ أَبْلَغِ العُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ الْمُبَلِّغَ عَنْ الله أَلقَى إِلَى أُمَّتِهِ المَدْعُوِّينَ - أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ عَلَى العَرْشِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ كَمَا فَطَرَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعَ الأُمَمِ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ؛ إِلَّا مَنْ اجْتَالَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَنْ فِطْرَتِهِ. ثُمَّ عَنْ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ مِنْ الأَقْوَالِ مَا لَوْ جُمِعَ لَبَلَغَ مِئِينَ أَوْ أُلُوفًا.

ثُمَّ لَيْسَ فِي كِتَابِ الله، وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ - لَا مِنْ الصَّحَابَةِ، وَلَا مِنْ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَا عَنْ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا زَمَنَ الأَهْوَاءِ وَالِاخْتِلَافِ - حَرْفٌ وَاحِدٌ يُخَالِفُ ذَلِكَ، لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا.

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ إِنَّ اللهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ، وَلَا إِنَّهُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا إِنَّ جَمِيعَ الأَمْكِنَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ، وَلَا إِنَّهُ لَا دَاخِلَ العَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا إِنَّهُ لَا مُتَّصِلٌ وَلَا مُنْفَصِلٌ، وَلَا إِنَّهُ لَا تَجُوزُ الْإِشَارَةُ الحِسِّيَّةُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ وَنَحْوِهَا؛ بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ" عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا

= عياش، وهو متروك، وله طريق أخرى عند الحاكم (١/ ٤٩٧-٤٩٨)، وفي إسناده بشر بن الوليد، وهو ضعيف، كان قد كبر فخرف، وفيه أيضًا عامر بن يساف فيه ضعف. انظر: "لسان الميزان".

وجاء الحديث عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي يعلى (١٨٦٧)، وابن عدي (٧/ ٢٦١٣)، وفي إسناده يوسف بن محمد بن المنكدر. قال النسائي: ليس بثقة. وقال الدولابي: متروك. وضعفه آخرون.

وجاء من حديث ابن عمر: رواه الطبراني في "الكبير" (١٢/ ٤٢٣)، وفي إسناده الجارود بن يزيد كذبه أبو حاتم، وقال النسائي والدارقطني: متروك. انظر: "الميزان". فالحديث لا يصلح للاحتجاج من جميع طرقه، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خَطَبَ خُطْبَتَهُ العَظِيمَةَ يَوْمَ عَرَفَاتٍ فِي أَعْظَمِ مَجْمَعٍ حَضَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ جَعَلَ يَقُولُ: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْت ؟**» فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَرْفَعُ إِصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَنْكُبُهَا إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ غَيْرَ مَرَّةٍ**»[1]. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

فَلَئِنْ كَانَ الحَقُّ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ السَّالِبُونَ النَّافُونَ لِلصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ مِنْ هَذِهِ العِبَارَاتِ وَنَحْوِهَا؛ دُونَ مَا يُفْهَمُ مِنْ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِمَّا نَصًّا وَإِمَّا ظَاهِرًا فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَى اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ثُمَّ عَلَى خَيْرِ الأُمَّةِ: أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ دَائِمًا بِمَا هُوَ إِمَّا نَصٌّ وَإِمَّا ظَاهِرٌ فِي خِلَافِ الحَقِّ ثُمَّ الحَقُّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ لَا يَبُوحُونَ بِهِ قَطُّ، وَلَا يَدُلُّونَ عَلَيْهِ، لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا؛ حَتَّى يَجِيءَ أَنْبَاطُ الفُرْسِ وَالرُّومِ، وَفُرُوخُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَالْفَلَاسِفَةُ يُبَيِّنُونَ لِلْأُمَّةِ العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَوْ كُلِّ فَاضِلٍ أَنْ يَعْتَقِدَهَا.

لَئِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُتَكَلِّفُونَ هُوَ الِاعْتِقَادُ الوَاجِبُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أُحِيلُوا فِي مَعْرِفَتِهِ عَلَى مُجَرَّدِ عُقُولِهِمْ وَأَنْ يَدْفَعُوا بِمَا اقْتَضَى قِيَاسَ عُقُولِهِمْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ نَصًّا أَوْ ظَاهِرًا؛ لَقَدْ كَانَ تَرْكُ النَّاسِ بِلَا كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ: أَهْدَى لَهُمْ وَأَنْفَعَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ؛ بَلْ كَانَ وُجُودُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ضَرَرًا مَحْضًا فِي أَصْلِ الدِّينِ. فَإِنَّ حَقِيقَةَ الأَمْرِ عَلَى مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ: إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ العِبَادِ لَا تَطْلُبُوا مَعْرِفَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ الصِّفَاتِ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا لَا مِنْ الكِتَابِ وَلَا مِنْ السُّنَّةِ وَلَا مِنْ طَرِيقِ سَلَفِ الأُمَّةِ. وَلَكِنْ انْظُرُوا أَنْتُمْ فَمَا وَجَدْتُمُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ مِنْ الصِّفَاتِ فَصِفُوهُ بِهِ - سَوَاءٌ كَانَ مَوْجُودًا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ - وَمَا لَمْ تَجِدُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ فِي عُقُولِكُمْ فَلَا تَصِفُوهُ بِهِ.اهـ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال رحمه الله كَمَا فِي مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٣/ ٢٢٠):

وَقَالَ الطلمنكي أَحَدُ أَئِمَّةِ المَالِكِيَّةِ - قَبْلَ ابْنِ عَبْدِ البَرِّ والباجي وَطْبقتهما - فِي كِتَابِ الوُصُولِ إلَى مَعْرِفَةِ الأُصُولِ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ مَعْنَى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ القُرْآنِ: أَنَّ ذَلِكَ عِلْمُهُ وَأَنَّ اللهَّ فَوْق السَّمَوَاتِ بِذَاتِهِ مُسْتَوٍ عَلَى العَرْشِ كَيْفَ شَاءَ.

وَقَالَ أَيْضًا: قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: فِي قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ إنَّ الِاسْتِوَاءَ مِنْ الله عَلَى عَرْشِهِ المَجِيدِ عَلَى الحَقِيقَةِ؛ لَا عَلَى المَجَازِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي التَّمْهِيدِ - شَرْحِ المُوَطَّأِ وَهُوَ أَشْرَفُ كِتَابٍ صُنِّفَ فِي فَنِّهِ - لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى حَدِيثِ النُّزُولِ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الحَدِيثِ فِي صِحَّتِهِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَّ فِي السَّمَاءِ عَلَى العَرْشِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ كَمَا قَالَتْ الجَمَاعَةُ، وَهُوَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ إنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ وَلَيْسَ عَلَى العَرْشِ. قَالَ: وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ: أَهْلُ الحَقِّ قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ وَقَالَ: ﴿إلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وَقَالَ ﴿تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إلَيْهِ﴾ وَقَالَ ﴿يَا عِيسَى إنِّي مُتَوَفِّيك وَرَافِعُك إلَيَّ﴾ وَذَكَرَ آيَاتٍ.

إلَى أَنْ قَالَ: وَهَذَا أَشْهَرُ عِنْدَ العَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إلَى أَكْثَرَ مِنْ حِكَايَتِهِ لِأَنَّهُ اضْطِرَارٌ لَمْ يُوقِفْهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا خَالَفَهُمْ فِيهِ مُسْلِمٌ.

وَهَذَا مِثْلُ مَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الهمداني أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَقَالَ: كَانَ اللهَّ وَلَا عَرْشَ. فَقَالَ: يَا أُسْتَاذُ دَعْنَا مِنْ ذِكْرِ العَرْشِ. أَخْبِرْنَا عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَاتِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي قُلُوبِنَا: مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ يَا اللهَّ إلَّا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ

ضَرُورَةً تَطْلُبُ العُلُوَّ. لَا تَلْتَفِتُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً. فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: حَيَّرَنِي الهمداني، حَيَّرَنِي الهمداني.

أَرَادَ الشَّيْخُ أَنَّ إقْرَارَ الفِطَرِ بِأَنَّ مَعْبُودَهَا وَمَدْعُوَّهَا فَوْقَ: هُوَ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ عَقْلِيٌّ فِطْرِيٌّ لَمْ تَسْتَفِدْهُ مِنْ مُجَرَّدِ السَّمْعِ بِخِلَافِ الِاسْتِوَاءِ عَلَى العَرْشِ - بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ - فَإِنَّ هَذَا عُلِمَ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ.اهـ

وقال رحمه الله كمَا فِي مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٥/١٦٥ -):

وُجُوبُ إثْبَاتِ (العُلُوِّ للهِ تَعَالَى) يَتَبَيَّنُ مِنْ وُجُوهٍ: -

أَحَدُهَا: أَنْ يُقَالَ: إنَّ القُرْآنَ وَالسُّنَنَ الْمُسْتَفِيضَةَ الْمُتَوَاتِرَةَ وَغَيْرَ الْمُتَوَاتِرَةِ وَكَلَامَ السَّابِقِينَ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ: مَمْلُوءٌ بِمَا فِيهِ إثْبَاتُ العُلُوِّ للهِ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ الدَّلَالَاتِ وَوُجُوهٍ مِنْ الصِّفَاتِ وَأَصْنَافٍ مِنْ العِبَارَاتِ؛ تَارَةً يُخْبِرُ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الِاسْتِوَاءَ عَلَى العَرْشِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ. وَتَارَةً يُخْبِرُ بِعُرُوجِ الأَشْيَاءِ وَصُعُودِهَا وَارْتِفَاعِهَا إلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وقَوْله تَعَالَى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

وَتَارَةً يُخْبِرُ بِنُزُولِهَا مِنْهُ أَوْ مِنْ عِنْدِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حم * تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾.

وَتَارَةً يُخْبِرُ بِأَنَّهُ (العَلِيُّ الأَعْلَى) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾.

وَتَارَةً يُخْبِرُ بِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾.

فَذَكَرَ السَّمَاءَ دُونَ الأَرْضِ وَلَمْ يُعَلِّقْ بِذَلِكَ أُلُوهِيَّةً أَوْ غَيْرَهَا كَمَا ذَكَرَ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾. وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ ؟».

وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: أَيْنَ اللهُ ؟ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[1].

وَتَارَةً يَجْعَلُ بَعْضَ الخَلْقِ (عِنْدَهُ) دُونَ بَعْضٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. وَيُخْبِرُ عَمَّنْ عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ فَلَوْ كَانَ مُوجِبُ العِنْدِيَّةِ مَعْنًى عَامًّا كَدُخُولِهِمْ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ: لَكَانَ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَهُ؛ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مُسْتَكْبِرًا عَنْ عِبَادَتِهِ، بَلْ مُسَبِّحًا لَهُ سَاجِدًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَصَفَ المَلَائِكَةَ بِذَلِكَ رَدًّا عَلَى الكُفَّارِ المُسْتَكْبِرِينَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَأَمْثَالُ هَذَا فِي القُرْآنِ لَا يُحْصَى إِلَّا بِكُلْفَةٍ. وَأَمَّا الأَحَادِيثُ وَالآثَارُ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَلَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى.

فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا اشْتَرَكَتْ فِيهِ هَذِهِ النُّصُوصُ مِنْ إِثْبَاتِ عُلُوِّ الله نَفْسِهِ عَلَى خَلْقِهِ هُوَ الحَقُّ أَوْ الحَقُّ نَقِيضُهُ؛ إِذْ الحَقُّ لَا يَخْرُجُ عَنْ النَّقِيضَيْنِ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ نَفْسُهُ فَوْقَ الخَلْقِ؛ أَوْ لَا يَكُونُ فَوْقَ الخَلْقِ - كَمَا تَقُولُ الجَهْمِيَّة -.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ تَارَةً يَقُولُونَ: لَا فَوْقَهُمْ وَلَا فِيهِمْ وَلَا دَاخِلَ العَالَمِ، وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مُبَايِنَ، وَلَا محايث، وَتَارَةً يَقُولُونَ: هُوَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي المَقَالَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا يَدْفَعُونَ أَنْ يَكُونَ هُوَ نَفْسُهُ فَوْقَ خَلْقِهِ. فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الحَقُّ إِثْبَاتَ ذَلِكَ؛ أَوْ نَفْيَهُ فَإِنْ كَانَ نَفْيُ ذَلِكَ هُوَ الحَقَّ فَمَعْلُومٌ أَنَّ القُرْآنَ لَمْ يُبَيِّنْ هَذَا قَطُّ - لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا - وَلَا الرَّسُولُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ لَا أَئِمَّةِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ وَلَا غَيْرِهِمْ وَلَا يُمْكِنُ أَحَدٌ أَنْ يَنْقُلَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُ نَفَى ذَلِكَ أَوْ أَخْبَرَ بِهِ.

وَأَمَّا مَا نُقِلَ مِنْ الإِثْبَاتِ عَنْ هَؤُلَاءِ: فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى أَوْ يُحْصَرَ فَإِنْ كَانَ الحَقُّ هُوَ النَّفْيَ - دُونَ الإِثْبَاتِ - وَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى الإِثْبَاتِ وَلَمْ يَذْكُرْ النَّفْيَ أَصْلًا: لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ لَمْ يَنْطِقُوا بِالْحَقِّ فِي هَذَا البَابِ؛ بَلْ نَطَقُوا بِمَا يَدُلُّ -إِمَّا نَصًّا وَإِمَّا ظَاهِرًا- عَلَى الضَّلَالِ وَالْخَطَأِ الْمُنَاقِضِ لِلْهُدَى وَالصَّوَابِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ هَذَا فِي (الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ) فَلَهُ أَوْفَرُ حَظٍّ مِنْ قَوْله تَعَالَى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

فَإِنَّ القَائِلَ إِذَا قَالَ: هَذِهِ النُّصُوصُ أُرِيدَ بِهَا خِلَافُ مَا يُفْهَمُ مِنْهَا أَوْ خِلَافُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَوْ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ إِثْبَاتُ عُلُوِّ الله نَفْسِهِ عَلَى خَلْقِهِ؛ وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِهَا عُلُوُّ المَكَانَةِ وَنَحْوُ ذَلِكَ - كَمَا قَدْ بَسَطْنَا الكَلَامَ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

فَيُقَالُ لَهُ: فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ الحَقَّ الَّذِي يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ بَلْ وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَدُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ هَذَا الكَلَامَ لَمْ يُرِدْ بِهِ مَفْهُومُهُ وَمُقْتَضَاهُ؛ فَإِنَّ غَايَةَ مَا يُقَدَّرُ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِالْمَجَازِ الْمُخَالِفِ لِلْحَقِيقَةِ وَالْبَاطِنِ الْمُخَالِفِ لِلظَّاهِرِ. وَمَعْلُومٌ بِاتِّفَاقِ

العُقَلَاءِ: أَنَّ الْمُخَاطَبَ الْمُبِينَ إِذَا تَكَلَّمَ بِمُجَازٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقْرِنَ بِخِطَابِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ المَعْنَى المَجَازِيِّ؛ فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ الْمُبَلِّغُ الْمُبَيِّنُ الَّذِي بَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَلَامِ خِلَافُ مَفْهُومِهِ وَمُقْتَضَاهُ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرِنَ بِخِطَابِهِ مَا يَصْرِفُ القُلُوبَ عَنْ فَهْمِ المَعْنَى الَّذِي لَمْ يُرِدْ؛ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ بَاطِلًا لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ فِي اللهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَعْتَقِدُوا فِي اللهِ مَا لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ مَخُوفًا عَلَيْهِمْ؛ وَلَوْ لَمْ يُخَاطِبْهُمْ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ خِطَابُهُ هُوَ الَّذِي يَدُلُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ الِاعْتِقَادِ الَّذِي تَقُولُ النُّفَاةِ: هُوَ اعْتِقَادٌ بَاطِلٌ ؟.

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الكِتَابِ وَلَا السُّنَّةِ وَلَا كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مَا يُوَافِقُ قَوْلَ النُّفَاةِ أَصْلًا؛ بَلْ هُمْ دَائِمًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِالْإِثْبَاتِ امْتَنَعَ حِينَئِذٍ أَنْ لَا يَكُونَ مُرَادُهُمْ الإِثْبَاتَ وَأَنْ يَكُونَ النَّفْيُ هُوَ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ وَيَعْتَمِدُونَهُ وَهُمْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ قَطُّ وَلَمْ يُظْهِرُوهُ؛ وَإِنَّمَا أَظْهَرُوا مَا يُخَالِفُهُ وَيُنَافِيهِ وَهَذَا كَلَامٌ مُبَيَّنٌ؛ لَا مخلص لِأَحَدٍ عَنْهُ؛ لَكِنْ للجهمية الْمُتَكَلِّمَةِ هُنَا كَلَامٌ وللجهمية الْمُتَفَلْسِفَةِ كَلَامٌ.

أَمَّا (الْمُتَفَلْسِفَةُ وَالْقَرَامِطَةُ) فَيَقُولُونَ؛ إِنَّ الرُّسُلَ كَلَّمُوا الخَلْقَ بِخِلَافِ مَا هُوَ الحَقُّ وَأَظْهَرُوا لَهُمْ خِلَافَ مَا يُبْطِنُونَ وَرُبَّمَا يَقُولُونَ إِنَّهُمْ كَذَبُوا لِأَجْلِ مَصْلَحَةِ العَامَّةِ فَإِنَّ مَصْلَحَةَ العَامَّةِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِإِظْهَارِ الإِثْبَاتِ وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ بَاطِلًا. وَهَذَا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ الزَّنْدَقَةِ البَيِّنَةِ وَالْكُفْرِ الوَاضِحِ: قَوْلٌ مُتَنَاقِضٌ فِي نَفْسِهِ فَإِنَّهُ يُقَالُ: لَوْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ وَالرُّسُلُ مِنْ جِنْسِ رُؤَسَائِكُمْ؛ لَكَانَ خَوَاصُّ الرُّسُلِ يَطَّلِعُونَ عَلَى ذَلِكَ؛ وَلَكَانُوا يُطْلِعُونَ خَوَاصَّهُمْ عَلَى هَذَا الأَمْرِ؛ فَكَأَنْ يَكُونَ النَّفْيُ مَذْهَبَ خَاصَّةِ الأُمَّةِ وَأَكْمَلِهَا عَقْلًا وَعِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَالْأَمْرُ بِالْعَكْسِ.

فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ كَلَامَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ، وَجَدَ أَعْلَمَ الأُمَّةِ - عِنْدَ الأُمَّةِ - كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَعَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ وَسَلْمَانَ الفَارِسِيِّ وأبي بْنِ كَعْبٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَعَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ وَعَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو وَأَمْثَالِهِمْ؛ هُمْ أَعْظَمُ الخَلْقِ إِثْبَاتًا. وَكَذَلِكَ أَفْضَلُ التَّابِعِينَ: مِثْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَأَمْثَالِهِ وَالْحَسَنِ البَصْرِيِّ وَأَمْثَالِهِ وَعَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ وَأَمْثَالِهِ وَأَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُمْ مِنْ أَجَلِّ التَّابِعِينَ.اهـ

شبهة للمبتدعة في نفيهم لعلو الله مع الجواب عنها.

يقول المبتدعة: إذا قلتم: إن الله في السماء؛ فمعنى ذلك: أنكم جعلتم السماء ظرفًا لله، وأن السماء تحيط به.

والجواب عن ذلك:

أولًا: إن الله عز وجل هو الذي ذكر ذلك عن نفسه سبحانه وتعالى؛ فقال عز وجل: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور...﴾الآيتين.

وذكر ذلك أيضًا النبي ﷺ كما في حديثي الباب، وغيرها من الأحاديث.

ثانيًا: أن ذلك لا يقتضي الظرفية؛ بل ذكر العلماء أن (في) بمعنى (على)، ولذلك نظائر في القرآن يأتي ذكرها.

وأجاب آخرون: بأن السماء بمعنى العلو في اللغة، وكل ما علاك فقد سماك، والسمو بمعنى: العلو والظهور.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٤/ ٢٧١):

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ السَّمَاءَ تَحْصُرُ الرَّبَّ وَتَحْوِيهِ كَمَا تَحْوِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَغَيْرَهُمَا؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ وَلَا يَعْتَقِدُهُ عَاقِلٌ؛ فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسِعَ

كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وَالسَّمَوَاتُ فِي الكُرْسِيِّ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ، وَالْكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ، وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ وَقَالَ: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ﴾ وَقَالَ: ﴿يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ وَلَيْسَ المُرَادُ أَنَّهُمْ فِي جَوْفِ النَّخْلِ وَجَوْفِ الأَرْضِ؛ بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ، وَعَلَيْهَا بَائِنٌ مِنَ المَخْلُوقَاتِ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ. وَقَالَ: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وَقَالَ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٦/ ١٠١):

وَمَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قَوْلِهِ ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وَنَحْوِ ذَلِكَ قَدْ يَفْهَمُ مِنْهُ بَعْضُهُمْ أَنَّ (السَّمَاءِ) هِيَ نَفْسُ المَخْلُوقِ العَالِي العَرْشُ فَمَا دُونَهُ.

فَيَقُولُونَ: قَوْلُهُ ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بِمَعْنَى عَلَى السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أَيْ: عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ. وَكَمَا قَالَ: ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ أَيْ: عَلَى الأَرْضِ. وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا بَلْ (السَّمَاءِ) اسْمُ جِنْسٍ لِلْعَالِي لَا يَخُصُّ شَيْئًا.

فَقَوْلُهُ ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أَيْ: فِي العُلُوِّ دُونَ السُّفْلِ. وَهُوَ العَلِيُّ الأَعْلَى فَلَهُ أَعْلَى العُلُوِّ وَهُوَ مَا فَوْقَ العَرْشِ وَلَيْسَ هُنَاكَ غَيْرُهُ العَلِيُّ الأَعْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ هُوَ عِنْدَهُمْ فِي المَخْلُوقَاتِ السُّفْلِيَّةِ القَذِرَةِ الخَبِيثَةِ كَمَا هُوَ فِي المَخْلُوقَاتِ العَالِيَةِ.اهـ

شبهة أخرى للمبتدعة في نفي صفة العلو لله عز وجل، وجوابها.

استدل المبتدعة بقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ وبقوله تَعَالَى ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ وقوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ على أن الله في كل مكان.

والجواب عن ذلك:

في جامع المسائل (٣/١٥٧)، ما نصُّه:

سُئِل عنها الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع أوحدُ أهلِ زمانِه شيخُ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرَّاني - وأرضاه- وهو بالديار المصرية، في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية، وقوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، وقول النبي ﷺ: «**ينزل ربنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا**» الحديث.

وقد تأوَّل طائفةٌ هذه الآيات وأمثالَها من آياتِ الصفاتِ التي أنزلَها الله تعالى، ولم يتأوَّلوا هذا الحديثَ، ولا أمثاله من أحاديثِ الصفات.

وقد قال طائفة: إذا تأولنا هذه الآيات احتملَتْ هذه الأحاديثُ أيضًا التأويلَ. فما الحجة في تأويل الآيات وإمرارِ الأحاديث كما جاءت؟ بَيِّنوا لنا الصواب في ذلك.

فأجاب

الحمد لله. الجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: يجب اتباعُ طريقةِ السلف من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسانٍ، فإنّ إجماعَهم حجةً قاطعة، وليس لأحد أن يخالفَهم فيما أجمعوا عليه، لا في الأصول ولا في الفروع.

وحكى غيرُ واحدٍ من أهل العلم بآثارهم وأقوالِهم قالوا في قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ونحوه: إنه بعِلمِه. وحَكَوا إجماعَهم على إمرارِ آيات الصفات وأحاديثها، وإنكارَهم على المحرِّفين لها.

ولهذا لا يَقدِر أحد أن يَحكِيَ عن أحدٍ من الصحابة والتابعين، وغيرهم من سلف الأمَّة بنقلٍ صحيح أنه تأوَّلَ الاستواءَ بالاستيلاءِ، أو نحوِه من معاني أهل التحريف، بل ينقل عنهم أنهم فسروا الآية بما يَقتضي أنه سبحانَه فوقَ عرشِه، ويُمكِنُه أن ينقلِ بالإسناد الصحيح أنهم قالوا في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أنهم قالوا: بعلمه.

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد في شرح الموطأ لَمَّا شَرحَ حديث النزول، قال: هذا حديث لم يختلفْ أهلُ العلم في صحتِه، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة.

وهذا أشهرُ عند العامة والخاصة، وأَعرَفُ من أن يحتاجَ إلى أكثر من حكايتِه، لأنه اضطرارٌ، لم يُؤَنِّبْهم عليه أحدٌ، ولا أنكرَه عليهم مسلمٌ.

وقال أبو عمر أيضًا: أجمعَ علماءُ الصحابة والتابعين الذين حُمِلَ عنهم التأويلُ قالوا في تأويل قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

سَادِسُهُمْ﴾: هو على العرش، وعِلمُه في كل مكان. وما خالفهم في ذلك أحدٌ يُحتَجُّ بقوله.

وقال أيضًا: أهل السنة مُجمِعون على الإقرارِ بالصفاتِ الواردة في الكتاب والسنة، وحَمْلِها على الحقيقةِ لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكَيِّفون شيئًا من ذلك.

وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلُّهم يُنكِرها، ولا يَحمِلُ شيئًا منها على الحقيقة، ويزعم أنّ من أقرَّ بها مُشبِّه، وهم عند مَن أقرَّ بها نَافُونَ للمعبود.

وقال الشيخ أبو بكر الآجُرِّي في كتاب الشريعة في باب التحذير من مذهب الحلولية: الذي يذهب إليه أهلُ العلم أن الله على عرشِه فوقَ سماواتِه، وعِلمُه محيط بكل شيء، قد أحاطَ بجميع ما خلقَ في السموات العلي، وبجميع ما في سبع أرضين، يُرفَع إليه أعمالُ العباد.

فإن قال قائل: فما معنى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية التي يحتجون بها؟ قيل له: علمُه، والله على عرشِه، وعلمُه يُحيط بهم. هكذا فسَّره أهلُ العلم، والآية يدل أوَّلُها وآخرُها على أنه العلم، وهو على عرشه. هذا قول المسلمين.

وقال الشيخ أبو عبد الله بن بَطَّة في كتاب "الإبانة": باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقِه، وعِلمُه محيط بخلقه: أجمعَ المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشِه فوقَ سماواته بائنٌ من خلقهِ.

فأما قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فهو كما قالت العلماء: عِلْمُه. وأما قوله ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾. فمعناه: أنه هو الله في السماوات وهو الله في الأرض، وتصديقُه في كتاب الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرضِ إِلَهٌ﴾.

واحتجَّ الجهمي بقول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فقال: إن الله معنا وفينا. وقد فسَّر العلماءُ أن ذلك علمه. ثم قال في آخرها ﴿إِنَّ اللهَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فهؤلاء وأمثالُهم الذين هم من أعلم الناس بأقوال السلف من الصحابة والتابعين، وكلٌّ منهم له من المصنَّفات المشهورة ما فيه العلم بأقوال السلف وآثارِهم، ما يعلم أنهم أعلم بذلك من غيرهم، وقد حَكَوا إجماعَ السلف كما ترى.

الوجه الثاني: أن يقال: الكلام في الآيات والأحاديث كلِّها على طريقةٍ واحدة، والتأويل الذي ذمَّه السلفُ والأئمة هو تحريف الكلام عن مواضعه، وإخراجُ كلامِ الله ورسوله عما دَلَّ عليه وبيَّنه الله به.

وقد حَدَّه طائفةٌ بأنه صَرْفُ الكلام عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل. فقوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ونحوها من الآيات ليس ظاهرُها ولا مدلولُها ولا مقتضاها ولا معناها أن يكون الله مختلطًا بالمخلوقين ممتزجًا بهم، ولا إلى جانبهم متيامنًا أو متياسرًا، ونحو ذلك، لوجوه:

أحدها: أنه لم يَقُل أحد من أهل اللغة إنَّ المعيَّةَ تقتضي الممازجةَ والمخالطةَ، ولا تُوجبُ التيامنَ ولا التياسُرَ، ونحو ذلك من المعاني المنفيَّةِ عن الله مع خَلْقِه، وإنما تقتضي المصاحبة والمقارنةَ المطلقةَ.

الثاني: أنه حيث ذُكِر في القرآن لفظ المعيّة؛ فإنه لم يَدُلَّ على الممازجة والمخالطة، كَمَا فِي قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، فليس معنى ذلك أن ذاتَ المؤمنين ممتزجةٌ بذاته.

وكذلك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾، والمجاهد معهم ليست ذاتُه ممتزجةً بذواتهم ولا مماسَّةً لذواتِهم. وقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وليس المراد أن ذاتَه تمتزجُ بذواتهم ولا مماسَّة لها.

وقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.

وهذا كثير في كتاب الله، وليس في شيء من ذلك أن معنى المعيَّة أن يكون أحدهما حالًا في الآخر ولا ممتزجًا به ولا مختلطًا به، فمن قال: إن ظاهرَ قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ ونحو ذلك أن يكون الله مختلطًا بالمخلوقين وممتزجًا بهم وحالًا فيهم أو مماسًّا لهم ونحو ذلك، فقد افترى على القرآن وعلى لغة العرب، وادَّعى أن هذا الكفر هو ظاهر القرآن، وهو كَذِبٌ على الله ورسوله بلا حجة ولا برهانٍ.

وغاية ما يُقال: أن لفظ (مع) ظرفٌ أو ظرفُ مكانٍ، فيقتضي أن يكون المتعلق بهذا الظرف مكانًا من المضاف إليه، كَمَا فِي قول القائل: هذا فوقَ هذا، فإن (فوق) من ظروف المكان، ولكن هذا لا يقتضي أن يكون المكان عن يمين المضاف إليه أو عن شمالِه، ولا يقتضي أن يكون عن يمينه وشمالِه جميعًا، بل أكثرُ ما يَقتضي مطلقُ المكان، فإذا قُدِّر أنه فوقَ المضاف إليه لم يكن هذا مخالفًا لظاهر المعية.

ومن قال: إنه لا بُدَّ في المعية من أن يكون ما مع الشيء متيامنًا أو متياسرًا أو إلى جانبه ونحو ذلك، فقد غَلِطَ غَلَطًا بيِّنًا. وهذا كما أن قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ ليس ظاهرُه: أن ذاتَه في السماوات والأرض، بل ظاهرُه أنه إله أهلِ السماءِ وإله أهل الأرض، فأهلُ السماء يَأْلَهُونَه، وأهلُ الأرض يألهونَه.

وكذلك قوله ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ ليس ظاهره أن نفس الله في السماوات والأرض، فإنه لم يقل: (هو في السماوات والأرض)، بل قال: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾، فالظرفُ مذكورٌ بعدَ جملةٍ لا بعدَ مفردٍ، فهو متعلق بما في اسم (الله) من معنى الفعل، هو الله في السماوات: أي المعبود الإله في السماوات، والإله المعبود في الأرض، كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾، بخلاف قوله: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ وقوله: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، فإنه لم يذكر ما يتعلق به قوله (في السماء) غير نفسِه.

وكذلك الأثر الذي يُروَى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: الحجر الأسودُ يمينُ الله في الأرض، فمن صافحَه واستلَمه فكأنما صافحَ اللهَ وقَبَّلَ يمينَه[1].

فمن قال: إن هذا يحتاج إلى تأويل فقد أخطأ، فإنه ليس ظاهر هذا أن الحجر هو صفةُ الله، فإنه قال: (يمين الله في الأرض)؛ فقيَّده بكونه (في الأرض)، وهذا بيَّن أنه ليس هو صفةَ الله. ثم قال: (فمن صافحه وقَبَّلَه فكأنما صافحَ الله وقَبَّل يمينَه)، والمشبَّه غيرُ المشبَّه به، فقد صرَّح بأن المستلم له لم يصافحِ الله، وإنما هو مشبَّهٌ بذلك.

الوجه الثالث: أن يقال: إخبارُ الله في القرآن أنه مع عبادِه جاءَ عامّا وخاصًّا، فالعام كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،

---

(١) **ضعيف**: سيأتي تخريجه إن شاء الله (ص)

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. ففَتَحَ الكلامَ بالعلم وخَتَمه بالعلم.

وأما الخاصّ فكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، فهذا بيّن أنه ليس مع الفجّار والظّالمين، ولو كان بذاتِه في كل مكان؛ لكان مخالفًا لهذه الآية.

وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، فهو مع موسى وهارون دون فرعون وقومه.

وكقوله عن النبي ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، فهو مع النبي ﷺ وصاحبه، لا مع الكفّار، كأبي جهل وأمثالِه.

فلو كانت المعيَّةُ معناها الاختلاط والامتزاج، وكان في كل مكانٍ بذاته، لم يَجُزْ أن يكون في المعيَّةِ تخصيصٌ. فمن زَعَم أن معناها الامتزاج والاختلاط، وأن ظاهرها أن يكون في كل مكانٍ فقد أخطأ، ولكن المعية، وإن دلَّت على المصاحبة والمقارنة؛ فهي في كل مكانٍ بحسب ما دلَّ عليه السياقُ.

فلما كان في تلك الآيتين قد افتتح الآية بالعلم وختمَها بالعلم، دَلَّ ذلك على أن من حكم المعية أنه عليم بكل شيء.

وهنا لَمَّا كان السياقُ يدلُّ على أن المقصودَ الإعانةُ والنصر دل على أن من حكم المعيَّة النصر والمعونة، فقول القائل (أنا معك) معناه: أني مصاحبك ومقارِنُك، وإذا كان كذلك اقتضَى أنّي أعلم حالك، وقد يقتضِي إذًا أنِّي أُعِينك وأنصرك على أعدائك.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم أنتَ الصاحبُ في السفر، وأنت الخليفة في الأهل، اللهم اصحَبْنا في سفرِنا، واخْلُفْنا في أهلنا**»[1].

وهذا وأمثالُه بيَّن أن لفظ المعية في القرآن ليس فيه هذا التأويل المتنازع فيه، وهو صَرْفُ اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليلٍ يَقترِن بذلك، فإن هذا إنما يكون إذا كان ظاهرُ قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يقتضي أن يكون الله ممتزجًا بنا حَالًا في أجوافِنا، أو أن يكون إلى جوانبنا، وليس هذا مدلولَ لفظ المعية أصلًا، فبطل ما قال. بل يُقال:

الجواب الثاني:

وهو أن قوله (وَهُوَ مَعَكُمْ) يَدُلُّ على نقيض قولِ الجهمية، فإنه ذكر نفسه، وذكر أنه معهم، ولفظ الخطاب -إذا قيل: هم وأنتم ومعكم ونحو ذلك- يتناول ما يتناوله الاسمُ الظاهر، واسمهُم يتناول جميعَ ذاتهم وصفاتِهم فأبعاضهم، وذلك يمتنع أن يكون في أحدهم شيءٌ من غيره.

فإذا كان هو معهم دلَّ ذلك على أنه منفصل عنهم بائن منهم خارج عنهم، كَمَا فِي نظائرِه. بل قوله (رب الناس)، و(ملك الناس) و(رب العالمين)، ونحو ذلك يقتضي أنه مغايرٌ للناس مباين لهم، لأنَ الربَّ مُغايرٌ للمربوب، فإذا قيل: (هو معهم) اقتضى أنه مغايرٌ لهم، ولمسمَّى (مع) الذي هو معنى الظرف اللفظي، فإنه إذا قيل: (هذا فوق هذا) اقتضى أنه مغايرٌ مباينٌ لما هو فوقه، ولنفس المسمَّى بلفظ فوقه، ولفظُ (مع) هو من هذا الجنس ظرفٌ من الظروف، فيقتضي ذلك أن يكون المتعلق

---

(١) صحيح: هو بهذا اللفظ عند أحمد (٦٣١١)، والترمذي (٣٤٤٧)، وأصله في مسلم (١٣٤٢).

بهذا الظرف مغايرًا مباينًا له، ولما أضيف إليه الظرف، ولا نزاع أن الشيء إذا كان فوق الشيء جاز أن يقال: هو معه، وقد يُجعَل الأعلى مع الأسفل، كما يقال: (هذا الحِمْلُ معي).

وقد يُجعَل الأسفل مع الأعلى، كما يقال: (هذا المركوب معي)، وقد يقال لما هو مباينٌ منفصلٌ عنه، كما يقال: (هذه الغاشية معي)، وقد يقال: (سِرْنا البارحةَ والقمرُ معنا)، وأمثال ذلك مما يقتضي المباينة والانفصال.

فعُلِم بذلك أن كونه (وَهُوَ مَعَكُمْ) لا ينفي أن يكون الربّ مباينًا لهم، ولا يقتضي أن يكون على جوانبهم، بل غايتُه أن يكون بحيث هو مضافٌ إليه مما يُسمِّيه النحاةُ ظرفًا كالفوق ونحوه، فلا يكون بين قوله (فوقهم) وقوله (معهم) منافاة، بل يكون لفظ (المعية) دلَّ على مطلق أنه حيث يضاف إليهم، ولفظ (الفوقية) دلَّ على خصوص ذلك، ولو معية هي فوقية، ليست تيامنًا ولا تياسُرًا.

وحقيقة الأمر: أن لفظ (مع) في الأصل معناه واحدٌ، وهو المصاحبة والمقارنة والمشاركة في مسمى (مع) الذي هو معنى الظرف، وهو ظرف إضافي.

فقوله (هذا معه) بمنزلة قوله (هذا مصاحبٌ له مفارقٌ له)، وهو يقتضي مطلقَ المصاحبة والمقارنة لا نوعًا منهم إلا بتفصيل وتخصيص.

وكذلك إذا قيل: هو يقتضي مطلق الموافقة أو المشاركة فيما قد يُسمَّى مكانًا ونحو ذلك من الأسماء، فإنه لا يدلُّ إلا على مطلق هذه الموافقة، لكن قد يكون من لوازم ذلك موالاة أحدهما للآخر محبةً ونصرةً، كما يقال: فلان معي وفلان عليَّ، إذ كان من شأن المتحابين قربُ كلٍّ منهما إلى الآخر حتى يتفقا في محل واحد، وقد يكون

من لوازم ذلك معرفة كل منهما بالآخر أو معاونته، إذ من شأن المجتمعين من الآدميين في محل أن يعرف أحدهما الآخر ومعاونته له.

وهذا كما أن لفظ (العلم) في الأصل إنما يقتضي معرفة المعلوم، ثم قد يكون من لوازم ذلك ما يقتضيه العلم من محاسبة الشخص ومجازاته ونحو ذلك، كَمَا فِي قوله ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾، وكما في قوله ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾، وقوله تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ إلى قوله ﴿أَلا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وكذلك (السمع) و(البصر)، مثل قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وقوله: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، وقوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عملكم وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

فهذا ونحوه وإن ذُكِر فيه لفظ (السمع) و(الرؤية) فالمقصود لوازم ذلك، من إحصاء ذلك والجزاء عليه بالثواب والعقاب، وقد يكون المقصود بذلك قبول الدعاء، كقول الخليل: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، وقول المصلي (سمع الله لمن حمده)، كما يُعنَى بالنظر نظر الرحمة والمحبة، كقوله: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾.

فهذه الأمور لما كانت من لوازم العلم والسمع والبصر، ومن شأنه إحصاء الأعمال والجزاء عليها، ونحو ذلك، صارت متضمنة لهذا المعنى.

وكذلك المصاحبة لما كان لها لوازم -مثل معرفة الصاحب بحال صاحبه، وموالاته له، وموافقته له- دخلت هذه المعاني فيها حيث دلَّ عليه السياق.اهـ

شبهة أخرى: يقول المبتدعة: إنكم إذا قلتم بالعلو؛ فإنكم قد جعلتم الله في جهة وذلك يقتضي حصره سبحانه، وإثبات الحد له.

والجواب عنها:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/٢٩٨):

فَيُقَالُ: **أَوَّلًا**: لَفْظُ (الجِسْمِ) و(الحَيِّزِ) و(الجِهَةِ) ألفَاظٌ فِيهَا إجْمَالٌ وَإِبْهَامٌ، وَهِيَ أَلفَاظٌ اصْطِلَاحِيَّةٌ، وَقَدْ يُرَادُ بِهَا مَعَانٍ مُتَنَوِّعَةٌ، وَلَمْ يَرِدْ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي هَذِهِ الأَلْفَاظِ لَا بِنَفْيٍ وَلَا إثْبَاتٍ وَلَا جَاءَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا فِيهَا نَفْيٌ وَلَا إثْبَاتٌ أَصْلًا؛ فَالْمُعَارَضَةُ بِهَا لَيْسَتْ مُعَارَضَةً بِدَلَالَةٍ شَرْعِيَّةٍ؛ لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا مِنْ سُنَّةٍ وَلَا إجْمَاعٍ؛ بَلْ وَلَا أَثَرٍ لَا عَنْ صَاحِبٍ أَوْ تَابِعٍ، وَلَا إمَامٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ الأَئِمَّةُ الكِبَارُ أَنْكَرُوا عَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ بِهَا وَجَعَلُوهَا مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ البَاطِلِ الْمُبْتَدَعِ؛ وَقَالُوا فِيهِمْ أَقْوَالًا غَلِيظَةً مَعْرُوفَةً عَنْ الأَئِمَّةِ؛ كَقَوْلِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ الله: حُكْمِي فِي أَهْلِ الكَلَامِ: أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي القَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الكَلَامِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَمَعْلُومٌ أَنَّ الأَلْفَاظَ (نَوْعَانِ): لَفْظٌ وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ الإِجْمَاعِ؛ فَهَذَا اللَّفْظُ يَجِبُ القَوْلُ بِمُوجَبِهِ سَوَاءٌ فَهِمْنَا مَعْنَاهُ أَوْ لَمْ نَفْهَمْهُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يَقُولُ إلَّا حَقًّا، وَالأُمَّةُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ.

وَالثَّانِي: لَفظٌ لَمْ يَرِدْ بِهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ كَهَذِهِ الأَلْفَاظِ الَّتِي تَنَازَعَ فِيهَا أَهْلُ الكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ هَذَا يَقُولُ: هُوَ مُتَحَيِّزٌ. وَهَذَا يَقُولُ. لَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ. وَهَذَا يَقُولُ: هُوَ فِي جِهَةٍ. وَهَذَا يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ فِي جِهَةٍ. وَهَذَا يَقُولُ: هُوَ جِسْمٌ أَوْ جَوْهَرٌ. وَهَذَا يَقُولُ: لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ.

فَهَذِهِ الأَلْفَاظُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ فِيهَا بِنَفْيٍ وَلَا إِثْبَاتٍ حَتَّى يَسْتَفْسِرَ الْمُتَكَلِّمُ بِذَلِكَ؛ فَإِنْ بَيَّنَ أَنَّهُ أَثْبَتَ حَقًّا أَثْبَتَهُ، وَإِنْ أَثْبَتَ بَاطِلًا رَدَّهُ، وَإِنْ نَفَى بَاطِلًا نَفَاهُ، وَإِنْ نَفَى حَقًّا؛ لَمْ يَنْفِهِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يُجْمِعُونَ فِي هَذِهِ الأَسْمَاءِ بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ: فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي جِهَةٍ وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ دَاخِلٌ مَحْصُورٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ - كَائِنًا مَنْ كَانَ - لَمْ يُسَلَّمْ إِلَيْهِ هَذَا الإِثْبَاتُ وَهَذَا قَوْلُ الْحُلُولِيَّةِ.

وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ فَوْقَهَا لَمْ يُمَانَعْ فِي هَذَا الإِثْبَاتِ؛ بَلْ هَذَا ضِدُّ قَوْلِ الْحُلُولِيَّةِ.

وَمَنْ قَالَ: لَيْسَ فِي جِهَةٍ؛ فَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ لَيْسَ مُبَايِنًا لِلْعَالَمِ، وَلَا فَوْقَهُ لَمْ يُسَلَّمْ لَهُ هَذَا النَّفْيُ.

وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْمُتَحَيِّزِ يُرَادُ بِهِ مَا أَحَاطَ بِهِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ وَيُرَادُ بِهِ مَا انْحَازَ عَنْ غَيْرِهِ وَبَايَنَهُ.

فَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ مُتَحَيِّزٌ بِالْمَعْنَى الأَوَّلِ لَمْ يُسَلَّمْ لَهُ، وَمَنْ أَرَادَ أَنَّهُ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ سُلِّمَ لَهُ الْمَعْنَى، وَإِنْ لَمْ يُطْلِقِ اللَّفْظَ.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٣٣):

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: نُنَزِّهُهُ عَنِ الْجِهَةِ، إِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ جِهَةٍ وُجُودِيَةٍ تُحِيطُ بِهِ وَتَحْوِيهِ وَتَحْصُرُهُ إِحَاطَةَ الظُّرُوفِ بِالْمَظْرُوفِ فَنَعَمْ، هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْبَرُ وَأَعْلَى، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ هَذَا الْمَعْنَى.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِهَةِ أَمْرًا يُوجِبُ مُبَايَنَةَ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ، وَعُلُوَّهُ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ؛ فَنَفْيُكُمْ لِهَذَا الْمَعْنَى بَاطِلٌ، وَتَسْمِيَتُهُ جِهَةً اصْطِلَاحٌ مِنْكُمْ تَوَسَّلْتُمْ بِهِ إِلَى نَفْيِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَالْفِطْرَةُ، وَسَمَّيْتُمْ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ جِهَةً وَقُلْتُمْ: مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِهَاتِ، وَسَمَّيْتُمُ الْعَرْشَ حَيِّزًا. وَقُلْتُمْ: لَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ.

وَسَمَّيْتُمُ الصِّفَاتِ أَعْرَاضًا، وَقُلْتُمْ: الرَّبُّ مُنَزَّهٌ عَنْ قِيَامِ الْأَعْرَاضِ بِهِ، وَسَمَّيْتُمْ حِكْمَتَهُ غَرَضًا، وَقُلْتُمْ: مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَغْرَاضِ، وَسَمَّيْتُمْ كَلَامَهُ بِمَشِيئَتِهِ، وَنُزُولَهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَمَجِيئَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَمَشِيئَتَهُ وَإِرَادَتَهُ الْمُقَارَنَةَ لِمُرَادِهَا وَإِدْرَاكَهُ الْمُقَارِنَ لِوُجُودِ الْمُدْرَكِ، وَغَضَبَهُ إِذَا عُصِيَ، وَرِضَاهُ إِذَا أُطِيعَ، وَفَرَحَهُ إِذَا تَابَ إِلَيْهِ الْعِبَادُ، وَنِدَاءَهُ لِمُوسَى حِينَ أَتَى الشَّجَرَةَ، وَنِدَاءَهُ لِلْأَبَوَيْنِ حِينَ أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ، وَنِدَاءَهُ لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَحَبَّتَهُ لِمَنْ كَانَ يَبْغَضُهُ حَالَ كُفْرِهِ ثُمَّ صَارَ يُحِبُّهُ بَعْدَ إِيمَانِهِ، وسميتم شُؤون ربوبيته الَّتِي هُوَ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ منها: حَوَادِثَ، وَقُلْتُمْ: هُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ حُلُولِ الْحَوَادِثِ، وَحَقِيقَةُ هَذَا التَّنْزِيهِ أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْوُجُودِ، وعن الإلهية وَعَنِ الرُّبُوبِيَّةِ وَعَنِ الْمُلْكِ وَعَنْ كَوْنِهِ فَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ، بَلْ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْقَيُّومِيَّةِ.

وَلَا يَتَقَرَّرُ كَونَه ربًّا للعَالِمين وَإِلها للعِبادِ إلا بِالتنزيهِ عن هذا التنزيه، وَالإِجْلالِ عَن هَذا الإِجلال.

فَانْظُرْ مَاذَا تَحْتَ تَنْزِيهِ الْمُعَطِّلَةِ النُّفَاةِ بِقَوْلِهِمْ: لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ وَلَا مُرَكَّبٍ، وَلَا تَقُومُ بِهِ الْأَعْرَاضُ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَبْعَاضِ، وَلَا يَفْعَلُ بِالْأَغْرَاضِ وَلَا تَحُلُّهُ

الْحَوَادِثُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْجِهَاتُ، وَلَا يُقَالُ فِي حَقِّهِ: أَيْنَ، وَلَيْسَ بِمُتَحَيِّزٍ، كَيْفَ كَسَوْا حَقَائِقَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَتَكْلِيمِهِ لِخَلْقِهِ وَرُؤْيَتِهِمْ لَهُ بِالْأَبْصَارِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، هَذِهِ الْأَلْفَاظَ، ثُمَّ تَوَسَّلُوا إِلَى نَفْيِهَا بِوَاسِطَتِهَا، وَكَفَّرُوا وَضَلَّلُوا مَنْ أَثْبَتَهَا، وَاسْتَحَلُّوا مِنْهُ مَا لَمْ يَسْتَحِلُّوهُ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِلَى اللهِ الْمَوْعِدُ وَإِلَيْهِ الْمُلْتَجَأُ، وَإِلَيْهِ التَّحَاكُمُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ التَّخَاصُمُ.

نَحْنُ وَإِيَّاهُمْ نَمُوتُ وَلَا *** أَفْلَحَ يَوْمَ الْحِسَابِ مَنْ نَدِمَا.اهـ

٦٤) وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَيُّهَا النَّاسُ، اِرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»**. قَالَ: وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِالله. فَقَالَ: **«يَا عَبْدَالله بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْـجَنَّةِ؟»**. فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: **«قُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِالله»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَزَادَ مُسْلِمٌ: **«وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ»**[١].

٦٥) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَقَرَّبَ عَبْدِى مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا - أَوْ بُوعًا -، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»** متفق عليه[٢].

٦٦) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْـمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»** أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[٣].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة المعية وبيان أن ذلك لا ينافي علو الله على خلقه.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٠٢/٥ -):

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢)، ومسلم برقم (٢٧٠٤) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٥٣٧)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

وَلَا يَحْسَبُ الحَاسِبُ أَنَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يُنَاقِضُ بَعْضَهُ بَعْضًا البَتَّةَ؛ مِثْلُ أَنْ يَقُولَ القَائِلُ: مَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ يُخَالِفُهُ الظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. وَقَوْلُهُ ﷺ: «إذا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ» وَنَحْوُ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا غَلَطٌ.

وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ مَعَنَا حَقِيقَةً، وَهُوَ فَوْقَ العَرْشِ حَقِيقَةً كَمَا جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ مَعَنَا أَيْنَمَا كُنَّا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ الأَوْعَالِ: «**وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**»[١].

وَذَلِكَ أَنَّ كَلِمَةَ (مَعَ) فِي اللُّغَةِ إِذَا أُطْلِقَتْ فَلَيْسَ ظَاهِرُهَا فِي اللُّغَةِ إِلَّا الْمُقَارَنَةَ الْمُطْلَقَةَ؛ مِنْ غَيْرِ وُجُوبِ مُمَاسَّةٍ أَوْ مُحَاذَاةٍ عَنْ يَمِينٍ أَوْ شِمَالٍ؛ فَإِذَا قُيِّدَتْ بِمَعْنَى مِنَ المَعَانِي؛ دَلَّتْ عَلَى الْمُقَارَنَةِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى.

فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقَمَرَ مَعَنَا أَوْ وَالنَّجْمَ مَعَنَا. وَيُقَالُ: هَذَا المَتَاعُ مَعِي لِمُجَامَعَتِهِ لَكَ؛ وَإِنْ كَانَ فَوْقَ رَأْسِك.

فَاللهُ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةً وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ حَقِيقَةً. ثُمَّ هَذِهِ (الْمَعِيَّةُ) تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهَا بِحَسَبِ المَوَارِدِ فَلَمَّا قَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾.

---

(١) **ضعيف**: تقدم تخريجه ().

دَلَّ ظَاهِرُ الخِطَابِ عَلَى أَنَّ حُكْمَ هَذِهِ المَعِيَّةِ وَمُقْتَضَاهَا أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ؛ شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَمُهَيْمِنٌ عَالِمٌ بِكُمْ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ: إِنَّهُ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ، وَهَذَا ظَاهِرُ الخِطَابِ وَحَقِيقَتُهُ.

وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ الآيَةَ. وَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِصَاحِبِهِ فِي الغَارِ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ كَانَ هَذَا أَيْضًا حَقًّا عَلَى ظَاهِرِهِ، وَدَلَّتْ الحَالُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ هَذِهِ المَعِيَّةِ هُنَا مَعِيَّةُ الِاطِّلَاعِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ. وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾. هُنَا المَعِيَّةُ عَلَى ظَاهِرِهَا وَحُكْمُهَا فِي هَذِهِ المَوَاطِنِ النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ.

وَقَدْ يَدْخُلُ عَلَى صَبِيٍّ مَنْ يُخِيفُهُ فَيَبْكِي فَيُشْرِفُ عَلَيْهِ أَبُوهُ مِنْ فَوْقِ السَّقْفِ فَيَقُولُ: لَا تَخَفْ؛ أَنَا مَعَك أَوْ أَنَا هُنَا؛ أَوْ أَنَا حَاضِرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ. يُنَبِّهُهُ عَلَى المَعِيَّةِ المُوجِبَةِ بِحُكْمِ الحَالِ دَفْعَ المَكْرُوهِ؛ فَفَرْقٌ بَيْنَ مَعْنَى المَعِيَّةِ وَبَيْنَ مُقْتَضَاهَا؛ وَرُبَّمَا صَارَ مُقْتَضَاهَا مِنْ مَعْنَاهَا.

فَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ المَوَاضِعِ. فَلَفْظُ (المَعِيَّةِ) قَدْ اُسْتُعْمِلَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ يَقْتَضِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أُمُورًا لَا يَقْتَضِيهَا فِي المَوْضِعِ الآخَرِ؛ فَإِمَّا أَنْ تَخْتَلِفَ دَلَالَتُهَا بِحَسَبِ المَوَاضِعِ، أَوْ تَدُلَّ عَلَى قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ جَمِيعِ مَوَارِدِهَا - وَإِنْ امْتَازَ كُلُّ مَوْضِعٍ بِخَاصِّيَّةٍ - فَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ لَيْسَ مُقْتَضَاهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مُخْتَلِطَةً بِالخَلْقِ حَتَّى يُقَالَ قَدْ صُرِفَتْ عَنْ ظَاهِرِهَا.

إلى أن قال: ثُمَّ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ كَوْنَ اللهِ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَى أَنَّ السَّمَاءَ تُحِيطُ بِهِ وَتَحْوِيهِ فَهُوَ كَاذِبٌ - إنْ نَقَلَهُ عَنْ غَيْرِهِ - وَضَالٌّ - إنْ اعْتَقَدَهُ فِي رَبِّهِ - وَمَا سَمِعْنَا أَحَدًا يَفْهَمُ

هَذَا مِنَ اللَّفْظِ، وَلَا رَأَيْنَا أَحَدًا نَقَلَهُ عَنْ وَاحِدٍ، وَلَوْ سُئِلَ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ: هَلْ تَفْهَمُونَ مِنْ قَوْلِ اللهِ وَرَسُولِهِ (إِنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ) أَنَّ السَّمَاءَ تَحْوِيهِ؛ لَبَادَرَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَقُولَ: هَذَا شَيْءٌ لَعَلَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِنَا.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا: فَمِنَ التَّكَلُّفِ أَنْ يَجْعَلَ ظَاهِرَ اللَّفْظِ شَيْئًا مُحَالًا لَا يَفْهَمُهُ النَّاسُ مِنْهُ ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَتَأَوَّلَهُ؛ بَلْ عِنْدَ النَّاسِ (أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ) (وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ) وَاحِدٌ؛ إِذْ السَّمَاءُ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْعُلُوَّ؛ فَالْمَعْنَى أَنَّ اللهَ فِي الْعُلُوِّ لَا فِي السُّفْلِ، وَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ كُرْسِيَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنَّ الْكُرْسِيَّ فِي الْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَأَنَّ الْعَرْشَ خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ؛ فَكَيْفَ يُتَوَهَّمُ بَعْدَ هَذَا أَنَّ خَلْقًا يَحْصُرُهُ وَيَحْوِيهِ؟ وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ وَقَالَ: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بِمَعْنَى (عَلَى) وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَهُوَ كَلَامٌ عَرَبِيٌّ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، وَهَذَا يَعْلَمُهُ مَنْ عَرَفَ حَقَائِقَ مَعَانِي الْحُرُوفِ وَأَنَّهَا مُتَوَاطِئَةٌ فِي الْغَالِبِ لَا مُشْتَرَكَةٌ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ**» الْحَدِيثَ. حَقٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي؛ بَلْ هَذَا الْوَصْفُ يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقَاتِ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَنَّهُ يُنَاجِي السَّمَاءَ أَوْ يُنَاجِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ؛ لَكَانَتْ السَّمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَوْقَهُ، وَكَانَتْ أَيْضًا قِبَلَ وَجْهِهِ.

وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَثَلَ بِذَلِكَ - وَللهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ بِالتَّمْثِيلِ بَيَانُ جَوَازِ هَذَا وَإِمْكَانُهُ؛ لَا تَشْبِيهُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَرَى رَبَّهُ مُخْلِيًا بِهِ**» فَقَالَ لَهُ أَبُو رَزِينٍ الْعقيلي: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ وَهُوَ وَاحِدٌ

وَنَحْنُ جَمِيعٌ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَأُنَبِّئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ اللهِ هَذَا القَمَرُ كُلُّكُمْ يَرَاهُ مُخْلِيًا بِهِ وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ؛ فَاللهُ أَكْبَرُ**»(١) أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**»(٢) فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْمَرْئِيُّ مُشَابِهًا لِلْمَرْئِيِّ، فَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا رَأَوْا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَاجَوْهُ كُلٌّ يَرَاهُ فَوْقَهُ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ كَمَا يَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَلَا مُنَافَاةَ أَصْلًا.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الواسطية كما فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٤٢/٣):

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ الإِيمَانِ بِاللَّهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ: مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ؛ بَلْ القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ؛ وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَكُلُّ هَذَا الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ - مِنْ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١٦١٨٦)، وأبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجه (١٨٠) من طريق يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس، ويقال: ابن عُدُس، عن أبي رزين العقيلي به. ووكيع مجهول.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنْ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ مِثْلُ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ أَوْ تُظِلُّهُ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/٢٢٦ -):

فَصْلٌ فِي الجَمْعِ بَيْنَ (عُلُوِّ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ قُرْبِهِ): مِنْ دَاعِيهِ وَعَابِدِيهِ.

فَنَقُولُ: قَدْ وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بِالْعُلُوِّ وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى العَرْشِ وَالْفَوْقِيَّةِ فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى قَالَ بَعْضُ كِبَارِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ: فِي القُرْآنِ أَلْفُ دَلِيلٍ أَوْ أَزْيَدُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ عَالٍ عَلَى الخَلْقِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: فِيهِ ثَلَاثُمِائَةِ دَلِيلٍ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِأَنَّ مَعْنَى ﴿عِنْدَهُ﴾ فِي قُدْرَتِهِ كَمَا يَقُولُ الجَهْمِيَّةُ؛ لَكَانَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ فِي قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ؛ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ؛ كَمَا أَنَّ الِاسْتِوَاءَ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الِاسْتِيلَاءَ لَكَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ؛ وَلَكَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى العَرْشِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ دَائِمًا. وَالِاسْتِوَاءُ مُخْتَصٌّ بِالْعَرْشِ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ تَارَةً كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَيْهِ، وَتَارَةً لَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًا عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ العُلُوُّ مِنْ الصِّفَاتِ المَعْلُومَةِ بِالسَّمْعِ مَعَ العَقْلِ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْمُثْبِتَةِ، وَأَمَّا الِاسْتِوَاءُ عَلَى العَرْشِ فَمِنْ الصِّفَاتِ المَعْلُومَةِ بِالسَّمْعِ لَا بِالْعَقْلِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ أَيْضًا بِالْمَعِيَّةِ وَالْقُرْبِ. وَالْمَعِيَّةُ مَعِيَّتَانِ: عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ. فَالْأُولَى كَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وَالثَّانِيَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

وَأَمَّا (الْقُرْبُ) فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾. وَقَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾

ثم قال رحمه الله:

وسَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا: أَئِمَّةُ العِلْمِ وَالدِّينِ مِنْ شُيُوخِ العِلْمِ وَالْعِبَادَةِ أَثْبَتُوا وَآمَنُوا بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ لِلْكَلِمِ، أَثْبَتُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَأَنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُمْ مِنْهُ بَائِنُونَ، وَهُوَ أَيْضًا مَعَ العِبَادِ عُمُومًا بِعِلْمِهِ وَمَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالْكِفَايَةِ، وَهُوَ أَيْضًا قَرِيبٌ مُجِيبٌ؛ فَفِي آيَةِ النَّجْوَى دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ**» فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ الْمُسَافِرِ فِي سَفَرِهِ وَمَعَ أَهْلِهِ فِي وَطَنِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ مُخْتَلِطَةً بِذَوَاتِهِمْ كَمَا قَالَ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أَيْ: (مَعَهُ عَلَى الإِيمَانِ) لَا أَنَّ ذَاتَهُمْ فِي ذَاتِهِ، بَلْ هُمْ مُصَاحِبُونَ لَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَتِهِمْ فِي الإِيمَانِ وَمُوَالَاتِهِمْ فَاللهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِعِبَادِهِ وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا وَعِلْمُهُ بِهِمْ مِنْ لَوَازِمِ الْمَعِيَّةِ؛

وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ الآيَةَ فَإِنَّهُ يُرَادُ بِرُؤْيَتِهِ وَسَمْعِهِ إِثْبَاتُ عِلْمِهِ بِذَلِكَ؛ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ هَلْ ذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ شَرٌّ فَيُثِيبُ عَلَى الحَسَنَاتِ وَيُعَاقِبُ عَلَى السَّيِّئَاتِ.

وَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ الْقُدْرَةِ عَلَى الخَلْقِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وَالْمُرَادُ التَّخْوِيفُ بِتَوَابِعِ السَّيِّئَاتِ وَلَوَازِمِهَا مِنْ الْعُقُوبَةِ وَالِانْتِقَام.

وَأَمَّا لَفْظُ (الْقُرْبِ) فَقَدْ ذَكَرَهُ تَارَةً بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ وَتَارَةً بِصِيغَةِ الْجَمْعِ؛ فَالْأَوَّلُ إِنَّمَا جَاءَ فِي إِجَابَةِ الدَّاعِي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ وَكَذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ: «**أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»(١).

وَجَاءَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ﴾ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ و ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ و ﴿عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾. فَالْقُرْآنُ هُنَا حِينَ يَسْمَعُهُ مِنْ جِبْرِيلَ، وَالْبَيَانُ هُنَا بَيَانُهُ لِمَنْ يَبْلُغُهُ الْقُرْآنُ.

وَمَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَخَلَفِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْ جِبْرِيلَ، وَجِبْرِيلُ سَمِعَهُ مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ. ﴿نَتْلُوا﴾ و﴿نَقُصُّ﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ فَهَذِهِ الصِّيغَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِلْوَاحِدِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَهُ أَعْوَانٌ يُطِيعُونَهُ؛ فَإِذَا فَعَلَ أَعْوَانُهُ فِعْلًا بِأَمْرِهِ قَالَ: نَحْنُ فَعَلْنَا: كَمَا يَقُولُ الْمَلِكُ: نَحْنُ فَتَحْنَا هَذَا الْبَلَدَ وَهَزَمْنَا هَذَا الْجَيْشَ وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَفْعَلُ بِأَعْوَانِهِ وَاللهُ تَعَالَى رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَلَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَهُوَ مَعَ هَذَا خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ أَفْعَالِهِمْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢)، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

وَقُدْرَتِهِمْ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُمْ؛ وَلَيْسَ هُوَ كَالْمَلِكِ الَّذِي يَفْعَلُ أَعْوَانُهُ بِقُدْرَةٍ وَحَرَكَةٍ يَسْتَغْنُونَ بِهَا عَنْهُ فَكَانَ قَوْلُهُ لِمَا فَعَلَهُ بِمَلَائِكَتِهِ: نَحْنُ فَعَلْنَا أَحَقُّ وَأَوْلَى مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْمُلُوكِ.اهـ

إثبات صفة القرب والدنو لله عز وجل:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/٤٦٦ -):

وَأَمَّا دُنُوُّهُ نَفْسُهُ وَتَقَرُّبُهُ مِنْ بَعْضِ عِبَادِهِ؛ فَهَذَا يُثْبِتُهُ مَنْ يُثْبِتُ قِيَامَ الأَفْعَالِ الِاخْتِيَارِيَّةِ بِنَفْسِهِ، وَمَجِيئِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَنُزُولِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى العَرْشِ.

وَهَذَا مَذْهَبُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ وَأَئِمَّةِ الإِسْلَامِ الْمَشْهُورِينَ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالنَّقْلُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ مُتَوَاتِرٌ. وَأَوَّلُ مَنْ أَنْكَرَ هَذَا فِي الإِسْلَامِ (الْجَهْمِيَّة)، وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَكَانُوا يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ وَالْعُلُوَّ عَلَى العَرْشِ، ثُمَّ جَاءَ ابْنُ كُلَّابٍ فَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَأَثْبَتَ الصِّفَاتِ وَالْعُلُوَّ عَلَى العَرْشِ، لَكِنْ وَافَقَهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَا تَقُومُ بِهِ الأُمُورُ الِاخْتِيَارِيَّةُ؛ وَلِهَذَا أَحْدَثَ قَوْلَهُ فِي القُرْآنِ: إنَّهُ قَدِيمٌ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ بِقُدْرَتِهِ.

وَلَا يُعْرَفُ هَذَا القَوْلُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ؛ بَلْ الْمُتَوَاتِرُ عَنْهُمْ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَأَنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ كَمَا ذَكَرْت أَلْفَاظَهُمْ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ فِي مَوَاضِعَ غَيْرِ هَذَا.

فَالَّذِينَ يُثْبِتُونَ أَنَّهُ كَلَّمَ مُوسَى بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ كَلَامًا قَائِمًا بِهِ؛ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ إنَّهُ يَدْنُو وَيَقْرُبُ مِنْ عِبَادِهِ بِنَفْسِهِ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ أَوْ قَدِيمٌ فَأَصْلُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْرُبَ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَدْنُوَ إلَيْهِ. فَمَنْ قَالَ مِنْهُمْ: بِهَذَا مَعَ هَذَا؛ كَانَ مِنْ تَنَاقُضِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ أَصْلَ القَائِلِينَ بِأَنَّهُ قَدِيمٌ. وَأَهْلُ الكَلَامِ قَدْ يَعْرِفُونَ مِنْ حَقَائِقِ أُصُولِهِمْ وَلَوَازِمِهَا مَا لَا

يَعْرِفُهُ مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى أَصْلِ المَقَالَةِ، وَلَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَتَهَا وَلَوَازِمَهَا؛ فَلِذَا يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ يَتَنَاقَضُ كَلَامُهُ فِي هَذَا البَابِ.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/٤٩٣ -):

وَلَيْسَ فِي القُرْآنِ وَصْفُ الرَّبِّ تَعَالَى بِالْقُرْبِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَصْلًا، بَلْ قُرْبُهُ الَّذِي فِي القُرْآنِ خَاصٌّ لَا عَامٌّ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَرِيبٌ مِمَّنْ دَعَاهُ.

وَكَذَلِكَ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكَانُوا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ؛ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**» فَقَالَ: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ**»[1] لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ قَرِيبٌ إِلَى كُلِّ مَوْجُودٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ هُوَ كَقَوْلِ شُعَيْبٍ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ مُقْرُونَ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ أَرَادَ بِهِ قَرِيبٌ مُجِيبٌ لِاسْتِغْفَارِ الْمُسْتَغْفِرِينَ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ كَمَا أَنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ بِهِمْ وَقَدْ قَرَنَ القَرِيبَ بِالْمُجِيبِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُقَالُ إِنَّهُ مُجِيبٌ لِكُلِّ مَوْجُودٍ وَإِنَّمَا الإِجَابَةُ لِمَنْ سَأَلَهُ وَدَعَاهُ فَكَذَلِكَ قُرْبُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢)، ومسلم برقم (٢٧٠٤) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَسْمَاءُ اللهِ الْمُطْلَقَةُ كَاسْمِهِ: السَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ وَالْغَفُورِ وَالشَّكُورِ وَالْمُجِيبِ وَالْقَرِيبِ لَا يَجِبُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ؛ بَلْ يَتَعَلَّقُ كُلُّ اسْمٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ وَاسْمُهُ العَلِيمُ لَمَّا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا تَعَلَّقَ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ فَالْمُرَادُ بِهِ قُرْبُهُ إِلَيْهِ بِالْمَلَائِكَةِ وَهَذَا هُوَ المَعْرُوفُ عَنْ الْمُفَسِّرِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ السَّلَفِ قَالُوا: مَلَكُ الْمَوْتِ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ الْمَلَائِكَةَ.

وَقَدْ قَالَ طَائِفَةٌ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بِالْعِلْمِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَلَفْظُ بَعْضِهِمْ بِالْقُدْرَةِ وَالرُّؤْيَةِ.

وَهَذِهِ الأَقْوَالُ ضَعِيفَةٌ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَصْفُهُ بِقُرْبٍ عَامٍّ مِنْ كُلِّ مَوْجُودٍ حَتَّى يَحْتَاجُوا أَنْ يَقُولُوا بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالرُّؤْيَةِ؛ وَلَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَمَّا ظَنُّوا أَنَّهُ يُوصَفُ بِالْقُرْبِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تَأَوَّلُوا ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

وَكَأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ لَفْظَ (القُرْبِ) مِثْلُ لَفْظِ (المَعِيَّةِ)؛ فَإِنَّ لَفْظَ المَعِيَّةِ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ وَالْمُجَادَلَةِ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وَقَوْله تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ

إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ السَّلَفِ أَنَّهُمْ قَالُوا: هُوَ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ وَغَيْرُهُ أَنَّ هَذَا إِجْمَاعٌ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَلَمْ يُخَالِفْهُمْ فِيهِ أَحَدٌ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ وَهُوَ مَأْثُورٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ حَدَّثَنَا أَبِي ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ نُوحِ بْنِ مَيْمُونٍ المَضْرُوبِ، عَنْ بكير بْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ قَالَ هُوَ عَلَى العَرْشِ وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ[1].

قَالَ: وَرُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: عِلْمُهُ مَعَهُمْ.

وَقَالَ: حَدَّثَنا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدورقي حَدَّثَنا نُوحُ بْنُ مَيْمُونٍ المَضْرُوبُ، ثَنَا بكير بْنُ مَعْرُوفٍ، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ؛ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَيْنَمَا كَانُوا﴾ قَالَ: هُوَ عَلَى العَرْشِ وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ.

وَرَوَاهُ بِإِسْنَادِ آخَرَ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ هَذَا وَهُوَ ثِقَةٌ فِي التَّفْسِيرِ لَيْسَ بِمَجْرُوحٍ كَمَا جُرِحَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَد: ثَنَا أَبِي ثَنَا نُوحُ بْنُ مَيْمُونٍ المَضْرُوبُ عَنْ بكير بْنِ مَعْرُوفٍ ثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ

---

(١) إسناده حسن، رجاله كلهم ثقات؛ إلا بكير بن معروف؛ فإنه حسن الحديث.

نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ قَالَ: هُوَ عَلَى العَرْشِ وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مُوسَى صَاحِبُ عبادة ثنا معدان - قَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ بِخُرَاسَانَ مِنْ الأَبْدَالِ فمعدان - قَالَ: سَأَلْت سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ عَنْ قَوْلِهِ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ قَالَ: عِلْمُهُ.

وَقَالَ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ: قُلْت لِأَبِي عَبْدِ الله أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ: مَا مَعْنَى قَوْله تَعَالَى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ و﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ قَالَ: عِلْمُهُ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ شَاهِدٌ، عَلَّامُ الغُيُوبِ يَعْلَمُ الغَيْبَ رَبُّنَا عَلَى العَرْشِ بِلَا حَدٍّ وَلَا صِفَةٍ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ.

وَقَدْ بَسَطَ الإِمَامُ أَحْمَد الكَلَامَ عَلَى مَعْنَى المَعِيَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّة . وَلَفْظُ المَعِيَّةِ فِي كِتَابِ الله جَاءَ عَامًّا كَمَا فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ وَجَاءَ خَاصًّا كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا﴾. فَلَوْ كَانَ المُرَادُ أَنَّهُ بِذَاتِهِ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ؛ لَكَانَ التَّعْمِيمُ يُنَاقِضُ التَّخْصِيصَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا﴾ أَرَادَ بِهِ تَخْصِيصَهُ وَأَبَا بَكْرٍ دُونَ عَدُوِّهِمْ مِنْ الكُفَّارِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ خَصَّهُمْ بِذَلِكَ دُونَ الظَّالِمِينَ وَالْفُجَّارِ.

وَأَيْضًا فَلَفْظُ (المَعِيَّةِ) لَيْسَتْ فِي لُغَةِ العَرَبِ وَلَا شَيْءَ مِنْ القُرْآنِ يُرَادُ بِهَا اخْتِلَاطُ إِحْدَى الذَّاتَيْنِ بِالْأُخْرَى؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ المُؤْمِنِينَ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿اتَّقُوا اللهَّ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وَقَوْلِهِ:

﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾. وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ؛ فَامْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَاتَه مُخْتَلِطَةٌ بِذَوَاتِ الخَلْقِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ افْتَتَحَ الآيَةَ بِالْعِلْمِ وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ فَكَانَ السِّيَاقُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ. وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَبَيَّنَ أَنَّ لَفْظَ المَعِيَّةِ فِي اللُّغَةِ - وَإِنْ اقْتَضَى الْمُجَامَعَةَ وَالْمُصَاحَبَةَ وَالْمُقَارَنَةَ - فَهُوَ إِذَا كَانَ مَعَ العِبَادِ لَمْ يُنَافِ ذَلِكَ عُلُوَّهُ عَلَى عَرْشِهِ وَيَكُونُ حُكْمُ مَعِيَّتِه فِي كُلِّ مَوْطِنٍ بِحَسَبِهِ فَمَعَ الخَلْقِ كُلِّهِمْ بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ وَيَخُصُّ بَعْضَهُمْ بِالْإِعَانَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: قَرَأْت عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الفَضْلِ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُزَاحِمٍ ثَنَا بكير بْنُ مَعْرُوفٍ: عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ مِنْ المَطَرِ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ مِنْ النَّبَاتِ ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ مِنْ القَطْرِ ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ مَا يَصْعَدُ إلَى السَّمَاءِ مِنْ المَلَائِكَةِ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يَعْنِي بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَعِلْمِهِ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ.

وَبِهَذَا الإِسْنَادِ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: بَلَغَنَا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ فِي قَوْله تَعَالَى. ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ قَالَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴿وَالْآخِرُ﴾ قَالَ: بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ قَالَ: فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ قَالَ: أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَإِنَّمَا نَعْنِي بِالْقُرْبِ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يَعْلَمُ نَجْوَاهُمْ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ نَطَقُوا بِهِ سَيِّئٍ أَوْ حَسَنٍ.

وَهَذَا لَيْسَ مَشْهُورًا عَنْ مُقَاتِلٍ كَشُهْرَةِ الأَوَّلِ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ لَمْ يَجْزِمْ بِمَا قَالَهُ بَلْ قَالَ: بَلَغنَا وَهُوَ الَّذِي فَسَّرَ البَاطِنَ بِالْقَرِيبِ ثُمَّ فَسَّرَ القُرْبَ بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَك شَيْءٌ وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَك شَيْءٌ**»(١).

وَجَاءَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الأَسْمَاءِ وَحَدِيثِ (الإِدْلَاءِ) مَا قَدْ بَسَطْنَا القَوْلَ عَلَيْهِ فِي مَسْأَلَةِ الإِحَاطَةِ.

وَكَذَلِكَ هَذَا الحَدِيثُ ذَكَرَهُ قتادة فِي تَفْسِيرِهِ؛ وَهُوَ يُبَيِّنُ أَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَى البَاطِنِ أَنَّهُ القُرْبُ، وَلَا لَفْظُ البَاطِنِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا لَفْظُ القُرْبِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى جِهَةِ العُمُومِ كَلَفْظِ المَعِيَّةِ وَلَا لَفْظُ القُرْبِ فِي اللُّغَةِ وَالْقُرْآنِ كَلَفظِ المَعِيَّةِ فَإِنَّهُ إذَا قَالَ: هَذَا مَعَ هَذَا؛ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ المُجَامَعَةَ وَالْمُقَارَنَةَ وَالْمُصَاحَبَةَ وَلَا يَدُلُّ عَلَى قُرْبِ إحْدَى الذَّاتَيْنِ مِنْ الأُخْرَى وَلَا اخْتِلَاطِهَا بِهَا؛ فَلِهَذَا كَانَ إذَا قِيلَ: هُوَ مَعَهُمْ؛ دَلَّ عَلَى أَنَّ عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ وَسُلْطَانَهُ مُحِيطٌ بِهِمْ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فَوْقَ عَرْشِهِ؛ كَمَا أَخْبَرَ القُرْآنُ وَالسُّنَّةُ بِهَذَا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَعَ عُلُوِّهِ عَلَى عَرْشِهِ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يَمْنَعُهُ عُلُوُّهُ عَنْ العِلْمِ بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَكَذَلِكَ فِي حَدِيثِ (الأَوْعَالِ) الَّذِي فِي السُّنَنِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ وَيَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**»[1] وَلَمْ يَأْتِ فِي لَفْظِ القُرْبِ مِثْلُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ بَلْ قَالَ: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**».

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: ثَنَا أَبِي، ثَنَا يَحْيَى بْنُ الْمُغِيرَةِ، ثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبَدَةَ بْنِ أَبِي بَرْزَةَ السجستاني، عَنِ الصَّلْتِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيَهُ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيَهُ ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾[2].

وَلَا يُقَالُ فِي هَذَا: قَرِيبٌ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ فَإِنَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُمْ لَمْ يَشُكُّوا فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهُ وَإِنَّمَا سَأَلُوا عَنْ قُرْبِهِ إِلَى مَنْ يَدْعُوهُ وَيُنَاجِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ تُفَسِّرُ (القُرْبَ) فِي الآيَةِ وَالْحَدِيثِ بِالْعِلْمِ؛ لِكَوْنِهِ هُوَ الْمَقْصُودُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ وَيَسْمَعُ دُعَاءَ الدَّاعِي حَصَلَ مَقْصُودُهُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي اقْتَضَى أَنْ يَقُولَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِمَعْنَى العِلْمِ وَالْقُدْرَةِ؛ فَإِنَّ هَذَا قَدْ

---

(١) **ضعيف**: تقدم تخريجه ().

(٢) **ضعيف**: في إسناده الصلت بن حكيم، وهو مجهول، وأبوه مجهول.

قَالَهُ بَعْضُ السَّلَفِ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ وَكَثِيرٌ مِنَ الخَلَفِ؛ لَكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِنَّ نَفْسَ ذَاتِهِ قَرِيبَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وَهَذَا المَعْنَى يُقِرُّ بِهِ جَمِيعُ المُسْلِمِينَ؛ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ وَمَنْ يَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ. وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الماجشون قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ يَعْلَمُ وَهُوَ كَذَلِكَ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ أَنْفُسُنَا مِنَّا؛ وَهُوَ بِذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُوَسْوِسُ بِهِ أَنْفُسُنَا مِنَّا فَكَيْفَ بِحَبْلِ الوَرِيدِ.

وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عَمْرٍو الطلمنكي قَالَ: وَمَنْ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾ فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى مَعْنَى العِلْمِ بِهِ وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَالدَّلِيلُ مِنْ ذَلِكَ صَدْرُ الآيَةِ؛ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾ لِأَنَّ اللهَ لَمَّا كَانَ عَالِمًا بِوَسْوَسَتِهِ؛ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ، وَحَبْلُ الوَرِيدِ لَا يَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ النَّفْسُ.

وَيَلْزَمُ المُلْحِدَ عَلَى اعْتِقَادِهِ أَنْ يَكُونَ مَعْبُودُهُ مُخَالِطًا لِدَمِ الإِنْسَانِ وَلَحْمِهِ وَأَنْ لَا يُجَرِّدَ الإِنْسَانُ تَسْمِيَةَ المَخْلُوقِ حَتَّى يَقُولَ: خَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ مَعْبُودَهُ بِزَعْمِهِ دَاخِلُ حَبْلِ الوَرِيدِ مِنَ الإِنْسَانِ وَخَارِجُهُ فَهُوَ عَلَى قَوْلِهِ مُمْتَزِجٌ بِهِ غَيْرُ مُبَايِنٍ لَهُ.

قَالَ: وَقَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ وَتَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَعَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. قَالَ: وَكَذَلِكَ الجَوَابُ فِي قَوْلِهِ فِيمَنْ يَحْضُرُهُ المَوْتُ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أَيْ بِالْعِلْمِ بِهِ وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ إِذْ لَا يَقْدِرُونَ لَهُ عَلَى حِيلَةٍ وَلَا يَدْفَعُونَ عَنْهُ المَوْتَ وَقَدْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾.

قُلْت: وَهَكَذَا ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ مِثْلَ الثَّعْلَبِيِّ وَأَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرِهِمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وَأَمَّا فِي قَوْلِهِ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ فَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ الْقَوْلَيْنِ: إنَّهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَأَنَّهُ الْقُرْبُ بِالْعِلْمِ.

وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَقْصُودُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ ذَاتَ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا قَرِيبَةٌ مِنْ وَرِيدِ الْعَبْدِ وَمِنْ الْمَيِّتِ وَلَمَّا ظَنُّوا أَنَّ الْمُرَادَ قُرْبُهُ وَحْدَهُ دُونَ قُرْبِ الْمَلَائِكَةِ فَسَّرُوا ذَلِكَ بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ كَمَا فِي لَفْظِ الْمَعِيَّةِ، وَلَا حَاجَةَ إلَى هَذَا؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أَيْ بِمَلَائِكَتِنَا فِي الْآيَتَيْنِ وَهَذَا بِخِلَافِ لَفْظ الْمَعِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ: وَنَحْنُ مَعَهُ بَلْ جَعَلَ نَفْسَهُ هُوَ الَّذِي مَعَ الْعِبَادِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُنَبِّئُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا عَمِلُوا وَهُوَ نَفْسُهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ نَفْسُهُ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فَلَا يُجْعَلُ لَفْظٌ مِثْلَ لَفْظٍ مَعَ تَفْرِيقِ الْقُرْآنِ بَيْنَهُمَا.اهـ

قرب الله من عباده أجمعين من لوازم ذاته:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٦/١٣):

(قُرْبِهِ) الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ: مِثْلَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةُ؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ لَمْ يَزَلْ بِهِمْ عَالِمًا، وَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهِمْ قَادِرًا هَذَا مَذْهَبُ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعَامَّةِ الطَّوَائِفِ إلَّا مَنْ يُنْكِرُ عِلْمَهُ الْقَدِيمَ مِنْ الْقَدَرِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ أَوْ يُنْكِرُ قُدْرَتَهُ عَلَى الشَّيْءِ قَبْلَ كَوْنِهِ مِنْ الرَّافِضَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ.اهـ

وقال في (١٩/٦):

وَأَمَّا قُرْبُهُ اللَّازِمُ مِنْ عِبَادِهِ: بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ فَقَدْ تَقَدَّمَ. وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ الخِلَافِ فِي قُرْبِهِ بِنَفْسِهِ قُرْبًا لَازِمًا وَعُرِفَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ وَالْمُخْتَلَفُ فِيهِ: مِنْ قُرْبِهِ العَارِضِ وَاللَّازِمِ.اهـ

٦٨) وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**». يَعْنِي العَصْرَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

٦٩) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟**» قُلْنَا: لَا. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ؛ فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيُقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟، فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ: لَهُمْ مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟، فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟، فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟، قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي، فَاقْرَءُوا: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ. فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ

النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٧٠) وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «تُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ، أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ، وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ المُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو المُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ، كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ سَبْعُونَ الفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلُ الجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ المَاءَ، حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

مسائل العقيدة المستفادة من الأحاديث

إثبات رؤية المؤمنين كلهم لربهم يوم القيامة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح (باب/٦٥):

اتفق عليها الأنبياء، والمرسلون وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام، على تتابع القرون.

وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مَسبَّةِ أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون.

وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون، أولئك أحزاب الضلال، وشيعة اللعين، وأعداء الرسول وحزبه.اهـ

ويدل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، وقوله عز وجل: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين:٢٣]، وقوله عز وجل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقوله عز وجل عن الكفار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥]، وقوله عز وجل: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق:٣٥]، ونحو ذلك من الأدلة.

وكذلك الأدلة التي فيها ذِكْرُ لقاء الله عز وجل كلها صالحة للاحتجاج بها على رؤية الله سبحانه، كقوله سبحانه ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقوله تعالى ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ

أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٤]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح (باب/٦٥):

وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية، ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾.

فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة بل والكفار أيضا كَمَا فِي الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة.اهـ

وأما من سنة النبي ﷺ فالأدلة كثيرة جدًا بلغت مبلغ التواتر:

فمنها: الأحاديث المذكورة في الباب.

ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**». ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

ومنها: ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِى جَنَّةِ عَدْنٍ**».

ومنها: حديث عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عند النسائي (١٣٠٥) وغيره أن النبي ﷺ دعا بدعاء قال فيه: «**وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**». وإسناده صحيح.

وانظر كتاب حادي الأرواح (باب/ ٦٥)؛ فقد سرد أحاديث كثيرة جدًا في ذلك؛ فرحم الله ابن القيم، وغفر له، وجمعنا وإياه في ظله، وفي النظر إليه سبحانه وتعالى.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣/ ٣٩٠ -):

نَعَمْ رُؤْيَةُ الله بِالْأَبْصَارِ هِي لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الجَنَّةِ، وَهِيَ أَيْضًا لِلنَّاسِ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ؛ كَمَا تَوَاتَرَتْ الأَحَادِيثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ وَكَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**».

ثم قال: وَهَذِهِ الأَحَادِيثُ وَغَيْرُهَا فِي الصِّحَاحِ؛ وَقَدْ تَلَقَّاهَا السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ بِالْقَبُولِ؛ وَاتَّفَقَ عَلَيْهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ وَإِنَّمَا يُكَذِّبُ بِهَا أَوْ يُحَرِّفُهَا الجَهْمِيَّة، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ: الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِصِفَاتِ الله تَعَالَى وَبِرُؤْيَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهُمْ الْمُعَطِّلَةُ شِرَارُ الخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ.

وَدِينُ الله وَسَطٌ بَيْنَ تَكْذِيبِ هَؤُلَاءِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ فِي الآخِرَةِ؛ وَبَيْنَ تَصْدِيقِ الغَالِيَةِ؛ بِأَنَّهُ يُرَى بِالْعُيُونِ فِي الدُّنْيَا وَكِلَاهُمَا بَاطِلٌ.

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَرَاهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ فِي الدُّنْيَا هُمْ ضُلَّالٌ كَمَا تَقَدَّمَ فَإِنْ ضَمُّوا إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ فِي بَعْضِ الأَشْخَاصِ: إِمَّا بَعْضَ الصَّالِحِينَ أَوْ بَعْضِ

المردان أَوْ بَعْضُ الْمُلُوكِ أَوْ غَيْرِهِمْ عَظُمَ ضَلَالُهُمْ وَكُفْرُهُمْ، وَكَانُوا حِينَئِذٍ أَضَلَّ مِنْ النَّصَارَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ فِي صُورَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. بَلْ هُمْ أَضَلُّ مِنْ أَتْبَاعِ الدَّجَّالِ.اهـ

تنبيه: جاءت رواية في حديث جرير الذي في الباب عند البخاري (٧٤٣٥) بزيادة (عيانًا)، وهي رواية شاذة، شذ بها أبو شهاب عبد ربه بن نافع.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله كَمَا فِي فتح الباري (٧٤٣٥):

قال الطبراني: تفرد أبو شهاب، عن إسماعيل بن أبي خالد، بقوله: (عيانًا)، وهو حافظ متقن من ثقات المسلمين انتهى.

وذكر شيخ الإسلام الهروي في كتابه الفاروق أن زيد بن أبي أنيسة رواه أيضا عن إسماعيل بهذا اللفظ، وساقه من رواية: أكثر من ستين نفسًا عن إسماعيل بلفظ واحد كالأول - يعني بدون الزيادة -.اهـ

وقد ساق ابن القيم رحمه الله الرواة الذين رووا الحديث عن إسماعيل بن أبي خالد في كتابه حادي الأرواح؛ فبلغ بهم أكثر من مائة نفس، ولم تأت الزيادة المذكورة إلا في رواية الرجلين اللذين ذكرهما الحافظ ابن حجر رحمه الله.

قلت: كلام الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٢٢٣٣)، وهذه الزيادة معناها صحيح؛ فالذي عليه أهل السنة والجماعة أنها رؤية حقيقة بالعين.

شبهة للمبتدعة في نفي رؤية المؤمنين لربهم تعالى في الآخرة، مع الجواب عنها:

استدل المبتدعة من المعتزلة والجهمية على نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

قالوا: قوله: ﴿لن تراني﴾ نفي على التأبيد، ويدل على أن ﴿لن﴾ تفيد التأبيد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

والجواب عن ذلك:

قلت: هذه الآية دليل عليهم، وليست لهم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح (باب/٦٥):

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سال ربه تعالى النظر إليه، فقال له ربه تبارك وتعالى ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن، ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل ما هو من أبطل الباطل، وأعظم المحال، وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيا

لله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالا لأنكره عليه ولهذا لما سال إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [هود:٤٦-٤٧].

الثالث: أنه أجابه بقوله ﴿لن تراني﴾ ولم يقل: لا تراني، ولا: إني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الرابع: وهو قوله ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار؛ فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف.

الخامس: إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا في ذاتها لم

يعلقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤيا محالا؛ لكان ذلك نظير أن يقول إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام؛ فالأمران عندكم سواء.

السادس: قوله سبحانه وتعالى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب عليه؛ فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامتهم ويريهم نفسه فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية؛ إلا بإنكار التكليم.

وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فأنكروا ان يكلم أحدا أو يراه أحد ولهذا سأله موسى عليه السلام النظر إليه وأسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه لم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله، كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأما قوله تعالى: ﴿لن تراني﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفي، ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت قال تعالى ﴿ولن يتمنوه أبدا﴾ مع قوله تعالى ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾.انتهى.

قلت: ولو كانت للتأبيد المطلق فقط؛ لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء مع ذلك فقال تعالى ﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي﴾ [يوسف:٨٠] فثبت أن (لن) لا

تقتضي النفي المؤبد دائمًا، وقد تقتضيه إذا دل على ذلك دليل آخر، كَمَا فِي الآية التي ذكروها.

قال ابن مالك رحمه الله كَمَا فِي الكافية:

ومن رأى النفي بلن مؤبدًا فقوله اردد وسواه فاعضدا

شبهة أخرى للمبتدعة في نفي رؤية المؤمنين لربهم تعالى، وجوابها:

استدل المبتدعة على نفي الرؤية بقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾

والجواب عن ذلك:

بأن الإدراك هو: الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] فلم ينفِ موسى الرؤية وإنما نفى الإدراك، فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به علمًا، وهذا الجواب ارتضاه شيخ الإسلام، ثم تلميذه ابن القيم رحمه الله.

وقد قيل أيضًا في الجواب عنهم: إنَّ نفي الإدراك الذي في الآية إنما هو في الدنيا لا في الآخرة(١).

قوله عليه الصلاة والسلام في حديث جرير: (كما ترون القمر ليلة البدر، وكذا التشبيه في حديث أبي سعيد).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/١٠٧):

---

(١) انظر: "حادي الأرواح" (باب/ ٦٥) "شرح الطحاوية" (ص١٩١-١٩٣)، "تفسير ابن كثير" سورة الأنعام [آية: ١٠٣]، "مجموع الفتاوى" (١١/ ٤٨١)، (١٦/ ٧٨-)، (١٧/ ١١١).

فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْمَرْئِيُّ مُشَابِهًا لِلْمَرْئِيِّ، فَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا رَأَوْا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَاجَوْهُ كُلٌّ يَرَاهُ فَوْقَهُ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ كَمَا يَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَلَا مُنَافَاةَ أَصْلًا.اهـ

فصار المعنى: إنكم سترون الله رؤية واضحة؛ كرؤيتكم الشمس والقمر بدون سحاب يحول بينكم وبين الرؤية.

الرؤية لا تكون إلا مع إثبات العلو لله عز وجل:

قال ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٢١٠):

وَإِذَا جَازَ أَنْ يُرَى، فَالرُّؤْيَةُ الْمَعْقُولَةُ لَهُ عِنْدَ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ، عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ وَتُرْكِهِمْ وَسَائِرِ طَوَائِفِهِمْ، أَنْ يَكُونَ الْمَرْئِيُّ مُقَابِلًا لِلرَّائِي مُوَاجِهًا لَهُ بَائِنًا عَنْهُ، لَا تَعْقِلُ الْأُمَمُ رُؤْيَةً غَيْرَ ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَتِ الرُّؤْيَةُ مُسْتَلْزِمَةً لِمُوَاجَهَةِ الرَّائِي وَمُبَايَنَةِ الْمَرْئِيِّ لَزِمَ ضَرُورَةً أَنْ يَكُونَ مَرْئِيًّا لَهُ مَنْ فَوْقَهُ أَوْ مِنْ تَحْتِهِ أَوْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ أَوْ خَلْفِهِ أَوْ أَمَامَهُ، وَقَدْ دَلَّ النَّقْلُ الصَّرِيحُ عَلَى أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ، لَا مِنْ تَحْتِهِمْ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾** [يس: ٥٨] **ثُمَّ يَتَوَارَى عَنْهُمْ وَتَبْقَى رَحْمَتُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ»**(١).

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (١٨٤)، والبزار كما في "كشف الأستار" (٢٢٥٣)، والعقيلي في "الضعفاء" (٢/ ٢٧٤)، والدارقطني في الرؤية (٥١)، وابن عدي في "الكامل" (٧/ ١٢٠)، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" (٨٣٦)، والبيهقي في "البعث والنشور" (٤٤٨)، وأبو نعيم في "الحلية" (٦/ ٢٠٨) من طريق أبي عَاصِمٍ الْعَبَّادَانِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ الرَّقَاشِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ بِهِ.
=

فَلَا يَجْتَمِعُ الْإِقْرَار بِالرُّؤْيَةِ وَإِنْكَار الْفَوْقِيَّةِ وَالْمُبَايَنَةِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ الْمُغُول تُنْكِرُ عُلُوَّهُ عَلَى خَلْقِهِ وَرُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ؛ وَمَخَانِيثُهُمْ يُقِرُّونَ بِالرُّؤْيَةِ وَيُنْكِرُونَ الْعُلُوَّ، وَقَدْ ضَحِكَ جُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ مِنَ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الرُّؤْيَةَ تَحْصُلُ مِنْ غَيْرِ مُوَاجَهَةِ الْمَرْئِيِّ وَمُبَايَنَتِهِ، وَهَذَا رَدٌّ لِمَا هُوَ مَرْكُوزٌ فِي الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ.اهـ

مسألة: رؤية الكفار لله عز وجل في أرض المحشر:

يأتي الكلام على هذه المسألة في الباب الذي ذكرت فيه (ص).

من صفات الله عز وجل الفعلية صفة الإتيان والمجيء:

دل حديث أبي سعيد وحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الله عز وجل يتصف بصفة الإتيان وفي الكتاب والسنة أدلة متكاثرة على إثبات صفة المجيء والإتيان، وهي صفة تليق بالله عز وجل، لا تماثل صفات المخلوقين.

ومن الأدلة على إثبات هذه الصفة من القرآن:

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ وَالمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠] وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢].

ومن الأدلة على ذلك من السنة إضافة إلى أحاديث الباب:

= وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ أبو عاصم العباداني ضعيف، والفضل بن عيسي الرقاشي أشد ضعفًا.

ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «.. **وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا؛ تقرَّبت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي؛ أتيتُه هرولةً**»[1].

قال أبو عمرو الطَّلَمَنْكِيُّ: أجمعوا ـ يعني: أهل السنة والجماعة ـ على أنَّ الله يأتي يوم القيامة، والملائكة صفًّا صفًّا لحساب الأمم وعرضها كما يشاء، وكيف يشاء؛ قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إلا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ الغَمَامِ وَالْملائِكَةُ وَقُضِيَ الأمْرُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في الرسالة إلى أهل الثغر (ص٢٢٧):

وأجمعوا على أنه عَزَّ وجَلَّ يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا.اهـ

الرد على تحريف المبتدعة للمجيء والإتيان.

حرف المبتدعة النصوص المتقدمة، وقالوا: المراد إتيان أمره، أو إتيان ملائكته.

ورد عليهم أهل السنة من وجوه:

الأول: أن هذا إضمار لا يدل عليه اللفظ بمطابقة، ولا تضمن، ولا التزام.

الثاني: أنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف؛ كان تعيينه قولًا على المتكلم بلا علم، وإخبارًا عنه بإرادة ما لم يقم به دليل على إراداته، وذلك كذب عليه.

الثالث: قد فرق الله بين إتيانه، وإتيان الملائكة وإتيان بعض آياته في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الَملائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه البخاري (٧٥٣٦) عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه مسلم (٢٦٨٧) عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الرابع: لو كان المجيء والإتيان مستحيلًا عليه؛ لكان كالأكل والشرب والنوم والغفلة، وهو عند المبتدعة سواءٌ، فمتى عهدتم إطلاق الأكل والشرب والنوم والغفلة عليه، ونسبتها إليه نسبة مجازية.

الخامس: أن المجاز لو كان ثابتًا؛ فإنما يصار إليه عند تعذر الحمل على الحقيقة.

ما جاء عن الإمام أحمد رحمه الله من قوله: يأتي أمره.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٥/٣٩٩ -):

ثُمَّ إنَّ الإِمَامَ أَحْمَد فِي المِحْنَةِ عَارَضَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ﴾ قَالَ قِيلَ: إنَّمَا يَأْتِي أَمْرُهُ. هَكَذَا نَقَلَ حَنْبَلٌ؛ وَلَمْ يَنْقُلْ هَذَا غَيْرُهُ مِمَّنْ نَقَلَ مُنَاظَرَتَهُ فِي (المِحْنَةِ) كَعَبْدِ الله بْنِ أَحْمَد، وَصَالِحِ بْنِ أَحْمَد والمروذي وَغَيْرِهِ؛ فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ أَحْمَد فِي ذَلِكَ.

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: غَلِطَ حَنْبَلٌ لَمْ يَقُلْ أَحْمَد هَذَا. وَقَالُوا: حَنْبَلٌ لَهُ غَلَطَاتٌ مَعْرُوفَةٌ وَهَذَا مِنْهَا، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ أَبِي إسْحَاقَ بْنِ شاقلا.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بَلْ أَحْمَد قَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الإِلْزَامِ لَهُمْ. يَقُولُ: إذَا كَانَ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ بَلْ تَأَوَّلْتُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ جَاءَ أَمْرُهُ. فَكَذَلِكَ قُولُوا: جَاءَ ثَوَابُ القُرْآنِ لَا أَنَّهُ نَفْسُهُ هُوَ الجَائِي؛ فَإِنَّ التَّأْوِيلَ هُنَا أَلْزَمُ فَإِنَّ الْمُرَادَ هُنَا الإِخْبَارُ بِثَوَابِ قَارِئِ القُرْآنِ، وَثَوَابُهُ عَمَلٌ لَهُ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ الإِخْبَارَ عَنْ نَفْسِ القُرْآنِ.

فَإِذَا كَانَ الرَّبُّ قَدْ أَخْبَرَ بِمَجِيءِ نَفْسِهِ، ثُمَّ تَأَوَّلْتُمْ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ فَإِذَا أَخْبَرَ بِمَجِيءِ قِرَاءَةِ القُرْآنِ؛ فَلَأَنْ تَتَأَوَّلُوا ذَلِكَ بِمَجِيءِ ثَوَابِهِ بِطَرِيقِ الأَوْلَى وَالْأَحْرَى.

وَإِذَا قَالَهُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الإِلْزَامِ لَمْ يَلْزَمْ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لَهُمْ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَلْتَزِمَ هَذَا.

فَإِنَّ هَذَا الحَدِيثَ لَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ فِي مَجِيءِ أَعْمَالِ العِبَادِ، وَالْمُرَادُ مَجِيءُ قِرَاءَةِ القَارِئِ الَّتِي هِيَ عَمَلُهُ وَأَعْمَالُ العِبَادِ مَخْلُوقَةٌ وَثَوَابُهَا مَخْلُوقٌ.

وَلِهَذَا قَالَ أَحْمَد وَغَيْرُهُ مِنْ السَّلَفِ: أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ القُرْآنِ وَالثَّوَابُ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى أَعْمَالِ العِبَادِ، لَا عَلَى صِفَاتِ الرَّبِّ وَأَفْعَالِهِ.

وَذَهَبَ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَد إِلَى أَنَّ أَحْمَد قَالَ هَذَا ذَلِكَ الوَقْتُ، وَجَعَلُوا هَذَا رِوَايَةً عَنْهُ، ثُمَّ مَنْ يَذْهَبُ مِنْهُمْ إِلَى التَّأْوِيلِ - كَابْنِ عَقِيلٍ وَابْنِ الجَوْزِيِّ وَغَيْرِهِمَا - يَجْعَلُونَ هَذِهِ عُمْدَتَهُمْ. حَتَّى يَذْكُرَهَا أَبُو الفَرَجِ بْنُ الجَوْزِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ؛ وَلَا يَذْكُرَ مِنْ كَلَامِ أَحْمَد وَالسَّلَفِ مَا يُنَاقِضُهَا.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ المَنْقُولَ الْمُتَوَاتِرَ عَنْ أَحْمَد يُنَاقِضُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يَقُولُ: إِنَّ الرَّبَّ يَجِيءُ وَيَأْتِي وَيَنْزِلُ أَمْرُهُ، بَلْ هُوَ يُنْكِرُ عَلَى مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ.اهـ[1]

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في فتح الباري (٨٠٦):

وقد روي عن الإمام أحمد، أنه قال في مجيئه: هو مجيء أمره.

وهذا مما تفرد به حنبل عنه.

فمن أصحابنا من قال: وهم حنبل فيما روى، وهو خلاف مذهبه المعروف المتواتر عنه. وكان أبو بكر الخلال وصاحبه لا يثبتان بما تفرد به حنبل، عن أحمد رواية.

---

(١) وانظر: "مَجْمُوع الْفَتَاوَى" (١٦/ ٤٠٤-).

ومن متأخريهم من قال: هو رواية عنه، بتأويل كل ما كان من جنس المجيء والإتيان ونحوهما.

ومنهم من قال: إنما قال ذلك إلزامًا لمن ناظره في القرآن، فإنهم استدلوا على خلقه بمجيء القرآن، فقال: إنما يجيء ثوابه، كقوله: ﴿وجاء ربك﴾، أي: كما تقولون أنتم في مجيء الله، أنه مجيء أمره. وهذا أصح المسالك في هذا المروي.

وأصحابنا في هذا على ثلاث فرق:

فمنهم من يثبت المجيء والإتيان، ويصرح بلوازم ذلك في المخلوقات، وربما ذكروه عن أحمد من وجوه لا تصح أسانيدها عنه.

ومنهم من يتأول ذلك على مجيء أمره.

ومنهم من يقر ذلك، ويمره كما جاء، ولا يفسره، ويقول: هو مجيء وإتيان يليق بجلال الله وعظمته سبحانه.

وهذا هو الصحيح عن أحمد، ومن قبله من السلف، وهو قول إسحاق وغيره من الأئمة.اهـ

شبهة للمبتدعة في إنكار اتصاف ربنا جل وعلا بالإتيان، وجوابها:

من شبه المبتدعة في رد النصوص المتقدمة في صفة الإتيان وتحريفها أنهم قالوا: هي مثل قوله تعالى: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ وقوله ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾.

والجواب عن ذلك:

قال الإمام عثمان الدارمي رحمه الله في الرد على المريسي (١/ ٣٣٨ -):

وادعيت أيها المريسي في قول الله تعالى ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك﴾ وفي قوله: ﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ فادعيت أن هذا ليس منه بإتيان لما أنه غير متحرك عندك، ولكن يأتي يوم القيامة بزعمك.

وقوله: ﴿يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ ولا يأتي هو بنفسه، ثم زعمت أن معناه كمعنى قوله ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ و﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾

يقال لهذا المريسي: قاتلك الله ما أجرأك على الله، وعلى كتابه بلا علم ولا بصر، أنبأك الله أنه إتيان، وتقول ليس إتيانا إنما هو مثل قوله ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ لقد ميزت بين ما جمع الله، وجمعت بين ما ميز الله، ولا يجمع بين هذين في التأويل إلا كل جاهل بالكتاب والسنة، لأن كل واحد منهما مقرون به في سياق القراءة لا يجهله إلا مثلك.

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سماواته، وأنه لا ينزل قبل يوم القيامة لعقوبة أحد من خلقه، ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم، وتشقق السموات يومئذ لنزوله، وتنزل الملائكة تنزيلا ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية، كما قال الله ورسوله، فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا علموا يقينا أن ما يأتي الناس من العقوبات إنما هو أمره وعذابه.

فقوله ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ يعنى مكرُه من قبل قواعد بنيانهم فخر عليهم السقف من فوقهم؛ فتفسير هذا الإتيان خرور السقف من فوقهم.

وقوله: ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ مَكَرَ بهم فقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وهم بنو قريظة، فتفسير الإتيان مقرون بهما

خرور السقف والرعب، وتفسير إتيان الله يوم القيامة، منصوص في الكتاب، مفسر قال الله تعالى ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ إلى قوله ﴿هلك عني سلطانيه﴾

فقد فسر الله تعالى المعنيين تفسيرا لا لبس فيه، ولا يشتبه على ذي عقل، فقال فيما يصيب به من العقوبات في الدنيا ﴿أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾ فحين قال ﴿أتاها أمرنا﴾ علم أهل العلم أن أمره ينزل من عنده من السماء، وهو على عرشه، فلما قال ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ الآيات التي ذكرنا وقال أيضا: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا﴾ و﴿يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ و﴿دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ علم بما قص الله من الدليل، وبما حد لنزول الملائكة يومئذ أن هذا إتيان الله بنفسه يوم القيامة لِيَلِيَ محاسبة خلقه بنفسه، لا يلي ذلك أحد غيره، وأن معناه مخالف لمعنى إتيان القواعد لاختلاف القضيتين.

ألا ترى أيها المريسي أنه قال ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ ولم يذكر عندها نفخ الصور ولا تشقق السماء ولا تنزل الملائكة ولا حمل العرش ولا يوم العرض ولكن قال: ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ في دنياهم ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ فرد الإتيان إلى العذاب ففرق بين المعنيين.انتهى المراد.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي بيان تلبيس الجهمية (٦/٩١):

قال الرازي قوله تعالى ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل ٢٦] ولابد فيه من التأويل.

قال شيخ الإسلام: والكلام على هذا أن يقال: التأويل: هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر لدليل.

وهذه الآية ليس ظاهرها والمعنى المفهوم منها أن الله سبحانه نفسه جاءت ذاته من أسفل الجدران كما تجيء الهوام والحشرات من أسفل البنيان، وكما يخرج المحاصرون للحصون من أسفلها إذا نقبوا الأساس، بل ظاهرها المراد: هدم الله بنيانهم من أصله، والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس، وكان بعضهم يقول: هذا مثلٌ للاستئصال، وإنما معناه: أن الله استأصلهم. والعرب تقول ذلك إذا استؤصل الشيء. قاله ابن جرير.

وفي كتب اللغة يقال: أُتي فلان إذا أطلَّ عليه العدو، وقد أتيت يا فلان إذا أُنذر عدوًّا أشرف عليه. قال الله عز وجل في النحل ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل ٢٦] أي هدم بنيانهم، وقلع بنيانهم من قواعده، وأساسه فهدمه عليهم حتى أهلكهم. فأي حاجة حينئذ إلى التأويل.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كمَا فِي مختصر الصواعق (ص٤٤٨):

وَالْإِتْيَانُ وَالْمَجِيءُ مِنَ الله تَعَالَى نَوْعَانِ: مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ، فَإِذَا كَانَ مَجِيءُ رَحْمَتِهِ أَوْ عَذَابِهِ كَانَ مُقَيَّدًا كَمَا فِي الْحَدِيثِ حَتَّى جَاءَ اللهُ بِالرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ

جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢] وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧١] وَفِي الْأَثَرِ: «لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا اللهُ»(١).

النَّوْعُ الثَّانِي: الْمَجِيءُ وَالْإِتْيَانُ الْمُطْلَقُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مَجِيئُهُ سُبْحَانَهُ، هَذَا إِذَا كَانَ مُطْلَقًا؛ فَكَيْفَ إِذَا قُيِّدَ بِمَا يَجْعَلُهُ صَرِيحًا فِي مَجِيئِهِ نَفْسِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] فَعَطَفَ مَجِيئَهُ عَلَى مَجِيءِ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ عَطَفَ مَجِيءَ آيَاتِهِ عَلَى مَجِيئِهِ، وَمِنَ الْمَجِيءِ الْمُقَيَّدِ قَوْلُهُ: ﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦].

فَلَمَّا قَيَّدَهُ بِالْمَفْعُولِ وَهُوَ الْبُنْيَانُ وَبِالْمَجْرُورِ وَهُوَ الْقَوَاعِدُ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى مَجِيءِ مَا بَيَّنَهُ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِذَا جَاءَ بِنَفْسِهِ لَا يَجِيءُ مِنْ أَسَاسِ الْحِيطَانِ وَأَسْفَلِهَا، وَهَذَا يُشْبِهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢].

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (٣٩١٩) من طريق حبيب بن أبي ثابتٍ، عن عروة بنِ عامر القرشي، قال: ذُكرت الطِّيَرَةُ عند النبي ﷺ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا تَرُدُّ مُسْلِماً، فإذا رأى أحَدُكُم ما يَكْرَه فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ لا يأتي بالحَسَنَات إلا أنْتَ، ولا يدفَعَ السَّيِّئَاتِ إلا أنت، ولا حَوْلَ ولا قُوة إلا بِكَ**».

وأخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٣٩)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٨/ ١٣٩) من طريق حبيب بن أبي ثابت، به. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لأن عروة بن عامر القرشي، لا تثبت له صحبة؛ فروايته مرسلة، وحبيب بن أبي ثابت لا يدرى أسمع منه، أم لا.

فَهَذَا مَجِيءٌ مُقَيَّدٌ لِقَوْمٍ مَخْصُوصِينَ قَدْ أَوْقَعَ بِهِمْ بَأْسَهُ، وَعَلِمَ السَّامِعُونَ أَنَّ جُنُودَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُسْلِمِينَ أَتَوْهُمْ، فَكَانَ فِي هَذَا السِّيَاقِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُمْتَنَعُ فِي الْآيَتَيْنِ أَنْ يَكُونَ الْإِتْيَانُ عَلَى حَقِيقَةٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ دُنُوًّا مِمَّنْ يُرِيدُ إِهْلَاكَهُمْ بِغَضَبِهِ وَانْتِقَامِهِ، كَمَا يَدْنُو عَشِيَّةَ عَرَفَةَ مِنَ الْحُجَّاجِ بِرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا الدُّنُوِّ وَالْإِتْيَانِ الْمُلَاصَقَةُ وَالْمُخَالَطَةُ، بَلْ يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَهَؤُلَاءِ بِانْتِقَامِهِ وَعُقُوبَتِهِ، وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ إِذْ لَا يَكُونُ الرَّبُّ إِلَّا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَفَوْقِيَّتُهُ وَعُلُوُّهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ.اهـ

إثبات صفة الصورة لله عز وجل كما تليق بجلاله.

دل حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في الكتاب على إثبات صفة الصورة لله عز وجل.

وجاء ذكرها أيضًا في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين، وفيه: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ**»[1].

قال الإمام عثمان الدارمي رحمه الله في الرد على المريسي (١/ ٣٨٥):

فَزَعَمْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَذَا فَهُوَ مُشْرِكٌ.

يُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ عَرَفْتُمْ رَبَّكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَكَيْفَ جَهِلْتُمُوهُ عِنْدَ الْعِيَانِ وَشَكَكْتُمْ فِيهِ؟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢).

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَأَنَّكَ تَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ من جودة إسناده يَقُولُهُ.

فَاحْذَرْ أَنْ لَا يَكُونَ قَذْفُكَ بِالشِّرْكِ أَنْ يَقَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا ذَنْبُنَا إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ سَلَبَ عَقْلَكَ حَتَّى جَهِلْتَ مَعْنَاهُ؟

وَيْلَكَ! إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِشَكٍّ وَارْتِيَابٍ مِنْهُمْ، وَلَوْ أَنَّ اللهَ تَجَلَّى لَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي صُورَتِهِ الَّتِي عَرَّفَهُمْ صفاتهم فِي الدُّنْيَا؛ لَاعْتَرَفُوا بِمَا عَرَفُوا، وَلم يَنْفِرُوا، وَلَكِنَّهُ يُرِي نَفْسَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، لِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ فِي صُورَة غير ما عرفهم الله صفاتها فِي الدُّنْيَا، لِيَمْتَحِنَ بِذَلِكَ إِيمَانَهُمْ ثَانِيَةً فِي الْآخِرَةِ، كَمَا امْتَحَنَ فِي الدُّنْيَا لِيُثْبِتَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا لِلْمَعْبُودِ الَّذِي عَرَفُوهُ فِي الدُّنْيَا بِصِفَاتِهِ، الَّتِي أَخْبَرَهُمْ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَاسْتَشْعَرَتْهَا قُلُوبُهُمْ حَتَّى مَاتُوا عَلَى ذَلِكَ.

فَإِذَا مُثِّلَ فِي أَعْيُنِهِمْ غَيْرُ مَا عَرَفُوا مِنَ الصِّفَةِ نَفَرُوا وَأَنْكَرُوا، إِيمَانًا مِنْهُمْ بِصَفَةِ رُبُوبِيَّتِهِ الَّتِي امْتَحَنَ قُلُوبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بها، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الَّتِي امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بها؛ تَجَلَّى لَهُمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي عَرَّفَهُمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا، وَمَاتُوا، وَنُشِرُوا عَلَيْهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَوَّلَ اللهُ مِنْ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ، وَلَكِنْ يُمَثِّلُ ذَلِكَ فِي أَعْيُنِهِمْ بِقُدْرَتِهِ.

فَلَيْسَ هَذَا أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ بِشَكٍّ مِنْهُمْ فِي مَعْبُودِهِمْ، بَلْ هُوَ زِيَادَةُ يَقِينٍ وَإِيمَانٌ بِهِ مَرَّتَيْنِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهُ قَالَ لَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَتَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّهُ إِذَا تعرَّف لَنَا عَرَفْنَاهُ[1].

يَقُولُونَ: لَا نُقِرُّ بِالرُّبُوبِيَّةِ إِلَّا لِمَنِ اسْتَشْعَرَتْهُ قُلُوبُنَا، بِصِفَاتِهِ الَّتِي أَنْبَأَنَا بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَحِينَئِذٍ يَتَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَهُمْ، فَيَزْدَادُونَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ إِيمَانًا وَيَقِينًا، وَبِرُبُوبِيَّتِهِ، اغْتِبَاطًا وَطُمَأْنِينَةً، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الشَّكِّ عَلَى مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ يَقِينٌ بَعْدَ يَقِينٍ، وَإِيمَانٌ بَعْدَ إِيمَان.

وَلَكِنِ الشَّك والربوبية كُلَّهَا مَا ادَّعَيْتَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ فِي تَفْسِيرِ الرُّؤْيَةِ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**».

فَادَّعَيْتَ أَنَّ رُؤْيَتَهُمْ تِلْكَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ أَنَّ لَهُمْ رَبًّا لَا يَعْتَرِيهِمْ فِي ذَلِكَ شَكٌّ، كَأَنَّهُمْ فِي دَعْوَاكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ لَمْ يَعْلَمُوا فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ رَبُّهُمْ، حَتَّى يَسْتَيْقِنُوا بِهِ فِي الْآخِرَةِ.

فَهَذَا التَّفْسِيرُ إِلَى الشَّكِّ أَقْرَبُ مِمَّا ادَّعَيْتَ فِي قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ فِي الشَّكِّ وَالشِّرْكِ، لَا بَلْ هُوَ الْكُفْرُ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مؤمنهم وكافرهم يَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ أَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ، لَا يَعْتَرِيهِمْ فِي ذَلِكَ شَكٌّ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾؛ فَالشَّكُّ فِي الله الَّذِي تَأَوَّلْتَهُ أَنْتَ فِي الرُّؤْيَةِ لَا مَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ١٩٣)، والمروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٢٨٢)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٢/ ٤٢٨)، والطبراني (٩٧٦١)، والحاكم (٤/ ٤٩٧) من طرق عن سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود به. وهذا إسنادٌ صحيح، رجاله ثقات، وأبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ الكندي الأزدي.

وَيْلَكَ! إِنَّ اللهَّ لَا تَتَغَيَّرُ صُورَتُهُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، وَلَكِنْ يُمَثَّلُ فِي أَعْيُنِهِمْ يَوْمَئِذٍ، أَوَلَمْ تَقْرَأْ كِتَابَ الله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُّ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾.

وَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، كَمَا مُثِّلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ عظم صُورَتِهِ وَجَلَالَةِ خَلْقِهِ فِي عَيْنِ رَسُولِ الله ﷺ بِصُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، وَكَمَا مثله لِمَرْيَم بشرًا سَوِيًّا، وَهُوَ مَلَكٌ كَرِيمٌ فِي صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَكَمَا شَبَّهَ فِي أَعْيُنِ الْيَهُودِ أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ فَقَالَ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

وَمَا علمك أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ بِهَذَا، وَمَا أَشْبَهَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ وَرَدَتْ عَلَيْكَ آثَارٌ لِرَسُولِ الله ﷺ أخذت بخلقك، وَنَقَضْتَ عَلَيْكَ مَذْهَبَكَ فَالْتَمَسْتَ الرَّاحَةَ مِنْهَا بِهَذَا الْمَغَالِيطِ وَالْأَضَالِيلِ، الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْبَصَرِ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَأَنْتَ مِنْهَا فِي شُغُلٍ.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي بيان تلبيس الجهمية (١٣١/٧):

لكن يُقال لهم لفظ الصورة في هذا الحديث، كسائر ما ورد من الأسماء والصفات التي قد يُسمَّى المخلوق بها على وجه التقييد، وإذا أطلقت على الله اختصت به مثل العليم، والقدير، والرحيم، والسميع، والبصير، ومثل خلقه بيديه واستوائه على العرش، ونحو ذلك.اهـ

حديث: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بيان تلبيس الجهمية (٣٧٣/٦ -):

هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله؛ فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك، وهو أيضًا مذكور فيما عند أهل الكتابين من الكتب كالتوراة وغيرها، ولكن كان من العلماء في القرن الثالث من يكره روايته ويروي بعضه، كما يكره رواية بعض الأحاديث لمن يخاف على نفسه، ولمن يفسد عقله أو دينه كما قال عبد الله بن مسعود: ما من رجل يحدث قومًا حديثًا لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. وفي البخاري عن علي بن أبي طالب أنه قال: حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

وإن كان مع ذلك لا يرون كتمان ما جاء به الرسول ﷺ مطلقًا، بل لابد أن يبلغوه حيث يصلح ذلك، ولهذا اتفقت الأمة على تبليغه وتصديقه وإنما دخلت الشبهة في الحديث لتفريق ألفاظه؛ فإن من ألفاظه المشهورة: «**إذا قاتل أحدكم فليتق الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته**»[1] و«**لا يقل أحدكم قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك؛ فإن الله خلق آدم على صورته**»[2].

وهذا فيه حكم عملي يحتاج إليه الفقهاء، وفيه الجملة الثانية الخبرية المتعلقة بلا وكثير من الفقهاء روى الجملة الأولى فقط، وهي قوله: «**فإذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه**» ولم يذكر الثانية، وعامة أهل الأصول والكلام إنما يروون الجملة الثانية، وهي قوله: «**خلق الله آدم على صورته**»، ولا يذكرون الجملة الطلبية؛ فصار الحديث

---

(١) اللفظ المذكور عند أحمد (١٠٧٣٢) بإسنادٍ على شرط مسلمٍ.

(٢) اللفظ المذكور عند أحمد (٧٤٢٠)، والحميدي (١١٥٣) بأسانيد صحيحة.

متواترًا بين الطائفتين، وصاروا متفقين على تصديقه، لكن مع تفريق بعضه عن بعض وإن كان محفوظًا عند آخرين من علماء الحديث وغيرهم.

وقد ذكره النبي ﷺ ابتداء في إخباره بخلق آدم في ضمن حديث طويل إذا ذكر على وجهه زال كثير من الأمور المحتملة، ولكن ظهر لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائدًا إلى غير الله تعالى حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم، كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين، وغيرهم من علماء السنة، وذلك مثل ما ذكره أبو بكر بن خزيمة في كتاب التوحيد؛ فإنه ذكر الاحتمالات الثلاثة: ذكر عود الضمير إلى المضروب، وذكر عوده إلى آدم، وتأول عوده إلى الله على إضافة الخلق، فقال:

باب ذكر أخبار رويت عن النبي ﷺ تأولها بعض من لم يتبحر العلم على غير تأويلها ففتن عالمًا من أهل الجهل والعناد حملهم الجهل بمعنى الخبر على القول بالتشبيه جل وعز عن أن يكون وجه خلق من خلقه مثل وجهه الذي وصفه بالجلال والإكرام ونفى الهلاك عنه.

حدثنا الربيع بن سليمان المرادي، قال: حدثنا شعيب يعني ابن الليث، حدثنا الليث، عن محمد بن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يقولن أحدكم لأحد قبح الله وجهك، ووجهًا أشبه وجهك؛ فإن الله خلق آدم على صورته**»[1].

---

(١) إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى، حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إذا ضرب أحدكم؛ فليتجنب الوجه، ولا يقل قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك؛ فإن الله خلق آدم على صورته**»(١)

وحدثنا بندار، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثني ابن عجلان، قال: حدثني سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك**»(٢) بمثل حديث أبي موسى.

حدثنا أبو موسى، قال: حدثنا يحيى، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي، ﷺ قال: «**إذا ضرب أحدكم؛ فليتجنب الوجه**»(٣).

قال أبو بكر بن خزيمة: ليس في خبر ابن عجلان أكثر من هذا، ومعنى هذا أن يحيى بن سعيد القطان الإمام رواه عن ابن عجلان، عن المقبري، كما رواه الليث وغيره، ورواه أيضًا عنه عن أبيه، عن أبي هريرة، لكن يذكر إحدى الجملتين فقط وكان عند ابن عجلان الحديث عن المقبري وعن أبيه.

وقد رواه البخاري في صحيحه من طريق مالك عنه مختصرًا فقال البخاري: باب إذا ضرب العبد فليتجنب الوجه:

حدثنا محمد بن عبيد الله قال: حدثنا ابن وهب، حدثني مالك بن أنس قال وأخبرني ابن فلان، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

قال البخاري: وحدثني عبد الله بن محمد، قال: حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن همام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه**»

---

(١) إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين.

(٢) إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين.

(٣) إسناده حسن، رجاله ثقات؛ إلا عجلان والد محمد؛ فإنه حسن الحديث.

وقد روى البخاري ومسلم الحديث في خلق آدم بطوله.

ثم قال ابن خزيمة: توهم بعض من لم يتبحر العلم أن قوله «**على صورته**» يريد صورة الرحمن، عز وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: «**خلق آدم على صورته**» الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب والذي قبح وجهه؛ فزجر ﷺ أن يقول: «**ووجه من أشبه وجهك**» لأن وجه آدم شبيه وجوه بنيه؛ فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم «**قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك**» كان مقبحًا وجه آدم صلوات الله عليه الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا؛ فتضلوا عن سواء السبيل وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال.

قال: وقد رويت في نحو هذا لفظة أغمض من اللفظة التي ذكرناها في خبر أبي هريرة، وهو ما حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ «**لا تقبحوا الوجه؛ فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن**»

قال وروى الثوري هَذَا الخبر مرسلًا غير مسند:

حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، قال: حدثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يقبح الوجه؛ فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن**».

قال أبو بكر: وقد افتتن بهذه اللفظة التي في خبر عطاء عالم ممن لم يتبحر العلم وتوهموا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر من إضافة صفات الذات، فغلطوا في ذلك غلطًا بينًا، وقالوا مقالة شنيعة مضاهية لقول المشبهة أعاذنا الله، وكل المسلمين من قولهم، قال: والذي عندي في تأويل هذا الخبر؛ إن صح من جهة النقل موصولًا؛ فإن للخبر عللًا ثلاثًا:

إحداهن: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده؛ فأرسل الثوري، ولم يقل عن ابن عمر(١).

والثانية: أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والثالثة: أن حبيب بن أبي ثابت أيضًا مدلس، لم يعلم أنه سمعه من عطاء.

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد يقول: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، قال: قال حبيب بن أبي ثابت: لو حدثني رجل عنك بحديث لم أبال أن أرويه عنك. يريد لم أبال أن أدلسه.

قال أبو بكر: ومثل هذا الخبر لا يكاد يحتج به علماؤنا من أهل الأثر لاسيما إذا كان الخبر في مثل هذا الجنس، فيما يوجب العلم لو ثبت، لا فيما يوجب العمل بما قد يستدل على صحته وثبوته بدلائل من نظر وتشبيه وتمثيل معين من سنن النبي ﷺ.

قال: فإن صح هذا الخبر مسندًا بأن يكون الأعمش قد سمعه من حبيب بن أبي ثابت، وحبيب قد سمعه من عطاء بن أبي رباح. وصح أنه عن ابن عمر على ما رواه

---

(١) وَقَدْ رَجَّحَ الدَارَقُطْنِيُّ فِي "العِلَل" (٣٠٧٧) المُرسَلَ. فَقَالَ: رواه جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الحَمِيدِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ حبيب، عن عطاء، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَغَيْرُهُ يَرْوِيهِ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حبيب، عَنْ عَطَاءٍ، مُرْسَلًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وكذلك رواه الثوري، عن حبيب، عن عطاء مرسلا. والمرسل أصح.اهـ
قلت: ولكن هذا المرسل هو بمعنى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهو صحيح به، والله أعلم.

الأعمش؛ فمعنى هذا الخبر عندنا: أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه؛ لأن الخلق يضاف إلى الرحمن؛ إذ الله خلقه، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن؛ لأن الله صورها ألم تسمع قوله عز وجل ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان ١١].

فأضاف الله الخلق إلى نفسه؛ إذ الله تولى خلقه، وكذلك قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ فأضاف الله الناقة إلى نفسه، وقال: ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ﴾ وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء ٩٧] وقال: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف ١٢٨] فأضاف الأرض إلى نفسه؛ إذ الله تولى خلقها وبسطها وقال: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم ٣٠].

فما أضاف الله على نفسه على معنيين:

أحدهما: إضافة الذات. والآخر: إضافة الخلق. فتفهموا هذين المعنيين لا تغالطوا.

قال: فمعنى الخبر إن صح من طريق النقل مسندًا؛ فإن ابن آدم خلق على الصورة التي خلقها الرحمن حين صور آدم ثم نفخ فيه الروح قال الله جل وعلا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف ١١].

والدليل على صحة هذا التأويل: أن أبا موسى محمد بن المثنى حدثنا، قال حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، قال حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، عن موسى بن أبي عثمان، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعًا**».

حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما أنبأنا أبو هريرة، عن محمد رسول الله ﷺ فذكر أحاديث كثيرة وقال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك. قال: فذهب؛ فقال: السلام عليكم. فقالوا وعليك السلام ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله. قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعًا؛ فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن**».

قال أبو بكر: فصورة آدم هي ستون ذراعًا التي أخبر النبي ﷺ أن آدم خلق عليها لا على ما توهم بعض من لم يتبحر العلم فظن أن قوله على صورته على صورة الرحمن صفة من صفات ذاته، عز وجل عن أن يوصف بالذرعان والأشبار قد نزه الله نفسه وتقدس عن صفات المخلوقين، وقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] وهو كما وصف نفسه في كتابه على لسان نبيه لا كصفات المخلوقين من الحيوان، ولا من الموتان كما شبه الجهمية معبودهم بالموتان لا ولا كما شبه الغالية من الرافضة معبودهم ببني آدم قبح الله هذين القولين وقائلهما.

حدثنا أحمد بن منيع ومحمود بن خداش قالا حدثنا أبو سعد الصاغاني قال حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤][(١)]. قال: ولم

---

(١) **صحيح بشواهده**: أخرجه أحمد في "المسند" (٢١٢١٩)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (١/ ٢٤٥)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٦٣)، والترمذي في "سننه" (٣٣٦٤)، والطّبريّ في "جامع=

يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء. وقال ابن خداش في حديثه: فالصمد الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت. وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله لا يموت ولا يورث والباقي مثل لفظ ابن منيع. هذا مجموع ما ذكره ابن خزيمة.

= البيان" (تفسير الإخلاص) من طرق عن أبي سعد محمد بن مُيَسَّر الصاغاني، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب به.

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف أبي سعد، وأبي جعفر الرازي، وقد خولف أبو جعفر الرازي، خالفه عبيد الله بن موسى؛ فرواه عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية به مرسلاً. ليس فيه أُبيّ بن كعب.

أخرجه الترمذي (٣٣٦٥). وقال: وهذا أصح.

قلت: هو كذلك؛ فعبيد الله ثقة، وتابعه أبو النضر هاشم بن القاسم -وهو ثقة ثبت- عن الربيع به مرسلًا. أخرجه العقيلي (٤/ ١٤٠)، وقال: وهذا أولى.

وهذ المرسل له شاهد من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أخرجه الطبري في (تفسير الإخلاص)، وعبد الله بن أحمد في "السنة" (١١٨٥)، وغيرهما، من طريق سريج بن يونس، عن إسماعيل بن مجالد، عن أبيه، عن الشعبي، عن جابر بنحوه.

وله شاهد آخر من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أخرجه الهروي في "ذم الكلام" (٦٣٩) من طريق قيس بن الربيع، عن عاصم، عن شقيق، عن عبد الله قال: قالت قريش للنبي ﷺ: انسُب لنا ربك؛ فنزلت.. السورة.

وله شاهد آخر عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٦٦٤)، والهروي في "ذم الكلام" (٦٣٦) من طريق محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه - في "ذم الكلام": حدثني أهل بيتي - عن جده به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ لأن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، لم يدرك جده عبد الله بن سلام. وتبين برواية الهروي أنه أخذه عن مجهولين من أهل بيته، ولأن حمزة هذا مجهول؛ فلم يرو عنه إلا ابنه محمد، ولم يؤثر توثيقه عن معتبر.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ (٦/٤٢٣):

فيقال: أما عود الضمير إلى غير الله؛ فهذا باطل من وجوه:

أحدها: أن في الصحيحين ابتداء «**إن الله خلق آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا**» وفي أحاديث أخر: «**إن الله خلق آدم على صورته**»، ولم يتقدم ذكر أحد يعود الضمير إليه.

وما ذكر بعضهم من أن النبي ﷺ رأى رجلًا يضرب رجلًا، ويقول: قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك، فقال: «**خلق الله آدم على صورته**» أي على صورة هذا المضروب؛ فهذا شيء لا أصل له، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث.

الثاني: أن الحديث الآخر لفظه: «**إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته**» وليس في هذا ذكر أحد يعود الضمير إليه.

الثالث: أن اللفظ الذي ذكره ابن خزيمة، وتأويله، وهو قوله: «**لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك، ووجهًا أشبه وجهك؛ فإن الله خلق آدم على صورته**» ليس فيه ذكر أحد يصلح عود الضمير إليه، وقوله في التأويل أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه فزجر ﷺ أن يقول ووجه من أشبه وجهك.

يقال له: لم يتقدم ذكر مضروب فيما رويته عن النبي ﷺ، ولا في لفظه ذكر ذلك بل قال: «**إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته**» ولم يقل: (إذا قاتل أحدكم أحدًا) و(إذا ضرب أحدًا) والحديث الآخر ذكرته من رواية الليث بن سعد، ولفظه: «**ولا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجهًا أشبه وجهك؛ فإن الله خلق آدم على صورته**». وليس في هذا ذكر امرئ؛ حتى يصلح عود الضمير إليه.

الخامس: أن ذرية آدم خلقوا على صورة آدم، لم يخلق آدم على صورهم؛ فإن مثل هذا الخطاب إنما يقال فيه خلق الثاني المتأخر في الوجود على صورة الأول المتقدم وجوده، لا يقال إنه خلق الأول على صورة الثاني المتأخر في الوجود، كما يقال خلق الخلق على غير مثال، أو نسج هذا على مثال هذا، ونحو ذلك؛ فإنه في جميع هذا إنما يكون المصنوع المقيس متأخرًا في الذكر عن المقيس عليه، وإذا قيل: خلق الولد على صورة أبيه، أو على خلق أبيه كان كلامًا سديدًا، وإذا قيل خلق الوالد على صورة ولده، أو على خلقه كان كلامًا فاسدًا، بخلاف ما إذا ذكر التشبيه بغير لفظ الخلق، وما يقوم مقامه، مثل أن يقال الوالد يشبه ولده؛ فإن هذا سائغ؛ لأن قوله خلق إخبار عن تكوينه وإبداعه على مثال غيره، ومن الممتنع أن الأول كون على مثال ما لم يكن بعد، وإنما يكون على مثال ما قد كان.

السادس: أنه إذا كان المقصود أن هذا المضروب والمشتوم يشبه آدم فمن المعلوم أن هذا من الأمور الظاهرة المعلومة للخاص والعام؛ فلو أريد التعليل بذلك لقيل فإن هذا يدخل فيه الأنبياء، أو فإن هذا يدخل فيه آدم ونحو ذلك من العبارات التي تبين قبح كلامه، وهو اشتمال لفظه على ما يعلم هو وجوده، أما مجرد إخباره بما يعلم وجوده كل أحد فلا يستعمل في مثل هذا الخطاب.

السابع: أنه إذا أريد مجرد المشابهة لآدم وذريته؛ لم يحتج إلى لفظ خلق على كذا؛ فإن هذه العبارة إنما تستعمل فيما فعل على مثال غيره، بل يقال: فإن وجهه يشبه وجه آدم، أو فإن صورته تشبه صورة آدم.

الثامن: أن يقال هب أن هذه العلة تصلح لقوله: «**لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك**» فكيف يصلح لقوله: «**إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه**».

ومعلوم أن كون صورته تشبه صورة آدم لا توجب سقوط العقوبة عنه؛ فإن الإنسان لو كان يشبه نبيًّا من الأنبياء أعظم من مشابهة الذرية لأبيهم في مطلق الصورة والوجه، ثم وجبت على ذلك الشبيه بالنبي عقوبة، لم تسقط عقوبته بهذا الشبه باتفاق المسلمين؛ فكيف يجوز تعليل تحريم العقوبة بمجرد المشابهة المطلقة لآدم.

التاسع: أن في ذرية آدم من هو أفضل من آدم، وتناول اللفظ لجميعهم واحد فلو كان المقصود بالخطاب ليس ما يختص به آدم من ابتداء خلقه على صورة، بل المقصود مجرد مشابهة المضروب المشتوم له؛ لكان ذكر سائر الأنبياء والمرسلين بالعموم هو الوجه، وكان تخصيص غير آدم بالذكر أولى كإبراهيم وموسى وعيسى، وإن كان آدم أباهم فليس هذا المقام مقامًا له به اختصاص على زعم هؤلاء.

العاشر: وهو قاطع أيضًا أن يقال كون الوجه يشبه وجه آدم، هو مثل كون سائر الأعضاء تشبه أعضاء آدم؛ فإن رأس الإنسان يشبه رأس آدم، ويده تشبه يده، ورجله تشبه رجله، وبطنه وظهره وفخذه وساقه يشبه بطن آدم وظهره وفخذه وساقه؛ فليس للوجه بمشابهة آدم اختصاص، بل جميع أعضاء البدن بمنزلته في ذلك، فلو صلح أن يكون هذا علة لمنع الضرب؛ لوجب أن لا يجوز ضرب شيء من أعضاء بني آدم؛ لأن ذلك جميعه على صورة أبيهم آدم، وفي إجماع المسلمين على وجوب ضرب هذه الأعضاء في الجهاد للكفار والمنافقين وإقامة الحدود مع كونها

مشابهة لأعضاء آدم وسائر النبيين دليلٌ على أنه لا يجوز المنع من ضرب الوجه، ولا غيره؛ لأجل هذه المشابهة.

الوجه الحادي عشر: أنه لو كان علة النهي عن شتم الوجه وتقبيحه أنه يشبه وجه آدم؛ لنهي أيضا عن الشتم والتقبيح لسائر الأعضاء: (لا يقولن أحدكم قطع الله يدك ويد من أشبه يدك).

الوجه الثاني عشر: أن ما ذكره من تأويل ذلك؛ فإنه إبطال لقول من يقول: إن آدم كان على صورة أخرى. مثل ما يقال إنه كان عظيم الجثة، طويل القامة، وأن النبي ﷺ أشار إلى إنسان معين، وقال: «**إن الله خلق آدم على صورته**» أي كان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة.

يقال لهم: الحديث المتفق عليه في الصحيحين مناقض لهذا التأويل مصرح فيه بأن خلق آدم أعظم من صور بنيه بشيء كثير وأنه لم يكن على شكل أحد من أبناء الزمان كَمَا فِي الصحيحين عن همام بن منبه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاسمع ما يحيونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم. قال: فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن**» قال في رواية يحيى بن جعفر ومحمد بن رافع على صورته فهذا الحديث الذي هو أشهر الأحاديث التي فيها أن الله خلق آدم على صورته ذكر فيه أن طوله ستين ذراعًا، وأن الخلق لم يزل ينقص حتى الآن، وأن أهل

الجنة يدخلون على صورة آدم، ولم يقل: إن آدم على صورتهم، بل قال هم على صورة آدم.

وقد روي أن عرض أحدهم سبعة أذرع[1]؛ فهل في تبديل كلام الله ورسوله أبلغ من هذا أن يجعل ما أثبته النبي ﷺ وأخبر به وأوجب التصديق به قد نفاه وأبطله وأوجب تكذيبه وإبطاله.

الوجه الثالث عشر: أنه قد روي من غير وجه على صورة الرحمن.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ (٦/ ٤٣٣):

وأما قول من قال: الضمير عائد إلى آدم. كما ذكر ذلك للإمام أحمد عن بعض محدثي البصرة، ويذكر ذلك عن أبي ثور؛ فهو كما قال الإمام أحمد: هذا تأويل الجهمية، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه.

وقد زعم المؤسس ـ يعني به الرازي ـ أنه أولى الوجوه الثلاثة، وليس كما ذكره بل هو أفسد الوجوه الثلاثة، ولهذا لم يعدل إليه ابن خزيمة إلا عند الضرورة لرواية من روى على صورة الرحمن، ولقوله ابتداء: «**إن الله خلق آدم على صورته**».

فأما حيث ظن أن التأويل الأول ممكن؛ فلم يقل هذا، وبيان فساده من وجوه:

أحدها: أنه إذا قيل: (إذا قاتل أحدكم؛ فليتجنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة آدم) أو (لا تقبحوا الوجه، ولا يقل أحدكم قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورة آدم) كان هذا من أفسد الكلام؛ فإنه لا يكون

---

(١) جاء ذلك في "مسند أحمد" (٨٥٢٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: على خلق آدم سبعين ذراعًا، في سبعة أذرع.

وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. وفيه مخالفة لما ثبت في "الصحيحين" عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ستين ذراعًا.

بين العلة؛ والحكم مناسبة أصلًا؛ فإن كون آدم مخلوقًا على صورة آدم؛ فأي تفسير فسر ليس في ذلك مناسبة للنهي عن ضرب وجوه بنيه، ولا عن تقبيحها، وتقبيح ما يشبهها، وإنما دخل التلبيس بهذا التأويل، حيث فرق الحديث، فروي قوله: «**إذا قاتل أحدكم فليتق الوجه**» مفردًا وروي قوله: «**الله خلق آدم على صورته**» مفردًا.

أما مع أداء الحديث على وجهه؛ فإن عود الضمير إلى آدم يمتنع فيه وذلك أن خلق آدم على صورة آدم سواء كان فيه تشريف لآدم أو كان فيه إخبار مجرد بالواقع فلا يناسب هذا الحكم.

الوجه الثاني: أن الله خلق سائر أعضاء آدم على صورة آدم بأي وجه فسر ذلك؛ فلا فرق بين الوجه، وسائر الأعضاء في هذا الحكم؛ فلو كان خلق آدم على صورة آدم مانعًا من ضرب الوجه أو تقبيحه؛ لوجب أن يكون مانعًا من ضرب سائر الأعضاء؛ وتقبيح سائر الصور، وهذا معلوم الفساد في العقل والدين، وتعليل الحكم الخاص بالعلة المشتركة من أقبح الكلام، وإضافة ذلك إلى النبي ﷺ لا يصدر إلا عن جهل عظيم، أو نفاق شديد؛ إذ لا خلاف في علمه وحكمته وحسن كلامه، وبيانه.

قال: فإن هذا مثل أن يقال: لا تضربوا وجوه بني آدم؛ فإن أباهم له صفات يختص هو بها دونهم، مثل كونه خلق من غير أبوين. أو يقال: لا تضربوا وجوه بني آدم؛ فإن أباهم خلق من غير أبوين.

الوجه الثالث: أن هذا تعليل للحكم بما يوجب نفيه، وهذا من أعظم التناقض وذلك أنهم تأولوا الحديث على أن آدم لم يخلق من نطفة وعلقة ومضغة، وعلى أنه لم

يتكون في مدة طويلة بواسطة العناصر، وبنوه قد خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، وخلقوا في مدة من عناصر الأرض؛ فإن كانت العلة المانعة من ضرب الوجه وتقبيحه كونه خلق على ذلك الوجه، وهذه العلة منتفية في بنيه فينبغي أن يجوز ضرب وجوه بنيه وتقبيحها؛ لانتفاء العلة فيها؛ فإن آدم هو الذي خلق على صورته دونهم؛ إذ هم لم يخلقوا كما خلق آدم على صورهم التي هم عليها، بل نقلوا من نطفة إلى علقة إلى مضغة.

الوجه الرابع: ما أبطل به الإمام أحمد هذا التأويل حيث قال: من قال (إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي) وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه، وهذا الوجه الذي ذكره الإمام أحمد يعم الأحاديث، يعم قوله ابتداء: «**إن الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعًا**»، ويعم قوله: «**لا تقبحوا الوجه وإذا ضرب أحدكم فليتق الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته**» وذلك أن قوله: «**خلق الله آدم على صورته**» يقتضي أنه كان له صورة قبل الخلق، خلقه عليه؛ فإن هذه العبارة لا تستعمل إلا في مثل ذلك، وبمثل هذا أبطلنا من يقول إن الضمير عائد إلى المضروب؛ فإن المضروب متأخر عن آدم، ولا يجوز في مثل هذا الكلام أن تكون الصورة التي خلق عليها آدم متأخرة عن حين خلقه سواء كانت هي صورته أو صورة غيره. فإذا قيل: عملت هذا على صورة هذا، أو على مثال هذا، أو لم يعمل هذا على صورة غيره أو لم يعمل على مثال، أو لم ينسج على منوال غيره، كما يقال في تمجيد الله تعالى: خلق الله العالم على غير مثال. والإبداع خلق الشيء على غير مثال. ونحو ذلك من العبارات كان معناها المعلوم بالاضطرار من اللغة عند العامة والخاصة أن ذلك على صورة ومثال متقدم عليه أو لم يعمل على صورة ومثال متقدم عليه، وذلك أن هذا اللفظ تضمن

معنى القياس فقوله خلق أو عمل أو صنع على صورة كذا أو مثاله أو منواله تضمن معنى قيس عليه، وقدر عليه، وإذا كان كذلك فجميع ما يذكر من التأويلات مضمونه أو صورته تأخرت عنه؛ فتكون باطلة وأيضًا فمن المعلوم بالضرورة أنه لم تكن لآدم صورة خلق عليها قبل صورته التي خلقها الله تعالى.

الوجه الخامس: أن جميع ما يذكر من التأويل، كقول القائل: «**خلق آدم على صورة آدم**» موجود نظيره في جميع المخلوقات؛ فإنه إن أريد بذلك على صورتها الثابتة في القدر في علم الله وكتابه، أي على صفتها التي هي عليها أو غير ذلك؛ فهذا موجود نظيره في سائر المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما ومن الملائكة والجن والبهائم، بل وذرية آدم كذلك؛ فإنهم خلقوا على صورهم.

الوجه السادس: أن المعنى الذي تدل عليه هذه العبارة التي ذكروها هو من الأمور المعلوم ببديهة العقل التي لا يحسن بيانها والخطاب بها لتعريفها، بل لأمر آخر فإن قول القائل إن الشيء الفلاني خلق على صورة نفسه، لا يدل لفظه على غير ما هو معلوم بالعقل أن كل مخلوق، فإنه خلق على الصورة التي خلق عليها، وهذا المعنى مثل أن يقال أوجد الله الشيء كما أوجده، وخلق الله الأشياء على ما هي عليه، وعلى الصورة التي هي عليها، ونحو ذلك مما هو معلوم ببديهة العقل، ومعلوم أن بيان هذا وإيضاحه قبيح جدًّا.

الوجه السابع: أن دلالة قول القائل: خلق آدم على صورة آدم. على ما يدعونه من معان أخر، مثل كونه غير مخلوق من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، أو كونه لم يخلق في مدة، ومن مادة، أو لم يخلق بواسطة القوى والعناصر مما لا دليل عليه

بحال؛ فإن هذا اللفظ لا يفهم منه هذه المعاني بوجه من الوجوه؛ فلا بد أن يبين وجه دلالة اللفظ على المعنى من جهة اللغة، ويذكر له نظير في الاستعمال.

الوجه الثامن: أن رواية الحديث من وجوه فسائر الألفاظ تبطل عود الضمير إلى آدم مثل قوله: «**لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن**» وقوله في الطريق الآخر من حديث أبي هريرة: «**إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه فإن صورة الإنسان على صورة الرحمن**».

فأما قوله ـ يعني به الرازي الأشعري ـ: إن حديث ابن عمر قد ضعفه ابن خزيمة؛ فإن الثوري أرسله فخالف فيه الأعمش، وأن الأعمش وحبيبًا مدلسان، فيقال: قد صححه إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل، وهما أجل من ابن خزيمة باتفاق الناس.

وأيضًا: فمن المعلوم أن عطاء بن أبي رباح إذا أرسل هذا الحديث عن النبي ﷺ؛ فلا بد أن يكون قد سمعه من أحد، وإذا كان في إحدى الطريقين قد بين أنه أخذه عن ابن عمر كان هذا بيانًا وتفسيرًا لما تركه، وحذفه من الطريق الأخرى، ولم يكن هذا اختلافًا أصلًا وأيضًا، فلو قدر أن عطاء لم يذكره إلا مرسلًا عن النبي ﷺ فمن المعلوم أن عطاء من أجلِّ التابعين قدرًا؛ فإنه هو وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي والحسن البصري أئمة التابعين في زمانهم، وقد ذكر المصنف، كابن خزيمة أن الأخبار في مثل هذا الجنس الذي توجب العلم هي أعظم من الأخبار التي توجب العمل، ومعلوم أن مثل عطاء لو أفتى في مسألة فقه بموجب خبر أرسله؛ لكان ذلك يقتضي ثبوته عنده، ولهذا يجعل الفقهاء احتجاج المرسل بالخبر الذي أرسله دليلًا على ثبوته عنده؛ فإذا كان عطاء قد جزم بهذا الخبر العلي عن النبي ﷺ في مثل هذا الباب

العظيم أيستجيز ذلك من غير أن يكون ثابتًا عنده أن يكون قد سمعه من مجهول لا يعرف أو كذاب أو سيئ الحفظ.

وأيضًا: فاتفاق السلف على رواية هذا الخبر ونحوه مثل عطاء بن أبي رباح وحبيب بن أبي ثابت والأعمش والثوري وأصحابهم من غير نكير سمع من أحد لمثل ذلك في ذلك العصر مع أن هذه الروايات المتنوعة في مظنة الاشتهار دليل على أن علماء الأمة لم تنكر إطلاق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن، بل كانوا متفقين على إطلاق مثل هذا وكراهة بعضهم لرواية ذلك في بعض الأوقات له نظائر فإن الشيء قد يمنع إسماعه لبعض الجهال، وإن كان متفقًا عليه بين علماء المسلمين وأيضًا فإن الله قد وصف هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس، وأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ فمن الممتنع أن يكون في عصر التابعين: يتكلم أئمة ذلك العصر بما هو كفر وضلال، ولا ينكر عليهم أحد؛ فلو كان قوله خلق آدم على صورة الرحمن باطلًا؛ لكانوا كذلك.

وأيضًا: فقد روي بهذا اللفظ من طريق أبي هريرة والحديث المروي من طريقين مختلفين لم يتواطأ رواتها يؤيد أحدهما الآخر، ويستشهد له ويعتبر به، بل قد يفيد ذلك العلم إذ الخوف في الرواية من تعمد الكذب أو من سوء الحفظ؛ فإذا كان الرواة ممن يعلم أنهم لا يتعمدون الكذب، أو كان الحديث ممن لا يتواطأ في العادة على اتفاق الكذب على لفظه لم يبق إلا سوء الحفظ؛ فإذا كان قد حفظ كل منهما مثل ما حفظ الآخر؛ كان ذلك دليلًا على أنه محفوظ لاسيما إذا كان ممن جرب بأنه لا ينسى لما فيه من تحرِّيه اللفظ والمعنى، ولهذا يحتج من منع المرسل به إذا روي من وجه آخر.

ولهذا يجعل الترمذي وغيره الحديث الحسن ما روي من وجهين، ولم يكن في طريقه متهم بالكذب ولا كان مخالفًا للأخبار المشهورة، وأدنى أحوال هذا اللفظ أن يكون بهذه المنزلة، وأيضًا فقد ثبت عن الصحابة أنهم تكلموا بمعناه كَمَا فِي قول ابن عباس تعمد إلى خلق من خلقي على صورتي. والمرسل إذا اعتضد به قول الصاحب احتج به من لا يحتج بالمرسل كالشافعي وغيره.

وأيضًا: ثبت بقول الصحابة ذلك ورواية التابعين كذلك عنهم أن هذا كان مطلقًا بين الأئمة ولم يكن منكورًا بينهم.

وأيضًا: فعلم ذلك لا يؤخذ بالرأي وإنما يقال توقيفًا ولا يجوز أن يكون مستند ابن عباس أخبار أهل الكتاب الذي هو أحد الناهين لنا عن سؤالهم، ومع نهي النبي ﷺ عن تصديقهم أو تكذيبهم فعلم أن ابن عباس إنما قاله توقيفًا من النبي ﷺ ففي "صحيح البخاري" عن ابن شهاب عن عبيد الله عن عبد الله أن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسولكم أحدث الكتب عهدا بالرحمن تقرؤونه محضًا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا؛ فكتبوا بأيديهم الكتب وقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا والله ما رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم[١].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦٨٥).

وفي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم**»[(١)].

فمعلوم مع هذا أن ابن عباس لا يكون مستندًا فيما يذكره من صفات الرب أنه يأخذ ذلك عن أهل الكتاب؛ فلم يبق إلا أن يكون أخذ من الصحابة الذين أخذوه من النبي ﷺ.

وهذه الوجوه كلها مع أنها مبطلة لقول من يعيد الضمير في قوله على آدم فهي أدلة مستقلة في الإخبار بأن الله تعالى خلق آدم على صورة نفسه، وبهذا حصل الجواب عما يذكر من كون الأعمش مدلسًا حيث يقدم على رواية مثل هذا الحديث ويتلقاه عنه العلماء ويوافقه الثوري والعلماء على روايته عن ذلك الشيخ بعينه وكذلك قوله حبيب مدلس؛ فقد أخذه عنه هؤلاء الأئمة.

وأيضًا: فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة فإن في السفر الأول منها: (سنخلق بشرًا على صورتنا يشبهها)، وقد قدمنا أنه يجوز الاستشهاد بما عند أهل الكتاب إذا وافق ما يؤثر عن نبينا بخلاف ما لم نعلمه إلا من جهتهم؛ فإن هذا لا نصدقهم فيه ولا نكذبهم، ثم إن هذا مما لا غرض لأهل الكتاب في افترائه على الأنبياء، بل المعروف من حالهم كراهة وجود ذلك في كتبهم وكتمانه وتأويله، كما قد رأيت ذلك مما شاء الله من علمائهم، ومع هذا الحال يمتنع أن يكذبوا كلامًا يثبتونه في ضمن التوراة وغيرها، وهم يكرهون وجوده عندهم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٨٥).

وإن قيل الكاره لذلك غير الكاتب له، فيقال هو موجود في جميع النسخ الموجودة في الزمان القديم في جميع الأعصار والأمصار من عهد النبي ﷺ وأيضًا فمن المعلوم أن هذه النسخ الموجودة اليوم بالتوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النبي ﷺ فلو كان ما فيها من الصفات كذبًا وافتراءً ووصفًا لله بما يجب تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد لكان إنكار ذلك عليهم موجودًا في كلام النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك، وقد عابهم الله في القرآن بما دون ذلك مما هو دون ذلك؛ فلو كان هذا عيبًا لكان عيب الله لهم أعظم، وذمهم عليه أشد.اهـ

إثبات صفة التجلي لله عز وجل.

دل حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على إثبات صفة التجلي لله عز وجل، وقد دل على هذه الصفة أيضًا القرآن في قوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا﴾.

ويدل على هذه الصفة أيضًا حديث أبي موسى الآتي في الكتاب، وفيه: «**حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

وكذلك ما رواه مسلم عن صهيب بن سنان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**فيكشف الحجاب عن وجهه؛ فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**»[1].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٦/٣٢):

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١).

وَأَمَّا تَجَلِّيهِ لِعُيُونِ عِبَادِهِ فَأَقَرَّ بِهِ الْمُتَكَلِّمُونَ الصفاتية؛ كَالْأَشْعَرِيَّةِ والْكُلَّابِيَة. وَمَنْ نَفَى مِنْهُمْ عُلُوَّ الرَّبِّ عَلَى العَرْشِ قَالَ: هُوَ بِخَلْقِ الإِدْرَاكِ فِي عُيُونِهِمْ وَرَفْعِ الحُجُبِ المَانِعَةِ.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ: فَيُقِرُّونَ بِذَلِكَ وَبِأَنَّهُ يَرْفَعُ حُجُبًا مُنْفَصِلَةً عَنْ العَبْدِ حَتَّى يَرَى رَبَّهُ كَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.اهـ

إثبات صفة الساق لله عز وجل.

دل حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في الباب على إثبات صفة الساق لله عز وجل، وهي ساق تليق بجلاله سبحانه، بلا كيف، ولا مثل.

ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم:٤٢-٤٣].

وقد حرف المبتدعة صفة الساق، وقالوا: المراد بها الشدة. واستندوا في ذلك إلى أنه قد ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه فسر الساق في الآية بالشدة، وجاء أيضًا عن جمع من التابعين كما في تفسير الطبري .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣٩٤/٦ -):

وَأَمَّا الَّذِي أَقُولُهُ الآنَ وَأَكْتُبُهُ - وَإِنْ كُنْت لَمْ أَكْتُبْهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَجْوِبَتِي، وَإِنَّمَا أَقُولُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ المَجَالِسِ - أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي القُرْآنِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ فَلَيْسَ عَنْ الصَّحَابَةِ اخْتِلَافٌ فِي تَأْوِيلِهَا.

وَقَدْ طَالَعْت التَّفَاسِيرَ الْمَنْقُولَةَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَمَا رَوَوْهُ مِنْ الْحَدِيثِ وَوَقَفْت مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى مِنْ الْكُتُبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ تَفْسِيرٍ فَلَمْ أَجِدْ - إلَى سَاعَتِي هَذِهِ - عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ تَأَوَّلَ شَيْئًا مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَوْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ بِخِلَافِ مُقْتَضَاهَا الْمَفْهُومِ الْمَعْرُوفِ؛ بَلْ عَنْهُمْ مِنْ تَقْرِيرِ ذَلِكَ وَتَثْبِيتِهِ، وَبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ مَا يُخَالِفُ كَلَامَ الْمُتَأَوِّلِينَ مَا لَا يُحْصِيهِ إلَّا اللهُ.

وَكَذَلِكَ فِيمَا يَذْكُرُونَهُ آثِرِينَ وَذَاكِرِينَ عَنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا. وَتَمَامُ هَذَا أَنِّي لَمْ أَجِدْهُمْ تَنَازَعُوا إلَّا فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ فَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ[1] وَطَائِفَةٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الشِّدَّةُ أَنَّ اللهَ يَكْشِفُ عَنْ الشِّدَّةِ فِي الْآخِرَةِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَطَائِفَةٍ أَنَّهُمْ عَدُّوهَا فِي الصِّفَاتِ؛ لِلْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

وَلَا رَيْبَ أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ مِنْ الصِّفَاتِ؛ فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ نَكِرَةٌ فِي الْإِثْبَاتِ لَمْ يُضِفْهَا إلَى اللهِ، وَلَمْ يَقُلْ عَنْ سَاقِهِ فَمَعَ عَدَمِ التَّعْرِيفِ بِالْإِضَافَةِ لَا يَظْهَرُ أَنَّهُ مِنْ الصِّفَاتِ إلَّا بِدَلِيلِ آخَرَ، وَمِثْلُ هَذَا لَيْسَ بِتَأْوِيلِ إنَّمَا التَّأْوِيلُ صَرْفُ الْآيَةِ عَنْ مَدْلُولِهَا وَمَفْهُومِهَا وَمَعْنَاهَا الْمَعْرُوفِ؛ وَلَكِنْ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ اللَّفْظَ عَلَى مَا لَيْسَ مَدْلُولًا لَهُ ثُمَّ يُرِيدُونَ صَرْفَهُ عَنْهُ وَيَجْعَلُونَ هَذَا تَأْوِيلًا، وَهَذَا خَطَأٌ مِنْ وَجْهَيْنِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ غَيْرَ مَرَّةٍ.اهـ

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللّهُ كَمَا فِي بيان تلبيس الجهمية (٥/٤٧٢):

والصحابة قد تنازعوا في تفسير الآية: هل المراد به الكشف عن الشدة، أو المراد به أنه يكشف الرب عن ساقه، ولم يتنازع الصحابة والتابعون في ما يذكر من آيات

(١) **صحيح**: أخرجه الطبري في تفسير الآية، من أوجه عنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبعض الأسانيد صحيحة.

الصفات إلا في هذه الآية بخلاف قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن ٢٧] ونحو ذلك؛ فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون، وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفة لله تعالى؛ لأنه قال ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ولم يقل (عن ساق الله) ولا قال (يكشف الرب عن ساقه) وإنما ذكر ساقاً منكَّرة غير معرَّفة ولا مضافة، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله، والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في "الصحيحين" الذي قال فيه: «**فيكشف الرب عن ساقه**».

وقد يقال: إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله؛ فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه.

وأيضاً: فحَمْلُ ذلك على الشدة لا يصحّ؛ لأن المستعمل في الشدة أن يقال كشف الله الشدة. أي أزالها. كما قال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الزخرف ٥٠] وقال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ [الأعراف: ١٣٥] وقال ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون ٧٥] وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة أنه يقال: كشف الشدة. أي: أزالها، فلفظ الآية ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ وهذا يراد به الإظهار والإبانة، كما قال: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمُ﴾ وأيضاً فهناك تحدث الشدة، ولا يزيلها؛ فلا يكشف الشدة يوم القيامة. لكن هذا الظاهر ليس ظاهراً من مجرد لفظ (ساق)، بل بالتركيب، والسياق، وتدبر المعنى المقصود.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله كمَا فِي مختصر الصواعق (ص٣٧):

وَالصَّحَابَةُ مُتَنَازِعُونَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ هل المرادُ الكشفُ عن الشدة، أو الْمُرَاد بِهَا: أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، وَلَا يُحْفَظُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ نِزَاعٌ فِيمَا يُذْكَرُ أَنَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ أَمْ لَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَلَيْسَ فِي ظَاهِرِ الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ صِفَةٌ للهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُضِفِ السَّاقَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ مُجَرَّدًا عَنِ الْإِضَافَةِ مُنَكَّرًا، وَالَّذِينَ أَثْبَتُوا ذَلِكَ صِفَةً كَالْيَدَيْنِ لَمْ يَأْخُذُوا ذَلِكَ مِنْ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ، إِنَّمَا أَثْبَتُوهُ بِحَدِيثِ أَبى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ، وَهُوَ حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيلُ، وَفِيهِ: «**فَيَكْشِفُ الرَّبُّ عَنْ سَاقِهِ**» الْحَدِيثَ. وَمَنْ حَمَلَ الْآيَةَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ**» وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ كَأَنَّهُ قَالَ: يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ عَظِيمَةٍ.

قَالُوا: وَحَمْلُ الْآيَةِ عَلَى الشِّدَّةِ لَا يَصِحُّ بِوَجْهٍ، فَإِنَّ لُغَةَ الْقَوْمِ في مثل ذلك أَنْ يُقَالَ: كُشِفَتِ الشِّدَّةُ عَنِ الْقَوْمِ، لَا كُشِفَ عَنْهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ [الزخرف: ٥٠] فَالْعَذَابُ هُوَ الْمَكْشُوفُ، لَا الْمَكْشُوفُ عَنْهُ، وَأَيْضًا فَهُنَاكَ تَحْدُثُ شِدَّةٌ لَا تَزُولُ إِلَّا بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَهُنَاكَ لَا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ، دَائِمًا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ أَشَدَّ مَا كَانَتِ الشِّدَّةُ.اهـ

---

٧١) وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ وَفِي**

رِوَايَةٍ: النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[1].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

الكلام على الصفات السَّلبية.

الصفات السَّلبية: هي الصفات التي نفاها الله عن نفسه، والله سبحانه وتعالى لا ينفي عن نفسه صفة بنفي محض، بل ذكر العلماء أنه نفي يكون متضمنًا لكمال ضده.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٦/ ٩٩):

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ مَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَى بِهِ نَفْسَهُ مِنْ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَضَمَّنَ مَعْنًى ثُبُوتِيًّا. فَالْكَمَالُ هُوَ فِي الْوُجُودِ وَالثُّبُوتِ، وَالنَّفْيُ مَقْصُودُهُ نَفْيُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

فَإِذَا نُفِيَ النَّقِيضُ الَّذِي هُوَ العَدَمُ وَالسَّلْبُ لَزِمَ ثُبُوتُ النَّقِيضِ الآخَرِ الَّذِي هُوَ الوُجُودُ وَالثُّبُوتُ. وَبَيَّنَّا هَذَا فِي آيَةِ الكُرْسِيِّ وَغَيْرِهَا مِمَّا فِي القُرْآنِ كَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ الحَيَاةِ والقيومية.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْمُلْكِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ يَقْتَضِي اخْتِصَاصَهُ بِالتَّعْلِيمِ دُونَ مَا سِوَاهُ.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

والوحدانية تَقْتَضِي الكَمَالَ، وَالشَّرِكَةُ تَقْتَضِي النَّقْصَ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.اهـ

سلك المبتدعة مسلك النفي المحض الذي لا يتضمن ثبوتًا:

إن الزنادقة الجهمية، ثم المعتزلة، ومن تبعهم من أهل البدع والضلال سلكوا في الصفات مسلك النفي المحض؛ فيقولون: لا يظلم، ولا يجهل، ولا يموت، ولا ينام،... وهكذا.

ثم توصلوا بذلك إلى أن ينفوا عن الله الصفات الثابتة بنفي بعض الألفاظ المجملة التي تحتمل حقًّا وباطلًا، كما أشرنا إليه سابقًا.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي درء تعارض العقل والنقل (٦/ ١٨١):

فالنفاة تصفه بهذه الصفات السلبية: أنه لا مباين للعالم ولا مداخل، ولا فوق ولا تحت، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يقرب إليه شيء، ولا يقرب هو من شيء وأمثال ذلك، بل ويقولون أيضاً: إنه لا تمكن رؤيته، ولا غير ذلك من الإحساس به، ولا يمكن الإشارة إليه.

وآخرون منهم يقولون: ليس له علم ولا قدرة ولا حياة، ولا غير ذلك من الصفات.

وآخرون يقولون: لا يسمى موجوداً حياً عالماً قادراً إلا مجازاً، أو بالاشتراك اللفظي، وأن هذه الأسماء لا تدل على معنى معقول، ويقولون: إذا أثبتنا هذه الصفات لزم أن يكون متحيزاً، والمتحيز مركب، أو كالجوهر الفرد في الصغر، ونحو ذلك، فيفرون من هذه الصفات، لاعتقادهم أن ذلك يقتضي التجسيم، والأجسام

عندهم موجودة، لكنها عند بعضهم محدثة، وعند بعضهم ممكنة، فإذا وصفوا الواجب القديم بذلك، لزم أن يكون عندهم ممكناً أو محدثاً، وذلك ينافي وجوبه وقدمه، ويقولون: إن هذه المقدمات معلومة بالنظر.

وأما المثبتون فيقولون: الموصوف بهذه الصفات السلبية لا يكون إلا ممتنعاً، والامتناع ينافي الوجود، فضلاً عن وجوب الوجود، فيقولون: إن الواصفين له بهذه الصفات وصفوه بما لا يتصف به إلا ما يمتنع وجوده، ومن وصف ما يجب وجوده بما يمتنع وجوده، فقد جعله دون المعدوم الممكن الوجود.

ويقولون: إن هذه المقدمات معلومة بالضرورة، فهم يقولون لأولئك: أنتم فررتم من وصفه بالإمكان فوصفتموه بالامتناع، ومن وصفه بالحدوث فوصفتموه بالعدم.

ويقولون: إن الأجسام الجامدة خير من الموصوف بهذه الصفات، فضلاً عن الأجسام الحية الناقصة، فضلاً عن الأجسام الحية الكاملة.

ومن المعلوم أنه إذا دار الأمر بين جسم حي كامل، وبين معدوم أو ممتنع، كان ذلك خيراً من هذا، وإن كانت هذه النتيجة لازمة لمقدمات يقول أهلها: إنها معلومة بالاضطرار، كانت أثبت من مقدمات يقول أهلها: أنتم لا تعلمونها إلا بالنظر، مع اختلافهم في كل مقدمة منها.

فعلم بذلك أن المثبتة هم أقطع بما يقولونه، وأشد تعظيماً لما يثبتونه، وأن النفاة أقرب إلى الظن، وأبعد عن التعظيم والإثبات.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي "الصواعق المرسلة" (١٢٣٣/٤):

ومقالة النفاة المعطلة شر مقالات أهل الأرض على الإطلاق، وأشدها مناقضة للمعقول والمنقول؛ فإنهم يصفونه بصفات المعدوم الصرف، بل بصفات الممتنع الوجود يعني بصفات المعدوم، والممتنع ما يخبر به عنه، ويحكم به عليه وإلا فليس هناك صفة ولا موصوف، فيقولون: ليس هو فوق خلقه، ولا هو مستو على عرشه ولا هو داخل العالم، ولا خارجه، ولا متصلا به، ولا منفصلا عنه، ولا مباينا له، ولا محايثا، ولا مجاورا، ولا فوق، ولا تحت، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل من عنده، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا رفع المسيح إليه، ولا عرج برسول إليه، ودنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، ولا يقرب منه شيء، ولا يقرب من شيء ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، ولا يجيء للفصل بين عباده، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يشار إليه بالأصابع، ولا يمكن رؤيته البتة، ولا قال ولا يقول ولا يكلم ولا يتكلم ولا نادى ولا ينادي ولا له علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر، ولا إرادة، ولا وجه، ولا يد، ولا عين، ولا إصبع، وغلاتهم يقولون: لا يسمى حيا عالما قادرا؛ إلا بطريق المجاز، ويقولون: لو أثبتنا هذه الصفات؛ لزم أن يكون جسما، والجسم مركب، والمركب ممكن، والممكن محدث فإثبات هذه الصفات تنافي قدمه، ووجوب وجوده.

وأما أهل الإثبات فيقولون: الموصوف بهذه الصفات السلبية المنفي عنه الصفات الثبوتية لا يكون إلا ممتنعا، والامتناع ينافي الوجود؛ فضلا عن وجوبه والذين وصفوه بهذه السلوب، وصفوه بما لا يتصف به، إلا ما يمتنع وجوده، ومن وصف ما يجب وجوده بما يمتنع وجوده؛ فقد جعله دون المعدوم الممكن الوجود ويقولون للمعطلة النفاة: أنتم فررتم من وصفه بما يستلزم الإنكار بزعمكم

فوصفتموه بما يستلزم الامتناع من وصفه، ومن وصف بما يستلزم الحدوث على ظنكم فوصفتموه بما يستلزم العدم، والأجسام الجامدة خير من المسلوب عنه هذه الصفات؛ فضلا عن الأجسام الحية الناقصة؛ فضلا عن الأجسام الحية الكاملة. قالوا: ومن المعلوم أنه إذا دار الأمر بين وجود حي كامل، وبين معدوم أو ممتنع كان الموجود خيرا من المعدوم.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي الصواعق المرسلة (١١١٤/٤):

إنا نعرض على الفطر السليمة والعقول التي لم تفسد بتلقي المقالات الفاسدة وتلقيها عن المعلمين: خصمين اختصموا في ربهم:

فقال أحدهما: هو الله، الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه، حي له الحياة، قدير له صفة القدرة، مريد له صفة الإرادة، كلم موسى تكليما، وتجلى للجبل فجعله دكا هشيما، فوق سماواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه، يرى من فوق سبع سماوات، ويسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في غياهب الظلمات، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض والسموات، ترفع إليه الحاجات، وتصعد إليه الكلمات الطيبات، وينزل من عنده الأمر بتدبير المخلوقات، له القوة كلها، والعز كله، والجمال كله، والعلم كله، والكمال كله، وهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا

نوم، موصوف بكل جمال، منزه عن كل نقص وعيب، لا تضرب له الأمثال، ولا يشبه بالمخلوقات، فعال لما يريد، لوجهه سبحات الجلال، وهو الجميل الذي له كل الجمال، إحدى يديه للجود والفضل، والأخرى للقسط والعدل، يقبض سماواته السبع بإحدى يديه، والأرضين السبع باليد الأخرى، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، قريب، مجيد، رحيم، ودود، لطيف، خبير.

وقال الآخر: بل هو موصوف بالسلوب والإضافات؛ فلا سمع له، ولا بصر ولا حياة، ولا إرادة، ولا يتكلم، ولا يكلم أحدا من خلقه، ولا هو داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوق العرش، ولا تحته، ولا يمينه، ولا يساره، ولا خلفه، ولا أمامه، ولا له وجه، ولا يد، ولا يرضى، ولا يغضب، ولا يسخط، ولا يضحك، ولا يفرح، بتوبة تائب، ولا استوى على عرشه، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا يأتي يوم القيامة، ولا يجيء لفصل القضاء، ولا يراه المؤمنون بأبصارهم، ولا يستمعون كلامه، ولا يقوم به فعل البتة ولا وصف، ولا له حقيقة وماهية غير وجود مطلق، وهو وجه كله، وسمع كله، وبصر كله، ويد كله، علمه ذاته، وسمعه، وبصره، ليس له يد غير القدرة خلق بها آدم، وكتب بها التوراة، وغرس بها جنة عدن، يقبض بها السموات، وليس له وجه يراه المؤمنون بأبصارهم، ليس بجوهر، ولا جسم، ولا متحيز، ولا متحرك، ولا ساكن، ولا ينزل من عنده شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يقرب منه شيء، ولا يحبه أحد، ولا يحب أحدا، إلى أمثال ذلك من النفي.

فاعرض أقوال هذين الخصمين على الفطرة الصحيحة، والعقل، واجلس مجلس الحكومة بينهما، ثم تحيز إلى أي الفئتين شئت؛ فما ثَمَّ إلا الإثبات من كل وجه لما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله، أو التعطيل الصرف، والنفي المحض؛ فاختر لنفسك إحدى الخطتين، واجعلها مع إحدى الفئتين؛ فالمرء مع من أحب، وحينئذ فنقول:

إن الأعمال الصالحة والفاسدة نتائج الاعتقادات الصحيحة والباطلة، فانظر رؤوس المثبتة والنفاة وملوكهم وأتباعهم؛ يبين لك حقيقة الأمر؛ فرؤوس المثبتة: آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وإبراهيم الخليل، وسائر الأنبياء من ذريته، وموسى الكليم، وعيسى، وجاء خاتمهم وآخرهم، وأعلمهم بالله سيد ولد آدم محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله؛ فجاء بالإثبات المفصل الذي لم يأت رسول بمثله؛ فصرح من إثبات الصفات والأفعال بما لم يصرح به نبي قبله، وذلك لكمال عقول أمته، وكمال تصديقهم وصحة أذهانهم فرسول الله ﷺ حامل لواء الإثبات وتحت ذلك اللواء آدم وجميع الأنبياء وأتباعهم، ثم المهاجرون والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، وسائر الصحابة، ثم التابعون لهم بإحسان ممن لا يحصيهم إلا الله، ثم أتباع التابعين، ثم أئمة الفقه في الأعصار والأمصار منهم الأئمة الأربعة، ثم أهل الحديث قاطبة، وأئمة التفسير، والتصوف، والزهد، والعبادة المقبولون عند الأمة ممن لا يحصي عددهم إلا الله؛ فهل سمع في الأولين والآخرين بمثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المشهود لهم بالجنة، وسائر المهاجرين والأنصار، وهل سمع بقوم أتم عقولا، وأصح أذهانا، وأكمل علما ومعرفة وأزكى قلوبا من هؤلاء

الذين قال الله فيهم ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ قال: غير واحد من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ.

قال فيهم عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[1].

فهؤلاء أمراء هذا الشأن، وأما الجند والعساكر، فالتابعون كلهم ثم الذين يلونهم مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، والإمام أحمد، والشافعي، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، ومحمد بن أسلم الطوسي، وأبي حاتم، وأبي زرعة الرازيين، وأمثالهم.

وأما عامتهم فأهل الدين والصدق والورع والزهد والعبادة والإخلاص واجتناب المحارم وتوقي المآثم.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١٨١٠)، والهروي في "ذم الكلام" (٧٤٦) من طريق قتادة، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ منقطع؛ فإن قتادة لم يدرك عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرج أبو داود في الزهد (١٣٢) بإسناد صحيح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إن الأمر يؤول إلى آخره، وإن أملك الأعمال به خواتمه، وإنكم في خواتم الأعمال، ألا فلا يقلدن رجل منكم دينه رجلًا إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بد فاعلين؛ فببعض من قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

وأما رؤوس النفاة والمعطلين ففرعون إذ يقول ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أسباب أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾ [غافر٣٧ ، ٣٦] وجنوده كلهم، ونمرود بن كنعان هذا خصم إبراهيم الخليل وذاك خصم موسى الكليم. وأرسطاطاليس وبقراطيس وأضرابهما، وطمطم وتنكلوسا وابن وخشيه وأضرابهم، وابن سينا والفارابي، وكل فيلسوف لا يؤمن بالله، ولا ملائكته، ولا كتبه، ولا رسله، ولا لقائه.

وأما عوامهم فاعتبر عوام النصيرية، والإسماعيلية، والدرزية، والحاكمية والطرقية، والعرباء، وعبادهم البخشية، والطوسية وعلماؤهم السحرة وعساكرهم المشركون والقرامطة الذين هم أعظم الأمم إفسادا للدنيا والدين؛ فليعتبر العاقل خواص هؤلاء وهؤلاء، وعوام هؤلاء وهؤلاء، وليقابل بين الطائفتين، وحينئذ يتبين له أنه ما كان ولا يكون ولي لله، إلا من أهل الإثبات، وما كان ولا يكون ولي للشيطان إلا من أهل النفي والتعطيل:

إما تعطيل الصانع عن صفات كماله ونعوت جلاله، وإما تعطيل القلب عن توحيده وعبوديته وإخلاص الدين له، واعتبر ذلك بإمام النفاة في زمانه، وما جرى على أهل السنة منه ابن أبي دؤاد، وأصحابه الذين سعوا في ضرب الإمام أحمد، وقتل كثير من أهل السنة وحبسهم، وتشتيتهم في البلاد، وقطع أرزاقهم، ثم إمامهم في زمانه، نصير الكفر والشرك الطوسي، وما جرى على المسلمين منه من قتل خليفتهم وعلمائهم وعبادهم.

وإذا اعتبرت أحوال القوم رأيت عوام اليهود والنصارى أقل فسادا في الدين والدنيا من أئمة هؤلاء المعارضين لنصوص الأنبياء بعقولهم وغاية الواحد من هؤلاء إذا أراد الجاه أن يتقرب إلى الملوك الجهلة الظلمة بما يناسبهم من السحر فيصنف لهم فيه، ويتقرب به إليهم، فهؤلاء علماؤهم وملوكهم وعوامهم فكيف يكون هؤلاء أحظى بالعقل وأسعد به من الرسل وأتباعهم.

وسيرة هؤلاء وهؤلاء معلومة في العالم وأعمالهم وعلومهم ومعارفهم وآثارهم دالة لمن له أدنى عقل على حقيقة الحال، والله أعلم.اهـ

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: يخفض القسط ويرفعه.

قال المناوي رحمه الله في شرحه التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٢٦٥):

أي ينقص الرزق باعتبار ما كان يمنحه قبل ذلك، ويزيد بالنظر إليه لمقتضى قدره الذي هو تفصيلٌ لقضائه الأول؛ فمحصوله: يقلل لمن يشاء، ويكثر لمن يشاء بالقسط، أو أراد بالقسط: العدل، أي: يرفع بعدله الطائع، ويخفض العاصي.اهـ

وقال السيوطي رحمه الله في شرح مسلم (١/ ٢٢٥):

قَالَ ابن قُتَيْبَة: الْقسْط الْمِيزَان، وَالْمعْنَى: أَن الله يخْفض الْمِيزَان، وَيَرْفعهُ بِمَا يُوزن من أَعمال الْعباد المرتفعة إِلَيْهِ، ويوزن من أَرْزَاقهم النَّازِلَة إِلَيْهِم، فَهَذَا تَمْثِيل لما يقدر بتنزيله؛ فَشبه بِوَزْن الوازن. وَقيل: الْمُرَاد بِالْقِسْطِ الرزق الَّذِي هُوَ قسط كل مَخْلُوق يخفضه فيقتره، وَيَرْفَعهُ فيوسعه.اهـ

وأخرج البخاري (٧٤١١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**يَدُ الله مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى**

الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ». وفي لفظ في الصحيحين: «وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضَ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ».

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٧/٩٣):

فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَالْعَدْلُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ مَعَ أَنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ فَالْفَضْلُ أَعْلَى مِنْ الْعَدْلِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ كُلُّ رَحْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، وَرَحْمَتُهُ أَفْضَلُ مِنْ نِقْمَتِهِ.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه اللّٰه في شفاء العليل (ص٢٧١):

فالفضل لإحدى اليدين، والعدل للأخرى، وكلاهما خير لا شر فيه بوجه.اهـ

اللّٰه عز وجل له حجابٌ من النور.

دل حديث الباب على أن الله عز وجل له حجاب من نور، وهو نور مخلوق غير نور وجهه جل وعلا، فنور الحجاب لو كشفه ربنا؛ لأحرق نور وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

وروى مسلم (١٧٨) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ». وفي رواية: «رَأَيْتُ نُورًا».

وروى مسلم (١٨١) عَنْ صُهَيْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الرد على الشاذلي (ص١٥٢):

ثم الحُجُب عند السلف وأهل الحديث، وغيرهم هي حُجب الله عن العبد، وعند من يثبت رؤية الله بلا مواجهة الحُجُبُ عندهم: ما يقوم بالعبد من موانع الرؤية، وهي أمر عَدَمي أو عَرَض وجودي.اهـ

إنكار المبتدعة للحجاب والرد عليهم.

قال الأشاعرة وغيرهم من المبتدعة: الحجاب بالنسبة إلى الله تعالى؛ محال لأنه عبارة عن الجسم المتوسط بين جسمين آخرين، بل هذا محمول عندنا على أن لا يخلق الله في العين رؤية متعلقة به. فإذا خلق إدراك الرؤية؛ فهذا هو كشف الحجاب.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بيان تلبيس الجهمية (٨/١٢١):

وهذا باطل بالضرورة؛ فإن كون الله تعالى لا يخلق في العين رؤية: أمرٌ عدمي، لا يحتاج إلى إحداث فعل، بل هو مثل أن الله تعالى لا يخلق للجسم طعماً أو لوناً أو ريحاً أو حركة أو حياة أو غير ذلك من الأمور العدمية؛ فقول القائل: فهم محجوبون عنه بحجاب يخلقه فيهم، وهو عدمُ الإدراك في أبصارهم كلام باطل؛ لأن العدم لا يخلق.

قال رحمه الله:

وفي الحديث الصحيح «**حجابه النور**»، وفي الرواية الأخرى: «**النار**»، ومعلوم أن عدم الرؤية، لا يسمى نوراً، ولا ناراً، لا حقيقة، ولا مجازاً، بل إذا سُمّي ظلمة كان فيه مناسبة.

قال رحمه الله:

وفي الحديث «**فيكشف الحجاب؛ فينظرون إليه**» وكشف الشيء: إزالته أو رفعه، وهذا لا يوصف به المعدوم؛ فإن المعدوم لا يُزال، ولا يرفع، وإنما يزال ويرفع

الموجود، ومنه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] وقوله ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل ٦٢] وقوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام ٤١].

قال رحمه الله (٨/١٢٢):

(فيكشف الحجاب فينظرون إليه) فجعل النظر متعقباً لكشف الحجاب وعندهم أن الحجاب هو عدم خلق الرؤية، أو ضده خلق الرؤية؛ فيكون زوال ذلك العدم هو عين الرؤية، لا يكون شيئاً يتعقب الحجاب.

وقال «**حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه**» ولو كان الحجاب عدم خلق الرؤية لم يكن كَشفُ ذلك، وهو خلق الرؤية في العبد يحرق شيئاً من الأشياء؛ فإن المؤمنين إذا رأوا ربّهم في عرصات القيامة ثم رأوه في الجنة مرة بعد مرة، لا يُحْرَقُ شيء.

وفي الصحيحين «**وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**» فأثبت رداء الكبرياء على وجهه، وعلى قول هؤلاء ما بينهم وبين أن ينظروا إليه؛ إلا زوال ذلك العدم بخلق الرؤية في أعينهم، ومعلوم أن عدم خلق الرؤية فيهم ليس هو رداء الكبرياء، ولا هو على وجه الله عز وجل، ولا هو في جنة عدن، ولا هو شيء أصلا؛ حتى يوصف بشيء من صفات الموجود.

وتسمية مجرد عدم الرؤية مع صحة الحاسة وزوال المانع حجاباً أمر لا يعرف في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً، ولهذا لا يقال: إن الإنسان محجوب عن رؤية ما يعجز عنه مع صحة حاسته وزوال المانع، كالأشياء البعيدة، ولكن يقال في الأعمى: هو محجوبُ البصر؛ لأن في عينيه ما يحجب النور.

وقولهم (حقيقة الحجاب بالنسبة إلى الله تعالى محال لأنه عبارة عن الجسم المتوسط بين جسمين آخرين)، يقال: هذا بعينه وارد في كل ما يضاف إلى الله عز وجل من أسمائه وصفاته؛ فإن تلك الأسماء والصفات لا تعرف إلا للأجسام وصفات الأجسام كما تقدم التنبيه على ذلك.

والرؤية أيضا لا تعقل إلا لجسم، ولا يعقل إثبات الرؤية إلا لجسم؛ فإثبات كون الرب مرئيّا ورائياً مع نفي الجسم ليس بأولى من إثبات كونه محجوباً ومحتجباً مع نفي الجسم؛ فإن كان الجمع بين هذا الإثبات والنفي حقّا فهو حق في الموضعين وإن كان باطلاً فهو باطل في الموضعين، ومن قال: إني أعقل الرؤية بغير جسم ولا أعقل الحجاب إلا لجسم فهو جاحد لما يعلمه العقلاء بالاضطرار.

قال رحمه الله في (١٢٨/٨):

ومن تأمل نصوص الكتاب، وما ورد في ذلك من الآثار عن الصحابة والتابعين؛ علم بالضرورة علماً يقيناً لا يستريبُ فيه: أن لله عز وجل حجاباً وحُجُبا منفصلة عن العبد يكشفها إذا شاء فيتجلى، وإذا شاء لم يكشفها، وإذا كان الحجاب هو الجسم المتوسط بين جسمين؛ فلازم الحق حق لا يمكن أن يُدفع ما علم بالاضطرار من دين المرسلين بمثل نفي هذا الكلام الذي قد تبين أن نفيه من فاسد الكلام، وأن الحجة لمثبتيه أقوى منها لنافيه في الفطرة والشرعة والنظر والخِصَام.

والله تعالى قد قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى ٥١] ومعلوم أن هذا التكليم هو مثل تكليمه لموسى، كما جاء في الحديث المتقدم «**أنت موسى الذي كلمك الله من وراء حجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه**» وهذا التكليم أرفع درجة من تكليمه بالوحي، أو إرسال رسول باتفاق

المسلمين، كما دل عليه الكتاب والسنة؛ فإن كان الحجاب هو عدم خلق الرؤية كان المعنى: أن الله عز وجل كلمه، مع عدم رؤيته، ومعلوم أن عدم الرؤية قدر مشترك في جميع هذه الأنواع، وأن ذلك ليس مما يفضل به موسى، وإذا لم يكن التكليم من وراء حجاب لا يفيد إلا هذا المعنى؛ كان ما ثبت لموسى دون ما ثبت لغيره من الرسل وهذا معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام.

وقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى ٥١] أي من خلف حجاب، والعدم المحض ليس له خلف ولا أمام؛ فعلم أنه حجاب موجود يكون له وراء.

لو صرحوا بالمعنى الذي ذكروه فقالوا (أو من وراء عدم خلق الرؤية)؛ لكان هذا من الكلام الذي يُعلم جنون صاحبه، أو هو كلام لا حقيقة له، ولا يَحمل كلام الله عز وجل على ذلك إلا زنديق منافق متلاعب بالقرآن والإسلام، أو جاهل فيحكم عليه بالجهل بما يخرج منه من الكلام.

والله عز وجل قال في حق الكفار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين ١٥] فخص الحجاب بأنه يومئذٍ؛ فلو كان هو عدم خلق الرؤية؛ لكانوا ما داموا محجوبين.

والله تعالى خصّهم بذلك دون المؤمنين، وجعل ذلك مما يعذبهم به؛ فلو كان هو عدم خلق الرؤية؛ لكان المؤمنون في الدنيا محجوبين معذبين بهذا الحجاب الذي حجب به الكفار في الآخرة؛ فعلم أن ذلك حجاب خاص يحجب الله عز وجل به الكفار حين يتجلى للأبرار.اهـ بتصرف واختصار

من صفات الله عز وجل الحجب والاحتجاب كما يليق بجلاله:

يدل على صفة الحجب قوله تعالى عن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين ١٥].

ويدل على صفة الاحتجاب ما رواه أحمد، وأبو داود عن أبي مريمَ الأزديَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: دخلتُ على معاويةَ فقال: ما أنعمَنَا بك يا فلانٍ، وهي كلمةٌ تقولُها العربُ، فقلتُ: حديثاً سمعتُه أُخبِرك به، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَن وَلاَّهُ اللهُ شيئاً من أمرِ المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخَلَّتِهم وفَقْرِهم احتجبَ اللهُ عنه دونَ حاجته وخَلَّتِهِ وفقرِه**» قال: فجعل رجلاً على حوائج الناسِ.

وأحاديث الحجاب المتقدمة تدل على الصفتين جميعًا، وبالله التوفيق.

من صفات الله عز وجل النور:

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] . وقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] .

وروى أحمد (٦٦٤٤)، والترمذي (٢١٣٠) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله تبارك وتعالى خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور؛ اهتدى، ومن أخطأه؛ ضلَّ**».

وروى البخاري (٧٣٨٥)، ومسلم (٧٦٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ في قيام الليل، في دعاء الاستفتاح: «**اللهم لك الحمد؛ أنت نور السَّماوات والأرض**».

وحديث الباب: «**حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**». ومعنى «**سبحات وجهه**» يعني: نور وجهه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي "مختصر الصواعق" (ص٤١٩):

وَمِنْ أَسْمَائِهِ النُّورُ، وَقَالَتِ الْمُعَطِّلَةُ: ذَلِكَ مَجَازٌ، مَعْنَاهُ: مُنَوِّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالنُّورِ الْمَخْلُوقِ، قَالُوا: وَيَتَعَيَّنُ الْمَجَازُ لِأَنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ هُوَ هَذَا النُّورُ الْمُنْبَسِطُ عَلَى الْجُدْرَانِ، وَلَا هُوَ النُّورُ الْفَائِضُ مِنْ جِرْمِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّارِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَجَازُهُ مُنَوِّرَ السَّمَاوَاتِ، أَوْ هَادِيَ أَهْلِهَا.

وَبُطْلَانُ هَذَا يَتَبَيَّنُ بِأَنَّ النُّورَ جَاءَ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى، وَهَذَا الِاسْمُ مِمَّا تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ وَأَثْبَتُوهُ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَهُوَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَالَّذِي رَوَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَمِنْ طَرِيقِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمُحَالٌ أَنْ يُسَمِّيَ نَفْسَهُ نُورًا، وَلَيْسَ لَهُ نُورٌ، وَلَا صِفَةُ النُّورِ ثَابِتَةٌ لَهُ، كَمَا أَنَّ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ عَلِيمًا قَدِيرًا سَمِيعًا بَصِيرًا، وَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ، بَلْ صِحَّةُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهِ مُسْتَلْزِمَةٌ لِثُبُوتِ مَعَانِيهَا لَهُ، وَانْتِفَاءُ حَقَائِقِهَا عَنْهُ مُسْتَلْزِمٌ لِنَفْيِهَا عَنْهُ، وَالثَّانِي بَاطِلٌ قَطْعًا فَتَعَيَّنَ الْأَوَّلُ.

والنَّبِيَّ ﷺ لَمَّا سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ: «**هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟**» قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَعْنَاهُ: ثَمَّ نُورٌ، أَيْ فَهُنَاكَ نُورٌ مَنَعَنِي رُؤْيَتَهُ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى شَيْئَانِ: (أَحَدُهُمَا) قَوْلُهُ فِي اللَّفْظِ الْآخَرِ فِي الْحَدِيثِ: «**رَأَيْتُ نُورًا**» فَهَذَا النُّورُ الَّذِي رَآهُ هُوَ الَّذِي حَالَ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ رُؤْيَةِ الذَّاتِ. (الثَّانِي): قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يُخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «**احْتَجَبَ اللهُ عَنْ خَلْقِهِ بِأَرْبَعٍ: بِنَارٍ وَظُلْمَةٍ وَنُورٍ وَظُلْمَةٍ**»[١].

وَقَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ جِبْرِيلَ: «**هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟**» فَانْتَفَضَ جِبْرِيلُ وَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ، لَوْ دَنَوْتُ مِنْ أَدْنَاهَا لَاحْتَرَقْتُ**»[٢].

الْمَعْنَى الثَّانِي فِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نُورٌ فَلَا يُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ؛ لِأَنَّ نُورَهُ الَّذِي لَوْ كَشَفَ الْحِجَابَ عَنْهُ لَاحْتَرَقَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَمَا بَيْنَهُمَا مَانِعٌ مِنْ رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ هُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي فَظَاهِرٌ، وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ نُورُ الْحِجَابِ مَانِعًا مِنْ رُؤْيَةِ ذَاتِهِ، فَنُورُ ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ مِنْ نُورِ الْحِجَابِ، بَلِ الْحِجَابُ إِنَّمَا اسْتَنَارَ بِنُورِهِ، فَإِنَّ نُورَ السَّمَاوَاتِ إِذَا كَانَ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ[٣]، فَنُورُ الْحِجَابِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ نُورِهِ، وَهَلْ يُعْقَلُ

---

(١) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين؛ إلا عبيد بن مهران المكتب؛ فإنه من رجال مسلم فحسب.

(٢) إسناده ضعيف؛ لكونه مرسلًا.

(٣) **ضعيف**: أخرجه الدارمي في "النقض على المريسي" (ص٤٧٥، و٧٤١)، وأبو داود في "الزهد" (١٥٨)، والطبراني في "الكبير" (٨٨٨٦)، وأبو الشيخ في "العظمة" (١١١)، وأبو نعيم في "الحلية"=

أَنْ يَكُونَ النُّورُ حِجَابَ مَنْ لَيْسَ لَهُ نُورٌ؟ هَذَا أَبْيَنُ الْمُحَالِ، وَعَلَى هَذَا فَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ قَوْلِهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ نُورًا**» وَبَيْنَ قَوْلِهِ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» فَإِنَّ الْمَنْفِيَّ مُكَافَحَةُ الرُّؤْيَةِ لِلذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَالْمُثْبَتَ رُؤْيَةُ مَا ظَهَرَ مِنْ نُورِ الذَّاتِ، يُوَضِّحُهُ:

قال رحمه الله:

والرَّبَّ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمَّا تَجَلَّى لِلْجَبَلِ وَظَهَرَ لَهُ أَمْرٌ مَا مِنْ نُورِ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ صَارَ الْجَبَلُ دَكًّا، فَرَوَى حُمَيْدٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أَشَارَ أَنَسٌ بِطَرَفِ إِصْبَعِهِ عَلَى طَرَفِ خِنْصَرِهِ، وَكَذَلِكَ أَشَارَ ثَابِتٌ، فَقَالَ لَهُ حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ: مَا تُرِيدُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ فَرَفَعَ ثَابِتٌ يَدَهُ فَضَرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ، يُحَدِّثُنِي أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقُولُ أَنْتَ: مَا تُرِيدُ بِهَذَا؟»[1]

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي أَصَارَ الْجَبَلَ إِلَى هَذَا الْحَالِ ظُهُورُ هَذَا الْقَدْرِ مِنْ نُورِ الذَّاتِ لَهُ بِلَا وَاسِطَةٍ.

قال رحمه الله:

وثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» الْحَدِيثَ.. وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ كَوْنَهُ نُورَ

= (١/ ١٣٧)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٧٤) من طريق حماد بن سلمة، عن الزبير أبي عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله بن مكرز، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لجَهَالَةِ الزُّبَيرِ أبي عَبدِ السَّلَام، وهو ابن جُوَاتَشِير، وَأَيُّوبُ بنُ عَبدِ الله مجهُولُ الحَالِ أَيْضًا.

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٢٢٦٠) بإسناد صحيح على شرط مسلم.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُغَايِرٌ لِكَوْنِهِ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِصْلَاحَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْأَنْوَارِ وَهِدَايَتَهُ لِمَنْ فِيهِمَا هِيَ رُبُوبِيَّتُهُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى كَوْنِهِ نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَمْرٌ وَرَاءَ رُبُوبِيَّتِهَا، يُوَضِّحُهُ:

أَنَّ الْحَدِيثَ تَضَمَّنَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ شَامِلَةٍ عَامَّةٍ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ: رُبُوبِيَّتُهَا وَقَيُّومِيَّتُهَا وَنُورُهُمَا، فَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ رَبًّا لَهُمَا وَقَيُّومًا لَهُمَا وَنُورًا لَهُمَا أَوْصَافٌ لَهُ، فَآثَارُ رُبُوبِيَّتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ وَنُورِهِ قَائِمَةٌ بِهِمَا، وَصِفَةُ الرُّبُوبِيَّةِ وَمُقْتَضَاهَا هُوَ الْمَخْلُوقُ الْمُنْفَصِلُ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ صِفَةَ الرَّحْمَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالرِّضَى وَالْغَضَبِ قَائِمَةٌ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَالرَّحْمَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْعَالَمِ، وَالْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ، وَالنِّعْمَةُ وَالْعُقُوبَةُ آثَارُ تِلْكَ الصِّفَاتِ، وَهِيَ مُنْفَصِلَةٌ عَنْهُ، وَهَكَذَا عِلْمُهُ الْقَائِمُ بِهِ هُوَ صِفَتُهُ.

وَأَمَّا عُلُومُ عِبَادِهِ فَمِنْ آثَارِ عِلْمِهِ، وَقُدْرَتُهُمْ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ، فَالْتَبَسَ هَذَا الْمَوْضِعُ عَلَى مُنْكِرِي نُورِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَبَّسُوا مِنْ جِرْمِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّارِ، فَلَا بُدَّ مِنْ حَمْلِ قَوْلِهِ: ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور:٣٥] عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ مُنَوِّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهَادٍ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَحِينَئِذٍ فَنَقُولُ:

أَسَأْتُمُ الظَّنَّ بِكَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ حَيْثُ فَهِمْتُمْ أَنَّ حَقِيقَةَ مَدْلُولِهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ هَذَا النُّورُ الْوَاقِعُ عَلَى الْحِيطَانِ وَالْجُدْرَانِ، وَهَذَا الْفَهْمُ الْفَاسِدُ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ لَكُمْ إِنْكَارَ حَقِيقَةِ نُورِهِ وَجَحْدَهُ، وَجَمَعْتُمْ بَيْنَ الْفَهْمِ الْفَاسِدِ، وَإِنْكَارِ الْمَعْنَى الْحَقِّ، وَلَيْسَ مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ النُّورِ هُوَ نُورُ الرَّبِّ الْقَائِمِ بِهِ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَنْوَارَ الْمَخْلُوقَةَ، إِنَّمَا تَكُونُ فِي مَحَلٍّ دُونَ مَحَلٍّ، فَالنُّورُ الْفَائِضُ عَنِ النَّارِ أَوِ الشَّمْسِ أَوِ الْقَمَرِ، إِنَّمَا هُوَ نُورٌ لِبَعْضِ الْأَرْضِ دُونَ بَعْضٍ، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ نُورَ الشَّمْسِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنْ نُورِ الْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَالنَّارِ، لَيْسَ هُوَ نُورُ جَمِيعِ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، فَمَنِ ادَّعَى أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّ نُورَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ هُوَ هَذَا النُّورُ الْفَائِضُ؛ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَلَوْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ: (اللهُ هُوَ النُّورُ الَّذِي تُعَايِنُونَهُ وَتَرَوْنَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؛ لَكَانَ لِفَهْمِ هَؤُلَاءِ وَتَحْرِيفِهِمْ مُسْتَنَدًا مَا.

أَمَّا وَلَفْظُ النَّصِّ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] فَمِنْ أَيْنَ يَدُلُّ هَذَا بِوَجْهٍ مَا أَنَّهُ النُّورُ الْفَائِضُ عَنْ جِرْمِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّارِ، فَإِخْرَاجُ نُورِ الرَّبِّ تَعَالَى عَنْ حَقِيقَتِهِ، وَحَمْلُ لَفْظِهِ عَلَى مَجَازِهِ، إِنَّمَا اسْتَنَدَ إِلَى هَذَا الْفَهْمِ الْبَاطِلِ الَّذِي لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ بِوَجْهٍ.

ورَسُولُ الله ﷺ فَسَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: «**أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»، وَلَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ أَنَّهُ هُوَ النُّورُ الْمُنْبَسِطُ عَلَى الْحِيطَانِ وَالْجُدْرَانِ، وَلَا فَهِمَهُ الصَّحَابَةُ عَنْهُ بَلْ عَلِمُوا أَنَّ لِنُورِ الرَّبِّ تَعَالَى شَأْنًا آخَرَ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثَالٌ، قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ: لَيْسَ عِنْدَ رَبِّكُمْ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ، نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ[1].

فَهَلْ أَرَادَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ هَذَا النُّورَ الَّذِي عَلَى الْحِيطَانِ وَوَجْهِ الْأَرْضِ هُوَ عَيْنُ نُورِ الْوَجْهِ الْكَرِيمِ، أَوْ فَهِمَ هَذَا عَنْهُمْ ذُو فَهْمٍ مُسْتَقِيمٍ؟!

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الدارمي في ''النقض على المريسي'' (ص٤٧٥، و٧٤١)، وأبو داود في ''الزهد'' (١٥٨)، والطبراني في ''الكبير'' (٨٨٨٦)، وأبو الشيخ في ''العظمة'' (١١١)، وأبو نعيم في ''الحلية'' (١/ ١٣٧)، والبيهقي في ''الأسماء والصفات'' (٦٧٤) من طريق حماد بن سلمة، عن الزبير أبي عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله بن مكرز، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لجَهَالَةِ الزُّبَيرِ أبي عَبدِ السَّلَام، وهو ابن جُوَاتَشِير، وَأَيُّوبُ بنُ عَبدِ الله مَجهُولُ الحَالِ أَيْضًا.

فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَأَقْوَالُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم مُتَطَابِقَةٌ يُوَافِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتُصَرِّحُ بِالْفَرْقِ الَّذِي بَيْنَ النُّورِ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ، وَالنُّورِ الَّذِي هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ صِفَتُهُ، وَالرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَلَكِنْ لَمَّا وُجِدَتْ فِي رَحْمَتِهِ سُمِّيَتْ بِرَحْمَتِهِ، وَكَمَا أَنَّهُ لَا يُمَاثَلُ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ، فَكَذَلِكَ نُورُهُ سُبْحَانَهُ، فَأَيُّ نُورٍ مِنَ الْأَنْوَارِ الْمَخْلُوقَةِ؛ إِذَا ظَهَرَ لِلْعَالَمِ وَوَاجَهُهُ أَحْرَقَهُ؟

وَأَيُّ نُورٍ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُ لِلْجِبَالِ الشَّامِخَةِ قَدْرًا مَا جَعَلَهَا دَكًّا، وَإِذَا كَانَتْ أَنْوَارُ الْحُجُبِ لَوْ دَنَا جِبْرَائِيلُ مِنْ أَدْنَاهَا لَاحْتَرَقَ، فَمَا الظَّنُّ بِنُورِ الذَّاتِ.

وقال الله تَعَالَى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] فَأَخْبَرَ أَنَّ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُشْرِقُ بِنُورِهِ، وَهُوَ نُورُهُ الَّذِي هُوَ نُورُهُ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَأْتِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَيَنْصِبُ كُرْسِيَّهُ بِالْأَرْضِ، فَإِذَا جَاءَ اللهُ تَعَالَى؛ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُشْرِقَ بِنُورِهِ، وَعِنْدَ الْمُعَطِّلَةِ: لَا يَأْتِي وَلَا يَجِيءُ، وَلَا لَهُ نُورٌ تُشْرِقُ بِهِ الْأَرْضُ.

وروى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ فَإِذَا الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ وَقَدْ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] قَالَ: ثُمَّ يَتَوَارَى عَنْهُمْ وَتَبْقَى رَحْمَتُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ**»[1]، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ، فَهَذَا نُورٌ مُشَاهَدٌ قَدْ سَطَعَ لَهُمْ حَتَّى حَرَّكَهُمْ وَاسْتَفَزَّهُمْ إِلَى رَفْعِ رُءُوسِهِمْ إِلَى فَوْقَ.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (١٨٤)، ولم أجده عند الحاكم، وأخرجه البزار كما في "كشف الأستار" (٢٢٥٣)، والعقيلي في "الضعفاء" (٢/ ٢٧٤)، والدارقطني في الرؤية (٥١)، وابن عدي في "الكامل" (٧/ ١٢٠)، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" (٨٣٦)، والبيهقي في "البعث والنشور"=

قال رحمه الله:

والنَّصّ قَدْ وَرَدَ بِتَسْمِيَةِ الرَّبِّ نُورًا، وَبِأَنَّ لَهُ نُورًا مُضَافًا إِلَيْهِ، وَبِأَنَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَبِأَنَّ حِجَابَهُ نُورٌ، هَذِهِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

فَالْأَوَّلُ يُقَالُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالْإِطْلَاقِ، فَإِنَّهُ النُّورُ الْهَادِي، وَالثَّانِي يُضَافُ إِلَيْهِ كَمَا يُضَافُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَعِزَّتُهُ وَقُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ، وَتَارَةً يُضَافُ إِلَى وَجْهِهِ، وَتَارَةً يُضَافُ إِلَى ذَاتِهِ، فَالْأَوَّلُ إِضَافَتُهُ كَقَوْلِهِ: «**أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ**»[1] وَقَوْلِهِ: «**نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ**»، وَالثَّانِي إِضَافَتُهُ إِلَى ذَاتِهِ كَقَوْلِهِ ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]. وَقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ذَلِكَ نُورُهُ الَّذِي إِذَا تَجَلَّى بِهِ[2]،

= (٤٤٨)، وأبو نعيم في "الحلية" (٦/ ٢٠٨) من طريق أبي عَاصِمٍ الْعَبَّادَانِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ الرَّقَاشِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بنِ عَبدِ الله بِهِ.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ أبو عاصم العباداني ضعيف، والفضل بن عيسي الرقاشي أشد ضعفًا.

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٣/ ٧٣)، وفي "الدعاء" (١٠٣٦) من حديث عبد الله بن جعفر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهو ضمن دعاء طويل، دعا به النبي ﷺ يوم أصابه الكرب في دعوته في الطائف، وهو بطوله: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**». وإسناده ضعيف؛ في إسناده عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس، ولم يصرح بالسماع.

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم (٤٣٧)، والنسائي (١١٥٣٧)، وابن خزيمة (٢٧٣) و (٢٧٤)، والطبراني (١١٦١٩) من طرق عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾؟ قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره. قال: وقال: رأى محمد ربه تبارك وتعالى مرتين.

وهذا إسناد حسن، لأن الحكم بن أبان حسن الحديث.

وَقَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ**» الْحَدِيثَ(١).

الثَّالِثُ: وَهُوَ إِضَافَةُ نُورِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَقَوْلِهِ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] وَالرَّابِعُ: كَقَوْلِهِ: «**حِجَابُهُ النُّورُ**».

فَهَذَا النُّورُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ يَجِيءُ عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ الْأَرْبَعَةِ، وَالنُّورُ الَّذِي احْتَجَبَ بِهِ سُمِّيَ نُورًا وَنَارًا، كَمَا وَقَعَ التَّرَدُّدُ فِي لَفْظِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ قَوْلُهُ: «**حِجَابُهُ النُّورُ أَوِ النَّارُ**»، فَإِنَّ هَذِهِ النَّارَ هِيَ نُورٌ، وَهِيَ الَّتِي كَلَّمَ اللهُ كَلِيمَهُ مُوسَى فِيهَا، وَهِيَ نَارٌ صَافِيَةٌ لَهَا إِشْرَاقٌ بِلَا إِحْرَاقٍ.

فَالْأَقْسَامُ ثَلَاثَةٌ: إِشْرَاقٌ بِلَا إِحْرَاقٍ كَنُورِ الْقَمَرِ، وَإِحْرَاقٌ بِلَا إِشْرَاقٍ وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ فَإِنَّهَا سَوْدَاءُ مُحْرِقَةٌ لَا تُضِيءُ، وَإِشْرَاقٌ بِإِحْرَاقٍ وَهِيَ هَذِهِ النَّارُ الْمُضِيئَةُ، وَكَذَلِكَ نُورُ الشَّمْسِ لَهُ الْإِشْرَاقُ وَالْإِحْرَاقُ، فَهَذَا فِي الْأَنْوَارِ الْمَشْهُودَةِ الْمَخْلُوقَةِ، وَحِجَابُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نُورٌ وَهُوَ نَارٌ.

وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ كُلُّهَا حَقِيقَةٌ بِحَسَبِ مَرَاتِبِهَا، فَنُورُ وَجْهِهِ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازٌ، وَإِذَا كَانَ نُورُ مَخْلُوقَاتِهِ، كَالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالنَّارِ حَقِيقَةً؛ فَكَيْفَ يَكُونُ نُورُهُ الَّذِي نِسْبَةُ

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦٦٤٤)، والحاكم (١/ ٣٠) بإسناد صحيح.

أخرج الترمذي (٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم (٤٣٧)، والنسائي (١١٥٣٧)، وابن خزيمة (٢٧٣) و (٢٧٤)، والطبراني (١١٦١٩) من طرق عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾؟ قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره. قال: وقال: رأى محمد ربه تبارك وتعالى مرتين. وفيه الحكم بن أبان، قال الحافظ في "التقريب": صدوق، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

الْأَنْوَارِ الْمَخْلُوقَةِ إِلَيْهِ أَقَلُّ مِنْ نِسْبَةِ سِرَاجٍ ضَعِيفٍ إِلَى قُرْصِ الشَّمْسِ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا النُّورُ حَقِيقَةً.اهـ بتصرف واختصار

٧٢) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ. وَلاَ يَزَالُ فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة القدمين لله عز وجل.

دل حديث الباب على إثبات صفة القدم لله عز وجل، كما تليق بجلاله، نثبت ذلك من غير تمثيل، وننزه الله عن المماثلة بخلقه، من غير تعطيل. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بإسناد صحيح، أنه قال في الكرسي: إنه موضع القدمين. أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة، وغيره.

تحريف المبتدعة لصفة القدم والرد عليهم.

قال الإمام وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مختصر الفتاوى المصرية (ص٦٤٧):

وَقد غلط فِي هَذَا الحَدِيث المعطلة الَّذين أولُوا قَوْله (قدَمه) بِنَوْع من الْخلق، كَمَا قَالُوا: الَّذين تقدم فِي علمه أَنهم أهل النَّار. حَتَّى قَالُوا فِي قَوْله (رجله): يُقَال رجل من جَراد. وغلطهم من وُجُوه:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأول: أن النَّبِي ﷺ قَالَ: «**حَتَّى يضع**» وَلم: حَتَّى يلقي. كَمَا قَالَ فِي قَوْله «**لَا يزَال يلقى فِيهَا**».

الثَّانِي: أَن قَوْله (قدَمه) لَا يفهم مِنْهُ هَذَا لَا حَقِيقَة، وَلَا مجَازًا كَمَا تدل عَلَيْهِ الْإِضَافَة.

الثَّالِث: أَن أُولَئِكَ المؤخرين إِن كَانُوا من أصاغر الْمُعَذَّبين؛ فَلَا وَجه لانزوائها واكتفائها بهم؛ فَإِن ذَلِك إِنَّمَا يكون بِأَمْر عَظِيم، وَإِن كَانَ من أكَابِر الْمُجْرمين فهم فِي الدَّرك الْأَسْفَل، وَفِي أول الْمُعَذَّبين لَا فِي أواخرهم.

الرَّابِع: أَن قَوْله «**فينزوي بَعْضهَا إِلَى بعض**» دَلِيل على أَنها تنضم على من فِيهَا فتضيق بهم من غير أَن يلقى فِيهَا شَيْء.

الْخَامِس: أَن قَوْله: «**لَا يزَال يلقى فِيهَا، وَتقول: هَل من مزِيد حَتَّى يضع فِيهَا قدمه**» جعل الْوَضع الْغَايَة الَّتِي إِلَيْهَا يَنْتَهِي الْإِلْقَاء، وَيكون عِنْدهَا الانزواء؛ فَيَقْتَضِي ذَلِك أَن تكون الْغَايَة أعظم مِمَّا قبلهَا.

وَلَيْسَ فِي قَول المعطلة معنى للفظ (قدمه)، إِلَّا وَقد اشْترك فِيهِ الأول وَالْآخر، وَالْأول أَحَق بِهِ من الآخر.

وَقد يغلط فِي الحَدِيث قوم آخَرُونَ ممثلة أَو غَيرهم؛ فيتوهمون أَن قدم الرب تدخل جَهَنَّم، وَقد توهم ذَلِك على أهل الْإِثْبَات قوم من المعطلة، حَتَّى قَالُوا: كَيفَ يدْخل بعض الرب النَّار، والله تَعَالَى يَقُول: ﴿لَو كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَة مَا وردوها﴾.

وَهَذَا جهل مِمَّن توهمه، أَو نَقله عَن أهل السّنة والْحَدِيث؛ فَإِن الحَدِيث: «**حَتَّى يضع رب الْعِزَّة عَلَيْهَا ـ وَفِي رِوَايَة: فيها ـ فينزوي بَعْضهَا إِلَى بعض، وَتقول: قطّ قطّ وَعزَّتك**».

فَدلَّ ذَلِك على أَنَّهَا تضايقت على من كَانَ فِيهَا؛ فامتلأت بهم كَمَا أقسم على نَفسه أَنه ليملأنها من الْجنَّة وَالنَّاس أَجْمَعِينَ؛ فَكيف تمتلىء بِشَيْء غير ذَلِك من خَالق أَو مَخْلُوق، وَإِنَّمَا الْمَعْنى أَنه تُوضَع الْقدَم الْمُضَاف إِلَى الرب تَعَالَى، فتنزوي وتضيق بِمن فِيهَا، وَالْوَاحد من الْخلق قد يرْكض متحركا من الْأَجْسَام فيسكن، أَو سَاكِنا فيتحرك ويركض جبلا؛ فينفجر مِنْهُ مَاء كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿اركض برجلك هَذَا مغتسل بَارِد وشراب﴾ وَقد يضع يَده على الْمَرِيض فيبرأ، وعَلى الغضبان فيرضى.اهـ

قوله: وَلا يَزَالُ فِي الجَنَّة فَضْلٌ حَتى يُنْشِئَ اللَّهُ لهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الجَنَّة:

هذا من فضل الله على عباده، ورحمته بهم وإحسانه حيث يتفضل على أناس؛ فيسكنهم فضل الجنة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح (ص٣٩٤):

وأما اللفظ الذي وقع في "صحيح البخاري" في حديث أبي هريرة: «**وأنه ينشئ للنار من يشاء، فيلقى فيها، فتقول هل من مزيد**» فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه. والروايات الصحيحة، ونص القرآن يرده؛ فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه؛ فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته، وكذب رسله.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ولا يظلم الله أحدا من خلقه.اهـ

٧٣) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة العينين لله عز وجل.

دل حديث الباب على إثبات صفة العينين لله عز وجل، وهما عينان حقيقيتان، تليقان بجلال الله وعظمته، لا تماثل صفات المخلوقين، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧] . وقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]. وقوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] .

قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد (١/٩٧):

فَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُثْبِتَ لِخَالِقِهِ وَبَارِئِهِ مَا ثَبَّتَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ لِنَفْسِهِ، مِنَ الْعَيْنِ، وَغَيْرُ مُؤْمِنٍ مَنْ يَنْفِي عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا قَدْ ثَبَّتَهُ اللهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، بِبَيَانِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ مُبَيِّنًا عَنْهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم﴾ [النحل: ٤٤]، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ للهَّ عَيْنَيْنِ، فَكَانَ بَيَانُهُ مُوَافِقًا لِبَيَانِ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، الَّذِي هُوَ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، مَقْرُوءٌ فِي الْمَحَارِيبِ وَالْكَتَاتِيبِ.اهـ

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على المريسي (ص٣٢٧):

فَفِي تَأْوِيل رَسُولِ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» بَيَانٌ أَنَّهُ بَصِيرٌ، ذُو عَيْنَيْنِ خلاف الْأَعْوَر.اهـ

ثم قال رحمه الله (ص٣٠٥):

وَالْعَوَرُ عِنْدَ النَّاسِ ضِدُّ الْبَصَرِ، وَالْأَعْوَرُ عِنْدَهُمْ ضِدُّ الْبَصِيرِ بِالْعَيْنَيْنِ.اهـ

وبوَّب الَّلالَكَائي في أصول الاعتقاد (٣/٤٥٧) بقوله:

سياق ما دل من كتاب الله عَزَّ وجلَّ وسنة رسوله ﷺ على أن صفات الله عَزَّ وجلَّ الوجه والعينين واليدين.اهـ

قال الإمام العثيمين رحمه الله كَمَا فِي مجموع فتاواه (١/١٤٩):

ووجه الاستدلال به ظاهر جدًّا؛ فإنَّ النبي ﷺ أراد أن يبين لأمته شيئا مما ينتفي به الاشتباه عليهم في شأن الدجال في أمر محسوس، يتبين لذوي التفكير العالمين بالطرق العقلية وغيرهم، بذكر أن الدجال أعور العين، والرب سبحانه ليس بأعور، ولو كان لله تعالى أكثر من عينين؛ لكان البيان به أولى لظهوره، وزيادة الثناء به على الله تعالى، فإن العين صفة كمال؛ فلو كان لله أكثر من اثنتين؛ كان الثناء بذلك على الله أبلغ.

وتقرير ذلك أن يقال: ما زاد على العينين؛ فإما أن يكون كمالا في حق الله تعالى أو نقصا، فإن كان نقصا؛ فهو ممتنع على الله تعالى؛ لامتناع صفات النقص في حقه، وإن

كان كمالا فكيف يهمله النبي ﷺ مع كونه أبلغ في الثناء على الله تعالى!! فلما لم يذكره النبي ﷺ، علم أنه ليس بثابت لله عز وجل، وهذا هو المطلوب.

فإن قيل: ترك ذكره من أجل بيان نقص الدجال بكونه أعور.

قلنا: يمكن أن يذكر مع بيان نقص الدجال؛ فيجمع بين الأمرين حتى لا يفوت ذكر كمال صفة الله عز وجل.

واعلم أن النبي ﷺ ذكر هذه العلامة الحسية؛ ليبين نقص الدجال، وأنه ليس بصالح لأن يكون ربًّا، ولظهورها لجميع الناس؛ لكونها علامة حسية بخلاف العلامات العقلية، فإنها قد تحتاج إلى مقدمات تخفى على كثير من الناس، لا سيما عند قوة الفتنة، واشتداد المحنة، كَمَا فِي هذه الفتنة فتنة الدجال، وكان هذا من حسن تعليمه ﷺ، حيث يعدل في بيانه إلى ما هو أظهر وأجلى مع وجود علامات أخرى.

وقد ذكر ابن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد (ص٣١) حديثا ساقه في ضمن الأدلة على أن النبي ﷺ بيَّن أن لله تعالى عينين، فساقه بسنده إلى أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾. إلى قوله: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. فيضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه. ويقول: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع أصبعيه.

وقد سبقت رواية الدارمي له بلفظ التثنية، وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٧٣) أن البيهقي ذكر له شاهدا من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: على المنبر: «**إن ربنا سميع بصير، وأشار إلى عينيه**» وسنده حسن.

وقد ذكر صاحب "مختصر الصواعق" (ص ٣٥٩)، قبيل المثال السادس حديثا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**إن العبد إذا قام إلى الصلاة؛ فإنه بين عيني الرحمن**» الحديث. لكنه لم يعزه؛ فلينظر في صحته.

وبهذا تبين وجوب اعتقاد أن لله تعالى عينين، لأنه مقتضى النص، وهو المنقول عن أهل السنة والحديث.اهـ

قال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري في كتابه الذي رجع فيه إلى مذهب أهل السنة والجماعة "الإبانة عن أصول الديانة" (ص٢٠):

قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روي عن السادة الصحابة، والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم.

ثم قال رحمه الله:

وأن له سبحانه وجها بلا كيف، كما قال: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

وأن له سبحانه يدين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿خلقت بيدي﴾، وكما قال: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾.

وأن له سبحانه عينين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿تجري بأعيننا﴾ من الآية.

وأن من زعم أن أسماءَ الله غيرُه كان ضالًّا.اهـ

جاء في بعض الأدلة ذكر العين بالإفراد وفي بعضها ذكرها بالجمع.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٣٧):

ذِكْرُ الْعَيْنِ الْمُفْرَدَةِ مُضَافَةٌ إِلَى الضَّمِيرِ الْمُفْرَدِ، وَالْأَعْيُنِ مَجْمُوعَةٌ مُضَافٌ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ، وَذِكْرُ الْعَيْنِ مُفْرَدَةً لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ لَيْسَ إِلَّا كَقَوْلِكَ: أَفْعَلُ هَذَا عَلَى عَيْنِي، وَأُحِبُّكَ عَلَى عَيْنِي، وَلَا يُرِيدُ أَنَّ لَهُ عَيْنًا وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا إِذَا أُضِيفَتِ الْعَيْنُ إِلَى اسْمِ الْجَمْعِ ظَاهِرًا وَمُضْمَرًا، فَالْأَحْسَنُ جَمْعُهُ مُشَاكَلَةً لِلَّفْظِ، كَقَوْلِهِ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وَقَوْلِهِ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وَهَذَا نَظِيرُ الْمُشَاكَلَةِ فِي لَفْظِ الْيَدِ الْمُضَافَةِ إِلَى الْمُفْرَدِ: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] وَإِنْ أُضِيفَتْ إِلَى ضَمِيرِ جَمْعٍ جُمِعَتْ: كَقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١].

وَكَذَلِكَ إِضَافَةُ الْيَدِ وَالْعَيْنِ إِلَى اسْمِ الْجَمْعِ الظَّاهِرِ كَقَوْلِهِ: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] وَقَوْلِهِ: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١] .

وَقَدْ نَطَقَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِذِكْرِ الْيَدِ مُضَافَةً إِلَيْهِ بِلَفْظٍ مُفْرَدَةٍ، مَجْمُوعَةً وَمُثَنَّاةً، وَبِلَفْظِ الْعَيْنِ مُضَافَةً إِلَيْهِ مُفْرِدَةً وَمَجْمُوعَةً، وَنَطَقَتِ السُّنَّةُ بِإِضَافَتِهَا إِلَيْهِ مُثَنَّاةً كَمَا قَالَ عَطَاءٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ قَامَ بَيْنَ عَيْنَيِ الرَّحْمَنِ، فَإِذَا الْتَفَتَ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: إِلَى مَنْ تَلْتَفِتُ، إِلَى خَيْرٍ لَكَ مِنِّي**»[١]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ

---

(١) **ضعيف جدًا**: أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٢٨)، والبزار (٩٣٣٢) من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي، عن عطاء، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

=

رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» صَرِيحٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ إِثْبَاتُ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَوَرٌ ظَاهِرٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ، وَهَلْ يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِ الدَّاعِي: (اللَّهُمَّ احْرُسْنَا بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ) أَنَّهَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ لَيْسَ إِلَّا؛ إِلَّا ذِهْنٌ أَقْلَفُ وَقَلْبٌ أَغْلَفُ.

قَالَ ابْنُ تَمِيمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ: قِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: هَذَا السَّبُعُ، فَنَادَى يَا قَسْوَرَةُ إِنْ كُنْتَ أُمِرْتَ فِينَا بِشَيْءٍ وَإِلَّا بِعَيْنِي فَاذْهَبْ، فَضَرَبَ بِذَنَبِهِ وَوَلَّى مُدْبِرًا، فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ احْرُسْنَا بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاكْنُفْنَا بِكَنَفِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَارْحَمْنَا بِقُدْرَتِكَ عَلَيْنَا، لَا نَهْلِكُ وَأَنْتَ الرَّجَاءُ.
وَقَالَ عُثْمَانُ الدَّارِمِيُّ: الْأَعْوَرُ ضِدُّ الْبَصِيرِ بِالْعَيْنَيْنِ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ السَّلَفُ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَيْنَيْنِ لَهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وَمِمَّنْ صَرَّحَ بِذَلِكَ إِثْبَاتًا، وَاسْتِدْلَالًا أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ فِي كُتُبِهِ كُلِّهَا، فَقَالَ فِي كِتَابِ الْمَقَالَاتِ وَ الْإِبَانَةِ، وَ الْمُوجَزِ، وَهَذَا لَفْظُهُ فِيهَا: وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] فَهَذَا الْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرُهُ لَمْ يَفْهَمُوا مِنَ الْأَعْيُنِ أَعْيُنًا كَثِيرَةً، وَلَا مِنَ الْأَيْدِي أَيَادٍ كَثِيرَةً عَلَى شِقٍّ وَاحِدٍ.اهـ.

قال الإمام العثيمين رحمه الله كَمَا فِي مجموع فتاواه (١/ ١٥١):

فإن قيل: ما تصنعون بقوله تعالى: ﴿أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ حيث ذكر الله تعالى العين بلفظ الجمع؟

قلنا: نتلقاها بالقبول والتسليم، ونقول: إن كان أقل الجمع اثنين كما قيل به إما مطلقا أو مع الدليل فلا إشكال؛ لأن الجمع هنا قد دل الدليل على أن المراد به اثنتان

= وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لأن إبراهيم بن يزيد الخوزي متروك.

فيكون المراد به ذلك، وإن كان أقل الجمع ثلاثة؛ فإننا نقول: جمع العين هنا كجمع اليد في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾. يراد به التعظيم والمطابقة بين المضاف والمضاف إليه، وهو (نا) المفيد للتعظيم دون حقيقة العدد، وحينئذ لا يصادم التثنية.

فإن قيل: فما تصنعون بقوله تعالى يخاطب موسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾. حيث جاءت بالإفراد؟

قلنا: لا مصادمة بينها وبين التثنية؛ لأن المفرد المضاف لا يمنع التعدد فيما كان متعددا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾. وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾. فإن النعمة اسم مفرد، ومع ذلك فأفرادها لا تحصى.

وبهذا تبين ائتلاف النصوص واتفاقها وتلاؤمها، وأنها ـ ولله الحمد ـ كلها حق، وجاءت بالحق، لكنها تحتاج في بعض الأحيان إلى تأمل وتفكير، بقصد حسن، وأداة تامة، بحيث يكون عند العبد صدق نية بطلب الحق، واستعداد تام لقبوله، وعلم بمدلولات الألفاظ، ومصادر الشرع وموارده، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. فحث على تدبر القرآن الكريم، وأشار إلى أنه بتدبره يزول عن العبد ما يجد في قلبه من الشبهات، حتى يتبين له أن القرآن حق، يصدق بعضه بعضا. والله المستعان.اهـ

تحريف المبتدعة لصفة العينين والرد عليهم.

قال الإمام العثيمين رحمه الله كَمَا فِي شرح الواسطية، كَمَا فِي مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٨/ ٢٧٠):

وقد فسر أهل التحريف والتعطيل العين بالرؤية بدون عين، وقالوا: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: برؤية منا، ولكن لا عين، والعين لا يمكن أن تثبت لله عز وجل أبدًا؛ لأن العين جزء من الجسم، فإذا أثبتنا العين لله أثبتنا تجزئة وجسمًا، وهذا شيء ممتنع، فلا يجوز، ولكنه ذكر العين من باب تأكيد الرؤية، يعني: كأنما نراك ولنا عين، والأمر ليس كذلك!!

فنقول لهم: هذا القول خطأ من عدة أوجه:

الأول: أنه مخالف لظاهر اللفظ.

الثاني: أنه مخالف لإجماع السلف.

الثالث: أنه لا دليل عليه، أي: أن المراد بالعين مجرد الرؤية.

الرابع: أننا إذا قلنا بأنها الرؤية، وأثبت الله لنفسه عينًا، فلازم ذلك أنه يرى بتلك العين، وحينئذ يكون في الآية دليل على أنها عين حقيقية.اهـ

وقال رحمه الله (٨/٢٦٤):

فإن قيل: إن من السلف من فسر قوله تعالى: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، بقوله: بمرأى منا. فسره بذلك أئمة سلفيون معروفون، وأنتم تقولون: إن التحريف محرم وممتنع، فما الجواب؟

فالجواب: أنهم فسروها باللازم، مع إثبات الأصل، وهي العين، وأهل التحريف يقولون: بمرأى منا، بدون إثبات العين، وأهل السنة والجماعة يقولون: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأى منا، ومع إثبات العين.

لكن ذكر العين هنا أشد توكيدًا وعناية من ذكر مجرد الرؤية، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

قالت المعطلة: أجلبتم علينا بالخيل والرَّجِل في إنكاركم علينا التأويل، وأنتم أولتم؛ فأخرجتم الآية عن ظاهرها، فالله يقول: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، فخذوا بالظاهر، وإذا أخذتم بالظاهر كفرتم، وإذا لم تأخذوا بالظاهر تناقضتم، فمرة تقولون: يجوز التأويل، ومرة تقولون: لا يجوز التأويل، وتسمونه تحريفًا، وهل هذا إلا تحكم بدين الله؟!.

قلنا: نأخذ بالظاهر، وعلى العين والرأس، وهو طريقتنا، ولا نخالفه.

قالوا: الظاهر من الآية أن محمدا ﷺ بعين الله، وسط العين، كما تقول: زيد بالبيت، زيد بالمسجد، فالباء للظرفية، فيكون زيد داخل البيت، وداخل المسجد، فيكون قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، أي: داخل أعيننا، وإذا قلتم بهذا كفرتم؛ لأنكم جعلتم الله محلًا للخلائق، فأنتم حلولية، وإن لم تقولوا به تناقضتم؟

فقلنا لهم: معاذ الله، ثم معاذ الله، ثم معاذ الله أن يكون ما ذكرتموه ظاهر القرآن، وأنتم إن اعتقدتم أن هذا ظاهر القرآن كفرتم؛ لأن من اعتقد أن ظاهر القرآن كفر وضلال؛ فهو كافر ضال.

فأنتم توبوا إلى الله من قولكم: إن هذا هو ظاهر اللفظ، واسألوا جميع أهل اللغة من الشعراء والخطباء: هل يقصدون بمثل هذه العبارة أن الإنسان المنظور إليه بالعين حال في جفن العين؟ اسألوا من شئتم من أهل اللغة أحياء وأمواتًا!

فأنت إذا رأيت أساليب اللغة العربية، عرفت أن هذا المعنى الذي ذكروه وألزمونا به لا يرد في اللغة العربية؛ فضلًا عن أن يكون مضافًا إلى الرب عز وجل، فإضافته إلى الرب كفر منكر، وهو منكر لغة وشرعًا وعقلًا.

فإن قيل: بماذا تفسرون الباء في قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾؟

قلنا: نفسرها بالمصاحبة، إذا قلت: أنت بعيني، يعني: أن عيني تصحبك وتنظر إليك، لا تنفك عنك، فالمعنى: أن الله عز وجل يقول لنبيه: اصبر لحكم الله، فإنك محوط بعنايتنا وبرؤيتنا لك بالعين حتى لا ينالك أحد بسوء.

ولا يمكن أن تكون الباء هنا للظرفية؛ لأنه يقتضي أن يكون رسول الله ﷺ في عين الله، وهذا محال.

وأيضًا فإن رسول الله ﷺ خوطب بذلك، وهو في الأرض، فإذا قلتم: إنه كان في عين الله كانت دلالة القرآن كذبًا.

وهذا وجه آخر في بطلان دعوى أن ظاهر القرآن أن الرسول ﷺ في عين الله تعالى.اهـ

وقال رحمه الله في القواعد المثلى (ص٦٦):

قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، وقوله لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

والجواب: أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام، وحقيقته هنا؟.

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله، أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يُرَبَّى فوق عين الله تعالى؟.

أو يقال: إن ظاهره أن السفينة تجري، وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها.

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.

ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني. أن المعني: أنه يسير داخل عينه. ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني. أن تخرجه كان وهو راكب على عينه. ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله، وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى، لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه، لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني: أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها.

وهذا معنى قول بعض السلف: (بمرأى منى)، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.اهـ

---

٧٤) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**». وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَمِينُ الله مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الـمَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى القَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٧٥) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[٢].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديثين

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤)، ومسلم برقم (٩٩٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧).

إثبات صفة اليدين لله عز وجل.

دلت أحاديث الباب على إثبات صفة اليدين لله عز وجل، كما يليق بجلاله، لا تماثل صفات المخلوقين، ولا نعلم كيفيتهما، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

وقد كثرت الأدلة على إثبات صفة اليدين لله عز وجل، كثرة عظيمة، ومن ذلك أيضًا قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] . وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] .

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله في كتابه التوحيد (١/ ١١٨):

بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ الْيَدِ لِلْخَالِقِ الْبَارِئِ جَلَّ وَعَلَا وَالْبَيَانُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَهُ يَدَانِ، كَمَا أَعْلَمَنَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدَيْهِ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا تَكْذِيبًا لِلْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة: ٦٤] ، فَكَذَّبَهُمْ فِي مَقَالَتِهِمْ، وَقَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وأَعْلَمَنَا أَنَّ الْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، وَ ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ، وَقَالَ: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٨٣] وَقَالَ: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١].اهـ

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٣٤):

وَللهَّ يدان كَمَا قَالَ: ﴿لما خلقت بيَدي﴾ وَقَالَ: ﴿بل يَدَاهُ مبسوطتان﴾ وَفِي الحَدِيث: «وَخلق آدم بيدَيْهِ». وَقَالَ ﷺ: «وكلتا يَدَيْهِ يَمِين». وَالصِّفَات الَّتِي وَردت بهَا الْأَخْبَار مثل الْكَفّ، والقدم، والأصبع، فَإِنَّهُ يجب إِطْلَاق القَوْل بهَا عَلَى مَا ورد بهَا الْخَبَر من غير أَن يصور ذَلِكَ فِي الفِكر، أَو تخيل، أَو توهم.اهـ

وقال الإمام ابن بطة في كتابه الإبانة الكبرى (٣١٣/٧):

باب الإيمان بأن لله عز و جل يدين، وكلتا يديه يمينان ـ ثم ذكر أحاديث ـ ثم قال: فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَمَا ضَاهَاهَا، وَمَا جَاءَ فِي مَعْنَاهَا فِي كَمَالِ الدِّينِ، وَتَمَامِ السُّنَّةِ: الْإِيمَانُ بِهَا، وَالْقَبُولُ لَهَا، وَتَلَقِّيهَا بِتَرْكِ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا، وَاتِّبَاعُ آثَارِ السَّلَفِ فِي رِوَايَتِهَا بِلَا كَيْفٍ وَلَا لِمَ، فَإِنَّ التَّنْقِيبَ وَالْبَحْثَ عَنْ ذَلِكَ يُوقِعُ الشَّكَّ، وَيُزِيلُ الْقَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرِّ الْإِيقَانِ، وَيُزَحْزِحُهُ عَنْ طُمَأْنِينَةِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فُتِنُوا بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَالتَّنْقِيرِ، وَالْفَحْصِ عَنْ مَعَانِي أَحَادِيثَ، فَلَمْ يَزَالُوا بِذَلِكَ، وَعَلَى ذَلِكَ حَتَّى [ص:٣١٤] أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْفِتَنَ وَالْمِحَنَ، فَلَجِجُوا فِي بِحَارِ الشَّكِّ، فَصَارَ بِهِمْ إِلَى رَدِّ السُّنَنِ، وَالتَّكْذِيبِ لِمَا جَاءَ فِي نَصِّ التَّنْزِيلِ، وَمَا صَحَّتْ بِهِ الرِّوَايَةُ عَنِ الرَّسُولِ، وَقَالُوا: لَا نَقْبَلُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَصِفَ اللهَّ إِلَّا بِمَا قَبِلَهُ الْمَعْقُولُ، وَقَالُوا: لَا نَقُولُ: إِنَّ للهَّ يَدَيْنِ؛ لِأَنَّ الْيَدَيْنِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْأَصَابِعِ، وَكَفٍّ وَسَاعِدَيْنِ، وَرَاحَةٍ، وَمَفَاصِلَ، فَفَرُّوا بِزَعْمِهِمْ مِنَ التَّشْبِيهِ، فَفِيهِ وَقَعُوا، وَإِلَيْهِ صَارُوا، وَكُلُّ مَا زَعَمُوا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَتَعَالَى اللهُّ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ لِأَنَّ يَدَا الله بِلَا كَيْفٍ، وَقَدْ أَكْذَبَهُمُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَكْذَبَهُمُ الرَّسُولُ، فَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَصِحَابَتِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَئِمَّةِ الدِّينِ الَّذِينَ جَعَلَ اللهُّ الْكَرِيمُ فِي ذِكْرِهِمْ أُنْسًا لِقُلُوبِ

الْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهُ مَا فِي بَعْضِهِ كِفَايَةٌ وَشِفَاءٌ، وَأَمَّا مَا نَصَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وَقَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَقَالَ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، [ص:٣١٥] ثُمَّ صَدَّقَ ذَلِكَ، وَأَبَانَ مَعْنَاهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى سَحَّاءُ لَا يُغِيضُهَا شَيْءٌ**»(١)، وَمَا قَدْ ذَكَرْتُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَمَا قَبْلَهُ كُلُّهَا تُوَافِقُ مَعْنَى الْكِتَابِ، وَالْكِتَابُ يُصَدِّقُهَا.اهـ

جاء في بعض الأدلة ذكر اليد بالإفراد وفي بعضها ذكرها بالجمع.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٤٠):

لَفْظُ الْيَدِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: مُفْرَدًا وَمُثَنًّى وَمَجْمُوعًا، فَالْمُفْرَدُ كَقَوْلِهِ: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وَالْمُثَنَّى كَقَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وَالْمَجْمُوعُ ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١] فَحَيْثُ ذَكَرَ الْيَدَ مُثَنَّاةً أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى نَفْسِهِ بِضَمِيرِ الْإِفْرَادِ وَعَدَّى الْفِعْلَ بِالْبَاءِ إِلَيْهِمَا فَقَالَ ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وَحَيْثُ ذَكَرَهَا مَجْمُوعَةً أَضَافَ الْعَمَلَ إِلَيْهَا وَلَمْ يُعَدِّ الْفِعْلَ بِالْبَاءِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ فُرُوقٍ فَلَا يَحْتَمِلُ ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] مِنَ الْمَجَازِ مَا يَحْتَمِلُهُ ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١] فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١] مَا يَفْهَمُهُ مِنْ قَوْلِهِ: عَمِلْنَا وَخَلَقْنَا، كَمَا يَفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ مُجَرَّدَ الْفِعْلِ لَمْ يَكُنْ لِذِكْرِ الْيَدِ بَعْدَ نِسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَى الْفَاعِلِ مَعْنًى، فَكَيْفَ وَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا الْبَاءُ؟ فَكَيْفَ إِذَا ثُنِّيَتْ؟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤)، ومسلم برقم (٩٩٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسِرُّ الْفَرْقِ أَنَّ الْفِعْلَ قَدْ يُضَافُ إِلَى يَدِ ذِي الْيَدِ الْمُرَادِ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وَأَمَّا إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهِ الْفِعْلُ ثُمَّ عُدِّيَ بِالْبَاءِ إِلَى يَدِهِ مُفْرَدَةً أَوْ مُثَنَّاةً فَهُوَ مِمَّا بَاشَرَتْهُ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثًا: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**»[1]. فَلَوْ كَانَتِ الْيَدُ هِيَ الْقُدْرَةُ لَمْ يَكُنْ لَهَا اخْتِصَاصٌ بِذَلِكَ وَلَا كَانَتْ لِآدَمَ فَضِيلَةٌ بِذَلِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ بِالْقُدْرَةِ.

---

(١) لفظ الحديث المذكور لم أجده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، لا مرفوعًا ولا موقوفًا، وإنما أخرجه الدارقطني في "الصفات" رقم (٢٨)، وأبو نعيم في "صفة الجنة" (١/ ٤٨) رقم (٢٣)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٢٥) رقم (٦٩٢) من طريق عون بن عبد الله بن الحارث، عن أخيه عبد الله بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه عبد الله بن الحارث بن نوفل، بلفظ: خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ، خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ. قال البيهقي: هذا مرسل.

قلت: وفي إسناده عون بن عبد الله، وهو مجهول.

وقال الدارمي في "النقض على المريسي" (١/ ٢٦١):

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، ثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مِهْرَانَ -وَهُوَ الْمُكْتِبُ- ثَنَا مُجَاهِدٌ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: خَلَقَ اللهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ:- الْعَرْشُ، وَالْقَلَمُ، وَعَدْنٌ، وَآدَمُ ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كن فَكَانَ. إسناده صحيح، رجاله ثقات.

وقال الإمام عبد الله بن أحمد في "السنة" (١١١٨):

حَدَّثَنِي أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، نا أَبُو قُتَيْبَةَ، نا حَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ، وَسَائِرُ ذَلِكَ قَالَ: لَهُ كُنْ فَكَانَ، خَلَقَ الْقَلَمَ بِيَدِهِ، وَآدَمَ بِيَدِهِ، وَالتَّوْرَاةَ كَتَبَهَا بِيَدِهِ، وَجَنَّاتِ عَدْنٍ بِيَدِهِ.

إسناده ضعيف؛ لضعف حسن بن أبي جعفر، وعلي بن زيد بن جدعان. وهو يتقوى بالذي قبله، وله حكم المرفوع، والله أعلم.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ يَأْتُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: «**يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**» وَكَذَلِكَ قَالَ آدَمُ لِمُوسَى فِي مُحَاجَّتِهِ لَهُ: «**اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ الْأَلْوَاحَ بِيَدِهِ**»، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: كَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ وَهُوَ مِنْ أَصَحِّ الْأَحَادِيثِ، وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ «**أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالُوا: يَا رَبِّ خَلَقْتَ بَنِي آدَمَ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَنْكِحُونَ وَيَرْكَبُونَ، فَاجْعَلْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي كَمَنْ قُلْتُ لَهُ كُنْ فَكَانَ**»(1) وَهَذَا التَّخْصِيصُ إِنَّمَا فُهِمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فَلَوْ كَانَ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١] لَكَانَ هُوَ وَالْأَنْعَامُ فِي ذَلِكَ سَوَاءً.

---

(١) **ضعيف منكر**: أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٤٥٨٤)، من طريق إبراهيمُ بن عبد الله بن خالد المِصِّيصي، ثنا حَجَّاج بن محمَّد، ثنا أبو غسَّان محمَّد بن مُطَرِّف، عن صفوان بن سليم، عن عَطاء بن يَسار، عن عبد الله بن عَمرو، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إِنَّ المَلائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فيهَا ويَشْرَبُونَ ويَلْبَسُونَ، ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، ولاَ نَأْكُلُ ولاَ نَشْرَبُ ولاَ نَلْهُو، وكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَاجْعَلْ لَنَا الآخِرَةَ. قال: لاَ أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قلتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ**».

وأخرجه في "الأوسط" (٦/ ١٩٦) (٦١٧٣) من طريق طلحة بن زيد، عن صفوان بن سليم به.

قال الهيثمي في "المجمع" (١/ ٢٥٤): وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي، وهو كذاب متروك، وفي سند الأوسط طلحة بن زيد، وهو كذاب أيضاً.

قلت: وقد روي موقوفًا على عبد الله بن عمرو بن العاص.

أخرجه الدارمي في "الرد على المريسي" (١/ ٢٥٦ –٢٥٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ صَالِحٍ، حَدثنِي اللَّيْث، حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: «**لَقَدْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، مِنَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَمِنَّا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَمِنَّا الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ اللهَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا نسأم وَلَا نفتر، خلقت بَنِي آدَمَ فَجَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَجَعَلْتَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ فَكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ فَقَالَ: لن أفعل، ثمَّ عادو فاجتهدوا الْمَسْأَلَة، فَقَالُوا مثل ذَلِك، فَقَالَ: لن أفعل، ثمَّ عادو فاجتهدوا الْمَسْأَلَة بِمثل ذَلِك، فَقَالَ: لَنْ أَجْعَلَ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قلت لَهُ: كن فَكَانَ؟**». =

= وذكره الذهبي كما في "العلو" (ص ٨٢) عن الدارمي، وقال: إسناده صالح.

قلت: في إسناده عبد الله بن صالح، وهو كاتب الليث، فيه ضعف يسير. وقد خولف هشام بن سعد؛ فقد رواه مَعْمَرٌ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ﴾ [الإسراء: ٧٠] ، قَالَ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيُنَعَّمُونَ ، فَلَمْ تُعْطِنَا ذَلِكَ فَأَعْطِنَا فِي الْآخِرَةِ ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ».

أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (١٥٩٢) عن معمر به.

وهذا أصح، أعني أنه من قول زيد بن أسلم؛ فيكون الوصل وهمًا إما من عبد الله بن صالح، أو من هشام بن سعد.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة" (٢/ ٤٦٩، رقم ١٠٦٥)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٢١ رقم ٦٨٨)، وفي "شعب الإيمان" (١/ ١٧٢ رقم ١٤٩) حدثنا الهيثم بن خارجة، نا عثمان بن علاق، وهو عثمان بن حصن بن علاق، قال: سمعت عروة بن رويم يقول: أخبرني الأنصاري: أن النبي ﷺ قال ... فذكره بنحوه.

والأنصاري هذا لا يُدرى من هو، وعروة بن رويم ليس له سماع من أحد من الصحابة، فهو مرسل.

وقد جاء مصرحا به عند البيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٨٩)، حيث أورده من طريق جنيد بن حكيم، عن هشام بن عمار، عن عبد ربه بن صالح القرشي قال: سمعت عروة بن رويم يحدث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فذكره مرفوعا بنحوه.

إلا أن رواية عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله الأنصاري مرسلة.

ثم أيضًا جنيد بن حكيم فيه ضعف، قال فيه الدارقطني: ليس بالقوي. وقد خالفه أبو زرعة الإمام فرواه عن هشام بن عمار بإسناده... كما رواه الجماعة، وقال فيه عن الأنصاري، بدون تسمية جابر. أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٨٨).

وقد أخرجه ابن عساكر (٥٢/ ١٣٩) وسمى الأنصاري أنسًا، فأخرجه من طريق أبي بكر محمد بن أيوب الداراني حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق، قال سمعت عروة بن رويم اللخمي يقول: حدثني أنس بن=

فَلَمَّا فِهِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] يُوجِبُ لَهُ تَخْصِيصًا وَتَفْضِيلًا بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا بِالْيَدَيْنِ عَلَى مَنْ أُمِرَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ، وَفَهِمَ ذَلِكَ أَهْلُ الْمَوْقِفِ حِينَ جَعَلُوهُ مِنْ خَصَائِصِهِ، كَانَتِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١] خَطَأً مَحْضًا.اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٣٨):

بعد كلامه على إفراد العين، وتثنيتها، وجمعها:

قال: وَهَذَا نَظِيرُ الْمُشَاكَلَةِ فِي لَفْظِ الْيَدِ الْمُضَافَةِ إِلَى الْمُفْرَدِ: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] وَإِنْ أُضِيفَتْ إِلَى ضَمِيرِ جَمْعٍ جُمِعَتْ: كَقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١] وَكَذَلِكَ إِضَافَةُ الْيَدِ وَالْعَيْنِ إِلَى اسْمِ الْجَمْعِ الظَّاهِرِ كَقَوْلِهِ: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] وَقَوْلِهِ: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١] .اهـ

وقال الإمام العثيمين رحمه الله في شرح لمعة الاعتقاد كَمَا فِي مجموع فتاوى العثيمين (٥/٢٧):

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين، وكيف نوفق بينها:

الأول: الإفراد كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾.

الثاني: التثنية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

= مالك.

وهذا إسناد ضعيف؛ أبو بكر محمد بن أيوب الداراني، والحسن بن علي بن خلف الصيدلاني، لم يؤثر توثيقهما عن معتبر، فهما مجهولا الحال.

وقد تصحف في تفسير ابن كثير في تفسير الآية المتقدمة (الداراني) إلى (الرازي) وهو كذاب، ولم يفطن لذلك محقق "الأسماء والصفات" (٦٨٩)، وإنما هو الداراني.

الثالث: الجمع كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾.

والتوفيق بين هذه الوجوه: أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف؛ فيشمل كل ما ثبت لله من يد، ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم، لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر، وحينئذ لا ينافي التثنية، على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان؛ فإذا حمل الجمع على أقله؛ فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلًا.اهـ

تحريف المبتدعة لصفة اليدين والرد عليهم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٣٩١):

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥] ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: مَجَازٌ فِي النِّعْمَةِ أَوِ الْقُدْرَةِ، وَهَذَا بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْأَصْلَ الْحَقِيقَةُ فَدَعْوَى الْمَجَازِ مُخَالَفَةٌ لِلْأَصْلِ.

الثَّانِي: أَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ الظَّاهِرِ فَقَدِ اتَّفَقَ الْأَصْلُ وَالظَّاهِرُ عَلَى بُطْلَانِ هَذِهِ الدَّعْوَى.

الثَّالِث: أَنَّ مُدَّعِيَ الْمَجَازِ الْمُعَيَّنِ يَلْزَمُهُ أُمُورٌ: أَحَدُهَا: إِقَامَةُ الدَّلِيلِ الصَّارِفِ عَنِ الْحَقِيقَةِ، إِذْ مُدَّعِيهَا مَعَهُ الْأَصْلُ وَالظَّاهِرُ وَمُخَالِفُهَا مُخَالِفٌ لَهُمَا جَمِيعًا، ثَانِيهَا: بَيَانُ احْتِمَالِ اللَّفْظِ لِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمَجَازِ لُغَةً وَإِلَّا كَانَ مُنْشِئًا مِنْ عِنْدِهِ وَضْعًا جَدِيدًا، ثَالِثُهَا: احْتِمَالُ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي هَذَا السِّيَاقِ الْمُعَيَّنِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَا احْتَمَلَهُ اللَّفْظُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ يَحْتَمِلُهُ هَذَا السِّيَاقُ الْخَاصُّ، وَهَذَا مَوْضِعٌ غَلِطَ فِيهِ مَنْ شَاءَ اللهُ وَلَمْ يُبَيِّنْ أَوْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ بِأَصْلِ اللُّغَةِ، وَإِنْ لَمْ يَحْتَمِلْهُ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ الْخَاصِّ، وَبَيْنَ

مَا يَحْتَمِلُهُ فِيهِ، رَابِعُهَا: بَيَانُ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَجَازِ الَّذِي عَيَّنَهُ بِأَنَّهُ الْمُرَادُ إِذْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ غَيْرِ قَرِينَةٍ فِي اللَّفْظِ تَدُلُّ عَلَيْهِ الْبَتَّةَ، وَإِذَا طُولِبُوا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ تَبَيَّنَ عَجْزُهُمْ.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّ اطِّرَادَ لَفْظِهَا فِي مَوَارِدِ الِاسْتِعْمَالِ وَتَنَوُّعَ ذَلِكَ وَتَصْرِيفَ اسْتِعْمَالِهِ يَمْنَعُ الْمَجَازَ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وَقَوْلِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] فَلَوْ كَانَ مَجَازًا فِي الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ لَمْ يُسْتَعْمَلْ مِنْهُ لَفْظُ يَمِينٍ، وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»(١)؛ فَلَا يُقَالُ هَذَا يَدُ النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ، وَقَوْلِهِ: «**يَقْبِضُ اللهُ سَمَاوَاتِهِ بِيَدِهِ وَالْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ**»(٢)، فَهُنَا هَزٌّ وَقَبْضٌ وَذِكْرُ يَدَيْنِ، وَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَعَلَ يَقْبِضُ يَدَيْهِ، وَيَبْسُطُهَا تَحْقِيقًا لِلصِّفَةِ، لَا تَشْبِيهًا لَهَا كَمَا قَرَأَ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَأُذُنَيْهِ تَحْقِيقًا لِصِفَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَأَنَّهُمَا حَقِيقَةٌ لَا مَجَازًا، وَقَوْلِهِ: «**وَلَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ قَبَضَ بِيَدَيْهِ قَبْضَتَيْنِ وَقَالَ: اخْتَرْ، فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، فَفَتَحَهَا فَإِذَا فِيهَا أَهْلُ الْيَمِينِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ**»(٣).

وَأَضْعَافُ أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي ثُبُوتِ الصِّفَةِ، كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨١٢)، ومسلم برقم (٢٧٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد حسن.

يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1]، وَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، تَقَبَّلَهَا بِيَمِينِهِ»[2]، وَقَوْلِهِ: «وَمَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ»[3]. وَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ: «فَيَأْخُذُ رَبُّكَ غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ فَيَنْضَحُ بِهَا قِبَلَكُمْ فَلَا يُخْطِئُ وَجْهَ أَحَدِكُمْ»[4]، يَعْنِي فِي الْمَوْقِفِ، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَأَضْعَافُ أَضْعَافِهِ مَجَازًا لَا حَقِيقَةً، وَلَيْسَ مَعَهُ قَرِينَةٌ وَاحِدَةٌ تُبْطِلُ الْحَقِيقَةَ وَتُبَيِّنُ الْمَجَازَ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّ اقْتِرَانَ لَفْظِ الطَّيِّ وَالْقَبْضِ وَالْإِمْسَاكِ بِالْيَدِ يَصِيرُ الْمَجْمُوعُ حَقِيقَةً، هَذَا فِي الْفِعْلِ، وَهَذَا فِي الصِّفَةِ، بِخِلَافِ الْيَدِ الْمَجَازِيَّةِ، فَإِنَّهَا إِذَا أُرِيدَتْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْيَدِ حَقِيقَةً، بَلْ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَجَازِ كَقَوْلِهِ: (لَهُ عِنْدِي يَدٌ، وَأَنَا قُمْتُ يَدَهُمْ) وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَأَمَّا إِذَا قِيلَ: قَبَضَ بِيَدِهِ وَأَمْسَكَ بِيَدِهِ أَوْ قَبَضَ بِإِحْدَى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٩) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٤١٠)، ومسلم برقم (١٠١٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره سورة الزمر (آية/ ٦٧) حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ. قَالَ: ثني أَبِي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي يَدِ اللهِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ**». إسناده حسن، رجاله ثقات؛ إلا عمرو بن مالك؛ فإنه حسن الحديث.

(٤) **ضعيف**: أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده كما في "المسند" (١٦٢٠٦) عبد الرحمن بن عياش السمعي الأنصاري القبائي، من بني عمرو بن عوف، عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي، عن أبيه، عن عمه لقيط بن عامر به.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ عبد الرحمن بن عياش، ودلهم بن الأسود، وأبوه الأسود بن عبد الله بن حاجب، مجهولون.

يَدَيْهِ كَذَا وَبِالْأُخْرَى كَذَا، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ كَتَبَ كَذَا وَعَمِلَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِيَدَيْهِ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا أُتِيَ هَؤُلَاءِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُمْ رَأَوُا الْيَدَ تُطْلَقُ عَلَى النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، فَظَنُّوا أَنَّ كُلَّ تَرْكِيبٍ وَسِيَاقٍ صَالِحٌ لِذَلِكَ، فَوَهِمُوا وَأَوْهَمُوا، فَهَبْ أَنَّ هَذَا يَصْلُحُ فِي قَوْلِهِ: «**لَوْلَا يَدٌ لَكَ لَمْ أَجْزِكَ بِهَا**»، أَفَيَصْلُحُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وَفِي قَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: «**وَإِنَّ اللهَ لَمْ يُبَاشِرْ بِيَدِهِ أَوْ لَمْ يَخْلُقْ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثًا: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**»(١)، أَفَيَصِحُّ فِي عَقْلٍ أَوْ نَقْلٍ أَوْ فِطْرَةٍ أَنْ يُقَالَ: لَمْ يَخْلُقْ بِقُدْرَتِهِ أَوْ بِنِعْمَتِهِ إِلَّا ثَلَاثًا.

الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَجَازِ لَا يُسْتَعْمَلُ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُفْرَدًا أَوْ مَجْمُوعًا كَقَوْلِكَ: (لَهُ عِنْدِي يَدٌ يَجْزِيهِ اللهُ بِهَا) وَ(لَهُ عِنْدِي أَيَادٍ)، وَأَمَّا إِذَا جَاءَ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ لَمْ يُعْرَفِ اسْتِعْمَالُهُ قَطُّ إِلَّا فِي الْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَهَذِهِ مَوَارِدُ الِاسْتِعْمَالِ أَكْبَرُ شَاهِدٍ فَعَلَيْكَ بِتَتَبُّعِهَا.

الْوَجْهُ السَّابِعُ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَعْهُودِ أَنْ يُطْلِقَ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعْنَى الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ بَلْ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ الشَّامِلِ لِجَمِيعِ الْحَقِيقَةِ، كَقَوْلِهِ ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]: وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] وَقَدْ يَجْمَعُ النِّعَمَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] وَأَمَّا أَنْ يَقُولَ: خَلَقْتُكَ بِقُدْرَتَيْنِ أَوْ بِنِعْمَتَيْنِ، فَهَذَا لَمْ يَقَعْ فِي كَلَامِهِ وَلَا كَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ.

الْوَجْهُ الثَّامِنُ: أَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الْقُدْرَةُ، فَإِنَّهُ يُبْطِلُ فَائِدَةَ تَخْصِيصِ آدَمَ، فَإِنَّهُ وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى إِبْلِيسُ

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

مَخْلُوقٌ بِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَأَيُّ مَزِيَّةٍ لِآدَمَ عَلَى إِبْلِيسَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] يُوَضِّحُهُ:

الْوَجْهُ التَّاسِعُ: أَنَّ اللهَ جَعَلَ ذَلِكَ خَاصَّةً خَصَّ بِهَا آدَمَ دُونَ غَيْرِهِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ مُوسَى وَقْتَ الْمُحَاجَّةِ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ لَهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ إِذَا سَأَلُوهُ الشَّفَاعَةَ، فَهَذِهِ أَرْبَعُ خَصَائِصَ لَهُ، فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْيَدِ الْقُدْرَةَ؛ لَكَانَ بِمَنْزِلَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: خَلَقَكَ اللهُ بِقُدْرَتِهِ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي ذَلِكَ، يُوَضِّحُهُ:

الْوَجْهُ الْعَاشِرُ: أَنَّكَ لَوْ وَضَعْتَ الْحَقِيقَةَ الَّتِي يَدَّعِي هَؤُلَاءِ أَنَّ الْيَدَ مَجَازٌ فِيهَا مَوْضِعَ الْيَدِ لَمْ يَكُنْ فِي الْكَلَامِ فَائِدَةٌ، وَلَمْ يَصِحَّ وَضْعُهَا هُنَاكَ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ قَالَ: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِقُدْرَتِي)، وَقَالَ لَهُ مُوسَى: (أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِقُدْرَتِهِ)، وَقَالَ لَهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ ذَلِكَ، لَمْ يَحْسُنْ ذَلِكَ الْكَلَامُ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنَ الْفَائِدَةِ شَيْءٌ وَتَعَالَى اللهُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا التَّخْصِيصِ إِنَّمَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْفَضْلِ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ اخْتُصَّ بِهِ لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ، فَلَا يَجُوزُ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى مَا يُبْطِلُ ذَلِكَ.

الْوَجْهُ الْحَادِي عَشَرَ: أَنَّ نَفْسَ هَذَا التَّرْكِيبِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] يَأْبَى حَمْلَ الْكَلَامِ عَلَى الْقُدْرَةِ لِأَنَّهُ نَسَبَ الْخَلْقَ إِلَى نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ عَدَّى الْفِعْلَ إِلَى الْيَدِ ثُمَّ ثَنَّاهَا ثُمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهَا الْبَاءَ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى قَوْلِهِ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ، وَمِثْلُ هَذَا النَّصِّ صَرِيحٌ لَا يَحْتَمِلُ الْمَجَازَ بِوَجْهٍ، بِخِلَافِ مَا لَوْ قَالَ: عَمِلْتُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] فَإِنْ نُسِبَ

الْفِعْلُ إِلَى الْيَدِ ابْتِدَاءً، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا آلَةُ الْفِعْلِ فِي الْغَالِبِ، وَلِهَذَا لَمَّا لَمْ يَكُنْ خَلْقُ الْأَنْعَامِ مُسَاوِيًا لِخَلْقِ أَبِي الْأَنَامِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١] فَأَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَيْدِي وَجَمَعَهَا وَلَمْ يُدْخِلْ عَلَيْهَا الْبَاءَ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ فُرُوقٍ تُبْطِلُ إِلْحَاقَ أَحَدِ الْمَوْضِعَيْنِ بِالْآخَرِ، وَيَتَضَمَّنُ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُمَا عَدَمَ مَزِيَّةِ أَبِينَا آدَمَ عَلَى الْأَنْعَامِ، وَهَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ وَأَعْظَمِ الْعُقُوقِ لِلْأَبِ، إِذْ سَاوَى الْمُعَطِّلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ وَالْأَنْعَامِ فِي الْخَلْقِ بِالْيَدَيْنِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي عَشَرَ: أَنَّ يَدَ النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ لَا يَتَجَاوَزُ بِهَا لَفْظُ الْيَدِ فَلَا يُتَصَرَّفُ فِيهَا بِمَا يَتَصَرَّفُ فِي الْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ، فَلَا يُقَالُ: كَفٌّ لَا لِلنِّعْمَةِ وَلَا لِلْقُدْرَةِ، وَلَا إِصْبَعٌ وَإِصْبَعَانِ وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَهَذَا كُلُّهُ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ الْيَدُ نِعْمَةً أَوْ يَدَ قُدْرَةٍ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا يُغِيضُهَا نَفَقَةٌ**» وَقَالَ: «**الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ**»، وَإِذَا ضَمَمْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ ﷺ «**يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبِضُ يَدَهُ وَيَبْسُطُهَا**»[١].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ يُحْكَى عَنْ رَبِّهِ بِهَذَا اللَّفْظِ وَقَالَ: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ يُقِيمُهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ**»[٢]، وَلَفْظَةُ (بَيْنَ) لَا تَقْتَضِي الْمُخَالَطَةَ، وَلَا الْمُمَاسَّةَ وَالْمُلَاصَقَةَ لُغَةً وَلَا عَقْلًا وَلَا عُرْفًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [البقرة: ١٦٤] وَهُوَ لَا يُلَاصِقُ السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، بنحوه.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٦٣٠) عن النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بإسناد صحيح.

فَهَذَا الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ وَالطَّيُّ وَالْيَمِينُ وَالْأَخْذُ وَالْكَفُّ وَتَقْلِيبُ الْقُلُوبِ بِأَصَابِعِهِ وَوَضْعُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَذَكَرَ إِحْدَى الْيَدَيْنِ، ثُمَّ قَوْلُهُ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى مُمْتَنِعٌ فِيهِ الْيَدُ الْمَجَازِيَّةُ سَوَاءٌ كَانَتْ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ أَوْ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ، فَإِنَّهَا لَا يُتَصَرَّفُ فِيهَا هَذَا التَّصَرُّفُ، هَذِهِ لُغَةُ الْعَرَبِ، نَظْمُهُمْ وَنَثْرُهُمْ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا ذَلِكَ أَصْلًا.

ثم قال ابن القيم رحمه الله (ص٤٠٥):

وَرَدَ لَفْظُ الْيَدِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَوْضِعٍ وُرُودًا مُتَنَوِّعًا مُتَصَرَّفًا فِيهِ مَقْرُونًا بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا يَدٌ حَقِيقَةً مِنَ الْإِمْسَاكِ وَالطَّيِّ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالْمُصَافَحَةِ وَالْحَثَيَاتِ وَالنَّضْحِ بِالْيَدِ، وَالْخَلْقِ بِالْيَدَيْنِ وَالْمُبَاشَرَةِ بِهِمَا وَكَتْبِ التَّوْرَاةِ بِيَدِهِ وَغَرْسِ جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَدِهِ وَتَخْمِيرِ طِينَةِ آدَمَ بِيَدِهِ وَوُقُوفِ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَوْنِ الْمُقْسِطِينَ عَنْ يَمِينِهِ، وَقِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِهِ، وَتَخْيِيرِ آدَمَ بَيْنَ مَا فِي يَدَيْهِ، فَقَالَ: «**اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي**»، وَأَخْذِ الصَّدَقَةِ بِيَمِينِهِ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا، وَكِتَابِهِ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ، وَأَنَّهُ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ وَيَدَاهُ مَفْتُوحَتَانِ: اخْتَرْ، فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، وَأَنَّ يَمِينَهُ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقِسْطُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ، وَأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ يَطْوِي السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى، وَأَنَّهُ خَطَّ الْأَلْوَاحَ الَّتِي كَتَبَهَا لِمُوسَى بِيَدِهِ.

وَقَوْلُهُ: «**الْأَيْدِي ثَلَاثَةٌ، فَيَدُ اللهِ الْعُلْيَا وَيَدُ الْمُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى**». فَهَلْ يَصِحُّ فِي عَقْلٍ أَوْ لُغَةٍ أَوْ عُرْفٍ أَنْ يُقَالَ: قُدْرَةُ اللهِ أَوْ نِعْمَتُهُ الْعُلْيَا وَيَدُ الْمُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، فَهَلْ يَحْتَمِلُ هَذَا التَّرْكِيبُ غَيْرَ يَدِ الذَّاتِ بِوَجْهٍ مَا؟ وَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ؟ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالْيَدُ السُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ، فَضَمُّ هَذَا إِلَى قَوْلِهِ: الْأَيْدِي ثَلَاثَةٌ، فَيَدُ اللهِ الْعُلْيَا، وَيَدُ الْمُعْطِي هِيَ الَّتِي تَلِيهَا، وَإِلَى قَوْلِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] تَقْطَعُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْمُرَادَ يَدُ الذَّاتِ، لَا يَدُ الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ، فَإِنَّ التَّرْكِيبَ وَالْقَصْدَ وَالسِّيَاقَ لَا يَحْتَمِلُهُ الْبَتَّةَ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فَلَمَّا كَانُوا يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَيْدِيهِمْ وَيَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى أَيْدِيهِمْ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ السَّفِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كَانَتْ مُبَايَعَتُهُمْ لَهُ مُبَايَعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَمَّا كَانَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ وَعَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ كَانَتْ يَدُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَهُمْ، فَهَلْ يَصِحُّ هَذَا لِمَنْ لَيْسَ لَهُ يَدٌ حَقِيقَةً؟ فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى قُدْرَةُ اللهِ وَنِعْمَتُهُ فَوْقَ قُدَرِهِمْ وَنِعَمِهِمْ، أَمْ تَقْتَضِي الْمُقَابَلَةُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يَسْبِقُ إِلَى الْأَفْهَامِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ؟

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ صَدَقَةً مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ**»، فَهَلْ يَحْتَمِلُ هَذَا الْكَلَامُ غَيْرَ الْحَقِيقَةِ؟

وَهَبْ أَنَّ الْيَدَ تُسْتَعْمَلُ فِي النِّعْمَةِ، أَفَسَمِعْتُمْ أَنَّ الْيَمِينَ وَالْكَفَّ يُسْتَعْمَلَانِ فِي النِّعْمَةِ فِي غَيْرِ الْوَضْعِ الْجَدِيدِ الَّذِي اخْتَرَعْتُمُوهُ، وَحَمَلْتُمْ عَلَيْهِ كَلَامَ اللهِ وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ.

وَكَذَلِكَ «**وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقِسْطُ**» هَلْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَبِقُدْرَتِهِ الْأُخْرَى؟ وَهَلْ يَصِحُّ فِي قَوْلِهِ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ**» أَنَّهُ عَنْ قُدْرَتِهِ فِي لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ؟ وَهَلْ سَمِعْتُمْ بِاسْتِعْمَالِ الْيَمِينِ فِي النِّعْمَةِ وَالْكَفِّ فِي النِّعْمَةِ؟ وَكَيْفَ يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: «**إِنَّ اللهَ أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ، ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفِّهِ**»[1] كَفُّ النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ؟ وَهَذَا لَمْ تَعْهَدُوا أَنْتُمْ وَلَا أَسْلَافُكُمْ بِهِ اسْتِعْمَالًا الْبَتَّةَ سِوَى الْوَضْعِ الْجَدِيدِ الَّذِي اخْتَرَعْتُمُوهُ.

وَهَلْ يَصِحُّ فِي قَوْلِهِ: «**وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ**» أَنْ يَكُونَ فِي نِعْمَتَيْكَ، أَوْ فِي قُدْرَتَيْكَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ**»[2]، أَفَيَصِحُّ أَنْ يَخُصَّ الثَّلَاثَ بِقُدْرَتِهِ، وَلَا سِيَّمَا لَفْظُ

---

(١) أخرجه الفريابي في القدر (٢٢)، والطبراني (٢٢/ ١٦٨، و١٦٩)، عن هشام بن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه الدارقطني في "الصفات" رقم (٢٨)، وأبو نعيم في "صفة الجنة" (١/ ٤٨) رقم (٢٣)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٢٥) رقم (٦٩٢) من طريق عون بن عبد الله بن الحارث، عن أخيه عبد الله بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه عبد الله بن الحارث بن نوفل، بلفظ: خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ، خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ. قال البيهقي: هذا مرسل. قلت: وفي إسناده عون بن عبد الله، وهو مجهول. وهو يتقوى بما بعده.

وقال الدارمي في "النقض على المريسي" (١/ ٢٦١): =

الْحَدِيثِ «إِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ» أَفَيَصِحُّ أَنْ تُوضَعَ النِّعْمَةُ وَالْقُدْرَةُ مَوْضِعَ الْيَدِ هَاهُنَا؟.اهباختصار

وقال الإمام ابن بطة في كتابه الإبانة الكبرى (٣١٣/٧):

وَوَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّمَا حَكَى اللهُ عَنْ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ عَدَاوَتِهِ شَيْئًا فَكَانَ كَذِبًا لَمْ يَدَعْ ذَلِكَ حَتَّى يُبَيِّنَ كَذِبَهُمْ فِيهِ، وَإِذَا حَكَى عَنْهُمْ شَيْئًا صَدَقُوا فِيهِ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ، فَيَكُونُ قَدْ مَدَحَهُمْ، وَلَمْ يُكَذِّبْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ صَدَقُوا وَلَمْ يُصَدِّقِ الْكَاذِبَ أَحْيَانًا، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، فَصَدَقُوا فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، وَكَذَبُوا فِي آخِرِهِ، فَكَذَّبَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ كَمَا قَالُوا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ إِبْلِيسَ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، فَذَكَرَ اللهُ ذَلِكَ عَنْهُ، فَلَمْ يُكَذِّبْهُ إِذْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُ فَيَكُونُ تَصْدِيقُهُ إِيَّاهُ مِدْحَةً لَهُ. وَمِنْ ذَلِكَ، قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، فَصَدَقُوا فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، وَكَذَبُوا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْهَا آبَاءَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ يُصَدِّقُهُمُ اللهُ فِي ذَلِكَ، فَيَكُونُ تَصْدِيقُهُ لَهُمْ مِدْحَةً لَهُمْ، وَكَذَّبَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف:

= حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، ثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مِهْرَانَ -وَهُوَ الْمُكْتِبُ- ثَنَا مُجَاهِدٌ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: خَلَقَ اللهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ:- الْعَرْشُ، وَالْقَلَمُ، وَعَدْنٌ، وَآدَمُ ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كن فَكَانَ. إسناده صحيح، رجاله ثقات.

وقال الإمام عبد الله بن أحمد في "السنة" (١١١٨):

حَدَّثَنِي أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، نا أَبُو قُتَيْبَةَ، نا حَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ، وَسَائِرُ ذَلِكَ قَالَ: لَهُ كُنْ فَكَانَ، خَلَقَ الْقَلَمَ بِيَدِهِ، وَآدَمَ بِيَدِهِ، وَالتَّوْرَاةَ كَتَبَهَا بِيَدِهِ، وَجَنَّاتِ عَدْنٍ بِيَدِهِ.

إسناده ضعيف؛ لضعف حسن بن أبي جعفر، وعلي بن زيد بن جدعان. وهو يتقوى بالذي قبله، وله حكم المرفوع، والله أعلم.

٢٨] فَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْيَهُودِ: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، فَكَذَّبَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي ذِكْرِ الْيَدِ فَيَكُونُ مَادِحًا لَهُمْ، ثُمَّ أَوْضَحَ أَنَّ لَهُ يَدَيْنِ فَقَالَ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]، مِنْ ذِكْرِ الْغِلِّ، ثُمَّ قَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فَقَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: مَعْنَى الْيَدِ النِّعْمَةُ، وَلَوْ كَانَ كَمَا زَعَمُوا لَمْ يَقُلْ: ﴿يَدَاهُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَلَقَالَ: بَلْ مَبْسُوطَةٌ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَى الْيَدِ مَعْنَى النِّعْمَةِ لَمْ يَقُلْ بِيَدَيَّ، وَلَقَالَ: بِيَدِي أَوْ بِنِعْمَتِي؛ لِأَنَّ نِعَمَ اللهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ نِعْمَتَيْنِ.

وَقَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، كَقَوْلِكَ: الدَّارُ فِي قَبْضِ فُلَانٍ، يَعْنِي: فِي مِلْكِهِ، وَقَدْ قَبَضْتَ الْمَالَ، وَلَيْسَ فِي كَفِّكَ شَيْءٌ، وَكَذَلِكَ تَقُولُ: الْأَرْضُ، وَالدَّارُ، وَالْغُلَامُ، وَالدَّابَّةُ فِي قَبْضَتِي فَمَوَّهُوا بِذَلِكَ عَلَى الْجَاهِلِ، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]، فَالْقُرْآنُ مَرْدُودٌ إِلَى مَا جَعَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وَقَالَ: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

فَالْجَهْمِيُّ الْمَلْعُونُ إِنَّمَا أُتِيَ مِنْ جَهْلِهِ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَمِنْ تَعَاشِيهِ عَنِ الْجَادَّةِ الْوَاضِحَةِ، وَطَلَبِهِ الْمُتَشَابِهَ، وَثَنِيَّاتِ الطُّرُقِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، فَقَوْلُ الْجَهْمِيِّ: الدَّارُ فِي قَبْضَةِ فُلَانٍ، إِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمُغَالَطَةَ، وَإِدْخَالَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ عَلَى قَلْبِ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَوَّى بِجَهْلِهِ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْقَبْضَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا

يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: الدَّارُ فِي قَبْضَةِ فُلَانٍ، فَإِذَا أَرَدْتَ الْمِلْكَ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْقَبْضِ لَمْ تُدْخِلِ الْهَاءَ، فَإِنْ أَرَدْتَ قَبْضَةَ الْيَدِ، أَدْخَلْتَ الْهَاءَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧]، وَلَوْ كَانَ كَقَوْلِ الْجَهْمِيِّ لَقَالَ: وَالْأَرْضُ جَمِيعًا فِي قَبْضَتِهِ، ثُمَّ بَيَّنَ فَقَالَ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]. اهـ

كلتا يدي الله عز وجل يمين ولا توصف بشمال.

دل حديث الباب، حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على أن كلتا يدي الله عَزَّ وجَلَّ توصف بأنها يَمِين، ولا توصف بالشمال.

ويدل على ذلك أيضًا قوله ﷺ: «**وَلَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ قَبَضَ بِيَدَيْهِ قَبْضَتَيْنِ وَقَالَ: اخْتَرْ، فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ**» أخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد حسن.

واستدل بعض أهل العلم بحديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ، فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ، رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ، فَأَمْضَاهُ عِنْدَهُ فِي الذِّكْرِ**» ثُمَّ قَالَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]؛ فَهَلْ يَكُونُ النَّسْخَةُ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ.

أخرجه الآجري في الشريعة (٣٣٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٦)، والطبراني في مسند الشاميين (٦٧٣)، وابن بطة في الإبانة (١٣٦٥)، من طريق بَقِيَّةَ بْنِ الْوَلِيدِ، ثنا أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْذِرِ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ به.

وهذا إسنادٌ عنعن فيه بقية بن الوليد عن شيخ شيخه، وقد رواه مرة أخرى، وبين فيه وجود سقط.

فقد أخرجه الآجري في الشريعة (٣٤٠) من وجه آخر عن بقية بن الوليد، بإسناده، وقال فيه: عن مجاهد أنه بلغه عن ابن عمر... فذكره، فتبين وجود سقط.

وأن مجاهدًا لم يسمعه من ابن عمر، وإنما أخذه بواسطة رجل مبهم.

وقد صرح بذلك جمع من الأئمة:

قال الإمام ابن خزيمة رحمه اللّٰه في كتاب التوحيد (١٥٩/١):

باب: ذكر سنة ثامنة تبين وتوضح أنَّ لخالقنا جلَّ وعلا يدين، كلتاهما يَمِينان، لا يسار لخالقنا عَزَّ وجَلَّ؛ إذ اليسار من صفة المخلوقين، فَجَلَّ ربنا عن أن يكون له يسار.اهـ

وقال أيضاً (١٩٧/١):

بل الأرض جميعاً قبضةُ ربنا جَلَّ وعلا، بإحدى يديه يوم القيامة، والسماوات مطويات بيَمِينه، وهي اليد الأخرى، وكلتا يدي ربنا يَمِين، لا شمال فيهما، جل ربنا وعز عن أن يكون له يسار؛ إذ كون إحدى اليدين يساراً إنما يكون من علامات المخلوقين، جل ربنا وعز عن شبه خلقه.اهـ

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّٰه كَمَا فِي طبقات الحنابلة لأبي يعلى (٣١٣/١):

وكما صح الخبر عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال « **ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن**»، «**وكلتا يديه يَمِين**»، الإيمان بذلك، فمن لم يؤمن بذلك، ويعلم أنَّ ذلك حق كما قال رسول الله ﷺ؛ فهو مُكَذِّبٌ برسول الله ﷺ.اهـ

وقال الإمام الخطابي رحمه اللّٰه في شرح صحيح البخاري (٢٣٤٧/٤):

لَيْسَ فِيمَا يُضَافُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صِفَةِ الْيَدَيْنِ شِمَالٌ، لأَنَّ الشِّمَالَ محلُّ النَّقْصِ وَالضَّعْفِ، وقد روي في الخبر: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»، وليس معنى اليد عندنا الجارحة، إنما هِيَ صِفَةٌ جَاءَ بِهَا التَّوْقِيفُ، فَنَحْنُ نُطْلِقُهَا عَلَى مَا جَاءَتْ، وَلا نُكْفِيهَا، وَنَنْتَهِي إِلَى حَيْث انْتَهَى بِنَا الْكِتَابُ وَالأَخْبَارُ المأثورة الصَّحِيحَةُ، وَهُوَ مَذْهَبُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في أحكام أهل الذمة (١/ ٤١٦):

وَلَمَّا كَانَ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفًا بِأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا شِمَالٌ بَلْ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، كَذَلِكَ أَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا خَيْرٌ، وَصِفَاتُهُ كُلُّهَا كَمَالٌ.اهـ

وذهب بعض أهل السنة إلى إثبات صفة الشمال، ومنهم: الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، في كتابه الرد على المريسي، وأبو يعلى الفراء في كتابه إبطال التأويلات (ص١٧٦)، ومحمد بن عبد الوهاب في آخر باب من كتاب التوحيد، وصديق حسن خان في كتابه قطف الثمر (ص٧٠)، وابن باز في تعليقاته على كتاب التوحيد، ومحمد خليل الهرَّاس في تعليقه على كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص٦٦)، والفوزان كَمَا فِي كتابه "إعانة المستفيد" (٢/ ٣٣١)، واستدلوا على ذلك:

بما رواه مسلم في "صحيحه" (٢٧٨٨) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً: «**يطوي الله عَزَّ وجَلَّ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك! أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك! أين الجبارون؟ أين المتكبرون**».

وقالوا في قوله ﷺ: «**وكلتا يديه يمين**»، إن المراد بذلك نفي النقص عن اليد الأخرى، كما هو الحال في المخلوق.

قلت: الرواية ضعيفة في إسناده عمر بن حمزة العمري، وهو ضعيف، وقد تفرد بذكر الشمال، وجميع الرواة لا يذكرون ذلك، وإنما يقولون: بيده الأخرى.

قال الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٥٥): ذكر (الشِّمال) فيه، تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر؛ لم يذكرا فيه الشِّمال.

وروي ذكر الشِّمال في حديث آخر في غير هذه القصة؛ إلا أنه ضعيف بمرة، تفرد بأحدهما: جعفر بن الزبير، وبالآخر: يزيد الرقاشي. وهما متروكان، وكيف ذلك؟! وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمَّى كلتي يديه يَميناً.اهـ

واستدلوا بحديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ، كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا أُبَالِي وَقَالَ: لِلَّذِي فِي كفِّه الْيُسْرَى: إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي**» أخرجه أحمد في المسند (٢٧٤٨٨) من طريق الهيثم بن خارجة، عن سُلَيْمَانَ بْنِ عُتبة، عَن يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَن أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلانِيِّ، عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ به.

قلت: وقد وقع في نسخة في مسند أحمد «**في كتفه اليسرى**». واعتمدها ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٢٠٦).

وأخرج الحديث البزار (٤١٤٣) من نفس الوجه، بلفظ: «**وَقال لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ: إِلَى النَّارِ، ولاَ أُبَالِي**».

وأخرجه الفريابي في القدر (٣٦) من نفس الوجه، بلفظ: «**وَقال لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ: إِلَى النَّارِ، ولاَ أُبَالِي**».

وقال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيَّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الله، أَنْبَأَ صَخْرٌ أَبُو الْمُعَلَّى، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ هَيْثَمِ بْنِ خَارِجَةَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ أَبَا إِدْرِيسَ.

وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٣٢٩) من نفس الوجه، بلفظ: «**وَقال لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ: إِلَى النَّارِ، ولاَ أُبَالِي**».

وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢٢١٣) من طريق الهيثم بن خارجة، وهشام بن عمار، عن سليمان بن عتبة به. بلفظ: فَقَالَ: «**هَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي**».

وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٣٦٦) من طريق عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله، عن سليمان بن عتبة به. بلفظ: فَقَالَ: «**هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي**».

والخلاصة: أن هذا الحديث لا حجة فيه؛ لأن أكثر الطرق ليس فيها ذكر اليسار، ولأن في بعض الطرق: «**كتفه اليسرى**» فدل على أن الضمير عائد على آدم عليه السلام. ولأن الراوي سليمان بن عتبة له أخطاء، فلا يقبل عنه ما تفرد به، ولعل الاختلاف في ألفاظ الحديث بسببه، ثم إنه قد خولف؛ فقد رواه صخر أبو المعلى عن يونس بن ميسرة بإسناده مرسلًا.

قال الإمام العثيمين رحمه الله في كتابه القول المفيد (٢/ ٥٣٤):

قوله: «**ثم يأخذهن بشماله**»: كلمة (شمال) اختلف فيها الرواة، فمنهم من أثبتها، ومنهم من أسقطها، وقد حكموا على من أثبتها بالشذوذ؛ لأنه خالف ثقتين في روايتها عن ابن عمر. ومنهم من قال: إن ناقلها ثقة، ولكنه قالها من تصرفه.

وأصل هذه التخطئة هو ما ثبت في صحيح مسلم: أن الرسول ﷺ قال: «**المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين**» وهذا يقتضي أنه ليس هناك يد يمين ويد شمال.

ولكن إذا كانت لفظة (شمال) محفوظة، فهي عندي لا تنافي «كلتا يديه يمين»، لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى، فقال: «**كلتا يديه يمين**»، أي: ليس فيها نقص، ويؤيد هذا قوله في حديث آدم: «**اخترت يمين ربي، وكلتا يديه يمين مباركة**» فلما كان الوهم يذهب إلى أن إثبات الشمال، يعني: النقص في هذه اليد دون الأخرى، قال: «**كلتا يديه يمين**»، ويؤيده أيضا قوله: «**المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن**» فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم، وأنهم على يمين الرحمن -سبحانه- وعلى كل، فإن يديه -سبحانه- اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى، وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال، فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنى، بل كلتا يديه يمين. والواجب علينا أن نقول: إن ثبتت عن رسول الله ﷺ، فنحن نؤمن بها، ولا منافاة بينها وبين قوله: «**كلتا يديه يمين**» كما سبق، وإن لم تثبت، فلن نقول بها.اهـ

٧٦) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**» أَخْرَجَهُ مسلم (٢٦٥٤).

٧٧) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة الأصابع لله عز وجل.

دلت أحاديث الباب على إثبات صفة الأصابع لله عز وجل، كما تليق بجلاله، لا تماثل صفات المخلوقين، ولا نعلم كيفيتها، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨١١)، ومسلم برقم (٢٧٨٦) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد (١/١٨٧):

باب إثبات الأصابع لله عَزَّ وجَلَّ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ قِيلًا لَهُ لَا حِكَايَةً عَنْ غَيْرِهِ، كَمَا زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْعِنَادِ أَنَّ خَبَرَ ابْنَ مَسْعُودٍ لَيْسَ هُوَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ، وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، تَصْدِيقًا لِلْيَهُودِيِّ، وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك.

وقال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله في الشريعة (٣/١١٥٦):

باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرب عَزَّ وجَلَّ، بلا كيف.

وقال البغوي رحمه الله في شرح السنة (١/ ١٦٨):

والإصْبَع المذكورة في الحديث صفةٌ من صفات الله عَزَّ وجَلَّ، وكذلك كلُّ ما جاء به الكتاب أو السنَّة من هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنَّفس، والوجه، والعين، واليد، والرِّجل، والإتيان، والمجيء، والنُّزُول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح.اهـ

وقال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص ٢٤٥):

بعد أن ذكر حديث عبد الله بن عمرو السابق:

ونحن نقول: إنَّ هذا الحديث صحيح، وإن الذي ذهبوا إليه في تأويل الإصبع لا يشبه الحديث؛ لأنه عليه السلام قال في دعائه: «**يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك**» . فقالت له إحدى أزواجه: أَوَ تخاف يا رسول الله على نفسك؟ فقال: «**إنَّ**

قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله عَزَّ وجَلَّ»[1]، فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى؛ فهو محفوظ بتينك النعمتين؛ فلأي شيء دعا بالتثبيت؟ ولِمَ احتج على المرأة التي قالت له: أتخاف على نفسك؟ بما يؤكد قولها؟ وكان ينبغي أن لا يخاف إذا كان القلب محروساً بنعمتين.

فإن قال لنا: ما الإصبع عندك ها هنا؟

قلنا: هو مثل قوله في الحديث الآخر: «**يحمل الأرض على إصبع**»، وكذا على إصبعين، ولا يجوز أن تكون الإصبع ها هنا نعمة، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، ولم يجز ذلك.

ولا نقول: إصبعٌ كأصابعنا، ولا يدٌ كأيدينا، ولا قبضةٌ كقبضاتنا؛ لأن كل شيء منه عَزَّ وجَلَّ لا يشبه شيئاً منا.اهـ

قال أبو يعلى الحنبلي رحمه الله في كتابه إبطال التأويلات (ص٣١١):

إثبات صفة الأصابع للرحمن سُبْحَانَهُ ـ ثم ذكر أحاديث تدل على الصفة المذكورة ـ .اهـ

وقال أبو إسماعيل الهروي رحمه الله في كتابه الأربعون في دلائل التوحيد (ص٧٥):

بَابُ إِثْبَاتِ الْأَصَابِعِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.. ثم ذكر الأدلة من السنة على ذلك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٣٩٥):

---

(١) **صحيح بطرقه**: أخرجه أحمد (٢٤٦٠٤، ٢٦١٣٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأخرجه أيضًا (٢٦٥١٩) وكذلك الترمذي (٣٥٢٢) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأخرجه أحمد (١٢١٠٧)، والترمذي (٢١٤٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي كل منها ضعف، والحديث صحيح بمجموع هذه الطرق، وغيرها.

وَلَفْظَةُ (بَيْنَ) لَا تَقْتَضِي الْمُخَالَطَةَ وَلَا الْمُمَاسَّةَ وَالْمُلَاصَقَةَ لُغَةً وَلَا عَقْلًا وَلَا عُرْفًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وَهُوَ لَا يُلَاصِقُ السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ.اهـ

تحريف المبتدعة لهذه الصفة والرد عليهم.

حرف المبتدعة صفة الأصابع، وقالوا: المراد بها القدرة.

وهذا تحريف للأدلة عن ظاهرها، ولم يقل بقولهم أحد من السلف، من الصحابة، والتابعين، والأئمة.

وكيف يمكن القول بذلك، ولا يتناسب ذلك مع سياق الأدلة، فقوله ﷺ: «**بين أصبعين من أصابع الرحمن**» هل يصح أن يقال: بين قدرتين من قدرة الرحمن.

وكيف يقال: يمسك السماء على قدرة، والأرضين على قدرة، والماء والثرى على قدرة... إلى آخره.

وكيف يقال في الآية، وهي مبينة للحديث، ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:٦٧].

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على المريسي (ص٣٦٩):

فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمُعْجَبُ بِجَهَالَتِهِ: فِي أَيِّ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَجَدْتَ أَنَّ أُصْبُعَيْهِ قدرتيه؟ فَأَنْبِئْنَا بِهَا، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَاهَا خَارِجَة من جَمِيع لغاتهم.

إِنَّمَا هِيَ قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ قَدْ كَفَتِ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا وَمَلَأَتْهَا، وَاسْتَنْطَقَتْهَا، فَكَيْفَ صَارَتْ لِلْقُلُوبِ مِنْ بَيْنِ الْأَشْيَاءِ قُدْرَتَانِ؟ وَكَمْ تَعُدُّهَا قُدْرَةً؟ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ**»، وَفِي دَعْوَاكَ: هِيَ أَكْثَرُ مِنْ قُدْرَتَيْنِ وَثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ.

وَحَكَمْتَ فِيهَا لِلْقُلُوبِ قدرتين، وَسَائِرُهَا لِمَا سِوَاهَا، فَفِي دَعْوَاكَ هَذَا أَقْبَحُ مُحَالٍ، وَأَبْيَنُ ضَلَالٍ، فَكَيْفَ ادَّعَيْتَ أَنَّ الْأَرْضَ قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ: أَنَّهَا صَارَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ملكه؟ كَأَنَّهُمَا كَانت قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي مُلْكِ غيره، خَارِجَة عَن ملكه، فَكَانَ مَغْلُوبًا عَلَيْهَا فِي دَعْوَاكَ، حَتَّى صَارَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مُلْكِهِ!! وَمَا بَالُهَا تَصِيرُ فِي مُلْكِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَطْوِيَّاتٍ، وَلَا تكون فِي ملكه منشورات؟ وَمَا أرك إِلَّا سَتَدْرِي أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾ نَاقِضٌ لِتَأْوِيلِكَ.

وَمِمَّا يَزِيدُهُ نَقْضًا: قَوْلُهُ الْآخَرُ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ وَقَوْلُ رَسُولِ الله ﷺ: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَاءَ يَوْم الْقِيَامَة بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ**» فَفِي قَوْلِ الله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾، وَحَدِيثِ رَسُولِ الله ﷺ بَيَانٌ، وَمَعْنًى مُخَالِفٌ قِيلَكَ لَا شَكَّ فِيهِ، وَكَيْفَ أَقررت بِالْحَدِيثِ فِي الأصبعين مِنْ أَصَابِعِ الله وَفَسَّرْتَهُمَا قُدْرَتَيْنِ؟ وَكَذَّبْتَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُود فِي خَمْسِ أَصَابِعَ، وَهُوَ أَجْوَدُ إِسْنَادًا مِنْ حَدِيثِ الْأُصْبُعَيْنِ؟ أَفَلَا أَقْرَرْتَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ثُمَّ تَأَوَّلْتَهُ: الْقُدْرَةُ خَمْسُ قُدْرَاتٍ كَمَا تَأَوَّلْتَ فِي الْأُصْبُعَيْنِ بِقُدْرَتَيْنِ؟. فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَين أصبعين من الأصابع**»

فَأَمَّا تَكْذِيبُكَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ قَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَلَغَكَ أَنَّ اللهَ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ؟، فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ الْحَبْرُ، وَتَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فَادَّعَيْتَ أَنَّ هَذِهِ نَزَلَتْ تَكْذِيبًا لِمَا قَالَ الْحَبْرُ، ثُمَّ قُلْتَ: أفتحتجون بقول الْيَهُود؟

فَيُقَالُ لَكَ أَيُّهَا الْمَرِيسِيُّ: قَلَّمَا رَأينَا مُفسرًا ومتكلمًا أشد مناقضًا لِكَلَامِهِ مِنْكَ مَرَّةً تَقُولُ: الْحَدِيثُ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتُفَسِّرُهُ قُدْرَتَيْنِ، وَمَرَّةً تَقُولُ: هُوَ كَذِبٌ، وَقَوْلُ الْيَهُودِ. تقر بِهِ مرّة، وتنكر أُخْرَى، وَلَوْ قَدْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَرُوَاتِهِ لَعَلِمْتَ أَنَّ الْأَثَرَ قَدْ جَاءَ بِهِ تَصْدِيقًا لِلْيَهُودِيِّ، لَا تَكْذِيبًا لَهُ كَمَا ادَّعَيْتَ.

وَأَمَّا تَشْنِيعُكَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُقِرِّينَ بِصِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا قَالَ اللهُ: أَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ فِيهَا جَوَارِحَ وَأَعْضَاءً، فَقَدِ ادَّعَيْتَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ زُورًا، بَاطِلًا، وَأَنت من أعلم النَّاس بِمَ يُرِيدُونَ بِهَا، إِنَّمَا يُثْبِتُونَ مِنْهَا مَا أَنْتَ لَهُ مُعَطِّلٌ وَبِهِ مُكَذِّبٌ، وَلَا يَتَوَهَّمُونَ فِيهَا إِلَّا مَا عَنَى اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ، وَلَا يدعونَ جوارح، وَلَا أعضاء كَمَا تَقَوَّلْتَ عَلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَأْلُو فِي التَّشْنِيعِ عَلَيْهِمْ بِالْكَذِبِ، لِيَكُونن أَرْوَجَ لِضَلَالَتِكَ عِنْدَ الْجُهَّالِ.

وَلَئِنْ جَزِعْتَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ الْحَبْرِ، مَالَكَ رَاحَةٌ فِي رِوَايَةِ عَائِشَةَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَغَيْرِهِمْ، مِمَّا يُحَقِّقُ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَيُثْبِتُ رِوَايَتَهُ.

ثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، ثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أُمِّ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَبَهُ**»[(١)].

---

(١) **صحيح بطرقه**: إسناد المؤلف ضعيف؛ وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد، وهو ابن جدعان، وقد روى عن أم محمد امرأة أبيه، وهي مجهولة، لم يرو عنها سوى ابن جدعان، ولم يوثقها معتبر.

وأخرجه أحمد (٢٤٦٠٤، ٢٦١٣٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من نفس الوجه، ومن طريق أخرى، وأخرجه أيضًا أحمد (٢٦٥١٩) وكذلك الترمذي (٣٥٢٢) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأخرجه أحمد (١٢١٠٧)،=

وَحَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، ثَنَا ابْنُ الْمُبَارك، أخبرناه حَيْوَة بن شُرَيْح، أَخْبرنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عبد الرَّحْمَن الْحُبُلِّيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**قُلُوبُ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَن كقلب وَاحِد يصرفه كَيفَ شَاءَ**» ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»(١).

حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، ثَنَا ابْنُ الْمُبَارك، أبنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ عَبْدِ الله قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَين أصبعين مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**» وَكَانَ رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبت قُلُوبنَا على دينك**»(٢).

حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ صَالِحٍ، عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي عَيَّاش بن أبي مهْرَان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «**إِنَّمَا قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ**»(٣).

= والترمذي (٢١٤٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي كل منها ضعف، والحديث صحيح بمجموع هذه الطرق، وغيرها.

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٥٦٩).

(٢) **صحيح**: وأخرجه أحمد (١٧٦٣٠)، وابن ماجه (١٩٩)، من طريق ابن جابر به. وإسناده صحيح.

(٣) **صحيح بطرقه**: إسناده ضعيف؛ فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وفيه ضعف، وفيه أبو عياش المعافري، وهو مجهول الحال، والحديث صحيح بشواهده السابقة.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٩)، والطبراني في الأوسط (٨٧١٢)، وغيرهما من طريق عبد الله بن صالح به.

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْحِمْصِيُّ، ثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَن عتبَة بْن أَبِي حَكِيمٍ، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِذَا شَاءَ قَالَ بِهِ هَكَذَا -وَأَمَالَ يَدَهُ- وَإِذَا شَاءَ قَالَ بِهِ هَكَذَا -وَأَمَالَ يَدَهُ- وَإِذَا شَاءَ ثبته**»[(١)].

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ الْوَاسِطِيُّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ بَهْرَامٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: «**مَا مِنْ بَنِي آدَمَ بَشَرٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أزاغه**»[(٢)].

فَهَذِهِ أَلْفَاظُ رَسُولِ الله ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَيْتُهُ وَثَبَّتُّهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فَفِي أَيِّ لُغَاتٍ وَجَدْتَ أَنَّهَا قُدْرَتَانِ مِنَ الْقُدَرِ؟ وَهَلْ من شَيْء لَيْسَ من قُدْرَةِ الله الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى يَخُصَّ رَسُولُ الله ﷺ الْقُلُوبَ مِنْ بَيْنِهَا بِقُدْرَتَيْنِ؟ فَلَمْ تَدَّعِ مَا إِذَا رَجَعْتَ فِيهِ إِلَى نَفْسِكَ عَلِمْتَ أَنَّهُ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ وضحكة وسخرية، مَعَ أَنَّ الْمُعَارِضَ لَمْ يَقْنَعْ بِتَفْسِيرِ إِمَامِهِ الْمَرِيسِيِّ حَتَّى اخْتَرَقَ لِنَفْسِهِ فِيهِ مَذْهَبًا خِلَافَ مَا قَالَ إِمَامه، وخلا مَا يُوجد فِي لُغَات العرب، وَالْعَجَمِ، فَقَالَ: أُصْبُعَاهُ: نِعْمَتَاهُ قَالَ: وَهَذَا جَائِزٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

---

(١) **صحيح بطرقه**: في إسناده يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، وله طرق أخرى عن أنس وغيره، وهو صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

(٢) **صحيح بطرقه**: في إسناده شهر بن حوشب، وهو ضعيف، وهو صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

فَيُقَالُ: لِهَذَا الْمُعَارِضِ: فِي أَيِّ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَجَدْتَ إِجَازَتَهُ؟ وَعَنْ أَيِّ فَقِيهٍ أَخَذْتَهُ.؟ فَاسْتَنِدْ إِلَيْهِ، وَإِلَّا فَإِنَّكَ مِنَ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَلَوْ كُنْتَ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ، أَوِ الْأَصْمَعِيَّ؛ مَا قُبِلَ ذَلِكَ مِنْكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ.اهـ

٧٨) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[١].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة الفرح لله عز وجل.

دلت أحاديث الباب على إثبات صفة الفرح لله عز وجل، كما تليق بجلاله، لا تماثل صفات المخلوقين، ولا نعلم كيفيتها، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

قال الإمام الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٧٨):

فصل في إثبات صفة الفرح لله عز وجل... ثم ساق الأحاديث الدالة على ذلك.اهـ

قال الإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة (٥/ ٨٨):

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٧).

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: قَوْلُهُ: «للهُ أَفْرَحُ»، مَعْنَاهُ: أَرْضَى بِالتَّوْبَةِ وَأَقْبَلُ لَهَا، وَالْفَرَحُ الَّذِي يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ فِي نُعُوتِ بَنِي آدَمَ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ الرِّضَا، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٥٣] أَيْ: رَاضُونَ، وَكَذَلِكَ فُسِّرَ الضَّحِكُ الْوَارِدُ فِي الْحَدِيثِ فِي صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالرِّضَى، وَكَذَلِكَ الاسْتِبْشَارُ قَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمُ: الرِّضَا.

قال البغوي رحمه الله:

وَالْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ فَهِمُوا مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ مَا وَقَعَ التَّرْغِيبُ فِيهِ مِنَ الأَعْمَالِ، وَالإِخْبَارِ عَنْ فَضْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَثْبَتُوا هَذِهِ الصِّفَاتِ للهِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَشْتَغِلُوا بِتَفْسِيرِهَا، مَعَ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].اهـ

قال أبو عبد الله غفر الله له:

رحم الله الإمام الخطابي، وغفر له؛ فقد حرَّف في هذا الموضع، ولو أخذ بما قاله أئمة الحديث والسلف الذين سلك مسلكهم في سائر الصفات؛ لكان أسلم له، وأحكم.

وقال الإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة (١/١٦٨):

وَالإِصْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فِي صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَالنَّفْسِ، وَالْوَجْهِ وَالْعَيْنِ، وَالْيَدِ، وَالرِّجْلِ، وَالإِتْيَانِ، وَالْمَجِيءِ، وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالاِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَالضَّحِكِ، وَالْفَرَحِ.اهـ

قال الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٢٢):

ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين: اليدان، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. وقال عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

فلا نقول يد كيد، ولا نكيف ولا نشبه، ولا نتأول اليدين على القدرتين كما يقول أهل التعطيل والتأويل. بل نؤمن بذلك ونثبت الصفة من غير تحديد ولا تشبيه. ولا يصح حمل اليدين على القدرتين؛ فإن قدرة الله واحدة، ولا على النعمتين فإن نعم الله عز وجل لا تحصى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾.

وكل ما قال الله عز وجل في كتابه، وصح عن رسوله ﷺ بنقل العدل عن العدل، مثل المحبة، والمشيئة، والإرادة، والضحك، والفرح، والعجب، والبغض، والسخط، والكره، والرضا، وسائر ما صح عن الله ورسوله وإن نبت عنها أسماع بعض الجاهلين، واستوحشت منها نفوس المعطلين.اهـ

تحريف المبتدعة لهذه الصفة والرد عليهم.

حرَّف المبتدعة صفة الفرح، وقالوا: المراد بها الرضا، ثم قالوا: الرضا المراد به إرادة الثواب.

وهذا تحريف للصفات عن ظاهرها، وقد أعادوا كثيرًا من الصفات الفعلية إلى معنى الإرادة، ولا شك أنهما مختلفان في المعنى.

وكما أثبتوا لله صفة الإرادة كما تليق بجلاله، لا تماثل صفات المخلوقين؛ فعليهم أن يثبتوا لله بقية الصفات التي أثبتها لنفسه، ولا تماثل صفات المخلوقين؛ فالقول في الصفات كالقول في الذات، والقول في سائر الصفات، كالقول في الصفات السبع التي أثبتها الأشاعرة، من حيث أنها لا تماثل صفات المخلوقين، وأن إثباتها ليس إثبات تمثيل.

وقال الإمام العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية كَمَا فِي مجموع فتاواه (٨/٤٠٤):

في هذا الحديث: إثبات الفرح لله عز وجل؛ فنقول في هذا الفرح: إنه فرح حقيقي، وأشد الفرح، ولكنه ليس كفرح المخلوقين.

الفرح بالنسبة للإنسان هو نشوة وخفة يجدها الإنسان من نفسه عند حصول ما يسره، ولهذا تشعر بأنك إذا فرحت بالشيء كأنك تمشي على الهواء، لكن بالنسبة لله عز وجل لا نفسر الفرح بمثل ما نعرفه من أنفسنا؛ نقول: هو فرح يليق به عز وجل؛ مثل بقية الصفات؛ كما أننا نقول: لله ذات، ولكن لا تماثل ذواتنا؛ فله صفات لا تماثل صفاتنا؛ لأن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات.

فنؤمن بأن الله تعالى له فرح كما أثبت ذلك أعلم الخلق به، محمد ﷺ، وأنصح الخلق للخلق، وأفصح الخلق فيما ينطق به عليه الصلاة والسلام.

ونحن على خطر إذا قلنا: المراد بالفرح الثواب؛ لأن أهل التحريف يقولون: إن الله لا يفرح، والمراد بفرحه: إثابته التائب، أو: إرادة الثواب؛ لأنهم هم يثبتون أن لله تعالى مخلوقا بائنا منه هو الثواب، ويثبتون الإرادة؛ فيقولون في الفرح: إنه الثواب المخلوق، أو إرادة الثواب.

ونحن نقول: المراد بالفرح: الفرح حقيقة؛ مثلما أن المراد بالله عز وجل: نفسه حقيقة، ولكننا لا نمثل صفاتنا بصفات الله أبدا.

ويستفاد من هذا الحديث مع إثباته الفرح لله عز وجل، كمال رحمته جل وعلا ورأفته بعباده؛ حيث يحب رجوع العاصي إليه هذه المحبة العظيمة، هارب من الله، ثم وقف ورجع إلى الله، يفرح الله به هذا الفرح العظيم.اهـ

٧٩) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الـجَنَّةَ**»، فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى القَاتِلِ فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة الضحك لله عز وجل.

دل حديث الباب على إثبات صفة الفرح لله عز وجل، كما تليق بجلاله، لا تماثل صفات المخلوقين، ولا نعلم كيفيتها، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٧٣):

وَقَالَ أَحْمد فِي رِوَايَة حَنْبَل: يضْحك اللهُ، وَلَا نعلم كَيفَ ذَلِك إِلَّا بِتَصْدِيق الرَّسُول ﷺ. وَقد نَص أَحْمد عَلَى القَوْل بِظَاهِر الْأَخْبَار من غير تَشْبِيه وَلَا تَأْوِيل.اهـ

وقال رحمه الله في الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٧٣):

وَأنكر قوم فِي الصِّفَات الضحك، وَقد صَحَّ عَن النَّبِي ﷺ ـ ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي في الباب ـ

قال: وَإِذا صَحَّ الحَدِيث لم يحل لمُسلم رده وَخيف عَلَى من يردهُ الْكفْر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٦)، ومسلم برقم (١٨٩٠).

قَالَ بعض الْعلمَاء: من أنكر الضحك فقد جهل جهلا شَدِيدا، وَمن نسب الحَدِيث إِلَى الضعْف، وَقَالَ: لَو كَانَ قَوِيا لوَجَبَ رده. فهَذَا عَظِيم من القَوْل أَن يرد قَول رَسُول الله ﷺ، وَالْحق أَن الحَدِيث إِذا صَحَّ عَن النَّبِي ﷺ وَجب الْإِيمَان بِهِ، وَلَا تُوصَف صفته بكيفية، وَلَكِن نسلم إِثْبَاتًا لَهُ، وَتَصْدِيقًا بِهِ.اهـ

قال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد (٢/٥٦٣):

بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ ضَحِكِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِلَا صِفَةٍ تَصِفُ ضَحِكَهُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لَا وَلَا يُشَبَّهُ ضَحِكُهُ بِضَحِكِ الْمَخْلُوقِينَ، بَلْ نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَضْحَكُ، كَمَا أَعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ، وَنَسْكُتُ عَنْ صِفَةِ ضَحِكِهِ جَلَّ وَعَلَا، إِذِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَأْثَرَ بِصِفَةِ ضَحِكِهِ، لَمْ يُطْلِعْنَا عَلَى ذَلِكَ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُصَدِّقُونَ بِذَلِكَ، بِقُلُوبِنَا مُنْصِتُونَ عَمَّا لَمْ يُبَيِّنْ لَنَا، مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ.اهـ

وقال الإمام ابن بطة في كتابه الإبانة الكبرى (٧/٩١):

فَكَانَ مِمَّا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، رَوَاهُ أَهْلُ الْعَدَالَةِ، وَمَنْ يَلْزَمُ الْمُؤْمِنِينَ قَبُولُ رِوَايَتِهِ وَتَرْكُ مُخَالَفَتِهِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَضْحَكُ؛ فَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَلَا يَجْحَدُهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ مَذْمُومُ الْحَالِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، دَاخِلٌ فِي الْفِرَقِ الْمَذْمُومَةِ وَأَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْمَهْجُورَةِ، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ بِرَحْمَتِهِ.اهـ

وقال الإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة (١/١٦٨):

وَالإِصْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فِي صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَالنَّفْسِ،

وَالْوَجْهِ وَالْعَيْنِ، وَالْيَدِ، وَالرِّجْلِ، وَالإِتْيَانِ، وَالْمَجِيءِ، وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَالضَّحِكِ، وَالْفَرَحِ.اهـ

قال الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٢٢):

ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين: اليدان، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. وقال عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

فلا نقول يد كيد، ولا نكيف ولا نشبه، ولا نتأول اليدين على القدرتين كما يقول أهل التعطيل والتأويل. بل نؤمن بذلك ونثبت الصفة من غير تحديد ولا تشبيه. ولا يصح حمل اليدين على القدرتين؛ فإن قدرة الله واحدة، ولا على النعمتين فإن نعم الله عز وجل لا تحصى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾.

وكل ما قال الله عز وجل في كتابه، وصح عن رسوله ﷺ بنقل العدل عن العدل، مثل المحبة، والمشيئة، والإرادة، والضحك، والفرح، والعجب، والبغض، والسخط، والكره، والرضا، وسائر ما صح عن الله ورسوله، وإن نبت عنها أسماع بعض الجاهلين، واستوحشت منها نفوس المعطلين.اهـ

وقال أبو إسماعيل الهروي في كتابه الأربعون في دلائل التوحيد (ص٧٦):

باب إثبات الضحك لله عز وجل... ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المذكور في الباب.

تحريف المبتدعة لهذه الصفة، والرد عليهم.

قال الإمام الدارمي رحمه الله في كتابه الرد على المريسي (٢/ ٧٧١):

فادَّعى الْمُعَارِضُ فِي تَفْسِيرِ الضَّحِكِ: أَنَّ ضَحِكَ الرَّبِّ رِضَاهُ وَرَحْمَتُهُ، وَصَفْحُهُ عَنِ الذُّنُوبِ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: رَأَيْتَ زَرْعًا يَضْحَكُ.

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: قَدْ كَذَبْتَ فِيمَا رَوَيْتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الضَّحِكِ، شَبَّهْتَ ضَحِكَهُ بِضَحِكِ الزَّرْعِ؛ لأَنَّ ضحك الزَّرْعِ لَيْسَ بِضَحِكٍ، إِنَّمَا هُوَ خُضْرَتُهُ وَنَضَارَتُهُ، فَجُعِلَ مَثَلًا لِلضَّحِكِ.

فعمَّن رَوَيْتَ هَذَا التَّفْسِيرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، أَنَّ ضَحِكَ الرَّبِّ رِضَاهُ وَرَحْمَتُهُ؟ فسمِّه، وَإِلَّا فَأَنْتَ المحرِّف قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ بِتَأْوِيلِ ضَلَالٍ، إِذْ شَبَّهْتَ ضَحِكَ الله الْحَيِّ الْقَيُّومِ الْفَعَّالِ لِمَا يَشَاءُ ذِي الْوَجْهِ الْكَرِيمِ، وَالسَّمْعِ السَّمِيعِ والبصر البصير، بِضَحِكِ الزَّرْعِ الْمَيِّتِ الَّذِي لَا ضَحِكَ لَهُ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الضَّحِكِ، وَإِنَّمَا ضَحِكُهُ يُمَثَّلُ، وَضَحِكُ الله لَيْسَ يُمَثَّلُ.

وَيْحَكَ! إِنَّ ضَحِكَ الزَّرْعِ نَضَارَتُهُ وَزَهْرَتُهُ وَخُضْرَتُهُ، فَهُوَ أَبَدًا مَا دَامَ أَخْضَرُ ضَاحِكٌ لِكُلِّ أَحَدٍ لِلْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ، وَلِمَنْ يَسْقِيهِ، وَلِمَنْ يَحْصُدُهُ، لَا يَقْصِدُ بِضَحِكِهِ إِلَى شَيْءٍ.

وَاللهُ يَقْصِدُ بِضَحِكِهِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ عِنْدَمَا يُعْجِبُهُ فِعَالُهُمْ، وَيَصْرِفُهُ عَنْ أَعْدَائِهِ فِيمَا يُسْخِطُهُ من أفعالهم. فَالدَّلِيلُ مِنْ فِعْلِ الله أَنَّهُ يَضْحَكُ إِلَى قَوْمٍ وَيَصْرِفُهُ عَنْ قَوْمٍ، أَنَّ ضَحِكَ الزَّرْعِ مَثَلٌ عَلَى الْمَجَازِ، وَضَحِكَ الله أَصْلٌ وَحَقِيقَةٌ لِلضَّحِكِ، وَيَضْحَكُ كَمَا يَشَاءُ، وَالزَّرْعُ أَبَدًا نَضَارَتُهُ وَخُضْرَتُهُ الَّتِي سَمَّيْتَهُ ضَحِكًا قَائِمٌ أَبَدًا حَتَّى يُسْتَحْصَدَ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ ضَحِكَهُ رِضَاهُ وَرَحْمَتُهُ، فَقَدْ صَدَقْتَ فِي بَعْضٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَضْحَكُ إِلَى أحد إِلَّا عَن رضى، فَيَجْتَمِعُ مِنْهُ الضَّحِكُ وَالرِّضَا. وَلَا يَصْرِفُهُ إِلَّا عَنْ عَدُوٍّ، وَأَنْتَ تَنْفِي الضَّحِكَ عَنِ اللهِ، وَتُثْبِتُ لَهُ الرِّضَا وَحْدَهُ.

وَلَئِنْ جَزَعْتَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الضَّحِكِ حَتَّى نَفَيْتَهُ عَنِ اللهِ بِمَعْنى ضحك الزَّرْعِ، مَالك مِنْ رَاحَةٍ فِيمَا رَوَى عَنْهُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا يُكَذِّبُ دَعْوَاكَ وَيَسْتَحِيلُ بِهِ تفسيرك.

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**آخر رجل يدْخل الْجَنَّة يمشي، يَكْبُو عَلَى الصِّرَاطِ وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي أَنْجَانِي مِنْكِ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ادْنُنِي مِنْهَا، فَيُدْنِيَهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟**»

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ ربُّ الْعَالَمِينَ؟ فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تَسْأَلُنِي مِمَّ ضَحِكْتُ؟ هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ ضَحِكَ ثُمَّ قَالَ: «**أَلا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟**» فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ فَقَالَ: «**مِنْ ضَحِكِ ربِّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ حِينَ يَقُولُ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي، فَيَقُولُ اللهُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ، فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ**»[(١)].

أَفَلَا تَسْمَعُ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ**»، أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ ضَحِكَ الزَّرْعِ؛ لِأَنَّهُ يُقَال للزَّرْع: فَالزَّرْعُ مَا دَامَ أَخْضَرَ فَهُوَ

---

(١) أخرجه مسلم أيضًا برقم (١٨٧).

مُضَاحِكُ الشَّمْسِ أَبَدًا، لَا يخصُّ بِضَحِكِهِ أَحَدًا، وَلَا يَصْرِفُهُ عَنْ أَحَدٍ. وَاللهُ يَضْحَكُ إِلَى قَوْمٍ، وَيَصْرِفُهُ عَنْ آخَرِينَ.

وَحَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا حَمَّادُ، أَخْبَرَنَا يعلى بن عطاء، عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعَقِيلِيِّ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ**»، قَالَ أَبُو رَزِينٍ: أَيَضْحَكُ الرَّبُّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا(١).

فَهَذَا حَدِيثُكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ الَّذِي رَوَيْتَهُ وَثَبَّتَّهُ وَفَسَّرْتَهُ، وَأَقْرَرْتَ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ قَالَهُ، فَفِي نَفْسِ حَدِيثِكَ هَذَا مَا يَنْقُضُ دَعْوَاكَ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي رَزِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «**أيضحك الرب؟**».

وَلَو كَانَ تَفْسِيرُ الضَّحِكِ الرِّضَى وَالرَّحْمَةُ وَالصَّفْحُ مِنَ الذُّنُوبِ فَقَطْ، كَانَ أَبُو رَزِينٍ فِي دَعْوَاكَ إِذًا جَاهِلًا أَنْ لَا يَعْلَمَ أَنَّ ربَّه يرحم ويرضى ويغفر الذنوب، حَتَّى يَسْأَلَ رَسُولَ الله ﷺ: أَيَرْحَمُ رَبُّنَا وَيَغْفِرُ وَيَصْفَحُ عَنِ الذُّنُوبِ؟

بَلْ هُوَ كَافِرٍ فِي دعواك، إذا لم يعرف الله بالرضى وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَقَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ مَا ذَكَرَ اللهُ فِيهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَصَفْحِهِ عَنِ الذُّنُوبِ، وإِنَّمَا سَأَلَهُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ لَا عَمَّا عَلِمَ، وَآمَنَ بِهِ قَبْلُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَوَجَدَ فِيهِ ذِكْرَهُ، وَلَمْ يجِدْ فِيهِ ذكر الضحك.

---

(١) **ضعيف**: وأخرجه أحمد (١٦١٨٦)، وأبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجه (١٨٠) من طريق يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس، ويقال: ابن عُدُس، عن أبي رزين العقيلي به. ووكيع مجهول.

فَلَمَّا أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَضْحَكُ قَالَ: «**لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا**» وَلَوْ كَانَ عَلَى تَأْوِيلِكَ لَاسْتَحَالَ أَنْ يَقُولَ أَبُو رَزِينٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَرْحَمُ ويرضى ويغفر خيرًا، لِمَا أَنَّهُ قَدْ آمَنَ وَقَرَأَ قَبْلُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فَاعْقِلْهُ، وَمَا أُرَاكَ تَعْقِلُهُ.

ثُمَّ لم تأنف من هَذَا التَّأْوِيلَ حَتَّى ادَّعيت عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ يُفَسِّرُونَ ضَحِكَ الله عَلَى مَا يَعْقِلُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

وَهَذَا كَذِبٌ تَدَّعِيهِ عَلَيْهِمْ؛ لأَنَّا لَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يُشَبِّهُ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِ الله تَعَالَى بِشَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِ الْمَخْلُوقِينَ، ولكنَّا نَقُولُ: يَضْحَكُ كَمَا يَشَاءُ وَكَمَا يَلِيقُ بِهِ، وَتَفْسِيرُكَ هَذَا مَنْبُوذٌ فِي حَشِّكَ.

ثُمَّ فَسَّرْتَ الضَّحِكَ تَفْسِيرًا أَوْحَشَ مِنْ هَذَا أَيْضًا فَقُلْتَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ضَحِكُهُ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله ضَاحِكًا يَأْتِيهِمْ مُبَشِّرًا وَمُغِيثًا وَدَلِيلًا إِلَى الْجَنَّةِ.

وَيْحَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ! أَلَا تَسْمَعُ مَا فِي حَدِيثِكَ الَّذِي رَوَيْتَهُ وَثَبَّتَّهُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيَضْحَكُ رَبُّنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، وَلَمْ يَقُلْ: أَيَخْلُقُ اللهُ خَلْقًا يَضْحَكُ، ثُمَّ قَالَ: «**لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا**»، وَلَمْ يَقُلْ: لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَخْلُقُ الضَّاحِكَ، فَهَذَا فِي نَفْسِ حَدِيثِكَ لَوْ قَدْ عَقِلْتَهُ، وأَنَّى لَكَ الْعَقْلُ مَعَ هَذَا التَّخْلِيطِ؟.

وادَّعيت أَيْضًا تَفْسِيرًا لِلضَّحِكِ أَبْعَدَ مِنْ هَذَا مِنَ الْحَقِّ وَالْمَعْقُولِ؛ فَزَعَمْتَ أَنَّ اللهَ يَضْحَكُ مِنْ رَجُلٍ أَوْ مِنْ شَيْءٍ تُفَسِّرُهُ أَنَّهُ يُضْحِكُهُ وَيَسُرُّهُ، فَذَلِكَ ضَحِكُ الله تَعَالَى عَلَى النِّسْبَةِ، يَعْنِي أَنَّ الْخَلْقَ وَضَحِكَهُمْ وَكَلَامَهُمْ للهِ.

فيُقال لَكَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ: إِذَا تَحَوَّلَتِ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى لُغَتِكَ وَلُغَاتِ أَصْحَابِكَ جَازَ فِيهَا أَنْكَرُ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ، وَأَفْحَشُ مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ، وَهَذَا أَيْضًا بَيِّنٌ فِي نَفْسِ

حَدِيثِكَ الَّذِي رَوَيْتَهُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ لَهُ: «**أَيَضحَك رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟**»، وَلَمْ يَقُلْ: أَيُضحِك رَبُّنَا، وَلَوْ قَالَ كَذَلِكَ لَكَانَ جَاهِلًا؛ إِذْ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُضحِك الرَّبُّ الْخَلْقَ؟ وَقَدْ قَرَأَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾، فَلَوِ اشْتَغَلْتَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِيمَا تَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ مَسَائِلِ أَبِي يُوسُفَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَنُظَرَائِهِمْ كَانَ أَعْذَرَ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَعَرَّضَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الصِّعَابِ الْمَعَانِي الَّتِي كَانَ يَسْتَعْفِي مِنْ تَفْسِيرِهَا الْعُلَمَاءُ وَأَصْحَابُ الْعَرَبِيَّةِ الْبُصَرَاءُ فَتُفَسِّرُهَا بِجَهْلٍ وَضَلَالٍ.اهـ

تنبيه:

أخطأ الإمام ابن عبد البر رحمه الله في هذه المسألة، وحرَّف صفة الضحك كما في التمهيد (١٨/ ٣٤٥)، ولو أنه سلك مسلك السلف، الذي سلكه في سائر الصفات لكان خيرًا له، وأسلم، وأحكم.

٨٠) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا؛ أَلْقِيهِ فِي النَّارِ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ(١).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفتي العزة، والكبرياء لله عز وجل.

دل حديث الباب على إثبات صفتي العزة، والكبرياء لله عز وجل، وهما صفتان تليقان بجلال الله وعظمته. لا تماثلان صفة المخلوق.

ومن أدلة إثبات صفة العزة: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] . وقوله جل وعلا: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وقوله: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، ﴿فللهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠]، وقوله تعالى ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] .

وفي "الصحيحين" عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠)، وأحمد (٧٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ لمسلم.

وفي "سنن أبي داود" (٣٨٩١)، وغيره عن عثمان بن أبي العاص، أن النبي ﷺ علمه دعاء يدعو به، يقول: أعوذُ بعزةِ الله وقُدرتِه، مِن شرِّ ما أجِدُ. وأصله في مسلم (٢٢٠٢).

ومن أدلة إثبات صفة الكبر، والكبرياء:

قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]. وقوله: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧].

وفي الصحيحين عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»[1].

معاني العزة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية (ص٢٠٥):

وهو العزيز فلن يرام جنابه *** أنى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم *** يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه *** فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه *** من كل وجه عادم النقصان

قلت: فالعزة ثلاث معاني: عزة امتناع، وعزة قهر وغلبة، وعزة قوة وقدر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٧٨)، ومسلم برقم (١٨٠).

٨١) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الـجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ» أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ(١).

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة العَجَبِ لله عز وجل.

دل حديث الباب على إثبات صفة الفرح لله عز وجل، كما تليق بجلاله، لا تماثل صفات المخلوقين، ولا نعلم كيفيتها، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢] . بقراءة ضم التاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولهمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥].

وروى أَبو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠١٠).

شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**» متفق عليه، واللفظ لمسلم(١).

وأخرج أحمد (١٧٤٤٣) بإسناد صحيح عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ الشَّظِيَّةِ لِلْجَبَلِ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللهُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ، يَخَافُ شَيْئًا؟ قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٦/ ١٢٣):

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (التَّعَجُّبُ اسْتِعْظَامٌ لِلْمُتَعَجَّبِ مِنْهُ). فَيُقَالُ: نَعَمْ. وَقَدْ يَكُونُ مَقْرُونًا بِجَهْلٍ بِسَبَبِ التَّعَجُّبِ، وَقَدْ يَكُونُ لِمَا خَرَجَ عَنْ نَظَائِرِهِ، وَاَللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَعْلَمَ سَبَبَ مَا تَعَجَّبَ مِنْهُ؛ بَلْ يَتَعَجَّبُ لِخُرُوجِهِ عَنْ نَظَائِرِهِ تَعْظِيمًا لَهُ. وَاَللَّهُ تَعَالَى يُعَظِّمُ مَا هُوَ عَظِيمٌ؛ إمَّا لِعَظَمَةِ سَبَبِهِ أَوْ لِعَظَمَتِهِ. فَإِنَّهُ وَصَفَ بَعْضَ الْخَيْرِ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ. وَوَصَفَ بَعْضَ الشَّرِّ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَوْلَا إذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٩٨)، ومسلم برقم (٢٠٥٤) واللفظ لمسلم.

بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ وَقَالَ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ عَلَى قِرَاءَةِ الضَّمِّ، فَهُنَا هُوَ عَجَبٌ مِنْ كُفْرِهِمْ مَعَ وُضُوحِ الْأَدِلَّةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي آثَرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ ضَيْفَهُمَا: «**لَقَدْ عَجِبَ اللهُ**» وَفِي لَفْظٍ فِي الصَّحِيحِ: «**لَقَدْ ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ مِنْ صُنْعِكُمَا الْبَارِحَةَ**». وَقَالَ: «**عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**»(١) وَقَالَ: «**عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ عَلَى رَأْسِ شَظِيَّةٍ، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ، فَيَقُولُ اللهُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي**» أَوْ كَمَا قَالَ. وَنَحْوَ ذَلِكَ.اهـ مختصرا

بعض المعاني لعَجَب الله عز وجل:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كمَا فِي بدائع الفوائد (٤/ ٨):

التعجب كما يدل على محبة الله لفعل نحو «**عَجِب ربك من شاب ليست له صبوة**» و«**يعجب ربك من رجل ثار من فراشه، ووطائه إلى الصلاة**»(٢) ونحو ذلك.

فقد يدل على بغض الفعل نحو قوله: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ وقوله: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ وقد يدل على امتناع الحكم، وعدم حسنه نحو: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ وقد يدل على حسن المنع منه، وأنه لا يليق به فعله نحو: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾.اهـ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (١٧٣٧١) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٤٩) عن ابن مسعود، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

٨٢) وَعَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله تَعَالَى إِلا أُجِرْتَ عَلَيْهَا؛ حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديث

إثبات صفة الوجه لله عز وجل.

دل حديث الباب على إثبات صفة الفرح لله عز وجل، كما تليق بجلاله، لا تماثل صفات المخلوقين، ولا نعلم كيفيتها، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] . وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] . والآيات في ذلك كثيرة معلومة.

تحريف المبتدعة لهذه الصفة والرد عليهم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٤٠٧):

وَجْهُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَيْثُ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَيْسَ بِمَجَازٍ بَلْ عَلَى حَقِيقَتِهِ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٤٢)، ومسلم برقم (١٦٢٨).

وَاخْتَلَفَ الْمُعَطِّلُونَ فِي جِهَةِ التَّجَوُّزِ فِي هَذَا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَفْظُ الْوَجْهِ زَائِدٌ، وَالتَّقْدِيرُ وَيَبْقَى رَبُّكَ، إِلَّا ابْتِغَاءَ رَبِّهِ الْأَعْلَى، وَيُرِيدُونَ رَبَّهُمْ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ: الْوَجْهُ بِمَعْنَى الذَّاتِ، وَهَذَا قَوْلُ أُولَئِكَ وَإِنِ اخْتَلَفُوا فِي التَّعْبِيرِ عَنْهُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: ثَوَابُهُ وَجَزَاؤُهُ، فَجَعَلَهُ هَؤُلَاءِ مَخْلُوقًا مُنْفَصِلًا، قَالُوا: لِأَنَّ الَّذِي يُرَادُ هُوَ الثَّوَابُ.

وَهَذِهِ أَقْوَالٌ نَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْعَظِيمِ مِنْ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ، وَقَدْ حَكَى قَوْلَ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «**إِذَا قَامَ الْعَبْدُ يُصَلِّي أَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ**» يُحْتَمَلُ أَنْ يُقْبِلَ اللهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَأَفْعَالِهِ وَمَا أَوْجَبَ لِلْمُصَلِّي مِنَ الثَّوَابِ، فَقَوْلُهُ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] أَيْ مَا تُوِجَّهَ بِهِ إِلَى رَبِّكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] أَيْ قِبْلَةُ اللهِ.

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ لَفْظَ الْوَجْهِ مَجَازٌ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمَجَازَ لَا يُمْتَنَعُ نَفْيُهُ، فَعَلَى هَذَا لا يَمْتَنِعَ أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ للهِ وَجْهٌ وَلَا حَقِيقَةَ لِوَجْهِهِ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ صَرِيحٌ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَأَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

الثَّانِي: أَنَّهُ خُرُوجٌ عَنِ الْأَصْلِ وَالظَّاهِرِ بِلَا مُوجِبٍ.

الثَّالِثُ: أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ كَوْنَ حَيَاتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَقُدْرَتِهِ وَكَلَامِهِ وَإِرَادَتِهِ وَسَائِرِ صِفَاتِهِ مَجَازًا لَا حَقِيقَةً، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ.

الرَّابِعُ: أَنَّ دَعْوَى الْمُعَطِّلِ أَنَّ الْوَجْهَ صِلَةٌ كَذِبٌ عَلَى اللهِ وَعَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى اللُّغَةِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَيْسَتْ مِمَّا عُهِدَ زِيَادَتُهَا.

الْخَامِسُ: أَنَّهُ لَوْ سَاغَ ذَلِكَ لَسَاغَ لِمُعَطِّلٍ آخَرَ أَنْ يَدَّعِيَ الزِّيَادَةَ فِي قَوْلِهِ: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ**»، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ أَعُوذُ بِاللهِ، وَيَدَّعِي مُعَطِّلٌ آخَرُ الزِّيَادَةَ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

السَّادِسُ: أَنَّ هَذَا يَتَضَمَّنُ إِلْغَاءَ وَجْهِهِ لَفْظًا وَمَعْنًى، وَأَنَّ لَفْظَهُ زَائِدٌ وَمَعْنَاهُ مُنْتَفٍ.

السَّابِعُ: مَا ذَكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا، قَالُوا: لَمَّا أَضَافَ الْوَجْهَ إِلَى الذَّاتِ وَأَضَافَ النَّعْتَ إِلَى الْوَجْهِ فَقَالَ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] دَلَّ عَلَى أَنَّ ذِكْرَ الْوَجْهِ لَيْسَ بِصِلَةٍ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] صِفَةٌ لِلْوَجْهِ، وَأَنَّ الْوَجْهَ صِفَةٌ لِلذَّاتِ.

قُلْتُ: فَتَأَمَّلْ رَفْعَ قَوْلِهِ ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] عِنْدَ ذِكْرِهِ الْوَجْهَ، وَجَرِّهِ فِي قَوْلِهِ ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

الثَّامِنُ: أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ فِي لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ الْأُمَمِ (وَجْهُ الشَّيْءِ) بِمَعْنَى ذَاتِهِ وَنَفْسِهِ، وَغَايَةُ مَا شَبَّهَ بِهِ الْمُعَطِّلُ وَجْهَ الرَّبِّ أَنْ قَالَ: هُوَ كَقَوْلِهِ: (وَجْهُ الْحَائِطِ)، وَ(وَجْهُ الثَّوْبِ)، وَ(وَجْهُ النَّهَارِ)، وَ(وَجْهُ الْأَمْرِ).

فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَطِّلِ الْمُشَبِّهِ: لَيْسَ الْوَجْهُ فِي ذَلِكَ بِمَعْنَى الذَّاتِ، بَلْ هَذَا مُبْطِلٌ لِقَوْلِكَ فَإِنَّ وَجْهَ الْحَائِطِ أَحَدُ جَانِبَيْهِ فَهُوَ مُقَابِلٌ لِدُبُرِهِ، وَكَمِثْلِ هَذَا وَجْهُ الْكَعْبَةِ وَدُبُرُهَا، فَهُوَ وَجْهٌ حَقِيقَةً، وَلَكِنَّهُ بِحَسْبِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ بِنَاءً كَانَ وَجْهُهُ مِنْ جِنْسِهِ وَكَذَلِكَ وَجْهُ الثَّوْبِ أَحَدُ جَانِبَيْهِ، وَهُوَ مِنْ جِنْسِهِ وَكَذَلِكَ وَجْهُ النَّهَارِ أَوَّلُهُ، وَلَا يُقَالُ لِجَمِيعِ النَّهَارِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَجْهُ النَّهَارِ أَوَّلُهُ[1]. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: صَدْرُ النَّهَارِ.

وَالْوَجْهُ فِي اللُّغَةِ مُسْتَقْبِلُ كُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يُوَاجَهُ مِنْهُ، وَوَجْهُ الرَّأْيِ وَالْأَمْرِ مَا يَظْهَرُ أَنَّهُ صَوَابُهُ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَحَلٍّ بِحَسْبِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ، فَإِنْ أُضِيفَ إِلَى زَمَنٍ كَانَ الْوَجْهُ زَمَنًا، وَإِنْ أُضِيفَ إِلَى حَيَوَانٍ كَانَ بِحَسْبِهِ، وَإِنْ أُضِيفَ إِلَى ثَوْبٍ أَوْ حَائِطٍ كَانَ بِحَسْبِهِ، وَإِنْ أُضِيفَ إِلَى مَنْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] كَانَ وَجْهُهُ تَعَالَى كَذَلِكَ.

التَّاسِعُ: أَنَّ حَمْلَهُ عَلَى الثَّوَابِ الْمُنْفَصِلِ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ، فَإِنَّ اللُّغَةَ لَا تَحْتَمِلُ ذَلِكَ وَلَا يُعْرَفُ أَنَّ الْجَزَاءَ يُسَمَّى وَجْهًا لِلْمَجَازِيِّ.

الْعَاشِرُ: أَنَّ الثَّوَابَ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ اسْتَعَاذَ بِوَجْهِ اللهَّ فِمِنْ دُعَائِهِ يَوْمَ الطَّائِفِ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»، وَلَا يُظَنُّ بِرَسُولِ اللهَّ ﷺ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِمَخْلُوقٍ.

وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] . قَالَ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**».

الْحَادِي عَشَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي دُعَائِهِ: «**أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ**» وَلَمْ يَكُنْ لِيَسْأَلَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى الثَّوَابِ، وَلَا يُعْرَفُ تَسْمِيَةُ ذَلِكَ وَجْهًا، لُغَةً وَلَا شَرْعًا وَلَا عُرْفًا.

---

(١) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم في تفسير الآية، بإسناد فيه قابوس بن أبي ظبيان، وفيه ضعف، وأخرجه ابن جرير من وجه آخر بسلسلة العوفيين، وهي سلسلة ضعيفة.

الثَّانِي عَشَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللهِ فَأَعْطُوهُ» وَفِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةَ».

الثَّالِثَ عَشَرَ: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ، وَيَرْفَعُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

فَإِضَافَةُ السُّبُحَاتِ الَّتِي هِيَ الْجَلَالُ وَالنُّورُ إِلَى الْوَجْهِ وَإِضَافَةُ الْبَصَرِ إِلَيْهِ تُبْطِلُ كُلَّ مَجَازٍ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ وَجْهُهُ.

الرَّابِعَ عَشَرَ: مَا قَالَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: لَيْسَ عِنْدَ رَبِّكُمْ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ، نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ[1]، فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يُحْمَلَ الْوَجْهُ فِي هَذَا عَلَى مَخْلُوقٍ أَوْ يَكُونَ صِلَةً لَا مَعْنَى لَهُ، أَوْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْقِبْلَةِ وَالْجِهَةِ، وَهَذَا مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَأَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ»[2].

---

(١) ضعيف: أخرجه الدارمي في "النقض على المريسي" (ص٤٧٥، و٧٤١)، وأبو داود في "الزهد" (١٥٨)، والطبراني في "الكبير" (٨٨٨٦)، وأبو الشيخ في "العظمة" (١١١)، وأبو نعيم في "الحلية" (١/ ١٣٧)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٧٤) من طريق حماد بن سلمة، عن الزبير أبي عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله بن مكرز، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لجَهَالَةِ الزُّبَيرِ أبي عَبدِ السَّلَام، وهو ابن جُوَاتَشِير، وَأَيُّوبُ بنُ عَبدِ الله مجهُولُ الحَالِ أَيْضًا.

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٣/ ٧٣)، وفي "الدعاء" (١٠٣٦) من حديث عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو ضمن دعاء طويل، دعا به النبي ﷺ يوم أصابه الكرب في دعوته في الطائف،=

الْخَامِسَ عَشَرَ: أَنَّ مَنْ تَدَبَّرَ سِيَاقَ الْآيَاتِ، وَالْأَحَادِيثِ، وَالْآثَارِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ وَجْهِ اللهِ الْأَعْلَى ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ قَطَعَ بِبُطْلَانِ قَوْلِ مَنْ حَمَلَهَا عَلَى الْمَجَازِ، وَأَنَّهُ الثَّوَابُ وَالْجَزَاءُ، لَوْ كَانَ اللَّفْظُ صَالِحًا فِي ذَلِكَ لُغَةً، فَكَيْفَ وَاللَّفْظُ لَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ لُغَةً، فَمِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ١٩ - ٢٠].

الْوَجْهُ السَّادِسُ عَشَرَ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم وَالتَّابِعِينَ وَجَمِيعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، وَأَهْلِ الِاسْتِقَامَةِ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ وَجْهَ رَبِّهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الزِّيَادَةُ الَّتِي فَسَّرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّحَابَةُ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قَالَ: «**النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَعَالَى**»، فَمَنْ أَنْكَرَ حَقِيقَةَ الْوَجْهِ؛ لَمْ يَكُنْ لِلنَّظَرِ عِنْدَهُ حَقِيقَةٌ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أَنْكَرَ الْوَجْهَ وَالْعُلُوَّ، فَيَعُودُ النَّظَرُ عِنْدَهُ إِلَى خَيَالٍ مُجَرَّدٍ.

الْوَجْهُ السَّابِعُ عَشَرَ: أَنَّ الْوَجْهَ حَيْثُ وَرَدَ فَإِنَّمَا وَرَدَ مُضَافًا إِلَى الذَّاتِ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِهِ، وَالْمُضَافُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى نَوْعَانِ:

أَعْيَانٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا كَبَيْتِ اللهِ وَنَاقَةِ اللهِ وَرُوحِ اللهِ وَعَبْدِ اللهِ وَرَسُولِ اللهِ فَهَذَا إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ وَتَخْصِيصٍ، وَهِيَ إِضَافَةُ مَمْلُوكٍ إِلَى مَالِكِهِ.

= وهو بطوله: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**». وإسناده ضعيف؛ في إسناده عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس، ولم يصرح بالسماع.

(الثَّانِي) صِفَاتٌ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا كَعِلْمِ اللهِ وَحَيَاتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعِزَّتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَنُورِهِ وَكَلَامِهِ، فَهَذَا إِذَا وَرَدَتْ مُضَافَةً إِلَيْهِ فَهِيَ إِضَافَةُ صِفَةٍ إِلَى الْمَوْصُوفِ بِهَا.

إِذَا عُرِّفَ ذَلِكَ فَوَجْهِه الْكَرِيم وَسَمْعُه وَبَصَرُه إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهِ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ إِضَافَتُهُ إِضَافَةَ وَصْفٍ لَا إِضَافَةَ خَلْقٍ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ تَنْفِي أَنْ يَكُونَ الْوَجْهُ مَخْلُوقًا وَأَنْ يَكُونَ حَشْوًا فِي الْكَلَامِ، وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(١).

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَرَنَ فِي الِاسْتِعَاذَةِ بَيْنَ اسْتِعَاذَتِهِ بِالذَّاتِ وَبَيْنَ اسْتِعَاذَتِهِ بِالْوَجْهِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي إِبْطَالِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ الذَّاتُ نَفْسُهَا، وَقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ.

الْوَجْهُ الثَّامِنُ عَشَرَ: أَنَّ تَفْسِيرَ وَجْهِ اللهِ بِقِبْلَةِ اللهِ، وَإِنْ قَالَهُ بَعْضُ السَّلَفِ كَمُجَاهِدٍ وَتَبِعَهُ الشَّافِعِيُّ، فَإِنَّمَا قَالُوهُ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ لَا غَيْرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فَهَبْ أَنَّ هَذَا كَذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا الْوَجْهَ، فَمَا يُفِيدُكُمْ هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وَقَوْلِهِ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠] وَقَوْلِهِ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] عَلَى أَنَّ الصَّحِيحَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. أَنَّهُ كَقَوْلِهِ فِي سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا الْوَجْهُ، فَإِنَّهُ قَدِ اطَّرَدَ مَجِيئُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مُضَافًا إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَعْنًى وَاحِدٍ، فَلَيْسَ فِيهِ مَعْنَيَانِ مُخْتَلِفَانِ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ غَيْرَ الْمَوْضِعِ

---

(١) **حسن:** أخرجه أبو داود (٤٦٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بإسنادٍ حسنٍ.

الَّذِي ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وَهَذَا لَا يَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى الْقِبْلَةِ وَالْجِهَةِ، وَلَا يُمْتَنَعُ أَنْ يُرَادَ بِهِ وَجْهُ الرَّبِّ حَقِيقَةً، فَحَمْلُهُ عَلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ كَنَظَائِرِهِ كُلِّهَا أَوْلَى، يُوَضِّحُهُ:

الْوَجْهُ التَّاسِعُ عَشَرَ: أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِطْلَاقُ وَجْهِ اللَّهِ عَلَى الْقِبْلَةِ لُغَةً وَلَا شَرْعًا وَلَا عُرْفًا، بَلِ الْقِبْلَةُ لَهَا اسْمٌ يَخُصُّهَا، وَالْوَجْهُ لَهُ اسْمٌ يَخُصُّهُ، فَلَا يَدْخُلُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ وَلَا يُسْتَعَارُ اسْمُهُ لَهُ، نَعَمْ، الْقِبْلَةُ تُسَمَّى وِجْهَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ [البقرة: ١٤٨].

وَقَدْ تُسَمَّى جِهَةً وَأَصْلُهَا وِجْهَةٌ لَكِنْ أُعِلَّتْ بِحَذْفِ فَائِهَا كَزِنَةٍ وَعِدَةٍ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ قِبْلَةً وَوِجْهَةً لِأَنَّ الرَّجُلَ يُقَابِلُهَا وَيُوَاجِهُهَا بِوَجْهِهِ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا وَجْهًا فَلَا عَهْدَ بِهِ، فَكَيْفَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَعَ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ تَسْمِيَةُ الْقِبْلَةِ (وِجْهَةَ اللَّهِ) فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ، فَكَيْفَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا وَجْهُ اللَّهِ وَلَا يُعْرَفُ تَسْمِيَتُهَا وَجْهًا؟!

الْوَجْهُ الْعِشْرُونَ: أَنَّ الْآيَةَ لَوِ احْتَمَلَتْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ لَكَانَ الْأَوْلَى بِهَا إِرَادَةُ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ؛ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ مَقْصُودُهُ التَّوَجُّهُ إِلَى رَبِّهِ، فَكَانَ مِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّهُ إِلَى أَيِّ الْجِهَاتِ صَلَّيْتَ فَأَنْتَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى رَبِّكَ، لَيْسَ فِي اخْتِلَافِ الْجِهَاتِ مَا يَمْنَعُ التَّوَجُّهَ إِلَى رَبِّكَ، فَجَاءَتِ الْآيَةُ وَافِيَةً بِالْمَقْصُودِ فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

فَأَخْبَرَ أَنَّ الْجَمِيعَ مُلْكُهُ وَقَدْ خَلَقَهُ، وَقَدْ عُلِمَ بِالْفِطْرَةِ وَالشَّرْعِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ الْعَالَمِ مُحِيطٌ بِالْمَخْلُوقَاتِ عَالٍ عَلَيْهَا بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، فَمَنِ اسْتَقْبَلَ وِجْهَةً مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ أَوِ الشَّمَالِ أَوِ الْجَنُوبِ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ مُتَوَجِّهٌ إِلَى رَبِّهِ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ تَعَالَى قِبَلَ

وَجْهِهِ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ صَلَّى، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَلَا يُتَوَهَّمُ تَنَافِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، بَلِ اجْتِمَاعُهُمَا هُوَ الْوَاقِعُ.

وَلِهَذَا عَامَّةُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ جَعَلَ الْآيَةَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَذَكَرَهَا مَعَ الْوَجْهِ، مَعَ قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ.

الْوَجْهُ الحادي وَالْعِشْرُونَ: أَنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ وَجَدْتَهَا مُفَسِّرَةً لِلْآيَةِ، مُشْتَقَّةً مِنْهُ كَقَوْلِهِ ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ**»[1]، وَقَوْلِهِ: «**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ؛ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ**»[2] رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ.؟.اهباختصار

وقال الإمام العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية كما في مجموع فتاواه (٨/٢٤٠):

وقد فسر أهل التحريف وجه الله بثوابه، فقالوا: المراد بالوجه في الآية الثواب، كل شيء يفنى، إلا ثواب الله!

ففسروا الوجه الذي هو صفة كمال، فسروه بشيء مخلوق بائن عن الله قابل للعدم والوجود، فالثواب حادث بعد أن لم يكن، وجائز أن يرتفع، لولا وعد الله ببقائه؛ لكان من حيث العقل جائزًا أن يرتفع، أعني: الثواب.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (١١١٨٥) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد حسن على شرط مسلم.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١٧١٧٠)، والترمذي (٢٨٦٣)، وابن حبان (٦٢٣٣) عن الحارث الأشعري بإسناد صحيح.

فهل تقولون الآن: إن وجه الله الذي وصف الله به نفسه من باب الممكن أو من باب الواجب؟

إذا فسروه بالثواب، صار من باب الممكن الذي يجوز وجوده وعدمه.

وقولهم مردود بما يلي:

أولًا: أنه مخالف لظاهر اللفظ، فإن ظاهر اللفظ أن هذا وجه خاص، وليس هو الثواب.

ثانيًا: أنه مخالف لإجماع السلف، فما من السلف أحد قال: إن المراد بالوجه الثواب! وهذه كتبهم بين أيدينا مزبورة محفوظة، أخرجوا لنا نصًا عن الصحابة أو عن أئمة التابعين، ومن تبعهم بإحسان أنهم فسروا هذا التفسير، لن تجدوا إلى ذلك سبيلًا أبدًا.

ثالثًا: هل يمكن أن يوصف الثواب بهذه الصفات العظيمة: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] لا يمكن. لو قلنا مثلًا جزاء المتقين ذو جلال وإكرام! فهذا لا يجوز أبدًا، والله تعالى وصف وجهه بأنه ذو الجلال والإكرام.

رابعًا: نقول: ما تقولون في قول الرسول ﷺ: «**حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**». فهل الثواب له هذا النور الذي يحرق ما انتهى إليه بصر الله من الخلق؟ أبدًا، ولا يمكن.

وبهذا عرفنا بطلان قولهم، وأن الواجب علينا أن نفسر هذا الوجه بما أراده الله به، وهو وجه قائم به تبارك وتعالى موصوف بالجلال والإكرام.

واعلم أن هذا الوجه العظيم الموصوف بالجلال والإكرام وجه لا يمكن الإحاطة به وصفًا، ولا يمكن الإحاطة به تصورًا، بل كل شيء تقدره، فإن الله تعالى فوق ذلك وأعظم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

أورد المبتدعة على أهل السنة قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) قالوا: إلا ذاته.

وقال الإمام العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية كَمَا فِي مجموع فتاواه (٨/٢٤٣):

فإن قيل: ما المراد بالوجه في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ؟

إن قلت: المراد بالوجه الذات، فيخشى أن تكون حرفت، وإن أردت بالوجه نفس الصفة أيضًا وقعت في محظور، وهو ما ذهب إليه بعض من لا يقدرون الله حق قدره، حيث قالوا: إن الله يفنى إلا وجهه - فماذا تصنع؟!

فالجواب: إن أردت بقولك: إلا ذاته، يعني: أن الله تعالى يبقى هو نفسه مع إثبات الوجه لله، فهذا صحيح، ويكون هنا عبر بالوجه عن الذات لمن له وجه.

وإن أردت بقولك: الذات: أن الوجه عبارة عن الذات بدون إثبات الوجه، فهذا تحريف وغير مقبول.

وعليه فنقول: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾، أي: إلا ذاته المتصفة بالوجه، وهذا ليس فيه شيء؛ لأن الفرق بين هذا وبين قول أهل التحريف أنهم يقولون: إن المراد بالوجه الذات؛ لا أن له وجهًا، فعبر به عن الذات.اهـ

٨٣) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وأحمد، واللفظ لأحمد[١].

٨٤) وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[٢].

مسائل العقيدة المستفادة من الحديثين

إثبات صفتي الرضا، والسخط لله عز وجل.

دلت أحاديث الباب على إثبات صفتي الرضا، والسخط لله عز وجل، وهما صفتان تليقان بجلال الله وعظمته. لا تماثلان صفة المخلوق.

ومن أدلة إثبات صفة الرضا أيضًا:

قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ في آيات كثيرة من كتاب الله.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٥)، وأحمد (٨٧٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)، وأخرجه ابن ماجه (١١٧٩)، والترمذي (٣٨٨٢)، والنسائي في (١٧٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده صحيح.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] . وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وفي صحيح مسلم (٤٨٦) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**».

وفي صحيح مسلم (١٧١٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ**».

ومن الأدلة في إثبات صفة السخط لله عز وجل أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠] .

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨] .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

تحريف المبتدعة لهاتين الصفتين والرد عليهم.

وقال الإمام العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية كَمَا فِي مجموع فتاواه (٨/٤٠٨):

قال أهل التعطيل: والمراد بالرضى الثواب، أو إرادة الثواب.

فالجواب أن نقول: هذا تحريف للكلم عن مواضعه؛ فما الذي أدراكم أن المراد بالرضى الثواب؟ فأنتم الآن قلتم على الله ما لا تعلمون من وجهين:

الوجه الأول: صرفتم النص عن ظاهره بلا علم.

الوجه الثاني: أثبتم له معنى خلاف الظاهر بلا علم.

ثم نقول لهم: الإرادة؛ إذا قلتم: إنها ثابتة لله عز وجل؛ فإنه تنتقض قاعدتكم؛ لأن للإنسان إرادة؛ كما قال تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]؛ فللإنسان إرادة، بل للجدار إرادة؛ كما قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ [الكهف:٧٧]؛ فأنتم إما أن تنفوا الإرادة عن الله عز وجل كما نفيتم ما نفيتم من الصفات، وإما أن تثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وإن كان للمخلوق نظيره في الاسم لا في الحقيقة.اهـ

فصل في ذكر بعض ما أورده المبتدعة على أهل السنة وادعوا عليهم التأويل

قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) [يس:٧١].

قال أهل التعطيل: أنتم ـ يعنون أهل السنة ـ أولتم في هذه الآية؛ فكيف تنكرون علينا التأويل؛ فقد قلتم فيها: إن الله لم يباشر خلق الأنعام بيديه، وأن المراد مما عملت أيدينا، يعني: بقدرته.

وقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣/٤٥):

وَمِمَّا يُشْبِهُ هَذَا الْقَوْلَ ـ يعني من الادعاءات الباطلة ـ أَنْ يُجْعَلَ اللَّفْظُ نَظِيرًا لِمَا لَيْسَ مِثْلَهُ كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ؟ فَقِيلَ هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾؟

فَهَذَا لَيْسَ مِثْلَ هَذَا؛ لِأَنَّهُ هُنَا أَضَافَ الْفِعْلَ إلَى الْأَيْدِي؛ فَصَارَ شَبِيهًا بِقَوْلِهِ: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ وَهُنَا أَضَافَ الْفِعْلَ إلَيْهِ؛ فَقَالَ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿بِيَدَيَّ﴾ وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ هُنَا ذَكَرَ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ، وَفِي الْيَدَيْنِ ذَكَرَ لَفْظَ التَّثْنِيَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وَهُنَاكَ أَضَافَ الْأَيْدِيَ إلَى صِيغَةِ الْجَمْعِ فَصَارَ كَقَوْلِهِ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا. وَهَذَا فِي الْجَمْعِ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ

فِي الْمُفْرَدِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَذْكُرُ نَفْسَهُ تَارَةً بِصِيغَةِ الْمُفْرَدِ مُظْهَرًا أَوْ مُضْمَرًا وَتَارَةً بِصِيغَةِ الْجَمْعِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

وَلَا يَذْكُرُ نَفْسَهُ بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ قَطُّ؛ لِأَنَّ صِيغَةَ الْجَمْعِ تَقْتَضِي التَّعْظِيمَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ؛ وَرُبَّمَا تَدُلُّ عَلَى مَعَانِي أَسْمَائِهِ، وَأَمَّا صِيغَةُ التَّثْنِيَةِ فَتَدُلُّ عَلَى الْعَدَدِ الْمَحْصُورِ وَهُوَ مُقَدَّسٌ عَنْ ذَلِكَ، فَلَوْ قَالَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لَمَا كَانَ كَقَوْلِهِ: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ وَلَوْ قَالَ خَلَقْت بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ؛ لَكَانَ مُفَارِقًا لَهُ؛ فَكَيْفَ إذَا قَالَ خَلَقْت بِيَدَيَّ؟ بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ هَذَا مَعَ دَلَالَاتِ الْأَحَادِيثِ الْمُسْتَفِيضَةِ، بَلْ الْمُتَوَاتِرَةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ عَلَى مِثْلِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ.اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله كَمَا فِي مختصر الصواعق (ص٤١):

وَسِرُّ الْفَرْقِ أَنَّ الْفِعْلَ قَدْ يُضَافُ إِلَى يَدِ ذِي الْيَدِ الْمُرَادِ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وَأَمَّا إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهِ الْفِعْلُ، ثُمَّ عُدِّيَ بِالْبَاءِ إِلَى يَدِهِ مُفْرَدَةً أَوْ مُثَنَّاةً؛ فَهُوَ مِمَّا بَاشَرَتْهُ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: **«إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثًا: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»**[1].

---

(١) لفظ الحديث المذكور لم أجده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، لا مرفوعًا ولا موقوفًا، وإنما أخرجه الدارقطني في "الصفات" رقم (٢٨)، وأبو نعيم في "صفة الجنة" (١/ ٤٨) رقم (٢٣)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٢٥) رقم (٦٩٢) من طريق عون بن عبد الله بن الحارث، عن أخيه عبد الله بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه عبد الله بن الحارث بن نوفل، بلفظ: خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ، خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ. قال البيهقي: هذا مرسل.

قلت: وفي إسناده عون بن عبد الله، وهو مجهول. =

فَلَوْ كَانَتِ الْيَدُ هِيَ الْقُدْرَة لَمْ يَكُنْ لَهَا اخْتِصَاصٌ بِذَلِكَ، وَلَا كَانَتْ لِآدَمَ فَضِيلَةٌ بِذَلِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ بِالْقُدْرَةِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ يَأْتُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: «**يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**» وَكَذَلِكَ قَالَ آدَمُ لِمُوسَى فِي مُحَاجَّتِهِ لَهُ: «**اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ الْأَلْوَاحَ بِيَدِهِ**»، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «**كَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**»، وَهُوَ مِنْ أَصَحِّ الْأَحَادِيثِ، وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ. «**أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالُوا: يَا رَبِّ خَلَقْتَ بَنِي آدَمَ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَنْكِحُونَ وَيَرْكَبُونَ، فَاجْعَلْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي كَمَنْ قُلْتُ لَهُ كُنْ**

= وقال الدارمي في "النقض على المريسي" (١/ ٢٦١):

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، ثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مِهْرَانَ -وَهُوَ الْمُكْتِبُ- ثَنَا مُجَاهِدٌ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: خَلَقَ اللهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ:- الْعَرْشُ، وَالْقَلَمُ، وَعَدْنٌ، وَآدَمُ ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كن فَكَانَ. إسناده صحيح، رجاله ثقات.

وقال الإمام عبد الله بن أحمد في "السنة" (١١١٨):

حَدَّثَنِي أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، نا أَبُو قُتَيْبَةَ، نا حَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ، وَسَائِرُ ذَلِكَ قَالَ: لَهُ كُنْ فَكَانَ، خَلَقَ الْقَلَمَ بِيَدِهِ، وَآدَمَ بِيَدِهِ، وَالتَّوْرَاةَ كَتَبَهَا بِيَدِهِ، وَجَنَّاتِ عَدْنٍ بِيَدِهِ.

إسناده ضعيف؛ لضعف حسن بن أبي جعفر، وعلي بن زيد بن جدعان. وهو يتقوى بالذي قبله، وله حكم المرفوع، والله أعلم.

فكَانَ»[1] وَهَذَا التَّخْصِيصُ إِنَّمَا فُهِمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فَلَوْ كَانَ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١]؛ لَكَانَ هُوَ وَالْأَنْعَامُ فِي ذَلِكَ سَوَاءً.

---

(١) **ضعيف منكر**: أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٤٥٨٤)، من طريق إبراهيمُ بن عبد الله بن خالد المِصِّيصي، ثنا حَجَّاج بن محمَّد، ثنا أبو غسَّان محمَّد بن مُطَرِّف، عن صفوان بن سليم، عن عَطاء بن يَسار، عن عبد الله بن عَمرو، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إِنَّ المَلاَئِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فيهَا ويَشْرَبُونَ ويَلْبَسُونَ، ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، ولاَ نَأْكُلُ ولاَ نَشْرَبُ ولاَ نَلْهُو، وكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَاجْعَلْ لَنَا الآخِرَةَ. قال: لاَ أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قلتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ**».

وأخرجه في "الأوسط" (٦/ ١٩٦) (٦١٧٣) من طريق طلحة بن زيد، عن صفوان بن سليم به.

قال الهيثمي في "المجمع" (١/ ٢٥٤): وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي، وهو كذاب متروك، وفي سند الأوسط طلحة بن زيد، وهو كذاب أيضاً.

قلت: وقد روي موقوفًا على عبد الله بن عمرو بن العاص.

أخرجه الدارمي في "الرد على المريسي" (١/ ٢٥٦ -٢٥٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدثنِي اللَّيْث، حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: «**لَقَدْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، مِنَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَمِنَّا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَمِنَّا الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ اللَّهَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا نسأم وَلَا نفتر، خلقت بَنِي آدَمَ فَجَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَجَعَلْتَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ فَكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ فَقَالَ: لن أفعل، ثمَّ عادو فاجتهدوا الْمَسْأَلَة، فَقَالُوا مثل ذَلِك، فَقَالَ: لن أفعل، ثمَّ عادو فاجتهدوا الْمَسْأَلَة بِمثل ذَلِكَ، فَقَالَ: لَنْ أَجْعَلَ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قلت لَهُ: كن فَكَانَ؟**».

وذكره الذهبي كما في "العلو" (ص ٨٢) عن الدارمي، وقال: إسناده صالح.

قلت: في إسناده عبد الله بن صالح، وهو كاتب الليث، فيه ضعف يسير. وقد خولف هشام بن سعد؛ فقد رواه مَعْمَرٌ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ﴾ [الإسراء: ٧٠] ، قَالَ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيُنَعَّمُونَ ، فَلَمْ تُعْطِنَا ذَلِكَ فَأَعْطِنَا فِي الْآخِرَةِ ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ».

أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (١٥٩٢) عن معمر به.

وهذا أصح، أعني أنه من قول زيد بن أسلم؛ فيكون الوصل وهمًا إما من عبد الله بن صالح، أو من هشام بن سعد.

=

فَلَمَّا فَهِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] يُوجِبُ لَهُ تَخْصِيصًا وَتَفْضِيلًا بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا بِالْيَدَيْنِ عَلَى مَنْ أُمِرَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ، وَفَهِمَ

= وأخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة" (٢/٤٦٩، رقم ١٠٦٥)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٢١ رقم ٦٨٨)، وفي "شعب الإيمان" (١/ ١٧٢ رقم ١٤٩) حدثنا الهيثم بن خارجة، نا عثمان بن علاق، وهو عثمان بن حصن بن علاق، قال: سمعت عروة بن رويم يقول: أخبرني الأنصاري: أن النبي ﷺ قال ... فذكره بنحوه.

والأنصاري هذا لا يُدرى من هو، وعروة بن رويم ليس له سماع من أحد من الصحابة، فهو مرسل.

وقد جاء مصرحا به عند البيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٨٩)، حيث أورده من طريق جنيد بن حكيم، عن هشام بن عمار، عن عبد ربه بن صالح القرشي قال: سمعت عروة بن رويم يحدث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فذكره مرفوعا بنحوه.

إلا أن رواية عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله الأنصاري مرسلة.

ثم أيضًا جنيد بن حكيم فيه ضعف، قال فيه الدارقطني: ليس بالقوي. وقد خالفه أبو زرعة الإمام فرواه عن هشام بن عمار بإسناده... كما رواه الجماعة، وقال فيه عن الأنصاري، بدون تسمية جابر. أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٨٨).

وقد أخرجه ابن عساكر (٥٢/ ١٣٩) وسمى الأنصاري أنسًا، فأخرجه من طريق أبي بكر محمد بن أيوب الداراني حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق، قال سمعت عروة بن رويم اللخمي يقول: حدثني أنس بن مالك.

وهذا إسناد ضعيف؛ أبو بكر محمد بن أيوب الداراني، والحسن بن علي بن خلف الصيدلاني، لم يؤثر توثيقهما عن معتبر، فهما مجهولا الحال.

وقد تصحف في تفسير ابن كثير في تفسير الآية المتقدمة (الداراني) إلى (الرازي) وهو كذاب، ولم يفطن لذلك محقق الأسماء والصفات (٦٨٩)، وإنما هو الداراني.

ذَلِكَ أَهْلُ الْمَوْقِفِ حِينَ جَعَلُوهُ مِنْ خَصَائِصِهِ، كَانَتِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١] خَطَأً مَحْضًا.اهـ

قال الإمام العثيمين رحمه الله في القواعد المثلى (ص٧٣):

يقال: ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها، حتى يقال: إنها صرفت عنه؟

هل يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده، كما خلق آدم بيده؟.

أو يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها، لم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد، والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل القرآن به، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، فإن المراد: ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه، وإن عمله بغير يده، بخلاف ما إذا قال: عملته بيدي، كَمَا فِي قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾، فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد.

الثاني: أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده، لكان لفظ الآية: خلقنا لهم بأيدينا أنعاما. كما قال الله تعالى في آدم: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ﴾، لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية، لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وإذا ظهر بطلان القول الأول، تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني، وهو: أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها، ولم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية، بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس، وعدي بالباء إلى اليد، فتنبه للفرق، فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير من الإشكالات.اهـ

قوله تعالى: (ثمَّ استَوَى إلى السَّماء).

قال المعطلة مخاطبين أهل السنة: أولتم هذه الآية فقلتم: استوى إلى السماء، بمعنى عمد إلى خلق السماء.

قال الإمام العثيمين رحمه الله في القواعد المثلى (ص٥٢):

والجواب: أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء. وهو الذي رجحه ابن جرير قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف: وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾: علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات.اهـ وذكره البغوي في تفسيره عن ابن عباس، وأكثر مفسري السلف، وذلك تمسكا بظاهر لفظ ﴿اسْتَوَى﴾، وتفويضا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل.

القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام. وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت، قال ابن كثير: أي: قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا ضُمِّنَ معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بإلى. وقال البغوي: أي: عمد إلى خلق السماء.

وهذا القول ليس صرفا للكلام عن ظاهره، لأن الفعل ﴿اسْتَوَى﴾ اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ حيث كان معناها يَروَى بها عباد الله، لأن الفعل ﴿يَشْرَبُ﴾ اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يُضَمَّن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام.اهـ

قوله تعالى: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) [القمر:١٤].

قال المعطلة لأهل السنة: أولتم هذه الآية فقلتم: تجري بحفظنا ومرأى منا.

قال الإمام العثيمين رحمه الله في القواعد المثلى (ص٦٦):

قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، وقوله لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

والجواب: أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟.

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله، أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يُرَبَّى فوق عين الله تعالى؟.

أو يقال: إن ظاهره أن السفينة تجري، وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها.

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.

ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني. أن المعني: أنه يسير داخل عينه. ولا من قول القائل: فلان تخرَّج على عيني. أن تخرَّجه كان وهو راكب على عينه. ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى، لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه، لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني: أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله، يرعاه ويكلؤه بها.

وهذا معنى قول بعض السلف: (بمرأى منى)، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه؛ لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما هو معلوم من دلالة اللفظ.اهـ

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح:١٠].

قال المعطلة: وافقتمونا يا من تنكرون التأويل في هذه الآية: أنها ليست على ظاهرها، وأن المبايعة لم تكن لله مباشرة، وأن يد الله لم تمس أيدي المخلوقين.

قال الإمام العثيمين رحمه الله في القواعد المثلى (ص٧٣):

والجواب: أن يقال: هذه الآية تضمنت جملتين:

الجملة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾.

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهرها وحقيقتها. وهي صريحة في أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبايعون النبي ﷺ نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدّعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لمنافاته لأول الآية والواقع، واستحالته في حق الله تعالى.

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول ﷺ مبايعة له؛ لأنه رسوله، وقد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله، لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله، لقوله تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

وفي إضافة مبايعتهم الرسول ﷺ إلى الله تعالى من تشريف النبي ﷺ وتأييده، وتوكيد هذه المبايعة، وعظمها، ورفع شأن المبايعين؛ ما هو ظاهر لا يخفى على أحد.

الجملة الثانية: قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وهذه أيضا على ظاهرها وحقيقتها، فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين، لأن يده من صفاته، وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم.

وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته، وهو لتوكيد كون مبايعة النبي ﷺ مبايعة لله عز وجل، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنه يقال: السماء فوقنا، مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا.

فيد الله عز وجل فوق أيدي المبايعين ﷺ مع مباينته تعالى لخلقه، وعلوه عليهم.

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يد النبي ﷺ، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ، لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنها فوق أيديهم. ويد النبي ﷺ عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم.اهـ

قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) وقوله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ)

قال المعطلة: وافقتمونا يا من تنكرون التأويل في هذه الآية: أنها ليست على ظاهرها، وأن القرب المذكور هو قرب الملائكة.

قال الإمام العثيمين رحمه الله في القواعد المثلى (ص٦٤):

والجواب: أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفا للكلام عن ظاهره لمن تدبره.

أما الآية الأولى: فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، ففي قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ دليل على أن المراد به: قرب الملكين المتلقيين.

وأما الآية الثانية: فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ

لا يُفَرِّطُونَ﴾، ثم إن في قوله: ﴿أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾ دليلاً بينا على أنهم الملائكة، إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان، ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة، لاستحالة ذلك في حق الله تعالى.

بقى أن يقال: فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء نحو هذا التعبير مرادًا به الملائكة؟.

فالجواب: أضاف الله تعالى قرب ملائكته إليه لأن قربهم بأمره، وهم جنوده ورسله.

وقد جاء نحو هذا التعبير مرادًا به الملائكة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله ﷺ، مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه، لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي ﷺ بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى.

وكذلك جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾، وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى.اهـ

حديث: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض».

قال الإمام الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٢٢٣):

منكر. أخرجه أبو بكر بن خلاد في الفوائد (١/ ٢٢٤/ ٢)، وابن عدي (١٧/ ٢)، وابن بشران في الأمالي (٢/ ٣/ ١) والخطيب (٦ / ٣٢٨) وعنه ابن الجوزي في الواهيات (٢/ ٨٤/ ٩٤٤) من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي، حدثنا أبو معشر المدائني، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به، مرفوعًا.

ذكره الخطيب في ترجمة الكاهلي هذا، وقال: يروي عن مالك، وغيره من الرفعاء أحاديث منكرة، ثم ساق له هذا الحديث، ثم روى تكذيبه عن أبي بكر بن أبي شيبة، وقد كذبه أيضا موسى بن هارون وأبو زرعة، وقال ابن عدي عقب الحديث: هو في عداد من يضع الحديث، وكذا قال الدارقطني كَمَا فِي الميزان، وزاد ابن الجوزي: لا يصح، وأبو معشر ضعيف.

وقال المناوي متعقبا على السيوطي حيث أورده في الجامع من رواية الخطيب وابن عساكر: قال ابن الجوزي: حديث لا يصح، وقال ابن العربي: هذا حديث باطل فلا يلتفت إليه.

ثم وجدت للكاهلي متابعا، وهو أحمد بن يونس الكوفي، وهو ثقة أخرجه ابن عساكر (١٥/ ٩٠/ ٢) من طريق أبي علي الأهوازي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر بن عبيد الله الكلاعي الحمصي بسنده عنه به.

أورده في ترجمة الكلاعي هذا، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، لكن أبو علي الأهوازي متهم، فالحديث باطل على كل حال.

ثم رأيت ابن قتيبة أخرج الحديث في غريب الحديث (٣/ ١٠٧/ ١) عن إبراهيم بن يزيد، عن عطاء، عن ابن عباس موقوفا عليه.

والوقف أشبه، وإن كان في سنده ضعيف جدا، فإن إبراهيم هذا وهو الخوزي متروك، كما قال أحمد والنسائي.

لكن روي الحديث بسند آخر ضعيف عن ابن عمرو:

رواه ابن خزيمة (٢٧٣٧) والطبراني في الأوسط (١/ ٣٣ / ٢)، وقال: تفرد به عبد الله بن المؤمل، ولذا ضعفه البيهقي في الأسماء (ص ٣٣٣) وهو مخرج في التعليق الرغيب (٢ / ١٢٣).

وإذا عرفت ذلك، فمن العجائب أن يسكت عن الحديث الحافظ ابن رجب في ذيل الطبقات (٧/ ١٧٤-١٧٥)، ويتأول ما روي عن ابن الفاعوس الحنبلي أنه كان يقول: الحجر الأسود يمين الله حقيقة. بأن المراد بيمينه أنه محل الاستلام والتقبيل، وأن هذا المعنى هو حقيقة في هذه الصورة، وليس مجازا، وليس فيه ما يوهم الصفة الذاتية أصلا، وكان يغنيه عن ذلك كله التنبيه على ضعف الحديث، وأنه لا داعي لتفسيره، أو تأويله؛ لأن التفسير فرع التصحيح كما لا يخفى.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٥/٣٩٨):

وَأَمَّا مَا حَكَاهُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ عَنْ بَعْضِ الْحَنْبَلِيَّةِ: أَنَّ أَحْمَد لَمْ يَتَأَوَّلْ إلَّا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: «**الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهَّ فِي الْأَرْضِ**» «**وَقُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**» «**وَإِنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ**» فَهَذِهِ الْحِكَايَةُ كَذِبٌ عَلَى أَحْمَد لَمْ يَنْقُلْهَا أَحَدٌ عَنْهُ بِإِسْنَادِ؛ وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ. وَهَذَا الْحَنْبَلِيُّ الَّذِي ذَكَرَ عَنْهُ أَبُو حَامِدٍ مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ لَا عِلْمُهُ بِمَا قَالَ، وَلَا صِدْقُهُ فِيمَا قَالَ.اهـ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٦/٣٩٧):

رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِإِسْنَادِ لَا يَثْبُتُ، وَالْمَشْهُورُ إنَّمَا هُوَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهَّ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ صَافَحَهُ وَقَبَّلَهُ؛ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللهَّ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ».

وَمَنْ تَدَبَّرَ اللَّفْظَ الْمَنْقُولَ؛ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لَا إِشْكَالَ فِيهِ إِلَّا عَلَى مَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْهُ؛ فَإِنَّهُ قَالَ: «**يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ**» فَقَيَّدَهُ بِقَوْلِهِ «**فِي الْأَرْضِ**» وَلَمْ يُطْلِقْ فَيَقُولَ يَمِينُ اللَّهِ وَحُكْمُ اللَّفْظِ الْمُقَيَّدِ يُخَالِفُ حُكْمَ اللَّفْظِ الْمُطْلَقِ. ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ صَافَحَهُ وَقَبَّلَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ».

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُشَبَّهَ غَيْرُ الْمُشَبَّهِ بِهِ؛ وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمُصَافِحَ لَمْ يُصَافِحْ يَمِينَ اللَّهِ أَصْلًا، وَلَكِنْ شُبِّهَ بِمَنْ يُصَافِحُ اللَّهَ فَأَوَّلُ الْحَدِيثِ وَآخِرُهُ يُبَيِّنُ أَنَّ الْحَجَرَ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ، وَلَكِنْ يُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا جَعَلَ لِلنَّاسِ بَيْتًا يَطُوفُونَ بِهِ: جَعَلَ لَهُمْ مَا يَسْتَلِمُونَهُ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ تَقْبِيلِ يَدِ الْعُظَمَاءِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ تَقْرِيبٌ لِلْمُقَبِّلِ، وَتَكْرِيمٌ لَهُ كَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا يَتَكَلَّمُونَ بِمَا فِيهِ إِضْلَالُ النَّاسِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ؛ فَقَدْ بَيَّنَ لَهُمْ فِي الْحَدِيثِ مَا يَنْفِي مِنَ التَّمْثِيلِ.اهـ

حديث: «إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن».

قال الإمام الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٣٦٧):

«**إني أجد نفس الرحمن من هاهنا- يشير إلى اليمن**».

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٦٠/ ٦٣٥٨): حدثنا أبو زرعة: ثنا أبو اليمان: ثنا إسماعيل بن عياش، عن الوليد بن عبد الرحمن (ح):

وثنا بكر بن سهل: ثنا عبد الله بن يوسف: ثنا عبد الله بن صالح الحمصي: حدثني إبراهيم بن سليمان الأفطس، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير: حدثني سلمة بن نفيل السكوني قال: دنوت من رسول الله ﷺ، حتى كادت

ركبتاي تمسان فخذه، فقلت: يا رسول الله! تركت الخيل، وألقي السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال! فقال: «**كذبوا! الآن جاء القتال، لا تزال من أمتي أمة قائمة على الحق، ظاهرة على الناس، يزيغ الله قلوب قوم قاتلوهم لينالوا منهم**». وقال وهو مول ظهره إلى اليمن: «**إني أجد نفس الرحمن من هاهنا، ولقد أوحي إلي أني مكفوت غير ملبث، وتتبعوني أفناداً، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها**».

قلت: واسناده صحيح من الوجه الأول، عن الوليد بن عبد الرحمن، وهو ثقة من رجال مسلم. وفي الوجه الآخر بكر بن سهل؛ فيه ضعف.

وشيخ عبد الله بن صالح الحمصي لم أعرفه! ثم تبين أن اسم أبيه محرف، صوابه (سالم)، فقد رأيت البيهقي قد أخرج الحديث في الأسماء والصفات (ص ٤٦٢-٤٦٣) من طريق محمد بن إسحاق الصاغاني: أنا عبد الله بن يوسف: أنا عبد الله بن سالم الحمصي: ثنا إبراهيم بن سليمان الأفطس به.

قلت: فهو إسناد صحيح أيضاً؛ لأن عبد الله بن سالم الحمصي- وهو الأشعري- ثقة اتفاقاً، ومن رجال البخاري.

ومن ضلال الشيخ الكوثري، ومعاداته للسنة وأحاديث الصفات، وتضليله للقراء: تعليقه في حاشية الأسماء على ابن سالم هذا بقوله: كان أبو داود يذمه.!

فتعامى عن أقوال الأئمة المجمعة على توثيقه، وتشبث بذم أبي داود إياه لمذهبه، وقد أخرج له في سننه، وهو يعلم أن ذلك لا يضر في عدالته وصحة حديثه عند العلماء تنصيصاً وتفريعاً، مع أن الحديث ليس له علاقة بالصفات؛ كما يأتي عن ابن تيمية.

على أنه قد توبع في الوجه الأول كما رأيت، فلا يضره الذم المذكور لو كان قدحاً في ثقته، ولكن هذا هو شأن أهل الأهواء؛ لا يخلصون للبحث العلمي، وإنما يتبعون منه ما يوافق أهواءهم! والله المستعان.

واعلم أن هذا الحديث قد جاء في بعض طرقه زيادة أخرى بلفظ: «وعقر دار المؤمنين بالشام».

وكنت خرجته في المجلد الرابع (١٩٣٥)، فأعدت تخريجه هنا لحديث الترجمة، مستدركاً به على تخريجي إياه في الضعيفة في المجلد الثالث (١٠٩٧)، لكن من حديث أبي هريرة، فهذا شاهد قوي له من حديث سلمة بن نفيل، أوجب علي تخريجه هنا، والتنبيه على أن الحديث صار به صحيحاً، والحمد لله على توفيقه، وأسأله المزيد من فضله.

هذا؛ ويبدو أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يذهب إلى ثبوت الحديث، فقد رأيته سئل عن حديث: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض)، وعن هذا الحديث في مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٦/ ٣٩٧- ٣٩٨) ؟ فضعف الأول، دون هذا، وقال مبيناً معناه، وأنه ظاهر فيه؛ فقال:

قَوْلُهُ «مِنْ الْيَمَنِ» يُبَيِّنُ مَقْصُودَ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْيَمَنِ اخْتِصَاصٌ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يُظَنَّ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مِنْهَا جَاءَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: سُئِلَ عَنْ هَؤُلَاءِ؛ فَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَوْمُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ؛ وَجَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَرَقَّ قُلُوبًا وَأَلْيَنَ أَفْئِدَةً؛ الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**»[1].

وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَهْلَ الرِّدَّةِ وَفَتَحُوا الْأَمْصَارَ فَبِهِمْ نَفَّسَ الرَّحْمَنُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ الْكُرُبَاتِ، وَمَنْ خَصَّصَ ذَلِكَ بِأُوَيْسٍ فَقَدْ أَبْعَدَ.

قال الألباني رحمه الله: وعلى هذا المعنى؛ فليس الحديث من أحاديث الصفات، ولذلك لم يورده الحافظ الذهبي في جملة أحاديثها في كتابه العلو الذي كنت اختصرته، وهو مطبوع، خلافاً للشيخ زاهد الكوثري الذي غمز من صحته كما تقدم مع الرد عليه، ولذلك كذَّب ابن تيمية رحمه الله ما حكاه الغزالي عن بعض الحنابلة أن الإمام أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء؛ منها هذا الحديث، فقال (٥/ ٣٩٨):

فهذه الحكاية كذب على أحمد، لم ينقلها أحد عنه بإسناد، ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه، وهذا الحنبلي مجهول لا يعرف.اهـ

ثم رأيت ابن الأثير قد أورد الحديث في مادة (نفس) من النهاية، وقال: قيل: عنى به الأنصار؛ لأن الله نفس بهم الكرب عن المؤمنين، وهم يمانون؛ لأنهم من الأزد، قال الأزهري: (النفس) في الحديث اسم وضع موضع المصدر الحقيقي من: (نفَّس ينفِّس تنفيساً ونَفَساً)، كما يقال: (فرج يفرج تفريجاً وفرجاً)؛ كأنه قال: أجد تنفيس ربكم من قبل اليمن.اهـ

قال أبو عبد الله غفر الله له: أما الحديث بلفظ: «**وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ**» فهو قطعة من حديث أطول منه:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٩٩)، ومسلم برقم (٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخرجه أحمد (١٠٩٧٨)، والطبراني في الأوسط (٤٦٦١)، و مسند الشاميين (١٠٨٣) من طريق شَبيبٍ أَبِي رَوْحٍ، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةَ يَمَانِيَةٌ، وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ، أَلَا إِنَّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ، وَقَسْوَةَ الْقَلْبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَصْحَابِ الشَّعْرِ، وَالْوَبَرِ، الَّذِينَ يَغْتَالُهُمُ الشَّيَاطِينُ عَلَى أَعْجَازِ الْإِبِلِ**».

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لجهالة حال شبيب أبي روح، وقد تفرد بهذه الزيادة: «**وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ**». والحديث في الصحيحين، وغيرهما من طرق عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بدون هذه الزيادة.

حديث «قال الله تعالى: فإذا أحببته كُنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها».

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي الجواب الصحيح (٣/٣٣٥):

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ يَحْتَجُّ بِهِ الْقَائِلُونَ بِالْحُلُولِ الْعَامِّ، أَوْ الِاتِّحَادِ الْعَامِّ أَوْ وَحْدَةِ الْوُجُودِ، وَقَدْ يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ يَقُولُ بِالْخَاصِّ مِنْ ذَلِكَ، كَأَشْبَاهِ النَّصَارَى.

وَالْحَدِيثُ حُجَّةٌ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ، فَإِنَّهُ قَالَ: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»، فَأَثْبَتَ ثَلَاثَةً: وَلِيًّا لَهُ، وَعَدُوًّا يُعَادِي وَلِيَّهُ، وَمَيَّزَ بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ وَلِيِّهِ، وَعَدُوِّ وَلِيِّهِ، فَقَالَ: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»، وَلَكِنْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ وَلِيَّهُ الَّذِي وَالَاهُ فَصَارَ يُحِبُّ مَا يُحِبُّ وَيُبْغِضُ مَا يُبْغِضُ، وَيُوَالِي مَنْ يُوَالِي وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِي، فَيَكُونُ الرَّبُّ مُؤْذِنًا بِالْحَرْبِ لِمَنْ عَادَاهُ، بِأَنَّهُ مُعَادٍ لِلَّهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

«**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْعَبْدِ الْمُتَقَرِّبِ، وَالرَّبِّ الْمُتَقَرَّبِ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»، فَبَيَّنَ أَنَّهُ يُحِبُّهُ بَعْدَ تَقَرُّبِهِ بِالنَّوَافِلِ وَالْفَرَائِضِ.

ثُمَّ قَالَ: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**»، وَعِنْدَ أَهْلِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ الْعَامِّ أَوِ الْوَحْدَةِ: هُوَ صَدْرُهُ وَبَطْنُهُ وَظَهْرُهُ وَرَأْسُهُ وَشَعْرُهُ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ، أَوْ فِي كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ التَّقَرُّبِ وَبَعْدَهُ، وَعِنْدَ الْخَاصِّ وَأَهْلِ الْحُلُولِ صَارَ هُوَ، وَهُوَ كَالنَّارِ وَالْحَدِيدِ وَالْمَاءِ وَاللَّبَنِ، لَا يَخْتَصُّ بِذَلِكَ آلَةَ الْإِدْرَاكِ وَالْفِعْلِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

«**فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي**»، وَعَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ - الرَّبُّ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ وَيَبْطِشُ وَيَمْشِي، وَالرَّسُولُ إِنَّمَا قَالَ: فَبِي، ثُمَّ قَالَ: «**وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»، فَجَعَلَ الْعَبْدَ سَائِلًا مُسْتَعِيذًا، وَالرَّبَّ مَسْئُولًا مُسْتَعَاذًا بِهِ، وَهَذَا يُنَاقِضُ الِاتِّحَادَ، وَقَوْلُهُ: فَبِي يَسْمَعُ مِثْلُ قَوْلِهِ: مَا تَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ، يُرِيدُ بِهِ الْمِثَالَ الْعِلْمِيَّ.اهـ وانظر أيضًا مجموع الْفَتَاوَى (٢/ ٣٧١).

حديث: «إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يقول يومَ القيامة: يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْني، قال: يارب كَيْفَ أعودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين ؟ قال: أمَا علمتَ أنَّ عبدي فلانا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ ؟ أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجَدتني عنده ؟ يا ابنَ آدمَ، اسْتطعَمْتكَ فلم تُطعمني، قال: يا رب، كيف أطعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمين ؟ قال: أمَا علمتَ أنه استطعمكَ عبدي فلان فلم تُطعِمْهُ، أمَا علمتَ أنَّكَ لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي؟ يا ابنَ آدم، استسقيْتكَ فلم تَسْقني، قال: يا رب، وكيف أسقِيكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: اسْتسقَاك عبدي فلان، فلم تَسْقِه، أما إنَّك لو سَقَيْتَهُ وجدتَ ذلك عندي».

قال الإمام العثيمين رحمه الله في القواعد المثلى (ص٧٦):

إن السلف أخذوا بهذا الحديث، ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به.

فقوله تعالى: (مرضت، واستطعمتك، واستسقيتك)، بينه الله تعالى بنفسه، حيث قال: (أما علمت أن عبدي فلانا مرض)، و(أنه استطعمك عبدي فلان)، و(استسقاك عبدي فلان).

وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به، وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله، والاستطعام المضاف إليه، والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه؛ لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره، لأن ذلك تفسير المتكلم به، فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء، وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحث، كقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ﴾.

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل، الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى، ولا من سنة رسول الله ﷺ، وإنما يحرفونها بشبه باطلة، هم فيها متناقضون مضطربون.

إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولو كان ظاهرها ممتنعا على الله كما زعموا لبينه الله ورسوله ﷺ كَمَا فِي هذا الحديث.

ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعا على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا من أكبر المحال.اهـ

فهارس المسائل والفوائد